

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ

أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد :

القول في تأويل قوله : ﴿ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ﴾ .

قال أبو جعفر : قد أتينا على البيان عن معنى قوله : ﴿ اَللّٰهُ ﴾ . فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ^(١) ، وكذلك البيان عن قوله : ﴿ اَللّٰهُ ﴾ ^(٢) .

وأما معنى قوله : ﴿ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ﴾ . فإنه خبرٌ من الله عزَّ وجلَّ أخبر عباده أن الألوهة خاصةً به دون ما سواه من الآلهة والأنداد ، وأن العبادة لا تصلح ولا تجوزُ إلا له ، لانفراده بالربوبية وتوحيده بالألوهية ، وأن كلَّ ما دونه فيملكه ، وأن كلَّ ما سواه فخلقه ، لا شريك له في سلطانه وملكيه ؛ احتجاجاً منه تعالى ذكره عليهم ، بأن ذلك إذ كان كذلك ، فغيرُ جائزة لهم عبادة غيره ولا إشراك أحدٍ معه في سلطانه ، إذ كان كلُّ معبودٍ سواه فيملكه ، وكلُّ مُعَظَّمٍ غيره فخلقه ؛ وعلى المملوكِ إفرادُ الطاعةِ لمالِكِهِ ، وصرفُ خدمتهِ إلى مولاه ورازقهِ ، ومُعَرَّفًا ^(٣) مَنْ كان من خَلْقِهِ - يومَ أنزل ذلك إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ ، بتنزيله ذلك إليه ، وإرساله به إليهم على لسانِهِ ، صلواتُ الله عليه وسلامُهُ - مُقيماً على عبادةِ وثنٍ أو

(١) ينظر ما تقدم في ٢٠٤/١ - ٢٢٨ .

(٢) ينظر ما تقدم في ١٢١/١ - ١٢٤ .

(٣) في النسخ : « معرف » والصواب ما أثبتنا ، والسياق : « أخبر عباده أن الألوهة خاصة به دون ما سواه ... احتجاجاً منه ... ومعرفاً من كان من خلقه ... أنه مقيم على ضلالة » .

صنم ، أو شمسٍ أو قمرٍ ، أو إنسيٍّ أو ملكٍ ، أو غير ذلك من الأشياء التي كانت بنو آدمٍ مُقيمةً على^(١) عبادتها وإلهتها^(٢) ، ومُتخذةً^(٣) دونَ مالكه وخالقه إلهًا وربًّا أنه مُقيّمٌ على ضلالةٍ ، ومنعزلٌ عن المحجَّةِ ، وراكبٌ غيرَ السبيلِ المستقيمة ، بصرفه العبادة إلى غيره ، ولا أحد له الألوهةُ غيره .

وقد ذُكر أن هذه السورة ابتداءً للهِ بتنزيلِ فاتحتها ، بالذي ابتداءً به من نفي الألوهة أن تكونَ لغيره ، ووَصَفِه نفسَه بالذي وصفها به في ابتدائها ؛ احتجاجًا منه بذلك على طائفةٍ من النَّصارى قَدِمُوا على رسولِ اللهِ ﷺ من نَجْرَانَ فحاجَّوه في عيسى صلواتُ اللهِ عليه ، وأخذوا في اللهِ ، فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ / وجلَّ في أمرهم وأمرِ عيسى من هذه السورة ، نَيْفًا وثلاثين آيةً من أولها ؛ احتجاجًا عليهم وعلى من كان على مثلِ مقاتلتهم لنبِيِّهِ محمدٍ ﷺ ، فأَبَوْا إلا المقامَ على ضلالتهم وكفرهم فدعاهم إلى المباهلة^(٤) ، فأَبَوْا ذلك وسألوا قبولَ الجزية منهم ، فقبلها ﷺ منهم ، وانصرفوا إلى بلادهم . غيرَ أن الأمروان كان كذلك ، وإياهم قصَدَ بالحجاج ، فإنَّ مَنْ كان معناه من سائر الخلقِ معناه في الكفرِ بالله ، واتخاذِ ماسوي اللهِ ربًّا وإلهًا معبودًا ، معومون بالحجَّة التي حجَّ اللهُ تبارك وتعالى بها من نزلت هذه الآيات فيه ، ومحججون في الفرقان الذي فَرَّقَ به لرسوله ﷺ بينه وبينهم .

ذكرُ الروايةِ عن ذكرنا قوله في نزولِ افتتاحِ هذه السورة أنه نزل في
الذين وَصَفْنَا صِفَتَهُمْ مِنَ النَّصَارَى

حدَّثنا محمدُ بنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثني محمدُ

(١ - ١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عبادته وإلهته » .

(٢) سقط من : س ، وفي م : « متخذته » .

(٣) في س : « الإسلام » .

ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، قال : قَدِمَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وفدٌ نَجْرَانِ ، ستون راکبًا ، فيهم أربعة عشرَ رجلًا من أشرافهم ، في الأربعة عشرَ [٣٨٠/١] ثلاثة نفرٍ ، إليهم يقولُ أمرهم : العاقبُ ؛ أميرُ القومِ وذو رأيهم وصاحبُ مشورتهم ، والذي لا يَصُدُّون إلا عن رأيهِ ، واسمُهُ عبدُ المسيحِ ، والسيدُ ؛ ثمَّالهم^(١) وصاحبُ رحلهم ومُجْتَمِعِهم ، واسمُهُ الأيْهمُ ، وأبو حارثة بنُ علقمة ؛ أحدُ^(٢) بكرِ بنِ وائلٍ ،^(٣) أسقفهم وخبرهم^(٤) وإمامهم وصاحبُ مدراسهم^(٥) .

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ، ودرَسَ كتبهم ، حتى حَسُنَ علمه في دينهم ، فكانت ملوكُ الرومِ من أهلِ النصرانيَّةِ قد شرفوه ومولَّوه وأخدموه وبنَّوا له الكنائسَ ، وبسطوا عليه الكراماتِ ؛ لما يبلِّغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم^(٥) .

قال ابنُ إسحاق : قال محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ : قَدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، فدخلوا عليه مسجده حينَ صَلَّى العصرَ ، عليهم ثيابُ الجِبرَاتِ^(٦) جُبَّتْ وأرديةٌ ، في^(٧) جمالِ رجالٍ^(٧) بلحارثِ بنِ كعبٍ . قال : يقولُ بعضُ من رآهم من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَئذٍ : ما رأينا بعدهم وفدًا مثلهم ، وقد حانتِ صلاتهم ، فقاموا يُصلُّون في مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعُوهم » . فَصَلُّوا إلى المَشْرِيقِ .

(١) الشمال : الغياث الذي يقوم بأمر قومه . تاج العروس (ث م ل) .

(٢) في م : « أخو » . وينظر سيرة ابن هشام ٥٧٣/١ .

(٣ - ٣) في س : « أشبيهم وخيرهم » .

(٤) المدراس : الموضع الذي يدرسون فيه كتابهم .

(٥) في م : « دينه » .

(٦) الحِيزَةُ : ضرب من برود اليمن مُتَعَرَّة . تُجمع على : جِبر وجِبرَات . يقال : برد حبير ، وبرد جِبرة .

(٧ - ٧) سقط من النسخ ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

قال : وكانت تسمية الأربعة عشر منهم الذين يُقُولُ إليهم أمرهم : العاقب وهو عبدُ المسيح ، والسيدُّ وهو الأيهمُ ، وأبو حارثة بنُ علقمة أخو^(١) بكرِ بنِ وائلٍ ، وأوسُ ، والحارثُ ، وزيدُ ، وقيسُ ، ويزيدُ ، ونُبَيْةُ ، وخويلدُ ، وعمرو ، وخالدُ ، وعبدُ اللَّهِ ، ويَحْنَسُ ، في ستين راکبًا ، فكَلَّمَ رسولَ اللَّهِ ﷺ منهم أبو حارثة بنُ علقمة ، والعاقبُ عبدُ المسيح ، والأَيهمُ السَّيِّدُ ، وهم^(٢) من النصرانية على دينِ الملكِ ، مع اختلافٍ من أمرهم يقولون : هو اللَّهُ . ويقولون : هو ولدُ اللَّهِ . ويقولون : هو ثالثُ ثلاثة . وكذلك قولُ النصرانية ، فهم يَحْتَجُّونَ في قولهم : هو اللَّهُ . بأنه كان يُحيى الموتى ، ويُبرئُ الأسقامَ ، ويُخبرُ بالغيوبِ ، ويخلقُ من الطينِ كهيئةِ الطيرِ ثم ينفُخُ فيه فيكونُ طائرًا ، وذلك كُلُّهُ بإذنِ اللَّهِ ، ليجعله آيةً للناسِ . ويَحْتَجُّونَ في قولهم : إنه ولدُ اللَّهِ . أنهم يقولون : لم يكنْ له أبٌ يُعَلِّمُ ، وقد تكَلَّمَ في المهيدِ ، شيءٌ^(٤) لم يَصْنَعْهُ أحدٌ من ولدِ آدمَ قبله . ويَحْتَجُّونَ في قولهم : إنه ثالثُ ثلاثة . بقولِ اللَّهِ عز وجل : فعلنا وأمرنا ، وخلقنا وقصينا . فيقولون : لو كان واحدًا ما قال إلا : فعلتُ وأمرتُ وقصيتُ وخلقْتُ ، ولكنه هو ، وعيسى ، ومريمُ . ففي كلِّ ذلك من / قولهم قد نزل القرآن ، وذكر اللَّهُ لنبيه ﷺ فيه قولهم ، فلما كَلَّمَهُ الحَبْرَانِ ، قال لهما رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أسليما » . قال : « أسليما » . قال : « إنكما لم تُسليما ، فأسليما » . قال : « بلى ، قد أسلمنا قبلك . قال : « كَذَّبْتُمَا ، يَمْتَعِكُمَا مِنَ الإِسْلَامِ دَعَاؤُكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَوَلَدًا ، وعبادتُكُمَا الصَّليبِ ، وأكلُكُمَا الحَنزِيرِ » . قال : فمن

١٦٣/٣

(١) كذا في السيرة وجميع النسخ ، وتقدم في الصفحة السابقة « أحد » . وهما واحد .

(٢) في النسخ : « ابن » . والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٣) في النسخ : « هو » . والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٤) في م : « بشيء » ، وفي السيرة : « وهذا » .

أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يُجِبْهُمَا ، فأنزل الله في ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كله ، صدر سورة « آل عمران » إلى بضع وثمانين آية منها ، فقال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيمُ ﴾ . فافتتح السورة بتبرئته ^(١) نفسه تبارك وتعالى مما قالوا ، وتوحيده إياها بالخلق والأمر ، لا شريك له فيه ؛ ردًا عليهم ما ابتدَعوا من الكفر ، وجعلوا معه من الأنداد ، واحتجاجًا عليهم بقولهم في صاحبهم ، ليعرّفهم بذلك ضلالتهم ، فقال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أى ليس معه شريك في أمره ^(٢) .

حدثني المشي ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ اَلَمْ يَلِدْهَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ . قال : إن النصارى أتوا رسول الله ﷺ فخاصّموه في عيسى ابن مريم ، وقالوا له : من أبوه ؟ وقالوا على الله الكذب والبُهتان - لا إله إلا هو ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا - فقال لهم النبي ﷺ : « ألسنم تعلمون أنه لا يكون ولدًا إلا وهو يُشبهُ أباه ؟ » . قالوا : بلى . قال : « ألسنم تعلمون أن ربنا حتى لا يموت ، وأن عيسى يأتي عليه الفناء ؟ » . قالوا : بلى . قال : « ألسنم تعلمون أن ربنا قيّم على كل شيء ، يكلؤه ويحفظه ويزرّقه ؟ » . قالوا : بلى . قال : « فهل يملك عيسى من ذلك شيئًا ؟ » . قالوا : لا . قال : « أفلسنم تعلمون أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؟ » . قالوا : بلى . قال : « فهل يعلم عيسى من ذلك شيئًا إلا ما علم ؟ » . قالوا : لا . قال : « فإن ربنا صوّر عيسى في الرّحم كيف شاء » ^(٣) . قال : « ألسنم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ، ولا يشرب »

(١) في م : « بتبرئة » . وفي س ، والسيرة : « بتزيه » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٧٣ - ٥٧٦ ، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٥/٣٨٢ من طريق يونس ، عن ابن إسحاق به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٢ إلى ابن المنذر . وسيدكر المصنف بقية مفرقة فيما سيأتي .

(٣) بعده في م : « فهل تعلمون ذلك ؟ قالوا : بلى » .

الشَّرَابِ ، وَلَا يُحَدِّثُ الْحَدِيثَ ؟ » . قالوا : بلى . قال : « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عَيْسَى حَمَلَتْهُ امْرَأَةٌ كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ ، ثُمَّ وَضَعَتْهُ كَمَا تَضَعُ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا ، ثُمَّ غُدِّيَ كَمَا يُغَدِّي الصَّبِيُّ ، ثُمَّ كَانَ يَطْعَمُ الطَّعَامَ ، وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ ، وَيُحَدِّثُ الْحَدِيثَ ؟ » . قالوا : بلى . قال : « فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ » . قال : فعرفوا ثم أبوا إلا الجحودا ، فأنزل [٣٨١/١] اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ١ ﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ ١ ﴾ .

القول في تأويل قوله : ﴿ ٢ ﴾ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ ٢ ﴾ .

اختلفت القراءة في ذلك ؛ فقرأته قراءة الأمصار : ﴿ ٢ ﴾ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ ٢ ﴾ .

وقرأ ذلك عمر بن الخطاب وابن مسعود ، فيما ذكر عنهما : (الحَيُّ الْقَيُّومُ) ^(١) .

وذكر عن علقمة بن قيس أنه كان يقرأ : (الحَيُّ الْقَيُّومُ) .

حدثنا بذلك أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن علي ، قال : حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، قال : سمعتُ علقمة يقرأ : (الحَيُّ الْقَيُّومُ) . قلت : أنت سمعته ؟ قال : لا أدري ^(٢) .

/ حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا الأعمش ، عن ١٦٤/٣ إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن علقمة مثله .

وقد روى عن علقمة خلاف ذلك ، وهو ما حدثنا أبو هشام ، قال : حدثنا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٥/٢ (٣١٢٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) تنظر قراءة عمر في فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٦٨ ، وسنن سعيد بن منصور (٤٨٦ - تفسير) ، وقراءة ابن مسعود في سنن سعيد بن منصور (٤٨٩ - تفسير) ، والمعجم الكبير (٨٦٩٠) ، والمصاحف لابن أبي داود ص ٥٩ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢ إلى المصنف وابن الأنباري .

عبدُ اللهِ ، قال : حَدَّثَنَا شَيْبَانُ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيم ، عن أبي معمرٍ ، عن عَلْقَمَةَ أنه قرأ : (الْحَى الْقَيُّومُ)^(١) .

والقراءةُ التي لا يجوزُ غيرها عندنا في ذلك ما جاءت به قراءةُ المسلمين نقلًا مستفيضًا ، عن غيرِ تشاغرٍ^(٢) ولا تواطؤٍ ، وراثَةً ، وما كان مُثَبِّتًا في مصاحفِهِمْ ؛ وذلك قراءةً من قرأ : ﴿ الْحَى الْقَيُّومُ ﴾ .
القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ الْحَى ﴾ .

اختلفَ أهلُ التأويلِ في معنى قوله : ﴿ الْحَى ﴾ ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك من الله تعالى ذكره أنه وُصِفَ بنفسه بالبقاءِ ، ونفى الموتَ الذي يجوزُ على مَنْ سواه من خلقه عنها .

ذكرُ من قال ذلك

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ الْحَى ﴾ : الذي لا يموتُ ، وقدمات عيسى وُصِّلَ في قولِهِمْ . يعنى في قولِ الأخبارِ الذين حاجُّوا رسولَ اللهِ ﷺ من نصارى أهلِ نَجْرَانَ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبِيعِ : ﴿ الْحَى ﴾ . قال : يقولُ : حَى لا يموتُ^(٤) .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢ إلى المصنف وابن الأبارى .

(٢) فى م : « تشاغر » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٧٦/٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨٦/٢ (٢٥٧١) من طريق ابن أبى جعفر به .

وقال آخرون : معنى « الحى » الذى غناه الله عز وجل فى هذه الآية ، ووصف به نفسه ، أنه المتيسر له تدبير كل ما أراد وشاء ، لا يمتنع عليه شيء أراد ، وأنه ليس كمن لا تدبير له من الآلهة والأنداد .

وقال آخرون : معنى ذلك أن له الحياة الدائمة التى لم تزل له صفة ، ولا تزال كذلك . وقالوا : إنما وصف نفسه بالحياة لأن له حياة ، كما وصفها بالعلم لأن لها علماً ، وبالقدرة لأن لها قدرة .

ومعنى ذلك عندى أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التى لا فناء لها ولا انقطاع ، ونفى عنها ما هو حال بكل ذى حياة من خلقه ؛ من الفناء وانقطاع الحياة عند مجيء أجله ، فأخبر عباده أنه المستوجب على خلقه العبادة والألوهة ، والحى الذى لا يموت ولا يبيد ، كما يموت كل من اتخذ من دونه رباً ، ويبيد كل من ادعى من دونه إلهاً ، واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى ، فلا يكون إلهاً يستوجب أن يُعبَد دون الإله الذى لا يبيد ولا يموت ، وأن الإله هو الدائم الذى لا يموت ولا يبيد ولا يفنى ، وذلك الله الذى لا إله إلا هو .

القول فى تأويل قوله : ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ .

قد ذكرنا اختلاف القراءة فى ذلك ، والذى نختار منه ، وما العلة التى من أجلها اخترنا ما اخترنا من ذلك .

فأمّا تأويل جميع الوجوه التى ذكرنا أن القراءة قرأت بها ، فمقاربت ، ومعنى ذلك كله : القيم بحفظ كل شيء ورزقه وتدبيره ، وتصريفه فيما شاء وأحب ، من تغيير وتبديل ، وزيادة ونقص .

/ كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثننا أبو عاصم ، قال : حدثننا عيسى ١٦٥/٣

ابن ميمون ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ اَلْحَيُّ اَلْقَيُّومُ ﴾ . قال : القائمُ على كلِّ شَيْءٍ ^(١) .

حَدَّثَنِي المُنْثَى ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو حذيفةَ ، قال : حَدَّثَنَا شُبَلٌ ، عن ابنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ مثله ^(٢) .

حَدَّثَنِي المُنْثَى ، قال : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبِيعِ : ﴿ اَلْقَيُّومُ ﴾ : قَيِّمٌ على كلِّ شَيْءٍ ؛ يَكْلُؤُهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ ^(٣) .

وقال آخرون : معنى ذلك : الْقَيِّامُ على مكانه . ووجَّهوه إلى القيامِ الدائمِ ، الذى لا زوالَ معه ولا انتقالَ ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا نَفَى عن نفسه - بَوْصِفِهَا بِذَلِكَ - التَّغْيِيرَ وَالتَّنْقُلَ من مكانٍ إلى مكانٍ ، وحدثَ التَّبَدُّلِ الذى يَحْدُثُ فى الأدميينِ وسائرِ خلقه غيرِهِم .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عن محمدٍ ^(٤) بنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ بنِ جَعْفَرِ بنِ الرَّبِيعِ : ﴿ اَلْقَيُّومُ ﴾ : الْقَيِّامُ على مكانه ، مَنْ سُلْطَانُهُ فى خَلْقِهِ لا يَزُولُ ، وقد زال عيسى فى قولِهِم - يعنى فى قولِ الأَحْبَارِ الذين حَاجُّوا النَّبِيَّ ﷺ من أَهْلِ نَجْرَانَ فى عيسى - عن مكانه الذى كان به ، وَذَهَبَ عَنْهُ إِلَى غيرِهِ ^(٥) .

وأولى التَّأْوِيلِينَ بِالصَّوَابِ ما قاله مجاهدٌ والرَّبِيعُ ، وَأَنَّ ذَلِكَ وَصَفٌ مِنَ اللَّهِ

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٨ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨٦/٢ (٢٥٧٣) .

(٢) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٩٦) من طريق أبى حذيفة به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨٦/٢ (٢٥٧٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) فى النسخ : « عمر » .

(٥) سيرة ابن هشام ١/٥٧٦ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨٦/٢ (٣١٢٩) من طريق ابن إسحاق قوله .

تعالى ذكره نفسه بأنه القائم بأمر كل شيء في رزقه والدفع عنه ، وكلائه وتدييره ، وصرفه في قدرته ، من قول العرب : فلان قائم بأمر هذه البلدة . تعنى بذلك : المتولى تدير أمرها . [٣٨١/١] فـ « القِيَوْمُ » - إذ كان ذلك معناه - « الفَيْعُولُ » ، من قول القائل : الله يقوم بأمر خلقه . وأصله « القَيْوُومُ » ، غير أن الواو الأولى من « القَيْوُومِ » ، لما سبقتها ياء ساكنة وهى متحرّكة ، قُلِبَتْ ياءً ، فُجِعِلَتْ هى والياء التى قبلها ياءً مشدّدة ؛ لأن العرب كذلك تفعل بالواو المتحرّكة إذا تقدّمها ياءً ساكنة .
وأما « القِيَامُ » ، فإن أصله « القَيْوَامُ » ، وهو « الفَيْعَالُ » ، من : قام يقوم ، سبقت الواو المتحرّكة من « قِيَامٍ » ياءً ساكنة ، فُجِعِلْنَا جميعاً ياءً مشدّدة .

ولو أن القَيْوَمَ « فَعُولٌ » ، كان « الْقَوُومَ » ، ولكنه « الفَيْعُولُ » . وكذلك « القِيَامُ » لو كان « الفَعَالُ » لكان « الْقَوَامَ » ، كما قيل : الصَّوَامُ والقَوَامُ . وكما قال جل ثناؤه : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ [المائدة : ٨] . ولكنه « الفَيْعَالُ » ، فقال : القِيَامُ .

وأما « القِيمُ » فهو « الفَيْعِيلُ » ، من : قامَ يقومُ ، سبقت الواو المتحرّكة ياءً ساكنة ، فُجِعِلْنَا ياءً مُشدّدة ، كما قيل : فلان سيّد قومه . من : ساد يسودُ ، وهذا طعام جيّد ، من : جاد يجودُ ، وما أشبه ذلك .

وإنما جاء ذلك بهذه الألفاظ ؛ لأنه قصد به قصد المبالغة فى المدح ، فكان « القَيْوَمُ » و « القِيَامُ » و « القِيمُ » أبلغ فى المدح من القائم . وإنما كان عمر رضى الله عنه يختار قراءته ، إن شاء الله ؛ لأن ذلك الغالب على منطقي أهل الحجاز ، فى ذوات الثلاثة من الياء والواو ، فيقولون للرجل الصَّوَاغُ : الصَّيَاغُ . ويقولون للرجل الكثير الدَّورَانِ : الدَّيَارُ . وقد قيل : إن قول الله جل ثناؤه : ﴿ لَا نَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] . إنما هو : « دَوَارًا » ، « فَعَالًا » ، من : دار

يُدَوِّرُ . وَلَكِنَّهَا نَزَلَتْ بِلُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَأَقْرَبَتْ كَذَلِكَ فِي الْمَصْحَفِ .

/ الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ .

١٦٦/٣

يقول جل ثناؤه : يا محمد ، إن ربك ورب عيسى ورب كل شيء ، هو الرب الذي أنزل عليك الكتاب ، يعني بـ « الكتاب » : القرآن ، ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ يعني بالصدق فيما اختلف فيه أهل التوراة والإنجيل ، وفيما خالفك فيه مُحاجُّوك من نصارى أهل نجران ، وسائر أهل الشرك غيرهم ، ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ ، يعني بذلك القرآن أنه مُصَدِّقٌ لما كان قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله ، ومُحَقِّقٌ ما جاءت به رسل الله من عنده ؛ لأنَّ مُنَزَّلَ جميع ذلك واحدٌ ، فلا يكون فيه اختلافٌ ، ولو كان من عند غيره لكان فيه اختلافٌ كثيرٌ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . قَالَ : لِمَا قَبْلَهُ مِنْ كِتَابِ أَوْ رَسُولِ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ : لِمَا قَبْلَهُ مِنْ كِتَابِ أَوْ رَسُولٍ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ أَى :

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٧/٢ (٣١٣٥) .

بِالصِّدْقِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يَقُولُ : الْقُرْآنَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ قَبْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ : يَقُولُ : مُصَدِّقًا لِمَا قَبْلَهُ مِنْ كِتَابِ وَرَسُولٍ ^(٣) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ^(٤) مِنْ قَبْلِ هُدَى النَّاسِ ﴿ .

يعنى بذلك جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، وَالْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى ، ﴿ مِنْ قَبْلِ ﴾ . يَقُولُ : مِنْ قَبْلِ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَهُ عَلَيْكَ .

ويعنى بقوله : ﴿ هُدَى لِّلنَّاسِ ﴾ : بَيَانًا لِلنَّاسِ مِنَ اللَّهِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَتَصْدِيقِ رَسَلِهِ ، وَنَعْتِكَ ^(٤) يَا مُحَمَّدُ بِأَنَّكَ نَبِيُّ وَرَسُولِي ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ دِينِ اللَّهِ .

كَمَا حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ^(٤) مِنْ قَبْلِ هُدَى لِّلنَّاسِ ﴿ : هُمَا كِتَابَانِ أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ ، فِيهِمَا بَيَانٌ

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٧٦ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٨٧ (٣١٣٢) من طريق يزيد به مختصراً ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٨٧ ، عقب الأثر (٣١٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) سقط من س ، وفي ص : « حفيك » ، وفي م : « مفيداً » ، وفي ت ١ ، ت ٢ : « حفيد » والمثبت أقرب إلى الصواب .

من الله ، وعِصْمَةٌ لمن أَخَذَ به ، وصدَّقَ به ، وعَمِلَ بما فيه ^(١) .

١٦٧/٣ / حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ : التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، كما أنزل الكتب على من كان قبله ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بذلك : وأنزل الفصل بين الحق والباطل فيما اختلفت فيه الأحزاب وأهل الملل في أمر عيسى وغيره .

وقد بيئنا فيما مضى أن الفرقان إنما هو الفعلان ، من قولهم : فرق الله بين الحق والباطل ؛ يفصل بينهما بنصره الحق على الباطل ، إمّا بالحجة البالغة ، وإمّا بالقهر والغلبة بالأيد والقوة ^(٣) .

وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، غير أن بعضهم وجه تأويله إلى أنه فصل بين الحق والباطل في أمر عيسى ، وبعضهم إلى أنه فصل بين الحق والباطل في أحكام الشرائع .

ذكر من [٣٨٢/١] قال : معناه : الفصل بين الحق والباطل

في أمر عيسى والأحزاب

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ . أى : الفصل بين الحق والباطل ، فيما اختلف فيه

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٨/٢ (٣١٤١ ، ٣١٤٢) من طريق شيبان ، عن قتادة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) في م : « قبلهما » . والأثر في سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ .

(٣) ينظر ما تقدم في ٩٣/١ وما بعدها .

الأحزاب من أمر عيسى وغيره^(١) .

ذكر من قال : معنى ذلك : الفصل بين الحق والباطل في الأحكام وشرائع الإسلام

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدٌ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ : هو القرآنُ ، أنزله على محمدٍ ، وفرق به بين الحقِّ والباطلِ ، فأحلَّ فيه حلاله ، وحرَّم فيه حرامه ، وشرَّع فيه شرائعه ، وحدَّ فيه حدوده ، وفرض فيه فرائضه ، ويبيِّن فيه بيانه ، وأمر بطاعته ، ونهى عن معصيته^(٢) .

حدَّثني المنثي ، قال : حدَّثنا إسحاقٌ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ . قال : الفرقانُ القرآنُ ، فرق بين الحقِّ والباطلِ^(٣) .

والتأويلُ الذي ذكرناه عن محمدٍ بنِ جعفرٍ بنِ الزبيرِ في ذلك أولى بالصَّحَّةِ من التأويلِ الذي ذكرناه عن قتادةَ والربيعِ ، وأن يكونَ معنى الفرقانِ في هذا الموضعِ فصلَ الله بين نبيِّه محمدٍ ﷺ والذين حاجَّوه في أمرِ عيسى وفي غير ذلك من أموره ، بالحُجَّةِ البالغةِ القاطعةِ عذرهم وعذرَ نظرائهم من أهل الكفرِ بالله .

وإنما قلنا : هذا القولُ أولى بالصوابِ ؛ لأن إخبارَ الله عن تنزيله القرآنَ قبل إخباره عن تنزيله التوراةَ والإنجيلَ في هذه الآية ، قد مضى بقوله : ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . ولا شك أن ذلك الكتاب هو القرآن لا غيره ، فلا

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٨/٢ (٣١٤٦) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدرر ٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٨/٢ (٣١٤٥) من طريق ابن أبي جعفر به .

وَجَهَ لِتَكَرِيرِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، إِذْ لَا فَائِدَةَ فِي تَكَرِيرِهِ ، لَيْسَتْ فِي ذِكْرِهِ إِيَّاهُ وَخَبْرِهِ عَنْهُ ابْتِدَاءً .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ .

يعنى بذلك جَلَّ ثَنَاؤُهُ : إن الذين جَحَدُوا أَعْلَامَ اللَّهِ وَأَدْلَتَهُ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَالْوَهْيَةِ ، وَأَنْ عَيْسَى عَبْدٌ لَهُ ، وَاتَّخَذُوا الْمَسِيحَ إِلَهًا وَرَبًّا ، أَوْ ادَّعَوْهُ لِلَّهِ وَلَدًا ، لَهُمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ شَدِيدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

و « الَّذِينَ كَفَرُوا » : هُمُ الَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِ اللَّهِ . و « آيَاتُ اللَّهِ » : أَعْلَامُ اللَّهِ وَأَدْلَتُهُ وَحُجَجُهُ .

١٦٨/٣ / وهذا القولُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُنْبِئُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ . أَنَّهُ مَعْنَى بِهِ الْفَصْلُ^(١) الَّذِي هُوَ حُجَّةٌ لِأَهْلِ الْحَقِّ عَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ ؛ لِأَنَّهُ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ . يَعْنِي : إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا ذَلِكَ الْفَصْلَ وَالْفُرْقَانَ الَّذِي أَنْزَلَهُ فَرَقًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْمُبْطِلِ ، ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ وَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ لِمَنْ عَانَدَ الْحَقَّ بَعْدَ وُضُوحِهِ لَهُ ، وَخَالَفَ سَبِيلَ الْهُدَى بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ عَزِيزٌ فِي سُلْطَانِهِ ، لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِمَّنْ أَرَادَ عَذَابَهُ مِنْهُمْ ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَائِلٌ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَانِدَهُ فِيهِ أَحَدٌ ، وَأَنَّهُ ذُو انْتِقَامٍ مِمَّنْ جَحَدَ حُجَجَهُ وَأَدْلَتَهُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا عَلَيْهِ ، وَبَعْدَ وُضُوحِهَا لَهُ وَمَعْرِفَتِهِ بِهَا .

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ

(١) بعده في النسخ : « عن » . ولا يستقيم بها الكلام .

جعفر بن الزبير : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
 أَنْتِقَامٍ ﴾ . أى : إن الله منتقم من كفر بآياته ، بعد علمه بها ، ومعرفته بما جاء منه
 فيها ^(١) .

حدثنى المشي ، قال : حدثننا إسحاق ، قال : حدثننا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
 الربيع : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ ﴾ ^(٢) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
 السَّمَاءِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الله لا يخفى عليه شيء هو فى الأرض ، ولا شيء
 هو فى السماء ، يقول : فكيف يخفى علىّ يا محمد ، وأنا علام ^(٣) جميع الأشياء ،
 ما يضاهى به هؤلاء الذين يُجادلونك فى آيات الله من نصارى نجران فى عيسى ابن
 مريم ، فى مقالتيهم التى يقولونها فيه ؟

كما حدثننا ابن حميد ، قال : حدثننا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .
 أى : قد علم ما يُريدون وما يكيّدون وما يضاهون بقولهم فى عيسى ، إذ جعلوه ربّاً
 وإلهّاً ، وعندهم من علمه غير ذلك ، غرّة بالله وكفراً به ^(٤) .

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٧٦ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٨٩ (٣١٥٣) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) هكذا فى النسخ ، لم يذكر المصنف نص الأثر ، وسيتكرر ذلك فيما سيأتى ، والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٨٩ (٣١٤٩) من طريق ابن أبى جعفر به بلفظ : يعنى النصارى .

(٣ - ٣) فى س : « الغيوب » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/٥٧٦ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٩٠ (٣١٥٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

القول في تأويل قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : الله الذي يُصَوِّرُكم فيجعلكم صُورًا أشباها في أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحب ، فيجعل هذا ذكرا وهذا أنثى ، وهذا أسود وهذا أحمر . يُعَرِّفُ عباده بذلك أن جميع من اشتملت عليه أرحام النساء فممن ^(١) صَوَّرَهُ وخلقته كيف شاء ، وأن عيسى ابن مريم من صَوَّرَهُ في رَحِمِ أمه ، وخلقته فيها كيف شاء وأحب ، وأنه لو كان إلها لم يكن ممن اشتملت عليه رَحِمُ أمه ؛ لأنَّ خَلْقَ ما في الأرحام لا تكون الأرحام عليه مشتملة ، وإنما تشتمل على المخلوقين .

كما حدَّثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ : قد كان عيسى من صَوَّرَ في الأرحام ، لا يدفَعون [٣٨٢/١] ذلك ولا يُنْكِرُونَهُ ، كما صَوَّرَ غيره من بنى آدم ، فكيف يكون إلها وقد كان بذلك المنزل ؟ ^(٢)

حدَّثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ . أى : أنه صَوَّرَ عيسى في الرَّحِمِ كيف شاء ^(٣) .

وقال آخرون في ذلك ما حدَّثنا به موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن الشددي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ . قال : إذا وَقَعَتِ النطفة في

(١) في م : « ممن » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٧٦ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٠/٢ (٣١٥٧) من طريق ابن أبي جعفر به .

الأرحام ، طارت في الجسد أربعين يوماً ، ثم تكون علقة أربعين يوماً ، ثم تكون مضغة أربعين يوماً ، فإذا بلغ أن يُخلَق ، بعث الله ملكاً يصوِّرها ، فيأتي الملك بتراب بين إصبعيه ، فيخلطه في المضغة ، ثم يعجنه بها ، ثم يصوِّرها كما يؤمر ، فيقول : أذكر أو أنسى ؟ أشقى أو سعيد ؟ وما رزقه ؟ وما عمره ؟ وما أثره ؟ وما مصائبه ؟ فيقول الله ، ويكتب الملك ، فإذا مات ذلك الجسد ، دُفن حيث أخذ ذلك التراب^(١) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ : قادرٌ والله ربنا أن يصوِّر عباده في الأرحام كيف يشاء ؛ من ذكرٍ أو أنثى ، أو أسود أو أحمر ، تامٌ خلقه وغير تام^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه أن يكون له في ريوبيته نِدٌّ أو مثلٌ ، أو أن تجوز الألوهة لغيره ، وتكذيب منه للذين قالوا في عيسى ما قالوا ، من وفد نجران الذين قدموا على رسول الله ﷺ ، وسائر من كان على مثل الذي كانوا عليه من قولهم في عيسى ، ولجميع من ادعى مع الله معبوداً ، أو أقرُّ برُبوبية غيره . ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بصفته ، وعيِّداً منه لمن عبد غيره ، أو أشرك في عبادته أحداً سواه ، فقال : هو العزيز الذي لا ينصُرُ من أراد الانتقام منه أحدٌ ، ولا يُنْجِيه منه وألٌ ولا لَجَأٌ^(٣) ، وذلك لعزته التي يذلُّ لها كلُّ مخلوق ، ويخضع لها كلُّ موجود . ثم أعلمهم أنه

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٠/٢ (٣١٥٦) من طريق عمرو به من قول السدي . وأصل الحديث في البخارى (٣٢٠٨) ، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود مرفوعاً .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٠/٢ ، ٥٩١ (٣١٥٩) من طريق شيبان ، عن قتادة نحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) الوأل والموئل : الملجأ . واللجأ والوأل بمعنى . اللسان (ل ج أ ، و أ ل) .

الحكيم في تدبيره ، وإعذاره إلى خلقه ، ومتابعة حُججه عليهم ؛ ليَهلك من هلك منهم عن بيّنة ، ويخيا من حي عن بيّنة .

كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : ثم قال - يعنى الربّ عزّ وجلّ - إنزأها لنفسه ، وتوحيداً لها مما جعلوا معه : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . قال : العزيزُ في نُصرتِه ^(١) ممن كفر به إذا شاء ، والحكيم في عُذره وحُجته إلى عباده ^(٢) .

١٧٠/٣ / حدّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . يقول : عزيزٌ في نيّته ، حكيمٌ في أمره ^(٣) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ .

يعنى بقوله جلّ ثناؤه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ أن الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي أنزل عليك الكتاب . يعنى بالكتاب القرآن . وقد أثبتنا على البيان فيما مضى عن السبب الذي من أجله سُمي القرآن كتاباً ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ^(٤) .

وأما قوله : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ . فإنه يعنى : من الكتاب آيات . يعنى بالآيات آيات القرآن . وأما المحكمات ، فإنهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل ،

(١) كذا في النسخ ، وعند ابن أبي حاتم : يريد : « في انتصاره من كفر » . كما في سيرة ابن هشام .
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩١/٢ (٣١٦١ ، ٣١٦٣) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩١/٢ (٣١٦٢ ، ٣١٦٤) من طريق ابن أبي جعفر ، عن أبي العالية قوله .
(٤) ينظر ما تقدم في ١/ ٨٩ ، ٩٥ ، ٩٦ .

وَأُتِبَتْ مُحَجَّجَهُنَّ وَأَدْلَتْهُنَّ عَلَى مَا جُعِلْنَ أَدْلَةٌ عَلَيْهِ ؛ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ ، وَثَوَابٍ وَعِقَابٍ ، وَأَمْرٍ وَرَجْرٍ ، وَخَيْرٍ وَمَثَلٍ ، وَعِظَةٍ وَعِيبٍ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .
 ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ الْحِكْمَاتِ بِأَنَّهُنَّ أُمَّ^(١) الْكِتَابِ ، يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُنَّ أَسْلُ الْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ عِمَادُ الدِّينِ وَالْفَرَائِضُ وَالْحُدُودُ ، وَسَائِرُ مَا بِالْخَلْقِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ ، وَمَا كُفِّفُوا مِنَ الْفَرَائِضِ^(٢) وَالْحُدُودِ ، وَسَائِرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ^(٣) فِي عَاجِلِهِمْ وَآجِلِهِمْ ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ لِأَنَّهُنَّ مُعْظَمُ الْكِتَابِ ، وَمَوْضِعُ مَفْرَعِ أَهْلِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ الْعَرَبُ ، تُسَمَّى الْجَامِعَ مُعْظَمَ الشَّيْءِ أُمَّةً لَهُ ، فَتُسَمَّى رَايَةَ الْقَوْمِ الَّتِي تَجْمَعُهُمْ فِي الْعَسَاكِرِ أُمَّةً ، وَالْمُدَبِّرَ مُعْظَمَ أَمْرِ الْقَرْيَةِ وَالْبَلَدَةِ أُمَّةً . وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِيمَا مَضَى بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ^(٤) .

وَوَحْدَ ﴿ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ ، وَلَمْ يَجْمَعْ فَيَقُولَ : هُنَّ أُمَّةَاتُ الْكِتَابِ . وَقَدْ قَالَ : ﴿ هُنَّ ﴾ ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ : جَمِيعَ الْآيَاتِ الْحِكْمَاتِ أُمَّ الْكِتَابِ . لِأَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ، لَكَانَ لَا شَكَّ قَدْ قِيلَ : هُنَّ أُمَّةَاتُ الْكِتَابِ . وَنَظِيرُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ - عَلَى التَّأْوِيلِ الَّذِي قُلْنَا فِي تَوْحِيدِ الْأُمَّةِ ، وَهِيَ خَيْرٌ^(٥) لِـ ﴿ هُنَّ ﴾^(٦) - قَوْلُهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ : ٥٠] . وَلَمْ يَقُلْ : آيَتَيْنِ . لِأَنَّ مَعْنَاهُ : وَجَعَلْنَا جَمِيعَهُمَا آيَةً . إِذْ كَانَ الْمَعْنَى^(٧) وَاحِدًا فِيمَا جُعِلَا^(٨) فِيهِ لِلْخَلْقِ عِبْرَةً ، وَلَوْ كَانَ مَرَادُهُ الْخَيْرَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى انْفِرَادِهِ بِأَنَّهُ جُعِلَ لِلْخَلْقِ عِبْرَةً ، لَقِيلَ : وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ

(١) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : « مِنْ » ، وَفِي م : « هُنَّ أُمَّ » .

(٢) (٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٣) يَنْظُرُ مَا تَقَدَّمَ فِي ١ / ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٤) (٤ - ٤) فِي ص ، س ، ت ، ١ ، ت ٢ : « لَهُمْ » .

(٥) (٥ - ٥) فِي م : « وَاحِدَاتُهُمَا جَعَلْنَا » .

وأُمَّهُ آيَتَيْنِ . لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِهَمِّ عِبْرَةٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَرِيَمَ وُلِدَتْ مِنْ غَيْرِ رَجُلٍ ، وَنَطَقَ ابْنُهَا ، فَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِ صَبِيئًا ، فَكَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلنَّاسِ آيَةٌ .

وقد قال بعض نحويي البصرة : إنما قيل : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ . ولم يُقَلْ : هُنَّ أمهات الكتاب . على وجه / الحكاية ، كما يقول [٣٨٣/١] الرجل : ما لي أنصارًا . ١٧١/٣
فتقول : أنا أنصارك . أو : ما لي نظيرٌ . فتقول : نحن نظيرك . قال : وهو شبيهه : دَعْنِي مِنْ تَمْرَتَانِ . وَأَنْشُدْ لِرَجُلٍ مِنْ قَفْعَسٍ ^(١) :

تَعَرَّضْتُ لِي بِمَكَانٍ حَلٍّ ^(٢)

تَعَرَّضَ الْمُهْرَةَ فِي الطَّوْلِ ^(٣)

تَعَرَّضًا لَمْ تَأَلْ عَنِّي قَتْلًا لِي ^(٤)

^(٥) قَتْلًا لِي ، يَحْكِي بِهِ عَلَى الْحِكَايَةِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مَنْصُوبًا قَبْلَ ذَلِكَ ، كَمَا يَقُولُ : نُودِيَ : الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ ، يَحْكِي قَوْلَ الْقَائِلِ : الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ . وَقَالَ : قَالَ

(١) هو منظور بن مرثد الفقعسي الأسدي ، ويعرف بـ : منظور بن حبة . وحنة أمه . والرجز في مجالس ثعلب ٦٠٢ / ٢ ، واللسان (ط و ل ، ق ت ل ، ع ر ض) .

(٢ - ٢) في ت ١ ، ت ٢ : « بمكان خلى » . وفي المجالس : « بمجاز جل » ، وفي اللسان : « بمكان حل » . ومكان الحل : مكان الحلول والنزول . وينظر اللسان (ح ل ل) .

(٣) الطَّوْلُ : حبل طويل تشد به قائمة الدابة ، وقيل : هو الحبل تشد به ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترعى . وشدد الراجز الطَّوْلَ للضرورة . اللسان (ط و ل) .

(٤ - ٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ : « قتال » ، وفي اللسان : « قتل لي » ، وفي المجالس واللسان (ط و ل ، ق ت ل) « قَتْلِي » كأنه أدغم « قتل لي » ، ولا شاهد في كل ذلك . قال في اللسان : ويروى : « عن قتلا لي » على الحكاية ، أى : عن قولها : قتلا له .

والرواية التي أشار إليها صاحب اللسان هي رواية سر صناعة الإعراب ، كما ذكر ذلك محقق المجالس . (٥ - ٥) في النسخ : « كل أي » ، وهي عبارة مضطربة ، ولعلها تحريف ما أثبتناه ، إذ لا يخفى أن الكلام منصب على مجيء « قتلا » . على وجه الحكاية .

بعضُهم : إنما هي : أَنْ قَتَلَا لِي . وَلَكِنَّهُ جَعَلَهُ «عَيْنًا» ^(١) ؛ لِأَنَّ «أَنْ» فِي لَغْتِهِ تُجْعَلُ مَوْضِعَهَا «عَنْ» ، وَالنَّصْبُ عَلَى الْأَمْرِ ، كَأَنَّكَ قَلْتَ : ضَرْبًا لَزِيدٍ .

وهذا قولٌ لا معنى له ؛ لِأَنَّ كُلَّ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ الَّتِي اسْتَشْهَدَهَا ^(٢) ، لَا شَكَّ أَنَّهُنَّ حِكَايَاتٌ حَاكِيهِنَّ ^(٣) بِمَا حَكَى عَنْ قَوْلِ غَيْرِهِ وَأَلْفَاظِهِ الَّتِي نَطَقَ بِهِنَّ ، وَأَنْ مَعْلُومًا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَحْكُ عَنْ أَحَدٍ قَوْلَهُ : أُمَّ الْكِتَابِ . فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : أَخْرَجَ ذَلِكَ مُخْرَجَ الْحِكَايَةِ عَمَّنْ قَالَ ذَلِكَ كَذَلِكَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَأَخْرَجَ ﴾ فَإِنَّهَا جَمْعُ أُخْرَى ^(٤) .

ثم اختلف أهل العربية في العلة التي من أجلها لم يُصْرَفْ «أَخْرَجَ» ؛ فقال بعضهم : لم يُصْرَفْ «أَخْرَجَ» ^(٥) ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا نَعَتْ ، وَاحْدَتُهَا «أُخْرَى» ، كَمَا لَمْ تُصْرَفْ «جَمَعَ» وَ «كُتِبَ» ؛ لِأَنَّهِنَّ نَعَوْتُ .

وقال آخرون : إنما لم تُصْرَفِ «الأُخْرَى» ؛ لِزِيَادَةِ الْبَيَاءِ الَّتِي فِي وَاحِدَتِهَا ، وَأَنْ جَمَعَهَا مَبْنِيٌّ عَلَى وَاحِدِهَا فِي تَرْكِ الصَّرْفِ . قَالُوا : وَإِنَّمَا تَرِكَ صَرْفُ «أُخْرَى» ، كَمَا تَرِكَ صَرْفُ «حَمْرَاءَ» وَ «بِيضَاءَ» فِي النُّكْرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ ؛ لِزِيَادَةِ الْمَدَّةِ فِيهَا وَالْهَمْزَةُ بِالْوَاوِ ^(٦) ، ثُمَّ افْتَرَقَ جَمْعُ «حَمْرَاءَ» وَ «أُخْرَى» ، فَبُنِيَ جَمْعُ «أُخْرَى» عَلَى وَاحِدَتِهِ ،

(١) فِي م : «عَنْ» .

(٢) فِي م : «اسْتَشْهَدَ بِهَا» .

(٣) فِي م : «حَالَتِهِنَّ» .

(٤) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : «أَخْرَجَ» .

(٥) سَقَطَ مِنْ : ص ، ت ، ١ .

(٦) الضمير في كلمة «فيها» يرجع إلى «حمرء وبيضاء» ؛ إذ القياس في همزتها عند التثنية أن تقلب واوًا ،

تقول : حمراوان وبيضاوان . ينظر ما لا ينصرف للزجاج ص ٣٢ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

فَقِيلَ : فَعَلُ «أَخْرُ» ، فَتَرِكَ صَرَفُهَا كَمَا تَرِكَ صَرَفُ «أُخْرَى» ، وَبُنِيَ جَمْعُ «حَمْرَاءَ» وَ «بِيضَاءَ» عَلَى خِلَافٍ وَاحِدِيَّةٍ ، فَصُرِفَ ، فَقِيلَ : حُمُرٌ وَبِيضٌ . فَلَاحْتِلَافٍ حَالَتِيهِمَا فِي الْجَمْعِ ، اِخْتَلَفَ إِعْرَابُهُمَا عِنْدَهُمْ فِي الصَّرْفِ ، وَلا تَفَاقٍ حَالَتِيهِمَا فِي الْوَاحِدَةِ ، اتَّفَقَتْ حَالَتَاهُمَا فِيهَا .

١٧٢/٣ / وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ مُتَشَابِهَةٌ ﴾ . فَإِنَّ مَعْنَاهُ : مُتَشَابِهَاتٌ فِي التَّلَاوَةِ ، مَخْتَلِفَاتٌ ^(١) فِي الْمَعْنَى ، كَمَا قَالَ جَلُّ ثَنَاؤِهِ : ﴿ وَأَتَوْا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة : ٢٥] . يَعْنِي : فِي الْمُنْظَرِ ، مَخْتَلِفًا فِي الْمَطْعَمِ . وَكَمَا قَالَ مُخْبِرًا عَمَّنْ أَخْبَرَ عَنْهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة : ٧٠] . يَعْنُونَ بِذَلِكَ : تَشَابُهَ عَلَيْنَا فِي الصِّفَةِ وَإِنْ اِخْتَلَفَتْ أَنْوَاعُهُ .

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ : إِنْ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْقُرْآنَ ، ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ بِالْبَيَانِ ، هُنَّ أَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي عَلَيْهِ عِمَادُكَ وَعِمَادُ أُمَّتِكَ فِي الدِّينِ ، وَإِلَيْهِ مَفْرَعُكَ وَمَفْرَعُهُمْ فِيمَا افْتَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ ، وَآيَاتُ أُخْرُ هُنَّ مُتَشَابِهَاتٌ فِي التَّلَاوَةِ ، مَخْتَلِفَاتٌ فِي الْمَعَانِي .

وَقَدْ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَةٌ ﴾ . وَمَا ^(٢) الْمُحْكَمُ مِنْ آيِ الْكِتَابِ ؟ وَمَا الْمُتَشَابَهُ مِنْهُ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْمُحْكَمَاتُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ : الْمَعْمُولُ بِهِنَّ ، وَهِنَّ النَّاسِخَاتُ ، أَوْ الْمُثَبَّتَاتُ الْأَحْكَامُ ، وَالمُتَشَابِهَاتُ مِنْ آيِهِ : الْمَتْرُوكُ الْعَمَلُ بِهِنَّ الْمَنْسُوخَاتُ .

(١) فِي ت ٢ : «مختلفة» .

(٢) فِي ت ٢ : «أما» .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، عمن حدّثه ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ قال : هي الثلاثُ الآياتُ التي هل هنا ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفْرُكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥١] إلى ثلاثِ آياتٍ ، والتي في بني إسرائيل ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٢٣] إلى آخرِ الآياتِ ^(١) .

حدّثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ^(٢) ثنا معاوية بن صالح ، عن عليّ ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ : المحكماتُ : ناسخه ، وحلاله ، وحرامه ، وحُدوده ، وفرائضه ، وما يُؤمنُ به ويُعملُ به . قال : ﴿ وَأَخْرَجَ مُتَشَدِّدَةً ﴾ : والمتشابهاتُ : منسوخه ، ومُؤخّره ، وأمثاله ، وأقسامه ، وما يُؤمنُ به ولا يُعملُ به ^(٣) .

حدّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الآية » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٢/٢ (٣١٦٩) من طريق هشيم به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢ - ٢) سقط من : ت ١ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٢/٢ ، ٥٩٣ ، (٣١٦٧ ، ٣١٧٤) من طريق أبي صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى ابن المنذر .

(تفسير الطبري ١٣/٥)

إلى ﴿ وَأَخْرَجَ مُتَشَابِهَاتٍ ﴾ : فالمُحْكَمَاتُ التي هي أمُّ الكتابِ : الناسخُ الذي يُدَانُ به ويُعْمَلُ به ، والمتشابهاتُ : هنَّ المنسوخاتُ التي لا يُدَانُ بهنَّ^(١) .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشَّدِيِّ في خبرٍ ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابنِ عباس ، وعن مُرَّةَ الهمداني ، عن ابنِ مسعود ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبي ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ إلى قوله : ﴿ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ : أما الآياتُ المُحْكَمَاتُ ، فهنَّ الناسخاتُ التي يُعْمَلُ بهنَّ ، وأما المتشابهاتُ ، فهنَّ المنسوخاتُ^(١) .

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ : والمُحْكَمَاتُ : الناسخُ الذي يُعْمَلُ به ما أحلَّ الله فيه حلاله ، وحرَّم فيه حرامه ، وأما المتشابهاتُ : فالمنسوخُ الذي لا يُعْمَلُ به ويُؤمَّنُ به^(٢) . ١٧٣/٣

/ حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة في قوله : ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ قال : المُحْكَمُ : ما يُعْمَلُ به^(٣) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ إلى المصنف .

(٢) ينظر تفسير البغوي ٢/٣٣٥ ، والحرر الوجيز ٨/٢ ، وتفسير القرطبي ٤/١٠٠ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١١٥ .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾
قال : المحكمات : الناسخُ الذي يُعْمَلُ به ، والمتشابهات : [٣٨٣/١] المنسوخُ الذي لا يُعْمَلُ به ، ويُؤمَّنُ به ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ قال : الناسخاتُ . ﴿ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ قال : ما نُسِخَ وَتُرِكَ يُثَلَّى ^(٢) .

حَدَّثَنِي ابْنُ وَكَيْعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن سلمةَ بنِ نُبَيْطٍ ، عن الضَّحَّاكِ بنِ مُزَاحِمٍ ، قال : المحكمُ ما لم يُنسخْ ، وما تشابهَ منه : ما نُسِخَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يحيى بنُ أبي طالبٍ ، قال : أخبرنا يزيدُ ، قال : أخبرنا جُوَيْرٍ ، عن الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ قال : الناسخُ ﴿ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ قال : المنسوخُ ^{(٢)(٣)} .

حَدَّثْتُ عَنْ الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمعتُ أبا مُعَاذٍ يحدثُ ، قال : أخبرنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ^(٤) ، قال : سمعتُ الضَّحَّاكَ يقولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٢/٢ ، ٥٩٣ عقب الأثر (٣١٦٧ ، ٣١٧٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) تفسير سفيان الثوري ص ٧٥ عن سلمة بن نبيط أو جووير به .

(٣) بعده في م : « حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ قال : المحكمات : الذي يعمل به » .

(٤) في ت ٢ : « سلمان » .

يعنى الناسخ الذى يُعْمَلُ به ﴿ وَأَخْرُ مُتَشَبِهَةً ﴾ يعنى المنسوخ ، يُؤْمَنُ به ولا يُعْمَلُ به .

حدَّثنى أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نعيمٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن الضَّحَّاكِ : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ قال : ما لم يُنسخْ ، ﴿ وَأَخْرُ مُتَشَبِهَةً ﴾ قال : ما قد نُسخ . وقال آخرون : المحكماتُ من آي الكتابِ ما أحكم اللهُ فيه بيانَ حلاله وحرامه ، والمتشابهُ منها ما أشبهه بعضه بعضًا فى المعانى ، وإن اختلفت ألفاظه .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قوله : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ : ما فيه من الحلال والحرام ، وما سوى ذلك ، فهو متشابهة يُصدِّقُ^(١) بعضه بعضًا ، وهو مثلُ قوله : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَلْسِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦] . ومثلُ قوله : ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] . ومثلُ قوله : ﴿ وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَوْهُمْ ﴾^(٢) [محمد : ١٧] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثله^(٣) .

(١) فى ص : « يصرف » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٨ .

(٣) أخرجه عبد بن حميد فى تفسيره - كما فى تعليق التعليق ٤/١٩٠ - من طريق شبيل به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٢ إلى القرابى .

وقال آخرون : المحكمات من آي الكتاب ما لم يَحْتَمِلَ من التأويل غير وجه واحد ؛ والمتشابهة منها : ما احتَمَلَ من التأويل أوجهًا .

/ ذكُرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

١٧٤/٣

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقٍ ، قال : ثنى محمدُ ابنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ : فيهنَّ حُجَّةُ الرَّبِّ ، وَعِصْمَةُ الْعِبَادِ ، ودَفْعُ الْخِصُومِ وَالْبَاطِلِ ، ليس لها تَصْرِيْفٌ وَلَا تَحْرِيفٌ عما وُضِعَتْ عليه ، ﴿ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾^(١) في الصِّدْقِ ، لهنَّ تَصْرِيْفٌ وَتَحْرِيفٌ وتَأْوِيلٌ ، ابتَلَى اللَّهُ فِيهِنَّ الْعِبَادَ ، كما ابتلاهم في الحلالِ والحرامِ ، لا يُصَرِّفُونَ إِلَى الْبَاطِلِ وَلَا يُحَرِّفُونَ عَنِ الْحَقِّ^(٢) .

وقال آخرون : معنى المُحْكَمِ ما أَحْكَمَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ ، وَقَصَصِ الْأُمَمِ وَرَسُولِهِمُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ ، ففَصَّلَهُ بَيَانِ ذَلِكَ لِمُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ . والمتشابهة هو ما اشْتَبَهَتْ الْأَلْفَاظُ بِهِ مِنْ قِصَصِهِمْ ، عندَ التَّكْرِيرِ فِي السُّورِ ، بقِصَّةِ^(٣) باتِّفَاقِ الْأَلْفَاظِ واختلافِ المعاني ، وبقِصَّةِ^(٤) باختلافِ الْأَلْفَاظِ واتِّفَاقِ المعاني .

ذكُرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يونسٌ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زَيْدٍ وَقَرَأَ : ﴿ الْآرِ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] قال : وذكر حديث رسول

(١) في م : «متشابهة» .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٢/٢ ، ٥٩٤ ، (٣١٧١ ، ٣١٧٧ ، ٣١٧٨) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٣) في م : «فقصة» .

(٤) في م : «قصة» .

اللَّهُ ﷺ في أربع وعشرين آية منها ، وحديث نوح في أربع وعشرين آية منها ، ثم قال : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ [هود : ٤٩] ، ثم ذكر : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ ﴾ [هود : ٥٠] فقرأ حتى بلغ ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ ^(١) ، ثم مضى ، ثم ذكر صالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً ، وفرغ من ذلك ، وهذا يقين ، وذلك يقين ﴿ أَحْكَمْتَ آيَاتِنَا ثُمَّ قُضِلْتَ ﴾ ^(٢) . قال : والمتشابه ذكر موسى في أمكنة كثيرة ، وهو متشابه ، وهو كله معنى واحد ، ^(٣) وهو مُتَشَابِهٌ ^(٤) : ﴿ فَاسْأَلْ فِيهَا ﴾ [المؤمنون : ٢٧] ، ﴿ أَجْمَلُ فِيهَا ﴾ [هود : ٤٠] ، ﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ ﴾ [القصاص : ٣٢] ، ﴿ وَأَدْخُلْ يَدَكَ ﴾ [النمل : ١٢] ، ﴿ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [طه : ٢٠] ، ﴿ تُعْبَانُ مُبِينٌ ﴾ [الشعراء : ٣٢] .

قال : ثم ذكر هوداً في عشر آيات منها ، وصالحاً في ثمانى آيات منها ، وإبراهيم في ثمانى آيات أخرى ، ولوطاً في ثمانى آيات منها ، وشعيباً في ثلاث عشرة آية ، وموسى في أربع آيات ، كلُّ هذا يَقْضِي بين الأنبياء وبين قومهم في هذه السورة ، فانتهى ذلك إلى مائة آية من سورة هود ، ثم قال : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُضُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٠] . وقال في المتشابه من القرآن : مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ الْبَلَاءَ وَالضَّلَالَهَ يَقُولُ : مَا شَأْنُ هَذَا ^(٥) لا يكون هكذا ؟ وما شَأْنُ هَذَا لا يكون هكذا ^(٥) ؟

(١) في النسخ : « واستغفروا ربكم » . وأثبتناه بدون الواو لما ذكر بعده قال : « ثم مضى ثم ذكر صالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً » . فيثبت أنه أراد التى من قول هود : « يا قوم استغفروا ربكم » ، لا التى من قول شعيب : « واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه » .


(٢) اليقين : تحقيق الأمر . ويقين ﴿ أَحْكَمْتَ ... ﴾ : تحقيقها . ينظر اللسان (ي ق ن) .

(٣ - ٣) في م : « ومتشابهه » .

(٤ - ٤) سقط من : ت ٢ .

(٥) في ت ٢ : « هذا » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم في تفسيره ١٩٩٥/٦ من طريق أصبغ بن الفرج ، عن عبد الرحمن بن زيد به .

وقال آخرون : بل المُحَكَّم من آي القرآن ما عرّف العلماء تأويله ، وفهّموا معناه وتفسيره . والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيلٌ مما استأثر الله بعلمه دون خلقه ، وذلك نحو الخبر عن وقت^(١) مَخْرَج عيسى ابن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، وقيام الساعة ، وفناء الدنيا ، وما أشبه ذلك ، فإن ذلك لا يَعْلَمُهُ أحدٌ . وقالوا : إنما سَمَى اللهُ مِنْ آي الكتابِ المتشابهة الحروفَ المقطّعة التي في أوائلِ بعضِ سورِ القرآن ، من نحو ﴿المر﴾ ، و ﴿المص﴾ [الأعراف : ١] ، و ﴿المر﴾ [الرعد : ١] و ﴿الر﴾ وما أشبه ذلك ؛ لأنهنّ متشابهات في الألفاظ ، وموافقات حروف حسابِ الجُمَلِ^(٢) ، وكان قومٌ من اليهود على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ طمِعوا أن يُدْرِكُوا مِنْ قِبَلِهَا معرفةَ مدّةِ الإسلامِ وأهله ، وَيَعْلَمُوا نهايةَ أَكْلِ^(٣) محمدٍ وأُمَّته ، فأكذّب اللهُ أُحدوثهم بذلك ، وأعلّمهم أن ما ابْتَعَوْا علمَه من [٣٨٤/١] ذلك من قِبَلِ هذه الحروفِ المتشابهة لا يُدْرِكُونه ، ولا مِنْ قِبَلِ غيرها ، وأن ذلك لا يَعْلَمُهُ/إلا اللهُ . وهذا ١٧٥/٣ قولٌ ذَكَرَ عن جابر بن عبد الله بن رباب^(٤) أن هذه الآية نزلت فيه ، وقد ذَكَرْنَا الروايةَ بذلك عنه وعن غيره ممن قال نحوَ مقالته في تأويلِ ذلك في تفسيرِ قوله : ﴿المر﴾  ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿ [البقرة : ١ ، ٢] .

وهذا القول الذي ذَكَرْنَاهُ عن جابر بن عبد الله أشبهُ بتأويلِ الآية ، وذلك أنّ جميعَ ما أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنْ آي القرآنِ على رسولِهِ ﷺ فإنما أنزله عليه بيانًا له ولأُمَّته ، وهُدًى للعالمين ، وغيرِ جائزٍ أن يكونَ فيه ما لا حاجةَ بهم إليه ، ولا أن يكونَ

(١) سقط من : ت ٢ .

(٢) ينظر ما تقدم في ٢١٠/١ .

(٣) في م : «أجل» . والأُكْلُ : الرزق ، والحظُّ من الدنيا . ويقال : انقطع أَكْلُهُ : إذا مات . ينظر أساس البلاغة ، واللسان (أ ك ل) .

(٤) في م : « رباب » . وينظر أسد الغابة ٣٠٦/١ ، ٣٠٧ ، والإصابة ٤٣٣/١ .

فيه ما بهم إليه الحاجة ، ثم لا يكون لهم إلى علم تأويله سبيل .
 فإذا^(١) كان ذلك كذلك ، فكل ما فيه لخلقهِ^(٢) إليه الحاجة ، وإن كان في بعضه ما بهم عن بعض معانيه الغنى ، وإن اضطررته الحاجة إليه في معاني كثيرة ، وذلك كقول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام : ١٥٨] . فأعلم النبي ﷺ أمته أن تلك الآية التي أخبر الله جل ثناؤه عباده أنها إذا جاءت لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ذلك ، هي طلوع الشمس من مغربها ، فإن الذي كانت بالعباد إليه الحاجة من علم ذلك هو العلم منهم بوقت نفع التوبة بصفته ، بغير تحديده^(٣) بعد السنين والشهور والأيام ، فقد بين الله ذلك لهم بدلالة الكتاب ، وأوضحه لهم على لسان رسوله ﷺ مفسراً ، والذي لا حاجة بهم إلى علمه منه هو العلم بمقدار المدّة التي بين وقت نزول هذه الآية ، ووقت حدوث تلك الآية ، فإن ذلك مما لا حاجة بهم إلى علمه في دين ولا دنيا ، وذلك هو العلم الذي استأثر الله جل ثناؤه به دون خلقه ، فحجبه عنهم ، وذلك وما أشبهه هو المعنى الذي طلبت اليهود معرفته في مدة محمد ﷺ وأمته من قبل قوله : ﴿ الرَّءِىءُ ﴾ ، و ﴿ التَّمَصُّ ﴾ ، و ﴿ الرَّءِىءُ ﴾ ، و ﴿ التَّمَصُّ ﴾ ، ونحو ذلك من الحروف المقطعة المتشابهات ، التي أخبر الله ، جل ثناؤه ، أنهم لا يُدْرِكُونَ تأويل ذلك من قبله ، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله .

فإذا كان المتشابه هو ما وصفنا ، فكل ما عداه فمُحَكَّمٌ ؛ لأنه لن يخلو من أن

(١) فى م : « فإذا » .

(٢) فى ص : « محلقه » . بغير نقط .

(٣ - ٣) فى م : « بعد بالسنين » .

يكون مُحَكَّمًا ، بأنه بمعنى واحد ، لا تأويل له غير تأويل واحد ، وقد استُغْنِيَ بِسَمَاعِهِ
 عن بيان مُبَيِّنِهِ ، ^(١) «أَوْ يَكُونُ مُحَكَّمًا» ، وإن كان ذا وجوهٍ وتأويلاتٍ وَتَصَرُّفٍ فِي
 معانٍ كثيرة ، بالدلالة ^(٢) على المعنى المراد منه ، إما من بيان الله تعالى ذكره عنه ، أو
 بيان رسوله ﷺ لأُمتِهِ ، ولن يذهب علم ذلك عن علماء الأُمَّة ؛ لما قد بَيَّنَّا .

القول في تأويل قوله : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِنَابِ ﴾ .

قد أتينا على البيان عن تأويل ذلك ، بالدلالة الشاهدة على صحة ما قلنا فيه ،
 ونحن ذاكرُو اختلاف أهل التأويل فيه ، وذلك أنهم اختلفوا في تأويله ؛ فقال
 بعضهم : معنى قوله : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِنَابِ ﴾ : هن الآئ ^(٣) فيهن الفرائض والحدود
 والأحكام . نحو قولنا الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى الْقَرَازِيُّ ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا
 إِسْحَاقُ بْنُ سُؤَيْدٍ ، عن يحيى بن يَعْمَرَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ مُحَكَّمَتٌ هُنَّ أُمَّ
 الْكِنَابِ ﴾ قال يحيى : هن اللاتي فيهن الفرائض والحدود وعماد الدين . وضرب
 لذلك مَثَلًا ، فقال : أُمَّ الْقَرَى مَكَّةَ ، وَأُمَّ خُرَاسَانَ مَرُوءَ ، وَأُمَّ الْمَسَافِرِينَ الَّذِي يَجْعَلُونَ
 إِلَيْهِ أَمْرَهُمْ ، وَيُعْنَى بِهِمْ فِي سَفَرِهِمْ . قال : فذاك أُمَّهُم ^(٤) .

/ حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ هُنَّ أُمَّ ﴾ ١٧٦/٣

(١ - ١) سقط من : ت ٢ .

(٢) في م : « فالدلالة » .

(٣) في م : « اللاتي » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٣/٢ (٣١٧٢) من طريق إسحاق بن سويد ، به ، وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن الضريس .

الْكِتَابِ ﴿١﴾ قال : هنَّ جِماعُ الكتابِ ^(١) .

وقال آخرون : بل يعنى ^(٢) بذلك فواتح السور التي منها يُسْتَخْرَجُ القرآنُ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيد ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سويد ، عن أبي فاختة أنه قال في هذه الآية : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكَمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ قال : أمُّ الكتابِ فواتحُ السورِ ، منها يُسْتَخْرَجُ القرآنُ ﴿ أَلَمْ ﴾ ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ منها اسْتُخْرِجَتْ « البقرة » ، و ﴿ أَلَمْ ﴾ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ منها اسْتُخْرِجَتْ « آل عمران » .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : فأما الذين في قلوبهم ميلٌ عن الحقِّ وانحرافٌ عنه ، يقالُ منه : زاع فلانٌ عن الحقِّ ، فهو يزيغُ عنه زَيْغًا وَزَيْغَانًا وَزَيْغُوعَةً وَزُيُوعًا ، وأزاعه الله ، إذا أماله ، فهو يزيغُه . ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا ﴾ . لا تُمِلِّها عن الحقِّ ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنا ابنُ إسحاق ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ

(١) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٣٦ .

(٢) في م : « معنى » . وفي ت ٢ : « المعنى » .

ابن الزبير: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: مَيْلٌ عن الهدى^(١).

حدَّثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ قال: شَكٌّ^(٢).

حدَّثني المثنى، قال: ثنا أبو [٣٨٤/١] حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله^(٣).

حدَّثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ قال: من أهل الشك^(٤).

حدَّثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: أما الزَيْغُ فالشك^(٥).

حدَّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨٣) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق قوله.

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٨.

(٣) أخرجه عبد بن حميد - كما في تغليق التعليق ١٩٠/٤ - من طريق شبل به.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨١) من طريق عبد الله بن صالح به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٢ إلى ابن المنذر.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٢ إلى المصنف.

مجاهد ، قال : ﴿ زَيْغٌ ﴾ : سَكٌّ . قال ابن جريج : ﴿ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ : المنافقون ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ : ما تشابهت ألفاظه وتَصَرَّفَتْ معانيه بوجوه التأويلات ؛ لِيَحَقِّقُوا بِأَدْعَائِهِمُ الْبَاطِلَ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ فِي ذَلِكَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالزَّيْغِ عَنِ مَحَجَّةِ ^(٢) الْحَقِّ ، تَلْبِيسًا مِنْهُمْ بِذَلِكَ عَلَى مَنْ ضَعُفَتْ مَعْرِفَتُهُ بِوَجْهِ تَأْوِيلِ ذَلِكَ وَتَصَارِيفِ مَعَانِيهِ .

١٧٧/٣ / كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ : فَيَحْمِلُونَ الْمُحْكَمَ عَلَى الْمُتَشَابِهِ ، وَالمُتَشَابِهَ عَلَى الْمُحْكَمِ ، وَيُتَلَبَّسُونَ ، فَلَبَّسَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ أى : ما تحرف منه وتصرّف ؛ ليصدّقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ، ليكون لهم حجة على ما قالوا وشبهة ^(٤) .

(١) تقدم قول مجاهد في الصفحة السابقة ، وقول ابن جريج عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢ إلى المصنف .

(٢) فى ت ٢ : « الحجة » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨٥) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٨٨) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريج ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ قال : البابُ الذي ضَلُّوا منه وهلكوا فيه ابتغاءً تأويله ^(١) .

وقال آخرون في ذلك بما حَدَّثَنِي به موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في قوله : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ : يَتَّبِعُونَ المنسوخَ والناسخَ ، فيقولون : ما بالُ هذه الآيةِ عُمِلَ بها كذا وكذا مكانُ ^(٢) هذه الآيةِ ، فَتَرَكْتَ الأولى وَعُمِلَ بهذه الأخرى ! هَلَّا كان العملُ بهذه الآيةِ قَبْلَ أن تَجِيءَ الأولى التي نُسِخَتْ؟ وما باله يُعَدُّ العذابَ مَنْ عَمِلَ عملاً يُعَدُّ به ^(٣) النارَ ، ^(٤) وفي ^(٤) مكانٍ آخَرَ مَنْ عَمِلَهُ فإنه لم يُوجِبْ له ^(٥) النارَ؟ ^(٦)

واختلف أهلُ التأويلِ في مَنْ عُنِيَ بهذه الآيةِ ؛ فقال بعضهم : عُنِيَ به الوفدُ من نصارىِ نجرانَ الذين قَدِمُوا على رسولِ اللهِ ﷺ فحاجَّوه بما حاجَّوه به وخاصَّموه ، بأن قالوا : ألسَتْ تزعمُ أن عيسى رُوحُ اللهِ وكلمتهُ؟ وتأوَّلوا ^(٧) في ذلك ما يقولون فيه من الكفرِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرِّبيعِ ،

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « مجاز » . وصواب قراءة ما في « ص » هو ما أثبتنا .

(٣) في م : « يُعَدُّ به » .

(٤ - ٤) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « في » .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٥/٢ ، ٥٩٦ ، (٣١٨٦) من طريق عمرو بن حماد .

(٧) في ت : ٢ : « قالوا » .

قال : عمدوا - يعنى الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من نصارى نجران - فخاصموا النبي ﷺ ، فقالوا : ألسنت ترعّم أنه كلمة الله وروح منه ؟ قال : « بلى » . قالوا : فحسبنا . فأنزل الله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ . ثم إن الله جل ثناؤه أنزل : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ [آل عمران : ٥٩] الآية ^(١) .

وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية في أبي ياسر بن أخطب ، وأخيه حنيفة بن أخطب ، والتفر الذين ناظروا رسول الله ﷺ في قدرِ مدة ^(٢) «أكله وأكل أمته» ، وأرادوا علم ذلك من قبل قوله : ﴿ الْمَرَّ ﴾ ، و ﴿ الْمَصَّ ﴾ ، و ﴿ التَّرَّ ﴾ ، و ﴿ الرَّرَّ ﴾ ، فقال الله جل ثناؤه فيهم : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ : يعنى هؤلاء اليهود الذين قلوبهم مائلة عن الهدى والحق ، ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ : يعنى معانى هذه الحروف المقطعة ، المحتملة التصريف فى ^(٣) الوجوه المختلفة ^(٤) التأويلات ؛ ابتغاء الفتنة .

وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل فى أول السورة التى يُذكر فيها البقرة . وقال آخرون : بل عنى الله عز وجل بذلك كل مبتدع فى دينه بدعة مخالفة لما ابتعث به رسوله محمد ﷺ ، بتأويل ^(٥) يتأوله من ^(٦) بعض آي القرآن المحتملة التأويلات ، وإن كان الله قد أحكم بيان ذلك ، إما فى كتابه ، وإما على لسان رسوله .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٨٧) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢ - ٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «أجله وأجل» . وتقدم فى ص ١٩٩ .

(٣) سقط من : ت ٢ .

(٤) فى ت ٢ : «المحتملة» .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «تأويل» .

(٦) فى ت ٢ : «فى» .

/ ذكُرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادة في قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ . وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ قال : إن لم يكونوا الحرورية^(١) والسبائية^(٢) ، فلا أدري من هم ؟ ولعمري لقد كان في أهل بدرٍ والحدِيثية الذين شهدوا مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار ، خبِرَ لمن استخبِر ، وعبرة لمن استعبر ، لمن كان يعقل أو يُبصر . إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثيرٌ بالمدينة والشام والعراق ، وأزواجه [٣٨٥/١] يومئذ أحياء ، والله إن خرج منهم ذكْرٌ ولا أنثى حرورياً قط ، ولا رضوا الذي هم عليه ، ولا مالتوهم فيه ، بل كانوا يُحدِّثون بعيبِ رسولِ الله ﷺ إياهم^(٣) ، ونعتِه الذي نعتهم به ، وكانوا يُغضونهم بقلوبهم ، ويُعادونهم بألسنتهم وتشتدُّ والله عليهم أيديهم إذا لقوهم ، ولعمري ، لو كان أمرُ الخوارج هُدَى لاجتمع ، ولكنه كان ضلالاً ففرق ، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجذت فيه اختلافاً كثيراً ، فقد ألبسوا^(٤) هذا الأمر منذ

(١) الحرورية : هم فرقة الخوارج ، وسُموا بهذا الاسم لأنهم بعد خروجهم على علي رضي الله عنه ورفضهم التحكيم ، نزلوا بموضع قرب الكوفة يقال له : حروراء . ينظر مقالات الإسلاميين ٢٠٧/١ ، ومعجم البلدان ٣٣٦/٢ .

(٢) في م : « السبئية » .

والسبائية : إحدى فرق الشيعة الغالية ، وهي تنسب إلى عبد الله بن سبأ ، فبه الله ، ومن جهالاتهم زعمهم أن علياً لم يمت ، وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فملأ الأرض عدلاً كما ملكت جوراً ، وأن علياً في السحاب ، والرعد صوته ، والبرق سوطه ... إلى غير ذلك من ترهاتهم . ينظر مقالات الإسلاميين ٨٦/١ ، والملل والنحل ٣٦٥/١ وما بعدها .

(٣) في م : « إياه » .

(٤) ألبس الأمر : أداره ، وألبس فلاناً على الأمر : أداره عليه وأراده منه ، ويقال : ألبس أن أخذ عنه شيئاً : أردت . التاج (ل و ص) .

زمانٍ طويلٍ ، فهل أفلحوا فيه يوماً أو أُنْجِحُوا؟ يا سبحانَ الله ! كيف لا يُعْتَبِرُ آخِرُهُ هؤلاء القومِ بأُولِيهِمْ ! لو^(١) كانوا على هُدًى قد أظهره الله وأفلجه^(٢) ونصره ، ولكنهم كانوا على باطلٍ أكذبه الله وأدحضه ، فهم كما رأيتهم ، كلُّما خرج لهم قَرْنٌ أدحضَ الله حُجَّتَهُمْ ، وأكذبَ أَعْدُوْتَهُمْ ، وأهراقَ دماءَهُمْ ، وإن كَتَمُوا كان قَرْنًا في قلوبِهِمْ ، وغَمًّا عليهم ، وإن أظهرُوهُ ، أهراقَ الله دماءَهُمْ ، ذاكُم ، والله ، دينٌ سوءٍ فاجتنبُوهُ ، والله إن اليهودية^(٣) لبِدْعَةٌ ، وإن النصرانية لبِدْعَةٌ ، وإن الحزورية لبِدْعَةٌ ، وإن السبائية^(٤) لبِدْعَةٌ ، ما نزلَ بهنَّ كتابٌ ، ولا سنَّهنَّ نبيٌّ^(٥) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ : طلبَ القومُ التأويلَ فأخطأوا التأويلَ ، وأصابوا الفتنةَ ، فاتبَعوا ما تشابهَ منه ، فهلكوا مِن ذلك ، لَعَمْرِي لقد كان في أصحابِ بدرٍ والحديبية الذين شهدوا بيعة الرضوانِ . وذكرَ نحوَ حديثِ عبدِ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عنه .

حدَّثني محمدُ بنُ خالدِ بنِ خِدَاشٍ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالا : ثنا إسماعيلُ ابنُ عُليَّةَ ، عن أيوبَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ أبي مُليكةَ ، عن عائشةَ قالت : قرأ رسولُ الله ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ . فقال : « فإذا رأيتم الذين يُجادِلون فيه ، فهم الذين عَنَى الله

(١) في ت ٢ : « ولو » .

(٢) في النسخ : « أفلجه » . وأفلجه : أظفره وغلبه وفضله ، وأفلج الله برهانه : قومه وأظهره . التاج (ف ل ج) .

(٣) في م : « اليهود » .

(٤) في س : « الصابئة » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١ / ١١٥ ، ١١٦ .

فاحذرُوهم»^(١) .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا المُعْتَمِرُ بنُ سليمانَ ، قال : سَمِعْتُ أَيُوبَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبي مُلَيْكَةَ ، عن عائِشَةَ ، أنها قالت : قرأ نبيُّ اللَّهِ ﷺ هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ إلى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ . قالت : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فإذا رأيتُم الذين / يُجَادِلُونَ فيه - أو قال : يَتَّجَادِلُونَ فيه - فهم الذين عَنَى اللَّهُ فاحذرُوهم » . قال مَطَرٌ ، عن أَيُوبَ أنه قال : « فلا تُجَالِسُوهم ، فهم الذين عَنَى اللَّهُ فاحذرُوهم »^(٢) .

١٧٩/٣

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الوهابِ ، قال : ثنا أَيُوبُ ، عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ ، عن عائِشَةَ ، عن النبيِّ ﷺ بنحوِ معناه^(٤) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن أَيُوبَ ، عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ ، عن عائِشَةَ ، عن النبيِّ ﷺ نحوه^(٥) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرنا الحارثُ ، عن أَيُوبَ ، عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ ، عن عائِشَةَ زوجِ النبيِّ ﷺ ، قالت : قرأ رسولُ اللَّهِ ﷺ هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ الآية كلها . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا رأيْتُم الذين يَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ منه والذين يُجَادِلُونَ فيه ، فهم الذين عَنَى اللَّهُ ، أولئك الذين قال اللَّهُ ، فلا

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٧) عن محمد بن خدش به . وأخرجه أحمد ٤٨/٦ (الميمية) عن إسماعيل ابن علي به .

(٢) سقط من : ت ٢ .

(٣) أخرجه ابن حبان (٧٦) من طريق المعتمر به .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٧) والآجزي في الشريعة (٧٦٩) ومحمد بن يحيى العبدى - كما في تفسير ابن كثير ٦/٢ - من طريق عبد الوهاب به .

(٥) سقط من : ت ٢ . والأثر في تفسير عبد الرزاق ١/١١٦ . (تفسير الطبري ١٤/٥)

تُجَالِسُوهُمْ»^(١) .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن ابن أبي مُليكة ، قال : سمعتُ القاسمَ بنَ محمدٍ يُحدِّثُ عن عائشةَ ، قالت : تلا النبي ﷺ هذه الآيةَ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ . ثم قرأ إلى آخر الآياتِ ، فقال : « إذا رأيتم الذين يتَّبِعُونَ ما تشابهَ منه ، فأولئك الذين سَمَى اللهُ ، فاخذروهم »^(٢) .

حدَّثنا عليُّ بنُ سهلٍ ، قال : ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عن حمادِ بنِ سلمةَ ، عن عبد الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالت : نزع^(٣) رسولُ اللهِ ﷺ : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ ما تشابهَ منه ﴾ فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « قد حدَّرَكم اللهُ ، فإذا رأيتموهم فاغروهم »^(٤) .

حدَّثنا عليُّ ، قال : ثنا الوليدُ ، عن نافعِ بنِ عمرَ ، عن ابنِ أبي مُليكةَ ، قال : حدَّثتني^(٥) عائشةُ ، قالت : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا رأيتموهم فاخذروهم » . ثم

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام (١ / ٣٦ ب - ٣٧ أ) من طريق الحارث بن نيهان به .

(٢) أخرجه الطيالسي (١٥٣٦) وأحمد ٢٥٦ / ٦ (الميمنية) ، والدارمي ٥٤ / ١ ، ٥٥ ، والبخاري (٤٥٤٧) ، ومسلم (٢٦٦٥) ، وأبو داود (٤٥٩٨) ، والترمذي (٢٩٩٣ ، ٢٩٩٤) ، والطحاوي في المشكل (٢٥١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٥ / ٢ (٣١٨٤) ، وابن حبان (٧٣) من طريق يزيد بن إبراهيم به .

(٣) انتزع بالآية والشعر : تامل . ويقال للرجل إذا استنبط معنى آية : قد انتزع معنى جيذاً . وهو مجاز . التاج (ن ز ع) .

(٤) أخرجه الأجرى في الشريعة (٧٧١) من طريق علي بن سهل به .

وأخرجه الطبراني في الأوسط (٦٣٠٤) من طريق الوليد بن مسلم به .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س : « عن » . وفي ت ٢ : « عن ابن » . والمثبت من شرح المشكل ، وينظر تهذيب الكمال ٢٩ / ٢٨٧ .

(٦ - ٦) سقط من النسخ ، والمثبت من شرح المشكل .

نَزَعَ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ ، ولا يَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ ^(١) .

حدَّثني أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ وهبٍ ، قال : أخبرنا عمِّي ، قال : أخبرني شبيبُ بنُ سعيدٍ ، عن رُوحيِّ بنِ القاسمِ ، عن ابنِ أبي مُليكةَ ، عن عائشةَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عن هذه الآية : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ . فقال ^(٢) : « فإذا رأيتمُ الذين يُجادِلُون فيهِ ، فهم الذين عَنَى اللهُ ، فاحذَرُوهم » ^(٣) .

حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الحَكَمِ ، قال : ثنا خالدُ بنُ ^(٤) نزارٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ أبي مُليكةَ ، عن عائشةَ في هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ الآية يَتَّبِعُهَا يَتْلُوها ، ثم يقولُ : « فإذا رأيتمُ الذين يُجادِلُون فيهِ فاحذَرُوهم ، فهم الذين [٣٨٥/١] عَنَى اللهُ » .

١٨٠/٣ / حدَّثنا ابنُ ^(٤) وكيعٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، عن حمادِ بنِ سلمةَ ، عن ابنِ أبي مُليكةَ ، عن القاسمِ ، عن عائشةَ ، عن النبيِّ ﷺ في هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ إلى آخرِ الآية . قال : « هم الذين سَمَّاهُم اللهُ ، فإذا رأيتموهم فاحذَرُوهم » ^(٥) .

قال أبو جعفرٍ : والذي يدلُّ عليه ظاهرُ هذه الآية أنها نزلت في الذين

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٥١٥) من طريق الوليد بن مسلم به .

(٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٦/٢ .

(٤) سقط من : ت ٢ .

(٥) أخرجه الطيالسي (١٥٣٥) ، وأحمد ١٢٤/٦ ، ١٣٢ (الميمنية) ، والدارمي ٥٥/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨٤) ، والآجزي في الشريعة (٧٧٠) ، وأبو نعيم في الحلية ١٨٥/٢ من طرق عن حماد به .

جادلوا رسولَ الله ﷺ بمتشابه ما أنزلَ إليه من كتابِ الله ؛ إما في أمرِ عيسى ، وإما في مُدَّةٍ «أُكَلِّهِ وَأُكَلِّهِ» (١) أُمَّتِهِ ، وهو بأن يكونَ في الذين جادلوا رسولَ الله ﷺ بمتشابهه (٢) في مدته ومدّة أُمَّتِهِ أَشْبَهُهُ ؛ لأنّ قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . دالٌّ على أن ذلك إخبارٌ عن المدّة التي أرادوا عِلْمَهَا مِنْ قِبَلِ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، فأما أمرُ عيسى وأَسْبَابِهِ (٣) ، فقد أَعْلَمَ اللَّهُ ذلكَ نبيّه محمدًا ﷺ وأُمَّتَهُ ، وَبَيَّنَّهُ لَهُمْ ، فمعلومٌ أنه لم يَغْنِ (٤) إلا ما كان (٥) خفيًا عن الآحاد .

القول في تأويل قوله : ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : ابتغاء الشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ قال : إرادة الشرك (٦) .

حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ : يعني الشرك (٧) .

(١ - ١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «أجله وأجل» .

(٢) في ت ٢ . «في متشابهه» .

(٣) في ت ٢ : «أشباهه» .

(٤) في ص ، ت ٢ : «يعره» .

(٥) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «عليه» . ولعل صوابها : «علمه» .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٩١) من طريق عمرو بن حماد به .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٦/٢ عقب الأثر (٣١٩١) من طريق ابن أبي جعفر به .

وقال آخرون : معنى ذلك : ابتغاء الشُّبُهَاتِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ اِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ قَالَ : الشُّبُهَاتِ ، بِهَا أَهْلِكُوا ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ اِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ : الشُّبُهَاتِ . قَالَ : هَلَكُوا بِهِ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ اِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ قَالَ : الشُّبُهَاتِ . قَالَ : وَالشُّبُهَاتُ مَا أَهْلِكُوا بِهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الرَّبِيعِ : ﴿ اِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ أَى : اللَّبْسِ ^(٣) .

وَأَوَّلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَعْنَاهُ : إِرَادَةُ الشُّبُهَاتِ وَاللَّبْسِ .

فمعنى الكلام إذن : فأما الذين فى قلوبهم مَيْلٌ عن الحقِّ وَحَيْفٌ عنه ، فَيَتَّبِعُونَ مِنْ آيِ الْكِتَابِ مَا تَشَابَهَتْ / أَلْفَاطُهُ ، وَاحْتُمِلَ صَرْفُهُ فِي وَجْهِهِ ١٨١/٣ التَّأْوِيلَاتِ ، بِاحْتِمَالِهِ الْمَعَانِي الْمَخْتَلِفَةَ ؛ إِرَادَةَ اللَّبْسِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ ، احْتِجَاجًا بِهِ عَلَى بَاطِلِهِ الَّذِي مَالَ إِلَيْهِ قَلْبُهُ ، دُونَ الْحَقِّ الَّذِي أَبَانَهُ اللَّهُ ، فَأَوْضَحَهُ

(١) فى ت ٢ : «ابن» .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٩٠) .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٧/٢ (٣١٩٢) من طريق سلمة به ، عن ابن إسحاق قوله .

بالمُحْكَمَاتِ مِنْ آيِ كِتَابِهِ .

وهذه الآية وإن كانت نزلت في من ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشوك ، فإنه معني بها كل مُبتدِع في دين الله بدعة ، فمال قلبه إليها ، تأويلاً منه لبعض متشابه آي القرآن ، ثم حاجج به وجادل به أهل الحق ، وعدل عن الواضح من أدلة آيه المُحْكَمَاتِ ؛ إرادة منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين ، وطلباً لعل تأويل ما تشابه عليه من ذلك ، كائناً من كان ، وأى أصناف البدعة^(١) كان ؛ من أهل النصرانية كان ، أو اليهودية ، أو المجوسية ، أو كان سبئياً ، أو خزورياً ، أو قدرياً ، أو جهمياً ، كالذي قال ﷺ : « فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِهِ ، فَهَمُّ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ » .

وكما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، وذكر عنده الخوارج وما يلقون عند القرآن^(٢) ، فقال : يُؤْمِنُونَ بِمُحْكَمِهِ ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ . وقرأ ابن عباس : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ الآية^(٣) .

وإنما قلنا القول الذي ذكرنا أنه أولى التأويلين بقوله : ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ ؛ لأن الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا أهل شوك ، وإنما أرادوا بطلب تأويل ما طلبوا تأويله - اللبس على المسلمين ، والاحتجاج به عليهم ، ليصدوهم عما هم عليه من الحق ، فلا معني لأن يُقال : فعلوا ذلك إرادة الشوك . وهم قد

(١) البدعة ، فَعَلَّةٌ : المبتدعة .

(٢) في النسخ : « الفرار » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٣١٣/١٥ ، والآجری في الشريعة (٤٥) من طريق سفيان به .

كانوا مشركين .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَأَبِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في معنى « التأويل » الذي عنى الله جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَأَبِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : الأجل الذي أرادت اليهود أن تعرفه من انقضاء مدة أمر^(١) محمد ﷺ وأمر أمته من قبيل الحروف المقطعة من حساب الجمل كـ ﴿ الم ﴾ ، و ﴿ المص ﴾ ، و ﴿ الر ﴾ ، و ﴿ المر ﴾ ، وما أشبه ذلك من الآجال .

ذكر من قال ذلك

حدثني المشي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : أما قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ يعني : تأويله يوم القيامة ، إلا الله^(٢) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : عواقب القرآن . وقالوا : إنما أرادوا أن يعلموا متى ينجى ناسخ الأحكام التي كان الله جل ثناؤه شرعها لأهل الإسلام قبل مجيئه ، فنسخ ما قد كان شرعه قبل ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَأَبِغَاءَ

(١) سقط من : ت ٢ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٧/٢ (٣١٩٧) من طريق عبد الله بن صالح به .

تَأْوِيلُهُ ﴿١﴾ [٣٨٦/١] أَرَادُوا ^(١) أَنْ يَعْلَمُوا تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ عَوَاقِبُهُ ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . وَتَأْوِيلُهُ : عَوَاقِبُهُ ؛ ^(٢) «مَتَى يَأْتِي النَّاسُ مِنْهُ فَيَنْسَخَ الْمَنْسُوخَ» ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ : وَابْتِغَاءَ ^(٤) تَأْوِيلِ مَا تَشَابَهَ ^(٥) مِنْ آيِ الْقُرْآنِ يَتَأَوَّلُونَهُ ، إِذْ كَانَ ذَا وَجُوهِ وَتَصَارِيفَ فِي التَّأْوِيلَاتِ ، عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الزَّرْفِ ، وَمَا رَكِبُوهُ مِنَ الضَّلَالَةِ .

ذكر من قال ذلك

١٨٢/٣

حَدَّثَنَا أَبُو حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ : وَذَلِكَ عَلَى مَا رَكِبُوا مِنَ الضَّلَالَةِ فِي قَوْلِهِمْ ^(٥) : « خَلَقْنَا وَقَضَيْنَا » ^(٦) .

وَالْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، مِنْ أَنْ ابْتِغَاءَ التَّأْوِيلِ الَّذِي طَلَبَهُ الْقَوْمُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ هُوَ مَعْرِفَةُ انْقِضَاءِ الْمُدَّةِ ، وَوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ ، وَالَّذِي ذَكَرْنَا عَنْ السَّدِيِّ مِنْ أَنَّهُمْ طَلَبُوا وَأَرَادُوا مَعْرِفَةَ وَقْتِ هَوَاجِئِ قَبْلِ مَجِيئِهِ ، أَوْلَى بِالصَّوَابِ ، وَإِنْ كَانَ السَّدِيُّ قَدْ أَغْفَلَ

(١) فِي ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س : « وَأَنْ أَرَادُوا » .

(٢ - ٣) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س : « حَتَّى يَنْسَخَ » .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٩٧/٢ ، ٥٩٨ ، ٣١٩٣ ، ٣٢٠٠ مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ حَمَادٍ بِهِ .

(٤ - ٥) فِي ت ٢ : « تَأْوِيلَهُ » .

(٥) فِي م : « قَوْلُهُ » .

(٦) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٥٧٧/١ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٩٧/٢ (٣١٩٦) مِنْ طَرِيقِ سَلْمَةَ ، عَنْ ابْنِ

إِسْحَاقَ قَوْلَهُ بِمَعْنَاهُ .

معنى ذلك من وجه صرفه إلى حضره على أن معناه أن القوم طلبوا معرفة وقت مجيء الناسخ لما قد أحكم قبل ذلك .

وإنما قلنا : إن طلب القوم معرفة الوقت الذي هو جاء قبل مجيئه ، المحجوب علمه عنهم وعن غيرهم بمتشابه آي القرآن ، أو لى بتأويل قوله : ﴿ وَأَبْتَعَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ ﴾ ؛ لما قد دللنا عليه قبل من إخبار الله جل ثناؤه أن ذلك التأويل لا يعلمه إلا الله ، ولا شك أن معنى قوله : وَقَضَيْنَا وَفَعَلْنَا . قد علم تأويله كثير من جهلة أهل الشرك ، فضلاً عن أهل الإيمان وأهل الرسوخ في العلم منهم .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بذلك : وما يعلم وقت قيام الساعة ، وانقضاء مدة أكل محمد وأُمَّته ، وما هو كائن ، إلا الله ، دون من سواه من البشر ، الذين أمّلوا إدراك علم ذلك من قبيل الحساب والتنجيم والكهانة ، وأما الراسخون في العلم فيقولون : آمنا به كل من عند ربنا . لا يعلمون ذلك ، ولكن فضل عليهم في ذلك على^(١) غيرهم ، العلم^(٢) بأن الله هو العالم بذلك ، دون من سواه من خلقه .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، وهل « الراسخون » معطوفون^(٣) على اسم « الله » ، بمعنى إيجاب العلم لهم بتأويل المتشابه ، أم هم مُستأنف ذكرهم بمعنى الخبر عنهم أنهم يقولون : آمنا بالمتشابه ، وصدقنا أن علم ذلك لا يعلمه إلا الله ؟ فقال

(١) فى ت ٢ : « إلى » .

(٢) سقط من : ت ٢ .

(٣) فى م : « معطوف » .

بعضهم : معنى ذلك : وما يعلم تأويل ذلك إلا الله وحده منفردًا بعلمه ، وأما الراسخون في العلم فإنهم اثبتوا الحبر عنهم بأنهم يقولون : آمننا بالمتشابه والمحكم ، وأن جميع ذلك من عند الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا خالد بن نزار ، عن نافع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ﴾ . قالت : كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ، ولم يعلموا تأويله ^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، قال : كان ابن عباس يقول ^(٢) : (وما يعلم تأويله إلا الله ^(٣) ويقول الراسخون في العلم ^(٣) آمنًا به) ^(٤) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي الزناد ، قال : قال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٨) من طريق نافع به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) كذا في النسخ . وفي مصادر التخريج : « يقرؤها » . ويقول هنا بمعنى : يقرأ .

(٣ - ٣) في النسخ : « يقول الراسخون » . وأثبتنا نص قراءة ابن عباس كما في مصادر التخريج ، وينظر تفسير البحر المحيط ٢/٣٨٤ .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/١١٦ ، ومن طريقه ابن أبي داود في المصاحف ص ٧٥ ، وأخرجه ابن الأنباري في الأضداد (ص ٤٢٦) من طريق الحسن بن يحيى به ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٢٨٩ ، من طريق معمر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

هشامُ بنُ عُزْوَةَ : / كان أبى يقولُ فى هذه الآيةِ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : إنَّ الراسخين^(١) فى العلمِ لا يَعْلَمُونَ تأويله ، ولكنهم يقولون : ﴿ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا عُبيدُ اللَّهِ ، عن أبى نَهْيكِ الأَسَدِيِّ قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ . فيقول^(٣) : إنكم تَصِلُونَ هذه الآيةَ ، وإنها مقطوعةٌ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ - ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ ، فانتهى علمُهم إلى قولهم الذى قالوا^(٤) .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا ابنُ دُكَيْنٍ ، قال : ثنا عمرو بنُ عثمانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَوْهَبٍ^(٥) ، قال : سَمِعْتُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ يقولُ : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : انتهى عِلْمُ الراسخين فى العلمِ بتأويلِ القرآنِ إلى أن قالوا : ﴿ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾^(٦) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا أشهبُ ، عن مالكٍ فى قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ قال : ثم ابتداءً فقال : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ . وليس يَعْلَمُونَ تأويله^(٧) .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٧) عن يونس به .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢ : « فيقولون » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٦) من طريق يحيى بن واضح به .

(٥) فى ت ١ ، ت ٢ : « وهب » . وينظر تهذيب الكمال ١٥٠/٢٢ .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢ ، ٧ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٢ إلى المصنف .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما يَعْلَمُ تأويلَ ذلك إلا اللهُ والراسخون في العلم ، وهم - مع عِلْمِهِم بذلك ورسوخِهِم في العلم - يقولون : ﴿ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : أَنَا مَنْ يَتَعَلَّمُ تَأْوِيلَهُ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : ^(٢) يَتَعَلَّمُونَ تَأْوِيلَهُ ، وَ ^(٣) يَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : يَتَعَلَّمُونَ تَأْوِيلَهُ ، وَيَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ ^(٤) .

حَدَّثَنِي عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ : [٣٨٦/١] ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : يَتَعَلَّمُونَ تَأْوِيلَهُ ، وَيَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ﴾ ^(٦) «الَّذِي أَرَادَ ، مَا أَرَادَ» ^(١) ! ﴿ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾

(١) أخرجه ابن الأنباري في الأضداد ص ٤٢٤ من طريق أبي عاصم به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧/٢ إلى ابن المنذر .

(٢ - ٣) سقط من : ت ٢ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ ، وأخرجه ابن الأنباري في الأضداد ص ٤٢٤ من طريق أبي عاصم به .

(٤) أخرجه عبد بن حميد في تفسيره - كما في التعليق ١٩٠/٤ - من طريق شبيل به .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧/٢ إلى المصنف .

(٦ - ٦) في ت ٢ : «الذي أراد» . وفي سيرة ابن هشام : «الذي به أرادوا ما أرادوا» . والمثبت موافق لما في

تفسير ابن كثير .

يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ ﴿١﴾ . ثم رَدُّوا تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ ^(٢) عَلَى مَا عَرَفُوا مِنْ تَأْوِيلِ الْمُحْكَمَةِ الَّتِي لَا تَأْوِيلَ لِأَحَدٍ فِيهَا إِلَّا تَأْوِيلٌ وَاحِدٌ ، فَاتَّسَقَ بِقَوْلِهِمُ الْكِتَابُ ، وَصَدَّقَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، فَتَقَدَّتْ بِهِ الْحُجَّةُ ، وَظَهَرَ بِهِ الْعَدْرُ ، وَزَاحَ ^(٣) بِهِ الْبَاطِلُ ، وَدُمِغَ بِهِ الْكُفْرُ ^(٤) .

فمن قال القولَ الأولَ في ذلك ، وقال : إنَّ الراسخين لا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ ذلك ،

وإنما أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِإِيْمَانِهِمْ / وَتَصَدِّقِهِمْ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يَزْفَعُ « الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ » بِالْإِبْتِدَاءِ فِي قَوْلِ ^(٥) الْبَصْرِيِّينَ ، وَيَجْعَلُ خَبْرَهُ ﴿ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ ﴾ . وَأَمَّا فِي قَوْلِ بَعْضِ الْكُوفِيِّينَ فَبِالْعَائِدِ مِنْ ذِكْرِهِمْ فِي : ﴿ يَقُولُونَ ﴾ . وَفِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ بِجُمْلَةِ الْخَبْرِ عَنْهُمْ وَهِيَ ﴿ يَقُولُونَ ﴾ . وَمَنْ قَالَ الْقَوْلَ الثَّانِي ، وَزَعَمَ أَنَّ الراسخين في العلمِ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ ، عَطَفَ بـ « الرَّاسِخِينَ » عَلَى اسْمِ « اللَّهِ » ، فَفَرَعَهُمْ ^(٦) بِالْعَطْفِ عَلَيْهِ .

والصوابُ عندنا في ذلك أنهم مرفوعون بجمله خبرهم بعدهم ، وهو :

﴿ يَقُولُونَ ﴾ ؛ لما قد بيَّنَّا قَبْلَ مِنْ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَهُوَ فِيمَا بَلَّغْنِي مَعَ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ أُتِي : (وَيَقُولُ ^(٧) الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) ^(٨) . كما ذَكَرْنَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرُؤُهُ . وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ : (إِنَّ

(١) بعده في سيرة ابن هشام : « فكيف يختلف وهو قول واحد من رب واحد » .

(٢) في م : « المتشابهة » .

(٣) زاح الشيء : بَعُدَ وَذَهَبَ ، كَانَزَاحَ بِنَفْسِهِ ، تَقُولُ : أَزْحَحْتُ عِلْتَهُ فزاحت . التاج (زى ح) .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٨/٢ عن ابن إسحاق به .

(٥) في ت ٢ : « قولي » .

(٦) في ت ٢ : « ففرعهم » .

(٧) في ت ٢ : « يقولون » .

(٨) ينظر المحرر الوجيز ٣٤٢/٢ ، وتفسير البحر المحيط ٣٨٤/٢ .

تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ^(١) .

وأما معنى التأويل في كلام العرب ، فإنه التفسير والمزجج والمصير ، وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعمشى ^(٢) :

على أنها كانت تأوّل حُبّها تأوّل ^(٣) رِبعِي السَّقَابِ ^(٤) فأصْحَبَا
وأصله : من آل الشيء إلى كذا ، إذا صار إليه ورجع ، يُتَوَلُّ أَوْلًا ، وأولُّه أنا ،
صيرته إليه .

وقد قيل : إنَّ قوله : ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] أى : جزاءً ، وذلك أن
الجزاء هو المعنى ^(٥) الذى آل إليه أمر القوم ، وصار إليه .

ويعنى بقوله : تأوّل حُبّها : تفسير حُبّها ومرجعهُ . وإنما يُريدُ بذلك أنَّ
حُبّها كان صغيرًا فى قلبه ، فال من الصَّعْرِ إلى العِظَمِ ، فلم يَزَلْ يَنْبُتُ حتى
أَصْحَبَ ^(٦) فصار قديمًا ، كالسَّقْبِ الصغيرِ الذى لم يَزَلْ يَنْبُتُ حتى أَصْحَبَ
فصار كبيرًا مثل أمه .

وقد يُنشدُ هذا البيتُ ^(٧) :

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٣٤٢/٢ ، وأبو حيان فى البحر المحيط ٣٨٤/٢ ، وفى المصاحف لابن أبى داود ص ٥٩ : « وإن حقيقة تأويله ... » .

(٢) ديوانه ص ١١٣ .

(٣) فى م : « توالى » .

(٤) فى ت ٢ : « السقات » . والسقَاب : جمع السَّقْبِ ، وهو ولد الناقة الذكر ساعة يولد ، ولا يقال للأنتى : سقبة . ينظر التاج (س ق ب) .

(٥) سقط من : م ، س .

(٦) أصحَب : دَلَّ وانقاد . التاج (ص ح ب) .

(٧) رواية اللسان (ر ب ع ، و ل ي) :

ولكنها كانت نوى أجنبيّة
توالى رِبعِي السَّقَابِ فأصْحَبَا =

على أنّها كانت تَوَابِعُ حُبِّهَا تَوَالِي رِبْعِي السَّقَابِ فَأَصْحَبَا
الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ .

يعنى بالرّاسخين فى العلم العلماء الذين قد أتقنوا علمهم ، ووعّوه فحفظوه
حفظًا لا يندخلهم فى معرفتهم وعلمهم بما علموه شكًّا ولا لبسًا . وأصل ذلك من
رُسُوخِ الشىء فى الشىء ، وهو ثبوته وولوجه فيه ، يقال منه : رسخ الإيمان فى قلب
فلانٍ ، فهو يَرَسُخُ رَسْخًا ورُسُوخًا .

وقد رُوِيَ فى نعتهم خبرٌ عن النّبىِّ ﷺ ، وهو ما حدّثنا موسى بن سَهْلٍ
الرّملىّ ، قال : ثنا محمد بن عبد الله ، قال : ثنا فياض بن محمد الرّقنىّ ، قال : ثنا عبد
الله بن يزيد بن آدم ، عن أبى الدرداء / وأبى أمامة ، قال : سئل رسول الله ﷺ : من
الراسخ فى العلم ؟ قال : « مَنْ بَرَّتْ يَمِينُهُ ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ ، وَاسْتَقَامَ بِهِ قَلْبُهُ ، وَعَفَّ
بَطْنُهُ ، فَذَلِكَ الرَّاسِخُ فِي الْعِلْمِ » ^(١) .

حدّثنى المثنى وأحمد بن الحسن الترمذى ، قال : ثنا نعيم بن حماد ،
قال ^(٢) : ثنا فياض الرّقنىّ ، قال : ثنا عبد الله بن يزيد الأودىّ - قال : وكان
أدرك أصحاب رسول الله ﷺ - قال : حدّثنا أنس بن مالك وأبو أمامة وأبو

= قال الأزهرى : هكذا سمعت العرب تنشده ، وفسروا لى توالى السقاب أنه من الموالاة ، وهو تمييز شىء
من شىء . يقال : والينا الفصلان عن أمهاتها فتوالت ، أى : فصلناها عنها عند تمام الحول ويشد الموالاة
ويكثر حينها فى أثر أمهاتها ويتخذ لها خندق تحبس فيه ، وتسرح الأمهات فى وجه من مراتعها ، فإذا
تباعدت عن أولادها سرحت الأولاد فى جهة غير جهة الأمهات ، فترعى وحدها فتستمر على ذلك ،
وتُصحب بعد أيام ؛ أخبر الأعشى أن نوى صاحبه اشتدت عليه فحنّ إليها حين ربعى السقاب إذا وولى
عن أمه . تهذيب اللغة ٢/ ٣٧٧ .

(١) أخرجه الطبرانى (٧٦٥٨) من طريق عبد الله بن يزيد به ، بزيادة أنس وواثلة .

(٢) فى ت ٢ : « قال » .

الدُّرْدَاءِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، فَقَالَ: «مَنْ بَرَّثَ يَمِينَهُ، وَصَدَّقَ لِسَانَهُ، وَاسْتَقَامَ بِهِ قَلْبُهُ، وَعَفَّ بَطْنَهُ وَفَرَّجَهُ، فَذَلِكَ الرَّاسِخُ فِي الْعِلْمِ»^(١).

وقد قال جماعة من أهل التأويل: إنما سُمِّيَ اللَّهُ عز وجل هؤلاء القومَ الراسخين في العلم، بقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾.

ذَكَرْنَا مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: ثنا أَبِي، عَنْ سَفِيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ قال: الراسخون الذين يقولون: آمنا به كلٌّ من عند ربنا^(١).

حدَّثَنِي مُوسَى، قَالَ: ثنا عَمْرُو، قَالَ: ثنا أُسْبَاطُ، عَنْ السُّدِّيِّ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: هم المؤمنون، فإنهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ بناسخه ومنسوخه ﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾^(٢).

حدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثنا حَجَّاجٌ، قَالَ: قال ابنُ جُرَيْجٍ: قال ابنُ عَبَّاسٍ: قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: وَعِلْمُهُمْ قَوْلُهُمْ. قال ابنُ جُرَيْجٍ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ وهم

(١) أخرجه ابن عساكر ٣٢٦/٣٩ - ٣٢٧ (طبعة مجمع اللغة بدمشق) من طريق نعيم به. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٥) من طريق نعيم به عن أبي الدرداء وحده. وأخرجه ابن عساكر ٩١٧/١٥ (مخطوط) من طريق عبد الله بن يزيد الأودي، عن أنس وحده.

(٢) ينظر تفسير البغوي ١١/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٠/٢ (٣٢١٢)، وعقب الأثر (٣٢١٤) من طريق عمرو به.

الذين يقولون : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ ويقولون : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ الآية .

وأما تأويل قوله : ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ . فإنه يعنى أن الراسخين فى العلم يقولون : صدقنا بما تشابهة من آي الكتاب ، وأنه حق وإن لم نعلم تأويله .

وقد حدثنى أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ قال : المحكم والمتشابه .

القول فى تأويل قوله : ﴿ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ : كل المحكم من الكتاب والمتشابه منه من عند ربنا ، وهو تنزيله ووحىه إلى نبيه محمد [٣٨٧/١] ﷺ .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ ^(١) قال : يعنى ما نُسِخَ منه وما لم يُنسخ ^(٢) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ : والراسخون فى العلم قالوا : ﴿ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ ^(١) آمنوا بمتشابهه ، وعملوا بمحكمه ^(٢) .

(١ - ١) سقط من : ت ٢ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٠/٢ (٣٢١٤) من طريق وكيع به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٠/٢ (٣٢١٥) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وفيه زيادة .

/حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ يقولون : المحكَّم والمتشابه من عند الله ^(١) .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ﴾ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا ﴿ : نُؤْمِنُ بِالْمَحْكَمِ وَنَدِينُ بِهِ ، وَنُؤْمِنُ بِالْمُتَشَابِهِ وَلَا نَدِينُ بِهِ ، وَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كُلِّهِ ^(٢) .

حدَّثنا يحيى بن أبي طالب ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا جويري ، عن الضحاك في قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ : يَعْمَلُونَ ^(٣) به ، يقولون : نَعْمَلُ بِالْمَحْكَمِ وَنُؤْمِنُ بِهِ ، وَنُؤْمِنُ بِالْمُتَشَابِهِ وَلَا نَعْمَلُ بِهِ ، وَكُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا ^(٤) .

واختلف أهل العربية في حكم « كل » إذا أضمر فيها ؛ فقال بعض نحويي البصريين : إنما ^(٥) جاز حذف المراد الذي كان معها ، الذي « الكل » إليه مضاف في هذا الموضع ؛ لأنها اسم ، كما قال : ﴿ إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ﴾ [غافر : ٤٨] بمعنى : إِنَّا كُلُّنَا فِيهَا . قال : ولا يكون « كل » مُضْمَرًا ^(٦) فيها وهي صفة ، لا يقال : مَرَزَتْ بِالْقَوْمِ كُلًّا . وإنما يكون فيها مُضْمَرًا ^(٦) إذا جعلتها اسمًا ، لو كان : إِنَّا كُلًّا فِيهَا ، على الصفة ، لم يَجُزْ ؛ لأنَّ الإضمار فيها ^(٧) ضعيف ، لا يَتِمَّ كُنْ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

وكان بعض نحويي الكوفيين يَرَى الإضمار فيها وهي صفة أو اسم سواء ؛ لأنه غير جائز أن يُحذف ما بعدها عنده إلا وهي كافية بنفسها عما كانت تُضاف إليه من

(١) في م : « ربنا » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠١/٢ (٣٢١٧) عن محمد بن سعد به .

(٣) في ت ١ ، ت ٢ ، س : « يعلمون » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٠/٢ (٣٢١٦) من طريق جويري به .

(٥) في م : « إذا » .

(٦ - ٦) سقط من : ت ٢ .

(٧) في ت ٢ : « فيه » .

المُضْمَرِ ، وغيرِ جائزٍ أن تكونَ كافيّةً منه في حالٍ ، ولا تكونَ كافيّةً في أُخْرَى .
وقال : سبيلُ « الكلِّ » و « البعضِ » في الدلالةِ على ما بعدهما بأنفسهما وكفائتهما
منه بمعنى واحدٍ في كلِّ حالٍ ، صفةً كانت أو اسمًا .

وهذا القولُ الثاني أَوْلَى بالقياسِ ؛ لأنها إذا كانت كافيّةً بنفسِها مما حُذِفَ منها
في حالٍ لدلالتها عليه ، فالحكمُ فيها أنها كلّمًا وُجِدَتْ دالّةٌ على ما بعدها ، فهي
كافيّةٌ منه .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٧) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وما يَذَّكَّرُ وَيَتَّعِظُ وَيَنْزِجُرُ عن أن يقولَ في متشابهِ آيِ
كتابِ اللَّهِ ما لا علمَ له به ، إلا أولو العقولِ والنّهَى .

وقد حدّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ
ابنِ الزبيرِ : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ يقولُ : وما يَذَّكَّرُ في مثلِ هذا ، يعنى : في
ردِّ تأويلِ المتشابهِ إلى ما قد عُرفَ من تأويلِ المُحكّمِ ، حتى يتسقا على معنى واحدٍ ، إلا
أولو الألبابِ ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨) .

يعنى بذلك جل ثناؤه أن الرّاسخين في العلمِ يقولون : آمنا بما تشابهَ من آيِ
كتابِ اللَّهِ ، وإنه هو ^(٢) والمُحكّمُ من / آيِهِ من تنزيلِ ربّنا ووحيهِ . ويقولون أيضًا : ١٨٧/٣

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠١/٢ (٣٢١٩) من طريق سلمة ، عن ابن
إسحاق قوله .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ يعني أنهم يقولون - رغبة منهم إلى ربهم في أن يَصْرِفَ عنهم ما ابْتُلِيَ به الذين زَاغَتْ قلوبهم من أتباعِ متشابهيه آي القرآن ؛ ابتغاءِ الفتنة وابتغاءِ تأويله الذي لا يعلمه غيرُ الله - : يا ربنا ، لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زَاغَتْ قلوبهم عن الحقِّ ، فَصَدُّوا عن سبيلك ؛ ﴿ لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا ﴾ : لا تُملِّها فتَصْرِفِها عن هُداك ، ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ له ، فوَقَفْتَنَا للإيمانِ بِمُحْكَمِ كِتَابِكَ ومتشابهيه ، ﴿ وَهَبْ لَنَا ﴾ يا رَبَّنَا ، ﴿ مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ يعني : من عندك رحمة . يعني بذلك : هَبْ لَنَا من عندك توفيقاً وثباتاً للذي نحن عليه من الإقرارِ بِمُحْكَمِ كِتَابِكَ ومتشابهيه ، ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابٌ ﴾ يعني : إِنَّكَ أَنْتَ الْمُعْطَى عِبَادَكَ التوفيقَ والسدادَ للثباتِ على دينك ، وتصديقي كِتَابِكَ ورسلي .

كما حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ . أى : لا تُملِّ قلوبنا وإن ملنا بأحداثنا^(١) ، ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾^(٢) .

وفى مدحِ اللهِ جل ثناؤه هؤلاء القومَ بما مدحهم به - من رغبتهُم إليه فى ألا يُرِغَ قلوبهم ، وأن يُعْطِيَهُم رَحْمَةً منه ؛ معونةً لهم للثباتِ على ما هم عليه من حسنِ البصيرةِ بالحقِّ الذى^(٣) هم عليه مُقيمون - ما أبان عن خطأ قولِ الجهلةِ من القَدَرِيَّةِ : إِنَّ إِزَاغَةَ اللهِ لِقَلْبٍ مَنْ أَرَاغَ قَلْبَهُ مِنْ عِبَادِهِ عَنْ طَاعَتِهِ ، وإمالتَه^(٤) له عنها ، جَوْرٌ ؛ لأنَّ

(١) فى م : « بأجسادنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠١/٢ (٣٢٢١) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٣) فى ت ٢ : « الذين » .

(٤) فى ت ١ : « لا بامنه » ، وفى ت ٢ : « لا نامنه » ، وفى س : « بامنه » ، وكذا فى ص ولكن غير منقوطة .

ذلك لو كان كما قالوا لكان الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ بالذمّ أوّلَى منهم بالمدح؛ لأن القول لو كان كما قالوا، لكان القوم إنما سألوا ربهم بمسألتهم^(١) إِيَّاهُ الْأَلَّا يُزِغَ قُلُوبَهُمْ، أَلَّا يَظْلِمَهُمْ وَلَا يَجُورَ عَلَيْهِمْ، وذلك من السائل^(٢) جهلٌ؛ لأن الله جل ثناؤه لا يظلم عباده، ولا يجور عليهم، وقد أعلم عباده ذلك، ونفاه عن نفسه بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. ولا وجهه لمسألتيه أن يكون بالصفة التي قد أخبرهم أنه بها. وفي فساد ما قالوا من ذلك الدليل الواضح على أن عدلاً من الله عز وجل إزاعة من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته، فلذلك استحق المدح من رغب إليه في أن لا يُزِغَهُ، [٣٨٧/١] لتوجيهه^(٣) الرغبة إلى أهلها، ووضع مسألته موضعها، مع تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ برغبته إلى ربه في ذلك، مع محله منه وكرامته عليه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة، أن رسول الله ﷺ قال: «يا مُقَلِّبِ القلوبِ ثَبِّثْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ». ثم قرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إلى آخر الآية^(٤).

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أسماء، عن رسول الله ﷺ بنحوه.

حدثنا المثني، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا عبد الحميد بن بهرام

(١) في م، ت ٢، س: «مسألتهم».

(٢) في ص: «المسائل».

(٣) في ص، ت ١، ت ٢، س: «لتوجيهه».

(٤) أخرجه أحمد ٦/٢٩٤ (الميمنية)، وابن أبي حاتم ٢/٦٠١ - ٦٠٢ (٣٢٢٢) من طريق وكيع

الفزاري، قال : ثنا شهر بن حوشب، قال : سمعتُ أم سلمةَ تحدّثُ أن رسولَ الله ﷺ كان يُكثِرُ في دعائه أن يقولَ : « اللهم مُقَلِّبِ القلوبِ ثبِّتْ قلبي على دينك » . قالت : قلتُ : يا رسولَ الله ، وإنَّ القلبَ لَيُقَلِّبُ ؟ قال : « نعم ، ما خلقَ الله من بشرٍ من بنى آدمَ إلَّا إنَّ^(١) قلبه بين إضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ ، / فَإِنْ شَاءَ أَقَامَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَرَاغَهُ ، فَسَأَلَ اللَّهُ رَبَّنَا أَلَا يُزِيغُ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً ، إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ » . قالت : قلتُ : يا رسولَ الله ، أَلَا تُعَلِّمُنِي دَعْوَةَ أَدْعُو بِهَا لِنَفْسِي ؟ قال : « بلى^(٢) ، قولي : اللهم رَبِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَأَذْهِبْ غِيظَ قَلْبِي ، وَأَجِرْنِي مِنْ مُضَلَّاتِ الْفِتَنِ^(٣) » .

١٨٨/٣

حدّثني محمد بن منصور الطوسي، قال : ثنا محمد بن عبد الله الزبيرى، قال : ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال : كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ أن يقولَ : « يَا مُقَلِّبِ القلوبِ ثبِّتْ قلبي على دينك » . فقال له بعضُ أهله : تَخَافُ عَلَيْنَا وَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ ؟ قال : « إِنَّ القلْبَ بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، يَقُولُ بِهِمَا^(٤) هَكَذَا » . وحرك أبو أحمد إضْبَعَيْهِ . قال أبو جعفر : « وَإِنَّ الطُّوسِيَّ^(٥) وَسَقَّ^(٦) بَيْنَ إِضْبَعَيْهِ^(٧) » .

(١) فى م ، ومعجم الطبرانى : « و » .

(٢) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « قال » .

(٣) أخرجه الطبرانى ٣٣٨/٢٣ (٧٨٥) من طريق حجاج بن المنهال به . وأخرجه أحمد ٣٠١/٦ ، ٣٠٢ (الميمنية) ، وعبد بن حميد (١٥٣٢ - منتخب) ، وابن مردويه - كما فى تفسير ابن كثير ١٠/٢ - من طريق عبد الحميد بن بهرام به . وأخرجه ابن أبى شيبة ٢٠٩/١٠ ، ٢١٠ ، وأحمد ٣١٥/٦ (الميمنية) ، والترمذى (٣٥٢٢) ، والطبرانى ٣٣٤/٢٣ (٧٧٢) من طريق شهر بن حوشب به .

(٤) فى م : « به » .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « أبى الطوسى » .

(٦) الوشق : ضم الشىء إلى الشىء . اللسان (و س ق) .

(٧) أخرجه أبو يعلى (٢٣١٨) ، والبيهقى فى الشعب (٧٥٦) من طريق سفيان به .

حدَّثني سعيدُ بنُ يحيى الأمويُّ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، قال : ثنا الأعمشُ ، عن أبي سفيانَ ، عن أنسٍ ، قال : كان رسولُ اللهِ ﷺ كثيرًا ما يقولُ : « يا مُقَلَّبَ القلوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي على دينِكَ » . قلنا : يا رسولَ اللهِ ، قد آمنا بك ، وصدَّقنا بما جئتَ به ، فتخافُ علينا ؟ قال : « نعم ، إِنَّ القلوبَ بين إصْبَعَيْنِ من أصابعِ اللهِ ، يُقَلِّبُهَا ^(١) تبارك وتعالى » ^(٢) .

حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الحَكَم ، قال : ثنا بشرُ بنُ بكرٍ ، وحدَّثني عليُّ ابنُ سهلٍ ، قال : ثنا ^(٣) أيوبُ بنُ بشرٍ ، جميعًا ^(٤) عن ابنِ جابرٍ ، قال : سمِعْتُ بُشَيْرَ بنَ عُبيدِ اللهِ ، قال : سمِعْتُ أبا إدريسَ الخولانيَّ يقولُ : سمِعْتُ النَّوَّاسَ بنَ سَمْعَانَ الكِلابيّ ، قال : سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « ما من قلبٍ إلا بين إصْبَعَيْنِ من أصابعِ الرحمنِ ، إن شاء أقامه ، وإن شاء أزاعه » . وكان رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ : « يا مُقَلَّبَ القلوبِ ثَبَّتْ قلوبنا على دينِكَ ، والميزانُ بيدِ الرحمنِ ، يَرْفَعُ أقوامًا وَيُخْفِضُ آخَرِينَ إلى يومِ القِيامَةِ » ^(٥) .

حدَّثني عمرُ بنُ عبدِ الملكِ الطائيُّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ عُبيدةَ ، قال : ثنا الجراحُ

(١) بعده في ص ، ت ٢ : « الله » .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٠٩/١٠ ، وفي الإيمان (٥٥) ، وأحمد ١٦٠/١٩ (١٢١٠٧) ، والترمذي (٢١٤٠) ، وأبو يعلى (٣٦٨٧ ، ٣٦٨٨) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٥) ، والحاكم ٥٢٦/١ من طريق أبي معاوية به .

(٣-٣) سقط من : س ، وفي ص ، ت ٢ : « بن جميعا » ، وفي ت ١ : « بن » وبعده بياض بمقدار كلمتين .

(٤) في م : « بشر » .

(٥) أخرجه الحاكم ٣٢١/٤ من طريق محمد بن عبد الله بن عبد الحكم به . وأخرجه أيضًا ٥٢٥/١ ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٩) من طريق بشر بن بكر به .

وأخرجه أحمد ١٧٨/٢٩ (١٧٦٣٠) ، وابن ماجه (١٩٩) ، والنسائي في الكبرى (٧٧٣٨) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢١٩) ، وابن خزيمة في التوحيد (٥٤) ، وابن حبان (٩٤٣) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٤١) ، من طريق ابن جابر به .

ابن مليح البهراني، عن الزُّبَيْدِيِّ، عن جُبَيْرٍ^(١)، عن سَمْرَةَ بنِ فَاتِكِ الأَسَدِيّ، وكان من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «الموازينُ بيدِ اللهِ، يَرْفَعُ قَوْمًا^(٢) وَيَضَعُ قَوْمًا^(٣)، وقلبُ ابنِ آدَمَ بينِ إصْبَعَيْنِ من أصابعِ الرحمنِ، إذا^(٤) شاء أزاغَهُ، وإذا^(٣) شاء أقامَهُ»^(٤).

حَدَّثَنِي المَتْنِي، قال: ثنا سُؤَيْدُ بنُ نَصْرِ، قال: أَخْبَرَنَا ابنُ المَبَارِكِ، عن حَيَوَةَ بنِ شُرَيْحٍ، قال: أَخْبَرَنِي أبو هانئِ الخَوْلَانِي، أنه سَمِعَ أبا عبدِ الرحمنِ الجُبَلِيّ يقولُ: سَمِعْتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرو بنِ العاصِ يقولُ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إن قلوبَ بني آدَمَ كلُّها بينِ إصْبَعَيْنِ من أصابعِ الرحمنِ كقلبِ واحدٍ، يُصَرِّفُ كيف يشاءُ»^(٥). ثم يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: «اللهمَّ مُصَرِّفَ القلوبِ صَرِّفْ قلوبنا إلى طاعتِكَ»^(٦).

١٨٩/٣ / حَدَّثَنَا الرِّبِيعُ بنُ سَلِيمَانَ، قال: ثنا أسدُ بنُ موسى، قال: ثنا عبدُ الحميدِ بنُ بَهْرَامٍ، قال: ثنا شهْرُ بنُ حَوْشَبٍ، قال: سَمِعْتُ أمَّ سَلَمَةَ تُحَدِّثُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يُكثِرُ في دعائه أن يقولَ: «اللهمَّ ثَبِّتْ قلبي على دينِكَ». قالت: قلتُ:

(١) في م: «جوير»، وغير واضحة في ت ٢. وينظر تهذيب الكمال ٥٠٩/٤.

(٢) في م: «أقوامنا».

(٣) في م: «إن».

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٢٠)، وفي الأحاد والمثاني (١٠٤١، ١٠٤٢)، والطبراني (٦٥٥٧) من طريق جبير به.

(٥) في ص، ت ١، ت ٢، س: «شاء».

(٦) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٧٣٩) من طريق عبد الله بن المبارك به. وأخرجه أحمد ١٣٠/١١ (٦٥٦٩)، ومسلم (٢٦٥٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٢، ٢٣١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٨، ٧٤٠) من طريق حيوة بن شريح به.

يا رسولَ اللَّهِ ، وإنَّ القلوبَ لَتُغْلَبُ ؟ قال : « نعم ، ما مِن خلقِ اللَّهِ مِن بنى آدمَ بشرٌ إلا أن قلبه بين إضْبَعَيْنِ من أصابعِ اللَّهِ ، إن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغَه ، فنَسألُ اللَّهَ رَبَّنَا ألا يُزِيغَ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يَهَبَ لنا من لَدُنْه رحمةً ، إنه هو الوهابُ ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ أَلِيمٌ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه أنهم يقولون أيضًا - مع قولهم : آمنا بما تشابه من آي ^(٢) كتابِ رَبَّنَا ؛ كلُّ ^(٣) المحكمِ والمتشابهِ الذى فيه من عندِ رَبَّنَا - يا ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ أَلِيمٌ ﴾ .

وهذا من الكلامِ الذى اشتغيتى بذكرِ ما ذُكِرَ منه عمَّا تركَ ذكره . وذلك أن معنى الكلامِ : رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فاغفرْ لنا يومئذٍ ، واعفُ عَنَّا ، فإنك لا تُخَلِّفُ وَعَدَكَ أَنْ مَنْ آمَنَ بِكَ ، واتَّبَعَ رَسولَكَ ، [٣٨٨/١] وعَمِلَ بالذى أمرته به فى كتابك ، أنك غافره يومئذٍ .

وإنما هذا من القومِ مسألةُ رَبِّهِمْ أن يُبَيِّنَهُمْ على ما هم عليه من حُسْنِ نُصْرَتِهِمْ ^(٤) بالإيمانِ باللهِ ورسوله ، وما جاءهم به من تنزيله ، حتى يَقْبِضَهُمْ على أحسنِ أعمالِهِم وإيمانِهِم ، فإنه إذا فعل ذلك بهم وجب لهم الجنةُ ؛ لأنه قد وعدَ مَنْ فعل ذلك به من عبادِهِ ^(٥) أنه يُدْخِلُهُ الجنةَ . فالآيةُ وإن كانت قد خَرَجَتْ مَخْرَجَتْ الخَيْرِ ، فإنَّ تأويلها من

(١) فى ت ١ ، س : « التواب » . وينظر ما تقدم فى ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٢) بعده فى س : « القرآن » .

(٣) فى س : « كله » .

(٤) كذا فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، س ، وغير منقوطة فى ص ، ولعل الصواب : بصيرتهم .

(٥) فى ص ، ت ١ : « عبادته » .

القوم مسألة ودعاءً ورجبةً إلى ربهم .

وأما معنى قوله : ﴿ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . فإنه : لا شك فيه .

وقد بيّننا ذلك بالأدلة على صحته فيما مضى قبل^(١) .

ومعنى قوله : ﴿ لِيَوْمٍ ﴾ : فى يوم . وذلك يوم يجمع الله فيه خلقه لفصل

القضاء بينهم فى موقف العرَض والحساب .

والميعادُ : المفعالُ ، من الوعد .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا

أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ : إن الذين جحدوا الحق الذى قد

عرفوه من نبوة محمد ﷺ ، من يهود بنى إسرائيل ومنافقيهم ، ومنافقي العرب

وكفارهم ، الذين فى قلوبهم زيغ ، فهم يتبعون من كتاب الله المتشابهة ابتغاء الفتنة وابتغاء

تأويله ، ﴿ لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ . يعنى بذلك أن أموالهم

وأولادهم لن تُنجيهم من عقوبة الله إن أحلها بهم عاجلاً ، فى الدنيا على تكذيبهم بالحق

بعد تبئيرهم^(٢) ، واتباعهم المتشابهة طلب اللبس ، فتدفعها عنهم ، ولا يُعنى^(٣) ذلك

عنهم منها^(٣) شيئاً ، وهم فى الآخرة ﴿ وَقُودُ النَّارِ ﴾ يعنى بذلك : حطبها .

١٩٠/٣ / القول فى تأويل قوله : ﴿ كَذَابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

(١) ينظر ما تقدم فى ١/٢٣١ - ٢٣٣ .

(٢) فى م : « تبئيرهم » ، وفى س : « نبتهم » .

(٣) فى ت ٢ : « عنهم من ذلك » .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : إنّ الذين كفّروا لن تُغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً عند حلول عقوبتنا بهم ، كسنة آل فرعون وعادتهم^(١) ، والذين من قبلهم من الأمم الذين كذبوا بآياتنا ، فأخذناهم بذنوبهم ، فأهلكناهم حين كذبوا بآياتنا ، فلم تُغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً حين جاءهم بأسنا ، كالذين عوجّلوا بالعقوبة على تكذيبهم ربهم من قبل آل فرعون ، من قوم نوح وقوم هود وقوم لوط وأمثالهم .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ كَذَابٍ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معناه : كسنتهم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ كَذَابٍ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ . يقول : كسنتهم^(٢) . وقال بعضهم : معناه : كعملهم^(٤) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا مؤمّل ، قال : ثنا سفيان ، وحدّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، جميعاً عن جوير ، عن الضحاك : ﴿ كَذَابٍ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ . قال : كعمل آل فرعون^(٥) .

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « دعائهم » . وينظر مجاز القرآن ١ / ٨٧ .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فلن تغن » ، وفى م ، س : « فلن تغنى » ، وأثبتنا ما يناسب السياق .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢ / ٩ إلى المصنف .

(٤) فى ت ٢ : « كعملهم » .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢ / ٦٠٣ ، ٥ / ١٧١٨ عقب الأثر (٣٢٣٠ ، ٩١٧٧) معلقاً .

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا جُوَيْرِيٌّ ، عن الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ﴾ . قَالَ : كَعْمَلِ آلِ فِرْعَوْنَ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ﴾ قَالَ : كَأَعْمَالِهِمْ ^(١) ، كَفَعْلِهِمْ ، كَتَكْذِيبِهِمْ حِينَ كَذَّبُوا الرِّسْلَ . وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿ مِثْلَ ذَابٍ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [غافر : ٣١] . أَنْ يُصَيِّبَكُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ . قَالَ : الدَّأْبُ الْعَمَلُ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قَالَ : ثنا أَبُو ثُمَيْلَةَ يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد في قوله : ﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ﴾ . قَالَ : كَفَعْلِ آلِ فِرْعَوْنَ ، كَشَأْنِ آلِ فِرْعَوْنَ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : ثنا بشرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عن أبي رَوْحٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ﴾ . قَالَ : كَصُنْعِ آلِ فِرْعَوْنَ ^(٣) .
وَقَالَ آخَرُونَ : معنَى ذَلِكَ : كَتَكْذِيبِ آلِ فِرْعَوْنَ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عمروُ بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن السدِّيِّ : ﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ : ذَكَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا / فَقَالَ ^(٤) : تَكْذِيبُهُمْ كَمِثْلِ تَكْذِيبِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فِي الْجُحُودِ وَالتَّكْذِيبِ ^(٥) .

١٩١/٣

(١) سقط من : م .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٣/٢ ، ١٧١٨/٥ عقب الأثر (٣٢٣٠ ، ٩١٧٧) معلقاً .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٣/٢ ، ١٧١٨/٥ (٣٢٣٠ ، ٩١٧٧) من طريق المنجاب به .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « وأفعال » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٣/٢ (٣٢٣١) من طريق عمرو به .

وأصلُ الدَّأْبِ مِنَ : دَأَبْتُ فِي الْأَمْرِ دَأَبًا ، إِذَا أَدْمَنْتَ الْعَمَلَ وَالتَّعَبَ فِيهِ . ثُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ نَقَلَتْ مَعْنَاهُ إِلَى الشَّأْنِ وَالْأَمْرِ وَالْعَادَةِ ، كَمَا قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ ^(١) :

وَإِنْ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ ^(٢) فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلٍ ^(٣)
 كَدَأْبِكَ ^(٤) مِنْ أُمَّ الْحَوَئِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمَّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلٍ
 يَعْنِي بِقَوْلِهِ : كَدَأْبِكَ . كَشَأْنِكَ ^(٥) وَأَمْرِكَ وَفَعْلِكَ . يُقَالُ مِنْهُ : هَذَا دَأْبِي
 وَدَأْبُكَ أَبَدًا . يَعْنِي بِهِ : فِعْلِي وَفَعْلُكَ ، وَأَمْرِي وَأَمْرُكَ ، وَشَأْنِي وَشَأْنُكَ . يُقَالُ مِنْهُ :
 دَأَبْتُ دُؤُوبًا وَدَأَبًا . وَحِكْمِي عَنِ الْعَرَبِ سَمَاعًا : دَأَبْتُ دَأَبًا . مُتَقَلَّةٌ مُحَرَّكَةُ الْهَمْزَةِ ،
 كَمَا قِيلَ : هَذَا شَعْرٌ وَنَهْرٌ ^(٦) . فَتُحَرِّكُ ثَانِيَهُ ؛ لِأَنَّهُ حَرْفٌ مِنَ الْحُرُوفِ السِّتَةِ ^(٧) ، فَأُلْحِقَ
 الدَّأْبُ إِذْ كَانَ ثَانِيَهُ مِنَ الْحُرُوفِ السِّتَةِ ، [٣٨٨/١] ظ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ ^(٨) :

لَهُ نَعْلٌ لَا تَطْبِي ^(٩) الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ ^(١٠) بَيْنَ الْمَجَالِسِ ^(١١) شُمَّتِ
 وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ : وَاللَّهُ شَدِيدٌ عِقَابُهُ لِمَنْ كَفَرَ
 بِهِ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ ، بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ .

(١) ديوانه ص ٩ .

(٢) في الديوان : « إن سفحتها » .

(٣) معول : قيل : مَبْكِي ، وقيل : مستغاث ، وقيل : مخمل ومغتند . اللسان (ع و ل) .

(٤) في الديوان : « كدينك » .

(٥) في ص ، ت ٢ : « كتابك » ، وفي ت ١ : « كفابك » .

(٦) في م : « بهر » .

(٧) الحروف الستة : هي حروف الحلق .

(٨) هو كثير عزة ، والبيت في ديوانه (مجموع) ص ٣٢٤ .

(٩ - ١٠) في الديوان : « إذا طرحت لم تطب » .

(١٠) طباه يطبوه ويطبويه : إذا دعاه . اللسان (ط ب ي) .

(١١ - ١١) في الديوان : « في مجلس القوم » .

القول في تأويل قوله: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۗ وَيَسَّ الْمَهَادُ ﴾ .

اختلفت القراءة في ذلك ؛ فقرأه بعضهم : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ ﴾ بالتاء ، على وجه الخطاب للذين كفروا بأنهم سيغلبون ^(١) . واحتجوا لاختيارهم قراءة ذلك بالتاء بقوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . قالوا : ففي ذلك دليل على أن قوله : ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ . كذلك خطاب لهم ، وذلك هو قراءة عامة قراءة الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين . وقد يجوز لمن كانت نيته في هذه الآية أن المؤمنون بأن يغلبوا هم الذين أمر النبي ﷺ بأن يقول ذلك لهم ، أن يقرأه بالتاء والياء ؛ لأن الخطاب بالوحي حين نزل لغيرهم ، فيكون نظير قول القائل في الكلام : قلت للقوم : إنكم مغلوبون . وقلت لهم : إنهم مغلوبون .

وقد ذكر أنّ في قراءة عبد الله : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ تَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَكُمْ) ^(٢) . وهي في قراءتنا : ﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٣٨] .

وقرأت ذلك جماعة من قراءة أهل الكوفة : (سَيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ) . على معنى : قُلْ لليهود : سيغلب مشركو العرب ، ويحشرون إلى جهنم . ومن قرأ ذلك كذلك على هذا التأويل ، لم يجز في قراءته غير الياء .

/ والذي نختار من القراءة في ذلك قراءة من قرأه بالتاء ، بمعنى : قل يا محمد للذين كفروا من يهود بني إسرائيل ، الذين يتبعون ما تشابه من أي الكتاب الذي أنزلته إليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله : ﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَهَادُ ﴾ .

١٩٢/٣

(١) هي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وعاصم وابن عامر ، وقرأ حمزة والكسائي بالياء ، وسيأتي . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٣ .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ١٩٢ .

الْمَهَادُ ﴿١﴾ .

وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك ، على قراءته بالياء ، لدلالة قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . على أنهم بقوله : ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ مخاطبون خطابهم بقوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ﴾ . فكان إلحاق الخطاب بمثله من الخطاب أولى من الخطاب بخلافه من الخبر عن غائب .

وأخرى : أن أبا كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ، قال : ثنا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد ، عن سعيد بن جبيرة ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر ، فقدم المدينة ، جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال : « يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً » . فقالوا : يا محمد ، لا تعرّتك نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أعمارًا لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أن نحن الناس ، وأنت لم تأت^(١) مثلنا . فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : ﴿ قُلْ لِلذَّيْبِ كَفْرًا سَتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَهَادُ ﴾ إلى قوله : ﴿ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾^(١) .

حدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : لما أصاب الله قريشاً يوم بدر ، جمع رسول الله ﷺ يهود في سوق بني قينقاع حين قدم المدينة . ثم ذكر نحو حديث أبي كُرَيْبٍ ، عن يُونُسِ^(٣) .

حدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان من أمر بني

(١) في سنن أبي داود : « تلق » .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٠١) ، والبيهقي في الدلائل ١٧٣/٣ ، ١٧٤ من طريق يونس به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٤/٢ (٣٢٣٤) من طريق سلمة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور

٩/٣ ، ١٠ إلى ابن إسحاق .

فَيَقْتَفِعُ ، أن رسولَ اللهِ ﷺ جمعهم بسوقِ بنى قَيْنُقَاعَ ، ثم قال : « يا معشرَ اليهودِ ، احذروا من اللهِ مثلَ ما نزلَ بقريشٍ من التُّقْمَةِ ، وأسلمُوا ، فإنكم قد عرفتمُ أنى نبيِّ مُرْسَلٌ ، تجِدُون ذلكَ فى كتابِكُمْ ، وعهدِ اللهِ إليكم » . فقالوا : يا محمدُ ، إنك ترى أننا كقومك ^(١) ! لا يُعْرَفُكَ أنك لقيتَ قومًا لا عِلْمَ لهم بالحربِ ، فأصبَتَ فيهم فُرْصَةٌ ، إنَّا واللهِ لقرنُ حارِبِنَاكَ لَتَعْلَمَنَّ أنَّا نحنُ الناسُ ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى آلِ زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ما نزلتْ هؤلاء الآياتُ إلا فيهم : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبَسَّ الْوَيْسُ الْمِهَادُ ﴾ إلى ﴿ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ ^(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عكرمةَ فى قوله : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبَسَّ الْوَيْسُ الْمِهَادُ ﴾ . قال فنحاصُ اليهودى فى يومِ بدرٍ : لا يُعْرَفُ محمدًا أنْ غلبَ قريشًا وقتلهم ، إنَّ قريشًا لا تُحْسِنُ القتالَ . فنزلتْ هذه الآيةُ : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبَسَّ الْوَيْسُ الْمِهَادُ ﴾ ^(٤) .

قال أبو جعفرٍ : فكلُّ هذه الأخبارِ تُنبئُ ^(٥) عن أن المخاطبين بقوله : ﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبَسَّ الْوَيْسُ الْمِهَادُ ﴾ هم اليهودُ المقولُ لهم :

١٩٣/٣

(١) فى سيرة ابن هشام : « قومك » .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٤ (٤٩٦) ، وسيرة ابن هشام ٤٧/٢ ، وأخرجه المصنف فى تاريخه ٤٧٩/٢ .

(٣) ابن إسحاق ص ٢٩٤ (٤٩٧) ، وسيرة ابن هشام ٤٧/٢ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٥) فى س : « تبين » .

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ الآية ، وتدلُّ على أن قراءة ذلك بالتاءِ أولى من قراءته بالياءِ .

ومعنى قوله : ﴿ وَتُحْشَرُونَ ﴾ : وَتُجْمَعُونَ فَتُجْلَبُونَ ^(١) ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ .

وأما قوله : ﴿ وَيَيْسَ الْإِهَادُ ﴾ : وَيَيْسَ الْفِرَاشُ جَهَنَّمُ التي تُحْشَرُونَ إليها .

وكان مجاهدٌ يقولُ كالذي حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ،

عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ وَيَيْسَ الْإِهَادُ ﴾ . قال :
بِسْمَا مَهْدُوا لِأَنْفُسِهِمْ ^(٢) .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شَيْبٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن

مُجَاهِدٍ مثله .

[٣٨٩/١] القول في تأويل قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اتَّعَتَا فِعْتَهُ ﴾

تَقْتَبِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْيَهُودِ ، الَّذِينَ بَيْنَ

ظَهْرَانِي بَلَدِكَ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ ، يعنى : علامةٌ ودلالةٌ على صدق ما

أقول ^(٣) : إنكم ستُعْلَبُونَ . وعبرةٌ .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ قَدْ كَانَ

لَكُمْ آيَةٌ ﴾ : عِبْرَةٌ وَتَفَكُّرٌ ^(٤) .

(١) في ت ١ : « فيجلبون » ، وفي س : « فيلجبتون » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٤/٢ (٣٢٣٥) .

(٣) بعده في س : « لكم » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٢ إلى المصنف .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثله ، إلا أنه قال : ومُتَّفَكِّرٌ^(١) .

﴿ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . يعنى : فى فِئَتَيْنِ وَحِزْبَيْنِ . والفِئَةُ الجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ ، ﴿ اَلْتَقَاتَا ﴾ للحربِ ، وإحدى الفئتين رسولُ اللهِ ﷺ ومَن كان معه مَن شهد وَقَعَةَ بدرٍ ، والأخرى مُشْرِكُو قريشٍ ، ﴿ فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ : جَمَاعَةٌ تُقَاتِلُ فى طَاعَةِ اللَّهِ وَعَلَى دِينِهِ ، وهم رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابه ، ﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ : وهم مُشْرِكُو قريشٍ .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جببيرٍ أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اَلْتَقَاتَا فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ : أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ ببدرٍ ، ﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ : فِئَةُ قريشٍ الكفَّارُ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جببيرٍ أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ مثله^(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عكرمةَ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اَلْتَقَاتَا فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ : محمدٌ ﷺ وأصحابه ، ﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ : قريشُ يومَ بدرٍ .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٠٤/٢ (٣٢٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٠٥/٢ (٣٢٣٧) من طريق سلمة به .

نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . قال : في محمدٍ وأصحابه ومُشْرِكِي قريشِ يومَ بدرٍ ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهدٍ مثله .

/ حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا الثوريُّ ، عن ١٩٤/٣ ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اتَّقَتَا فِعْتَهُ تَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . قال : ذلك يومَ بدرٍ ، اتقى المسلمون والكفارُ ^(٢) .

ورُفِعَتْ : ﴿ فِعْتَهُ تَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . وقد قيل قبل ^(٣) ذلك : ﴿ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . بمعنى : إحداهما تقاتلُ في سبيلِ الله . على الابتداء ، كما قال الشاعر ^(٤) :

فكنتُ كذي رجلينِ رجلٌ صحيحةٌ
ورجلٌ رمى فيها الزمانُ فشلتِ
وكما قال ابنُ مُفَرِّغٍ ^(٥) :

فكنتُ كذي رجلينِ رجلٌ صحيحةٌ
فأما التي صحَّتْ فأزُدْ شئوءَ
ورجلٌ بها ريبٌ من الحدَّانِ
وأما التي شلتْ فأزُدْ عَمَانِ
وكذلك تَفْعَلُ العربُ في كلِّ مُكْرَرٍ على نظيرِ له قد تقدَّمه ، إذا كان مع المُكْرَرِ

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١١٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٠٥ (٣٢٣٩) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

(٤) هو كثير عزة ، والبيت في ديوانه (مجموع) ص ٩٩ .

(٥) البيهقي للنجاشي الحارثي في الوحشيات ص ١١٣ ، والنوادر ص ١٠ ، والخزانة ٢/٣٨٦ .

خبيراً، تَرُدُّهُ عَلَى إِعْرَابِ الْأَوَّلِ مَرَّةً، وَتَسْتَأْنِفُهُ ثَانِيَةً بِالرَّفْعِ، وَتَنْصِبُهُ فِي التَّامِّ مِنَ الْفِعْلِ وَالنَّاقِصِ، وَقَدْ جُرِّدَ ذَلِكَ كُلُّهُ، فَخُفِضَ عَلَى الرُّدِّ عَلَى أَوَّلِ الْكَلَامِ، كَأَنَّهُ ^(١) يَعْنِي إِذَا خَفَضَ ذَلِكَ: ^(٢) فَكَنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ: كَذِي رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ سَقِيمَةٍ. وَكَذَلِكَ الْخَفْضُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهِ فِتْنَةٌ﴾ جَائِزٌ عَلَى الرُّدِّ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فِي فِتْنَتَيْنِ أَلْتَقَتَا﴾: فِي فِتْنَةٍ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وهذا وإن كان جائزاً في العربية، فلا أَسْتَحْجِزُ الْقِرَاءَةَ بِهِ؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقِرَاءَةِ عَلَى خِلَافِهِ. وَلَوْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿فِيهِ فِتْنَةٌ﴾ جَاءَ نَصْبًا كَانَ جَائِزًا أَيْضًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ أَلْتَقَتَا﴾: مُخْتَلِفَتَيْنِ.

القول في تأويل قوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ﴾.

اِخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ؛ فَقَرَأَهُ قِرَاءَةَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: (تَرَوْنَهُمْ) بِالتَّاءِ ^(٣)، بِمَعْنَى: قَدْ كَانَ لَكُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ التَّقَاتَا، فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْأُخْرَى كَافِرَةٌ، تَرَوْنَ الْمُشْرِكِينَ مِثْلِي الْمُسْلِمِينَ رَأَى الْعَيْنِ. يُرِيدُ بِذَلِكَ عِظَتَهُمْ، يَقُولُ: إِنْ لَكُمْ عِبْرَةٌ أَيُّهَا الْيَهُودُ فِيمَا رَأَيْتُمْ مِنْ قَلَةٍ عَدِدِ الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَةِ عَدِدِ الْمُشْرِكِينَ، وَظَفَرِ هَؤُلَاءِ مَعَ قَلَةٍ عَدِدِهِمْ، بِهَؤُلَاءِ مَعَ كَثْرَةِ عَدِدِهِمْ.

وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قِرَاءَةِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ الْمَكِّيِّينَ: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾ بِالْيَاءِ، بِمَعْنَى: يَرَى الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْجَمَاعَةَ الْكَافِرَةَ مِثْلِي الْمُسْلِمِينَ فِي الْقَدْرِ. فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ عَلَى قِرَاءَتِهِمْ: قَدْ كَانَ لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ عِبْرَةٌ

(١) في ص: «لأنه».

(٢) بعده في ص، ت ١، ت ٢، س: «يعني».

(٣) وهي قراءة نافع، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر والكسائي وحزمة بالياء، وحكى أبان عن عاصم بالتاء كالوجه الأول. ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٠١.

وَمُتَّفَكِّرٍ فِي فِتْنَيْنِ / التَّقَاتَا ، فَعْتَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ، يَزِي هَؤُلَاءِ ١٩٥/٣
المُتَّفَكِّرِينَ^(١) مَعَ قَلْبٍ عَدِيدِهِمْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ^(٢) فِي كَثْرَةِ عَدِيدِهِمْ .

فإن قال قائل : وما وجه تأويل قراءة من قرأ ذلك بالياء ؟ وأتى الفئتين رأيت
صاحبتهما مثليها ، الفئة المسلمة هي التي رأيت المشركة مثليها ، أم المشركة هي التي
رأيت المسلمة كذلك ، أم غيرهما^(٣) رأيت إحداهما كذلك ؟

قيل : اختلف أهل التأويل في ذلك ؛ فقال بعضهم : الفئة التي رأيت الأخرى
مثلني أنفسها [٣٨٩/١] الفئة المسلمة ، رأيت عدد الفئة المشركة مثلني عدد الفئة
المسلمة ، قللها الله عز وجل في أعينها حتى رأتها مثلني عدد أنفسها ، ثم قللها في
حال أخرى فرأيتها^(٤) مثل عدد أنفسها .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره
عن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ التَّقَاتَا فَعْتَةٌ
تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ .
قال : هذا يوم بدر . قال عبد الله بن مسعود : وقد نظرنا إلى المشركين ، فرأيناهم
يضعفون علينا ، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً ، وذلك قول
الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّمِ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَقَلَلُكُمْ فِي

(١) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «المسلمين» .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «المشركون» .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «غيرها» .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «رأيتها» .

أَعْيُنِهِمْ ﴿١﴾ [الأنفال : ٤٤] .

فمعنى الآية على هذا التأويل : قد كان لكم يا معشر اليهود آية في فتيين التقتا ؛ إحداهما مسلمة والأخرى كافرة ، كثير عدد الكافرة ، قليل عدد المسلمة ، ترى الفئة القليل عددها الكثير عددها أمثالا^(١) ، إنما^(٢) تكثرها من العدد بمثل واحد ، فهم يزؤونهم مثابهم . فيكون أحد المثلين عند ذلك العدد الذى هو مثل عدد الفئة التى رأتهم ، والمثل الآخر الضعف الزائد على عددهم . فهذا أحد معني التقليل الذى أخبر الله عز وجل المؤمنين أنه قللهم فى أعينهم .

والمعنى الآخر منه : التقليل الثانى على ما قاله ابن مسعود ، وهو أن أراهم عدد المشركين مثل عددهم لا يزيدون عليهم ، فذلك التقليل الثانى الذى قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَيْلًا ﴾ .

وقال آخرون من أهل هذه المقالة : إن الذين رأوا المشركين مثلى أنفسهم هم المسلمون ، غير أن المسلمين رأوهم على ما كانوا به من عددهم ، لم يُقللوا فى أعينهم ، ولكن الله أيدهم بنصره . قالوا : ولذلك قال الله عز وجل لليهود : قد كان لكم فيهم عبرة . يُخوفهم بذلك أن يحل بهم منهم مثل الذى أحل بأهل بدر على أيديهم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّائِبَاتِ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٤) من طريق عمرو بن حماد به ، دون ذكر مرة الهمدانى .

(٢) بعده فى م : « لها » .

(٣) سقط من : م .

سَكِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴿١﴾ . أَنْزَلَتْ فِي التَّخْفِيفِ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَإِنَّ^(١) الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ مِثْلَهُمْ ، / فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴿٣﴾ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ سِتَّةً وَعِشْرِينَ وَسِتَّمِائَةً ، فَأَيَّدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَكَانَ هَذَا الَّذِي فِي التَّخْفِيفِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ^(٣) .

وهذه الرواية خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن عدّة المشركين يوم بدر ، وذلك أن الناس إنما اختلفوا في عددهم على وجهين ؛ فقال بعضهم : كان عددهم ألفا . وقال بعضهم : ما بين التسعمائة إلى الألف .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ : كَانَ عَدْدُهُمْ أَلْفًا

حَدَّثَنِي هَارُونَ بْنُ إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ ، قَالَ : ثنا مُصْعَبُ بْنُ الْمِقْدَامِ ، قَالَ : ثنا إِسْرَائِيلُ ، قَالَ : ثنا أَبُو إِسْحَاقَ ، عَنْ حَارِثَةَ ، عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ : سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ ، فَسَبَقْنَا الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهَا ، فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ ، مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَمَوْلَى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَأَمَّا الْقُرَشِيُّ فَأَنْفَلَتْ ، وَأَمَّا مَوْلَى عُقْبَةَ فَأَخَذَنَاهُ ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ : كَمِ الْقَوْمُ؟ فَيَقُولُ : هُمُ وَاللَّهِ كَثِيرٌ ، شَدِيدٌ بِأَسْهُمٍ . فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرْبُوهُ^(٢) ، حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ : « كَمِ الْقَوْمُ؟ » . فَقَالَ : هُمُ وَاللَّهِ كَثِيرٌ ، شَدِيدٌ بِأَسْهُمٍ . فَجَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ^(٤) أَنْ يُخْبِرَهُ كَمِ هُمْ فَأَبَى ، ثُمَّ قَالَ : « كَمِ يَنْحَرُونَ مِنَ الْجُزْرِ؟ » . قَالَ : عَشْرَةٌ كُلَّ يَوْمٍ . قَالَ

(١) في النسخ : « كَان » . وهو تصحيف . والمثبت هو الصواب .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٥) عن محمد بن سعد به مقتضرا على قوله : كان هذا في التخفيف على المؤمنين .

(٣) في النسخ : « صدقوه » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٤) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، ومصنف ابن أبي شيبة : « على » .

رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القَوْمُ أَلْفٌ » ^(١) .

حدَّثني أبو سعيد بنُ يُوْسَعِ البغداديُّ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، عن إسرائيلَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن أبي عُبَيْدَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : أَسْرَنَّا رجلاً منهم - يعنى من المشركين - يومَ بدرٍ ، فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفاً .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ : كَانَ عَدَدُهُمْ مَا بَيْنَ التَّسْعِمَائَةِ إِلَى الأَلْفِ

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : قال ابنُ إسحاقَ : ثنى يزيدُ بنُ رومانٍ ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ ، قال : بَعَثَ النبيُّ ﷺ نفراً من أصحابِهِ إلى ماءِ بدرٍ يَلْتَمِسُونَ الخبرَ له عليه ، فأصابوا رَاوِيَةً من قريشٍ فيها أسلمُ غلامٌ بنى الحجاجِ ، وعريضُ أبو يسارٍ غلامٌ بنى العاصِ ، فأتوا بهما رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لهما : « كم القومُ ؟ » . قال : كثيرٌ . قال : « ما عدتُّهم ؟ » . قال : لا نَدْرِي . قال : « كم يَنْحَرُونَ كلَّ يومٍ ؟ » . قال : يوماً تسعاً ، ويوماً عشراً . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القومُ ما بَيْنَ التَّسْعِمَائَةِ إِلَى الأَلْفِ » ^(٢) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الأَعْيُنِ ﴾ . ذلكم يومُ بدرٍ ، أَلْفُ المشركون [٣٩٠/١] أو قاربوا ، وكان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشرَ رجلاً ^(٣) .

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٢/٤٢٤ . وأخرجه أحمد ٢/٢٥٩ (٩٤٨) ، وابن أبي شيبة ١٤/٣٦٢ ، والبخاري (٧١٩) من طرق عن إسرائيل به .

(٢) في ت ١ : « أن » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٦١٦ ، ٦١٧ ، أخرجه المصنف في تاريخه ٢/٤٣٦ ، ٤٣٧ .

(٤) أخرجه المصنف في تاريخه ٢/٤٣٣ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَمِنْ فِئَةٍ أَلْعَيْنَ ﴾ . قَالَ : يُضْعِفُونَ عَلَيْهِمْ ، فَاقْتُلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَأَسْرُوا سَبْعِينَ يَوْمَ بَدْرٍ ^(١) .

١٩٧/٣ / حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبْعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَمِنْ فِئَةٍ أَلْعَيْنَ ﴾ فِي سَكِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنَ ﴾ . قَالَ : كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ ، كَانَ الْمُشْرِكُونَ تِسْعَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ ، وَكَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ ثَلَاثَمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حِجَابُ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ ، وَالْمُشْرِكُونَ مَا بَيْنَ التَّسْعِمِائَةِ إِلَى الأَلْفِ .

فَكُلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا مُخَالَفُونَ الْقَوْلَ الَّذِي رَوَيْنَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي عَدَدِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ . فَإِذَا كَانَ مَا قَالَهُ مَنْ حَكَيْنَاهُ - مَنْ ذَكَرَ أَنَّ عَدَدَهُمْ كَانَ زَائِدًا عَلَى التَّسْعِمِائَةِ - فَالتَّأْوِيلُ الأَوَّلُ الَّذِي قُلْنَا ، عَلَى الرَّوَايَةِ الَّتِي رَوَيْنَاهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، أَوَّلَى بِتَأْوِيلِ الآيَةِ .

وقال آخرون : كان عددُ المشركين زائداً على التسعمائة ، فرأى المسلمون عددهم على غير ما كانوا به من العدد . وقالوا : أرى الله المسلمين عددَ المشركين قليلاً ، آيةً للمسلمين . قالوا : وإنما عني الله عز وجل بقوله : ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ ﴾

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١١٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٠٦ (٣٢٤٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٠٥ (٣٢٣٨) من طريق ابن أبي جعفر به .

المخاطبين بقوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . قالوا : وهم اليهود ، غير أنه رجع من المخاطبة إلى الخبر عن الغائب ؛ لأنه أمرٌ من الله جل ثناؤه لنبينا ﷺ أن يقول ذلك لهم ، فحسُن أن يُخاطب مرةً ، ويُخبر عنهم على وجه الخبر مرةً^(١) أخرى ، كما قال : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِرِيحٍ طَحْبَةٍ ﴾ [يونس : ٢٢] .

وقالوا : فإن قال لنا قائلٌ : فكيف قيل : ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْغَيْبِ ﴾ وقد علمتُم أن المشركين كانوا يومئذٍ ثلاثة أمثال المسلمين ؟ قلنا لهم : كما يقول القائل وعنده عبدٌ : أحتاج إلى مثله . فأنت^(٢) محتاج إليه وإلى مثله . ثم يقول : أحتاج إلى مثليه . فيكون ذلك خبرًا عن حاجته إلى مثله ، وإلى مثلي ذلك المثل . وكما يقول الرجل : معي ألفٌ ، وأحتاج إلى مثليه . وهو محتاج إلى ثلاثة .. فلما نوى أن يكون الألف داخلًا في معنى المثل ، صار المثل اثنين^(٣) ، والاثنان ثلاثة . قال^(٤) : ومثله في الكلام : أراكم مثلكم .^(٥) كأنه قال : أراكم^(٦) ضعفكم ، و : أراكم مثليكم . يعني : أراكم ضعفيكم^(٧) . قالوا : فهذا على معنى ثلاثة أمثالهم^(٨) . وقال آخرون : بل معنى ذلك أن الله أرى الفئة الكافرة عددَ الفئة المسلمة مثلي عددِهم .

(١) سقط من : س ، وفي ص : « عن عانه » غير منقوطة ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن غاية » .

(٢) في م : « فأنا » .

(٣) في النسخ : « أشرف » . والمثبت من معاني القرآن للفراء ١ / ١٩٤ .

(٤) أى : الفراء ، وينظر الموضوع السابق من معاني القرآن .

(٥ - ٥) في النسخ : « كما يقال إن لكم » . والمثبت كما في معاني القرآن .

(٦) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ضعفكم » .

(٧) قال القرطبي في تفسيره ٤ / ٢٧ : وهو بعيد غير معروف في اللغة ، قال الزجاج : وهذا باب الغلط ، فيه

غلط في جميع المقاييس ؛ لأننا إنما نعقل مثل الشيء مساويا له ، ونعقل مثليه ما يساويه مرتين .

وهذا أيضًا خلاف ما دلَّ عليه ظاهر التنزيل ؛ لأن الله جل ثناؤه قال في كتابه :
﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيْلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيْ أَعْيُنِهِمْ ﴾
[الأنفال : ٤٤] . فأخبر أن كُلاً من^(١) الطائفتين قليلٌ عددها في مرأى الأخرى .

وقرأ آخرون ذلك : (تَرَوْنَهُمْ) بضم التاء ، بمعنى : يُرِيكُمُوهُمْ اللهُ مثلَيْهِمْ^(٢) .

وأولى هذه القراءات بالصواب قراءة من قرأ : ﴿ يَرَوْنَهُمْ ﴾ بالياء ، بمعنى :
وأخرى كافتة ، يَرَاهُم المسلمون مثلَيْهِمْ ، يعني : مثلى عدد المسلمين ؛ لتقليل الله
إياهم في أعينهم في حال ، فكان حَزْرُهُمْ إياهم / كذلك ، ثم قلَّهم في أعينهم عن
التقليل الأول ، فحزروهم مثل^(٣) عدد المسلمين ، ثم تقليلًا ثالثًا ، فحزروهم أقل من
عدد المسلمين .

١٩٨/٣

كما حدثني^(٤) ابنُ بَرِيْعُ البغداديُّ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، عن
إسرائيلَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن أبي عُبيدةَ ، عن عبدِ اللهِ ، قال : لقد قُلُّوا في أعيننا
يومَ بدرٍ حتى قُلْتُ لرجلي إلى جَنبِي : تَرَاهُم سبعين ؟ قال : أَرَاهُم مائةً . قال : فأَسْرَونا
رجلاً منهم ، فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفاً^(٥) .

وقد روى عن قتادة أنه كان يقول : لو كانت (تَرَوْنَهُمْ) ، لكانت « مثلَيْكم » .

(١) سقط من : ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

(٢) في ص ، س : « مثلهم » ، وفي ت ٢ : « مثلَيْكم » . ويضم التاء قراءة ابن عباس وطلحة . ينظر المحتسب
١٥٤/١ ، والبحر المحيط ٣٩٤/٢ .

(٣) في النسخ : « مثلى » . والمثبت هو الصواب .

(٤ - ٤) في النسخ : « أبو سعيد » . وسيأتى على الصواب في تفسير الآية (٤٤) من سورة الأنفال ، ٦٦/٢٦ ،
٤٩/٢٧ من المطبوع .

(٥) أخرجه البيهقي في الدلائل ٦٧/٣ من طريق إسحاق بن منصور به ، وابن سعد في الطبقات ٢٢/٢ ، وابن
أبي شيبَةَ ٣٧٤/١٤ من طريق إسرائيل به ، وعند ابن سعد ببعضه ، وأخرجه أيضًا ابن سعد ٢١/٢ من طريق
أبي إسحاق به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ١٨٩/٣ إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنى عبدُ الرحمن بنُ أبي حمادٍ ، عن ابنِ المباركِ ^(١) ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ بذلك .

ففى الخبرين اللذين روينا عن عبد الله بن مسعود ، ما أبان عن اختلافِ حَزْرِ المسلمين يومئذٍ عددَ المشركين فى الأوقاتِ المختلفةِ ، فأخبر الله عز وجل - عما كان من اختلافِ أحوالِ عددهم عند ^(٢) المسلمين - اليهودَ على ما كان به عندهم ، مع علمِ اليهودِ بمبلغِ عددِ الفتنين ، إعلامًا منه لهم أنه مُؤَيَّدٌ ^(٣) المؤمنين بنصره ؛ لكلا يَغْتَرِّبُوا بعددهم ^(٤) وبأسهم ، وليخذروا منه أن يُحِلَّ بهم من العقوبةِ على أيدي المؤمنين ، مثل الذى أحلَّ بأهلِ الشرك به من قريشٍ على أيديهم بيدِهم ^(٥) .

وأما قوله : ﴿ رَأَى الْعَيْنَ ﴾ . فإنه مصدرُ « رأيتُه » ، يُقالُ : رأيتُه رأياً ورؤيةً ، ورأيتُ فى المنامِ رؤياً حسنةً . غيرَ مُجرَّاةٍ ، يُقالُ : هو منى رأى العينِ ، ورأى العينِ ، بالنصبِ والرفعِ ، يُرادُ به ^(٦) : حيثُ يَقَعُ عليه بَصَرِي ، وهو من الرائي مثله ، والقومُ رِئاءً ^(٧) : إذا جلسوا حيث يَرى بعضهم بعضاً .

فمعنى ذلك : يروَنهم - حيثُ تَلَحَّفهم أبصارُهم وتَراهم عيونُهم - مثلئهم .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [١/٣٩٠ ظ] فى ذلك

لَعِبْرَةَ لِأَوَّلِ الْأَبْصَرِ ﴿ ١٣ ﴾ .

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المسرك » ، وفى م : « المعرك » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « عزم » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « عزم » ، وفى س : « عدد » .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يؤيد » .

(٤) فى ت ١ ، س : « بعدوهم » .

(٥) فى س : « بعدوهم » .

(٦) سقط من : ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧) سقط من : ت ١ ، س ، وفى م : « رأوا » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « رأى » .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ ﴾ : يقوى ، ﴿ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ من قول القائل : قد أيدت فلاناً بكذا . إذا قويته وأعنته ، فأنا أؤيده تأييداً . وفعلت منه : إيدته ، فأنا أئيدته أيدياً . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴾ [ص : ١٧] يعنى : ذا القوة .

وتأويل الكلام : قد كان لكم آية - يا معشر اليهود ، فى فتنة التقتنا ؛ إحداهما ثقايل فى سبيل الله ، وأخرى كافرة ، تراهم المسلمة مثلهم رأى أعينهم ، فأيدنا المسلمة وهم قليل عددهم ، على الكافرة وهم كثير عددهم ، حتى ظفروا بهم - مُعْتَبِرٌ وَمُتَّفَكِّرٌ ^(١) ، وَاللَّهُ يَقْوَىٰ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ .

وقال جل ثناؤه : ﴿ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ ﴾ . يعنى : إن فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم ، من تأييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددها ، على الفئة الكافرة مع كثرة عددها ، ﴿ لَعِبْرَةٌ ﴾ يعنى : لتفكراً ومتعظاً لمن عقل وادكر فأبصر الحق .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ . يقول : لقد كان لهم فى هؤلاء عبرة وتفكر ، أيدهم ^(٢) الله ونصرهم على عدوهم .

/حدثنى المنثى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ١٩٩/٣ مثله ^(٣) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ .

(١) هذا تفسير قوله : « آية » المتقدم فى أول كلامه .

(٢) فى س : « فعزهم » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

يعنى تعالى ذكره: «زَيْنٌ لِلنَّاسِ»^(١) مَحَبَّةٌ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَسَائِرِ مَا عَدَّ .
 وإنما أراد بذلك تَوْيِخَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آثَرُوا الدُّنْيَا وَحُبَّ الرِّيَاسَةِ فِيهَا ، عَلَى اتِّبَاعِ
 مُحَمَّدٍ ﷺ ، بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ .

وكان الحسنُ يقولُ : مَنْ زَيْنَهَا ؟ مَا أَحَدٌ أَشَدَّ لَهَا ذَمًّا مِنْ خَالِقِهَا .

حدَّثني بذلك أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : ثنا أبو الأشهبِ^(٢) عنه^(٣) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عطائٍ ، عن أبي بكرِ بنِ حفصِ بنِ عمرِ
 ابنِ سعيدٍ ، قال : قال عمرٌ : لما نزلت ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ ، قلتُ : الآن يا
 ربِّ حينَ زينتَها لنا . فنزلت : ﴿ قُلْ أَوْيَيْتُكُمْ بِحَيْرٍ مِنْ ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ
 جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ الآية^(٤) .

وأما القناطرُ فإنها جمعُ القنطارِ .

واختلف أهلُ التأويلِ في مَبْلَغِ القنطارِ ؛ فقال بعضهم : هو ألفٌ ومائتا أوقيةٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانٌ ، عن أبي حصينٍ ، عن
 سالمِ بنِ أبي الجعدِ ، عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قال : القنطارُ ألفٌ ومائتا أوقيةٍ^(٦) .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، قال : ثنا أبو حصينٍ ، عن سالمِ

(١ - ١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ومن الناس » .

(٢) في النسخ : « الأشعث » . والمثبت من مصدر التخريج ، وينظر تهذيب الكمال ٢٢/٥ - ٢٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٧/٢ (٣٢٤٩) من طريق أبي نعيم به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) في س : « عن » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٧) من طريق جرير به .

(٦) عزه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى عبد بن حميد .

ابن أبي الجعد ، عن معاذٍ مثله^(١) .

حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : أَخْبَرَنَا ، يعنى حفص بن ميسرة ، عن أبي مَرْوَانَ ، عن أبي طَيْبَةَ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : القِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا أُوقِيَةٍ^(٢) .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا القاسمُ بنُ مالكِ المُرَنْبِيُّ ، قال : أَخْبَرَنِي العلاءُ بنُ المسيبِ ، عن عاصمِ بنِ أبي النَّجُودِ ، قال : القِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا أُوقِيَةٍ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ ، قال : ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن عاصمِ بنِ بَهْدَلَةَ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرةَ مثله^(٤) .

حدَّثني زكريا بنُ يحيى الضَّرِيرُ^(٥) ، قال : ثنا شَبَابَةُ ، قال : ثنا مَحَلْدُ بنُ عبدِ الواحدِ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن عطاءِ بنِ أبي مَيْمُونَةَ ، عن زُرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن أبيِّ بنِ كعبٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القِنْطَارُ أَلْفٌ أُوقِيَةٍ وَمِائَتَا أُوقِيَةٍ »^(٦) .

وقال آخرون : القِنْطَارُ أَلْفٌ دِينَارٍ وَمِائَتَا دِينَارٍ .

٢٠٠/٣

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا يونسُ ، عن الحسنِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا دِينَارٍ »^(٧) .

(١) أخرجه الدارمي ٤٦٨/٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٨/٢ ، ٩٠٦/٣ ، (٣٢٥٤ ، ٥٠٥٥) ، والبيهقي ٢٣٣/٧ ، من طريق أبي بكر بن عياش به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف .

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣٥٢/٢ .

(٤) أخرجه البيهقي ٢٣٣/٧ من طريق حماد بن زيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٥) في النسخ : « الصديق » . وينظر تاريخ بغداد ٤٥٧/٨ ، وتفسير ابن كثير ١٥/٢ .

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٥/٢ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٢ إلى المصنف .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٢ إلى المصنف .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا يونسُ ، عن الحسنِ ، قال : القِنْطَارُ أَلْفٌ ومائتا دينارٍ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : القِنْطَارُ أَلْفٌ ومائتا دينارٍ ، وَمِنَ الْفِضَّةِ أَلْفٌ ومائتا مِثْقَالٍ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ بْنَ مُزَاجِمٍ يَقُولُ : ﴿ وَالْقَنْطِيرِ الْمَقْنَطَرَو ﴾ : يعنى المَالُ الكثير من الذهبِ والفضةِ ، والقِنْطَارُ أَلْفٌ ومائتا دينارٍ ، وَمِنَ الْفِضَّةِ أَلْفٌ ومائتا مِثْقَالٍ ^(٣) .

وقال آخرون : القِنْطَارُ اثنا عشرَ أَلْفَ درهمٍ ، أو أَلْفَ دينارٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنا معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : القِنْطَارُ اثنا عشرَ أَلْفَ درهمٍ ، أو أَلْفَ دينارٍ ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْمُتَنِي ، قَالَ : ثنا عمرو بنُ عَوْنٍ ، قال : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، قال : القِنْطَارُ أَلْفٌ دينارٍ ، وَمِنَ الْوَرِقِ اثنا عشرَ أَلْفَ درهمٍ ^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٩/٢ ، ٩٠٧/٣ ، ٣٢٦٣ ، ٥٠٥٩ ، من طريق يزيد به .

(٢) ذكره البيهقي ٢٣٣/٧ عن عطية العوفي معلقا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف .

(٤) أخرجه البيهقي ٢٣٣/٧ من طريق أبي صالح به .

(٥) ذكره في المحرر الوجيز ٣٥٣/٢ عن الضحاك .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، [٣٩١/١] أن القِنْطَارَ اثنا عشرَ ألفاً^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : أَخْبَرَنَا عَوْفٌ ، عن الحسنِ : القِنْطَارُ اثنا عشرَ ألفاً .
حَدَّثَنَا ابنُ بشارٍ ، قَالَ : ثنا^(٢) عَوْفٌ ، عن الحسنِ : اثنا عشرَ ألفاً .

حَدَّثَنَا ابنُ بشارٍ ، قَالَ : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ بمثله .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عمرو بنُ عَونٍ ، قال : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ ، قال : القِنْطَارُ ألفُ دينارٍ ، دِيَّةُ أَحَدِكُمْ^(٣) .

وقال آخرون : هو ثمانون ألفاً من الدراهم ، أو مائة رطلٍ من الذهب .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَا : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن سليمانَ التَّيْمِيِّ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ ، قال : القِنْطَارُ ثمانون ألفاً^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عمرو بنُ عَونٍ ، قال : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عن عليِّ بنِ زيَدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ ، قال : القِنْطَارُ ثمانون ألفاً^(٤) .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٩/٢ ، ٩٠٧/٣ عقب الأثر (٣٢٦٠ ، ٥٠٦١) معلقاً .

(٢) بعده في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال أخبرنا » . وهنا سقط في هذا الإسناد ، وشيخ ابن بشار في مثل هذا الإسناد إما أن يكون حماد بن مسعدة ، أو ابن أبي عدي ، أو يحيى بن سعيد ، أو هوزة ، أو محمد بن جعفر ، أو عبد الأعلى ، أو عثمان بن عمر . ينظر ١/٥٩ ، ٢٢٦ ، ٤٥٥ ، ٥٢١/٢ ، ٣٠١/٤ ، ٤١٥ ، ٢٦٤/١٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٨/٢ ، ٩٠٦/٣ (٣٢٥٧ ، ٥٠٥٦) من طريق يحيى بن سعيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه الدارمي ٤٦٧/٢ من طريق هشيم ، بلفظ : أربعون ألفاً .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كنا نُحَدِّثُ أن القِنْطَارَ مائةُ رَطْلٍ مِن ذهبٍ ، أو ثمانون ألفًا مِنَ الوَرِقِ ^(١) .

٢٠١/٣ / حَدَّثَنَا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا معمرٌ ، عن قتادةَ ، قال : القِنْطَارُ مائةُ رَطْلٍ مِن ذهبٍ ، أو ثمانون ألفَ درهمٍ مِنَ وَرِقٍ ^(٢) .

حَدَّثَنَا أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن إسماعيلَ ، عن أبي صالحٍ ، قال : القِنْطَارُ مائةُ رَطْلٍ ^(٣) .

حَدَّثَنِي موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : القِنْطَارُ يَكُونُ مائةَ رَطْلٍ ، وهو ثمانيةُ آلافٍ مِثْقَالٍ ^(٤) .

وقال آخرون : القِنْطَارُ سبعون ألفًا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نُجَيْحٍ ، عن مُجاهِدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ وَالْقَنْطِيرِ الْمُنْقَطِرَةِ ﴾ . قال : القِنْطَارُ سبعون ألفَ دينارٍ ^(٥) .

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا أبو حُدَيْفَةَ ، قال : ثنا شَيْبَلٌ ، عن ابنِ أبي نُجَيْحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثله .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٠٨ ، ٣/٩٠٧ ، (٣٢٥٨ ، ٥٠٦٠) من طريق سفيان به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٠٨ ، ٣/٩٠٧ ، عقب الأثر (٣٢٥٨ ، ٥٠٦٠) من طريق عمرو به .

(٥) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٠٩ (٣٢٦٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَمْرُ بْنُ حَوْشَبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَطَاءَ الْخُرَّاسَانِيَّ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَمْرٍَ عَنِ الْقِنْطَارِ ، فَقَالَ : سَبْعُونَ أَلْفًا^(١) .

وقال آخرون : هي مِلَّةٌ مَسْكِ^(٢) تُؤَرِّ ذَهَبًا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا سالمُ بْنُ نُوحٍ ، قَالَ : ثنا سَعِيدُ الْجُرَيْرِيُّ ، عن أبي نَضْرَةَ ، قَالَ : مِلَّةٌ مَسْكِ تُؤَرِّ ذَهَبًا^(٣) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو الْأَشْهَبِ^(٤) ، عن أبي نَضْرَةَ : مِلَّةٌ مَسْكِ تُؤَرِّ ذَهَبًا^(٥) .

وقال آخرون : هو المَالُ الكَثِيرُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي المثنى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الرِّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، قَالَ : القِنَاطِيرُ المَقْنَطَرَةُ المَالُ الكَثِيرُ بَعْضُهُ على بَعْضٍ^(٦) .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٠٩ ، ٣/٩٠٧ (٣٢٦١ ، ٥٠٥٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) المَسْكِ : الجِلْد . اللسان (م س ك) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٠٨ ، ٣/٩٠٦ (٣٢٥٩ ، ٥٠٥٧) ، والبيهقي ٧/٢٣٣ من طريق الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري .

(٤) في النسخ : « الأشعث » . وينظر ما تقدم في ص ٢٥٤ .

(٥) أخرجه الدارمي ٢/٤٦٧ من طريق أبي الأشهب به .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/١١ إلى المصنف .

وقد ذَكَرَ بعضُ أهلِ العِلْمِ بكلامِ العَرَبِ^(١) أن العَرَبَ لا تَحُدُّ القِنْطَارَ بمقدارِ معلومٍ مِنَ الوَزنِ ، ولكنها تقولُ : هو قَدْرُ وِزْنِ^(٢) .

وقد يَبْغِي أن يَكُونَ ذلكَ كذلكَ ؛ لأن ذلكَ لو كان مَحْدودًا قَدْرُهُ عِنْدَها ، لم يَكُنْ بَيْنَ مُتَقَدِّمِي أهلِ التَّأويلِ فِيهِ كُلُّ هذا الاختِلافِ .

فالصوابُ فِي ذلكَ أن يُقالَ : هو المَالُ الكَثِيرُ . كما قال الرِّبيعُ بنُ أنسٍ ، ولا يُحَدُّ قَدْرُ وِزْنِهِ بِحَدِّ عَلي / تَعْتَفِ^(٣) ، وقد قيلَ ما قيلَ مما روَيْنَا . ٢٠٢/٣

وأما المَقنَطَرَةُ فَهِيَ المُضَعَّفَةُ ، وكأن القِنَاطِيرَ ثَلاثَةً ، والمَقنَطَرَةُ سَعَةٌ . وهو كما قال الرِّبيعُ بنُ أنسٍ : المَالُ الكَثِيرُ بَعْضُهُ عَلي بَعْضِ .

كما حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قال : ثنا يَزِيدُ ، قال : ثنا سَعِيدٌ ، عن قَتَادَةَ : ﴿ وَالقِنَطِيرِ الْمَقنَطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ : والمَقنَطَرَةُ : المَالُ الكَثِيرُ بَعْضُهُ عَلي بَعْضِ . حَدَّثْتُ عن الحَسَنِ ، قال : سَمِعْتُ أبا مُعَاذٍ ، قال : أَخْبَرَنَا عُبيدُ بنُ سَليمانَ ، قال : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالقِنَطِيرِ الْمَقنَطَرَةَ ﴾ : يَعْنِي المَالُ الكَثِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ^(٤) .

وقال آخرون : معنَى المَقنَطَرَةُ : المَضْرُوبَةُ دِراهِمَ أو دِنانِيَرِ .

ذَكَرُ مَنْ قالَ ذلكَ

حَدَّثَنَا موسى ، قال : ثنا عَمْرُو ، قال : ثنا أَشباطُ ، عن السَّديِّ : أما قَوْلُهُ :

(١) يعنى أبا عبيدة فى مجاز القرآن ٨٨ / ١ .

(٢) فى م : « ووزن » .

(٣) كذا فى النسخ ، ولعلها : « تعسف » .

(٤) تقدم فى ص ٢٥٦ .

﴿ الْمَفْطَرَةَ ﴾ فيقول: المَضْرُوبَةُ حتى صارت ذنانيرٍ أو دراهمٍ^(١) .

وقد روى عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠] ،
خبرٌ لو صحَّ سنده لم نَعُدْهُ إلى غيره ، وذلك ما حدَّثنا به ابنُ عبدِ الرحيم^(٢) البرقي ،
قال : ثنا عمرو بنُ أبي سلمة ، قال : ثنا زهيرُ بنُ محمدٍ ، قال : ثنا أبانُ بنُ أبي
عَيَّاشٍ وحَمِيدُ الطويلُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿وَأَتَيْتُمْ
إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا﴾ . قال : « ألفا مِئِينَ^(٣) » . يعنى ألفين^(٤) .

القول في تأويل قوله: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ .

اختلف أهل التأويل في معنى: ﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾ ؛ فقال بعضهم : هي الرَّاعِيَةُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ وَكَيْعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن سفيانَ ، عن حبيبِ بنِ أبي ثابتٍ ، عن
سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ : ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ . قال : الرَّاعِيَةُ التي تَرَعَى^(٥) .
حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : [٣٩١/١] ثنا سفيانُ ، عن
حبيبٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ مثله .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٩/٢ (٣٢٦٥) من طريق عمرو به .

(٢) (٢ - ٢) في النسخ : « عبد الرحمن » . والمثبت كما تقدم في ٦٣/١ ، وتفسير ابن أبي حاتم .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ومين » ، وفي الموضع الأول من تفسير ابن أبي حاتم : « ألف دينار » ، وفي الموضع الثاني : « ألفا دينار » ، وفي المستدرک : « ألفا أوقية » . وفي الدر المنثور : « ومائتين » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٨/٢ ، ٩٠٦/٣ ، ٣٢٥٦ ، ٥٠٥٣ عن أحمد بن عبد الرحيم به ،
والحاكم ١٧٨/٢ من طريق عمرو بن أبي سلمة به .

(٥) تفسير سفيان ص ٧٥ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٠/٢ (٣٢٦٩) من طريق وكيع وأبي

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ حَبِيبٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ : هِيَ الرَّاعِيَةُ ، يَعْنِي السَّائِمَةَ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ طَلْحَةَ الْقَتَادِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِيزَى يَقُولُ : الرَّاعِيَةُ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾^(٣) . قَالَ : الرَّاعِيَةُ^(٤) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ الْحَسَنِ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ : الْمُسَرَّحَةُ فِي الرَّعْيِ .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَوْلُهُ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ . قَالَ : الْخَيْلُ الرَّاعِيَةُ^(٤) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : الْخَيْلُ الرَّاعِيَةُ .

وَقَالَ آخَرُونَ : الْمُسَوَّمَةُ الْحِيسَانُ .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١١٧ .

(٢) بنظر تعليق التعليق ٤/١٨٨ ، وذكره ابن حاتم في تفسيره ٢/٦٠١ عقب الأثر (٣٢٦٩) عن عبد الله

ابن عبد الرحمن بن أبيزى معلقا .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢/١٦٦ عن المصنف . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٢/١١١ إلى المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦١٠ عقب الأثر (٣٢٦٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ حَبِيبٍ ، قَالَ : قَالَ مُجَاهِدٌ : الْمُسَوْمَةُ الْمُطَهَّمَةُ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوْمَةِ ﴾ . قَالَ : الْمُطَهَّمَةُ الْحِسَانُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوْمَةِ ﴾ . قَالَ : الْمُطَهَّمَةُ حُسْنًا ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا سَيْبٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ حَبِيبٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : الْمُطَهَّمَةُ ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِيُّ ، قَالَ : ثنا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو الْخَوْلَانِيِّ ، قَالَ : سَأَلْتُ عِكْرَمَةَ عَنْ ﴿ وَالْخَيْلِ

(١) المطهم من الناس والخيل: الحسن التام ، كل شيء منه على حدته ، فهو بارع الجمال . اللسان (ط ه م) .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١١٧ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ . ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٠/٢ (٣٢٧٠) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٠/٢ (٣٢٧١) من طريق أبي نعيم ووكيع به .

(٥) في النسخ : « بشر » . والصواب ما أثبتنا ، وينظر تهذيب الكمال ٤/١٧١ .

الْمُسَوِّمَةِ ﴿١﴾ . قال : تَسْوِيْمُهَا حُسْنُهَا ^(١) .

حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ ، عن بَشِيرٍ ^(٢) بنِ أَبِي عَمْرٍو الخَوْلَانِيِّ ، قال : سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ يَقُولُ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ ﴾ . قال : تَسْوِيْمُهَا الْحُسْنُ .

حدَّثني موسى بْنُ هَارُونَ ، قال : ثنا عَمْرُو ، قال : ثنا أَشْبَاهُ ، عن السدِّيِّ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ ﴾ : الرَّائِعَةُ .

وقد حدَّثني بهذا الحديث عن عمرو بنِ حمادٍ غيرِ موسى ، قال : الرَّاعِيَةُ ^(٣) . وقال آخرون : الخيلُ المسوِّمةُ : المُعْلَمَةُ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني عليُّ بْنُ دَاوُدَ ، قال : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليِّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ ﴾ ، يعنى : المُعْلَمَةُ ^(٤) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ ﴾ ، وسيمها شيتها .

حدَّثنا الحسنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ في قوله : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ ﴾ . قال : شِيَةُ الْخَيْلِ فِي وُجُوْهِهَا ^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف ، وعبد بن حميد .

(٢) في النسخ : « بشر » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٠/٢ عقب الأثر (٣٢٦٩) من طريق عمرو به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١١٧/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١١/٢ (٣٢٧٢) عن الحسن بن يحيى به .

وقال غيرهم : المسومة المعدة للجهاد .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ . قال : المعدة للجهاد .

قال أبو جعفر : أولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ المعلقة بالشيء الحسن الرائعة حسناً من رآها ؛ لأن التسويم في كلام العرب هو الإعلام ، فالخيل الحسان معلمة بإعلام الله إياها بالحسن من ألوانها وشيئاتها وهيئاتها ، وهي المطهمة أيضاً . ومن ذلك قول نابغة بنى دؤبان في صفة الخيل ^(١) :

^(٢) وضفير ^(٣) كالفداح ^(٤) مسومات عليها معشر أشباه جن
يعنى بالمسومات : الملمات . وقول لبيد ^(٥) :

وعداة قاع القرننتين ^(٦) أتيتهم ^(٧) زجلاً يلوخ خلالها التسويم
فمعنى تأويل من تأول ذلك المطهمة ، والمعلمة ، والرائعة ، واحد .

(١) ديوانه ص ١٢٨ .

(٢ - ٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بسمر » ، وفي س : « شيم » . والمثبت من الديوان .

(٣) الفداح ، جمع فذح : السهم قبل أن يراش وينصل . القاموس المحيط (ق د ح) .

(٤) شرح ديوان لبيد ص ١٣٣ .

(٥) قال في شرح الديوان : القرنتين موضع . وقال ياقوت : يوم القرنين كانت فيه وقعة لغطفان على بنى

عامر . معجم البلدان ٧٠ / ٤ . ولكن لبيدا يفخر به ، فلعله كان لبني عامر .

(٦) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « أتيتهم » ، وفي رواية الديوان : « أتتهم » .

(٧) في الديوان : « زهوا » . وزجلاً : جماعات . اللسان (ز ج ل) .

وأما قول مَنْ تَأَوَّلَهُ بِمَعْنَى الرَّاعِيَّةِ ، فَإِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ : أَسَمْتُ الْمَاشِيَةَ ، فَأَنَا أُسَيِّمُهَا إِسَامَةً . إِذَا أُرْعِيَتْهَا الْكَلَاءُ وَالْعُشْبُ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَ مِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل : ١٠] . بِمَعْنَى تَرْعُونَ . وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَخْطَلِ ^(١) :
 مِثْلُ «ابن بَزْعَةَ» ^(٢) أَوْ كَأَخْرَ مِثْلِهِ أَوْلَى لَكَ ^(٣) ابْنِ مُسَيِّمَةِ الْأَجْمَالِ
 يَعْنِي بِذَلِكَ : رَاعِيَةَ الْأَجْمَالِ .

فَإِذَا أُرِيدَ أَنْ الْمَاشِيَةَ هِيَ الَّتِي رَعَتْ ، قِيلَ : سَامَتِ الْمَاشِيَةَ تُسَوِّمُ سَوِّمًا . وَلِذَلِكَ قِيلَ : إِبْلٌ سَائِمَةٌ . بِمَعْنَى : رَاعِيَّةٌ ، «غَيْرَ أَنَّهُ غَيْرٌ» مُسْتَفْضِيضٌ فِي كَلَامِهِمْ : سَوِّمْتُ الْمَاشِيَةَ . بِمَعْنَى : أُرْعَيْتُهَا ، وَإِنَّمَا يُقَالُ إِذَا أُرِيدَ ذَلِكَ : أَسَمْتُهَا . فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَتَوْجِيهِ تَأْوِيلِ الْمَسْوُومَةِ إِلَى أَنَّهَا الْمُعْلَمَةُ بِمَا وَصَفْنَا مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا أَصَحُّ .
 وَأَمَّا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ مِنْ أَنَّهَا الْمُعَدَّةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَتَأْوِيلٌ مِنْ مَعْنَى الْمَسْوُومَةِ [٣٩٢/١] بِمَعْرِزِلٍ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ .

٢٠٥/٣ / فالأنعام جمع نعم ، وهي الأزواج الثمانية التي ذكرها في كتابه ^(٥) ، من الضأن والمعز والبقر والإبل . وأما الحرث فهو الزرع .
 وتأويل الكلام : زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَمِنَ الْبَنِينَ ، وَمِنَ كَذَا

(١) شرح ديوانه ص ٢٤٩ .

(٢ - ٢) في ص ، ت ، ٢ ، ت ٣ : «ابن برعة» ، وفي س : «أبي برعة» .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤ - ٤) سقط من : ت ٢ ، ت ٣ ، س ، وفي م ، ت ١ : «أنه» .

(٥) يشير إلى الآيات ١٤٢ - ١٤٤ من سورة «الأنعام» .

و^(١) كذا ، ومن الأنعام والحزب .

القول في تأويل قوله : ﴿ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْرُ الْمَعَابِ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ جميع ما ذَكَر في هذه الآية من النساء والبنين ، والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة ، والأنعام والحزب ، فكنتى بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ عن جميعهن ، وهذا يدل على أن « ذلك » يشتمل على الأشياء الكثيرة المختلفة المعانى ، ويكنى به عن جميع ذلك .

وأما قوله : ﴿ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . فإنه خبر من الله عن أن ذلك كله مما يشتمتع به فى الدنيا أهلها أحياء ، فيتبلمعون به فيها ، ويجعلونه وُضلة^(٢) فى معاشهم ، وسبباً لقضاء شهواتهم ، التى زين لهم حُبها^(٣) فى عاجل دنياهم ، دون أن يكون عُدة لمعادهم ، وقربة لهم إلى ربهم ، إلا ما أسلك فى سبيله ، وأنفق منه فيما أمر به .

وأما قوله : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْرُ الْمَعَابِ ﴾ . فإنه يعنى بذلك جل ثناؤه : وعند الله حُسْرُ الْمَاءِ ، يعنى : حُسْرُ الْمَرْجِعِ .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدى : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْرُ الْمَعَابِ ﴾ . يقول : حُسْرُ الْمُتَقَلِّبِ ، وهى الجنة^(٤) .

وهو مصدر على مثال مَفْعَلٍ ، من قول القائل : أب الرجل إلينا ، إذا رجع ، فهو يثوب إياباً وأوبه وأيبةً ومآباً . غير أن موضع الفاء منها مهموز ، والعين مُبدلة من الواو

(١) بعده فى م ، ت ، ا ، س : « من » .

(٢) الوُضلة : الذريعة . اللسان (و ص ل) .

(٣) فى ص ، ت ، ا ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « حملها » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٢/٢ (٣٢٧٨) من طريق عمرو بن حماد به .

إلى ^(١) الألفِ بحركتها ^(٢) إلى الفتحِ ، فلما كان حظُّها الحركةَ إلى الفتحِ ، وكانت حركتها منقولةً إلى الحرفِ الذي قبلها - وهو فاءُ الفعلِ - انقلبتِ فصارت ألقاً ، كما قيل : قال . فصارت عينُ الفعلِ ألقاً ؛ لأنَّ حظُّها الفتحُ . والمآبُ مثلُ المَقَالِ والمعادِ والمحالِ ، كلُّ ذلك مَفْعَلٌ ، منقولةٌ حركةٌ عينه إلى فائه ، فمُصَيَّرَةٌ ^(٣) واؤه أو يائه ألقاً ؛ لفتحة ما قبلها .

فإن قال قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ وقد علمت ما عنده يومئذٍ من أليم العذابِ وشديد العقابِ ؟

قيل : إن ذلك معنيٌّ به خاصٌّ من الناسِ ، ومعنى ^(٤) ذلك : واللَّهُ عنده حسنُ المآبِ للذين اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ، وقد أنبأنا عن ذلك في هذه الآية التي تليها .

فإن قال : وما حسنُ المآبِ ؟ قيل : هو ^(٥) ما وصفه به جل ثناؤه ، وهو المَرْجِعُ إلى جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ ، مُخَلَّدًا فيها ، وإلى أزواجٍ مُطَهَّرَةٍ ، ورضوانٍ من اللّهِ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ قُلْ أُوْنَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه : قل يا محمد للناس الذين زُيِّن لهم حبُّ الشهواتِ من النساءِ

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « التي » .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « تحركها » .

(٣) في م : « فتصير » ، وفي س : « فصيرت » .

(٤) في ت ، ١ ، س : « يعنى » ، وفي ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يبقى » ، وغير منقوطة في ص .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « و » .

والبنين ، وسائر ما ذكر ربنا / جل ثناؤه : ﴿ أُوْنَيْتُكُمْ ﴾ : أأخبركم وأعلمكم ، ٢٠٦/٢
 ﴿ يَخَيْرُ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ﴾ : يعني : بخير وأفضل لكم ، ﴿ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ﴾ : يعني : مما زين
 لكم في الدنيا حُبَّ شهوته من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة ،
 وأنواع الأموال ، التي هي متاع الدنيا .

ثم اختلف أهل العربية في الموضع الذي تنهى إليه الاستفهام من هذا الكلام ؛
 فقال بعضهم : تنهى ذلك عند قوله : ﴿ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ﴾ ثم ابتداء الخبر عما للذين
 اتقوا عند ربهم ، فقيل : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ فلذلك رفع الجنات .

ومن قال هذا القول لم يُجز في قوله : ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ إلا
 الرفع ، وذلك أنه خبر مبتدأ ، غير مردود على قوله : ﴿ يَخَيْرُ ﴾ . فيكون الحفض فيه
 جائزاً . وهو وإن كان خبراً مبتدأ عندهم ، ففيه إبانة عن معنى « الخير » الذي أمر الله
 عز وجل نبيه ﷺ أن يقول للناس : أُوْنَيْتُكُمْ به . و« الجنات » على هذا القول مرفوعة
 باللام التي في قوله : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .

وقال آخرون منهم بنحو من هذا القول ، إلا أنهم قالوا : إن جعلت اللام التي
 في قوله : ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ من صلة الإنباء ، جاز في « الجنات » الحفض والرفع ؛ الحفض
 على الرد على « الخير » ، والرفع على أن يكون قوله : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ خبر مبتدأ .
 على ما قد بيناه قبل .

وقال آخرون : بل منتهى الاستفهام قوله : ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ثم ابتداء :
 ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ . وقالوا : تأويل الكلام : ﴿ قُلْ أُوْنَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ
 مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . ثم كأنه قيل : ماذا لهم ؟ أو ماذا ؟ أو على أنه
 يقال : ماذا لهم ؟ أو ماذا ؟ فقال : هو ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ الآية .

وأولى هذه الأقوالِ عندى بالصوابِ قولُ مَنْ جعل الاستفهامَ مُتَناهياً عندَ قوله : ﴿ يَخِيْرُ مِنْ ذَٰلِكُمْ ﴾ . والخبرُ بعده مبتدأُ عمَّن له الجناتُ بقوله : ﴿ لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ ﴾ . فيكونُ مَخْرُجُ ذلكَ مَخْرُجَ الخبرِ ، وهو إبانةٌ عن معنى « الخير » الذى قال : أُوْتِبْتُكُمْ ^(١) به ؟ فلا يكونُ بالكلامِ حينئذٍ حاجةً إلى ضمير .

قال [٣٩٢/١] أبو جعفرٍ محمدُ بنُ جريرِ الطبريُّ : وأما قوله : ﴿ خَلِيْدِيْنَ فِيْهَا ﴾ . فمنصوبٌ على القطع .

ومعنى قوله : ﴿ لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا ﴾ : للذين خافوا اللهَ فأطاعوه ، بأداءِ فرائضه ، واجْتِنَابِ معاصيه ، ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ يعنى بذلك : لهم جناتٌ تجرى من تحتها الأنهارُ عندَ ربِّهم .

والجناتُ البساتينُ ، وقد بيَّنَّا ذلكَ بالشواهدِ فيما مضى ، وأن قوله : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ . يعنى به : من تحتِ الأشجارِ . وأن الخلودَ فيها دَوامُ البقاءِ فيها ، وأن الأزواجَ المُطَهَّرَةَ هن نساءُ الجنةِ اللواتى طُهِّرْنَ من كلِّ أذى يكونُ بنساءِ أهلِ الدنيا ، من الحيضِ والمنى والبولِ والتفاسِ ، وما أشبهَ ذلكَ من الأذى ، بما أغتنى عن إعادته فى هذا الموضع ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . يعنى : ورضا الله . وهو مصدرٌ من قولِ القائلِ : رضى الله عن فلانٍ ، فهو يَرْضَى عنه رِضًا ، منقوصٌ ، وِرْضَوانًا وِرْضَوانًا ومرْضاةً . فأما الرِّضْوانُ بضمِّ الراءِ فهو لغةٌ قيسٍ ، وبه كان عاصمٌ يَقْرَأُ ^(٣) .

(١) فى ص ، م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « أنبئكم » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٤٠٦/١ - ٤٠٨ ، ٤١٩ - ٤٢٢ .

(٣) فى رواية أبى بكر عنه ، وروى حفص عنه بالكسر كقراءة الباقيين . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٢ .

وإنما ذكر الله جل ثناؤه فيما ذكر للذين اتَّقَوْا عنده من الخيرِ رضوانه ؛ لأن
رضوانه أعلى منازلِ كرامةِ أهلِ الجنةِ .

/ كما حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الرُّبَيْرِيُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن
٢٠٧/٣ محمدِ بنِ المنكدرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، قال : إذا دَخَلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ ، قال اللهُ
تبارك وتعالى : أَعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا ؟ فيقولون : أَى رَبَّنَا ، أَى شَىْءٍ أَفْضَلُ مِنْ
هَذَا ؟ قال : رِضْوَانِي ^(١) .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ بِالْعِبَادِ ﴾ . يعنى بذلك : واللَّهُ ذو بصيرٍ بالذى
يَتَّقِيهِ مِنْ عِبَادِهِ ، فَيَخَافُهُ فَيُطِيعُهُ ، وَيُؤْتِيهِ مَا عِنْدَهُ ، مِمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ أَعَدَّهُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْهُ عَلَى
حُبِّ مَا زُيِّنَ لَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَسَائِرِ مَا عَدَّدَ مِنْهَا تَعَالَى
ذِكْرَهُ ، وَبِالَّذِي لَا يَتَّقِيهِ فَيَخَافُهُ ، وَلَكِنَّهُ يَعْصِيهِ وَيُطِيعُ الشَّيْطَانَ ، وَيُؤْتِيهِ مَا زُيِّنَ لَهُ فِي
الدُّنْيَا مِنْ حُبِّ شَهْوَةِ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْأَمْوَالِ ، عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمِ ، عَالِمٌ
تَعَالَى ذِكْرَهُ بِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ، حَتَّى يُجَازِيَ كُلَّهُمْ عِنْدَ مَعَادِهِمْ إِلَيْهِ جَزَاءَهُمْ ؛ الْحَسَنَ
بِإِحْسَانِهِ ، وَالْمَسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ^(١١) .

ومعنى ذلك : قل هل أنبئكم بخيرٍ من ذلكم ؟ للذين اتَّقَوْا يقولون : ﴿ رَبَّنَا
إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .

وقد يَحْتَمِلُ ^(٢) ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ وجهين من الإعرابِ ؛ الخفضُ على الرَّدِّ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦١٣/٢ (٣٢٨٧) من طريق سفيان به بنحوه ، ومن طريقه مرفوعاً أخرجه

ابن حبان (٢٦٤٧ - موارد) ، والحاكم ٨٢/١ ، ٨٣ بنحوه .

(٢) بعده فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « المعنى كذلك » .

على «الذين» الأولى ، والرفع على الابتداء ، إذ كان في مبتدأ آية أخرى غير التي فيها «الذين» الأولى ، فيكون^(١) رفعها نظير قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ [التوبة : ١١١] . ثم قال في مبتدأ الآية التي بعدها : ﴿التَّائِبِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [التوبة : ١١٢] . ولو كان جاء ذلك مخفوضاً كان جائزاً .

ومعنى قوله : ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا﴾ : الذين يقولون : إننا صدقنا بك وبنبيك ، وما جاء به من عندك ، ﴿فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ يقول : فاستر علينا ذنوبنا^(٢) بعفوك عنها ، وتركك عقوبتنا عليها ، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ : اذفع عنا عذابك إيانا بالنار أن نُعَذَّبَ بها . وإنما معنى ذلك : لا تُعَذِّبْنَا يَا رَبَّنَا بالنار . وإنما حُصِّوا المسألة بأن يقيهم عذاب النار ؛ لأن من زُحِرَ يومئذٍ عن النار ، فقد فاز بالنجاة من عذاب النار^(٣) ، وحسن مأثبه .

وأصل قوله : ﴿وَقِنَا﴾ . من قول القائل : وقى الله فلاناً كذا ، يُراد به : دفع عنه ، فهو يقيه . فإذا سأل بذلك سائل قال : قيني كذا .

القول في تأويل قوله : ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ﴾ .

يعنى بقوله : ﴿الصَّابِرِينَ﴾ : الذين صبروا في البأساء والضراء وحين البأس .

ويعنى بـ ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ : الذين صدقوا الله في قولهم بتحقيقهم الإقرار به

وبرسوله ، وما جاء به من عنده ، بالعمل بما أمره به ، والانتهاى عما نهاه عنه .

ويعنى بـ ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ : المطيعين له . وقد أتينا على الإبانة عن كل هذه

(١) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « في » .

(٢) سقط من : م .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « الله » .

الحروف ومعانيها بالشواهد على صحة ما قلنا فيها ، وبالإخبارِ عمن قال فيها قولاً ، فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ^(١) .

وقد كان قتادة يقول في ذلك بما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُسْتَقِيمِينَ ﴾ : « الصادقين » : قوم صدقت أقوالهم ^(٢) ، واستقامت قلوبهم وألسنتهم ، وصدقوا في السر والعلانية ، و« الصابرين » : قوم ^(٣) صبروا على طاعة الله ، وصبروا عن محاربه ، والقائتون : هم المطيعون لله ^(٤) .

وأما المنفقون : فهم المؤتون زكوات ^(٥) أموالهم ، وواضعوها على ما أمرهم الله بإياتها ^(٦) ، والمنفقون أموالهم في الوجوه التي أذن الله لهم جل ثناؤه بإنفاقها فيها .

وأما ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ ﴾ وسائر هذه الحروف ، فمخفوض رداً على قوله : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا ﴾ . والخفض في هذه الحروف يدل على أن قوله : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ . خفض رداً على قوله : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَالْمُسْتَقِيمِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في القوم الذين هذه الصفة صفتهم ؛ فقال بعضهم : هم المصلون بالأسحار .

(١) ينظر ما تقدم في ٤٦١/٢ ، ٣٧٥/٤ وما بعدهما .

(٢) في س : « أقوالهم » .

(٣) في ص ، ت : « يوم » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٤/٢ ، ٣٢٩٢ ، ٣٢٩٤ من طريق يزيد به دون آخره ، وعلق آخره

في ٦١٥/٢ عقب الأثر (٣٢٩٧) .

(٥) في س : « زكاة » .

(٦) في م : « إياتها » .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادة : ﴿ وَالْمُسْتَفْزِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ : [٣٩٣/١] هم أهل الصلاة^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ : ثنا إسحاقُ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن قتادة : ﴿ وَالْمُسْتَفْزِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ . قال : يُصَلُّونَ بِالْأَسْحَارِ^(٢) .
وقال آخرون : هم المُسْتَعْفِرُونَ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ : ثنا أبي، عن حُرَيْثِ بْنِ أَبِي مَطْرٍ، عن إبراهيم بن حاطبٍ، عن أبيه، قال : سَمِعْتُ رَجُلًا فِي السَّحَرِ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَقُولُ : رَبِّ أَمْرَتَنِي فَأَطَعْتُكَ، وَهَذَا سَحَرٌ فَاغْفِرْ لِي . فَظَنَرْتُ فَإِذَا ابْنُ مَسْعُودٍ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ : ثنا إسحاقُ، قال : ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، قال : سألتُ عبدَ الرحمنِ بنَ يزيدَ بنَ جابرٍ عن قولِ اللَّهِ عز وجل : ﴿ وَالْمُسْتَفْزِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ . قال : حَدَّثَنِي سَلِيمَانُ بْنُ مُوسَى، قَالَ : ثنا نافعٌ، أن ابنَ عمرَ كان يُحْيِي اللَّيْلَ صَلَاةً، ثُمَّ يَقُولُ : يَا نَافِعُ أَسْحَرْنَا؟ فَيَقُولُ : لَا . فَيُعَاوِدُ الصَّلَاةَ، فَإِذَا قَلْتُ : نَعَمْ . فَقَعْدَ يَسْتَعْفِرُ وَيَدْعُو حَتَّى يُضْبِحَ^(٤) .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٥/٢ عقب الأثر (٣٣٠٠) معلقًا .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٨/٢ عن المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٦/٢ (٣٣٠٢) ، وابن عساكر ٤٨/٣٧ من طريق الوليد بن مسلم به .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن بعضِ البَصْرِيِّينَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال :
أَمَرْنَا أَنْ نَسْتَغْفِرَ بِالْأَسْحَارِ سَبْعِينَ اسْتِغْفَارَةً^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا زَيْدُ بنُ الْحَبَابِ ، قَالَ : ثنا أَبُو يَعْقُوبَ
الضَّبِّيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : مَنْ صَلَّى مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ فِي
آخِرِ اللَّيْلِ سَبْعِينَ مَرَّةً ، كُتِبَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ^(٢) .
وقال آخرون : هم الذين يَشْهَدُونَ الصَّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْمَاعِيلُ بنُ مَسْلَمَةَ أَخُو الْقَعْنَبِيِّ ، قَالَ : ثنا يَعْقُوبُ بنُ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : قُلْتُ لَزَيْدِ بنِ أَسْلَمَ : مَنْ ﴿الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ ؟ قَالَ : هم
الذين يَشْهَدُونَ الصَّبْحَ^(٣) .

وأولى هذه الأقوال بتأويل قوله : ﴿الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ قول من قال : هم
السائلون ربهم أن يشتر عليهم فضيحتهم بها ؛ ﴿بِالْأَسْحَارِ﴾ وهي جمع سحر .
وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء . وقد يحتمل أن يكون معناه
تعريضهم لمغفرته بالعمل والصلاة ، غير أن أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء .

القول في تأويل قوله : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ
قَابِئًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

(١) عزاه ابن كثير في تفسيره ١٨/٢ إلى ابن مردويه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ ، ١٢ إلى المصنف
وابن مردويه ، بلفظ : أمرنا رسول الله ﷺ به . وينظر مختصر قيام الليل ص ٣٨ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٥/٢ (٣٣٠١) من طريق إسماعيل بن مسلمة به ، وأخرجه ابن أبي
شيبه ٤٩٨/١٣ من طريق عقبة بن أبي يزيد القرشي ، عن زيد بن أسلم .

يعنى بذلك جل ثناؤه : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وشهدت الملائكة ، وأولو العلم .

فالملائكة معطوف بهم على اسم الله ، و ﴿ أَنَّهُ ﴾ مفتوحة ب ﴿ شَهِدَ ﴾ .
وكان بعض البصريين ^(١) يتأول قوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ : قضى الله ، ويرفع الملائكة بمعنى : والملائكة شهود وأولو العلم .

وهكذا قرأت قراءة أهل الإسلام بفتح الألف من ﴿ أَنَّهُ ﴾ على ما ذكرت من إعمال ﴿ شَهِدَ ﴾ فى ﴿ أَنَّهُ ﴾ الأولى ، وكسر الألف من ﴿ إِنَّ ﴾ الثانية وابتدائها . سوى أن بعض المتأخرين من أهل العربية كان يقرأ ذلك جميعاً بفتح ألفيهما ^(٢) ، بمعنى : شهد الله أنه لا إله إلا هو وأن الدين عند الله الإسلام . فعطف بـ « أن الدين » على ﴿ أَنَّهُ ﴾ الأولى ، ثم حذف واو العطف وهى مرادة فى الكلام . واحتج فى ذلك بأن ابن عباس قرأ ذلك : (شهد الله إنه لا إله إلا هو) الآية . ثم قال : (أن الدين) . بكسر « إن » الأولى ، وفتح « أن » الثانية بإعمال ﴿ شَهِدَ ﴾ فيها ، وجعل « إن » الأولى اعتراضاً فى الكلام ، غير عامل فيها ﴿ شَهِدَ ﴾ ، وأن ابن مسعود قرأ : (شهد الله أن ^(٣) لا إله إلا هو) بفتح « أن » ، وكسر « إن » من : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَآلِهِمْ كَسَبُوا الصَّالِحَاتِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ . فزعم أنه أراد بقراءته إياهما بالفتح جمع قراءة ابن عباس وابن مسعود . فخالف بقراءته ما قرأ من ذلك على ما وصفت ، جميع قراءة أهل الإسلام المتقدمين

(١) يعنى أبا عبيدة فى مجاز القرآن ١/ ٨٩ . وسيرد المصنف قوله فيما بعد .

(٢) هو الكسائى ، ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٣) فى م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « أنه » . وينظر البحر المحيط ٢/ ٤٠٣ . وعز السيوطى فى الدر المنثور ١٢/ ٢ هذه القراءة إلى أبى بكر بن أبى داود فى المصاحف ، وفى المصاحف ص ٥٩ : « أنه » . خطأ .

منهم والمتأخرين ، بدَعَوَى تأويل على ابن عباس وابن مسعود ، زعم أنهما قالاه وقرأ به ، وغيرُ معلوم ما ادَّعى عليهما بروايةٍ صحيحةٍ ولا سقيمةٍ . وكفى شاهداً على خطأ قراءة^(١) خروجهَا مِنْ قِرَاءَةٍ^(٢) أهلِ الإسلامِ . فالصوابُ إذ كان الأمرُ على ما وصَفْنَا مِنْ قِرَاءَةٍ ذَلِكَ ، فَتَحِ الْأَلْفِ مِنْ «أَنَّهُ» الْأُولَى ، وَكَسْرُ الْأَلْفِ مِنْ «إِنْ» الثَّانِيَةِ ، أَغْنَى مِنْ قَوْلِهِ : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ . ابتداءً .

وقد رُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ قَوْلٌ كَالدَّالِّ عَلَى تَصْحِيحِ مَا قَرَأَ بِهِ فِي ذَلِكَ مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ ، فِي فَتْحِ أَنْ مِنْ قَوْلِهِ : (أَنْ الدِّينَ) . وَهُوَ مَا حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عمرو ، قَالَ : ثنا أسباط ، عَنِ السُّدِّيِّ : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَمَلَ تِكَّةً﴾ إِلَى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ : فَإِنَّ اللَّهَ /يَشْهَدُ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْعُلَمَاءُ مِنَ النَّاسِ أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ^(٣) .

٢١٠/٣

فهذا التأويلُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّهَادَةَ إِنَّمَا هِيَ عَامِلَةٌ فِي «أَنْ» الثَّانِيَةِ ، الَّتِي فِي قَوْلِهِ : (أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) . فَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ جَائِزٌ فِي «أَنْ»^(٤) الْأُولَى وَجِهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ ؛ أَحَدُهُمَا : أَنَّ تَكُونَ الْأُولَى مَنْصُوبَةً عَلَى وَجْهِ الشَّرْطِ ، بِمَعْنَى : شَهِدَ اللَّهُ بِأَنَّهُ وَاحِدٌ . فَتَكُونَ مَفْتُوحَةً بِمَعْنَى الْخَفْضِ فِي مَذْهَبِ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَبِمَعْنَى النِّصْبِ فِي مَذْهَبِ بَعْضِهِمْ ، وَالشَّهَادَةُ عَامِلَةٌ فِي «أَنْ» الثَّانِيَةِ ، كَأَنَّكَ قُلْتَ : شَهِدَ اللَّهُ أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ؛ لِأَنَّهُ وَاحِدٌ . ثُمَّ تَقَدَّمَ «لِأَنَّهُ وَاحِدٌ» ، فَتَفْتَحُهَا عَلَى ذَلِكَ التَّأْوِيلِ .

(١) فِي م : «قِرَاءَتِهِ» .

(٢) فِي م : «قِرَاءَةٍ» .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦١٦/٢ ، ٦١٧ (٣٣٠٤ ، ٣٣٠٨) مِنْ طَرِيقِ عَمْرٍو بِهِ .

(٤) كَتَبَ فَوْقَهَا فِي ص : «فِي» ، وَفِي ت ٢ ، س : «أَنْ فِي» .

والوجه الثاني : أن تكون « إن » الأولى مكسورة بمعنى الابتداء ؛ لأنها مُعْتَرِضٌ بها ، والشهادة واقعة على « أن » الثانية . فيكون [٣٩٣/١] معنى الكلام : شهد الله - فإنه لا إله إلا هو - والملائكة أن الدين عند الله الإسلام . كقول القائل : أشهد - فإنى مُحِقٌّ - أنك مما تُعَابُ به بَرِيءٌ . ف « إن » الأولى مكسورة ؛ لأنها مُعْتَرِضَةٌ ، والشهادة واقعة على « أن » الثانية .

وأما قوله : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ . فإنه بمعنى أنه الذي يلي العدل بين خلقه . والقِسْطُ هو العدل ، من قولهم : هو مُقْسِطٌ ، وقد أَقْسَطَ ، إذا عدل . ونُصِبَ ﴿ قَائِمًا ﴾ على القطع .

وكان بعض نحوي أهل البصرة يزعم أنه حال من « هو » التي في : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

وكان بعض نحوي الكوفة يزعم أنه حال من اسم « الله » الذي مع قوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ فكان معناه : شهد الله القائم^(١) بالقسط أنه لا إله إلا هو . وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود كذلك : (وأولو العلم القائم بالقسط) ثم حذفت الألف واللام من القائم^(٢) ، فصار نكرة ، وهو نعت لمعرفة فنصب .

وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي قول من جعله قطعاً على أنه من نعت الله جل ثناؤه ؛ لأن الملائكة وأولى العلم معطوفون عليه ، فكذلك الصحيح أن يكون قوله : ﴿ قَائِمًا ﴾ حالاً منه .

وأما تأويل قوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فإنه نفى أن يكون

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « العالم » .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١ / ٢٠٠ .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « القسط » .

شَيْءٌ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرَ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ .

ويعنى بـ « العزيز » : الذى لا يَمْتَنِعُ عليه شىءٌ أرادَه ، ولا يَنْتَصِرُ منه أحدٌ عاقِبَه أو انتَقَمَ منه ، « الحكيم » فى تدبيره ، فلا يَدْخُلُه خلَلٌ .

وإنما عَنَى جل ثناؤه بهذه الآية نَفَى ما أضافت النصارى الذين حاجوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فى عيسى مِنَ البُنُوَّةِ ، وما نَسَبَ إليه سائرُ أهلِ الشركِ مِنْ أنْ له شَرِيكًا ، واتخاذهم دونَه أربابًا ، فأخْبِرهم اللَّهُ عن نفسه ، أنه الخالقُ كُلِّ ما سواه ، وأنه ربُّ كُلِّ ما اتَّخَذَه كُلُّ كافرٍ وكلُّ مشرِكٍ ربًّا دونَه ، وأن ذلك مما يَشْهَدُ به هو وملائكته وأهلُ العلمِ به مِنْ خلقه ، فبدأ جل ثناؤه بنفسِه تَعْظِيمًا لنفسِه ، وتزْيِيفًا لها عما نَسَبَ الذين ذكرونا أمرهم مِنْ أهلِ الشركِ به ما نَسَبوا إليها ، كما سنَّ لعبادِه أن يَنْدَعُوا فى أمورهم بذكرِه قبلَ ذِكْرِ غيرِه ، مُؤَدِّبًا خلقه بذلك .

والمراءُ مِنَ الكلامِ الخَبِيرُ عن شهادةٍ مِنَ ارتِضاهم مِنَ ^(١) خلقه فقدَّموه ؛ مِنْ ملائكتِه وعُلماءِ عبادِه ، فأغْلَمَهم أن ملائكتِه - التى يُعْظَمُها العابدون غيرَه مِنْ أهلِ الشركِ ، وَيَعْبُدُها ^(٢) الكثيرُ منهم - وأهلُ العلمِ منهم ، / مُنْكَرُونَ ما هم عليه مُقيِّمون ٢١١/٣ من كُفْرِهِم ، وقولهم فى عيسى ، وقولَ مَنْ اتَّخَذَ ربًّا غيرَه مِنْ سائرِ الخلقِ ، فقال : شَهِدَتِ الملائكةُ وأولو العلمِ أنه لا إلهَ إلا هو ، وأن كُلَّ مَنْ اتَّخَذَ ربًّا دونَ اللَّهِ فهو كاذِبٌ . احتِجاجًا منه لنبيِّه عليه السلامُ ، على الذين حاجَّوه مِنْ وفِدِ نَجْرَانَ فى عيسى .

واعترَضَ بذكرِ اللَّهِ وصفَتِه ، على ما يَبْئُثُ ^(٣) ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَعْلَمُوا ﴾

(١) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س .

(٢) فى ص ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « يعبده » .

(٣) فى م : « نبيِّه » ، وفى س : « بينه » .

أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ مِثْلَهُ ﴿٤١﴾ [الأنفال: ٤١]. افتتاحًا باسمه الكلام، فكذلك افتتح باسمه والثناء على نفسه الشهادة بما وصفنا من نفي الألوهية عن غيره، وتكذيب أهل الشرك به.

فأما ما قال الذي وصفنا قوله من أنه عني بقوله: ﴿شَهِدَ﴾: قَضَى. فِيمَا لَا يُعْرَفُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَلَا الْعَجَمِ؛ لَأَنَّ الشَّهَادَةَ مَعْنَى، وَالْقَضَاءُ غَيْرُهَا. وبنحو ما قلنا في ذلك روى عن بعض المتقدمين القول في ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾: بخلاف ما قالوا، يعني بخلاف ما قال وقد نجران من النصارى، ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أى: بالعدل^(١).

حدثني المثني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبلى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل.

القول في تأويل قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.

ومعنى الدين في هذا الموضع: الطاعة والذلة، من قول الشاعر^(٢):

ويوم الحزن إذ حشدت معدًّا وكان الناس إلا نحن ديننا
يعنى بذلك: مُطِيعِينَ عَلَى وَجْهِ الدُّلِّ. ومنه قول القطامي^(٣):

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٦/٢ (٣٣٠٥) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق قوله، مقتصرًا على: بخلاف ما قالوا.

(٢) أنشده الفراء في معاني القرآن ٨١/٣ عن المفضل، والشطر الثاني منه في اللسان (د ي ن).

(٣) ديوانه ص ٥٨.

كَانَتْ نَوَازٍ^(١) تَدِينُكَ الْأَذْيَانَا

يَعْنَى : تُدِيْلُكَ . وَقَوْلُ الْأَعَشَى مِيْمُونِ بْنِ قَيْسٍ^(٢) :

هُوَ دَانَ الرَّبَابَ إِذْ كَرِهُوا الدِّيَّ سَنَ دِرَاكًا بِغَزْوَةِ وَصِيَالٍ / يَعْنَى بِقَوْلِهِ^(٣) : دَانَ . ذَلَّلَ ، وَبِقَوْلِهِ : كَرِهُوا الدِّيْنَ . الطَّاعَةَ .

٢١٢/٣

وَكَذَلِكَ الْإِسْلَامُ ، وَهُوَ الْإِنْقِيَادُ بِالتَّذَلُّلِ وَالْخُشُوعِ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ « أَسْلَمَ » ، بِمَعْنَى : دَخَلَ فِي السُّلْمِ ، كَمَا يُقَالُ : أَقْحَطَ الْقَوْمُ . إِذَا دَخَلُوا فِي الْقَحْطِ ، وَأَرْبَعُوا ، إِذَا دَخَلُوا فِي الرَّبِيعِ ، فَكَذَلِكَ : أَسْلَمُوا ، إِذَا دَخَلُوا فِي السُّلْمِ ، وَهُوَ الْإِنْقِيَادُ بِالْخُضُوعِ وَتَرْكِ الْمَمَانَعَةِ .

فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . إِنَّ الطَّاعَةَ لِلَّهِ^(٤) - الَّتِي هِيَ الطَّاعَةُ لَهُ^(٤) عِنْدَهُ - (الطَّاعَةُ لَهُ^(٥)) ، وَإِقْرَارُ الْأَلْسِنِ وَالْقُلُوبِ لَهُ بِالْعُبُودَةِ وَالذَّلَّةِ ، وَإِنْقِيَادُهَا لَهُ بِالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى ، وَتَذَلُّلُهَا لَهُ بِذَلِكَ ، مِنْ غَيْرِ اسْتِكْبَارٍ عَلَيْهِ ، وَلَا انْحِرَافٍ عَنْهُ ، دُونَ إِشْرَاقِ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَعَهُ فِي الْعُبُودَةِ وَالْأَلُوْهَةِ .

وَبِنَحْوِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ

(١) فِي الدِّيْوَانِ : « جَنُوبٌ » ، وَفِي نَسْخَةِ مِنْهُ : « ظُلُومٌ » .

(٢) تَقْدِمُ فِي ٣/٣٠١ .

(٣) بَعْدَهُ فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إِنَّ » .

(٤) سَقَطَ مِنْ : م .

(٥ - ٥) زِيَادَةٌ مِنْ : م .

عِنْدَ اللَّهِ أَلَا يُسَلَّمُ ﴿١﴾ : والإسلامُ شهادةُ [٣٩٤/١] أن لا إلهَ إلا اللهُ ، والإقرارُ بما جاء به من عندِ اللهِ ، وهو دينُ اللهِ الذي شرعَ لنفسِهِ ، وبعثَ به رُسُلَهُ ، ودلَّ عليه أوليائِهِ ، لا يَقْبَلُ غيرَهُ ، ولا يَجْزِي إلا به ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : ثنا أبو العاليةِ في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَا يُسَلَّمُ ﴾ . قال : الإسلامُ الإخلاصُ لله وحده ، وعبادتهُ لا شريكَ له ، وإقامُ الصلاةِ ، وإيتاءُ الزكاةِ ، وسائرُ الفرائضِ لهذا تَبَعُ ^(٢) .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ أَسَلَّمْنَا ﴾ [الحجرات : ١٤] . قال : دخلنا في السُّلْمِ ، وتركنا الحربَ ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَا يُسَلَّمُ ﴾ : أى ما أنت عليه يا محمدُ مِنَ التَّوْحِيدِ للربِّ والتَّصَدِيقِ للرسلِ ^(٤) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ .

يعنى بذلك جَلَّ ثناؤه : وما اختلف الذين أوتوا الإنجيلَ - وهو الكتابُ الذي ذكره اللهُ في هذه الآية - فى أمرِ عيسى ، وافترائهم على اللهِ فيما قالوه فيه من الأقوالِ التى كثرَ بها اختلافُهم بينهم ، وتشتَّتتْ بها كلمتُهم ، وباينَ بها بعضهم بعضًا ،

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٧/٢ ، ٦١٨ ، (٢٣١٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) سيأتى هذا الأثر فى تفسير سورة الحجرات بأطول مما هنا .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ .

حتى استحلَّ بها بعضهم دماء بعضٍ ، ﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ يعني : إلا من بعد ما علموا الحقَّ فيما اختلفوا فيه من أمره ، وأيقنوا أنهم فيما يقولون فيه من عظيمِ الفريةِ مُبطلون ، فأخبر الله عباده أنهم أتوا ما أتوا من الباطلِ ، وقالوا ما قالوا من القولِ الذي هو كفرٌ بالله ، على علمٍ منهم بخطأ ما قالوه ، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلاً منهم بخطئه ، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلافَ الذي هم عليه ؛ تعدّيًا من بعضهم على بعضٍ ، وطلبِ الرياساتِ والملكِ والسلطانِ .

كما حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قوله : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ . قال : قال أبو العالِيَةِ / إلا من بعد ما جاءهم الكتابُ والعلمُ ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ يقولُ : بغيًا على الدنيا ، وطلبِ مُلكِها وسُلطانِها ، فقتل بعضهم بعضًا على الدنيا ، من بعد ما كانوا علماء الناس ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن ابنِ عمرٍ أنه كان يُكثِرُ تلاوةَ هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ . يقولُ : بغيًا على الدنيا ، وطلبِ مُلكِها وسُلطانِها ، من قِبَلِها والله ^(٢) أتيينا ، ما كان علينا من يكونِ علينا ^(٣) ، بعد أن يأخذَ فينا كتابَ الله وسنةَ نبيِّه ! ولكنَّا أتيينا من قِبَلِها .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٨/٢ (٣٣١٦ ، ٣٣١٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) بعده في م : « ما » .

(٣) سقط من : م .

الربيع ، قال : إن موسى لما حضره الموت دعا سبعينَ حَبْرًا من أحبارِ بني إسرائيل ، فاستودعهم التوراة ، وجعلهم أُمَنَاءَ عليه ، كلُّ حَبْرٍ جُزْءًا منه ، واستخلف موسى يوشعَ بنَ نونٍ ، فلما مضى القرنُ الأوَّلُ ومضى الثاني ومضى الثالثُ ، وقَعَت الفُرقةُ بينهم ؛ وهم الذين أُوتوا العلمَ من أبناء أولئك السبعينَ ، حتى أَهْرَاقوا بينهم الدماءَ ، ووقَع الشَّرُّ والاختلافُ ، وكان ذلك كُلُّهُ من قِبَلِ الذين أُوتوا العلمَ بَعَثًا بينهم على الدنيا ، طلبًا لسلطانِها ومُلْكِها وخزائنها وزُخْرِفِها ، فسَلَّطَ اللهُ عليهم جَبَابِرَتَهُمْ ، فقال اللهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمَةُ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ بِأَعْيَادٍ ﴾^(١) .

فقول^(٢) الربيعِ بنِ أنسٍ هذا يدلُّ على أنه كان عنده أنه معنَى بقوله : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ اليهودُ من بني إسرائيل ، دونَ النصارى منهم ومن غيرِهِمْ .

وكان غيره يُوجِّهُ ذلك إلى أن المعنَى به النصارى^(٣) الذين أُوتوا الإنجيلَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ : الذى جاءك ، أى أَنَّ اللهُ الواحدُ الذى ليس له شريكٌ ، ﴿ بَعَثًا بَيْنَهُمْ ﴾ . يعنى بذلك النصارى^(٤) .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢/٢ إلى المصنف ، إلى قوله : جبابرتهم .

(٢) فى النسخ : « يقول » . والصواب ما أثبتنا .

(٣) بعده فى س : « منهم » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ .

القول في تأويل قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بَيَّاتٍ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩).

يعنى بذلك جل ثناؤه : وَمَنْ يَجْحَدُ حُجَجَ اللَّهِ وَأَعْلَامَهُ الَّتِي نَصَبَهَا ذَكَرَى لِمَنْ عَقَلَ ، وَأَدْلَةً لِمَنْ اعْتَبَرَ وَتَذَكَّرَ ، فَإِنَّ اللَّهَ مُحْصِيٌّ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ الَّتِي كَانَ يَعْمَلُهَا فِي الدُّنْيَا ، فَمُجَازِيهِ بِهَا فِي الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ، يَعْنِي : سَرِيعُ الْإِحْصَاءِ . وَإِنَّمَا مَعْنَى ذَلِكَ ، أَنَّهُ حَافِظٌ عَلَى كُلِّ عَامِلٍ عَمَلَهُ ، لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى عَقْدٍ ، كَمَا يَعْقِدُهُ خَلْقُهُ بِأَكْفُهُمْ ، أَوْ يَعُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ يَحْفَظُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ كُفْلَةٍ وَلَا مَثُونَةٍ ، وَلَا مَعَانَاةٍ لِمَا يُعَانِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الْحُسَابِ .

وبنحو الذي قلنا في معنى: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ . كان مجاهدٌ يقول .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بَيَّاتٍ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ . قال : إحصاؤه عليهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بَيَّاتٍ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ : [٣٩٤/١] إحصاؤه^(١) .

/القول في تأويل قوله: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾^(٢) . ٢١٤/٣

يعنى بذلك جل ثناؤه : فَإِنْ حَاجَّكَ يَا مُحَمَّدُ النَّفَرُ مِنْ نَصَارَى أَهْلِ نَجْرَانَ فِي أَمْرِ عَيْسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَخَاصَّمُوكَ فِيهِ بِالْبَاطِلِ ، فَقُلْ : انْقَدْتُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٩/٢ (٣٣٢٠) من طريق أبي حذيفة به .

(٢) في م ، س : « اتبعن » . وبإثبات الياء ، قرأ نافع وأبو عمرو في الوصل ، ووقف أبو عمرو بغير ياء ، واختلف عن نافع في الوقف ، وقرأ الباقون وصلوا ووقفوا بغير ياء . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٢٢ .

بلسانى وقلبي وجميع جوارحى .

وإنما خصَّ جلَّ ذكره بأمره بأن يقول : ﴿ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ . لأنَّ الوجهَ أكرمُ جوارحِ ابنِ آدمَ عليه ، وفيه بهاؤه وتَعْظِيمُه ، فإذا خضعَ وجهه لشيءٍ ^(١) ، فقد خضعَ له الذى هو دونَه فى الكرامةِ عليه من جوارحِ بدنِه .

وأما قوله : ﴿ وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾ . فإنه يعنى : وأسلمَ من اتَّبَعَنِي أيضًا وجهه لله معي ، و ﴿ مَنْ ﴾ معطوفٌ بها على التاءِ فى ﴿ أَسَلَّمْتُ ﴾ .

كما حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ فَإِنَّ حَاجُّكَ ﴾ أى : بما يأتونك به من الباطلِ من قولهم : خلقتنا ، وفعلنا ، وجعلنا ، وأمرنا . فإنما هى شُبُهَةٌ باطلةٌ ، قد عرفوا ما فيها من الحقِّ ، ﴿ فَإِنَّ حَاجُّكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلَّمْتُمْ ءَأَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : ﴿ وَقُلْ ﴾ يا محمدُ ﴿ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ من اليهودِ والنصارى ، ﴿ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ الذين لا كتابَ لهم من مشركى العربِ : ﴿ ءَأَسَلَّمْتُمْ ﴾ ؟ يقولُ : قل لهم : هل أفردتم التوحيدَ ، وأخلصتم العبادةَ والألوهةَ لربِّ العالمينَ ، دونَ سائرِ الأندادِ والأشراكِ ^(٣) التى تُشركونها معه فى عبادتكم إيَّاهم ، وإقراركم بربوبيتِهِم ، وأنتم تعلمون أنه لا ربَّ غيره ،

(١) فى ص ، ت ١ : « بشيء » .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ١ / ٥٧٧ .

(٣) الأشراك : جمع شريك . تهذيب اللغة ١٠ / ١٧ .

ولا إله سواه؟ ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا﴾ . يقول: فإن انقادوا لإفراد الوحدانية لله، وإخلاص العبادة والألوهة له، ﴿فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ ، يعنى: فقد أصابوا سبيل الحق، وسلكوا مَحَجَّةَ الرُّشْدِ .

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ عَقِيبَ الاستفهام؟ وهل يجوز على هذا فى الكلام أن يقال لرجل: هل تقوم؟ فإن تَقُمْ أكرمك؟ .

قيل: ذلك جائز إذا كان الكلام مراداً به الأمر، وإن خرج مخرج الاستفهام، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] . يعنى: انتهوا . وكما قال جل ثناؤه مُخْبِرًا عن الحواريين أنهم قالوا ليعسى: ﴿يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢] . وإنما هو مسألة، كما يقول الرجل: هل أنت كاف عتًا؟ بمعنى: اكف عتًا . وكما يقول الرجل للرجل: أين أين؟ بمعنى: أقيم فلا تبرخ . ولذلك جُوزى فى الاستفهام كما جُوزى فى الأمر فى قراءة عبد الله: (هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * آمنوا)^(١) . ففسرها بالأمر^(٢) ، وهى فى قراءتنا على الخبر، فالمجازة فى قراءتنا على قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ . وفى قراءة عبد الله على قوله: (آمنوا) على الأمر؛ لأنه هو التفسير .

و بنحو معنى^(٣) ما قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

(١) من الآية ١٠، ١١ من سورة الصف، وهذه القراءة ذكرها الفراء فى معانى القرآن ٢٠٢/١ وأبو حيان فى

البحر المحيط ٢٦٣/٨ وهى قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف .

(٢) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «بالأمن» .

(٣ - ٣) فى س: «بمعنى» .

/ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ الذين لا كتاب لهم : ﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ آسَلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا ﴾ . الآية ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ . قال : الأُمِّيُّون الذين لا يَكْتُبُونَ ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ^(٣) .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا ﴾ : وإن أدبروا مُعْرِضِينَ عَمَّا تَدْعُوهُمْ إليه من الإسلام ، وإخلاص التوحيد لله رب العالمين ، فإنما أنت رسول مُبَلِّغٌ ، وليس عليك غيرُ إبلاغ الرسالة إلى مَنْ أرسَلْتُك إليه من خلقي ، وأداء ما كَلَّفْتُك من طاعتي ، ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ . يعنى بذلك : واللَّهُ ذو علمٍ بمن يقبل من عباده ما أرسَلْتُك به إليه ، فيطيعُك ^(٣) بالإسلام ، وبمن يتولَّى منهم عنه مُعْرِضًا ، فيؤدُّ عليك ما أرسَلْتُك به إليه ، فيعصيك بإيائه الإسلام .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ . أى : يجحدون

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٧٧ ، ٥٧٨ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٢٠ (٣٣٢٧) من طريق ابن جريج به .

(٣) في ص ، س : « فيعطيك » .

حُجِّجَ اللَّهُ وَأَعْلَامَهُ ، فَيَكْذِبُونَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ ؛ التَّوَارَةَ وَالْإِنْجِيلِ .

كما حدَّثني ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قال : ثم جَمَعَ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ جَمِيعًا ، وَذَكَرَ مَا أَحَدَثُوا وَابْتَدَعُوا ، مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ . إلى قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ ^(١) [آل عمران : ٢٦] .

وأما قوله : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ . فإنه يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ رُسُلَ اللَّهِ الَّذِينَ كَانُوا يُرْسَلُونَ إِلَيْهِمْ بِالنَّهْيِ عَمَّا يَأْتُونَ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ ، وَرُكُوبِ مَا كَانُوا يَرَكِّبُونَهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ تَقَدَّمَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِمْ بِالزَّجْرِ عَنْهَا ، نَحْوَ زَكْرِيَا وَابْنِهِ يَحْيَى وَمَا أَشْبَهَهُمَا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ .

القولُ في تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

اختلفت [٣٩٥/١] الْقَرَأَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَهُ عَامَّةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَسَائِرِ قَرَاءَةِ الْأَمْصَارِ : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ ﴾ . بمعنى القتلِ .

وقرأه بعضُ المتأخِّرينَ مِنْ قَرَاءَةِ الْكُوفَةِ : (وَيُقَاتِلُونَ) ^(٢) . بمعنى القتالِ ، تَأْوِيلًا مِنْهُ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَادَّعَى أَنْ ذَلِكَ فِي مِصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ : (وَقَاتَلُوا) ^(٣) ، فَقَرَأَ الَّذِي وَصَفْنَا أَمْرَهُ مِنَ الْقَرَأَةِ بِذَلِكَ التَّأْوِيلِ : (وَيُقَاتِلُونَ) .

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٧٨ .

(٢) هي قراءة حمزة ، وقرأ الباقون بالوجه الأول . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٣ .

(٣) المصاحف لابن أبي داود ص ٥٩ وهي قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة .

/ والصوابُ من القراءة في ذلك عندنا^(١) قراءة من قرأه : ﴿ وَيَقْتُلُونَ ﴾ ؛
لإجماع الحجة من القراءة عليه به ، مع مجيء التأويل من أهل التأويل بأن ذلك
تأويله .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ،
عن معقل بن أبي مسكين في قول الله : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . قال : كان الوحي يأتي إلى بنى
إسرائيل فيذكرون قومهم^(٢) - ولم يكن يأتيهم كتاب - فيقتلون ، فيقوم رجال من
اتبعتهم وصدقتهم فيذكرون قومهم ، فيقتلون ، فهم الذين يأثرون بالقسط من
الناس^(٣) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
قتادة في قوله : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ
بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . قال : هؤلاء أهل الكتاب ، كان^(٤) أتباع الأنبياء يثبونهم
ويذكرونهم ، فيقتلونهم^(٥) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج في

(١) القراءتان متواترتان ، فكلتاها صواب .

(٢) سقط من النسخ ، والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم والدر المنثور .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٠ بنحوه .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢١/٢ (٣٣٣٤) ، وفيه : عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن معقل . وعزاه

السيوطي في الدر المنثور ١٣/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « كانوا » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢١/٢ (٣٣٣٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ عِزِّ حَقِّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . قال : كان ناسٌ من بنى إسرائيل ممن لم يقرأ الكتاب ، كان الوحى يأتى إليهم ، فيذكرون قومهم ، فيقتلون على ذلك ، فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس .

حدثنى أبو غبيد الوصائى^(١) محمد بن حفص^(٢) ، قال : ثنا ابن جهمير^(٣) ، قال : ثنا أبو الحسن مولى بنى أسيد ، عن مكحول ، عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعى ، عن أبى عبيدة بن الجراح ، قال : قلت : يا رسول الله ، أى الناس أشد عذاباً يوم القيامة ؟ قال : « رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا ، أَوْ رَجُلًا أَمَرَ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَى عَنِ الْمَعْرُوفِ » . ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّ عِزِّ حَقِّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . إلى أن انتهى إلى : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ . ثم قال رسول الله ﷺ : « يا أبا عبيدة ، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار ، فى ساعة واحدة ، فقام مائة رجلٍ واثنان عشر رجلاً من عباد بنى إسرائيل ، فأمروا من قتلهم بالمعروف ، ونهوه عن المنكر ، فقتلوا جميعاً من آخر النهار فى ذلك اليوم ، وهم الذين ذكر الله عز وجل^(٥) .

فتأويل الآية إذن : إن الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون أمرهم بالعدل فى أمر الله ونهيه ، الذين ينهونهم عن قتل أنبياء الله

(١) فى النسخ : « الوصافى » .

(٢) فى النسخ : « جعفر » .

(٣) فى النسخ : « حميد » .

(٤) فى النسخ : « الذين » .

(٥) أخرجه البزار فى مسنده (١٢٨٥) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٢٠ (٣٣٣٢) ، والبغوى فى تفسيره

٢٠/٢ ، ٢١ من طريق محمد بن حمير به ،

وركوبٍ معاصيه .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ .

/ يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ : فأخبرهم يا محمد ،
وأعلمهم أن لهم عند الله عذاباً مؤلماً لهم ، وهو الموجع .

٢١٧/٣

وأما قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ .
فإنه يعنى بقوله : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ : الذين يكفرون بآيات الله . ومعنى ذلك : إن الذين
ذكروناهم هم الذين حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ . يعنى : بطلت أعمالهم فى الدنيا والآخرة .
فأما قوله : ﴿ فِي الدُّنْيَا ﴾ . فلم ينالوا بها محمداً ولا ثناءً من الناس ؛ لأنهم كانوا
على ضلالٍ وباطلٍ ، ولم يرفع الله لهم بها ذكراً ، بل لعنهم وهتك أستارهم ^(١) ،
وأبدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم ، على ألسن أنبيائه ورسله فى كتبه التى
أنزلها عليهم ، فأبقى لهم ما بقيت الدنيا مذممةً ، فذلك حبوطها فى الدنيا . وأما
فى الآخرة ؛ فإنه أعد لهم فيها من العقاب ما وصف فى كتابه ، وأعلم عباده أن
أعمالهم تصير بُوراً لا ثواب لها ؛ لأنها كانت كُفراً بالله ، فجزاء أهلها الخلود فى
الجحيم .

وأما قوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ . فإنه يعنى : وما لهؤلاء القوم من
ناصرٍ ينصُرهم من الله ، إذا هو انتقم منهم بما سلف من إجرامهم واجترائهم عليه ،
فيمسقتقدهم منه .

القول فى تأويل قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ

(١) فى س : « أسرارهم » .

كَلِّبِ اللَّهُ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ يا محمد ﴿ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ . يقول : الذين أعطوا حظًا من الكتاب ، ﴿ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ﴾ . واختلف أهل التأويل في الكتاب الذي عنى الله بقوله : ﴿ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ؛ فقال بعضهم : هو التوراة ، دعاهم إلى الرضا بما فيها ، إذ كانت الفرق المنتحلة الكتب تقرُّ بها وبما فيها ، أنها كانت أحكام الله قبل أن يُنسخ منها ما نُسِخ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبيرة وعكرمة ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله ﷺ [٣٩٥/١ ط] بيت المدراس على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له ^(١) نعيم ^(٢) بن عمرو والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ فقال : « على ملة إبراهيم ودينه » . فقالا : فإن إبراهيم كان يهوديًا . فقال لهما رسول الله ﷺ : « فَهَلُمُّوا إِلَى التَّوَارَةِ ، فَهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ » . فأبى ^(٣) عليه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ ^(٤) .

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لهم » . وكتب فوقها في ص : « ط » . علامة أنها خطأ .

(٢) وكذا ورد اسمه في أسباب النزول ، وتفسير البغوى ، وفي تفسير ابن أبى حاتم ٦٢٢/٢ (٣٣٤٠) ،

وسيرة ابن هشام ، والدر المنثور : « نعمان » .

(٣) في م : « فأبوا » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٥٢/١ ، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف ١٧٩/١ ، ١٨٠ عن المصنف ، وينظر أسباب

النزول للواحدى ص ٧٠ ، وتفسير البغوى ٢/٢١ ، ٢٢ ، وعزاه السيوطى في الدر المنثور ١٤/٢ إلى ابن المنذر .

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ أبي
 محمدٍ مولى آلِ زَيْدٍ ، عن / سعيدِ بنِ جبيرةٍ أو عِكْرَمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : دخل
 رسولُ اللَّهِ ﷺ بيتَ المِدرَاسِ ، فذكرَ نحوه ، إلا أنه قال : فقال لهما رسولُ
 اللَّهِ ﷺ : « فَهَلَمَّا إِلَى التَّوْرَةِ » . وقال أيضًا : فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمَا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ . وسائرُ الحديثِ مثلُ حديثِ أبي كُرَيْبٍ ^(١) .
 وقال بعضهم : بل ذلك كتابُ اللَّهِ الذي أنزله على محمدٍ ، وإنما دُعِيَتْ طائفةٌ
 منهم إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ، فَأَبَتْ .

٢١٨/٣

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا يَشْرُ ، قال : ثنا يَزِيدُ ، قال : ثنا سَعِيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا
 مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ : أولئك أعداءُ اللَّهِ اليهودُ ، دُعُوا إلى كتابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ
 بَيْنَهُمْ ، وإلى نبيِّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ، وهم يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ ^(٢) ، ثم تَوَلَّوْا
 عنه وهم مُّعْرِضُونَ ^(٣) .

حدثني المُنْثَى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن
 قتادةَ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ الآية . قال : هم اليهودُ ، دُعُوا
 إلى كتابِ اللَّهِ وإلى نبيِّهِ ، وهم يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ ، ثم يَتَوَلَّوْنَ وهم مُّعْرِضُونَ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٢/٢ (٣٣٤٠) من طريق سلمة به عن عكرمة مرسلًا .

(٢) بعده في م : « والإنجيل » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٢/٢ (٣٣٤٢) من طريق يزيد به قوله : ﴿ وهم معرضون ﴾ . قال :
 عن كتاب الله .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٢/٢ ، ٦٢٣ (٣٣٤٣) من طريق ابن أبي جعفر به ، وعزاه السيوطي
 في الدر المنثور ١٤/٢ إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ . قَالَ : كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ يَكُونُونَ ، وَفِي الْحُدُودِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَيَتَوَلَّوْنَ عَنْ ذَلِكَ ^(١) .

وأولى الأقوالِ في تأويلِ ذلكِ عندى بالصوابِ أن يُقالَ : إنَّ اللهَ جل ثناؤه أخبرَ عن طائفةٍ من اليهودِ الذين كانوا بينَ ظَهْرَانِي مُهاجِرِ رسولِ اللهِ ﷺ فى عهده ، ممن قد أُوتى علماً بالتوراةِ ، أنهم دُعوا إلى كتابِ اللهِ الذى كانوا يُقرُّون به ^(٢) أنه من عندِ اللهِ - وهو ^(٣) التوراةُ - فى بعضِ ما تنازَعوا فيه هم ورسولُ اللهِ ﷺ ، وقد يجوزُ أن يكونَ تنازُعهم الذى كانوا تنازَعوا فيه ، ثم دُعوا إلى حُكْمِ التوراةِ فيه ، فامتنعوا من الإجابةِ إليه - كان أمرُ محمدٍ ﷺ وأمرُ نُبُوَّتِهِ ، ويجوزُ أن يكونَ ذلكِ كان أمرَ إبراهيمَ خليلِ الرحمنِ ودينه ، ويجوزُ أن يكونَ ذلكِ ما دُعوا إليه من أمرِ الإسلامِ والإقرارِ به ، ويجوزُ أن يكونَ ذلكِ كان فى حدِّ ، فإن كلَّ ذلكِ مما قد كانوا نازَعوا فيه رسولُ اللهِ ﷺ ، فدعاهم فيه إلى حُكْمِ التوراةِ ، فأبى الإجابةَ فيه وكتمه بعضهم .

ولا دلالةُ فى الآيةِ على أى ^(٤) ذلكِ كان ^(٥) من أى ^(٥) ، فيجوزُ أن يُقالَ ^(٦) : هو

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤/٢ إلى المصنف .

(٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) بعده فى م : « فى » .

(٤) فى النسخ : « أن » . وهو تعبير للمصنف تقدم مرارا ، ينظر مثلا ٥٥٦/١ ، ٤٣٩/٢ .

(٥ - ٥) فى م : « ممن أبى » .

(٦) فى س : « يكون » .

هذا دونَ هذا . ولا حاجة بنا إلى معرفة ذلك ؛ لأن المعنى الذى دُعوا إليه ^(١) ، هو مما كان فرضاً عليهم الإجابةُ إليه فى دينهم ، فامتنعوا منه ، فأخبرَ اللهُ جل ثناؤه عنهم برِدَّتِهِمْ ، وتكذيبهم بما فى كتابهم ، / ومُجْحودِهِمْ ما قد أخذ عليهم عهدَهُمْ ومَوَاقِفَهُمْ بإقامته والعمل به ، فلن يَعدُوا أن يكونوا فى تكذيبهم محمداً ﷺ وما جاء به من الحقِّ ، مثلهم فى تكذيبهم موسى وما جاء به ، وهم يتولَّونه ويُقرُّون به .

٢١٩/٣

ومعنى قوله : ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ : ثم يشتدُّ برُّ عن كتابِ اللهِ الذى دَعَا إلى حُكْمِهِ ، مُعْرِضًا عنه مُنْصَرِفًا ، وهو بحقيقته وحجته عالمٌ .

وإنما قلنا : إن ذلك الكتاب هو ^(٢) التوراة ؛ لأنهم كانوا بالقرآنِ مُكذِّبِينَ ، وبالتوراة برَّعِمِهِمْ مُصَدِّقِينَ ، فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم به فى رَعْمِهِمْ مُقَرُّون ، أبلغ ، وللعذرِ أقطع .

القول فى تأويلِ قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا ﴾ : بأن هؤلاء الذين دُعوا إلى كتابِ اللهِ ليُحْكَمَ بينهم بالحقِّ فيما نازعوا رسولَ اللهِ ﷺ ، إنما أبوا الإجابةَ إلى ^(٣) حُكْمِ التوراة وما فيها من الحقِّ ، من أجلِ قولهم : ﴿ لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ . وهى أربعون يوماً ، وهن الأيام التى عبدوا فيها العجل ، ثم يُخْرِجُنَا منها ربُّنا ، اغتراراً منهم بما كانوا يفترون ، يعنى : بما كانوا يَخْتَلِقُونَ من الأكاذيب والأباطيل ، فى ادِّعَائِهِمْ أنهم أبناءُ اللهِ وأحِبَّاءُوه ، وأن الله قد وعد أباهم يعقوب أن لا يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْ وَلَدِهِ

(١) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « جملة » .

(٢) سقط من : ت ، ١ ، س .

(٣) فى م : « فى » .

النارِ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ أَقْوَالِهِمْ ، وَأَخْبَرَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، دُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِهِ .

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، [٣٩٦/١] عن قتادةَ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ . قالوا : لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ الَّتِي نَصَبْنَا فِيهَا الْعِجْلَ ، ثُمَّ يَنْقَطِعُ الْقَسَمُ وَالْعَذَابُ عَنَّا ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أَى قَالُوا : ﴿ نَحْنُ أَنْبَتُوا اللَّهَ وَأَحْبَبْتُوهُ ﴾ ^(١) [المائدة : ١٨] .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ الْآيَةَ . قَالَ : قَالُوا : لَنْ نُعَذَّبَ فِي النَّارِ إِلَّا أَرْبَعِينَ يَوْمًا . قَالَ : يَعْنِي الْيَهُودَ . قَالَ : وَقَالَ قَتَادَةُ مِثْلَهُ . وَقَالَ : هِيَ الْأَيَّامُ الَّتِي نَصَبُوا فِيهَا الْعِجْلَ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ حِينَ قَالُوا : ﴿ نَحْنُ أَنْبَتُوا اللَّهَ وَأَحْبَبْتُوهُ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال مجاهدٌ قَوْلَهُ : ﴿ وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ . قَالَ : عَرَّهْمُ قَوْلُهُمْ : ﴿ لَنْ

(١) تقدم في ١٧١/٢ ، ١٧٢ .

(٢) أخرج آخره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٣/٢ (٣٣٤٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴿١﴾ .

٢٢٠/٣ / القول في تأويل قوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢٥) .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ ﴾ : فأى حال يكون حال هؤلاء القوم الذين قالوا هذا القول ، وفعلوا ما فعلوا ، من إغراضهم عن كتاب الله ، واغترابهم بربهم ، وافترائهم الكذب ؟ وذلك من الله عز وجل وعيد لهم شديد ، وتهديد غليظ .

وإنما يعنى بقوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ ﴾ الآية : فما أعظم ما يلقون من عقوبة الله وتكيله بهم ، إذا جمعهم ليوم يوفى كل عامل جزاء عمله على قدر استحقاقه ، غير مظلوم فيه ! لأنه لا يعاقب فيه إلا على ما اجترم ، ولا يؤاخذ إلا بما عمل ، يُجزى المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، لا يخاف أحد من خلقه يومئذ منه ^(٢) ظلماً ولا هضمًا .

فإن قال قائل : وكيف قيل : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . ولم يُقَل : فى يوم لا ريب فيه ؟

قيل : لمخالفة معنى ^(٣) اللام فى هذا الموضع معنى « فى » ، وذلك أنه لو كان مكان اللام « فى » لكان معنى الكلام : فكيف إذا جمعناهم فى يوم القيامة ، ماذا يكون لهم من العذاب والعقاب ؟ وليس ذلك المعنى فى دخول اللام ، ولكن معناه مع اللام : فكيف إذا جمعناهم لما يحدث فى يوم لا ريب فيه ، ولما يكون فى ذلك

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢٣/٢ (٣٣٤٧) من طريق حجاج به . وفيه عن ابن جريج ، عن خالد بن الحارث ، عن مجاهد .

(٢) سقط من م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بمعنى » .

اليوم من فضل الله القضاء بين خلقه، ماذا لهم حينئذٍ من العقاب وأليم العذاب؟ فمع اللام في: ﴿لِيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ﴾ نية^(١) فعل، وخبرٌ مطلوبٌ، قد ترك ذكره اجتزاءً^(٢) بدلالة دخول اللام في «اليوم» عليه منه، وليس ذلك مع «في»؛ فلذلك اختيرت اللام، فأدخلت في «اليوم» دون «في».

وأما تأويل قوله: ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾. فإنه: لاشك في مجيئه.

وقد دللنا على أنه كذلك بالأدلة الكافية، مع ذكر من قال ذلك في تأويله، فيما مضى، بما أغنى عن إعادته^(٣).

وعنى بقوله: ﴿وَوُفِّيَتْ﴾: وَوَفَّى اللَّهُ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾. يعنى: ما عملت من خيرٍ وشرٍّ، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. يعنى أنه لا ينحس المحسن جزاءً إحسانه، ولا يُعاقبُ مُسيئًا بغير مجرمه.

✓ القول في تأويل قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾.

أما تأويل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾. فإنه: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: يَا اللَّهُ.

واختلف أهل العربية في نصبِ ميمِ ﴿اللَّهُمَّ﴾ وهو مُنادى، وحكمُ المنادى المفرد غير المضافِ الرفع، وفي دخول الميم فيه، وهو فى الأصل «اللَّهُ» بغير ميم؛ فقال بعضهم: إنما زيدت فيه الجيمان^(٤)؛ لأنه لا يُنادى بـ «يا»، كما يُنادى الأسماء التى لا أَلِفَ فيها^(٥) ولا لام^(٥)، وذلك أن الأسماء التى لا أَلِفَ ولا لامَ فيها، تُنادى بـ

(١) فى س: «فيه منه».

(٢) فى م: «أخيراً».

(٣) ينظر ما تقدم فى ٢٣١/١ - ٢٣٣.

(٤) فى س: «الميمات».

(٥ - ٥) سقط من: م.

٢٢١/٣ « يا » ، كقولِ القائلِ : يا زيدُ ، ويا عمرو . / قال : فجُعِلت الميمُ فيه خَلْفًا مِن « يا » ، كما قالوا : فَمِ ودمٌ^(١) وهم وزُرُقَم^(٢) وسُتْهُمْ^(٣) ، وما أشبَه ذلك من الأسماءِ والنعوتِ التي يُحذفُ منها الحرفُ ، ثم يُبدلُ مكانه ميمٌ . قال : فكذلك حُذِفَتْ مِن « اللهم » « يا » التي يُنادَى بها الأسماءُ التي على ما وَصَفْنَا ، وجُعِلت الميمُ خلفًا منها مما^(٤) في آخرِ الاسمِ^(٥) .

وأنكر ذلك مِن قولهم آخرون^(٦) ، وقالوا : قد سَمِعنا العربَ تُنادى « اللهم » بـ « يا » كما تُناديه ولا ميمٍ فيه . قالوا : فلو كان الذي قال هذا القولَ مُصيبًا في دَعْوَاه ، لم تدخِلْه العربُ « يا » ، وقد جاءوا بالخَلْفِ منها . وأنشدوا في ذلك سماعًا مِن العربِ^(٧) :

وما عليك أن تقولِي كُلِّمَا
 صَلَّيْتِ أَوْ كَبَّرْتِ^(٨) يَا^(٩) اللَّهُمَّ مَا^(٩)
 ارْدُدْ عَلَيْنَا^(١٠) شَيْخَنَا^(١١) مُسَلِّمًا

- (١) كذا وردت هذه الكلمة في هذا الموضع ، وستأتى على الصواب بعد ذلك : « ابنم » .
 (٢) كذا في النسخ ، ومعاني القرآن للفراء ٢٠٣/١ ، ولم نجد هذه الكلمة والتي قبلها فيما زيدت فيه الميم
 آخرًا . وينظر شرح تصريف المازني لابن جنى ١/١٥١ ، والمزهر للسيوطي ٢/٢٥٧ .
 الزرقم : الشديد الزرق ، للمذكر والمؤنث . التاج (زرق) .
 (٣) الستهم : العظيم الاست . اللسان (س ت هـ) .
 (٤) سقط من : م ، ت ، ٢ ، ت ٣ .
 (٥) وهذا رأى الخليل ، نقله عنه سيبويه في الكتاب ٢/١٩٦ .
 (٦) هو قول الفراء ، ينظر معاني القرآن ١/٢٠٣ .
 (٧) معاني القرآن ١/٢٠٣ ، واللسان (أ ل هـ) ، والخزانة ٢/٢٩٦ .
 (٨ - ٨) في معاني القرآن ، واللسان : « صليت أو سبحت » ، وفي الخزانة : « سبحت أو صليت » .
 (٩ - ٩) في ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، واللسان : « أَللَّهُمَّا » .
 (١٠) في م : « إلبنا » .
 (١١) الشيخ هنا : الأب أو الزوج .

وَيُزَوَّى : سَبَّحَتْ أَوْ كَبَّرَتْ . قالوا : ولم نزل العرب زادتْ مثل هذه الميمِ إلا مُخَفَّفَةً في نَوَاقِصِ الأَسْمَاءِ ، مِثْلُ « الفم وابنم »^(١) وهم . قالوا : ونحن نرى أنها كلمة ضُمَّ إليها « أُمَّ » ، بمعنى : يا أَلَلُّهُ أُمَّنا بخير ، فَكَثُرَتْ في الكلامِ فَاخْتَلَطَتْ به . قالوا : فالضُمَّةُ^(٢) التي في الهاءِ مِنْ هَمْزَةِ « أُمَّ » لَمَّا تُرِكَتْ انْتَقَلَتْ إلى ما قَبْلَها . قالوا : ونرى أن قولَ العربِ : هَلُمَّ إِلَيْنَا مِثْلُها ، إِنَّمَا كَانَتْ^(٣) « هَلُمَّ » : « هل » ، ضُمَّ إليها « أُمَّ » فَتُرِكَتْ على نَصْبِها . قالوا : وَمِنَ العربِ مَنْ يَقُولُ إِذَا طَرَحَ الميمِ : يا أَلَلُّهُ اغْفِرْ لِي ، وَيَا أَلَلُّهُ اغْفِرْ لِي ، بِهَمْزِ^(٤) الألفِ مِنْ « اللّهُ » مرّةً ، وَوَضِلْها أُخْرَى . فَمَنْ حَذَفْها أَجْرَها على أَصْلِها ؛ لِأَنَّها أَلْفٌ وَلا مِ ، مِثْلُ الألفِ واللامِ اللَّتين تَدْخُلانِ في الأَسْمَاءِ المَعَارِفِ زَائِدَتَيْنِ ، وَمَنْ هَمَزَها تَوَهَّمْ أَنَّها مِنَ الحَرْفِ^(٥) ، إِذْ كَانَتْ لا تَشَقُّطُ مِنْه ، وَأَنْشُدُوا في هَمْزِ الألفِ مِنْها^(٦) :

مُبَارَكٌ هُوَ وَمَنْ سَمَّاهُ

على اسْمِكَ اللَّهُمَّ يَا أَلَلُّهُ

[٣٩٦/١] قالوا : وقد كَثُرَتْ « اللهم » في الكلامِ حتى حُقِّقَتْ ميمُها في بعضِ

اللغاتِ . وَأَنْشُدُوا^(٧) :

(١ - ١) في م : « فم ودم » .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فالهمزة » .

(٣) في م : « كان » .

(٤) في ص ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بهمزة » .

(٥ - ٥) في ص ، ت ، ١ ، س : « وصلها وحذف الهمزة وتوهم أنها من الحروف » ، ومثله في ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، إلا

أن فيهما : « وصله » بدلا من : « وصلها » .

(٦) الرجز في معاني القرآن للفراء ١ / ٢٠٤ ، واللسان (أ ل ه) .

(٧) كذا أنشده الفراء في معاني القرآن ١ / ٢٠٤ ، وهو للأعشى في ديوانه ص ٢٨٣ ، والشطر الثاني فيه

كالرواية الآتية .

كحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِيحٍ يَسْمَعُهَا اللَّهُمَّ^(١) الْكُبَارُ
/ والرواة تُنشدُ ذلك^(٢) :

٢٢٢/٣

* يَسْمَعُهَا لِأَهْلِ الْكُبَارِ *

وقد أنشده بعضهم^(٣) :

* يَسْمَعُهَا اللَّهُ^(٤) وَاللَّهُ كُبَارٌ *

القول في تأويل قوله : ﴿مَلِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ﴾ .

يعنى بذلك : يا مالِكُ الْمَلِكِ ، يا مَنْ له مُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ خَالِصًا دُونَ غَيْرِهِ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ
ابنِ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ قَوْلَهُ : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكِ الْمَلِكِ﴾ . أى : رَبِّ الْعِبَادِ الْمَلِكِ^(٥) ، لا
يَقْضِي فِيهِمْ غَيْرُكَ^(٦) .

وأما قَوْلُهُ : ﴿تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ﴾ . فإنه يعنى : تُعْطِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ ،
فَتُمَلِّكُهُ وَتُسَلِّطُهُ عَلَيَّ مِنْ تَشَاءٍ^(٧) .

(١) فى م : « لاهم » .

(٢) وهى رواية الديوان كما تقدم .

(٣) هو الكسائى كما قال الفراء .

(٤ - ٤) فى النسخ : « والكبار » . والمثبت من معانى القرآن .

(٥) فى سيرة ابن هشام : « والملك » .

(٦) فى سيرة ابن هشام ١ / ٥٧٨ : « غيره » .

(٧) فى ص : « ما » .

وقوله: ﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ .^(١) يعنى : وتنزعُ الملكَ ممن تشاءُ^(١) أن تنزعه منه ، فترك ذكر : أن تنزعه منه ؛ اكتفاءً بدلالة قوله : ﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ عليه ، كما يُقال : أخذ ما شئت ، وكُن فيما شئت . يراؤ : أخذ ما شئت أن تأخذه ، وكُن فيما شئت أن تكون فيه ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٨] يعنى : فى أى صورة شاء أن يُركبكَ فيها ركبكَ .

وقيل : إن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ جواباً لمسأله ربه أن يجعل ملك فارس والروم لأمتيه .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ودُكر لنا أن نبيَّ الله ﷺ سأل ربه جل ثناؤه أن يجعل له ملك فارس والروم فى أمته ، فأنزل الله عز جل : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ إلى ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٢) .

حدثنى المشنى ، قال : ثنا إسحاقٌ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال : دُكر لنا - والله أعلم - أن نبيَّ الله ﷺ سأل ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم فى أمته . ثم ذكر مثله^(٣) .

وروى عن مجاهدٍ أنه كان يقول : معنى الملك فى هذا الموضع الثبوة .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، س .

(٢) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ٧٠ ، ٧١ من طريق سعيد به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢٤/٢ (٣٣٥٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

ذِكْرُ الرِّوَايَةِ عَنْهُ بِذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ تُوْفِّي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ ﴾ . قَالَ : الثَّبُوءُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حَذِيفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَتُعْزُّ مِنْ تَشَاءٍ وَتُذِلُّ مِنْ تَشَاءٍ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٢) .

يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَتُعْزُّ مِنْ تَشَاءٍ ﴾ بِإِعْطَائِهِ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ ، وَبَسْطِ الْقُدْرَةِ لَهُ ، ﴿ وَتُذِلُّ مِنْ تَشَاءٍ ﴾ بِسَلْبِكَ مُلْكَهُ ، وَتَسْلِيْطِ عَدُوِّهِ عَلَيْهِ ، ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ أَيْ : كُلُّ ذَلِكَ بِيَدِكَ وَإِلَيْكَ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ ؛ لِأَنَّكَ / عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، دُونَ سَائِرِ خَلْقِكَ ، وَدُونَ مَنْ اتَّخَذَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْأُمِّيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ إِلَهًا وَرَبًّا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِكَ ، كَالْمَسِيحِ وَالْأَنْدَادِ الَّتِي اتَّخَذَهَا الْأُمِّيُّونَ رَبًّا .

كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَوْلَهُ : ﴿ تُوْفِّي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ ﴾ الْآيَةَ . أَيْ : إِنْ ذَلِكَ بِيَدِكَ لَا إِلَى غَيْرِكَ ، ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أَيْ : لَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا غَيْرُكَ بِسُلْطَانِكَ وَقُدْرَتِكَ ^(١) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ .

يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ تُوَلِّجُ ﴾ : تُدْخِلُ . يُقَالُ مِنْهُ : قَدْ وَلَجَ فُلَانٌ مَنْزِلَهُ ، إِذَا

(١) تفسير مجاهد ص ٢٨٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٥٧٨ .

دخله ، فهو يَلِجُه وِلْجًا وُؤلُوجًا وِلِجَةً . وَأُولِجْتُهُ أَنَا إِذَا أُذْخَلْتَهُ .

ويعنى بقوله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ : تُدْخِلُ مَا نَقَصْتَ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي سَاعَاتِ النَّهَارِ ، فَتَزِيدُ مِنْ نَقْصَانِ هَذَا فِي زِيَادَةِ هَذَا ، ﴿ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ : وَتُدْخِلُ مَا نَقَصْتَ ^(١) مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ ، فَتَزِيدُ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ مَا نَقَصْتَ مِنْ ^(٢) سَاعَاتِ النَّهَارِ .

كما حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشَّدي : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ : حَتَّى يَكُونَ اللَّيْلُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً ، وَالنَّهَارُ تِسْعَ سَاعَاتٍ ، وَتُدْخِلُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ، حَتَّى يَكُونَ النَّهَارُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً ، وَاللَّيْلُ تِسْعَ سَاعَاتٍ ^(٣) .

حدَّثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما نَقَصَ مِنَ النَّهَارِ يَجْعَلُهُ فِي اللَّيْلِ ، وَمَا نَقَصَ مِنَ اللَّيْلِ يَجْعَلُهُ فِي النَّهَارِ ^(٤) .

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . قال : ما يَنْقُصُ مِنْ أَحَدِهِمَا ^(٥) فِي الْآخَرِ ، مَتَعَاقِبَانِ ^(٦) أَوْ يَتَعَاقِبَانِ - شَكَّ أَبُو عَاصِمٍ - ذَلِكَ مِنْ

(١) في ت ١ : « ناقصته » .

(٢) في ت ١ : « في » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٥/٢ (٣٣٥٩) من طريق عمرو به .

(٤) في النسخ : « عن » . وتقدم في ٤١٥/١ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن أبي حاتم ، وهو عند ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٥/٢ (٣٣٥٨) من طريق حفص بن عمر ، عن الحكم ، عن عكرمة قوله .

(٦) بعده في م : « يدخل » .

(تفسير الطبري ٢٠/٥)

(٧) في ص ، ت ١ : « متعاقبان » ، وفي ت ٢ : « متعقبات » .

الساعات^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ : ما يَنْقُصُ مِنْ أَحَدِهِمَا فِي الْآخِرِ ، يَتَعَقَبَانِ ذَلِكَ مِنَ السَّاعَاتِ .

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قوله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ : نُقْصَانُ اللَّيْلِ فِي زِيَادَةِ النَّهَارِ ، وَنُقْصَانُ النَّهَارِ فِي زِيَادَةِ اللَّيْلِ .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . قال : هو نُقْصَانُ أَحَدِهِمَا فِي الْآخِرِ^(٢) .

حدَّثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة في قوله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . قال : يأخذ الليل من النهار ، ويأخذ النهار من الليل . يقول : نقصان الليل في زيادة النهار ، ونقصان النهار في زيادة الليل .

٢٢٤/٣ / حدَّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . يعنى أنه يأخذ أحدهما من الآخر ، فيكون الليل أحياناً أطول من النهار ، والنهار أحياناً

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٠ بنحوه .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١١٧ .

أطول من الليل^(١) .

حدّثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . قال : هذا طويلٌ وهذا قصيرٌ ، أخذ من هذا فأولجَه في هذا ، حتى صار هذا طويلًا وهذا قصيرًا .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ .
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : تأويل ذلك أنه يُخْرِجُ الشيءَ الْحَيَّ مِنَ النَّطْفَةِ الْمَيِّتَةِ ، وَيُخْرِجُ النَّطْفَةَ الْمَيِّتَةَ مِنَ الشَّيْءِ الْحَيِّ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : هي النَّطْفَةُ تُخْرِجُ مِنَ الرَّجْلِ وَهِيَ مَيِّتَةٌ وَهُوَ حَيٌّ ، وَيُخْرِجُ الرَّجْلُ مِنْهَا حَيًّا وَهِيَ مَيِّتَةٌ^(٢) .

حدّثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : الناسُ الأحياءُ مِنَ النَّطْفِ وَالنَّطْفُ مَيِّتَةٌ ، وَيُخْرِجُهَا مِنَ النَّاسِ الأحياءِ وَالأنعامِ^(٣) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٦/٢ ، ٦٢٧ ، (٣٣٦٤ ، ٣٣٦٨) من طريق الأعمش به بنحوه ، وهو في تفسير سفيان ص ٧٦ عن الأعمش عن إبراهيم قوله .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٧/٢ (٣٣٦٩) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وزاد في آخره : والنبات كذلك أيضا . وأشار ابن أبي حاتم إلى أنه ليس عند ورقاء وشبل ذكر النبات . وينظر تفسير مجاهد ص

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن بيط ، عن الضحاك في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ، فذكر نحوه ^(١) .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . فالنطفة ميتة تكون ، ^(٢) تُخْرِجُ مِنَ إِنْسَانٍ حَيٍّ ، وَيَخْرِجُ إِنْسَانًا حَيًّا مِنْ نَظْفَةِ مَيِّتَةٍ ^(٣) .

حدَّثني محمد بن عمر بن علي بن عطاء المقدمي ، قال : ثنا أشعث السجستاني ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبي خالد في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : تُخْرِجُ النُّظْفَةَ مِنَ الرَّجْلِ ، وَالرَّجْلَ مِنَ النُّظْفَةِ .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ هَذِهِ النُّظْفَةِ الْمَيِّتَةِ ، وَتُخْرِجُ هَذِهِ النُّظْفَةَ الْمَيِّتَةَ مِنَ الْحَيِّ ^(٤) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ / الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ الآية .

٢٢٥/٣

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٦/٢ ، ٦٢٧ معلقاً عقب الأثر (٣٣٦٤ ، ٣٣٦٨) .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يخرج منها » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٧/٢ عقب الأثر (٣٣٦٨) من طريق عمرو به .

(٤ - ٤) في ص ، ت ١ ، س : « عمرو بن علي عن » ، وفي م ، ت ٢ ، ت ٣ : « عمرو ، وابن علي عن » .

وتقدم على الصواب .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١١٧/١ .

قال : الناسُ الأحياءُ مِنَ التُّطْفِ ، والتُّطْفُ مَيْتَةٌ مِنَ النَّاسِ الأحياءِ ، وَمِنَ الأنعامِ والنَّبْتِ كذلك . قال ابنُ جُرَيْجٍ : وَسَمِعْتُ يَزِيدَ بْنَ عَوْمَيْرٍ يُخْبِرُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قال : إِخْرَاجُهُ النُّطْفَةَ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَإِخْرَاجُهُ الْإِنْسَانَ مِنَ النُّطْفَةِ^(١) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ قال : النُّطْفَةُ مَيْتَةٌ فَتُخْرِجُ مِنْهَا أَحْيَاءً ، ﴿ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ : تُخْرِجُ النُّطْفَةَ مِنَ هَوْلَاءِ الأحياءِ ، وَالْحَبُّ مَيْتٌ تُخْرِجُ مِنْهُ حَيًّا ، ﴿ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ : تُخْرِجُ مِنَ هَذَا الْحَبِّ^(٢) الْحَيَّ حَبًّا مَيْتًا .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه يُخْرِجُ النُّخْلَةَ مِنَ النُّوَاةِ ، والنُّوَاةُ مِنَ النُّخْلَةِ ، والسُّنْبُلُ مِنَ الْحَبِّ ، وَالْحَبُّ مِنَ السُّنْبُلِ ، وَالْبَيْضُ مِنَ الدَّجَاجِ ، والدَّجَاجُ مِنَ البَيْضِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا أَبُو ثَمِيلَةَ ، قال : ثنا عُبيدُ^(٣) اللَّهِ ، عَنْ عِكْرَمَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ . قال : هِيَ البَيْضَةُ تُخْرِجُ مِنَ الْحَيِّ وَهِيَ مَيْتَةٌ ، ثُمَّ يَخْرِجُ مِنْهَا الْحَيَّ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : ثنا حَفْصُ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ

(١) ينظر ما تقدم تخريجه عن مجاهد في ص ٣٠٧ . وقول سعيد ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٦/٢ ، ٦٢٧ ، عقب الأثر (٣٣٦٤ ، ٣٣٦٨) معلقًا .

(٢) سقط من : م .

(٣) في النسخ : « عبد » . والمثبت من مصدر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ٨٠ / ١٩ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٧/٢ ، ٦٢٨ (٣٣٦٦ ، ٣٣٧١) من طريق أبي ثميلة به .

أبان ، عن عكرمة فى قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ .
 قال : النخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والحبة من السنبله ، والسنبله من الحبة^(١) .
 وقال آخرون : معنى ذلك أنه يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ ، وَالْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، عن الحسن فى قوله :
 ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ [١/٣٩٧ظ] مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ، يعنى : المؤمن من
 الكافر ، والكافر من المؤمن ، والمؤمن عبدٌ حىّ الفؤادِ ، والكافر عبدٌ ميّت الفؤادِ^(٢) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، قال :
 قال الحسنُ فى قوله : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال :
 يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ ، وَيُخْرِجُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ^(٣) .

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ^(٤) بنُ سعيدٍ ، عن عمرو^(٥) ، عن
 الحسنِ قرأ : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : تُخْرِجُ
 الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ ، وَتُخْرِجُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ .

حدَّثنى حميدُ بنُ مسعدةً ، قال : ثنا بشرُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا سليمانُ التيميُّ ،
 عن أبى عثمانَ ، عن سلمانَ ، أو عن ابنِ مسعودٍ - وأكبرُ^(٥) ظننى أنه عن سلمانَ -

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥/٢ إلى المصنف .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥/٢ إلى المصنف وأبى الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١١٧ .

(٤ - ٤) فى النسخ : «عن سعيد بن عمرو» .

(٥) فى س : «أكثر» .

قال : إن الله عز وجل خَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً - أو قال : أَرْبَعِينَ يَوْمًا - ثم قال ^(١) بيده فيه ^(١) ، فخرَجَ كُلَّ طَيْبٍ فِي يَمِينِهِ ، وَخَرَجَ كُلَّ خَبِيثٍ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى ، / ثم خَلَطَ بينهما ^(٢) . وقال : ^(٢) فَمِنْ ثَمَّ يُخْرِجُ ^(٣) الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزَّهْرِيِّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَإِذَا بامرأةٍ حَسَنَةِ النِّعْمَةِ ^(٥) ، فَقَالَ : « مَنْ هَذِهِ ؟ » قَالَتْ : إِحْدَى خَالَاتِكَ . قَالَ : « إِنْ خَالَاتِي بِهَذِهِ الْبَلَدَةِ لَعْرَائِبُ ، وَأَيُّ خَالَاتِي هَذِهِ ؟ » قَالَتْ : خَالِدَةُ ^(٦) ابْنَةُ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَعْقُوثَ . قَالَ : « سُبْحَانَ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ! » وَكَانَتْ امْرَأَةً صَالِحَةً ، وَكَانَ أَبُوهَا كَافِرًا ^(٧) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْخَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبَادُ بْنُ مَنْصُورٍ ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قَالَ : هَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْكَافِرَ يَلِدُ مُؤْمِنًا ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَلِدُ كَافِرًا ؟ فَقَالَ : هُوَ كَذَلِكَ .

(١ - ١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بَعْدَهُ فِيهِ » ، وَفِي س : « بَعْدَهُ » .

(٢ - ٢) فِي م ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ : « ثُمَّ خَلَقَ مِنْهَا آدَمَ » ، وَلَيْسَتْ فِي بَقِيَّةِ مَصَادِرِ التَّخْرِيجِ .

(٣) بَعْدَهُ فِي ت ٢ ، ت ٣ : « قَالَ » .

(٤) بَعْدَهُ فِي م ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ : « يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ ، وَيُخْرِجُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ » .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ الْأَجْرِيُّ فِي الشَّرِيعَةِ ٢/٨٥٤ (٤٣١ ، ٤٣٢) ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي الْعِظْمَةِ ص ٣٦٩ (١٠١٨) ،

وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ص (٧١٧) مِنْ طَرِيقِ سَلِيمَانَ التَّمِيمِيِّ عَنِ أَبِي عَثْمَانَ عَنِ سَلْمَانَ وَحْدَهُ .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ أَيْضًا فِي تَفْسِيرِهِ ٢/٦٢٧ (٣٣٦٧) مِنْ طَرِيقِ سَلِيمَانَ بِهِ كَلْفُظَ الْمَطْبُوعَةِ .

(٥) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « النَّعْمَةُ » ، وَفِي مَصَادِرِ التَّخْرِيجِ : « الْهَيْئَةُ » .

(٦) فِي النِّسْخِ : « خَالِدَةُ » بِدُونِ أَلْفٍ .

(٧) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ١/١١٧ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢/٦٢٦ (٣٣٦٢) عَنِ الْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى بِهِ .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ ٨/٢٤٨ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢/٦٢٦ (٣٣٦٠) مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ بِهِ نَحْوَهُ وَعِنْدَ ابْنِ

أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . وَيَنْظُرُ الْإِصَابَةُ ٥/٥٩٧ .

وأولى التأويلات التي ذكرناها في هذه الآية بالصواب تأويل من قال : يُخْرِجُ
 الإنسانَ الحيَّ^(١) والأنعامَ والبهائمَ الأحياءَ من التُّطْفِيفِ المَيْتَةِ ، وذلك إخراجَ الحيِّ من
 المَيْتِ ، ويُخْرِجُ التُّطْفِيفَةَ المَيْتَةَ مِنَ الإنسانِ الحيِّ والأنعامِ والبهائمِ الأحياءِ ، وذلك إخراجَ
 المَيْتِ مِنَ الحيِّ . وذلك أن كلَّ حيٍّ فارقه شيءٌ من جسده ، فذلك الذي فارقه منه
 مَيْتٌ ، فالتُّطْفِيفَةُ مَيْتَةٌ لمُفَارِقَتِهَا جَسَدَ مَنْ خَرَجَتْ مِنْهُ ، ثُمَّ يُنْشِئُ اللَّهُ مِنْهَا إِنْسَانًا حَيًّا
 وَبِهَائِمًا وَأَنْعَامًا أَحْيَاءَ ، وكذلك حُكْمُ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ زَائِلُهُ شَيْءٌ مِنْهُ ، فالذي زَائِلُهُ مِنْهُ
 مَيْتٌ . وذلك هو نَظِيرُ قَوْلِهِ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ
 يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨] .

وأما تأويل من تأوله بمعنى الحَيَّةِ مِنَ السُّنْبِلَةِ ، والسُّنْبِلَةُ مِنَ الحَبِّ ، والبيضة من
 الدَّجَاجَةِ ، والدَّجَاجَةُ مِنَ البَيْضَةِ ، والمؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، فإن ذلك
 وإن كان له وجهٌ مفهومٌ ، فليس ذلك الأغلب الظاهر في استعمال الناس في الكلام .
 وتوجيه معاني كتاب الله عز وجل إلى الظاهر المُشْتَعَمَلِ فِي النَّاسِ ، أَوْلَى مِنْ تَوْجِيهِهَا
 إِلَى الخَفِيِّ القَلِيلِ فِي الاستعمالِ .

واختلفت القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأته جماعة منهم : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ
 الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ، بالتشديد وتثقيب الياء من « الميِّت »^(٢) ، بمعنى أنه
 يُخْرِجُ الشَّيْءَ الْحَيَّ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي قَدِمَاتِ وَمَا لَمْ يَمُتْ .

وقرأت جماعة أخرى منهم : (تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ)
 بتخفيف الياء من « الميِّت » ، بمعنى أنه يُخْرِجُ الشَّيْءَ الْحَيَّ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي قَدِمَاتِ ،

(١) سقط من : ت ١ .

(٢) وهى قراءة نافع وعاصم - فى رواية حفص - وحمزة والكسائى ، وقرأ ابن كثير وعاصم - فى رواية أبى بكر - وأبو عمرو وابن عامر ، بالتخفيف ، وسيدكره المصنف . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٤ .

دُونَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَمُتْ ، وَيُخْرِجُ الشَّيْءَ الْمَيِّتَ دُونَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَمُتْ مِنَ الشَّيْءِ الْحَيِّ .

وذلك أن الميِّتَ مُثَقَّلَ الياءِ عندَ العربِ ، ما لم يَمُتْ وسيموُثُ ، وما قد مات . وأما الميِّتُ مُخَفَّفًا^(١) ، فهو الذي قد مات ، فإذا أرادوا النعتَ قالوا : إنك مائتٌ غداً ، وإنهم مائتون . وكذلك كلُّ ما لم يَكُنْ بعدُ ، فإنه يُخْرِجُ على هذا المثالِ الاسمَ منه . يقالُ : هو الجائِدُ بنفسه ، والطائِبَةُ نفسُه بذلك . وإذا أُريدَ معنى الاسمِ قيل : هو الجوادُ بنفسِه ، والطيبَةُ نفسُه .

فإذ كان ذلك كذلك ، فأوَّلَى القراءتين في هذه الآية بالصواب^(٢) قراءةً من شَدَّدَ الياءَ من « الميِّتِ ؛ لأنَّ اللهَ جلَّ ثناؤه يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ / النطفَةِ التي قد فارقت ٢٢٧/٣ الرجلَ ، فصارت مَيِّتَةً ، وسيُخرِجُه منها بعدَ أن تُفارقَه وهي في ضَلْبِ الرجلِ ، ويُخْرِجُ الميِّتَ من الْحَيِّ ؛ النطفَةُ التي تصيرُ بخروجِها من الرجلِ الْحَيِّ مَيِّتًا ، وهي قبلَ خروجِها منه حَيَّةٌ ، فالتشديدُ أبلغُ في المدحِ وأكملُ في الثناءِ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه أنه يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ ، فيَجُودُ عليه بغيرِ محاسبةٍ منه لِمَنْ أعطاه ؛ لأنه لا يخافُ دخولَ انتقاصِ في خزائِنِه ، ولا الفناءَ على ما بيده .

كما حدَّثني المُثَنِّي ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قوله : ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . قال : يُخْرِجُ الرزقَ مِنْ عِنْدِهِ بغيرِ حسابٍ ، لا يخافُ أن يَنْقُصَ ما عنده تبارك وتعالى^(٣) .

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « مخفف » ، وفي س : « فيخفف » .

(٢) كلتا القراءتين صواب .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٨/٢ (٣٣٧٣) من طريق ابن أبي جعفر به نحوه .

[٣٩٨/١] فتأويل الآية إذن : اللهم يا مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتُعزِّز من تشاء ، وتُذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير ، دون من ادعى الملحدون أنه لهم إله ورب ، وعبدوه دونك ، أو^(١) اتَّخذوه شريكاً معك ، أو أنه لك ولد . وبيدك القدرة التي تفعل هذه الأشياء ، وتقدير بها على كل شيء ، تُولج الليل في النهار ، وتُولج النهار في الليل ، فتتقَّص من هذا وتزيد في هذا ، وتتقَّص من هذا^(٢) وتزيد^(٣) في هذا ، وتُخرج من ميث حيا ، ومن حيا ميثا ، وتزوق من تشاء بغير حساب من خلقك ، لا يُقدر على ذلك أحد سواك ، ولا يستطيعه غيرك .

كما حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . أى : بتلك القدرة ، يعنى بالقدرة التي تؤتي الملك بها من تشاء وتنزعه^(٤) ممن تشاء ، وتزوق من تشاء بغير حساب ، لا يُقدر على ذلك غيرك ، ولا يصنعه إلا أنت . أى : فإن كنت سلطت عيسى على الأشياء التي بها يزعمون أنه إله ؛ من إحياء الموتى ، وإبراء الأَسقام ، والخلق للطير من الطين ، والخبر عن الغيوب ؛^(٥) لأجعله آية للناس ، وتصديقاله في نبوته التي بعثته بها إلى قومه ، فإن من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه ؛ تملك^(٦) الملوك ،^(٧) وأمر النبوة ووضعها^(٨) حيث

(١) فى م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « و » .

(٢ - ٣) فى ص : « فتزيد » .

(٣) فى ص ، ت ، ١ ، س : « تنزعها » .

(٤ - ٥) فى ص ، م ، ت ، ٢ ، س : « لتجعله » ، وفى س ، ت ، ١ : « ليجعله » ، وغير منقوطة فى ص ، والمثبت من سيرة ابن هشام ، وبعده فيها أيضاً : « به » .

(٥) فى م : « كتمليك » ، والمثبت موافق لما فى سيرة ابن هشام .

(٦ - ٧) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يأمر النبوة ووصفها » .

شئت ، وإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل ، وإخراج الحي من الميت والميت من الحي ، ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب ، فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه إياه ، فلم ^(١) يكن لهم في ذلك عبرة وبينة أن ^(٢) لو كان إلها لكان ذلك كله إليه ، وهو في علمهم يهزب من الملوك ، وينقل منهم في البلاد من ^(٣) بلدي إلى بلدي ^(٤) !

القول في تأويل قوله : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ اَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ اِلَّا اَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ ثَقَلَةٌ ﴾ .

/ وهذا نهى من الله عز وجل المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعواناً وأنصاراً ٢٢٨/٣ وظهوراً ، ولذلك كسر ﴿ يَتَّخِذِ ﴾ ؛ لأنه في موضع جزم بالنهي ، ولكنه كسر الذال منه للساكن الذي لقيه وهي ساكنة .

ومعنى ذلك : لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً ، ثوالونهم على دينهم ، وتظاهروا بهم على المسلمين من دون المؤمنين ، وتدلونهم على عوراتهم ، فإنه من يفعل ذلك ﴿ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ ، يعني بذلك : فقد برئ من الله ، وبرئ الله منه ، بارتداده عن دينه ، ودخوله في الكفر ، ﴿ اِلَّا اَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ ثَقَلَةٌ ﴾ : إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم ، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم ، وتضمروا لهم العداوة ، ولا تشايعوهم ^(٥) على ما هم عليه من الكفر ، ولا

(١) في سيرة ابن هشام : « أقلم » وفي نسخة منها كالثبت .

(٢) في م : « إذ » .

(٣) في ص ، ت ١ : « ومن » ، وفي س : « أو من » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٨/١ .

(٥) في ت ٢ ، ت ٣ : « تتابعوهم » ، وفي س : « تسابقوهم » .

تُعِينُوهُمْ عَلَىٰ مُسْلِمٍ بِفِعْلٍ .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . قال : نهى اللَّهُ سبحانه المؤمنين أن يُلاطفوا الكفارَ ، أو يتَّخِذوهم وليجةً من دون المؤمنين ، إلا أن يكونَ الكفارُ عليهم ظاهرين ، فيُظهروا لهم اللطفَ ، ويُخالِفُوهم في الدين ، وذلك قوله : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمْ تَقْنَةً ﴾ ^(١) .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةٌ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاق ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبي محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان الحجاجُ بنُ عمرو ، حليفُ كعبِ بنِ الأشرفِ ، وابنُ أبي الحقيقِ ، وقيسُ بنُ زيدٍ ، قد بطنوا ^(٢) بنفري من الأنصارِ ليقتنواهم عن دينهم ، فقال رفاعَةُ بنُ المنذرِ بنِ زئبِرٍ ^(٣) ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جبيرٍ ، وسعدُ بنُ حَيْثَمَةَ ، لأولئك النفرِ : اجْتَنِبُوا هؤُلاءِ اليهودَ ، واحذروا لزومهم ومباطنتهم ، لا يفتنوكم عن دينكم . فأتى أولئك النفرُ إلا مُباطنتهم ولزومهم ، فأنزل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٦٢٨/٢ (٣٣٧٥) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٢) بطن فلان بفلان : إذا كان خاصا به داخلا في أمره . اللسان (ب ط ن) .

(٣) سقط من : س ، وغير منقوطة في ص ، ت ، ١ ، وفي م : « زبير » ، وفي ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « زهير » . وينظر المؤلف والمختلف ١١٤٠ / ٣ ، وتبصير المنتبه لابن حجر ص ٦٤٠ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٧٧) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن علي محمد بن أبي محمد قوله . وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٧٢ ، ٧٣ عن ابن عباس ولم يسنده .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عِبَادُ بْنُ مَنْصُورٍ ،
عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .
يَقُولُ : لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُ كَافِرًا وَلِيًّا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنِ الشَّدِيِّ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ
الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ ﴾ . إِلَى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُؤُوا مِنْهُمْ تَقْنَةً ﴾ : أَمَّا ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ ،
فِيوَالِيَهُمْ فِي دِينِهِمْ ، وَيُظْهِرُهُمْ عَلَى عَوْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَنْ فَعَلَ هَذَا فَهُوَ مُشْرِكٌ ، فَقَدْ بَرِئَ
اللَّهُ مِنْهُ ، إِلَّا أَنْ يَتَّقِيَ مِنْهُمْ تَقَاةً ، فَهُوَ يُظْهِرُ الْوَلَايَةَ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَالْبِرَاءَةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ ، قَالَ : ثنا سَفِيانُ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ،
عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُؤُوا مِنْهُمْ تَقْنَةً ﴾ . قَالَ : التَّقَاةُ التَّكْلِمُ
بِاللِّسَانِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا حَفْصُ بْنُ عَمْرٍ ، قَالَ : ثنا الْحَكَمُ بْنُ
أَبَانَ ، عَنِ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُؤُوا مِنْهُمْ تَقْنَةً ﴾ . قَالَ : مَا لَمْ يُهْرِقْ دَمَ
مُسْلِمٍ ، وَمَا لَمْ يَسْتَحِجَلْ مَالَهُ ^(٣) .

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنِ عَيْسَى ، [٣٩٨/١ ظ] عَنِ ابْنِ ٢٢٩/٣
أَبِي نَجِيحٍ ، عَنِ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : إِلَّا مُصَانَعَةً فِي الدُّنْيَا وَمُخَالَفَةً ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٧٦ ، ٣٣٧٨ ، ٣٣٧٩) من طريق عمرو به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٨٢) من طريق سفيان ، عن ابن عباس بنحوه .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٨٠) من طريق حفص به .

(٤) غير منقوطة في ص ، وفي ت ١ : « مخالفة » . ومخالفة مخالفة : إذا عاشره على أخلاقه . التاج (خ ل ق) .

والأثر في تفسير مجاهد ص ٢٥١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٠/٢ (٣٣٨٥) ، من طريق ابن

أبي نجيح به . وليس في تفسير مجاهد : ومخالفة .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا سَيْبٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ
مَجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ
فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إِلَى : ﴿ إِلَّا أَنْ
تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقْفَةً ﴾ . قَالَ : قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ ، وَلَيْسَ بِالْعَمَلِ ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ
الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقْفَةً ﴾ . قَالَ : التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ ، مَنْ
حُجِلَ عَلَى أَمْرٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَهُوَ لِلَّهِ مَعْصِيَةٌ ، فَتَكَلَّمَ مَخَافَةً عَلَى نَفْسِهِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
بِالْإِيمَانِ ، فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، إِنَّمَا التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عُمَى ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقْفَةً ﴾ : فَالتَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ ، مَنْ
حُجِلَ عَلَى أَمْرٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَهُوَ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ ، فَيَتَكَلَّمُ بِهِ مَخَافَةَ النَّاسِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
بِالْإِيمَانِ ، فَإِنْ ذَلِكَ لَا يَضُرُّهُ ، إِنَّمَا التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ^(٤) ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقْفَةً ﴾ : إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ
قَرَابَةٌ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدٌ ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ لَا يَتَّخِذِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٠/٢ (٣٣٨٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٠/٢ عقب الأثر (٣٣٨٤) معلقاً .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٨١) عن محمد بن سعد به .

(٤) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « ذلك » .

الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِلَى : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾^(١) : نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوَادُّوا الْكَافِرَ ، أَوْ يَتَوَلَّوْهُم دُونَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾^(١) ، الرَّحْمُ مِنَ الْمَشْرِكِينَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَوَلَّوْهُم فِي دِينِهِمْ ، إِلَّا أَنْ يَصِلَ رَحْمًا لَهُ فِي الْمَشْرِكِينَ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ . قَالَ : لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَتَّخِذَ كَافِرًا وَلِيًّا فِي دِينِهِ ، وَقَوْلُهُ : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾ . قَالَ : أَنْ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ ، فَتَصِلَهُ لِذَلِكَ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ ثنا عِبَادُ بْنُ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾ . قَالَ : صَاحِبِهِمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ، الرَّحْمُ^(٣) وَغَيْرِهِ ، فَأَمَّا فِي الدِّينِ فَلَا .

وهذا الذي قاله قتادة تأويل له وجه ، وليس بالوجه الذي يُدُلُّ عليه ظاهر الآية : **إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا** 'من الكافرين' ثقة . فالأغلب من معاني هذا الكلام : **إِلَّا أَنْ تَخَافُوا** منهم مخافة . فالتَّقِيَةُ التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تَقِيَةٌ مِنَ الْكُفَرِ لَا مِنْ غَيْرِهِمْ . وَوَجَّهَهُ قَتَادَةُ إِلَى أَنْ تَأْوِيلُهُ : **إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ مِنْ أَجْلِ الْقَرَابَةِ** التي بينكم وبينهم ثقة ، فَتَصِلُونَ رَحْمَتَهَا . وليس ذلك الغالب على معنى الكلام ، والتأويل في القرآن على الأغلب الظاهر من معروف كلام العرب ، المستعمل فيهم .

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ٣ : « تقيّة » . قراءة ، وسيدكرها المصنف بعد قليل .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٨ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٣٠ (٣٣٨٦) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « والرحم » .

(٤ - ٤) في س : « منهم » .

وقد اختلفت القراءَةُ في قراءة قولهِ : ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمُ تُقْنَةً﴾ ؛ فقرأ ذلك عامَّةُ قَرَاءَةِ الْأَمْصَارِ ﴿إِلَّا / أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمُ تُقْنَةً﴾ على تقديرِ فَعْلَةٍ مثل : تُحْمِيهِ ، وتُوَدِّدُهُ ، وتُكَاةُ ، مِنْ « اتَّقَيْتِ » .

وقرأ ذلك آخرون : (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقِيَّةً) . على مثالِ فَعِيلَةٍ ^(١) .

والقراءةُ التي هي القراءةُ عندنا قراءةٌ من قراءها : ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمُ تُقْنَةً﴾ ؛ لثبوتِ حُجَّةٍ ذلك بأنه القراءةُ الصحيحةُ ، بالنقلِ المُستفيضِ الذي يمتنعُ معه ^(٢) الخطأُ .

القولُ في تأويلِ قولهِ عزَّ وجلَّ : ﴿وَيَعَذِّبُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ^(٣٨) .

يعنى تعالى ذِكْرَهُ بذلك : وَيُخَوِّفُكُمْ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ تَرْكَبُوا مَعَاصِيَهُ ، أَوْ تُؤَالُوا أَعْدَاءَهُ ، ^(٣) فإلى اللَّهِ ^(٣) مَرْجِعُكُمْ وَمَصِيرُكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ ، ويومُ حَشْرِكُمْ لموقفِ الحِسابِ . يعنى بذلك : متى صِرْتُمْ إِلَيْهِ وَقَدْ خَالَفْتُمْ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ ، وَأَتَيْتُمْ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ نَالِكُمْ مِنْ عِقَابِ رَبِّكُمْ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ . يقولُ : فَاتَّقُوهُ وَاحْذَرُوهُ أَنْ يَنَالَكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ .

القولُ في تأويلِ قولهِ عزَّ وجلَّ : ﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُشْدُوهُ يَعْتَكُمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ^(٣٩) .

(١) وهى رواية المفضل عن عاصم ، وبها قرأ يعقوب - وهو من العشرة - ووافقه الحسن ، وقرأ الباقون بالوجه الأول . ينظر البحر المحيط ٢/٤٢٤ ، وإتحاف فضلاء البشر ص ١٠٤ .

(٢) فى النسخ : « منه » . وهو تصحيف . والصواب ما أثبت .

(٣ - ٣) فى ص ، ت ١ ، س : « فإن الله » ، وفى م : « فإن الله » .

يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ أَمَرْتُهُمْ أَلَّا يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿إِنْ تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ مِنْ مُوَالَاةِ الْكَافِرِ فَتُسِرُّوهُ ^(١) ، أَوْ تُبْدُوا ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكُمْ بِالسُّنْتِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ فَتُظْهِرُوهُ ، ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ . يَقُولُ : فَلَا تُضْمِرُوا لَهُمْ مَوَدَّةً وَلَا تُظْهِرُوا لَهُمْ مُوَالَاةً ، فَيَنَالِكُمْ مِنْ عُقُوبَةِ رَبِّكُمْ مَا لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَعَلَانِيَتَكُمْ ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ ، وَهُوَ مُخَصِّصٌ عَلَيْكُمْ ، حَتَّى يُجَازِيَكُمْ عَلَيْهِ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا ، وَبِالسُّيْئَةِ مِثْلَهَا .

كَمَا حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنِ الشَّدِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا أَسْرَوْا مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَعْلَنُوا ، فَقَالَ ^(٢) : ﴿إِنْ تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾ ^(٣) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فَإِنَّهُ ^(٤) يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا ^(٥) كَانَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ هُوَ فِي سَمَاءٍ أَوْ أَرْضٍ أَوْ حَيْثُ كَانَ ، فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ - أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ [٣٩٩/١] الْمُؤْمِنِينَ - مَا فِي صُدُورِكُمْ مِنَ الْمَيْلِ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَالْحُبِّ ، أَوْ مَا تُبْدُونَهُ لَهُمْ بِالْمَعُونَةِ فَعَلًا وَقَوْلًا ؟

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي : وَاللَّهُ قَدِيرٌ عَلَى مُعَاجَلَتِكُمْ بِالْعُقُوبَةِ ^(٦) عَلَى مُوَالَاةِكُمْ إِيَّاهُمْ ، وَمُظَاهَرَتِكُمْ هُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَلَى مَا يَشَاءُ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا ، لَا يَتَعَدَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ طَلَبَهُ .

(١) فِي س : « فَتُسِرُّوهُ » .

(٢) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « قَالَ » .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٣١/٢ (٣٣٨٩) مِنْ طَرِيقِ عَمْرُو بِهِ .

(٤) فِي ت ، ١ ، س : « فَإِنَّمَا » .

(٥) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « إِذْ » .

(٦) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « وَالْعُقُوبَةُ » .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ .

/ يعنى بذلك جل ثناؤه : ويحذركم الله نفسه في يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ مُحضراً موفراً ، ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ . يعنى : غايةً بعيدةً ، فإن مصيركم أيها القوم يومئذ إليه ، فاحذروه على أنفسكم من ذنوبكم .

٢٣١/٣

وكان قتادة يقول في معنى قوله : ﴿ مُّحْضَرًا ﴾ . ما حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ . يقول : موفراً^(١) .

وقد زعم بعض^(٢) أهل العربية أن معنى ذلك : وأذكرو^(٣) يوم تجد . وقال : إن ذلك إنما جاء كذلك ؛ لأن القرآن إنما نزل للأمر والذكر ، كأنه قيل لهم : اذكروا كذا وكذا ؛ لأنه في القرآن في غير موضع : واتقوا يوم كذا ، وحين كذا .

وأما ﴿ مَا ﴾ التى مع ﴿ عَمِلَتْ ﴾ فبمعنى « الذى » ، ولا يجوز أن تكون جزاءً ، لوقوع ﴿ تَجِدُ ﴾ عليه^(٤) .

وأما قوله : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ ﴾ . فإنه معطوف على قوله : ﴿ مَا ﴾ الأولى ، و ﴿ عَمِلَتْ ﴾ صلة بمعنى الرفع ، لما^(٥) قيل : ﴿ تَوَدُّ ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣١/٢ (٣٣٩٢) من طريق يزيد به .

(٢) زيادة يقتضيهما السياق .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

(٤) الوقوع : التعدى .

(٥) فى النسخت : « كما » . والمثبت ما يقتضيهما السياق . وينظر معانى القرآن للفراء ١/٢٠٦ .

فتأويل الكلام : يوم تجد كل نفس الذي عملت من خيرٍ مُحضراً ، والذي عملت من سوءٍ تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً .

والأمد^(١) الغاية التي ينتهي إليها ، ومنه قول الطرمح^(٢) :

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ الْعُمُرِ وَمُؤَيِّدٌ^(٣) إِذَا انْقَضَى أَمْدُهُ^(٤)
يعنى : غايةُ أجله .

وقد حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي قوله : ﴿ وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ : مكاناً بعيداً^(٥) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ . قال : أجلاً^(٦) .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا عبّاد بن منصور ، عن الحسن في قوله : ﴿ وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ . قال : يشرُّ أحدهم ألا يلقى عمله ذاك أبداً ، يكون ذلك مناه ، وأما في الدنيا فقد كانت خطيئته يشتلدها^(٧) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

يقول جل ثناؤه : ويحذركم الله نفسه أن تُسخطوها عليكم بركوبكم ما

(١) في ص : « فإن » .

(٢) ديوانه ص ١٩٧ .

(٣) مود : هالك .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أجله » ، وفي الديوان : « عدده » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٢/٢ (٣٣٩٧) من طريق عمرو به .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٧/٢ إلى المصنف .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٣١/٢ (٣٣٩٤) من طريق أبى بكر الحنفى به .

يُسَخِّطُهُ عَلَيْكُمْ ، فتوافوه ^(١) يومَ تجدُّ كلُّ نفسٍ ما عملت من خيرٍ محضراً ، وما عملت من سوءٍ تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، وهو عليكم ساحطٌ ، فيتألكم من أليمٍ عقابه ما لا قبيل لكم به .

ثم أخبر عز وجل أنه رءوفٌ بعباده رحيمٌ بهم ، ومن رأفته بهم تحذيره إياهم نفسه ، وتخويفهم عقوبته ، ونهيته إياهم عما نهاهم عنه من معاصيه .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، عن ابنِ عُيينة ، عن عمرو ، عن ^(٢) الحسنِ في قوله : ﴿ وَحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ . قال ^(٣) : من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ^(٤) .

٢٣٢/٣

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣١) .

اختلف أهل التأويل في السبب الذي أنزلت هذه الآية فيه ؛ فقال بعضهم : أنزلت في قوم قالوا على عهد النبي ﷺ : إنا نحب ربنا . فأمر الله جل وعز نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم : إن كنتم صادقين فيما تقولون فاتبعوني ، فإن ذلك علامة صدقكم فيما قلتم من ذلك .

(١) في م : « فتوافونه » .

(٢) في النسخ : « بن » . والمثبت من مصادر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ١٢٣/٢٢ .

(٣) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « هو » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/١١٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٢/٢ (٣٣٩٨) من طريق الفضيل بن

عياض ، عن الحسن .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ بَكْرِ ابْنِ الْأَسْوَدِ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : قَالَ قَوْمٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا نُحِبُّ رَبَّنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ . فَجَعَلَ أَتْبَاعَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَمًا لِحُبِّهِ ، وَعَذَابَ مَنْ خَالَفَهُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : قَالَ أَقْوَامٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا لَنُحِبُّ رَبَّنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ بِذَلِكَ قَرَأْنَا : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ، فَجَعَلَ اللَّهُ أَتْبَاعَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَمًا لِحُبِّهِ ، وَعَذَابَ مَنْ خَالَفَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ . قَالَ : كَانَ قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ ، يَقُولُونَ : إِنَّا نُحِبُّ رَبَّنَا . فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَتَّبِعُوا [٣٩٩/١] مُحَمَّدًا ﷺ ، وَجَعَلَ أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَمًا لِحُبِّهِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ^(٤) ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْخَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ الْآيَةَ . قَالَ : إِنَّ أَقْوَامًا كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لِقَوْلِهِمْ تَصْدِيقًا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٧/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (٢٥٤) من طريق عبد الوهاب به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٧/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) عزاه في الدر المنثور ١٧/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) في النسخ : « سفيان » . وتقدم في ص ٣٢٣ .

من عمل ، فقال : ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ الآية . كان أتباع محمد ﷺ تصديقاً لقولهم ^(١) .

وقال آخرون : بل هذا أمرٌ من الله نبيه محمدًا ﷺ أن يقول لوفدِ نجران الذين قَدِموا عليه من النصارى ، إن كان الذى يقولونه فى عيسى من عظيم القول إنما يقولونه تعظيمًا لله وحبًا له ، فاتَّبِعُوا مُحَمَّدًا ﷺ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ أى : إن كان هذا من قولكم - يعنى فى عيسى - حبًا لله وتعظيمًا له ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أى : ما مضى من كفركم ، ﴿ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ^(٢) .

٢٣٣/٣

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير ؛ لأنه لم يَجْرِ لغير وفدِ نجران فى هذه السورة ولا قَبْلَ هذه الآية ذِكْرُ قومٍ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ ولا أَنَّهُمْ يُعْظَمُونَهُ ، فيكون قوله : ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ جواباً لقولهم على ما قاله الحسن .

وأما ما روى الحسن فى ذلك مما قد ذكرناه ، فلا خبر به عندنا يَصِحُّ فيجوز أن يقال : إن ذلك كذلك . وإن لم يكن فى السورة دلالة على أنه كما قال ، إلا أن يكون الحسنُ أراد بالقوم الذين ذكر أنهم قالوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ وقد نَجَرَ من النصارى ، فيكون ذلك من قوله نَظِيرَ إخبارنا .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٣٣/٢ (٣٤٠٢) من طريق أبى بكر الحنفى .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٨ ، ٥٧٩ .

فإذا لم يكنْ بذلك خبرٌ على ما قلنا ، ولا فى الآية دليلٌ على ما وصّفنا ، فأولىّ الأمور بنا أن نُلحِقْ تأويلَه بالذى عليه الدّلالة من آيِ السورة ، وذلك هو ما وصّفنا ؛ لأن ما قبلَ هذه الآية من مُبتدأ هذه السورة وما بعدها خبرٌ عنهم ، واحتِجاجٌ من اللّهِ لنبيّه محمدٍ ﷺ ، ودليلٌ على بُطولِ قولهم فى المسيح . فالواجبُ أن تكونَ هى أيضًا مَضرُوفَةٌ المعنى إلى نحوِ ما قبلها ومعنى ما بعدها .

فإذْ كان الأمرُ على ما وصّفنا ، فتأويلُ الآية : قلْ يا محمدُ للوفدِ من نصارى نَجْرانَ : إن كُنتم تَزْعُمون أنكم تُحِبُّون اللّهَ ، وأنكم تُعْظَمون المسيحَ ، وتقولون فيه ما تقولون ، حُبًّا منكم ربّكم ، فحقّقوا قولكم الذى تقولونه ، إن كُنتم صادقين ، باتّباعكم إيايَ ، فإنكم تعلمون أنى لله رسولٌ إليكم ، كما كان عيسى رسولاً إلى من أُرْسِلَ إليه ، فإنه إن اتّبعتمونى وصدّقتمونى على ما آتيتكم به من عندِ اللّهِ ، يَغْفِرْ لكم ذُنُوبكم ، فيصْفَحْ لكم عن العقوبةِ عليها ، ويَعْفُو لكم عمّا مضى منها ، فإنه غفورٌ لذنوبِ عباده المؤمنين ، رحيمٌ بهم وبغيرهم من خلقه .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ (٤٢)

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : قلْ يا محمدُ لهؤلاءِ الوفدِ من نصارى نَجْرانَ : أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ مُحَمَّدًا ، فإنكم قد عَلِمتم يقينًا أنه رسولى إلى خلقى ، اتّبعته بالحقّ ، تجدونه مکتوبًا عندكم فى الإنجيلِ ، فإن تولّوا فاستدبروا عمّا دعوتهم إليه من ذلك وأعرضوا عنه ، فأعلّمهم أن اللّه لا يُحِبُّ مَنْ كَفَرَ ، بِجَحْدِ ما عَرَفَ مِنَ الْحَقِّ وَأَنكَرَهُ بَعْدَ عِلْمِهِ ، وَأَنَّهُمْ مِنْهُمْ بِجُحُودِهِمْ نُبُوتَكَ وَإِنكَارِهِمُ الْحَقَّ الَّذِى أَنْتَ عَلَيْهِ ، بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِصِحَّةِ أَمْرِكَ وَحَقِيقَةِ نُبُوتِكَ .

كما حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ : فأنتم تعرفونه - يعنى الوفد من نصارى نجران - وتجدونه فى كتابكم ، ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ على كفرهم ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ ^(١) .

/ القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعٰلَمِينَ ﴾ ^(٣٣) .

٢٣٤/٣

يعنى بذلك جلُّ ثناؤه : إن الله اجتبى آدم ونوحا ، واختارهما لدينهما ، وآل إبراهيم وآل عمران لدينهم الذى كانوا عليه ؛ لأنهم كانوا أهل الإسلام . فأخبر الله عزَّ وجلَّ أنه اختار دينَ مَنْ ذَكَرْنَا عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ الَّتِي خَالَفَتْهُ . وإنما عني بـ « آل إبراهيم وآل عمران » المؤمنين .

وقد دللنا على أن آل الرجل أتباعه وقومه ومن هو على دينه .

وبالذى قلنا فى ذلك روى القول عن ابن عباس أنه كان يقوله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعٰلَمِينَ ﴾ . قال : هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمدٍ ، يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِذَيْنِ اتَّبَعُوهُ ﴾ [آل عمران : ٦٨] . وهم المؤمنون ^(٢) .

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٧٩ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٣٥ (٣٤١٤) ، من طريق عبد الله بن صالح به دون آخره .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ مَادَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ : رجلا نبيَّانِ اصْطَفَاهُمَا اللَّهُ عَلَى الْعَالَمِينَ .

[٤٠٠/١] حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قتادة في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ مَادَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ : ذَكَرَ اللَّهُ أَهْلَ بَيْتَيْنِ صَالِحِينَ ، وَرَجُلَيْنِ صَالِحِينَ ، فَفَضَّلَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ، فَكَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبَّادٌ ، عن الحسن في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ مَادَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . قَالَ : فَضَّلَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْعَالَمِينَ بِالنَّبُوَّةِ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ ، كَانُوا هُمُ الْأَنْبِيَاءُ الْأَتْقِيَاءُ الْمُصْطَفَيْنِ ^(٢) لِرَبُّهُمْ ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

يعنى بذلك أن الله اصطفى آل إبراهيم وآل عمران ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ . فالذُرِّيَّةُ منصوبةٌ على القطع من « آل إبراهيم وآل عمران » ؛ لأن « الذُرِّيَّةَ » نكرةٌ ، و« آل عمران » معرفةٌ .

ولو قيل : نُصِبَتْ عَلَى تَكَرُّرِ « الْاِصْطِفَاءِ » . لكان صوابًا ؛ ^(٤) « لأن المعنى » :

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١١٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٥ (٣٤١٣) عن الحسن بن يحيى

به .

(٢) في م ، س : « المطيعين » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٤ (٣٤١١) من طريق أبي بكر الحنفى به .

(٤) (٤ - ٤) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « لمعنى » .

اصْطَفَى ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ .

وإنما جعل بعضهم من بعض في الموالاة في الدين ، والموازرة على الإسلام والحق ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٧١] . وقال في موضع آخر : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٦٧] . يعنى : أن دينهم واحد ، وطريقتهم واحدة ، فكذلك قوله : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ . إنما معناه : ذُرِّيَّةً دِينِ بَعْضِهَا دِينِ بَعْضٍ ، وَكَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ ، وَمِلَّتُهُمْ وَاحِدَةٌ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ .

/ كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ . يقول : فى النية والعمل والإخلاص والتوحيد له ^(١) . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . يعنى بذلك : واللّه ذو سَمْعٍ لِقَوْلِ امْرَأَةِ عِمْرَانَ ، وَذُو عِلْمٍ بِمَا تُضْمِرُهُ فِي نَفْسِهَا ، إِذْ نَذَرْتُ لَهُ مَا فِي بَطْنِهَا مُحَرَّرًا .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٥) .

يعنى ^(١) بذلك بقوله جل ثناؤه : واللّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ ^(٢) . إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ^(٣) . ف ﴿ إِذْ ﴾ مِنْ صِلَةٍ سَمِيعٌ ^(٤) . وأما امرأة عمران ، فهى أمّ مريم ابنة عمران أمّ عيسى ابن مريم ، صلوات الله عليه ، وكان اسمها ، فيما ذكر لنا ، حَنَّةُ ابنة فاقوذ ^(٥) ابن قبيل ^(٤) .

كذلك حدثنا به محمد بن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فى

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٥/٢ (٣٤١٨) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٢) فى النسخ : « بقوله جل ثناؤه » . والمثبت هو ما جرت عليه عادة المصنف فى تفسيره ، وسيأتى فى ص ٣٩٢ .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « قابود » .

(٤) فى م فى هذا الموضع والموضع بعده : « قتيل » .

نَسَبِهِ^(١) . وقال غيرُ ابنِ حُمَيْدٍ : ابنةُ فاقودَ - بالدالِ - ابنِ قبيلِ .

فأما زوجها ، فإنه عمرانُ بنُ ياشهمَ^(٢) بنِ أمونَ بنِ منشا بنِ حزقيا بنِ أحريقَ^(٣)
ابنِ يوثمَ^(٤) بنِ عزاريا^(٥) بنِ أمصيا بنِ ياوشَ بنِ أحزيهو^(٦) بنِ يارمَ^(٧) بنِ يهفاشاطَ^(٨)
ابنِ أيشا^(٩) بنِ أيبا^(١٠) بنِ رجبمَ بنِ سليمانَ بنِ داودَ بنِ أيشا .

كذلك حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ في
نَسَبِهِ^(١١) .

وأما قوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . فإن معناه : إني جعلتُ
لك يا ربُّ نذرًا ؛ أن لك الذي في بطني مُحَرَّرًا لعبادتك . يعنى بذلك : حبسه على
خدمتك وخدمة قُدسِكَ في الكنيسة ، عتيقةً من خدمة كلِّ شيءٍ سواك ، مُفَرَّغَةً لك
خاصَّةً .

ونصب ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ على الحالِ^(١٢) مما في الصفةِ من ذِكْرِ^(١٢) « الذي » .

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ١/٥٨٦ ، وينظر البداية والنهاية ٢/٤١٨ .

(٢) في ت ١ ، ت ٢ ، س ، والبداية والنهاية : « باشم » .

(٣) في النسخ : « أحريق » ، والمثبت من تاريخ المصنف والبداية والنهاية .

(٤) في تاريخ المصنف : « يوثم » ، وفي البداية والنهاية : « موثم » ، وأثبتناه بالثناء ليوافق ما فيهما .

(٥) في تاريخ المصنف : « عزريا » .

(٦) في النسخ : « أحريهو » ، والمثبت من تاريخ المصنف والبداية والنهاية .

(٧) في النسخ : « يارم » ، والمثبت من تاريخ المصنف والبداية والنهاية .

(٨) في تاريخ الطبرى : « يهشفاظ » .

(٩) في م : « أشا » ، وفي تاريخ الطبرى : « أسا » ، وفي البداية والنهاية : « أيش » .

(١٠) في النسخ : « أبان » . والمثبت من تاريخ المصنف .

(١١) أخرجه المصنف في تاريخه ١/٥٨٥ ، ٥٨٦ . وينظر البداية والنهاية ٢/٤١٧ .

(١٢ - ١٢) في م : « من ما التي بمعنى » .

﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي ﴾ . أى : فتقبل منى ما نذرت لك يا رب ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . يعنى : إنك أنت يا رب السميع لما أقول وأدعو ، العليم لما أنوى فى نفسى وأريد ، لا يخفى عليك سر أمرى وعلايته .

وكان سبب نذر حنة ابنة فاقوذ^(١) امرأة عمران ، الذى ذكره الله فى هذه الآية ، فيما بلغنا ، ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : تزوج زكريا وعمران أختين ، فكانت أم يحيى عند زكريا ، وكانت أم مريم عند عمران ، فهلك عمران وأم مريم حامل مريم ، فهى جنين فى بطنها . قال : وكانت فيما يزعمون قد أمسك عنها الولد حتى أسنت ، وكانوا أهل بيت من الله جل ثناؤه بمكان ، فبينا هى فى ظل شجرة ، نظرت إلى طائر يطعم فرخه ، فتحركت نفسها للولد ، فدعت الله أن يهب لها ولدا ، فحملت مريم ، وهلك عمران ، فلما عرفت أن فى بطنها جنينا ، جعلته لله نذيرة . والنذيرة أن تعبده لله ، فتجعل له حبسا فى الكنيسة ، لا ينتفع به بشيء من أمور الدنيا .

/ حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ابن الزبير ، قال : ثم ذكر امرأة عمران وقولها : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ أى : نذرتة ، تقول : جعلته عتيقا لعبادة الله ، لا ينتفع به بشيء من أمور الدنيا ، ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي ﴾ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿^(٢)

حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطفاوى ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا النضر بن عري ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ . قال : خادما للبيعة^(٣) .

(١) فى ص : « فاقوذ » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٥٧٩ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢ / ٦٣٦ (٣٤٢٣) من طريق النضر بن عري به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢ / ١٨ إلى عبد بن حميد .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ عَرِيْبٍ ، عَنِ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : خَادِمًا لِلْكَنِيسَةِ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ : فَرَعَّغْتُهُ لِلْعِبَادَةِ ^(١) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا [٤٠٠/١ ظ] إِسْمَاعِيلُ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ : جَعَلْتُهُ فِي الْكَنِيسَةِ ، وَفَرَعَّغْتُهُ لِلْعِبَادَةِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْزٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عَنِ إِسْمَاعِيلَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ نَحْوَهُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنِ عَيْسَى ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنِ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ : لِلْكَنِيسَةِ ^(٢) يَخْدِمُهَا .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا سَيْبٌ ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنِ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنِ سَفْيَانَ ، عَنِ حُصَيْفٍ ، عَنِ مُجَاهِدٍ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قَالَ : خَالِصًا لَا يُخَالِطُهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا ^(٣) .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٦/٢ عقب الأثر (٣٤٢٢) معلقًا .

(٢) في ص ، ت ١ : « الكنيسة » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٦/٢ (٣٤٢٢) من طريق وكيع به .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا حَكَّامٌ ، عن عمرو ، عن عطاءٍ ، عن سعيدِ بنِ جبْرِ :
﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : للبيعةِ والكنيسةِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الحِمْيَانِيُّ ، قَالَ : ثنا شَرِيكٌ ، عن سالمٍ ، عن سعيدِ :
﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : مُحَرَّرًا للعبادةِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدٌ ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ
عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ الآية : كانت امرأةَ عمرانَ حُرَّتْ لِلَّهِ مَا
فِي بَطْنِهَا ، و كانوا إنما يُحَرِّرونَ الذكورَ ، وكان المحرَّرُ إذا حُرِّرَ جُعِلَ فِي الكَنِيسَةِ ^(٣) لا
يَبْرَحُهَا ، يقومُ عليها وَيَكْنُسُهَا ^(٤) .

حَدَّثَنَا الحَسَنُ بنُ يحيى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عبدُ الرزاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن
قتادةَ في قوله : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : نَذَرْتُ وَلَدَهَا
لِلكَنِيسَةِ ^(٥) .

حَدَّثَنِي موسى ، قَالَ : ثنا عمرو ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ إِذْ قَالَتِ
امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴾ . قال : وذلك أن امرأةَ عمرانَ حَمَلَتْ ، فَظَنَّتْ أن ما في بطنِها غلامٌ ،

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى عبد بن حميد ، ولفظه : جعلته لله والكنيسة ، فلا يحال بينه وبين
العبادة .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ص ٣٤٤ (تراجم النساء) من طريق شريك به ، بلفظ : للعبادة لا
يشغله عنها .

(٣) بعده في ص ، ت ١ : « أن » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد مطولاً .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١١٨ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ص ٣٤٧ (تراجم النساء) .

فَوَهَبْتَهُ لِلَّهِ مُحَرَّرًا ، لَا يَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : كانت / امرأةُ عمرانَ حَزْرَتْ لِلَّهِ مَا فِي بَطْنِهَا . قال : وكانوا إنما يُحَرِّرونَ الذُّكُورَ ، فكان المحرَّرُ إذا حُرِّرَ جُعِلَ فِي الْكَنِيسَةِ لَا يَبْرَحُهَا ، يقومُ عليها وَيَكْنُسُهَا ^(٢) .
 حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قال : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قال : أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ ، قال : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : جَعَلْتُ وَلَدَهَا لِلَّهِ وَلِلَّذِينَ يَدْرُسُونَ الْكِتَابَ وَيَتَعَلَّمُونَهُ ^(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن القاسمِ بنِ أبي بَزَّةَ ، أنه أخبره عن عكرمةَ ، وأبي بكرٍ ، عن عكرمةَ ، أن امرأةَ عمرانَ كانت عَجُوزًا عَاقِرًا تُسَمَّى حَنَّةَ ، وكانت لا تَلِدُ ، فَجَعَلَتْ تَغِيْطُ النِّسَاءَ لِأَوْلَادِهِنَّ ، فقالت : اللَّهُمَّ إِنَّ عَلَيَّ نَذْرًا شُكْرًا ، إِنْ رَزَقْتَنِي وَلَدًا أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَيَكُونَ مِنْ سَدَنَتِهِ وَخُدَّامِهِ . قال : وقوله : ﴿ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ : إنها لِلْحُرَّةِ ابْنَةُ الْحَرَائِرِ ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ لِلْكَنِيسَةِ يَخْدِمُهَا ^(٤) .

حدَّثني محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفِيُّ ، عن عبَّادِ بنِ منصورٍ ، عن الحسنِ في قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ الْآيَةَ كُلَّهَا . قال : نَذَرْتُ مَا فِي بَطْنِهَا ، ثُمَّ سَيَّبَتْهَا .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٦/٢ عقب الأثر (٣٤٢٢) من طريق عمرو به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٦/٢ عقب الأثر (٣٤٢٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر مطولاً .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا ﴾ : فلما وضعت حنة النذيرة . ولذلك أنت ، ولو كانت الهاء عائدة على ﴿ مَا ﴾ ، التي في قوله : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . لكان الكلام : فلما وضعت قالت : رب إنى وضعت أنثى .

ومعنى قوله : ﴿ وَضَعْتُهَا ﴾ : ولدتها . يقال منه : وضعت المرأة تضع وضعا . ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ أى : ولدت النذيرة أنثى . ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ . واختلف القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة القراءة : ﴿ وَضَعْتَ ﴾ ^(١) . خيرا من الله عز وجل عن نفسه أنه العالم بما وضعت ، من غير قيلها : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ .

وقرأ ذلك بعض المتقدمين : (والله أعلم بما وضعت) ^(٢) . على وجه الخبر بذلك عن أم مريم أنها هي القائلة : والله أعلم بما ولدت ، منى .

وأولى القراءتين بالصواب ما نقلته الحجة مستفيضة فيها قراءته بينها ، لا يتدافعون صحتها ، وذلك قراءة من قرأ : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ . ولا يعترض بالشاذ عنها عليها ^(٣) .

فتأويل الكلام إذن : والله أعلم من كل خلقه بما وضعت . ثم رجع جل ذكره إلى الخبر عن قولها ، وأنها قالت - اعتذارا إلى ربها مما كانت نذرت

(١) وهى قراءة نافع وابن كثير وحفص عن عاصم وأبي عمرو وحزمة والكسائي . ينظر حجة القراءات ص ١٦٠ .

(٢) وهى قراءة أبى بكر عن عاصم ، وابن عامر . المصدر السابق .

(٣) القراءتان متواترتان ، لا شذوذ فى إحداهما .

فِي حَمْلِهَا فَحَرَّرْتَهُ لخدمَةِ رَبِّهَا - : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ ؛ لِأَنَّ الذَّكَرَ
أَقْوَى عَلَى الخِدْمَةِ وَأَقْوَمُ بِهَا ، وَأَنَّ الْأُنْثَى لَا تَصْلُحُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ لِدُخُولِ
الْقُدْسِ ، وَالْقِيَامِ بِخدمَةِ الْكَنِيسَةِ ؛ لِمَا يَعْتَرِيهَا مِنَ الْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ . ﴿ وَإِنِّي
سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ .

/ كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ فَلَمَّا وَصَّعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَّعْتُهَا أَنْثَى وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا وَصَّعْتَ
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ . أَى : لِمَا جَعَلْتَهَا لَهُ مَحْرُورَةً ^(١) نَدِيرَةً ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ إِسْحَاقَ : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ
كَالْأُنْثَى ﴾ : لِأَنَّ الذَّكَرَ هُوَ أَقْوَى عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْأُنْثَى .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ
كَالْأُنْثَى ﴾ : كَانَتِ الْمَرْأَةُ لَا يُسْتَطَاعُ ^(٣) أَنْ يُصْنَعَ بِهَا ذَلِكَ - يَعْنِي أَنْ تُحْرَرَ لِلْكَنِيسَةِ
فَتُجْعَلَ فِيهَا ، تُقَوْمُ عَلَيْهَا وَتَكُنُّهَا ، فَلَا تَبْرَحُهَا - مِمَّا يُصِيبُهَا مِنَ الْحَيْضِ وَالْأَذَى ،
فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَتْ : ﴿ وَلَيْسَ [٤٠١/١] الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ
قَتَادَةَ : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَّعْتُهَا أَنْثَى ﴾ : وَإِنَّمَا كَانُوا يُحْرَرُونَ الْعِلْمَانَ ، قَالَتْ ^(٤) :

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ : « مَحْرُورًا لَكَ » .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٥٧٩/١ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٢٠/٢ (٤١٩) - تَحْقِيقُ الدُّكْتُورِ حَكَمَتِ
بَشِيرِ يَاسِينَ) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَلْمَةَ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَوْلَهُ بِزِيَادَةِ الْمُتْنِ الْآتِي .

(٣) فِي ص : « تَسْتَطَاعَ » ، وَفِي م : « يَسْتَطِيعَ » .

(٤) فِي النُّسخِ : « قَالَ » ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ مَصْدَرِي التَّخْرِيجِ .

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾^(١) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : كانت امرأة عمران حَزْرَتْ لِلَّهِ مَا فِي بَطْنِهَا ، وكانت على رجاءٍ أَن يَهَبَ لَهَا غُلَامًا ؛ لأن المرأة لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ - يعنى القيام على الكنيسة لَا تَبْرَحُهَا وَتَكُنُّسُهَا - لما يُصَيِّبُهَا مِنَ الْأَذَى^(٢) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أن امرأة عمرانَ ظَنَّتْ أَن ما فِي بَطْنِهَا غُلَامٌ ، فوهبته لله ، فلما وَضَعَتْ إِذَا هِيَ جَارِيَةٌ ، فقالت تَعْتَذِرُ إِلَى اللَّهِ : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ - ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ تقول : إنما يُحَرِّزُ الْغِلْمَانُ . يقول الله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ . فقالت^(٣) : ﴿ إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾^(٤) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة ، أنه أخبره عن عكرمة ، وأبي بكر ، عن عكرمة : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ يعنى : فى المَحِيضِ ، ولا يُنْبَغى لامرأة أن تكون مع الرجال . أمُّها تقول ذلك^(٥) .

(١) تقدم تخريجه فى ص ٣٣٤ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٧/٢ (٣٤٢٧) من طريق ابن أبى جعفر به مختصراً .

(٣) فى ص : « فقال » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٧/٢ (٣٤٢٥) من طريق عمرو به ، مختصراً . بلفظ : فلما وضعت

إذا هى جارية ، فقالت تعتذر إلى الله : ﴿ رب إني وضعتها أنثى ﴾ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٧/٢ (٣٤٢٨) من طريق ابن جريج به نحوه مطولاً ، وعزاه السيوطى

فى الدر المنثور ١٩/٢ إلى ابن المنذر .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ وَذُرِّيَّتِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ .

تعنى بقولها : ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ وَذُرِّيَّتِهَا ﴾ : وإنى أجعل معاذها ومعاذ ذرّيتها من الشيطان الرجيم بك .
وأصل المعاذ الموثل والمَلْجأ والمَعْقِل .

فاستجاب الله لها ، فأعادها الله وذُرّيّتها من الشيطان الرجيم ، فلم يجعل له عليها سبيلاً .

حدّثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من نفس مؤلّود يولّد إلا والشيطان ينال منه تلك الطعنة ، وبها ^(١) يشتهل الصبي ، إلا ما كان من مريم ابنة عمران ، فإنها لما / وضعتها قالت : ربّ إنى أعيدّها بك ٢٣٩/٣ وذُرّيّتها من الشيطان الرجيم . فضرب دُونها حجاب ، فطعن فيه » ^(٢) .

حدّثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كلُّ مؤلّود من ولد آدم له طعنة من الشيطان ، وبها يشتهل الصبي ، إلا ما كان من مريم ابنة عمران وولدها ، فإن أمها قالت حين وضعتها : ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ وَذُرِّيَّتِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ . فضرب دُونهما حجاب ، فطعن

(١) فى ص : « لها » .

(٢) أخرجه الحاكم ٥٩٤/٢ من طريق يزيد بن عبد الله ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، وينظر تهذيب

في الحجاب» .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاقٍ ، عن يزيدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ قُسيطٍ ، عن أبي هريرةَ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ بنحوه .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا هارونُ بنُ المُغيرةِ ، عن عمرو ، عن شُعيبِ ابنِ خالدٍ ، عن الزُّهريِّ ^(١) ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، قال : سمعتُ أبا هريرةَ يقولُ : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ : « ما من بنى آدمَ مولودٌ يُولَدُ إلا قد مسَّهُ الشيطانُ حينَ يُولَدُ ، فيستهلُّ صَارِحًا بمسِّه إياه ، غيرَ مريمَ وابنها » . فقال أبو هريرةَ : اقرءوا إن شئتم : ﴿ إِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ^(٢) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرني ابنُ أبي ذئبٍ ، عن عَجَلانَ مَوْلَى المُشمِعلِ ، عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « كلُّ مولودٍ يُولَدُ من بنى آدمَ يمسُّه الشيطانُ بإصبعه ، إلا مريمَ وابنها » ^(٣) .

حدَّثني أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ وهبٍ ، قال : ثنى عمِّي عبدُ اللهِ بنُ وهبٍ ، قال : أخبرني عمرو بنُ الحارثِ ، أن أبا يونسَ سُلَيْمًا ^(٤) مولى أبي هريرةَ ، حدَّثه عن

(١) في م : « الزبير » . وينظر تهذيب الكمال ١٢ / ٥٢١ .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣١) ، ومسلم (٢٣٦٦/١٤٦) ، والبعقوى في تفسيره ٣٠/٢ من طريق شعيب بن أبي حمزة عن الزهري به .

(٣) أخرجه أحمد ١٣ / ٢٦٣ ، ٢٧٨ ، ٧ / ١٤ ، (٧٨٧٩) ، ٧٩٠٢ ، (٨٢٥٤) من طريق ابن أبي ذئب

به .

(٤) في م : « سليمان » ، وفي ت ١ : « سلمان » . وينظر تهذيب الكمال ١١ / ٣٤٣ .

أبى هريرة ، عن رسولِ الله ﷺ قال : « كلُّ بنى آدمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا »^(١) .

حدَّثنى يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرنى عمرو^(٢) ، أن أبا يونس حدَّثه ، عن أبى هريرة ، عن رسولِ الله ﷺ مثله .

حدَّثنى الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن الزهرى ، عن ابنِ المسيَّبِ ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما مِن مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسَّةِ الشَّيْطَانِ ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا » . ثم يقولُ أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٣) .

حدَّثنى الثنى ، قال : ثنا الحِمْزِيُّ ، قال : ثنا قَيْسٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما مِن مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا وَقَدْ عَصَرَهُ الشَّيْطَانُ / عَصْرَةً أَوْ عَصْرَتَيْنِ ، إِلَّا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَمَرْيَمَ » . ٢٤٠/٣ . ثم قرأ رسولُ الله ﷺ : ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٤) .

(١) أخرجه مسلم (٢٣٦٦) ، وابن حبان (٦٢٣٤) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣١/١٤ (مخطوط) من طريق ابن وهب به .

(٢) فى النسخ : « عمران » . وتقدم فى الإسناد قبله ، وينظر ما تقدم فى ٤٠٦/٢ ، ٥٥٥ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١١٩ ، ومن طريق أحمد (٧٧٠٩) ، والبخارى (٤٥٤٨) ، ومسلم ١/١٤٦ (٢٣٦٦) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٣٨ (٣٤٣٢) ، وأخرجه ابن أبى شيبة ١١/٣٨٥ ، وأحمد (٧١٨٢) ، ومسلم ١/١٤٦ (٢٣٦٦) ، وابن حبان (٦٢٣٥) من طريق معمر به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢/٢٧٢ عن المصنف .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا هَارُونُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، عن عمرو بنِ أَبِي قَيْسٍ ، عن سِمَاكِ ، عن عِكْرَمَةَ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، قال : ما وُلِدَ مولودٌ إلا وقد اسْتَهَلَّ ، غيرَ الْمَسِيحِ ابنِ مَرْيَمَ ، لم يُسَلِّطْ عليه الشَّيْطَانُ ولم يَنْهَزه ^(١) .

حدَّثنا الحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، [٤٠١/١] قال : أَخْبَرَنَا الْمُنْذِرُ بْنُ الثُّعْمَانِ الْأَفْطَسِ ، أَنَّهُ سَمِعَ وَهَبَ بْنَ مُنْبِهِ يَقُولُ : لما وُلِدَ عِيسَى ، أَتَتْ الشَّيَاطِينُ إبْلِسَ ، فقالوا : أَصْبَحَتِ الْأَصْنَامُ قد نُكِسَتْ رِعْوسُها . فقال : هذا في حادِثٍ حَدَثَ . فقال : مَكَانِكُمْ . فطار حتى جَاءَ خَافِقِي الْأَرْضِ ، فلم يَجِدْ شَيْئًا ، ثم جَاءَ الْبَحَارَ ، فلم يَجِدْ شَيْئًا ، ثم طار أَيضًا ، فوجد عِيسَى قد وُلِدَ عِنْدَ مَدْوِدَ ^(٢) حَمَارٍ ، وإذا الْمَلَائِكَةُ قد حَفَّتْ حَوْلَهُ ، فرجع إِلَيْهِمْ فقال : إن نبيًا قد وُلِدَ الْبَارِحَةَ ، ما حَمَلَتْ أَنْثَى قَطُّ ولا وَضَعَتْ إِلَّا أنا بَحْضَرْتِها إِلَّا هذه ، فَأَيْسُوا أَنْ تُعْبَدَ الْأَصْنَامُ بَعْدَ هذه اللَّيْلَةِ ، ولكن اتُّوا بنى آدَمَ مِنْ قَبْلِ الْخِفَّةِ وَالْعَجَلَةِ ^(٣) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « كُلُّ بَنِي آدَمَ طَعَنَ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ ، إِلَّا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ، جُعِلَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ حِجَابٌ ، فَأَصَابَتِ الطَّعْنَةُ الْحِجَابَ ، ولم يَنْقُدْ إِلَيْهِمَا شَيْءٌ » . وَذُكِرَ لَنَا

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ وعزاه إلى المصنف .

(٢) المدود : معلق الدابة .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١١٩/١ عن المنذر بن النعمان به ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣١/١٤

(مخطوط) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى ابن المنذر .

أنهما كانا لا يُصَيِّبان الذنوبَ كما يُصَيِّبها سائرُ بني آدمَ . وذُكِرَ لنا أن عيسى كان يمشى على البحرِ كما يمشى على البرِّ ، مما أعطاه اللهُ تعالى مِنَ اليقين والإخلاصِ ^(١) .

حدَّثني المُثنى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ قال : إن نبيَّ اللهِ ﷺ قال : « كلُّ آدميٍّ طعنَ الشيطانُ في جنبه ، غيرَ عيسى وأُمِّه ، كانا لا يُصَيِّبان الذُّنُوبَ كما يُصَيِّبها بَنُو آدمَ » . قال : « وقال عيسى ﷺ فيما يُثني على ربِّه : وأعادني وأُمِّي مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ، فلم يكنْ له علينا سبيلٌ ^(٢) » .

حدَّثنا الربيعُ بنُ سليمانَ ، قال : ثنا شُعيبُ بنُ الليثِ ، قال : ثنا الليثُ ، عن جعفرِ بنِ ربيعةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُرْمَزَ أنه قال : قال أبو هريرةَ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « كلُّ بني آدمَ يَطْعُنُ الشيطانُ في جنبه حينَ تَلِدُهُ أُمُّه ، إلا عيسى ابنَ مريمَ ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فطَعَنَ في الحجابِ ^(٣) » .

حدَّثنا الربيعُ ، قال : ثنا شُعيبُ ، قال : أخبرنا الليثُ ، عن جعفرِ بنِ ربيعةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُرْمَزَ أنه قال : قال أبو هريرةَ : أَرَأَيْتَ هذه الصَّرْحَةَ التي يَصْرُخُهَا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر . وأخرج آخره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٨ (٣٤٣٦) من طريق شيان ، عن قتادة .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ ، ٢٠ إلى المصنف .

(٣) أخرجه الحميدي (١٠٤٢) ، وأحمد ٤٥١/١٦ (١٠٧٧٣) ، والبخاري في تفسيره ٣٠/٢ من طريق عبد الرحمن بن هرمز به .

الصبي حين تَلِدُهُ أمُّه ؟ فإنها منها .

حدَّثني أحمدُ بنُ الفرج ، قال : ثنا بَقِيَّةُ بنُ الوليد ، قال : ثنا الزُّبَيْدِيُّ ، عن
الزُّهْرِيِّ ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « ما من بنى آدمَ
مَوْلُودٌ إلا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حينَ يُولَدُ يَسْتَهْلُ صَارِخًا » ^(١) .

/ القول في تأويل قوله : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ .

٢٤١/٣

يعنى بذلك ^(٢) « أن الله » جل ثناؤه تقبل مريم من أمها حنة ؛ تحريرها ^(٣) إياها
للكنيسة وخدمتها وخدمة ربها ، بقبول حسن .

والقبول ، مصدرٌ : من قبلها ربها . فأخرج المصدر على غير لفظ الفعل . ولو
كان على لفظه لكان : فتقبلها ربها تقبلاً حسناً . وقد تفعل العرب ذلك كثيراً ؛ أن
يأتوا بالمصادر على أصول الأفعال ، وإن اختلفت ألفاظها في الأفعال بالزيادة ، وذلك
كقولهم : تكلم فلان كلاماً . ولو أخرج المصدر على الفعل لقال : تكلم فلان
تكلماً . ومنه قوله : ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ . ولم يقل : إنباتاً حسناً .

وذكر عن أبي عمرو بن العلاء ^(٤) ، أنه قال : لم نسمع العرب تضم القاف في
« قبُولٍ » ، وكان القياس الضم ؛ لأنه مصدرٌ مثل الدُّخُولِ والخُرُوجِ . قال : ولم
أسمع بحرف آخر في كلام العرب يُشبهه .

حدثت بذلك عن أبي عبيد ، قال : أخبرني الزُّبَيْدِيُّ ، عن أبي عمرو .

(١) أخرجه أبو يعلى (٥٩٧١) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/٣٠٠ ، ٣١ (مخطوط) ، من طريق الزهري به نحوه ، وذكره الحافظ في الفتح ٤٦٩/٦ عن الزبيدي به ، ووقع في الفتح « السدي » بدل « الزبيدي » .

(٢) - (٢) سقط من : م ، س .

(٣) في ص ، م : « بتحريرها » .

(٤) ينظر اللسان (ق ب ل) .

وأما قوله : ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ . فإن معناه : وأنبتتها رُبُّها في غِذائِهِ ورزقه نباتًا حَسَنًا حتى تَمَّتْ فكَمَلَتْ امرأةً بالغةً تامَّةً .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ . قال : تَقَبَّلَ مِنْ أُمِّهَا ما أَرَادَتْ بها للكنيسةِ ، وأَجْرَها فيها ، ﴿ وَأَنْبَتَهَا ﴾ قال : نَبَتَتْ في غِذاءِ اللهِ ^(١) .
القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ .

اختلفت القراءَةُ في قراءةِ قوله : ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ ؛ فقراءَتُهُ عامَّةُ قِراءةِ أهلِ الحِجازِ والمدِينةِ والبصرةِ : (وكفَّلها) مُخَفَّفَةُ الفاءِ ^(٢) ، بمعنى : ضَمَّها زكريا إليه . اعتبارًا بقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] .
وقرأ ذلك عامَّةُ قِراءةِ الكوفيين : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ^(٣) . بمعنى : وكفَّلها اللهُ زكريا .

وأولَى القراءتين بالصوابِ في ذلك عندى قراءةٌ من قرأ : ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ . مُشَدَّدَةُ الفاءِ ^(٤) ، بمعنى : وكفَّلها اللهُ زكريا . بمعنى : وضَمَّها اللهُ إليه . لأن زكريا أيضًا ضَمَّها إليه بإيجابِ اللهِ له ضَمَّها إليه ، بالقرعةِ التى أَخْرَجها اللهُ له ، والآيةِ التى أظهرها لخصومه فيها ، فجعله بها أولَى منهم ، إذ قرع فيها من شأخه ^(٥) فيها . وذلك أنه بلغنا أن زكريا وخُصُومَه فى مريمَ إذ تنازَعوا فيها ، أيُّهم تكونُ عنده ، تساهموا

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٠ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر . ينظر حجة القراءات ص ١٦١ .

(٣) وهى قراءة عاصم وحزمة والكسائى . المصدر السابق .

(٤) كلتا القراءتين صواب .

(٥) قرع أصحابه : إذا كانت له القرعة دونهم .

بِقَدَاحِهِمْ ، فَرَمَوْا^(١) بِهَا فِي نَهْرِ الْأُرْدُنِّ ، فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : ازْتَرَّ^(٢) قَدْحُ زَكْرِيَا ، فِقَامٌ فَلَمْ يَجْرِبِ بِهِ الْمَاءُ ، وَجَرَى [٤٠٢/١] بِقَدَاحِ الْآخِرِينَ الْمَاءُ ، فَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَزَكْرِيَا عِلْمًا^(٣) أَنَّهُ أَحَقُّ الْمُنْتَازِعِينَ فِيهَا بِهَا^(٤) .

٢٤٢/٣ /وَقَالَ آخِرُونَ : بَلِ صَعِدَ^(٤) قَدْحُ زَكْرِيَا فِي النَّهْرِ ، وَانْحَدَرَتْ قَدَاحُ الْآخِرِينَ مَعَ جَرِيَةِ الْمَاءِ وَ^(٥) ذَهَبَتْ ، فَكَانَ ذَلِكَ لَهُ عِلْمًا مِنَ اللَّهِ فِي أَنَّهُ أَوْلَى الْقَوْمِ بِهَا .

وَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ كَانَ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَضَاءً مِنَ اللَّهِ بِهَا لَزَكْرِيَا عَلَى خُصُومِهِ بِأَنَّهُ أَوْلَاهُمْ بِهَا . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّمَا ضَمَّهَا زَكْرِيَا إِلَى نَفْسِهِ بِضَمِّ اللَّهِ إِيَّاهَا إِلَيْهِ ، بِقَضَائِهِ لَهُ بِهَا عَلَى خُصُومِهِ عِنْدَ تَشَاخُّهِمْ فِيهَا ، وَاخْتِصَامِهِمْ فِي أَوْلَاهُمْ بِهَا .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، كَانَ بَيِّنًا أَنَّ أَوْلَى الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ مَا اخْتَرْنَا مِنْ تَشْدِيدِ ﴿ كَفَلَهَا ﴾ .

وَأَمَّا مَا اعْتَلَّ بِهِ الْقَارِئُونَ ذَلِكَ بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيْمًا ﴾ [آل عمران : ٤٤] . وَأَنَّ ذَلِكَ مُوجِبٌ صِحَّةَ اخْتِيَارِهِمُ التَّخْفِيفَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَكَفَلَهَا ﴾ ، فَحُجَّةٌ دَالَّةٌ عَلَى ضَعْفِ اخْتِيَالِ^(٦) الْمُحْتَجِّ بِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَّبَعٍ ذُو

= وشاحه فيها : مثل قولهم : تشاخًا على الأمر . أى تنازعا . وفلان يُشَاخُ على فلان . أى يَضُّ به . تاج العروس (ش ح ح ، ق ر ع) .

(١) فى م ، ت ١ : « رموا » .

(٢) فى م : « رتب » . وازترَّ : من رزَّ الشيء فى الأرض وفى الحائط يزرُّه رزًّا فارتزَّ : أثبتته فثبت . وأما رتب فمن

: رتب الشيء ، أى : ثبت فلم يتحرك . اللسان (ر ت ب ، ر ز ز) .

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٤) فى ص : « صاعد » . ولعل صوابها : اصاعد .

(٥) فى ص كلمة غير واضحة ، وفى ت ١ ، ت ٢ : « هى » .

(٦) فى م : « اختيار » .

عقلي من أن يقول قائل : كفل فلان فلاناً فكفله فلان . فكذلك القول في ذلك : ألقى القوم أفلامهم أيهم يكفل مريم بتكفيل الله إياه بقضائه الذي يقضى بينهم فيها ، عند إلقائهم الأفلام .

وكذلك اختلفت القراءة في قراءة ﴿ زَكْرِيَّا ﴾ ؛ فقرأته عامة قراءة المدينة بالمد ، وقراءته عامة قراءة الكوفة بالقصر^(١) . وهما لغتان معروفتان وقراءتان مستفيضتان في قراءة المسلمين ، وليس في القراءة ياحداهما خلاف لمعنى القراءة الأخرى ، فبأبئيهما قرأ القارئ فهو مُصِيبٌ .

غير أن الصواب عندنا إذا مدَّ « زكريا » ، أن يُنصَبَ بغير تنوين ؛ لأنه اسمٌ من أسماء العجم لا يُجرى^(٢) ، ولأن قراءتنا في ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ بالتشديد وتثقيب الفاء ، ف « زكرياء » منصوبٌ بالفعل الواقع عليه .

وفي « زكريا » لغةٌ ثالثةٌ لا تجوزُ القراءةُ بها ؛ لخلافها مصاحفَ المسلمين ، وهو « زَكْرِيٌّ » ، بحذف المدَّة والياء الساكنة ، تُشَبِّهُه العربُ بالمنسوبِ من الأسماء ، فتثنونه وتجرِّيه في أنواع الإعرابِ معجاري ياءِ النسبة .

فتأويلُ الكلام : وَضَمَّهَا اللَّهُ إِلَى زَكْرِيَا . مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ^(٣) :

* فَهَوَ لِضَلَالِ الْهَوَامِ^(٤) كَافِلٌ *

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف بالقصر من غير همز في جميع القرآن ، ووافقهم الحسن والأعمش ، والباقون بالهمز والمد . إتخاف فضلاء البشر ص ١٠٤ .

(٢) لا يجرى . أى : لا يصرف . مصطلحات النحو الكوفي ص ٩٨ .

(٣) مجاز القرآن ١٤/٢ .

(٤) هوامى الإبل : ضوالها . وقال أبو عبيدة : الهوامى : الإبل المهملة بلا راء ، وقد همت تهمة فهى هامية ؛ إذا ذهبت على وجهها . وكل ذاهب وجار من حيوان أو ماء فهو هام . النهاية ٥/٢٧٦ ، واللسان (همى) .

يرادُ به ^(١) : لما ضَلَّ مِنْ مُتَفَرِّقِ النَّعْمِ وَمُنْتَشِرِهِ ضَامًّا إِلَى نَفْسِهِ وَجَامِعًا .

وقد رُوي :

* فَهُوَ لِضَلَالِ الْهَوَافِي ^(٢) كَافِلٌ *

بمعنى أنه لما نَدَّ فَهَرَبَ مِنَ النَّعْمِ ضَامًّا . مِنْ قَوْلِهِمْ : هَفَا الظَّلِيمُ . إِذَا أَسْرَعَ الطَّيْرَانُ .

يقالُ منه للرجلِ : ما لك تَكْفُلُ كُلَّ ضَالَّةٍ ؟ يعنى به : تَضُمَّهَا إِلَيْكَ وَتَأْخُذُهَا .
وَبَنَحُوا مَا قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ الطُّفَاوِيُّ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ رَيْبَعَةَ ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ ، عَنِ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيِمَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] . قَالَ : أَلْقَوْا أَقْلَامَهُمْ ، فَجَرَّتْ بِهَا الْجَزِيئَةُ ، إِلَّا قَلَمَ زَكْرِيَّا أَصَاعَدَ ^(٣) ، فَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنِ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّيِّعِ قَوْلَهُ : / ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا ﴾ قَالَ : ضَمَّهَا إِلَيْهِ . قَالَ : أَلْقَوْا أَقْلَامَهُمْ ، يَقُولُ : عَصِيْبُهُمْ . قَالَ : فَأَلْقَوْهَا تَلْقَاءَ جِزِيَّةِ الْمَاءِ ، فَاسْتَقْبَلَتْ عَصَا زَكْرِيَّا جِزِيَّةَ الْمَاءِ ، فَفَرَّعَهُمْ ^(٥) .

(١) فِي م : « أَنَّهُ » .

(٢) الْهَوَافِي : الْإِبِلُ الضَّوَالُ ، وَاحِدَتُهَا هَافِيَةٌ ، مِنْ : هَفَا الشَّيْءُ يَهْفُو . إِذَا ذَهَبَ . وَهَفَا الطَّائِرُ ، إِذَا طَارَ . وَالرَّيِّحُ ، إِذَا هَبَتْ . اللَّسَانُ (ه ف و) .

(٣) فِي النَّسْخِ : « صَاعِدًا » . وَلَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى إِلَّا بِمَا أَثْبَتَاهُ ، وَيَنْظُرُ مَا تَقَدَّمَ فِي ص ٣٤٦ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٤٩/٢ (٣٥٠٣) ، مِنْ طَرِيقِ النَّضْرِ بِهِ نَحْوَهُ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٣٩/٢ ، ٦٥٠ (٣٤٣٩) ، ٣٥٠٧ (٣٥٠٧) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

حَدَّثَنِي موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : قال الله عز وجل : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ فأنطلقت بها أمها في خزيها - يعني أم مريم بمریم - حين ولدتها إلى المحراب - وقال بعضهم : انطلقت حين بلغت إلى المحراب - وكان الذين يكتبون التوراة إذا جاءوا إليهم بإنسان يُخزرونه ^(١) ، اقترعوا عليه أيهم يأخذه فيعلمه . وكان زكريا أفضلهم يومئذ ، وكان نبيهم ^(٢) ، وكانت خاله ^(٣) مريم تحتها ، فلما أتوا بها اقترعوا عليها ، وقال لهم زكريا : أنا أحقكم بها تحتى أختها ^(٤) . فأبوا ، فخرجوا إلى نهر الأزدن ، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها أيهم يقوم قلمه فيكفلها . فجزت الأقلام وقام قلم زكريا على قرنته ^(٥) ، كأنه في طين ، فأخذ الجارية ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا ﴾ . فجعلها زكريا معه في بيته ، وهو المحراب ^(٦) .

حَدَّثَنَا بشرٌ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا ﴾ . يقول : صَمَّهَا إِلَيْهِ .

(١) وفي ص : « يجرونه » ، وفي م ، ت ٢ : « يجربونه » ، وفي ت ١ : « يجرمون » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٢) في م ، ت ٢ ، وسنن البيهقي : « بينهم » .

(٣) في تفسير ابن أبي حاتم وسنن البيهقي وتاريخ دمشق : « أخت » . قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ٤٢١ : وكان زكريا نبيهم في ذلك الزمان ، قد أراد أن يستبد بها دونهم - يعني : بمریم - من أجل أن زوجته أختها أو خالتها ، على القولين . وينظر ص ٣٣٢ .

(٤) في م : « خالتها » .

(٥) القُرْنة : حدُ السيف والنصل . المحيط (ق ر ن) . والمقصود بها هنا حد القلم .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٩/٢ (٣٤٤٠ ، ٣٤٤٢) من طريق عمرو بن حماد به ، من قوله : كان زكريا ...

وأخرجه البيهقي ٢٨٦/١٠ ، ٢٨٧ ، وابن عساكر في تاريخه (ص ٣٤٨ - تراجم النساء) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي ، بإسناده المعروف ، من قوله : كان الذين يكتبون ... فأخذ الجارية .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ . قَالَ : سَهَّمَهُمْ (١) بِقَلْمِهِ (٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : كَانَتْ مَرْيَمُ ابْنَةَ سَيِّدِهِمْ وَإِمَامِهِمْ . قَالَ : فَتَشَاحَّ عَلَيْهَا أَحْبَابُهُمْ ، فَأَقْتَرَعُوا فِيهَا بِسَهَامِهِمْ أَتَيْهِمْ يَكْفُلُهَا . قَالَ قَتَادَةُ : وَكَانَ زَكَرِيَّا زَوْجَ أُخْتِهَا فَكَفَّلَهَا ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ وَحَصَّنَهَا (٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَرَّةَ ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ عَنْ عِكْرَمَةَ ، وَأَبِي بَكْرٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : ثُمَّ خَرَجَتْ بِهَا - يَعْنِي أُمَّ مَرْيَمَ بَمَرْيَمَ - فِي خِرْقَتِهَا تَحْمِلُهَا إِلَى بَنِي الْكَاهِنِ بْنِ هَارُونَ ، أَخِي مُوسَى ابْنِ عِمْرَانَ . قَالَ : وَهُمْ يَوْمَئِذٍ يُلُونَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَا يَلِي الْحَجَّابَةَ مِنَ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : دُونَكُمْ هَذِهِ النَّذِيرَةَ ، فَإِنِّي خَرَّزْتُهَا ، وَهِيَ ابْنَتِي ، وَلَا يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ حَائِضٌ ، وَأَنَا لَا أُرُدُّهَا إِلَى بَيْتِي . فَقَالُوا : هَذِهِ [٤٠٢/١] ابْنَةُ إِمَامِنَا . وَكَانَ عِمْرَانُ

(١) سَهْمٌ فَلَانًا سَهْمًا : قَرَعَهُ فِي الْمَسَاهِمَةِ . يُقَالُ : سَاهَمَهُ فَسَهَمَهُ : بَارَاهُ وَلَاعِبَهُ فَقَلْبَهُ . الْوَسِيطُ (س ه م) .

(٢) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ ص ٢٥١ - وَمِنْ طَرِيقِ الْبَيْهَقِيِّ ٢٨٧/١٠ ، وَابْنِ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ (ص ٣٤٨ ،

٣٤٩ - تَرَاجُمُ النِّسَاءِ) ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٣٩/٢ (٣٤٣٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ بِهِ ،

وَعَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٢٠/٢ إِلَى ابْنِ أَبِي إِيَّاسٍ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٣) أَخْرَجَ آخِرَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢١/١ عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢/

٦٥٠ (٣٥١٠) مِنْ طَرِيقِ شَيْبَانَ ، عَنْ قَتَادَةَ دُونَ آخِرِهِ ، وَعَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٢٠/٢ إِلَى عَبْدِ بْنِ

حَمِيدٍ . وَفِيهِ : زَوْجُ خَالَتِهَا .

يُؤْمَهُمْ فِي الصَّلَاةِ، وَصَاحِبَ قُرْبَانِهِمْ^(١). فَقَالَ زَكَرِيَّا: اذْفَعُوهَا إِلَيَّ، فَإِنْ خَالَتَهَا عِنْدِي. قَالُوا: لَا تَطِيبُ أَنْفُسُنَا، هِيَ ابْنَةُ إِمَامِنَا. فَذَلِكَ حِينَ افْتَرَعُوا، فَافْتَرَعُوا بِأَقْلَامِهِمْ عَلَيْهَا - بِالْأَقْلَامِ الَّتِي يَكْتُبُونَ بِهَا التَّوْرَةَ - فَفَرَعَهُمْ زَكَرِيَّا فَكَفَّلَهَا^(٢).

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثنى حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَعْلى بْنُ مَسْلَمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَعَلَهَا زَكَرِيَّا مَعَهُ فِي مِحْرَابِهِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾. قَالَ حَجَّاجٌ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: الْكَاهِنُ فِي كَلَامِهِمُ الْعَالِمُ^(٣).

/ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا سَلْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ ٢٤٤/٣ الزَّيْبِرِيِّ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾: بَعْدَ أَبِيهَا وَأُمِّهَا، يُدَكِّرُهَا بِالْبَيْتِ، ثُمَّ قَصَّ خَبْرَهَا وَخَيْرَ زَكَرِيَّا^(٤).

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا الْحِمَّانِيُّ، قَالَ: ثنا شَرِيكٌ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾. قَالَ: كَانَتْ عِنْدَهُ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ: ثنا حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ يَعْلى بْنِ مَسْلَمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، قَالَ: جَعَلَهَا زَكَرِيَّا مَعَهُ فِي مِحْرَابِهِ.

(١) مكانها بياض بقدر كلمتين في ص، ت، ١، ت ٢.

(٢) تقدم تخريجه في ص ٣٣٨.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٠ إلى المصنف دون قول ابن جريج.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٥٧٩، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٩ (٣٤٤١) من طريق سلمة عن ابن

إسحاق قوله.

حدَّثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : ﴿ فَكَفَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ : وتفرعها القوم ، فقرع زكريا ، فكفلها زكريا ^(١) .

وقال آخرون : بل كان زكريا بعد ولادة حنة ابنتها مريم ، كفَّلها بغير اقتراع ولا استيهام عليها ، ولا منازعة أحد إياه فيها ، وإنما كفَّلها لأن أمها ماتت بعد موت أبيها وهي طفلة ، وعند زكريا خالته أيشاع ^(٢) ابنة فاقوذ . وقد قيل : إن اسم أم يحيى حالة عيسى : أشيع .

حدَّثنا بذلك القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبتي ^(٣) ، أن اسم أم يحيى : أشيع ^(٤) .

فضمَّها إلى خالتيها أم يحيى ، فكانت إليهم ومعهم ، حتى إذا بلغت أذخلوها الكنيسة ، لتذري أمها التي نذرت فيها .

قالوا : والافتراع فيها بالأفلام إنما كان بعد ذلك بمدة طويلة ؛ لشدة أصابتهم ، ضُغف زكريا عن حمل مؤنتها ، فتدافعوا حمل مؤنتها ، لا رغبة منهم ، ولا تنافسا عليها وعلى احتمال مؤنتها .

وسند كُرِّ قصتها على قول من قال ذلك إذا بلغنا إليها إن شاء الله تعالى .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٨/٢ (٣٤٣٧) من طريق أبي بكر الحنفي به .
 (٢) في ص ، ت ١ : « الاسباع » وفي ت ٢ : « الاشباع » ، وفي تاريخ الطبري ١/٥٨٥ : « الأشباع » ، وفي البداية والنهاية ٢/٤١٣ ، ٤١٨ : « أشباع » . والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق ١٨/٧٩ مخطوط .
 (٣) في ص : « الحياى » ، وفي م ، ت ٢ : « الحياى » . وينظر الأنساب ١٧/٢ ، والإكمال ٣/٦٥ .
 (٤) في ص ، ت ٢ : « أسبع » ، وفي العلل : « الأشبع » . والأثر أخرجه أحمد في العلل (رواية عبد الله) ١٠٠/١ (٤٠٤) عن حجاج به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٢ إلى المصنف وابن أبي حاتم .

حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، قَالَ : ثنى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ^(١) .
 فعلى هذا التَّأْوِيلِ تَصِحُّ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ : (وَكَفَلَهَا زَكْرِيَا) . بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ ، لَوْ
 صَحَّ التَّأْوِيلُ ، غَيْرَ أَنَّ الْقَوْلَ مُتَظَاهِرٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ . أَنَّ اسْتِهَامَ الْقَوْمِ
 فِيهَا كَانَ قَبْلَ كَفَالَةِ زَكْرِيَا إِيَّاهَا ، وَأَنَّ زَكْرِيَا إِنَّمَا كَفَلَهَا بِإِخْرَاجِ سَهْمِهِ مِنْهَا فَالْجَاءُ^(٢)
 عَلَى سِهَامٍ مُخْصُومَةٍ فِيهَا ، فَلِذَلِكَ كَانَتْ قِرَاءَتُهُ بِالتَّشْدِيدِ عِنْدَنَا أَوْلَى مِنْ قِرَاءَتِهِ
 بِالتَّخْفِيفِ .

القولُ في تأويلِ قولِهِ : ﴿ كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا
 رِزْقًا ﴾ .

يعنى بذلك جَلُّ ثَنَائِهِ : أَنَّ زَكْرِيَا كَانَ كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ بَعْدَ إِدْخَالِهِ
 إِيَّاهَا الْمِحْرَابَ ، وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا مِنَ اللَّهِ لِعِدَائِهَا .

فقيل : إن ذلك الرزق الذى كان يَجِدُهُ زَكْرِيَا عِنْدَهَا ، فَكَهْهُ الشَّتَاءِ فِي
 الصَّيْفِ ، وَفَاكْهَتْهُ الصَّيْفِ فِي الشَّتَاءِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا الْحَسَنُ بْنُ عَطِيَّةَ ، عَنْ شَرِيكِ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ
 سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ قَالَ : وَجَدَ عِنْدَهَا عِنَبًا فِي
 مِكَتَلٍ^(٣) فِي غَيْرِ حِينِهِ^(٤) .

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٠ .

(٢) فَلَجٌ : ظَفِيرٌ وَفَازٌ . الْقَامُوسُ الْمَحِيْطُ (ف ل ج) .

(٣) الْمِكَتَلُ ، وَالْمِكَتَلَةُ : الزَّبِيلُ الَّذِى يَحْمَلُ فِيهِ التَّمْرَ وَالْعِنَبَ . وَالزَّبِيلُ : الْوَعَاءُ يَحْمَلُ فِيهِ . اللَّسَانُ
 (ك ت ل) ، (ز ب ل) .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢/ ٦٤٠ مِنْ طَرِيقِ شَرِيكِ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيْوَتِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٢/ ٢٠ =

(تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٥/ ٢٣)

/ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا حَكَّامٌ ، عن عمرو ، عن عطاءٍ ، عن سعيدٍ في قوله : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : العِنْبُ في غير حِينِهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبٌ ، قَالَ : ثنا هَشِيمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُغِيرَةُ ، عن إبراهيمَ في قوله : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : فاكهةٌ في غير حِينِهَا ^(٢) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبٌ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الكَوْفِيُّ ، عن الضحَّاكِ أَنه كان يَجِدُ عِنْدَهَا فاكهةَ الصَّيْفِ في الشِّتَاءِ ، وفاقهةَ الشِّتَاءِ في الصَّيْفِ . يعنى في قوله : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن سَلَمَةَ بنِ نُبَيْطٍ ، عن الضحَّاكِ مثله . حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عمرو ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عن بعضِ أشياخه ، عن الضحَّاكِ مثله .

حَدَّثَنَا القاسمُ ، قَالَ ^(٣) : ثنا الحسينُ ^(٤) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرِيٌّ ، عن الضحَّاكِ مثله .

حَدَّثَنَا يَعْقُوبٌ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَنْ سَمِعَ الحَكَمَ بنَ عُثَيْبَةَ يَحْدُثُ عن مجاهدٍ قال : كان يَجِدُ عِنْدَهَا العِنْبَ في غير حِينِهِ .

= إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥١ من طريق عطاء به .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٠/٢ عقب الأثر (٣٤٤٦) معلقًا .

(٣ - ٣) في س : « ثنا أسباط » .

(٤) في ت ٢ : « الحسن » .

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ ، قال : عِنْبًا وجدته زكريا عند مريم في غير زمانه ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا النَّضْرُ بْنُ عَرَبِيِّ ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ^(٢) .

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : كُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّهَا كَانَتْ تُؤْتَى بِفَاكِهِةٍ [٤٠٣/١] في الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : وجد عندها ثمرة في غير زمانها ^(٣) .

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٥٢ - تراجم النساء) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٠ إلى عبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٠ إلى المصنف ، وينظر تفسير ابن أبي حاتم ٦٤٠/٢ (٣٤٤٥) .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٥٢ - تراجم النساء) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : جَعَلَ زَكْرِيَا دُونَهَا عَلَيْهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ ، فَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا فَيَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ ، وَفَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيدِ ، قَالَ : جَعَلَهَا زَكْرِيَا مَعَهُ فِي بَيْتٍ - وَهُوَ الْحِرَابُ - فَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا فِي الشِّتَاءِ ، فَيَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الصَّيْفِ ، وَيَدْخُلُ فِي الصَّيْفِ ، فَيَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ^(٤) ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُيَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قَالَ : كَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ .

٢٤٦/٣ / حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني ^(٥) يعلی بن مسلم ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس : ﴿ كَمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : وجد عندها ثمار الجنة ، فأكهت الصيف في الشتاء ، وفاكهت الشتاء في الصيف ^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٠/٢ عقب الأثر (٣٤٤٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) في ت ١ : « قال حدثنا » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٠/٢ عقب الأثر (٣٤٤٦) من طريق عمرو بن حماد به .

(٤) بعده في ت ١ : « قال حدثني حجاج عن ابن جريج » .

(٥ - ٥) في س : « يعني ابن » .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٠/٢ إلى المصنف .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثنى بعضُ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ زكريا كَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا ثَمْرَةَ الشَّتَاءِ فِي الصَّيْفِ ، وَثَمْرَةَ الصَّيْفِ فِي الشَّتَاءِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الحَنَفِيُّ ، عن عُبَّادٍ ، عن الحَسَنِ ، قَالَ : كَانَ زكريا إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا - يَعْنِي عَلِي مَرِيْمَ الحِجْرَابِ - وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا مِنَ السَّمَاءِ مِنَ اللَّهِ ، لَيْسَ مِنْ عِنْدِ النَّاسِ . وَقَالُوا : لَوْ أَنَّ زكريا كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِهِ لَمْ يَسْأَلْهَا عَنْهُ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أن زكريا كان إذا دخل إليها المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا مِنَ الرِّزْقِ فَضْلًا عَمَّا كَانَ يَأْتِيهَا بِهِ الَّذِي كَانَ يُمْوِنُهَا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، قَالَ : ثنى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : كَفَّلَهَا زكريا ^(٢) بَعْدَ هَلَاكِ أُمِّهَا ، فَضَمَّهَا إِلَى خَالَتِهَا أُمِّ يَحْيَى ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ ، أَدَخَلُوهَا الكَنِيسَةَ ، لِنَذْرِ أُمِّهَا الَّذِي نَذَرَتْ فِيهَا ، فَجَعَلَتْ تَنْبُثُ وَتَزِيدُ . قَالَ : ثُمَّ أَصَابَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْمَةٌ ، وَهِيَ عَلِي ذَلِكَ مِنْ حَالِهَا ، حَتَّى ضَعُفَ زكريا عَنْ حَمْلِهَا ، فَخَرَجَ عَلِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقَالَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَتَعْلَمُونَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ ضَعُفْتُ عَنْ حَمْلِ ابْنَةِ عِمْرَانَ . فَقَالُوا : وَنَحْنُ لَقَدْ جُهِدْنَا ، وَأَصَابَنَا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ مَا أَصَابَكُمْ . فَتَدَافَعُوها بَيْنَهُمْ ، وَهَمْ لَا يَرَوْنَ لَهُمْ مِنْ حَمْلِهَا بُدًّا ، حَتَّى تَقَارَعُوا بِالْأَقْلَامِ ، فَخَرَجَ السَّهْمُ

(١) ينظر التبيان ٤٤٧/٢ .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

بِحَمْلِهَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَجَّارٍ ، يُقَالُ لَهُ : جُرَيْجٌ . قَالَ : فَعَرَفَتْ مَرْيَمُ فِي وَجْهِهِ شِدَّةَ مَثُونَةٍ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَكَانَتْ تَقُولُ لَهُ : يَا جُرَيْجُ ، أَحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَرْزُقُنَا . فَجَعَلَ جُرَيْجٌ يُرْزَقُ بِمَكَانِهَا ، فَيَأْتِيهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ كَسْبِهِ بِمَا يُضِلُّهَا ، فَإِذَا أَدَخَلَهُ عَلَيْهَا وَهِيَ فِي الْكَنِيسَةِ ، أُنَمَاهُ اللَّهُ وَكَثَّرَهُ ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا فَيَرَى عِنْدَهَا فَضْلًا مِنَ الرِّزْقِ ، وَلَيْسَ بِقَدْرِ مَا يَأْتِيهَا بِهِ جُرَيْجٌ ، فَيَقُولُ : يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا ؟ فَتَقُولُ : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ^(١) .

وأما المحرابُ ، فهو مُقَدَّمٌ ^(٢) كلُّ مجلسٍ ومُصَلَّى ، وهو سيدُ المجالسِ وأشرفُها وأكرمُها ، وكذلك هو من المساجدِ ، ومنه قولُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ ^(٣) :
كَدَمِي ^(٤) الْعَاجِ فِي الْمَحَارِبِ أَوْ كَالِ — بِيضِ فِي الرَّؤُوسِ زَهْرُهُ ^(٥) مُسْتَنْبِرٌ ^(٦)
وَالْمَحَارِبُ جَمْعُ مِحْرَابٍ ، وَقَدْ يُجْمَعُ عَلَى ^(٧) مِحْرَابٍ .

٢٤٧/٣ / الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قَالَ يَمْرَمُ أَنِّي لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٣٧) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ قَالَ ﴾ زكريا : ﴿ يَمْرَمُ أَنِّي لَكِ هَذَا ﴾ ؟ من أى

(١) سيرة ابن هشام ٥٨٠/١ بنحوه مختصرا ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٤٩ تراجم النساء) من طريق إسحاق بن بشر ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله الليثي بنحوه .

(٢) بعده في ص ، ت ٢ : « على » .

(٣) الاختيارين للأخفش الأصغر ص ٧٠٤ .

(٤) الدمى : الصور ، واحدها دُمِيَّةٌ .

(٥) سقط من : ص ، ت ٢ ، وفي الاختيارين : « زهوه » .

(٦) بعده في ص : « وهو مشتق » ، وبعده في ت ٢ : « وهو مشتق متسر » .

(٧) زيادة من : م .

وَجِئْ لَكَ هَذَا الَّذِي أَرَىٰ عِنْدَكَ مِنَ الرِّزْقِ ؟ قَالَتْ مَرْيَمُ مُجِيبَةً لَّهُ : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . تعنى أن الله هو الذى رزقها ذلك ، فسأقه إليها وأعطاهها .

وإنما كان زكريا يقول ذلك لها ؛ لأنه كان - فيما ذكر لنا - يُغلقُ عليها سبعة أبواب ، ويخرجُ ثم يدخلُ عليها ، فيجدُ عندها فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء ، فكان يعجبُ مما يرى من ذلك ، ويقولُ لها تعجبًا مما يرى : أتى لك هذا ؟ فتقولُ : من عندِ الله .

حدَّثنى بذلك المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ^(١) .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، قال : ثنى بعضُ أهلِ العلم . فذكر نحوه .

حدَّثنى محمد بنُ سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ يَمْرُؤٌ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . قال : فإنه وجدَ عندها الفاكهة الغضة حين لا توجدُ الفاكهة عند أحدٍ ، فكان زكريا يقولُ : يا مريمُ أتى لك هذا ^(٢) ؟

وأما قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . فخبيرٌ من الله أنه يسوقُ إلى مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ رِزْقَهُ بِغَيْرِ إِحْصَاءٍ وَلَا عَدَدٍ يُحَاسِبُ عَلَيْهِ عَبْدَهُ ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يَنْقُصُ سَوْقُهُ ذَلِكَ إِلَيْهِ كَذَلِكَ خَزَائِنُهُ ، وَلَا يَزِيدُ إِعْطَاؤُهُ إِيَّاهُ وَمُحَاسِبَتُهُ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٠/٢ عقب الأثر (٣٤٤٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٠/٢ (٣٤٤٩) عن محمد بن سعد به .

[٤٠:٣/١] ط] عليه في ملكه وفيما لديه شيئاً ، ولا يعزُب عنه علم ما يَزُوقه . وإنما يُحاسبُ مَنْ يُعْطَى ما يُعْطِيه ، مَنْ يَخْشَى التَّقْصَانَ مِنْ مَلِكِهِ ^(١) ، بِخُرُوجِ ما خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ بِغَيْرِ حِسَابٍ مَعْرُوفٍ ، وَمَنْ كَانَ جَاهِلًا بِمَا يُعْطَى عَلَى غَيْرِ حِسَابٍ .

القول في تأويل قوله : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ .

أما قوله : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ . فمعناه : عند ذلك - أي : عند رؤية زكريا ما رأى عند مريم من رزق الله الذي رزقها ، وفضله الذي آتاها من غير تسبب أحد من الآدميين في ذلك لها ، ومعاينته عندها الثمرة الرطبة التي لا تكون في حين رؤيته إياها عندها في الأرض - طمع ^(٢) في الولد ^(٣) ، مع كبر سنه ، من المرأة العاقرة ، فرجاً أن يَزُوقَه اللهُ منها الولد مع الحال التي هما بها ، كما رزق مريم على تحليها من الناس ما رزقها ؛ من ثمرة الصيف في الشتاء ، وثمره الشتاء في الصيف ، وإن لم يكن مثله مما جرت بوجوده - في مثل ذلك الحين - العادات في الأرض ، بل المعروف في الناس غير ذلك ، كما أن ولادة العاقرة غير الأمر الجارية به العادات في الناس ، فرغب إلى الله جل ثناؤه في الولد ، وسأله ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ، وذلك أن أهل بيت زكريا - فيما ذكر لنا - كانوا قد انقرضوا في ذلك الوقت .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشددي : فلما رأى زكريا من حالها ذلك / - يعني فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف - قال : إن رباً أعطاها هذا في غير حينه ، لقادر على أن يرزقني ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً .

٢٤٨/٣

(١) بعده في ص : « ودخول » وبعده بياض بقدر كلمتين . ولعل سياقه هكذا « ودخول النقاد عليه بخروج ... » .

(٢ - ٣) في ص : « بالولد » .

وَرَغِبَ فِي الْوَلَدِ ، فقام فصلى ، ثم دعا ربه سرياً ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيحًا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِي يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مریم : ٤ - ٦] . وقال ^(١) : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . وقال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ ^(٢) [الأنبياء : ٨٩] .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : فلما رأى ذلك زكريا - يعنى فاكهة الصيف فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء فى الصيف عند مریم - قال : إن الذى يأتى بهذا مریم فى غير زمانه ، قادرٌ أن يرزقنى ولداً . قال الله عز وجل : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ . قال : فذلك حين دعا ^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن عكرمة ، قال : فدخل المِحْرَابَ ، وغلّق الأبوابَ ، وناجى ربه ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ إلى قوله : ﴿ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ . ﴿ فَادَّاتُهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ [آية آل عمران : ٣٩] .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى بعض أهل

(١) النسخ : « قوله » . والمثبت من تفسير ابن أبى حاتم .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤١/٢ (٣٤٥٠) من طريق عمرو به مختصراً .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٢ إلى المصنف .

العلم ، قال : فدعا زكريا عند ذلك بعد ما أسنَّ ، ولا ولد له ، وقد انقرض أهل بيته ، فقال : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . ثم شكأ إلى ربِّه ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ إلى ﴿ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ . ﴿ فَادَّأْتَهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ الآية .

وأما قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ . فإنه يعنى بالذرية النسل ، وبالطيبة المباركة .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ . يقول : مباركة^(١) .

وأما قوله : ﴿ مِنْ لَدُنْكَ ﴾ . فإنه يعنى : من عندك .

وأما الذرية ، فإنها جمع ، وقد تكون فى معنى واحد^(٢) ، وهى فى هذا الموضع واحد^(٣) . وذلك أن الله عز وجل قال فى موضع آخرٍ مُخْبِرًا عن دعاء زكريا : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ [مریم : ٥] . ولم يُقَلْ : أولياء . فدلَّ على أنه سأل واحدًا ، وإنما أنت ﴿ طَيِّبَةً ﴾ لتأنيث الذرية ، كما قال الشاعر^(٤) :

أبوك خَلِيفَةٌ وَلَدُّهُ أُخْرَى وَأَنْتَ خَلِيفَةُ ذَاكَ الْكَمَالِ
فقال : وَلَدُّهُ أُخْرَى . فَأَنْتَ وَهُوَ ذَكَرٌ ؛ لتأنيث لفظ « الخليفة » ، كما قال الآخر^(٤) :

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤١/٢ (٣٤٥١) من طريق عمرو به .

(٢) فى م : « الواحد » .

(٣) معانى القرآن للفراء ٢٠٨/١ ، واللسان (ف ل ح ، خ ل ف) .

(٤) معانى القرآن للفراء ٢٠٨/١ ، واللسان (س ك ت) .

٢٤٩/٣ /فما^(١) تَزْدَرِي^(٢) مِنْ حَيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ سُكَاتٍ^(٣) إِذَا مَا عَضَّ لَيْسَ بِأَدْرَدًا^(٤)

فَأَنْتَ الْجَبَلِيَّةُ لِتَأْنِيثِ لَفْظِ الْحَيَّةِ ، ثم رجع إلى المعنى فقال : إِذَا مَا عَضَّ ؛ لأنه كان أراد حَيَّةً ذَكَرًا . وإنما يجوزُ هذا فيما لم يَقَعُ عليه « فلانٌ » من الأسماءِ ، كالدَّابَّةِ والذَّرِيَّةِ والخَلِيفَةِ ، فأما إِذَا سُمِّيَ رجلٌ بشيءٍ من ذلك ، فكان في معنى « فلانٍ » لم يَجُزْ تَأْنِيثُ فعلِهِ ولا نَعْتِهِ .

وأما قوله : ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . فإن معناه : إنك سامع الدعاء . غير أن ﴿ سَمِيعٌ ﴾ أمدح ، وهو بمعنى : ذو سَمْعٍ له .

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معناه : إنك تَسْمَعُ ما تُدْعَى به .

فتأويل الآية : فعند ذلك دعا زكريا ربه فقال : رَبِّ هَبْ لِي مِنْ عِنْدِكَ وَلَدًا مَبَارَكًا ، إنك ذو سمعٍ دُعَاءٍ مِنْ دَعَاكَ .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَادَّأَّهُ الْمَلَأِكَةُ ﴾ .

اختلفت القرأة في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة قرأة أهل المدينة ، وبعض أهل الكوفة والبصرة : ﴿ فَادَّأَّهُ الْمَلَأِكَةُ ﴾ على التأنيث بالتاء^(٥) ، يرادُ بها جمعُ^(٦) الملائكة . وكذلك تفعل العرب في جماعة [٤٠٤/١] الذكور إذا تقدمت أفعالها ، أنثت أفعالها ، ولاسيما الأسماء التي في ألفاظها التأنيث ، كقولهم : جاءت الطلحات .

(١) في النسخ : « كما » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٢) في م ، ت ، ١ ، س : « يزدري » .

(٣) في م : « سكات » ، وفي س : « سكان » . وحية سكات وسكوت : إذا لم يشعر به المسوع حتى يلسعه . اللسان (س ك ت) .

(٤) الأدرد : الذى ليس فى فمه سنٌّ . واللسان (درد) .

(٥) وهى قرأة ابن كثير ونافع وعاصم وأبى عمرو وابن عامر . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥ .

(٦) فى ص ، س : « جميع » .

وقد قرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بالياء^(١) ، بمعنى : فنأداه جبريلُ . فذكروه للتأويل ، كما قد ذكرنا آنفاً أنهم يؤثنون فعلَ الذَّكْرِ لِلْفِظِ ، فكذلك يذكرون فعلَ المؤنثِ أيضاً لِلْفِظِ .

واعتبروا ذلك فيما أرى بقراءة يُذَكِّرُ أنها قراءةُ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ .

وهو ما حدَّثني به المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ الحجاج ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ابنُ أبي حَمَادٍ ، أن قراءةَ ابنِ مسعودٍ : (فَنَادَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ)^(٢) .

وكذلك تأوَّلَ قوله : ﴿ فَنَادَتْهُ المَلَكَةُ ﴾ . جماعةٌ من أهلِ التأويلِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن الشَّدِيِّ : ﴿ فَنَادَتْهُ المَلَكَةُ ﴾^(٣) : وهو جبريلُ - أو : قالت الملائكة : وهو جبريلُ : - ﴿ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُك ببيئتي ﴾^(٤) .

فإن قال قائلٌ : وكيف جاز أن يقال على هذا التأويلِ : ﴿ فَنَادَتْهُ المَلَكَةُ ﴾ والملائكةُ جمعٌ لا واحدٌ ؟

قيل : ذلك جائزٌ في كلامِ العربِ ، بأن تُخْبِرَ عن الواحدِ ، بمذهبِ الجمعِ ، كما يقالُ في الكلامِ : خَرَجَ فلانٌ على بغالِ البُرْدِ . وإنما رَكِبَ بغلاً واحداً ، وَرَكِبَ

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥ .

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢/٤٠٠ ، وينظر البحر المحيط ٢/٤٤٦ .

(٣) في ص ، ت ١ : « فناداه الملائكة » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤١ (٣٤٥٣) من طريق عمرو بن حماد به .

الشُّقْرَنَ . وَإِنَّمَا رَكِبَ سَفِينَةً وَاحِدَةً ، وَكَمَا يُقَالُ : مَنْ سَمِعَتْ / هَذَا الْخَبَرَ ؟ فَيُقَالُ : ٢٥٠/٣
 مِنَ النَّاسِ . وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ مِنْهُ قَوْلُهُ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ
 النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . وَالْقَائِلُ كَانَ فِيهَا ذُكْرًا وَاحِدًا ،
 وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ ﴾ [الروم : ٣٣] . وَالنَّاسُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَذَلِكَ جَائِزٌ
 عِنْدَهُمْ فِيمَا لَمْ يُقْصَدْ فِيهِ قَصْدُ وَاحِدٍ .

وَإِنَّمَا الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدِي فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ - أَعْنَى
 التَّاءِ وَالْيَاءِ - فَبِأَيْتَهُمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ
 بِاخْتِلَافِ الْقِرَاءَتَيْنِ ، وَهُمَا جَمِيعًا فَصِيحَتَانِ عِنْدَ الْعَرَبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنْ كَانَ
 مُرَادًا بِهَا جَبْرِيْلُ ، كَمَا رُوِيَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَإِنَّ التَّأْنِيثَ فِي فِعْلِهَا فَصِيحٌ فِي كَلَامِ
 الْعَرَبِ ، لِלَفْظِهَا إِنْ تَقَدَّمَهَا الْفِعْلُ ، وَجَائِزٌ فِيهِ التَّذْكِيرُ لِمَعْنَاهَا ، وَإِنْ كَانَ مُرَادًا بِهَا
 جَمْعُ الْمَلَائِكَةِ ، فَجَائِزٌ فِي فِعْلِهَا التَّأْنِيثُ وَهُوَ ^(١) قَبْلُهَا لِלَفْظِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ إِذَا
 قَدَّمَتْ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْجَمَاعَةِ فَعَلَهَا أَنْثَتْهُ ، فَقَالَتْ : قَالَتِ النِّسَاءُ . وَجَائِزٌ التَّذْكِيرُ فِي
 فِعْلِهَا بِنَاءٍ عَلَى الْوَاحِدِ إِذَا تَقَدَّمَ فَعْلُهُ ، فَيُقَالُ : قَالَ الرَّجَالُ .

وَأَمَّا الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِهِ ، فَأَنْ يُقَالَ : إِنْ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ
 نَادَتْهُ ، وَالظَّاهِرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ دُونَ الْوَاحِدِ ، وَجَبْرِيْلُ وَاحِدٌ ، فَلَنْ
 يَجُوزَ أَنْ يُحْمَلَ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ إِلَّا عَلَى الْأَظْهَرِ الْأَكْثَرِ مِنَ الْكَلَامِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي الْأَسْنَنِ
 الْعَرَبِ دُونَ الْأَقْلِ ، مَا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ، وَلَمْ تَضْطَرَّنَا حَاجَةٌ إِلَى صَرْفِ ذَلِكَ إِلَى
 أَنَّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، فَيُحْتَاجُ لَهُ إِلَى طَلَبِ الْمَخْرَجِ بِالْخَفِيِّ مِنَ الْكَلَامِ وَالْمَعَانِي .

وَبِمَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّأْوِيلِ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ؛ مِنْهُمْ قَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ ابْنُ

أنسٍ وعِكرمةٌ ومجاهدٌ وجماعةٌ غيرُهُم ، وقد ذَكَرنا ما قالوا من ذلك فيما مَضَى .
 القولُ في تأويلِ قولِهِ : ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾ .
 وتأويلُ قولِهِ : ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ ﴾ : فنَادَتْهُ الملائكةُ في حالِ قِيامِهِ مُصَلِّيًا . فقوله :
 ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ ﴾ خبرٌ عن وقتِ نداءِ الملائكةِ زكريا .
 وقوله : ﴿ يُصَلِّي ﴾ . في موضعِ نصبٍ على الحالِ من « القيامِ » ، وهو رَفَعُ
 بالياءِ .

وأما المِحْرَابُ ، فقد بَيَّنَّا معناه وأنه مُقَدَّمُ المسجدِ ^(١) .

واختَلَفَتِ القَرَأَةُ في قِراءَةِ قولِهِ : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ ؛ فقَرَأَتْهُ عامَّةُ القَرَأَةِ : ﴿ أَنَّ اللَّهَ ﴾ بفتحِ الألفِ من ﴿ أَنَّ ﴾ ^(٢) ، بوقوعِ النداءِ عليها ، بمعنى : فنَادَتْهُ الملائكةُ
 بذلك .

وقرأه بعضُ قَرَأَةِ أَهْلِ الكوفةِ : (إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ) بكسْرِ الألفِ ^(٣) ، بمعنى : قالت
 الملائكةُ : إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ . لأنَّ النداءَ قولٌ ، وذَكَرُوا أنها في قِراءَةِ عبدِ اللَّهِ : (فنَادَتْهُ
 الملائكةُ وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي في المِحْرَابِ : يا زكريا إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ) ^(٤) . قالوا : وإذا بَطَلُ
 النداءِ أن يكونَ عاملاً في قولِهِ : (يا زكريا) . فباطلٌ أيضًا أن يكونَ عاملاً في « إنَّ » .
 والصوابُ من القِراءَةِ في ذلك عندنا ^(٥) : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ بفتحِ ﴿ أَنَّ ﴾ ،
 بوقوعِ النداءِ عليه ، بمعنى : فنَادَتْهُ الملائكةُ بذلك .

(١) ينظر ما تقدم في ص ٣٥٨ .

(٢) قرأ بها عاصم والكسائي وأبو عمرو ونافع وابن كثير . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥ .

(٣) قرأ بها حمزة وابن عامر . المصدر السابق .

(٤) ينظر المصاحف لابن أبي داود ص ٥٩ .

(٥) كلنا القراءتين صواب متواتر .

وليسَت الْعِلَّةُ التي اعتلَّ بها القَارِئُونَ بكسْرِ «إِنْ» ، مِنْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ يَقْرَأُهَا كَذَلِكَ ، ^(١) «فَقْرَأُوهَا كَذَلِكَ» ؛ وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ إِذَا كَانَ قَرَأَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّمَا قَرَأَهَا - بَرَعَمِهِمْ - وَقَدْ اعْتَرَضَ ^(٢) بـ (يَا زَكْرِيَا) بَيْنَ (إِنْ) ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ / ﴿فَنَادَتْهُ﴾ ٢٥١/٣ وَإِذَا اعْتَرَضَ بِهِ بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تُعْمَلُ حَيْثُ نَدَى فِي «أَنْ» ، وَتُبْطَلُ عَنْهَا . أَمَّا الْإِبْطَالُ ؛ فَلأنَّه ^(٣) بَطَلَ عَنِ الْعَمَلِ فِي الْمُنَادَى قَبْلَهُ ، فَأَسْلَكُوا الَّذِي بَعْدَهُ مَسْلَكَهُ فِي بُطُولِ عَمَلِهِ . وَأَمَّا الْإِعْمَالُ ؛ فَلأنَّ النَّدَاءَ فَعَلَ وَاقَعَ ^(٤) كَسَائِرِ الْأَفْعَالِ .

وَأَمَّا قِرَاءَتُنَا ، فَلَيْسَ نَدَاءُ زَكْرِيَّا بـ (يَا زَكْرِيَا) مُعْتَرِضًا بِهِ بَيْنَ ﴿أَنْ﴾ وَبَيْنَ قَوْلِهِ : ﴿فَنَادَتْهُ﴾ ، وَإِذْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بَيْنَهُمَا ، فَالْكَلَامُ الْفَصِيحُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ إِذَا ^(٥) نَصَبَتْ بِقَوْلٍ : نَادَيْتَ . اسْمَ الْمُنَادَى وَأَوْقَعُوهُ عَلَيْهِ ، أَنْ يَوْقِعُوهُ كَذَلِكَ عَلَى «أَنْ» بَعْدَهُ ، وَإِنْ كَانَ جَائِزًا إِبْطَالُ عَمَلِهِ . فَقَوْلُهُ : ﴿فَنَادَتْهُ﴾ قَدْ وَقَعَ [٤٠٤/١ ظ] عَلَى مَكْنِيِّ «زَكْرِيَّا» ، فَكَذَلِكَ الصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ واقِعًا عَلَى ﴿أَنَّ﴾ وَعَامِلًا فِيهَا ، مَعَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْقِرَاءَةُ الْمُسْتَفِيضَةُ فِي قِرَاءَةِ أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا يُعْتَرَضُ بِالشَّاذِّ عَلَى الْجَمَاعَةِ الَّتِي تَجِيءُ مَجِيءَ الْحُجَّةِ ^(٦) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ . فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ اخْتَلَفَتْ فِي قِرَاءَتِهِ ؛ فَقِرَأَتْهُ عَامَةً قِرَاءَةَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ : ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ بِتَشْدِيدِ الشَّيْنِ وَضَمِّ الْيَاءِ ^(٧) ، عَلَى وَجْهِ

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س . ولعل صواب السياق أن يكون بعدها : لهم بعلة .

(٢ - ٢) في ص ، ت ، ١ ، س : «بهذا» ، وفي ت ٢ : «بهتا» .

(٣) في م : «فإنه» .

(٤) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : «رافع» . والفعل الواقع هو الفعل المتعدى .

(٥) في م : «إذ» .

(٦) تقدم أن القراءتين متواترتان .

(٧) قرأ بها نافع وابن عامر وعاصم وابن كثير وأبو عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

تَبَشِيرِ اللَّهِ زَكْرِيَّا بِالْوَلَدِ ، من قولِ الناسِ : بَشَّرْتُ فلانًا بالبشرى بكذا وكذا . أى : أتته
بِشَارَاتُ الْبَشَرِ (١) بذلك .

وقرأ ذلك جماعةً من قَرَأَةِ الْكُوفَةِ وغيرِهِم : (إِنَّ اللَّهَ يَشْرِكُ) بفتح الياءِ وضمَّ
الشينِ وتَحْفِيفِهَا (٢) ، بمعنى أن اللهَ يَشْرِكُ بوليدِ يَهْبُهُ لك ، من قولِ الشاعرِ (٣) :

بَشَّرْتُ عِيَالِي إِذْ رَأَيْتُ صَحِيفَةً أَتَتْكَ مِنَ الْحَجَّاجِ يُتْلَى كِتَابُهَا
وقد قيل : إنَّ « بَشَّرْتُ » لغةٌ أهلِ تِهَامَةَ من كِنَانَةٍ وغيرِهِم من قريشٍ ، وأنهم
يقولون : بَشَّرْتُ فلانًا بكذا ، فأنا أبشُرُهُ بَشْرًا . و : هل أنتَ باشِرٌ بكذا ؟ ويُشَدُّ لهم
البيتُ في ذلك (٤) :

وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَاهِشِينَ (٥) إِلَى الْعُلَا غُزْرًا أَكْفَهُمْ بِقَاعِ مُمَجِّلِ
فَأَعْنَهُمْ وَابَشُرْ بَمَا بَشَّرُوا بِهِ وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا بِضْنِكَ فأنزِلِ
فإذا صاروا إلى الأمرِ ، فالكلامُ الصحيحُ من كلامِهِمْ " بلا ألفٍ " فيقالُ :
ابشُرْ فلانًا بكذا . ولا يَكادُونَ يقولون : بَشَّرَهُ بكذا . ولا : أبشِرُهُ .

وقد رُوِيَ عن حُمَيْدِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ : (يُبَشِّرُكَ) بضمِّ الياءِ ، وكسْرِ
الشينِ وتَحْفِيفِهَا (٦) .

(١) النسخ : « البشري » ، والمثبت من معاني القرآن للفراء ٢١٢/١ .

(٢) وهى قراءة حمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٦ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢١٢/١ .

(٤) البيت لعبد قيس بن خفاف البرجمى ، وهو فى معاني القرآن للفراء ٢١٢/١ . والمفضليات ص ٣٨٥ ،

والأصمعيات ص ٢٣٠ .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « الناهشين » . والنهش : المسارعة إلى أخذ الشيء . تاج العروس (ب هـ ش) .

(٦ - ٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بالألف » .

(٧) مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٢٦ .

6 > Ū

وقد حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبي حَمَّادٍ ، عن مُعَاذِ الكُوفِيِّ ، قال : مَنْ قرَأ : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ ﴾ [التوبة : ٢١] . مُثَقَّلَةً ، فإنه من البشارة . وَمَنْ قرَأ : (يَبَشِّرُهُمْ) . مُخَفَّفَةً بِنَصْبِ الياءِ ، فإنه من السرورِ يَشْرُهُمْ ^(١) . والقراءةُ التي هي القراءةُ عندنا في ذلك صَمُّ الياءِ وتشديدُ الشينِ ، بمعنى التَّبَشِيرِ ؛ لأن ذلك هي اللغةُ السائِرةُ والكلامُ المُستفيضُ المعروفُ في الناسِ ، مع أنَّ جميعَ قرأةِ الأمصارِ مُجمِعونَ في قراءةِ : ﴿ فِيمَا تُبَشِّرُونَ ﴾ [الحجر : ٥٤] . على التشديدِ .

والصوابُ في سائرِ ما في القرآنِ مِنْ نظائره أن يكونَ مثله في التشديدِ وَصَمُّ الياءِ .

٢٥٢/٣

/ وأما ما رُوي عن مُعَاذِ الكُوفِيِّ مِنْ الفرقِ بَيْنَ معنى التَّخْفِيفِ والتَّشْدِيدِ في ذلك ، فلم يَجِدْ أهلَ العِلْمِ بكلامِ العربِ يَعرِفُونَهُ مِنْ وجهِ صحيحٍ ، فلا معنى لما حُكي من ذلك عنه ، وقد قال جريزُ بنُ عطية ^(٢) :

يا بَشْرُ حَقِّ لَوْجِهِكَ ^(٣) التَّبَشِيرُ هَلَّا غَضِبْتَ لَنَا وَأنتَ أميرُ

فقد عُلِمَ أنه أراد بقوله : التبشيرُ . الجمالَ والنَّضارةَ والسرورَ . فقال : التبشيرُ . ولم يقل : البشْرُ . فقد بَيَّن ذلك أن معنى التَّخْفِيفِ والتَّثْقِيلِ في ذلك واحدٌ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ . قال : شافَهْتَهُ ^(٤) الملائكةُ بذلك ^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢١/٢ إلى المصنف .

(٢) ديوانه ٣٦٦/١ .

(٣) في م : « لبشرك » .

(٤) في ص ، ت ٢ : « سا » وبعده بياض بقدر نصف كلمة ، وفي م ، ت ٣ : « بشرته » ، وفي ت ١ : « قال » ،

وفي س : « ثنا بذا » ، والمثبت مما سيأتي في ص ٣٨٦ ، وهي كذلك في تفسير عبد الرزاق .

(٥) تفسير الطبري ٢٤/٥

(٥) تفسير عبد الرزاق ١٢٠/١ .

وأما قوله: ﴿يَحْيَى﴾ . فإنه اسم أصله^(١) «يَفْعَلُ» ، من قول القائل: حَيَّيْ فلانٌ فهو يَحْيَا ، وذلك إذا عاش . فـ «يَحْيَى» «يَفْعَلُ» ، من قولهم: حَيَّيْ . وقيل: إن الله جلَّ ثناؤه سماه بذلك لأنه يُتَأَوَّلُ اسمه: أحياه بالإيمان .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ . يقول : عبدٌ أحياه الله بالإيمان^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقٌ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادة قوله : ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ . قال : إنما سُمِّيَ يَحْيَى^(٣) لأن الله أحياه بالإيمان^(٤) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ .

يعنى بذلك^(٥) جلَّ ثناؤه : إن الله يُبَشِّرُكَ يا زكريا بيحى ابنًا لك ، مُصَدِّقًا بكلمةٍ من الله . يعنى : بعيسى ابنِ مريمَ .

وُنُصِبَ قوله : ﴿مُصَدِّقًا﴾ على القطعِ من «يَحْيَى» ؛ لأنَّ ﴿مُصَدِّقًا﴾ نعتٌ له وهو نكرةٌ ، و«يَحْيَى» غيرُ نكرةٍ .

وبنحوِ ما قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني عبدُ الرحمنِ بنُ الأسودِ الطفاوئى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ربيعةَ ، قال : ثنا

(١) في م : «صلة» .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤١/٢ (٦٤٥٥) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) بعده في ص ، ت ٢ : «قال» .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٢/٢ (٣٤٥٧) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به .

(٥) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «بقوله» .

النَّضْرُبُ بْنُ عَرَبِيِّ ، عَنْ مجاهد ، قال : قالت امرأة زكريا لمريم : إني أجدُ الذي في بطنى يتحركُ للذى في بطنك . قال : فوضعت امرأة زكريا يحيى ، ومريم عيسى ؛ ولذا قال : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قال : يحيى مُصَدِّقٌ بعيسى ^(١) .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيح ، عن الرقاشى فى قولِ الله : ﴿ يَبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قال : مُصَدِّقًا بعيسى ابنِ مريم ^(٢) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابنِ أبى نجيح ، عن مجاهدٍ مثله ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة فى قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قال : مُصَدِّقًا بعيسى .

/ حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . يقول : مُصَدِّقٌ بعيسى ابنِ مريم ، وعلى سنَّته ^(٤) ومنهاجه .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . يعنى : بعيسى ابنِ مريم ^(٥) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . يقول : مصدقًا بعيسى ابنِ مريم . يقول : على

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢١١ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٤٢ عقب الأثر (٣٤٥٨) معلقا .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥١ .

(٤) فى م : « سننه » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ ، ومن طريقه ابن عساكر ٦٤/١٧٥ .

سَنِيهِ ^(١) وَمِنْهَا جِهَةٌ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا [٤٠٥/١] إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ،
عَنِ الرَّبِيعِ : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قَالَ : كَانَ أَوَّلَ رَجُلٍ صَدَّقَ عِيسَى ، وَهُوَ
كَلِمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرُوحٌ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنِ الشَّدِيِّ : ﴿ مُصَدِّقًا
بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ : يُصَدِّقُ بَعِيسَى ^(٣) .

حَدَّثْتُ عَنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ ،
قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَنْ اللَّهَ يَبْشِرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ
اللَّهِ ﴾ : كَانَ يَحْيَى أَوَّلَ مَنْ صَدَّقَ بَعِيسَى ، وَشَهِدَ أَنَّهُ كَلِمَةٌ مِنَ اللَّهِ ، وَكَانَ يَحْيَى
ابْنَ خَالَةِ عِيسَى ، وَكَانَ أَكْبَرَ مِنْ عِيسَى ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنِ إِسْرَائِيلَ ، عَنِ سِمَاكِ ، عَنِ عِكْرِمَةَ ، عَنِ
ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قَالَ : عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هُوَ الْكَلِمَةُ مِنَ
اللَّهِ ، اسْمُهُ الْمَسِيحُ ^(٥) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي حَجَّاجٌ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ :
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . قَالَ : كَانَ عِيسَى وَيَحْيَى ابْنَيْ
خَالَةٍ ، وَكَانَتْ أُمُّ يَحْيَى تَقُولُ لِمَرْيَمَ : إِنِّي أَجِدُ الَّذِي فِي بَطْنِي يَسْجُدُ لِلَّذِي فِي

(١) السَّنَى : الطَّرِيقَةُ . اللِّسَانُ (س ن ن) .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٤٢/٢ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٤٥٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٤٢/٢ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٤٥٨) مِنْ طَرِيقِ عَمْرُو بْنِ حَمَادٍ بِهِ .

(٤) عَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٢١/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٤٢/٢ (٣٤٥٨) مِنْ طَرِيقِ وَكَيْعٍ بِهِ .

بطنك ، فذلك تصديقه بعيسى ، سجوده^(١) فى بطنِ أمّه ، وهو أولُ من صدّق بعيسى وكلمة عيسى ، ويحيى أكبرُ من عيسى^(٢) .

حدّثنى محمدُ بنُ سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمّى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَنْ اللَّهَ يَبْشُرَكَ بِحَيِّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ . قال : الكلمة^(٣) التى صدّق بها عيسى^(٤) .

حدّثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لقيتُ أمّ يحيى أمّ عيسى ، وهذه حاملٌ يحيى وهذه حاملٌ بعيسى ، فقالت امرأةُ زكريا : يا مريمُ ، أشعرتُ أنى حُبلى . قالت مريمُ : أشعرتُ أنى أيضًا حُبلى . قالت امرأةُ زكريا : فإنى وجدت ما فى بطنى يسجدُ لما فى بطنك . فذلك قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾^(٥) .

حدّثنى محمدُ بنُ بشار^(٦) ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفى ، عن عبّاد ، عن الحسنِ فى قولِ الله : ﴿ أَنْ اللَّهَ يَبْشُرَكَ بِحَيِّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ . قال : مُصَدِّقًا بعيسى ابنِ مريمٍ^(٧) .

وقد زعم بعضُ أهلِ العلمِ بلغاتِ العربِ من أهلِ البصرة^(٨) ، أن معنى قوله :

(١) فى تفسير ابن كثير : « تصديقه له » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٠/٢ عن ابن جريج ، عن ابن عباس ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١/٢ إلى المصنف .

(٣) سقط من : س ، وفى ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : « كلمة » .

(٤) ينظر تفسير ابن كثير ٣٠/٢ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١/٢ إلى المصنف .

(٦) فى م : « سنان » .

(٧) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٢/٢ عقب الأثر (٣٤٥٨) معلقا .

(٨) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ٩١/١ .

﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ : / بكتابه من الله . من قول العرب : أنشدني فلان ٢٥٤/٣
كلمة كذا . يُرادُ به قصيدة كذا . جهلاً منه بتأويل الكلمة ، واجترأ على ترجمة
القرآن برأيه .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ : وشريفاً في العلم والعبادة .

ونصب « السيد » عطفاً على قوله : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ .

وتأويل الكلام ، أنّ الله يُبَشِّرُك بيهي مصدقاً بهذا سيِّداً .

والسيّدُ الفِيعِلُ^(١) ، من قول القائل : ساد يَسُوْدُ .

كما حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ :

إى والله ، لسيّد في العبادة والحلم والعلم والورع^(٢) .

حدثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا سليمان^(٣) ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، قال : ثنا قتادة في

قوله : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : السيّد - لا أعلمه إلا قال - : فى العلم والعبادة^(٤) .

حدثت عن عمّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال : السيّد

الحليم^(٥) .

حدثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن شريكٍ ، عن سالم الأقطسٍ ، عن سعيد بن

جبير : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : الحليم^(٥) .

(١) فى ت ١ ، س : « الفعيل » .

(٢) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٤٠٤/٢ .

(٣) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٤٠٤/٢ ، والقرطبى فى تفسيره ٧٧/٤ ، وابن كثير فى تفسيره ٣٠/٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٢/٢ عقب الأثر (٣٤٥٩) معلقا .

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ٣٣٧/٨ ، ٥٦٢/١١ ، وابن عساكر فى تاريخه ١٧٦/٦٤ من طريق وكيع به .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحِمَانِيُّ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن سالمٍ ، عن سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ قال : السَّيِّدُ التَّقِيُّ ^(١) .

حدثني مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قال : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عن عَيْسَى ، عن ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عن مجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : السَّيِّدُ الْكَرِيمُ عَلَى اللَّهِ ^(٢) .

حدثني الْمُثَنَّى ، قال : ثنا أَبُو حذيفةَ ، قال : ثنا شَيْبَلٌ ، قال : زَعَمَ الرَّقَاشِيُّ أَنَّ السَّيِّدَ الْكَرِيمُ عَلَى اللَّهِ ^(٣) .

حدثني الْمُثَنَّى ، قال : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قال : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ قال : السَّيِّدُ الْحَلِيمُ التَّقِيُّ ^(٤) .

حدثت عن الحسين ، قال : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قال : أَخْبَرَنَا عبيدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قال : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : يَقُولُ : تَقِيًّا حَلِيمًا ^(٥) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، عن سَفِيَانَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : حَلِيمًا تَقِيًّا ^(٦) .

(١) أخرجه ابن عساکر فی تاریخه ١٧٦/٦٤ من طرق عن شريك به بألفاظ مختلفة .

(٢) أخرجه ابن عساکر فی تاریخه ١٧٦/٦٤ من طريق ابن أبي نجيح به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فی تفسيره ٦٤٣/٢ (٣٤٦٢) من طريق ابن أبي نجيح ، عن الرقاشي .

(٤) أخرجه الخرائطي فی المنتقى (٢٦٦) من طريق هشيم به .

(٥) أخرجه ابن عساکر فی تاریخه ١٧٨/٦٤ من طريق جوير ، عن الضحاک .

(٦) أخرجه ابن عساکر فی تاریخه ١٧٩/٦٤ من طريق سعيد بن عبد الرحمن ، عن سفیان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد في قوله : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ .
قال : السيد الشريف^(١) .

حدثني سعيد بن عمرو السكوني^(٢) ، قال : ثنا بَقِيَّةُ بن الوليد ، عن عبد الملك ،
عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب في قول الله عز وجل : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ .
قال : السيد الفقيه العالم^(٣) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن
أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : يقول : حليماً تقياً^(٤) .

/ حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي بكر ، عن
عكرمة : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : السيد الذي لا يعلبه الغضب^(٥) .

٢٥٥/٣

القول في تأويل قوله : ﴿ وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٣٩) .

يعنى بذلك مُتَّبِعًا مِّن جَمَاعِ النِّسَاءِ ، مِّن قَوْلِ القَائِلِ : حَصِرْتُ مِّن كَذَا
أَحْصَرَ . إِذَا امْتَنَعَ مِنْهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : حَصِرَ فُلَانٌ فِي قِرَاءَتِهِ . إِذَا امْتَنَعَ مِنَ القِرَاءَةِ فَلَمْ
يَقْدِرْ عَلَيْهَا ، وَكَذَلِكَ حَصَرُ العَدُوِّ : حَبَسَهُمُ النَّاسَ وَمَنَعَهُمْ إِيَّاهُمْ التَّصَرُّفَ . وَلِذَلِكَ
قِيلَ لِلذِّي لَا يُخْرِجُ مَعَ نُدْمَائِهِ^(١) شَيْئًا : حَصُورٌ . كَمَا قَالَ الأَخْطَلُ^(٢) :

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٠٤/٢ .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « السكري » . وينظر تهذيب الكمال ١٧/١١ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٢/٢ (٣٤٥٩) عن محمد بن سعد به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٢/٢ (٣٤٦٠) ، والخراطي في المنتقى (٢٦٥) ، وابن عساكر في

تاريخه ١٧٧/٦٤ ، ١٧٨ من طريق أبي بكر الهذلي به .

(٥) الندماء : جمع نديم ، وهو الجالس على الشراب : اللسان (ن د م) .

(٦) شرح ديوانه ص ٧٩ .

وَشَارِبٍ مُّزِجٍ^(١) بِالكَأْسِ نَادِمَتْنِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بَسْوَارٍ^(٢)
 [٤٠٥/١ظ] وَيُزَوَّى : بَسَّارٍ^(٣) . وَيُقَالُ أَيْضًا لِلذِّي لَا يُخْرِجُ سِرَّهُ وَيَكْتُمُهُ :
 حَصُورًا . لِأَنَّهُ يَمْنَعُ سِرَّهُ أَنْ يَظْهَرَ ، كَمَا قَالَ جَرِيْرٌ^(٤) :

وَلَقَدْ تَسَقَّطْنِي^(٥) الْوُشَاةُ فَصَادَفُوا حَصِيرًا بِسِرِّكَ يَا أُمَيْمُ ضَمِينًا
 وَأَصْلُ جَمِيعِ ذَلِكَ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الْمَنْعُ وَالْحَبْسُ .
 وَبِمَثَلِ الذِّي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ خَلْفٍ ، قَالَ : ثنا حمادُ بنُ شُعَيْبٍ ، عن عاصمٍ ،
 عن زِرِّ ، عن عبدِ اللهِ في قوله : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ ، قَالَ : « الْحَصُورُ الذِّي لَا يَأْتِي
 النِّسَاءَ »^(٦) .

حَدَّثَنَا ابنُ حَمِيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن يحيى بنِ سَعِيْدٍ ، عن
 سَعِيْدِ بنِ الْمَسِيْبِ أَنَّهُ قَالَ : ثنا ابنُ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ : « كُلُّ بَنِي
 آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ يَحْيَى بنِ زَكَرِيَّا » . قَالَ : ثُمَّ دَلَّى رَسُوْلُ

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « مزجج » ، وفي س : « مزجج » .

(٢) الشَّوَارُ : الذِّي تَسُوْر الخمر في رأسه سريعًا . تاج العروس (س و ر) .

(٣) اسم فاعل على غير قياس عن : سأر وأسار . وأسار منه شيئًا : أبقاه وأفضله . التاج (س أ ر) .

(٤) ديوانه ٣٨٧/١ .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « تساقطني » ، وفي س : « ساقطني » . وتَسَقَّطْنِي : طلب الوشاة سَقَطَهُ .

التاج (س ق ط) .

(٦ - ٦) سقط من : ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، وفي ص بياض بقدر كلمة .

والأثر أخرجه البيهقي ٨٣/٧ - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ١٧٥/٦٤ - من طريق عاصم به .

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَخَذَ عُويْدًا صَغِيرًا ، ثُمَّ قَالَ : « وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا لِلرِّجَالِ إِلَّا مِثْلَ هَذَا الْعُويْدِ ، وَبِذَلِكَ سَمَّاهُ اللَّهُ سَيِّدًا وَحَصُورًا »^(١) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ : لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا ذَنْبٍ ، إِلَّا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ، كَانَ حَصُورًا مَعَهُ مِثْلُ الْهُدْبِيَّةِ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْقُرَشِيُّ ، قَالَ :^(٢) ثَنَا مُحَمَّدُ^(٣) بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ :^(٢) ثَنَا شَعْبَةُ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ :^(٢) قَالَ ابْنُ الْعَاصِ - إِمَّا عَبْدُ اللَّهِ وَإِمَّا أَبُوهُ - : مَا أَحَدٌ يَلْقَى اللَّهَ إِلَّا وَهُوَ ذُو ذَنْبٍ ، / إِلَّا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا . قَالَ :
٢٥٦/٣ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ^(٢) : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ . قَالَ : الْحَصُورُ الَّذِي لَا يَعْشَى^(٤) النِّسَاءَ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا مِثْلُ هُدْبِيَّةِ الثَّوْبِ^(٥) .

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو السَّكُونِيُّ ، قَالَ : ثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قَالَ : الْحَصُورُ الَّذِي لَا يَشْتَهِي النِّسَاءَ . ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَخَذَ نَوَاقِفًا فَقَالَ : مَا كَانَ مَعَهُ إِلَّا مِثْلُ هَذِهِ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في العلل (١٩١٣) من طريق سلمة به ، وأخرجه الحاكم ٣٧٣/٢ ، وابن عساكر في تاريخه ١٧٤/٦٤ من طريق ابن إسحاق به .

(٢ - ٢) سقط من : س .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عمر » . وتقدم على الصواب في ٤٨٩/٣ .

(٤) في س : « يشتهي » .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١١ / ٥٦١ ، ٥٦٢ ، وأحمد في الزهد ص ٩٠ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٣/٢ (٣٤٦٥) من طريق يحيى بن سعيد به نحوه .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ، قال : ثنا سفيانُ، عن عطاءِ بنِ السائبِ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ، قال : الحَصُورُ الذي لا يَأْتِي النساءَ^(١) .
 حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال : ثنا جريرٌ، عن عطاءٍ، عن سعيدِ مثله^(٢) .
 حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال : ثنا حَكَّامٌ، عن عمرو، عن عطاءٍ، عن سعيدِ مثله .

حدَّثني عبدُ الرحمنِ بنُ الأسودِ، قال : ثنا محمدُ بنُ ربيعةَ، قال : ثنا النَّضْرُ بنُ عَرَبِيٍّ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الذي لا يَأْتِي النساءَ^(٣) .
 حدَّثني محمدُ بنُ عمرو، قال : ثنا أبو عاصمٍ، عن عيسى، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ، قال : الحَصُورُ الذي^(٤) لا يَقْرُبُ النساءَ^(٥) .
 حدَّثني المثنى، قال : ثنا أبو حذيفةَ، قال : ثنا شَيْبَلٌ، قال : زعم الرِّقَاشِيُّ : الحَصُورُ الذي لا يَقْرُبُ النساءَ .

حدَّثني المثنى، قال : ثنا عمرو بنُ عَوْنٍ، قال : ثنا هُشَيْمٌ، عن جُوَيْرٍ، عن الضَّحَّاكِ : الحَصُورُ الذي لا يُولَدُ له، وليس له ماءٌ^(٦) .
 حدَّثت عن الحسينِ بنِ الفرجِ، قال سمعت أبا مُعَاذٍ، قال : أَخْبَرَنَا عُبيدُ بنُ

(١) تفسير سفيان ص ٧٦، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ١٧٧/٦٤ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٢ عن عطاء به .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٧٨/٦٤ من طريق سفيان، عن رجل، عن مجاهد .

(٤) سقط من : ص ، م .

(٥) تفسير مجاهد ص ٢٥١، ومن طريقه البيهقي ٨٣/٧، وابن عساكر في تاريخه ١٧٧/٦٤ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٤/٢ (٣٤٦٨) من طريق جوير به .

سليمان ، قال : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : هو الذي لا ماء له .

^(١) حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قال : ثنا يزيد^(٢) ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ : كنا نُحَدِّثُ أَنَّ الحَصُورَ الذي لا يَقْرُبُ النساءَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قال^(١) : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، قال : ثنا قتادة في قوله : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ . قال : الحَصُورُ الذي لا يَأْتِي النساءَ .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الحَسَنِ ، قال : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن قتادة مثله .

حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرِّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا معمرٌ ، عن قتادة مثله^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا جَرِيرٌ ، عن قابوسٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، قال : الحَصُورُ الذي لا يُنْزِلُ الماءَ^(٤) .

حَدَّثَنِي يونسٌ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، عن ابنِ زَيْدٍ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الحَصُورُ الذي لا يَأْتِي النساءَ .

٢٥٧/٣ / حَدَّثَنِي موسى ، قال : ثنا عَمْرُو ، قال : ثنا أسباطٌ ، عن الشَّدِيِّ :

(١ - ١) سقط من : س .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ٣ : « سويد » . وهو إسناد دائر .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ١٧٥/٦٤ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٣ (٣٤٦٧) ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ١٧٥/٦٤ من

طريق جرير به .

﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الحَصُورُ الذي لا يُريدُ النساءَ .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن :

﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الذي ^(١) لا يَقْرُبُ النساءَ ^(٢) .

وأما قوله : ﴿ وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . فإنه يعنى : رسولاً لرَبِّه إلى قومه ،

يُنَبِّئُهُم عنه بأمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وَيُلِّغُهُم عنه ما أُرْسِلَ به إليهم .

ويعنى بقوله : ﴿ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ : من أنبيائه الصالحين .

وقد دللنا فيما مضى على معنى « النبوة » وما أصلها ، بشواهد ذلك والأدلة

الدالة على الصحيح من القول فيه بما أغنى عن إعادته ^(٣) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ

وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ ﴾ .

يعنى أن زكرياً قال إذ نادته الملائكة ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِبَحِيٍّ مَّصَدَقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ

اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ - : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ

الْكَبَرُ ﴾ . يعنى : من بلغ من السن ما بلغت لم يولد له ، ﴿ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ ﴾

والعاقرة من النساء التى لا تلد . يقال منه : امرأة عاقرة ، ورجل عاقرة . كما قال عامر ابن

الطَّفِيل ^(٤) :

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٢) ينظر التبيان ٤٥٢ / ٢ .

وقال القاضى فى الشفا ١ / ١١٦ : اعلم أن ثناء الله على يحيى بأنه حصور ليس كما قال بعضهم : إنه كان

هَيُوبًا ، أو لا ذكر له ، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء ، وقالوا : هذه نقيصة وعيب ولا نليق بالأنبياء ،

ولما معناه أنه معصوم من الذنوب ، أى : لا يأتيها ، كأنه حصر عنها ... وينظر تفسير ابن كثير ٣١ / ٢ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٣٠ / ٢ ، ٣١ .

(٤) مجاز القرآن ١ / ٩٢ .

[٤٠٦/١] لَيْسَ الْغِنَىٰ إِنْ كُنْتَ عَوْرَ عَاقِرًا جِبَانًا فَمَا عُذْرِي لَدَىٰ كُلِّ مَحْضَرٍ
وَأَمَّا « الْكِبْرُ » فمصدرٌ : كِبِرَ فُلَانٌ فَهُوَ يَكْبُرُ كِبْرًا .

وقيل : ﴿ بَلَّغْنِي الْكِبْرُ ﴾ . وقد قال في موضع آخر : ﴿ قَدْ بَلَّغْتُ مِنْ
الْكَبْرِ ﴾ [مریم : ٨] ؛ لأن ما بلغك فقد بلغته ، وإنما معناه : قد كَبُرْتُ . وهو كقول
القائل : قد بلغني الجهدُ . بمعنى : إنني في جهدي .

فإن قال قائل : وكيف قال زكريا ، وهو نبيُّ الله : ﴿ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ
بَلَّغْنِي الْكِبْرَ وَأَمْرًا عَاقِرٌ ﴾ . وقد بَشَّرَتْهُ الملائكةُ بما بَشَّرَتْهُ به عن أمرِ الله إِيَّاهَا
به ؟ أَشْكَ في صدقِهِمْ ؟ فذلك ما لا يجوزُ أَنْ يُوصَفَ به أهلُ الإِيْمَانِ باللهِ ، فكيف
الأنبياءُ والمرسلون ؟ أم كان ذلك منه استنكارًا لقدرةِ رَبِّهِ ، فذلك أعظمُ في البِلِيَّةِ ؟

قيل : كان ذلك منه ﷺ على غير ما ظننت ، بل كان قِيلَهُ ما قال من ذلك كما
حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمْرُو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن الشُدِّي : لما سَمِعَ النداءَ -
يعني زكريا لما سَمِعَ نداءَ الملائكةِ بالبشارةِ [٣٩٠/١] ظ [بيحيى - جاءه الشيطانُ فقال
له : يا زكريا ، إن الصوتَ الذي سَمِعْتَ ليس هو من الله ، إنما هو من الشيطانِ يَسْحَرُ
بك ، ولو كان من الله أوحاه إليك كما يُوحى إليك في غيره من / الأمرِ . فشكَّ
مكانه وقال : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ ذَكَرْتُ ؟ يقولُ : من أين ؟ ﴿ وَقَدْ بَلَّغْنِي الْكِبْرَ
وَأَمْرًا عَاقِرٌ ﴾ ^(١) ؟

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن أبي بكرٍ ، عن
عِكْرَمَةَ ، قال : فاتاه الشيطانُ ، فأراد أن يُكَدِّرَ ^(١) عليه نعمةَ رَبِّهِ ، فقال : هل تَدْرِي

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٤/٢ (٣٤٧٣) من طريق عمرو به .

(٢) في ت ، ٢ ، ت ٣ : « يكذب » .

مَنْ ناداك؟ قال: نعم، نادتنى^(١) ملائكة ربى. قال: بل ذلك الشيطان، لو كان هذا^(٢) من ربك لأخفاه إليك كما أخفيت نداءك. فقال: ﴿رَبِّ اجْعَل لِي آيَةً﴾^(٣).

فكان قوله ما قال من ذلك، ومراجعتُه ربَّه فيما راجع فيه بقوله: ﴿أَنْى يَكُونُ لِي عُلْمٌ﴾. للوسوسة التي خالطت قلبه من الشيطان، حتى خيَّلت إليه أن النداء الذى سمعه كان نداءً من غير الملائكة فقال: ﴿رَبِّ أَنْى يَكُونُ لِي عُلْمٌ﴾. مُسْتَشْبِتًا فى أمره، لِيَتَقَرَّرَ عنده بآية، يُرِيه الله فى ذلك أنه بشارَةٌ من الله على ألسن ملائكتِه، ولذلك قال: ﴿رَبِّ اجْعَل لِي آيَةً﴾.

وقد يجوز أن يكون قيله ذلك مسألة منه ربَّه: من أى وجه يكون الولد الذى بُشِّر به، أمين زوجته؟ فهى عاقرة، أم من غيرها من النساء؟ فيكون ذلك على غير الوجه الذى قاله عكرمة والشُدِّي ومن قال مثل قولهما.

القول فى تأويل قوله: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ﴾: أى هو: ما وصف به نفسه أنه هينٌ عليه أن يخلق ولدًا من الكبير الذى قد يئس من الولد، ومن العاقرة التى لا يؤجى من مثلها الولادة، كما خلقك يا زكريا من قبل خلق الولد منك ولم تك شيئًا؛ لأنه الله الذى لا يتعذَّرُ عليه خلقُ شىءٍ أرادَه، ولا يمتنعُ عليه فعلُ شىءٍ شاءَه؛ لأن قدرته القدرة التى لا يُشبهُها قدرةٌ.

كما حدثنى موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن الشُدِّي، قال:

(١) فى م، ت، ١، س: «نادانى».

(٢) فى س: «نداء».

(٣) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٤٠٨/٢، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢/٢ إلى المصنف.

﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾^(١) ، ﴿ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾
[مريم : ٩] .

القول في تأويل قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه - خبيرًا عن زكريا - قال زكريا : رب إن كان هذا النداء الذى نُودِيته ، والصوت الذى سمعته صوت ملائكتك ، وبشارة منك لى ، فاجعل لى ﴿ آيَةً ﴾ ، يقول : علامة أن ذلك كذلك ؛ لِيُزَوَّلَ عَنِّي ما قد وَسَّوسَ إِلَيَّ الشيطانُ فألقاه فى قلبى ، من أن ذلك صوت غير الملائكة ، وبشارة من ^(٢) عند غيرك .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدى : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ قال : قال ^(٣) - يعنى زكريا - : يارب ، فإن كان هذا الصوت منك فاجعل لى آية ^(٤) .

وقد دللنا فيما مضى على معنى « الآية » وأنها العلامة ، بما أعتى عن إعادته ^(٥) .

/ وقد اختلف أهل العربية فى سبب ترك العرب همزها ، ومن شأنها همز كل ياء جاءت بعد ألف ساكنة ؛ فقال بعضهم : ترك همزها لأنها كانت « آية » ، فثقل عليهم التشديد ، فأبدلوه ألفا ؛ لانفتاح ما قبل التشديد ، كما قالوا : أيما فلان فأخزاه الله . وقال آخرون منهم : بل هى « فاعلة » منقوصة . فسيئلوا ، فقيل لهم : فما بال العرب تُصغَرُها « أُيَّة » ، ولم يقولوا : « أُويَّة » ؟ فقالوا : قيل ذلك كما قيل فى

٢٥٩/٣

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٤/٢ (٣٤٧٣) من طريق عمرو به .

(٢ - ٢) فى س : « عندك » .

(٣) سقط من : س .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٥/٢ (٣٤٧٥) من طريق عمرو به .

(٥) ينظر ما تقدم فى ١٠٤/١ .

فاطمة : هذه فُطَيْمَةٌ . فقيل لهم : فإنهم إنما ^(١) يُصَغَّرُونَ « فاعلة » على « فُعَيْلَةٌ » ، إذا كان اسماً فى معنى فلانٍ وفلانةً ، فأما فى غير ذلك ، فليس من تصغيرهم « فاعلة » على « فُعَيْلَةٌ » .

وقال آخرون : إنه « فَعْلَةٌ » ، صُبِّرَتْ ياؤها الأولى أَلْفًا كما فُعِلَ بـ « حاجة » و « قامية » . فقيل لهم : إنما تَفْعَلُ العربُ ذلك فى أولادِ الثلاثة ^(٢) .

وقال مَنْ أَنْكَرَ ذلكَ مِنْ قَبْلِهِمْ : لو كان كما قالوا لَقِيلَ فى نواةٍ : « نايَةٌ » . وفى حياةٍ : « حايَةٌ » .

القول فى تأويلِ قوله : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ .
فَعَابَتْهُ ^(٣) اللهُ عز وجل - فيما ذُكِرَ لنا - بمسألته الآية ، بعدَ مشافهةِ الملائكةِ إِيَّاهُ بالبشارةِ ، فجعلَ آيَتَهُ على تَحْقِيقِ ^(٤) ما سَمِعَ مِنَ البشارةِ مِنَ الملائكةِ يَحْيَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، آيَةٌ مِنْ نَفْسِهِ ، جَمَعَ تعالى ذِكْرَهُ بها العلامةُ التى سألها رَبَّهُ ، على ما يُبَيِّنُ له حَقِيقَةَ البشارةِ أَنها مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وتمحيصًا له من هَفْوَتِهِ ، [٤٠٦/١ ظ] وخطأً قَبْلَهُ ومسألته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ من أهلِ التأويلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِيَّ

(١) سقط من : م .

(٢) أولاد الثلاثة وبنات الثلاثة : الاسم الثلاثى . وينظر الكتاب لسبويه ٤٢٦/٣ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٢٢/٥ ، واللسان (أى ا) .

(٣) فى س : « فعابته » .

(٤) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « تخصيص » .

ءَايَةٌ قَالِ ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ﴿١﴾ : إِنَّمَا عُوقِبَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ شَافَهَتْهُ مُشَافَهَةً بِذَلِكَ فَبَشَّرَتْهُ بِيَحْيَى ، فَسَأَلَ الْآيَةَ بَعْدَ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُ ، فَأُخِذَ عَلَيْهِ بِلِسَانِهِ ، فَجَعَلَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ إِلَّا مَا أَوْمَأَ وَأَشَارَ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ كَمَا تَسْمَعُونَ : ﴿١﴾ ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ﴿١﴾ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿١﴾ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴿١﴾ . قَالَ : شَافَهَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ، فَقَالَ : ﴿١﴾ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً قَالِ ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ﴿١﴾ . يَقُولُ : إِلَّا إِيمَاءً ، وَكَانَتْ عَقُوبَةُ عُوقِبَ بِهَا ، إِذْ سَأَلَ الْآيَةَ مَعَ مُشَافَهَةِ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُ بِمَا بَشَّرَتْهُ بِهِ .^(١)

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿١﴾ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً قَالِ ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ﴿١﴾ . قَالَ : ذُكِرَ لَنَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ عُوقِبَ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ شَافَهَتْهُ مُشَافَهَةً فَبَشَّرَتْهُ بِيَحْيَى ، فَسَأَلَ الْآيَةَ بَعْدَ فَأُخِذَ بِلِسَانِهِ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : ذُكِرَ لَنَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ عُوقِبَ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ شَافَهَتْهُ فَبَشَّرَتْهُ بِيَحْيَى ، قَالَتْ : ﴿١﴾ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴿١﴾ . / فَسَأَلَ بَعْدَ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُ الْآيَةَ ، فَأُخِذَ عَلَيْهِ لِسَانَهُ ، فَجَعَلَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ ﴿١﴾ إِلَّا رَمْرًا ﴿١﴾ يَقُولُ : يُومِئُ إِيمَاءً . ٢٦٠/٣

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٤٥ (٣٤٧٨) عن الحسن به ، وتقديم أوله في ص ٣٦٩ .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٤١٠ .

حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدٍ الْوَصَّابِيُّ ^(١) ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيرٍ ، قَالَ : ثنا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ ^(٢) جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۗ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ۗ ﴾ . قَالَ : رَبًّا لِسَانِهِ فِي فِيهِ حَتَّى مَلَأَهُ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ اللَّهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ^(٣) .

وإنما اختارت القراءة النصب في قوله : ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ﴾ . لأن معنى الكلام : قال : آيتك ألا تكلم الناس فيما يستقبل ثلاثة أيام . فكانت « أن » هي التي تصحب الاستقبال ^(٤) دون التي تصحب الأسماء ، فتتصبها ، ولو كان المعنى فيه : آيتك أنك لا تكلم الناس ثلاثة أيام . أى : أنك على هذه الحال ثلاثة أيام - كان وجه الكلام الرفع ؛ لأن « أن » كانت تكون ^(٥) حينئذ بمعنى الثقيلة خففت ، ولكن لم يكن ذلك جائزاً ؛ لما وصفت من أن ذلك بالمعنى الآخر .

وأما الرمز ، فإن الأغلب من معانيه عند العرب الإيماء بالشفقتين ، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجيين والعينين أحياناً ، وذلك غير كثير فيهم ، وقد يقال للخفي من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصوت : الرمز . ومنه قول جُوَيْبَةَ بْنِ عَائِذٍ ^(٦) :

(١) في ص : « الوصافي » ، وفي م : « الرصافي » ، وفي ت ١ ، س : « الوصافي » . وتقدم في ص ٢٩١ .

(٢ - ٢) في م : « جوير بن نصير » .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٦/٢ (٣٤٨٢) معلقاً عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبيرة ابن نفير ، وستأتي رواية صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن ، عن أبيه في تفسير الآية (٧٤) من سورة الفرقان ، وتفسير الآية (١٠) من سورة الأحقاف .

(٤) في س : « الأفعال » . ويقصد بالاستقبال أفعال المضارعة إشارة إلى الدلالة الزمانية . مصطلحات النحو الكوفي ص ٧٤ .

(٥) سقط من : س .

(٦) في م ، ت ١ : « عابد » . وينظر بغية الوعاة ١/٤٩٠ . والبيت في التبيان للطوسي ٢/٢٤٥٥ ، والحرر

وكان تَكَلَّمُ^(١) الأبطالَ رَمَزًا وَهَمَّهَمَةً^(٢) لَهُمْ مِثْلَ الْهَدِيدِ^(٣)
يُقَالُ مِنْهُ : رَمَزَ فُلَانٌ فَهُوَ يَرْمِزُ ، وَيَرْمِزُ رَمَزًا ، وَيَرْمِزُ رَمَزًا . وَيُقَالُ : ضَرَبَهُ ضَرْبَةً
فَارْمَزَتْ مِنْهَا . أَيْ : اضْطَرَبَ لِلْمَوْتِ ، قَالَ الشَّاعِرُ^(٤) :

* حَزَزْتُ مِنْهَا لِقَفَايَ أَرْمِزُ *

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عنى الله عز وجل به في إخباره عن
زكريا من قوله : ﴿ ءَأَيْتُكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . وأى معانى
الرمز عنى بذلك ؛ فقال بعضهم : عنى بذلك : آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا
تحريكًا بالشفقتين ، من غير أن ترمز بلسانك الكلام .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ ، عن النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيِّ ، عن مجاهدٍ فى
قوله : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قال : تحريك الشفتين^(٥) .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى
نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قال : إيماءه بشفتيه^(٦) .

/ حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن

٢٦١/٣

(١) فى م : « يكلم » .

(٢) فى مصدرى التخريج : « وغممة » .

(٣) فى مصدرى التخريج : « الهرير » . والهدير : تردد صوت البعير فى حنجرتة ، والهرير : صوت الكلب ،
وهو دون النباح من قلة صبره على البرد . اللسان (ه د ر ، ه ر ر) .

(٤) هو صائد الضب ، وهذا عجز بيت صدره : ثم اعتمدت فجبذت جبذة . والبيت فى اللسان (ق ن ز) ،
وعجزه فى اللسان (ر م ز) .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٦/٢ (٣٤٨٠) من طريق النضر بن عربى به نحوه .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥٢/١٩ من طريق ابن أبى نجيح به .

مجاهد مثله .

وقال آخرون : بل عنى الله بذلك الإيماء والإشارة .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَلْمَةَ بْنِ نُبَيْطٍ ، عَنِ الضَّحَّاكِ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : الْإِشَارَةُ ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : الرَّمْزُ أَنْ يُشِيرَ بِيَدِهِ أَوْ رَأْسِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عُمَى ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : الرَّمْزُ : أَنْ أُخِذَ بِلِسَانِهِ ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّاسَ بِيَدِهِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ :
وَالرَّمْزُ الْإِشَارَةُ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ الْآيَةَ . قَالَ : جَعَلَ آيَتَهُ أَلَّا يُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ، إِلَّا أَنَّهُ يَذْكُرُ اللَّهَ ، وَالرَّمْزُ الْإِشَارَةُ ، يُشِيرُ إِلَيْهِمْ .

(١) تفسير سفيان ص ٧٧ ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/١٩ من طريق سلمة بن نبيط به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٣/٢ إلى المصنف .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ : إِلَّا إِيمَاءً ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . يَقُولُ : إِشَارَةٌ ^(٣) .

[٤٠٧/١] حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ : إِلَّا إِشَارَةٌ ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ ^(٥) سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عُبَّادٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ . قَالَ : أُفْسِدَكَ بِلِسَانِهِ ، فَجَعَلَ يُؤْمِئُ بِيَدِهِ إِلَى قَوْمِهِ أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ^(٦) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ .

يعنى بذلك : قال الله جل ثناؤه لركريا : يا زكريا ، آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيامٍ إلا رمزا بغيرِ حَرَسٍ ، ولا عاهية ، ولا مرضٍ ، وادكُرْ رَبَّكَ كثيرا ، فإنك لا تُمْتَعُ ذكره ، ولا يُحَالُ بينك ^(٧) وبين تسبيحه وغير ذلك من ذكره .

(١) تقدم تخريجه في ص ٣٨٦ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٦/٢ عقب الأثر (٣٤٨١) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٦/٢ عقب الأثر (٣٤٨١) من طريق عمرو به .

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤١١/٢ .

(٥) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « عمر بن » .

(٦) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤١١/٢ .

(٧) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « وبينه » .

وقد حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الْحُسَيْنُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن أَبِي مَعْشَرٍ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ ، قال : لو كان اللهُ رَخَّصَ لِأَحَدٍ فِي تَرْكِ الذِّكْرِ ، لَرَخَّصَ لَزَكَرِيَّا حَيْثُ قال : ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَاذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا ﴾ أَيْضًا ^(١) .

/ وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : عَظَّمَ رَبَّكَ بِعِبَادَتِهِ بِالْعِشِيِّ ، وَالْعِشِيُّ : مِنْ حِينَ تَزُولُ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ تَغِيبَ ، كَمَا قال الشَّاعِرُ ^(٢) :

فَلا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ ولا الفَيْءُ مِنْ بَرْدِ العِشِيِّ تَذُوقُ
فالفَيْءُ إِذَا تَبَتَّدِيءُ أَوْبَتُهُ مِنْ عِنْدِ زَوَالِ الشَّمْسِ ، وَتَنَاهَى بِمَغِيْبِهَا .

وَأَمَّا الإِبْكَارُ ، فَإِنَّهُ مُصَدَّرٌ مِنْ قَوْلِ القَائِلِ : أَبْكَرَ فُلَانٌ فِي حَاجَةٍ ، فَهُوَ يُبْكَرُ إِبْكَارًا . وَذَلِكَ إِذَا خَرَجَ فِيهَا مِنْ بَيْنِ مَطْلَعِ الفَجْرِ إِلَى وَقْتِ الضُّحَى ، فَذَلِكَ إِبْكَارٌ . يُقالُ فِيهِ : أَبْكَرَ ^(٣) فُلَانٌ ، وَبَكَرَ يُبْكَرُ بُكُورًا ، فَمِنْ الإِبْكَارِ قَوْلُ عَمْرِ بْنِ أَبِي رِيْعَةَ ^(٤) :

* أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكَرٌ *

وَمِنْ البُّكُورِ قَوْلُ جَرِيرٍ ^(٥) :

أَلا بَكَرَتْ سَلْمَى فَجَدُّ بُكُورُهَا وَشَقَّ العِصَا بَعْدَ اجْتِمَاعِ أَمِيرِهَا

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٢١٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٤٦ (٣٤٨٤) ، وابن عساکر في تاريخ دمشق ١٩/ ٥٢ من طريق أبي معشر به .

(٢) هو حميد بن ثور الهلالي ، والبيت في ديوانه ص ٤٠ .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بكر » .

(٤) شرح ديوانه ص ٩٢ ، وهو صدر بيت عجزه :

« عَدَاةَ عَدِيٍّ أَمْ رَائِحَ فَمُهْجَرٍ »

(٥) ديوانه ٢/ ٨٩٠ .

ويقال من ذلك : بَكَرَ النخْلُ يَبْكُرُ بُكُورًا ، وَأَبْكَرَ يُبْكَرُ إِبْكَارًا ، والباكورُ من الفواكه : أَوْلُهَا إِدْرَاكًا .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَسَبَّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ . قال : الإبكارُ أَوَّلُ الفجرِ ، والعشِيُّ ميلُ الشمسِ حتى تَغِيْبُ ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٤٢) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : والله سميعٌ عليمٌ إذ قالت امرأة عمران ربِّ إني نذرتُ لك ما في بطني محرراً ، وإذ قالت الملائكةُ يا مريمُ إنَّ الله اصطفاكِ .

ومعنى قوله : ﴿ اصْطَفَاكِ ﴾ : اختاركِ واجتباكِ لطاعته وما خصك به من كرامته .

وقوله : ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ . يعنى : طهَّرَ دينك من الرِّيبِ والأدناسِ التي في أديانِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٦ ، ٦٤٧ (٣٤٨٦ ، ٣٤٨٧) ، من طريق ابن أبي نجيح به ، وأخرجه ابن عساکر في تاريخه ١٩/٥٢ من طريق أبي يحيى ، عن مجاهد ، وهو في تفسير مجاهد ص ٢٥٢ مقتصرًا على تفسير العشى .

نساءِ بنى آدمَ ، ﴿ وَأَصْطَفَيْنَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ يعنى : اختاركِ على نساءِ العالمين فى زمانِكَ بطاعتِكَ إياه ، ففَضَّلَكَ عليهم .

٢٦٣/٣ / كما روى عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال : « خيرُ نساءِها مريمُ بنتُ عمرانَ ، وخيرُ نساءِها خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ » يعنى بقوله : « خيرُ نساءِها » : خيرُ نساءِ أهلِ الجنةِ .

حدَّثنى بذلك الحسينُ بنُ عليِّ الصَّدائِقى ، قال : ثنا مُحاضِرُ بنُ المُوَرَّعِ ، قال : ثنا هشامُ بنُ عُروَةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ ، قال : سَمِعْتُ عَلِيًّا بالعِراقِ يقولُ : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « خيرُ نساءِها مريمُ بنتُ عمرانَ ، وخيرُ نساءِها خديجةُ » ^(١) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ ، قال : ثنا المُنذِرُ بنُ عبدِ اللهِ الحِزَامِىُّ ، عن هشامِ بنِ عُروَةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ بنِ أبى طالبٍ ، أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « خيرُ نساءِ الجنةِ مريمُ بنتُ عمرانَ ، وخيرُ نساءِ الجنةِ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ » ^(٢) .

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيْدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ :

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٨٣ - تراجم النساء) من طريق محاضر بن المورع به ، وأخرجه عبد الرزاق (١٤٠٠٦) ، وابن أبى شيبة (١٢ / ١٣٤) ، وأحمد (٧٠ / ٢ ، ٢٥٣ ، ٣٣٨ ، ٣٨٧ ، ٦٤٠) ، ٩٣٨ ، ١١٠٩ ، ١٢١٢) ، والبخارى (٣٤٣٢ ، ٣٨١٥) ، ومسلم (٢٤٣٠) ، والترمذى (٣٨٧٧) ، والبخارى (٤٦٨ ، ٤٦٧) ، وأبو يعلى (٥٢٢) ، والبيهقى (٣٩٥٤) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٧٠ - ٣٧٣ - تراجم النساء) من طريق هشام بن عروة به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه (ص ٣٧٣ - تراجم النساء) من طريق يونس ، به ، وفيه : المنذر بن عبيد ، وفيه : عن جعفر عبد الله بن جعفر ، عن على .

ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « حَسْبُكَ ^(١) بِمَرِيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ ، وَامْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةَ بِنْتِ حُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ » ^(٢) .
 قَالَ قَتَادَةُ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « خَيْرُ نِسَاءِ رِكَبَنِ الْإِبْلِ صَوَالِحُ نِسَاءِ قَرِيشٍ ؛ أختَاهُ عَلَى وُلْدٍ فِي صِغَرِهِ ، وَأَزْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ » ^(٣) . قَالَ قَتَادَةُ : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : « لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ مَرِيَمَ رَكِبَتْ الْإِبِلَ مَا فَضَّلْتُ عَلَيْهَا أَحَدًا » .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ : كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « خَيْرُ نِسَاءِ رِكَبَنِ الْإِبْلِ صَالِحُ نِسَاءِ قَرِيشٍ ؛ أختَاهُ عَلَى وُلْدٍ ، وَأَزْعَاهُ لِزَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ » . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَلَمْ تَزُكِّبْ مَرِيَمَ بَعِيرًا قَطً ^(٤) .

[٤٠٧/١] حَدَّثَنَا عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ .
 قَالَ : كَانَ ثَابِتُ الْبُنَانِيِّ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « خَيْرُ

(١) بعده في س : « من نساء الدنيا » .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٩١٩) ، والترمذى (٣٨٧٨) ، وأحمد ١٣٥/٣ (١٢٤١٤) موصولاً من حديث أنس .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/١٧٤ ، وابن أبي عاصم في السنة (١٥٣٣) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٨١ - تراجم النساء) موصولاً من حديث أبي هريرة .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « صلح » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ ، والبخارى (٣٤٣٤) ، ومسلم (٢٠١/٢٥٢٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٨٨) ٦٧٤/٢ من طريق الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة مرفوعاً .

نساء العالمين أربع، مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد^(١).

حدثني المثنى، قال: ثنا آدم العسقلاني، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا عمرو بن مروة، قال: سمعت مروة الهمداني يحدث عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»^(٢).

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو الأسود المصري، قال: ثنا ابن لهيعة، عن عمارة ابن عزيّة، عن محمد بن عبد الله^(٣) بن عمرو بن عثمان، أن فاطمة بنت حسين ابن علي حدثته، أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: دخل رسول الله ﷺ يوماً وأنا عند عائشة، فناجاني فبكيته، ثم ناجاني فضحكك، فسألتني عائشة عن ذلك، فقلت: لقد عجبت، أخبرك بسر رسول الله ﷺ؟! فتركتني، فلما توفى رسول الله ﷺ، سألتها عائشة، فقالت: نعم، ناجاني فقال: «جبريل كان يعارض القرآن كل عام مرة، وإنه قد عارض القرآن مرتين، وإنه ليس من نبي إلا عمر نصف عمر الذي كان قبله، وإن عيسى أخى كان عمره عشرين ومائة سنة، وهذه

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٧٨- تراجم النساء) من طريق أبي جعفر به، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٤٠٤/٩، وابن عساكر ص ٣٧٧، ٣٧٨ من طريق أبي جعفر عن محمد بن سعيد عن ثابت به.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٣، ٣٧٦٩) من طريق آدم به، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٢/١٢٨)، وأحمد (٤/٣٩٤)، ٤٠٩ (اليمينية)، والبخاري (٣٤١١، ٥٤١٨)، ومسلم (٢٤٣١)، وابن ماجه (٣٢٨٠)، والترمذي (١٨٣٤)، والطحاوي في المشكل (١٥٠)، وابن حبان (٧١١٤)، والطبراني ٢٣/ (١٠٦)، والبعقوي (٣٩٦٢) من طريق شعبة به.

(٣) (٣-٣) في النسخ: «عبد الرحمن». والمثبت من مصادر التخريج. وينظر تهذيب الكمال ٥١٦/٢٥.

لى سِتُون ، وَأَحْسَبُنِي مِثِّيَا فِي عَامِي هَذَا ، وَإِنَّهُ لَمْ تُزْرَأْ أَمْرًا مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ بِمِثْلِ مَا
زُرَيْتِ ، وَلَا تَكُونِي دُونَ أَمْرَةٍ صَبْرًا . قَالَتْ : فَبِكَيْتُ ، ثُمَّ قَالَ : « أَنْتِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ
أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا مَرْيَمَ الْبَثُولَ » . فَتَوَفَّى عَامَهُ ذَلِكَ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو الْأَسْوَدِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ لَهَيْعَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ
الْحَارِثِ ، أَنَّ أَبَا زَيْدٍ الْحِمَيْرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عِمَارَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : « فَضَّلْتُ خَدِيجَةَ عَلَى نِسَاءِ أُمَّتِي ، كَمَا فَضَّلْتُ مَرْيَمَ عَلَى نِسَاءِ
الْعَالَمِينَ » ^(٢) .

وَبِمِثْلِ الَّذِي قُلْنَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَطَهَّرَكَ ﴾ - أَنَّهُ : وَطَهَّرَ دِينَكَ مِنَ الدَّنَسِ
وَالرَّيْبِ - قَالَ مُجَاهِدٌ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ﴾ قَالَ : جَعَلَكَ طَيِّبَةً إِيمَانًا ^(٣) .
حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ
مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا الْحَجَّاجُ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ :
﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ قَالَ : ذَلِكَ لِلْعَالَمِينَ يَوْمَئِذٍ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٩٦٥، ٢٩٧٠)، والدولابي في الذرية الطاهرة (١٩٤)،
والطحاوي في المشكل (١٤٦، ١٩٣٧)، والطبراني ٢٢/٤١٧، ٤١٨ (١٠٣١)، والبيهقي في الدلائل ٧/
١٦٥، والخطيب في الكفاية ١/٣٣١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/٤٨١ من طريق ابن غزيرة به .
(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤١٦ عن المصنف، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٣ إلى المصنف .
(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٢، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٧ (٣٤٨٩) .
(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤١٥، والقرطبي في تفسيره ٤/٨٢ .

وكانت الملائكة - فيما ذكر ابن إسحاق - تقول ذلك لمريم شفاها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : كانت مريم حبيسا في الكنيسة ، ومعها في الكنيسة غلام اسمه يوسف ، وقد كان أمه وأبوه [٣٩٢/١] جعلاه نذيرا حبيسا ، فكانا في الكنيسة جميعا ، وكانت مريم إذا نفد ماؤها وماء يوسف ، أخذتا قلتيهما ، فانطلقا إلى المفازة التي فيها الماء الذي يستغديان منه ، فيملآن قلتيهما ، ثم يرجعان ^(١) إلى الكنيسة ، والملائكة في ذلك مقبلت على مريم : ﴿ يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَكَ وَطَهَّرَكَ وَأَصْطَفَكَ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ ﴾ . فإذا سمع ذلك زكريا ، قال : إن لابنة عمران لسانا ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَمْرِمُ أَقْنِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ

الرَّكْعِينَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله - خبرا عن قيل ملائكتيه لمريم - : ﴿ يَمْرِمُ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ :
أخلصى الطاعة لربك وحده .

وقد دللنا على معنى « القنوت » بشواهد فيما مضى قبل ، والاختلاف بين أهل التأويل فيه فى هذا الموضع نحو اختلافهم فيه هنالك ^(٣) .

وسند كقول بعضهم أيضا فى هذا الموضع ؛ فقال بعضهم : معنى ﴿ أَقْنِي ﴾ :
أطيلي الركود ^(٤) .

(١) بعده فى ص ، ت ٢ : « بها » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٥٩٣/١ مختصرا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٣ ، ٢٤ إلى المصنف .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٢/٤٦١ ، ٤٦٤ .

(٤) فى س ، ت ٢ : « الركوع » .

/ ذكر من قال ذلك

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ يَمْرِيءُ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ قال : أطيلي الركود . يعنى القنوت^(١) .

حدَّثني المشنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ قال : قال مجاهد : أطيلي الركود في الصلاة . يعنى القنوت .

حدَّثني المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لما قيل لها : ﴿ يَمْرِيءُ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ . قامت حتى ورم كعباها^(٢) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله بن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لما قيل لها : ﴿ يَمْرِيءُ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ قامت حتى ورمت قدمها^(٣) .

حدَّثني المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن مجاهد : ﴿ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ . قال : أطيلي الركود^(٤) .

حدَّثت عن عمّار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ يَمْرِيءُ

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٦٩ - تراجم النساء) من طريق ابن أبي نجيح به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٨/٢ (٣٤٩٤) من طريق ابن إدريس به . وأخرجه ابن أبي الدنيا في التهجذ وقيام الليل (٢١٨) من طريق ابن إدريس ، عن أبيه ، عن مجاهد .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٦٨ - تراجم النساء) من طريق ابن إدريس به نحوه .

(٤) تفسير سفيان ص ٧٧ ، وتفسير عبد الرزاق ١/١٢٠ ، ومن طريق سفيان ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٦٨ - تراجم النساء) وعندهم : عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مجاهد ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٩٨/٣ من طريق سفيان به بدون ذكر الحكم .

أَقْنَتِي لِرَبِّكَ ﴿١﴾ قال : القنوتُ الركودُ ، يقولُ : قومي لرَبِّكَ في الصلاة . يقولُ :
ازكُدي لرَبِّكَ ، أَى : انتصبي [٤٠٨/١] له في الصلاة ، ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ
الرَّكَعَاتِ﴾ ^(١) .

حدَّثني محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن سفيانَ ، عن ليثٍ ، عن
مجاهدٍ : ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنَتِي لِرَبِّكَ﴾ قال : كانت تصلي حتى ترمَ قدميها ^(٢) .

حدَّثني ابنُ البرقي ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا الأوزاعي : ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنَتِي
لِرَبِّكَ﴾ قال : كانت تقومُ حتى يسيلَ القيحُ من قدميها ^(٣) .
وقال آخرون : معناه : أخلصي لرَبِّكَ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثني ، قال : ثنا الحِماني ، قال : ثنا ابنُ المبارك ، عن شريك ، عن سالم ،
عن سعيدٍ : ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنَتِي لِرَبِّكَ﴾ قال : أخلصي لرَبِّكَ ^(٤) .
وقال آخرون : معناه : أطيعي ربَّكَ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤١٧/٢ بنحوه .

(٢) تفسير الثوري ص ٧٧ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٦٨ - تراجم النساء) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٨/٢ (٣٤٩٦ ، ٣٤٩٧) من طريق الوليد ، عن الأوزاعي بنحوه .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/٢ إلى المصنف .

قتادة فى قوله : ﴿ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ قال : أطيعى ربك^(١) .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشددي : ﴿ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ : أطيعى ربك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن دراج ، عن / أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن النبى ﷺ قال : ٢٦٦/٣ « كُلُّ حَرْفٍ يُذَكَّرُ فِيهِ الْقَنُوتُ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَهُوَ طَاعَةٌ لِلَّهِ »^(٢) .

حدثنى محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عبادة بن منصور ، عن الحسن فى قوله : ﴿ يَمْرِيءُ أَقْنِي لِرَبِّكَ ﴾ . قال : يقول : اعبدى ربك^(٣) .

قال أبو جعفر : وقد بينا أيضا معنى « الركوع » و « السجود » بالأدلة الدالة على صحته ، وأنهما بمعنى الخشوع لله ، والخضوع له بالطاعة والعبادة^(٤) .

فتأويل الآية إذن : يا مريم أخلصى عبادة ربك لوجهه خالصا ، واخشعى لطاعته وعبادته ، مع من خشع له من خلقه ، شكرا له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتطهير من الأدناس ، والتفضيل على نساء عالم دهرك .

القول فى تأويل قوله : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ ذَلِكَ ﴾ : الأخبار التى أخبر بها عباده عن امرأة عمران وابنتها مريم ، وزكريا وابنه يحيى ، وسائر ما قص فى الآيات من قوله :

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٢١ .

(٢) تقدم تخريجه فى ٣٨٢/٤ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٤٨ (٣٤٩٥) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١/٦١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا ﴾ [آل عمران : ٣٣] . ثم جمَعَ جميعَ ذلك تعالى ذكره بقوله ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ . فقال : هذه الأنباء ﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ . أى : من أخبار الغيب . ويعنى بـ « الغيب » ، أنها من خفى أخبار القوم التي لم تطلع أنت يا محمد عليها ولا قومك ، ولم يعلمها إلا قليلٌ من أخبار أهل الكتابين ورضبانهم .

ثم أخبر تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ أنه أوحى ذلك إليه حجةً على نبوته ، وتحقيقاً لصدقه ، وقطعاً منه به عذر منكري رسالته من كفار أهل الكتابين الذين يعلمون أن محمداً لم يصل إلى علم هذه الأنباء مع خفائها ، ولم يدرك معرفتها مع حملها^(١) عند أهلها ، إلا بإعلام الله ذلك إيّاه ، إذ كان معلوماً عندهم أن محمداً ﷺ أمي لا يكتب فيقرأ الكتب ، فيصل إلى علم ذلك من قبل الكتب ، ولا صاحب أهل الكتب فيأخذ علمه من قبلهم .

وأما « الغيب » فمصدرٌ من قول القائل : غاب فلانٌ عن كذا ، فهو يغيب عنه غيباً وغيبَةً .

وأما قوله : ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ . فإن تأويله : نُنَزِّلُهُ إِلَيْكَ .

وأصل الإيحاء إلقاء الموحى إلى الموحى إليه ، وذلك قد يكون بكتاب ، وإشارة وإيماء ، وإلهام ، وبرسالة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّعْلِ ﴾ [النحل : ٦٨] بمعنى : ألقى ذلك إليها فألهمها . وكما قال : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ ﴾ [المائدة : ١١١] بمعنى : ألقى إليهم علم ذلك إلهاماً ، وكما قال الراجز^(٢) :

(١) فى س : « شمولها » .

(٢) هو المعجاج ، والرجز فى ديوانه ص ٢٦٦ .

أَوْحَى^(١) لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ

/ بمعنى : ألقى إليها ذلك أمراً . وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم : ١١] بمعنى : فألقى ذلك إليهم إيماءً^(٢) .

٢٦٧/٣

والأصل فيه ما وصفت من إلقاء ذلك إليهم ، وقد يكون إلقاءه ذلك إليهم إيماءً ، ويكون بكتاب ، ومن ذلك قوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَيْكَ أَوَّلِيَّاتِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١] : يُلقون إليهم ذلك وسوسةً . وقوله : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكَ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] : ألقى إليّ بمجىء جبريل عليه السلام به إليّ من عند الله عز وجل .

وأما الوحي ، فهو الواقع من الموحى إلى الموحى إليه ، ولذلك سمّت العرب الخطّ والكتاب وحيًا ؛ لأنه واقع فيما كُتب ثابت فيه ، كما قال كعب بن زهير^(٣) :
أتى العجم والآفاق منه قصائدٌ
يقين بقاء الوحي في الحجر الأصم
يعنى به الكتاب الثابت في الحجر . وقد يقال في الكتاب خاصة إذا كتبه الكاتب : « وحي » ، بغير ألف ، ومنه قول رؤبة^(٤) :

كأنه بَعْدَ رِيَّاحٍ تَدْهُمُهُ

ومُرْتَعِنَاتِ الدُّجُونِ^(٥) تَثْمُهُ^(٦)

(١) في الديوان : « وحي » .

(٢) في النسخ : « أيضًا » . والمثبت هو الصواب .

(٣) ديوانه ص ٦٤ .

(٤) ديوانه ص ١٤٩ .

(٥) مرتعنات الدجون : المطر الكثير الدائم . اللسان (ر ث ع ن ، د ج ن) .

(٦) الوثم : الضرب . اللسان (و ث م) .

إِنْجِيلُ أَحْبَارٍ^(١) وَحَى مُتَفَنِمُهُ^(٢)

القولُ في تأويلِ قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾: وما كنتَ يا محمدُ عندهم فتعلّم ما نُعلّمُكَ من أخبارِهم التي لم تُشهِدْها ، ولكنك إنما تُعلّمُ ذلك فتُدركُ معرفته بتعريفناكه .

ومعنى قوله: ﴿لَدَيْهِمْ﴾: عندهم .

ومعنى قوله: ﴿إِذْ يُلقُونَ﴾: حينَ يُلقون أقلامهم .

وأما « أقلامهم » فسهاؤهم التي استهم بها المستهيمون من بنى إسرائيل على

كفالةِ مريمَ ، على ما قد بيّنا قبلُ في قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾^(٣) [آل عمران : ٣٧] .

وبنحوِ الذي قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا هشامُ ، عن عمرو ، عن سعيدِ ،

عن قتادةَ في قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ . يعنى محمداً [٤٠٨/١] ظ [عليه السلام]^(٤) .

حدّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي

نجيحٍ ، عن مجاهدٍ: ﴿يُلقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾: زكريا وأصحابه استهموا بأقلامهم

(١) في ص ، س : « توراة » .

(٢) التّفنّمَة : خطوط متقاربة قصار شبه ما تُتفنّم الرّيح ذُفّاق التراب ، وكتاب مُتفَنّم : مُتَقَش . اللسان (ن م م) .

(٣) تقدّم في ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بن » . وسيأتي على الصواب في ٣١٨/٥ ، ١٨١/٩ ، ٨٠/١١ .

(٥) في س : « بن » .

(٦) عزاه السيوطى في الدر المنثور ٢٤/٢ إلى المصنف .

على مريم حين دخلت عليهم^(١) .

حدثني الثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ / أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ : كانت مريم ابنة إمامهم وسيدهم ، فتشاح عليها بنو إسرائيل ، فافترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها ، فقرعهم زكريا ، وكان زوج أختها ، فكفلها زكريا ، يقول : ضمها إليه^(٢) .

٢٦٨/٣

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ ﴾ . قال : تساهموا على مريم أيهم يكفلها ، فقرعهم زكريا^(٣) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ : وإن مريم لما وضعت في المسجد ، افترع عليها أهل المصلى وهم يكتبون الوحي ، فافترعوا بأقلامهم أيهم يكفلها ، فقال الله عز وجل لمحمد ﷺ : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾^(٤) .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٢ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ - تراجم النساء) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٠/٢ (٣٥١٠) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٩/٢ (٣٥٠٢) عن الحسن بن يحيى به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٩/٢ (٣٥٠١) عن محمد بن سعد به .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ : اقْتَرَعُوا بِأَقْلَامِهِمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ، فَقَرَعَهُمْ زَكْرِيَا .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عُبَادٍ ، عَنْ الْحُسَيْنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ ﴾ . قَالَ : حَيْثُ اقْتَرَعُوا عَلَى مَرْيَمَ ، وَكَانَ غَيْبًا عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ أَخْبَرَهُ اللَّهُ .

وَإِنَّمَا قِيلَ : ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ . لِأَنَّ إِلقاءَ الْمُسْتَهْمِينَ أَقْلَامَهُمْ عَلَى مَرْيَمَ إِنَّمَا كَانَ لِيَنْظُرُوا أَيُّهُمْ أَوْلَى بِكِفَالَتِهَا وَأَحَقُّ . فَفِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ ﴾ . دَلَالَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ مِنَ الْكَلَامِ ، وَهُوَ : لِيَنْظُرُوا أَيُّهُمْ يَكْفُلُ ، وَلِيَسْتَبَيِّنُوا ذَلِكَ وَيَعْلَمُوهُ .

فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ الْوَاجِبَ فِي ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ النِّصْبُ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ ، فَقَدْ ظَنَّ خَطَأً ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّظَرَ وَالتَّبَيَّنَّ وَالْعِلْمَ مَعَ « أَى » يَقْتَضِي اسْتِفْهَامًا وَاسْتِخْبَارًا ، وَحِظُّ « أَى » فِي الْاسْتِخْبَارِ الْإِبْتِدَاءُ ، وَبُطُولُ عَمَلِ الْمَسْأَلَةِ وَالْاسْتِخْبَارِ عَنْهُ . وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ : لَأَنْظُرَنَّ أَيُّهُمْ قَامَ : لَأَسْتَحْبِرَنَّ النَّاسَ أَيُّهُمْ قَامَ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : لَأَعْلَمَنَّ .

وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَى قَبْلُ أَنَّ مَعْنَى « يَكْفُلُ » : يَضُمُّ ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ .

(١) ينظر ما تقدم في ص ٣٤٥ وما بعدها .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وما كنت يا محمد عند قومٍ مريم إذ يختصمون فيها أيهم أحقُّ بها وأولى . وذلك من الله عز وجل وإن كان خطاباً لنبيه ﷺ ، فتويخ منه عز وجل للمكذبين به من أهل الكتابين . يقول : كيف يشكُّ أهل الكفر بك منهم وأنت تُنبئهم هذه الأنبياء ولم تشهدهم^(١) ، ولم تكن معهم يوم فعلوا هذه الأمور ، ولست ممن قرأ الكتب فعلم نبأهم ، ولا جالس أهلها فسمع خبرهم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ وَمَا كُنْتَ / لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ أي : ما كنت معهم إذ يختصمون فيها . يُخْبِرُهُ بخفي ما كنتموا منه من العلم عندهم ؛ لتحقيق نبوته ، والحجة عليهم لما يأتيهم به مما أخفوا منه^(٢) .

٢٦٩/٣

القول في تأويل قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ ﴾ : وما كنت لديهم إذ يختصمون ، وما كنت لديهم أيضاً إذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله يُبشِّرُكِ . والتبشير : إخبار المرء بما يسره من خير .

وقوله : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ . يعنى : برسالة من الله وخبر من عنده . وهو من قول القائل : ألقى فلان إلى كَلِمَةٍ سرّنى بها . بمعنى : أخبرنى خبراً فرحتُ به . كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ [النساء : ١٧١] يعنى : بُشِّرَى اللهُ مَرْيَمَ بعيسى ألقاها إليها .

(١) فى م : « تشهدا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٨١/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٠/٢ (٣٥١١) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

فتأويل الكلام : وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت الملائكة لمريم : يا مريم إن الله يُبشِّرُكِ بِبَشْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ، هِيَ وَلَدٌ لِكَ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ .
وقد قال قوم - وهو قول قتادة - : إن الكلمة التي قال الله عز وجل : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ . هو قوله : « كُنْ » .

حدثنا بذلك الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ قال : قوله : « كُنْ » ^(١) .

فسماه الله عز وجل كلمته لأنه كان عن كلمته ، كما يقال لما قدر الله من شيء : هذا قدر الله وقضاه . يعنى به : هذا عن قدر الله وقضائه حدث . وكما قال جل ثناؤه : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء : ٤٧ ، والأحزاب : ٣٧] يعنى به : ما أمر الله به ، وهو الأمور الذى كان عن أمر الله عز وجل .

وقال آخرون : بل هي اسم لعيسى ، سمّاه الله بها كما سمّى سائر خلقه بما شاء من الأسماء .

وروى عن ابن عباس أنه قال : الكلمة هي عيسى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ . قال : عيسى هو الكلمة من الله ^(٢) .

وأقرب الوجوه إلى الصواب عندى القول [٤٠٩/١] الأول ، وهو أن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله عز وجل برسالته وكلمته التى أمرها أن تلقىها إليها ، أن

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٧٧ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥١/٢ (٣٥١٤) من طريق سماك به نحوه .

الله خالقٌ منها ولدًا من غيرِ بَعْلِ ولا فَحْلِ ؛ ولذلك قال عز وجل : ﴿ اَسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾ .
 فذكر ، ولم يقل : اسمها . فَيُؤَنَّثُ ، و« الكلمة » مؤنثة ؛ لأن الكلمة غيرُ مقصودٍ بها
 قصدُ الاسمِ الذي هو بمعنى « فلان » ، وإنما هي بمعنى البشارة ، فذكرت كنياتها كما
 تُدَكَّرُ كنايةً « الذُّرِّيَّة » و« الدَّابَّة » و« الألقاب » ، على ما قد بيَّناه قبلُ فيما
 مضى ^(١) .

٢٧٠/٣ / فتأويلُ ذلك كما قلنا آنفاً من أن معنى ذلك : إن الله يُبَشِّرُكَ ببشرى . ثم بيَّن
 عن البشري أنها ولدٌ اسمه المسيح .

وقد زعم بعضُ نحوِّى البصرة أنه إنما ذكر فقال : ﴿ اَسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾ . وقد
 قال : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ . والكلمة عنده هي عيسى ؛ لأنه فى المعنى كذلك ، كما قال
 جل ثناؤه : ﴿ اَنْ تَقُوْلَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ ﴾ [الزمر : ٥٦] ثم قال : ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ
 آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا ﴾ [الزمر : ٥٩] وكما يقال : ذو الثُدَيَّة ^(٢) . لأن يده كانت قصيرة
 قريبةً من ثُدَيَّته ، فجعلها كأن اسمها ثُدَيَّةٌ ، ولولا ذلك لم تدخُلِ الهاءُ فى التصغيرِ .

وقال بعضُ نحوِّى الكوفة نحو قول من ذكرنا من نحوِّى البصرة ، فى أن الهاءُ
 من ذكرِ « الكلمة » ، وخالفه فى المعنى الذى من أجله دُكر قوله : ﴿ اَسْمُهُ ﴾ .
 و« الكلمة » متقدمةٌ قبله ، فزعم أنه إنما قيل : ﴿ اَسْمُهُ ﴾ . وقد قُدمت « الكلمة » ،
 ولم يقل : « اسمها » . لأن من شأنِ العربِ أن تفعلَ ذلك فيما كان من الثعوتِ
 والألقابِ والأسماءِ التى لم تُوضَع لتعريفِ المُسمَّى به ؛ كفلانٍ وفلانٍ ، وذلك مثلُ
 الذُّرِّيَّةِ والخليفةِ والدَّابَّةِ ، ولذلك جاز عنده أن يقال : ذريةٌ طيبةٌ ، وذُرِّيَّةٌ طيبًا . ولم

(١) ينظر ما تقدم فى ١/ ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، وفى ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ من هذا الجزء .

(٢) فى س : « اليدى » . وينظر مسند الطيالسى (١٦٠) ، وسنن أبى داود السجستانى (٤٧٧٠) . قال ابن

الأثير فى النهاية ١/ ٢٠٨ : ويُروى ذو اليُدَيَّةِ بالياء بدلِ التاء ، تصغيرِ اليد ، وهى مؤنثة .

يَجْزُ أَنْ يُقَالَ : طَلْحَةُ أَقْبَلَتْ ، وَمَغِيرَةُ قَامَتْ .

وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمْ اعْتِلَالَ مَنْ اعْتَلَّ فِي ذَلِكَ بِذِي الثُّدَيَّةِ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا أُدْخِلْتَ
الِهَاءَ فِي ذِي الثُّدَيَّةِ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِذَلِكَ الْقِطْعَةَ مِنَ الثُّدَيِّ ، كَمَا قِيلَ : كَثْنَا فِي لَحْمَةٍ
وَنَبِيذَةٍ . يُرَادُ بِهِ الْقِطْعَةُ مِنْهُ .

وَهَذَا الْقَوْلُ نَحْوُ قَوْلِنَا الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ . فَإِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَبْتَأُ عِبَادَهُ عَنْ
نِسْبَةِ عِيسَى ، وَأَنَّهُ ابْنُ أُمِّهِ مَرْيَمَ ، وَنَفَى بِذَلِكَ عَنْهُ مَا أَضَافَ إِلَيْهِ الْمُلْحِدُونَ فِي اللَّهِ جَلَّ
ثَنَاؤُهُ مِنَ النَّصَارَى ، مِنْ إِضَافَتِهِمْ بُنُوتهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَا قَرَفَتْ ^(١) أُمَّهُ بِهِ الْمُفْتَرِيَةُ
عَلَيْهَا مِنَ الْيَهُودِ .

كَمَا حَدَّثَنِي بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمِ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ . أَي : هَكَذَا كَانَ أَمْرُهُ ،
لَا مَا يَقُولُونَ فِيهِ ^(٢) .

وَأَمَّا « الْمَسِيحُ » ، فَإِنَّهُ فَعِيلٌ ، صُرِفَ مِنْ مَفْعُولٍ إِلَى فَعِيلٍ . وَإِنَّمَا هُوَ مَمْسُوحٌ ،
يَعْنَى : مَسَحَهُ اللَّهُ فَطَهَّرَهُ مِنَ الذُّنُوبِ . وَلِذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : الْمَسِيحُ الصِّدِّيقُ .
وَقَالَ آخَرُونَ : مُسِيحٌ بِالْبُرْكََةِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَفِيَانَ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ مِثْلَهُ ^(٣) .

(١) فِي م : « قَذَقْتُ » ، وَفِي س : « فَرَقْتُ » . وَقَرَفَتْ : اتَّهَمَتْ وَرَمَتْ . تَاجُ الْعُرُوسِ (ق ر ف) .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٥٨٠/١ .

(٣) تَفْسِيرُ سَفِيَانَ ص ٧٧ ، ٧٨ - وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٣٥٩/٤٧ - وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ
فِي تَفْسِيرِهِ ٦٥١/٢ (٣٥١٦) ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ ٣٥٩/٤٧ مِنْ طَرِيقِ وَكَيْعٍ بِهِ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا ابنُ المباركِ ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ مثله .

حدَّثنا ابنُ البرقيّ ، قال : ثنا عمرو بنُ أبي سلمةَ ، قال : قال سعيدٌ : إنما سُمِّيَ المسيحُ لأنه مُسِحٌ بالبركة^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ .

يعنى بقوله : ﴿ وَجِيهًا ﴾ : ذا وجهٍ ومنزلةٍ عاليةٍ عندَ اللهِ وشرفٍ وكرامةٍ . ومنه يقالُ للرجلِ الذي يَشْرُفُ وتُعْظُمُه الملوكُ والناسُ : وجيةٌ . يقالُ منه : ما كان فلانٌ وجيةً ، ولقد وَجَّهَ وَجَاهَةً ، وإن له لَوَجْهًا عندَ السلطانِ وجأهاً ووجاهةً . و « الجاهُ » مقلوبٌ ، قُلبتِ واؤه من أوَّلِهِ إلى موضعِ العينِ منه ، فقليلٌ : جاه . وإنما هو /وجهٌ ، « وفعلٌ » من الجاهِ : جاءَ يَجُوهُ ، مسموعٌ من العربِ : أخافُ أن يَجُوهَنِي بأكثرِ من هذا . بمعنَى : أن يَسْتَقْبِلَنِي في وجهي بأعظمِ منه .

٢٧١/٣

وأما نصبُ « الوجيهِ » فعلى القطعِ من « عيسى » ؛ لأن « عيسى » معرفةٌ ، و « وجيهه » نكرةٌ ، وهو من نعته ، ولو كان مخفوضاً على الرَّدِّ على « الكلمة » كان جائزاً .

وبما^(٢) قلنا من أن تأويلَ ذلك : وجيةً في الدنيا والآخرة عندَ اللهِ . قال - فيما بلغنا - محمدُ بنُ جعفرٍ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ وَجِيهًا ﴾ قال : وجيةً في الدنيا والآخرة عندَ اللهِ^(٣) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٥/٢ إلى المصنف .

(٢) في م : « كما » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٨٠/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥١/٢ ٣٥١٩ من طريق سلمة ، عن =

وأما قوله: ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ . فإنه يعنى أنه ممن يُقَرَّبُهُ اللهُ يومَ القيامةِ ، فيُسَكِّنُهُ فى جِوارِهِ ويُذَنِّبُهُ مِنْهُ .

كما حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ . يقولُ : مِنَ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قال : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ . يقولُ : مِنَ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثله .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ^(٤٦) .

أما قوله : [٤٠٩/١] ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ . فإنَّ معناه أن الله يُبَشِّرُكَ بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابنُ مريمَ ، وجيهاً عندَ الله ، ومُكَلِّمًا النَّاسَ فى المهدِ . فـ ﴿يُكَلِّمُ﴾ وإن كان مرفوعًا ؛ لأنه فى صورةِ «يَفْعَلُ» بالسلامةِ من العواملِ فيه ، فإنه فى موضعِ نصبٍ ، وهو نظيرُ قولِ الشاعرِ ^(٣) :

= ابن إسحاق قوله .

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٢/٢ عقب الأثر (٣٥٢٠) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٢/٢ ٣٥٢٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) البيت فى معانى القرآن للفراء ٢١٣/١ ، وأمالى ابن السجى ١٦٧/٢ ، ولسان العرب (ك ه ل ،

ع ش ي) ، وخزانة الأدب ١٤٠/٥ - ١٤٣ .

بِئْسَ أَعْشِيهَا بَعْضِبِ^(١) بِاتِرٍ يَقْصِدُ فِي أَسْوَقِهَا وَجَائِرٍ
وَأَمَّا « الْمَهْدُ » فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ مَضْجَعُ الصَّبِيِّ فِي رِضَاعِهِ .

كما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ،
قَالَ : قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ قَالَ : مَضْجَعُ الصَّبِيِّ فِي
رِضَاعِهِ^(٢) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَكَهَلًا ﴾ . فَإِنَّهُ : وَمُخْتَنِكًا فَوْقَ الْعُلُومَةِ وَدُونَ الشَّيْخُوخَةِ ،
يُقَالُ مِنْهُ : رَجُلٌ كَهَلٌ ، وَامْرَأَةٌ كَهْلَةٌ . كما قَالَ الرَّاجِزُ^(٣) :

أَوْ لَا أَعُوذُ بَعْدَهَا كَرِيًّا

٢٧٢/٣

أُمَارِسُ الْكَهْلَةَ وَالصَّبِيًّا

وَإِنَّمَا عَنَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا ﴾ : وَيُكَلِّمُ
النَّاسَ طِفْلًا فِي الْمَهْدِ - دَلَالَةً عَلَى بَرَاءَةِ أُمَّهُ مِمَّا قَرَفَهَا بِهِ^(٤) الْمُفْتَرُونَ عَلَيْهَا ، وَحُجَّةً لَهُ
عَلَى نُبُوَّتِهِ - وَبِالْعَمَّا كَبِيرًا بَعْدَ احْتِنَاكِهِ ، بِوَحْيِ اللَّهِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيْهِ ، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ،
وَمَا يُنْزَلُ^(٥) عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِهِ ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ ، وَأَنَّهُ
كَذَلِكَ كَانَ ، وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ كَهَوْلًا وَشَيْوْحًا ،
احْتِجَاجًا بِهِ عَلَى الْقَائِلِينَ فِيهِ - مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ مِنَ النَّصَارَى - الْبَاطِلَ ، وَأَنَّهُ

(١) الْعُضْبُ : السِّيفُ . تَاجُ الْعُرُوسِ (ع ض ب) .

(٢) عَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٢٥/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ .

(٣) هُوَ عِذَافِرُ الْكِنْدِيِّ ، وَالرَّجِزُ فِي أُمَالِي الْقَالِي ٢/٢١٥ ، وَسَمَطُ اللَّكَلِيِّ ٢/٨٣٦ ، وَاللِّسَانُ (ك ه ل) ، أَم م ،

ك ر ي) .

(٤ - ٤) فِي س : « رَمَى بِهَا » ، وَفِي م : « قَذَفَهَا بِهِ » .

(٥) فِي م : « تَقُولُ » ، وَفِي س : « يَعْوَلُ » .

كان في معاناة^(١) أشياء، مولودًا طفلًا ثم كهلاً، يتقلَّب في الأحداث، ويتغيَّر بمرور الأزمنة عليه والأيام، من صغيرٍ إلى كبير، ومن حالٍ إلى حالٍ، وأنه لو كان كما قال الملحدون فيه، كان ذلك غيرَ جائزٍ عليه، فكذبَ بذلك ما قاله الوفدُ من أهلِ نجرانَ، الذين حاجُّوا رسولَ اللهِ ﷺ فيه، واحتجَّ به عليهم لنبيِّه محمدٍ ﷺ، وأعلمهم أنه كان كسائرِ بني آدم، إلا ما خصَّه اللهُ به من الكرامةِ التي أبانته^(٢) بها منهم.

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال: ثنا سلمةُ، عن ابنِ إسحاقَ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾: يُخْبِرُهُمْ بحالاتِهِ التي يتقلَّبُ بها في عُمرِهِ، كتقلُّبِ بني آدمَ في أعمارِهِم صِغارًا وكِبَارًا، إلا أنَّ اللهُ خصَّه بالكلامِ في مهدهِ آيةً لنبوِّته، وتعريفًا للعبادِ مواقعَ قدرتهِ^(٣).

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ يقولُ: يُكَلِّمُهُم صغيرًا وكبيرًا^(٤).

حدَّثني المثنى، قال: ثنا إسحاقُ، قال: ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ قال: يُكَلِّمُهُم صغيرًا وكبيرًا^(٥).

(١) في ص، ت ٢، س: « معاناة ».

(٢) في س: « أنابه ».

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٨٠، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٥٣ (٣٥٢٧) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق قوله.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٥، إلى المصنف، وعبد بن حميد.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٥٢ عقب الأثر (٣٥٢٣) من طريق أبي جعفر به.

حدَّثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال: الكهل الحليم^(١).

حدَّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: كلّمهم صغيرًا وكبيرًا وكهلاً. وقال ابن جريج، وقال مجاهد: الكهل الحليم.

حدَّثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفى، عن عبّاد، عن الحسن في قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا﴾ قال: كلّمهم في المهدي صبيًا، وكلّمهم كبيرًا^(٢).

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿وَكَهَلًا﴾: أنه سيكلّمهم إذا ظهر.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعته، يعني ابن زيد، يقول في قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ / النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا﴾. قال: قد كلّمهم عيسى في المهدي، وسيكلّمهم إذا قتل الدجال، وهو يومئذ كهل^(٣).

٢٧٣/٣

ونصب ﴿وَكَهَلًا﴾ عطفًا على موضع: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾.

وأما قوله: ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. فإنه يعنى: من عدادهم وأوليائهم؛ لأن أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل.

(١) أخرجه الفريابي - كما في التعليق ٣٥/٤-، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٢/٢ (٣٥٢٥) من طريق ابن أبي نجيح به.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٢/٢ (٣٥٢٣) من طريق أبي بكر الحنفى.

(٣) عزاه السيوطى في الدر المنثور ٢٥/٢ إلى المصنف.

القول في تأويل قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (٤٧).

يعنى بذلك جل ثناؤه : قالت مريم - إذ قالت لها الملائكة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَةِ مِنِّهِ﴾ - : ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ من أى وجه يكون لى ولد؟ أم قبل زوج أتزوجُه وبعلي أنكحه؟ أو بتدئى فى خلقه من غير بعلي ولا فحل ، ومن غير أن يمسنى بشر؟ فقال الله لها : ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ . يعنى : هكذا يخلق الله منك ولدًا لك من غير أن يمسنك بشر ، فيجعل آية للناس وعبرة ، فإنه يخلق ما يشاء ، ويصنع ما يريد ، فيعطى الولد من يشاء من غير فحلٍ ومن فحلٍ ، ويحرم ذلك من يشاء من النساء وإن كانت ذات بعلي ؛ لأنه لا يتعدى عليه خلق شىء أراد خلقه ، إنما هو أن يأمر إذا أراد شيئًا ما أراد ، فيقول له : كُن . فيكون ما شاء مما يشاء وكيف شاء .

كما حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمد بنِ جعفر بنِ الزبير : ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ : يصنع ما أراد ، ويخلق ما يشاء ، من بشرٍ أو غير بشر^(١) ، ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ [١٠١/٤١٠] فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن^(٢) ﴿مَّا يَشَاءُ ، وَكَيْفَ يَشَاءُ ، فَيَكُونُ مَا أَرَادَ^(٣) .

القول في تأويل قوله: ﴿وَيَعْلَمُ الْكِنَبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٤٨).

اختلفت القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة قراءة الحجاز والمدينة وبعض قراءة الكوفيين : ﴿وَيَعْلَمُهُ﴾ بالياء^(٤) ، ردًا على قوله : ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ .

(١) بعده فى النسخ : «أى» . والمثبت من مصادر التخرىج .

(٢) بعده فى النسخ : « فيكون » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٨٠ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥٣ (٣٥٢٩ ، ٣٥٣٠) من طريق سلمة عن ابن إسحاق .

(٤) وهى قراءة نافع وعاصم . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٦ .

﴿ وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابَ ﴾ فَأَلْحَقُوا الْخَيْرَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَيَعْلَمُهُ ﴾ بتظهير الخير في قوله :
﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ . وقوله : ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين وبعض البصريين : (وَنُعَلِّمُهُ) بالنون^(١) ، عطفاً به
على قوله : ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ كأنه قال : ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، ونُعَلِّمُهُ
الكتاب . وقالوا : ما بعد ﴿ نُوحِيهِ ﴾ في صليته إلى قوله : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . ثم عطف
بقوله : (وَنُعَلِّمُهُ) عليه .

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مختلفتان غير مختلفتي
المعاني ، فبأيهما قرأ القارئ فهو / مصيب الصواب في ذلك ؛ لاتفاق معنيتي
القراءتين في أنه خبر عن الله بأنه يُعَلِّمُ عيسى الكتاب وما ذكر أنه يُعَلِّمُهُ .

وهذا ابتداء خبر من الله عز وجل لمريم ما هو فاعل بالولد الذي بشرها به
من الكرامة ورفعة المنزلة والفضيلة ، فقال : كذلك الله يَخْلُقُ منك ولداً من غير
فحل ولا بعل فيُعَلِّمُهُ الكتاب ، وهو الخط الذي يخطه بيده ، والحكمة ، وهي
السنة التي نوحىها إليه في غير كتاب ، والتوراة ، وهي التوراة التي أنزلت على
موسى ، كانت فيهم من عهد موسى ، والإنجيل ، والإنجيل عيسى ولم يكن قبله ،
ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحى إليه ، وإنما أخبرها بذلك ، فسماه
لها ؛ لأنها قد كانت علمت فيما نزل من الكتاب أن الله باعث نبياً يوحى إليه
كتاباً اسمه الإنجيل ، فأخبرها الله عز وجل أن ذلك النبي ﷺ الذي سمعت
بصفته الذي وعد أنبياءه من قبل أنه مُنَزَّلٌ عليه الكتاب الذي سُمِّيَ إنجيلاً ، هو الولد
الذي وهبه لها وبشرها به .

(١) وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي . المصدر السابق .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ ﴾ . قَالَ : بِيَدِهِ ^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ . قَالَ : الْحِكْمَةُ السَّنَةُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ . قَالَ : الْحِكْمَةُ السَّنَةُ ، ﴿ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ . قَالَ : كَانَ عَيْسَى يَقْرَأُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ . قَالَ : الْحِكْمَةُ السَّنَةُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : أخبرها - يعني أخبر الله مريم - ما يُريدُ به ، فقال : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ ﴾ التي كانت فيهم من عهد موسى ، ﴿ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ، كتاباً آخر أحدثه إليه لم يكن عندهم علمه إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء قبله ^(٤) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٥٠/٢ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٤/٢ عقب الأثر (٣٥٣٣) معلقاً .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٤/٢ (٣٥٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به مختصراً .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٨١/١ ، وفيه : بعده . مكان : قبله .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ .

/ يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَرَسُولًا ﴾ : ^(١) « وَجَعَلَهُ رَسُولًا » إلى بني إسرائيل .
فترك ذكر « وَجَعَلَهُ » ؛ لدلالة الكلام عليه ، كما قال الشاعر ^(٢) :

٢٧٥/٣

ورأيت زوجك في الوغى مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمحًا

وقوله : ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ . بمعنى : وَجَعَلَهُ رَسُولًا إلى بني إسرائيل بأنه ^(٣) « نَبِيٌّ وَبَشِيرٌ وَنَذِيرٌ » ، وَحَجَّتِي عَلَىٰ صَدَقِي فِي ^(٤) ذَلِكَ ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ . يعني : بعلامةٍ مِنْ رَبِّكُمْ تُحَقِّقُ قَوْلِي ، وَتُصَدِّقُ خَبْرِي أَنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ إِلَيْكُمْ .

كما حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ .
أى : يُحَقِّقُ بِهَا نَبَوَّتِي ، وَأَنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ . ^(٥)

القول في تأويل قوله : ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفِخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

يعني بذلك جل ثناؤه : وَرَسُولًا إلى بني إسرائيل أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ،
ثم يبين عن الآية ما هي ، فقال : ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ .

(١ - ١) سقط من : ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) تقدم في ١٤٠/١ .

(٣ - ٣) في م : « نبي وبشير ونذير » .

(٤) في النسخ : « على » . والصواب ما أثبت .

(٥) سيرة ابن هشام ١/٥٨١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٥٤ (٣٥٣٨ ، ٣٥٣٩) من طريق سلمة عن ابن إسحاق قوله .

فتأويل الكلام : ورسولاً إلى بني إسرائيل بأنى قد جئتكم بآية من ربكم بأن
أخلق لكم من الطين كهيئة الطير .

والطير جمع طائر .

واختلفت القراءة فى قراءة ذلك ؛ فقرأه بعض أهل الحجاز : (كهيئة الطائر
فأنفخ فيه فيكون طائراً) . على التوحيد^(١) .

وقراه آخرون : ﴿ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا ﴾ ، على الجماع
فيهما^(٢) .

وأعجب القراءاتِ إلى فى ذلك قراءة من قرأ : ﴿ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا ﴾ . على الجماعِ فيهما جميعاً ؛ لأن ذلك كان من صفة عيسى أنه يفعلُ
ذلك بإذنِ الله ، وأنه الموافقُ لخطِّ المصحفِ . وأتباعُ خطِّ المصحفِ مع صحة المعنى
واستيفاضة القراءة به ، أعجب إلى من خلافِ المصحفِ .

وكان خلقُ عيسى [١٠/٤١٠ ظ] ما كان يخلقُ من الطيرِ كما حدثنا ابنُ حميدٍ ،
قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنا ابنُ إسحاق ، أن عيسى صلواتُ الله عليه جلس يوماً مع
غلمانٍ من الكتَّابِ ، فأخذ طيناً ، ثم قال : أجعلُ لكم من هذا الطينِ طائراً ؟ قالوا :
وتستطيعُ ذلك ؟! قال : نعم بإذنِ ربي . ثم هيأه حتى إذا جعله فى هيئةِ الطائرِ نفخ
فيه ، ثم قال : كن طائراً بإذنِ الله . فخرج يطيرُ بينَ كفَّيه ، فخرج الغلمانُ بذلك من
أمره ، فذكروه لمعلمهم ، فأفشوه فى الناسِ ، وترعرعَ ، فهتت به بنو إسرائيل ، فلما
خافت أمُّه عليه ، حُميِّرَ على حُميِّرٍ لها ، ثم خرجت به هاربة^(٣) .

(١) وهى قراءة نافع . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٦ .

(٢) فى النسخ : « كليهما » . والصواب ما أثبت .

وبالجماع فيهما قرأ باقى السابعة غير نافع . المصدر السابق .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/٢ إلى المصنف .

وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الطَّيْرَ مِنَ الطِّينِ سَأَلَهُمْ : أَيُّ الطَّيْرِ أَشَدُّ خَلْقًا ؟ فَقِيلَ لَهُ : الْحُقَافُشُ .

/ كما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَوْلُهُ : ﴿ أَيُّ أَمْثَلٍ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ . قَالَ : أَيُّ الطَّيْرِ أَشَدُّ خَلْقًا ؟ قَالُوا : الْحُقَافُشُ ، إِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ . قَالَ : فَفَعَلَ ^(١) .

٢٧٦/٣

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ قِيلَ : ﴿ فَأَنْفُخُ فِيهِ ﴾ وَقَدْ قِيلَ : ﴿ أَيُّ أَمْثَلٍ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ ؟

قِيلَ : لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ : فَأَنْفُخُ فِي الطَّيْرِ . وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ : فَأَنْفُخُ فِيهَا . كَانَ صَحِيحًا جَائِزًا ، كَمَا قَالَ فِي الْمَائِدَةِ : ﴿ فَتَنْفُخُ فِيهَا ﴾ [المائدة : ١١٠] . يَرِيدُ : فَتَنْفُخُ فِي الْهَيْئَةِ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ ذَلِكَ فِي إِحْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ : (فَأَنْفُخُهَا) بغير «فِي» ^(٢) . وَقَدْ تَفَعَّلَ الْعَرَبُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَتَقُولُ : رُبَّ لَيْلَةٍ قَدْ بَثُّهَا ، وَبَثُّ فِيهَا . قَالَ الشَّاعِرُ ^(٣) :

مَا شَقَّ جَيْبٌ وَلَا قَامَتِكَ نَائِحَةٌ وَلَا بَكَتِكَ جِيَادٌ عِنْدَ أَشْلَابٍ
بِمَعْنَى : وَلَا قَامَتِ عَلَيْكَ . وَكَمَا قَالَ آخَرُ :

إِحْدَى بَنِي عَيْدِ اللَّهِ ^(٤) اسْتَمَرَّ بِهَا حُلُوُ الْعُصَاوِرَةِ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ
الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَأُزْبِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ﴾ .

يَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿ وَأُزْبِئُ ﴾ : وَأَشْفِي . يُقَالُ مِنْهُ : أُزْبِئَ اللَّهُ الْمَرِيضَ ^(٥) مِنْ مَرَضِهِ .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/٢ إلى المصنف .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١/٢١٤ . وقال أبو حيان في البحر المحيط ٢/٤٦٦ : هي قراءة شاذة نقلها الفراء .

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء ١/٢١٤ ، والأغانى ١٨/٢٨٧ .

(٤) بنو عيذ الله : حى من اليمن . تاج العروس (ع و ذ) .

(٥ - ٥) زيادة يستقيم بها السياق .

إذا شفاه منه ، فهو يُبْرِئُهُ إِبْرَاءً ، وبرأ المريض فهو يَبْرِئُ بَرِّئًا . وقد يقال أيضًا : بَرِيءٌ المريضُ فهو يَبْرِئُ ، لغتانٍ معروفتان .

واختلف أهل التأويل في معنى الأَكْمَه ؛ فقال بعضهم : هو الذى لا يُبْصِرُ بالليل ويُبْصِرُ بالنهار .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قوله : ﴿ وَأَبْرِيءٌ الْأَكْمَهَ ﴾ . قال : الأَكْمَه الذى يُبْصِرُ بالنهارِ ولا يُبْصِرُ بالليلِ ، فهو يَتَكَمَّهُ^(١) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ مثله .

وقال آخرون : هو الأعمى الذى ولدته أمه كذلك .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، قال : كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّ الأَكْمَه الذى وُلِدَ وهو أعمى ، مضمومٌ^(٢) العَيْنينِ^(٣) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقٌ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادة

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٥/٢ (٣٥٤٤) من طريق أبى عاصم به ، وأخرجه الفريابى - كما فى التعليق ٣٥/٤ - من طريق ابن أبى نجيح به .

(٢) كذا فى النسخ ، ولعلها : « مغموم » . وكل مغطى فإن العرب تسميه مغمومًا . ينظر ما تقدم فى ١/ ٦٩٨ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٥/٢ عقب أثر (٣٥٤٢) معلقًا بنحوه .

في قوله : ﴿ وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ ﴾ قال : كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّ الْأَكْمَةَ الَّذِي وُلِدَ وَهُوَ أَعْمَى ، مَضْمُومٌ الْعَيْنَيْنِ .

حَدَّثْتُ عَنْ الْمِنْجَابِ ، قَالَ : ثَنَا بَشْرُ بْنُ^(١) عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الْأَكْمَةُ الَّذِي يُوَلَدُ وَهُوَ أَعْمَى^(٢) .

/ وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ هُوَ الْأَعْمَى .

٢٧٧/٣

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ : ﴿ وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَةِ ﴾ : هُوَ الْأَعْمَى^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْأَعْمَى^(٤) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَةِ ﴾ قَالَ : الْأَكْمَةُ الْأَعْمَى^(٥) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَةِ ﴾ قَالَ : الْأَعْمَى^(٦) .

(١) في النسخ : « عن » ، وهو إسناد دائر ، وينظر ما تقدم في ١٢١/١ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ (٣٥٤٢) من طريق المنجاب به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ عقب الأثر (٣٥٤٢) من طريق عمرو به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ (٦٥٤٢ ، ٦٥٤٣) من طريقين ، عن ابن عباس .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١٢١/١ .

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ عقب الأثر (٣٥٤٢) معلقا .

وقال آخرون : هو الأعمش .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنِّي ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا حَفْصُ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأُزِيْتُ الْأَكْمَةَ ﴾ قَالَ : الْأَعْمَشُ ^(١) .

والمعروف عند العرب من معنى الكمة العمى ، يُقالُ منه : كَمِهَتْ عَيْنُهُ ، فَهِيَ تَكْمُهُ كَمَهَا ، وَكَمَّهْتُهَا ^(٢) أَنَا ، إِذَا أَعْمَيْتَهَا ، كَمَا قَالَ سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ ^(٣) :
 « كَمَّهْتُ عَيْنِيهِ ^(٤) حَتَّى ابْيَضَّتَا فَهُوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نَزَعُ
 وَمِنْهُ قَوْلُ رُوْبَةَ ^(٥) :

هَرَجْتُ ^(٦) فَازْتَدَّازْتَدَادَ الْأَكْمَةَ

فِي غَائِلَاتٍ ^(٧) الْحَائِرِ ^(٨) الْمُتَهْتِهِ ^(٩)

وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عَيْسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ احْتِجَاجًا مِنْهُ بِهَذِهِ الْعِبَرِ وَالْآيَاتِ عَلَيْهِمْ فِي نُبُوَّتِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكَمَةَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٥/٢ (٣٥٤٥) ، وابن الأنباري في الأضداد ص ٣٧٨ من طريق حفص بن عمر به .

(٢) في م : « أكميتها » .

(٣) الأضداد لابن الأنباري ص ٣٧٨ ، والمفضليات ص ٢٠٠ ، وشرح اختيار المفضل ٩١٠ / ٢ ، واللسان (ك م هـ) .

(٤ - ٤) في م ، ت ١ ، ت ٣ : « كيهت عيناه » .

(٥) ديوانه ص ١٦٦ .

(٦) هرجت : صبغت به .

(٧) في س ، ت ١ ، ت ٣ : « عاملات » . والغائلات : المهلكات الدواهي .

(٨) في الديوان : « الخائب » .

(٩) المتتهته : المتردد في الباطل .

والبَرَصَ لا علاجَ لهما فيَقْدَرُ على إبرائه ذو طِبِّ بعلاج^(١) ، فكان ذلك من أدلته على صدقِ قيله : إنه لله رسولٌ ؛ لأنه من المعجزاتِ ، مع سائرِ الآياتِ التي / أعطاه الله إياها دَلالةً على نبوّته .

٢٧٨/٣

فأمّا ما قال عكرمةُ ، من أن الكَمَّةَ العَمَشُ ، وما قاله مجاهدٌ من أنه سوءُ البصرِ بالليل ، فلا معنى لهما ؛ لأن الله لا يَحْتَجُّ على خلقه بحجةٍ تُكونُ لهم السبيلُ إلى معارضته فيها ، ولو كان مما احتجَّ به عيسى على بنى إسرائيلَ فى نبوّته أنه يُرى الأعمَشَ ، أو الذى يبصرُ بالنهارِ ولا يبصرُ بالليلِ ، لقدروا على معارضته بأن [٤١١/١] يَقُولُوا : وما فى هذا لك من الحُجَّةِ ، وفينا خَلْقٌ ممن يُعالِجُ ذلك وليسوا لله أنبياءَ ولا رسلاً ؟ ففى ذلك دَلالةٌ بيّنةٌ على صحّةِ ما قلنا من أن الأكمّة هو الأعمى الذى لا يُبصرُ شيئاً ، لا ليلاً ولا نهاراً ، وهو بما قال قتادةٌ من أنه الملوذُ كذلك أشبهُ ؛ لأن علاجَ مثلِ ذلك لا يدّعيه أحدٌ من البشرِ إلا من أعطاه الله مثلَ الذى أعطى عيسى ، وكذلك علاجُ الأبرصِ .

القولُ فى تأويلِ قوله جلّ ثناؤه : ﴿ وَأُخِي الْمَوْئِدِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ .

وكان إحياءُ عيسى الموتى بدعاءِ الله ، يدّعو لهم ، فيستجيبُ له .

كما حدّثنى محمدُ بنُ سهلٍ بنِ عسْكَرٍ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ ، قال : ثنا عبدُ الصمدِ بنُ مَعْقِلٍ أنه سَمِعَ وَهْبَ بنَ مُسَيَّبٍ يقولُ : لما صار عيسى ابنُ اثنتى عشرةَ سنةً ، أوْحَى اللهُ إلى أمّه وهى بأرضِ مصرَ ، وكانت هزبت من قومها حينَ ولّدتَه إلى أرضِ مصرَ : أن اطلّعى به إلى الشامِ . ففعلت الذى أمرت به ، فلم

(١) فى س : « يعالج » .

تَزَلُّ بِالشَّامِ حَتَّى كَانَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ نَبُوَّتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ . قَالَ : وَزَعَمَ وَهَبٌ أَنَّهُ رُبَّمَا اجْتَمَعَ عَلَى عَيْسَى مِنَ الْمَرْضَى فِي الْجَمَاعَةِ الْوَاحِدَةِ خَمْسُونَ أَلْفًا ، مَنْ أَطَاقَ مِنْهُمْ أَنْ يَتَلَعَّهَ بَلْعَهُ ، وَمَنْ لَمْ يُطِيقْ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَاهُ عَيْسَى يَمْشِي إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يُدَاوِيهِمْ بِالِدَعَاءِ إِلَى اللَّهِ ^(١) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : وَأَخْبِرُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ مِمَّا لَمْ أَعَايِنُهُ وَأَشَاهِدُهُ مَعَكُمْ ^(٢) فِي وَقْتِ أَكْلِكُمْوه ، ﴿ وَمَا تَدْخُرُونَ ﴾ . يَعْنِي بِذَلِكَ : وَمَا تَزْفَعُونَهُ فَتُحْجَبُونَهُ وَلَا تَأْكُلُونَهُ . يُعْلِمُهُمْ أَنَّ مِنْ حُجَّتِهِ أَيْضًا عَلَى نَبُوَّتِهِ - مَعَ الْمَعْجَزَاتِ الَّتِي أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ يَأْتِي بِهَا حُجَّةً عَلَى نُبُوَّتِهِ وَصَدِيقَهُ فِي خَبْرِهِ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ ؛ مِنْ خَلْقِ الطَّيْرِ مِنَ الطَّيْنِ ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ، الَّتِي لَا يُطِيقُهَا أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ ؛ عَلَمًا لَهُ عَلَى صَدِيقِهِ ، وَآيَةً لَهُ عَلَى حَقِيقَةِ قَوْلِهِ ، مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ - إِنْبَاءَهُ عَنِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ الَّذِينَ سَبَّلُهُمْ سَبِيلَهُ ، عَلَيْهِ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَمَا كَانَ فِي قَوْلِهِ لَهُمْ : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ مِنْ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى صَدِيقِهِ ، وَقَدْ رَأَيْنَا الْمُنْتَجِمَةَ وَالْمُتَكَهَّنَةَ تَخْبِرُ بِذَلِكَ كَثِيرًا فَتَصِيبُ ؟

قِيلَ : إِنَّ الْمُنْتَجِمَةَ وَالْمُتَكَهَّنَةَ مَعْلُومٌ مِنْهُمَا عِنْدَ مَنْ يُخْبِرَانَهُ ^(٣) بِذَلِكَ أَنَّهُمَا يُتَّبِعَانِ بِهِ عَنِ اسْتِخْرَاجِ لَهُ بَعْضِ الْأَسْبَابِ الْمُؤَدِيَةِ إِلَى عِلْمِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ مِنْ عَيْسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَمِنْ سَائِرِ أَنْبِيَائِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ عَيْسَى يُخْبِرُ بِهِ عَنِ

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٥٩٨/١ .

(٢) في س : « منكم » .

(٣) في النسخ : « يخبره » . والسياق يقتضى ما أثبت .

غير استخراج ولا طلب لمعرفة باحتيال ، ولكن ابتداءً بإعلام الله إياه ، من غير أصلٍ تقدم ذلك احتداه ، أو بنى عليه أو فرغ إليه ، كما يفزع المنتجم إلى حسابه ، والمتكهن إلى رئيته ، فذلك هو الفصل بين علم الأنبياء بالغيوب وإخبارهم عنها ، وبين علم سائر المتكذبة على الله ، أو المدعية علم^(١) ذلك .

٢٧٩/٣ / كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما بلغ عيسى تسع سنين أو عشرًا أو نحو ذلك ، أدخلته أمه الكتاب ، فيما يزعمون ، فكان عند رجلٍ من المكثيين يُعلمه كما يُعلم الغلمان ، فلا يذهبُ يُعلمه شيئًا مما يُعلمه الغلمان إلا بَدَره إلى علمه قبل أن يُعلمه إياه ، فيقولُ : ألا تعجبون لابن هذه الأرملة ، ما أذهبُ أُعلمه شيئًا إلا وجدته أعلم به مني^(٢) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدِّي : لما كبر عيسى أسلمته أمه يتعلم التوراة ، فكان يلعب مع الغلمان ، غلمان القرية التي كان فيها ، فيحدثُ الغلمان بما يصنع آباؤهم^(٣) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هُشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن سعيد بن جبيرة في قوله : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال : كان عيسى ابنُ مريم إذ كان في الكتاب يُخبرهم بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هُشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، قال : سمعتُ سعيد بن جبيرة يقولُ : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « على » .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٣٣ .

تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴿١﴾ قال : إِنَّ عيسى ابنَ مريمَ كان يقول للغلام في الكتاب : يا فلانُ ، إِنَّ أَهْلَكَ قد خَبِئُوا لك كذا وكذا مِن الطعام ، فَتَطْعُمُنِي منه ؟ ^(١)

فهكذا ففعلُ الأنبياءِ وحججُها ، إنما تأتي بما أتت به مِن الحججِ بما قد يُوصَلُ إليه ببعضِ الحيلِ ، على غيرِ الوجهِ الذي يأتي به غيرها ، بل مِن الوجهِ الذي يَعْلَمُ الخَلْقُ أنه لا يُوصَلُ إليه مِن ذلك الوجهِ بحيلةٍ إلا مِن قِبَلِ اللَّهِ .

وبنحو ما قلنا في تأويلِ قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال : بما أَكَلْتُمُ البارحةَ ، وما خَبِئْتُمُ منه . عيسى ابنُ مريمَ يَقُولُهُ ^(٢) .

حدَّثني المُشَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شَيْبَلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثله .

حدَّثنا [٤١١/١] القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ ، يعني قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ .

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٤٩٩ - تفسير) عن هشيم به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٦/٢ (٣٥٥٠) من طريق إسماعيل به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٣ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٦/٢ (٣٥٤٦ ، ٣٥٤٩) .

تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴿١﴾ قال : الطعام والشيء يُدْخِرُونَهُ فِي بُيُوتِهِمْ ، غَيْبًا عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُتَنِي ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قَالَ : ﴿ مَا تَأْكُلُونَ ﴾ : مَا أَكَلْتُمُ الْبَارِحَةَ مِنْ طَعَامٍ وَمَا خَبَأْتُمْ مِنْهُ .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ ، قَالَ : كَانَ - يَعْنِي عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ - يُحَدِّثُ الْغِلْمَانَ وَهُوَ مَعَهُمْ فِي الْكُتَّابِ بِمَا يَصْنَعُ آبَاؤُهُمْ ، وَبِمَا يَفْعَلُونَ لَهُمْ ، وَبِمَا يَأْكُلُونَ ، / وَيَقُولُ لِلْغِلَامِ : انْطَلِقْ فَقَدْ رَفَعَ لَكَ أَهْلُكَ كَذَا وَكَذَا ، وَهَمُّ يَأْكُلُونَ كَذَا وَكَذَا . فَيَنْطَلِقُ الصَّبِيُّ ، فَيَنْكِحِي عَلَى أَهْلِهِ حَتَّى يُعْطَوْهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : مَنْ أَحْبَبَكَ بِهَذَا ؟ فَيَقُولُ : عَيْسَى . فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ فَحَبَسُوا صَبِيَّانَهُمْ عَنْهُ ، وَقَالُوا : لَا تَلْعَبُوا مَعَ هَذَا السَّاحِرِ . فَجَمَعُوهُمْ فِي بَيْتٍ ، فَجَاءَ عَيْسَى يَطْلُبُهُمْ ، فَقَالُوا : لَيْسَ هُمْ هَهُنَا . فَقَالَ : مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ ؟ فَقَالُوا : خَنَازِيرُ . قَالَ عَيْسَى : كَذَلِكَ يَكُونُونَ ، فَفَتَحُوا عَنْهُمْ فَإِذَا هُمْ خَنَازِيرُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ ^(٢) [المائدة : ٧٨] .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عُبَادٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ . قَالَ : مَا تُخْبِئُونَ ، مَخَافَةَ الَّذِي يُمَسِّكُ ^(٣) أَنْ يُخْلِفَهُ ^(٣) .

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٣٣ .

(٢) ذكره الثعلبي في قصص الأنبياء ص ٣٤٩ ، والبغوي في تفسيره ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) (٣ - ٣) في م : « أن لا يخلفه شيء » .

وقال آخرون : إنما عنى بقوله : ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ : ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم ، وما تدخرون منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ : فكان القوم لما سألو المائدة ، فكانت خواناً^(١) يُنزل عليه أينما كانوا ثمراً من ثمار الجنة ، فأمر القوم ألا يخونوا فيه ولا يُخبئوا ولا يدخروا الغد . بلاء ابتلاهم الله به ، فكانوا إذا فعلوا من ذلك شيئاً أنبأهم به عيسى ابن مريم ، فقال : ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ ﴾ قال : أنبئكم بما تأكلون من المائدة وما تدخرون منها . قال : وكان أخذ عليهم فى المائدة حين نزلت ، أن يأكلوا ولا يدخروا . فادخروا وخانوا ، فجعلوا خنازير حين ادخروا وخانوا ، فذلك قوله : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٥] .

قال ابن يحيى : قال عبد الرزاق : قال معمر ، عن قتادة ، عن خلاص بن عمرو ، عن عمار بن ياسر^(٢) .

وأصل ﴿ تَدَّخِرُونَ ﴾ من الفعل « تَفْتَعِلُونَ » ، من قول القائل : ذخرت

(١) فى م : « جرابا » .

(٢) بعده فى م : « ذلك » .

والأثر فى تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢١ ، ١٢٢ ، وأخرجه ابن حاتم فى تفسيره ٦٥٦/٢ (٣٥٤٧) ، ٣٥٤٨ عن الحسن به ، وأخرجه الترمذى (٣٠٦١) من طريق قتادة عن خلاص بن عمرو ، عن عمار بن ياسر عن النبى ﷺ بنحوه .

الشيء . بالذال ، فأنا أَدَخَرُهُ ، ثم قيل : يَدَخِرُ . كما قيل : يَدَكِرُ . من . ذَكَرْتُ الشيء . يُرَادُ بِهِ يَدْتَخِرُ ، فلما اجتمعت الذال والتاء وهما مُتَقَارِبَتَا المخرج ، ثَقُلَ إظهارُهُما على اللسان ، فأدغمت إحداهما في الأخرى ، وصيِّرَتَا دالاً مشددةً ، صيِّروها عدلاً بين الذال والتاء ، ومن العرب من يُعَلِّبُ الذال على التاء ، فيُدغمُ التاء في الذال ، فيَقُولُ : وما تَدَخِرُونَ ، وهو مُدَخَّرٌ لك ، وهو مُدَكَّرٌ . واللغة التي بها القراءة الأولى ، وذلك إدغامُ الذال في التاء ، وإبدالُهُما دالاً مشددةً ، لا يَجُوزُ القراءةُ بغيرها ؛ لتظاهرِ النقلِ من القراءة بها ، وهي اللغة الجودى ، كما قال زهير^(١) :

٢٨١/٣ / 'إن الكريم' الذي يُعْطِيكَ نائلَهُ عَفْوًا وَيُظْلِمُ أحياناً فَيَظْلِمُ

يُروى بالظاء ، يريدُ : فيفتعل . من الظلم ، ويُروى بالطاء أيضاً .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن في خلقى من الطين الطيرِ بإذن الله ، وفي إبرائى الأكمة والأبرص ، وإحيائى الموتى ، وإنبائى إيتاكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، ابتداءً من غير حساب وتنجيم ، ولا كهانة وعرافة - لعلبة لكم ومتفكراً تتفكرون فى ذلك ، فتعتبرون به أنى محق فى قولى لكم : إنى رسول من ربكم إليكم . وتعلمون به أنى فيما أدعوكم إليه من أمر الله ونهيه صادق . ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . يعنى : إن كنتم مُصدِّقين حُجَجَ الله وآياته ، مُقرِّين بتوحيده ، ونبيّه موسى والتوراة التي جاءكم بها .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ

(١) شرح ديوانه ص ١٥٢ .

(٢ - ٢) فى الديوان : « هو الجواد » .

بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴿٥٠﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وبأنى قد جئتكم بأية من ربكم ، وجئتكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة . ولذلك نصب ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ على الحال من ﴿ جِئْتُمْ ﴾ .
والذى يدل على أنه نُصِبَ على قوله : ﴿ وَجِئْتُمْ ﴾ دون العطف على قوله :
﴿ وَجِئَهَا ﴾ قوله : ﴿ لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ ولو كان عطفاً على قوله :
﴿ وَجِئَهَا ﴾ ، لكان الكلام : ومصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وليحل لكم بعض الذى حُرِّمَ عليكم .

وإنما قيل : ﴿ وَمُصَدِّقًا لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ . لأن عيسى صلوات الله عليه كان مؤمناً بالتوراة مقراً بها ، وأنها من عند الله ، وكذلك الأنبياء ، كلهم يُصَدِّقُونَ بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسوله ، [١٢/١] وإن اختلف بعض شرائع أحكامهم ؛ لمخالفة الله بينهم فى ذلك ، مع أن عيسى كان - فيما بلغنا - عاملاً بالتوراة لم يخالف شيئاً من أحكامها ، إلا ما خفف الله عن أهلها فى الإنجيل مما كان مشدداً عليهم فيها .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : إن عيسى كان على شريعة موسى ، صلى الله عليهما وسلم ، وكان يَسْبِطُ وَيَسْتَقْبِلُ بَيْتَ المقدسِ ، فقال لبنى إسرائيل : إنى لم أدعكم إلى خلاف حرف مما فى التوراة ، إلا لأجل لكم بعض الذى حُرِّمَ عليكم ، وأضع عنكم من الآصار ^(١) .

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَمُصَدِّقًا لَمَّا بَيَّنَّ

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/٢ إلى المصنف .

يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ وَلَا أُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴿٥٠﴾ : كان الذى جاء به عيسى أَلَيْنَ مما جاء به موسى ، وكان قد حُرِّمَ عليهم فيما جاء به موسى لحوم الإبل والثروب^(١) ، وأشياء من الطير والحيتان^(٢) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قوله : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ وَلَا أُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال : كان الذى جاء به عيسى أَلَيْنَ مما جاء به موسى . قال : وكان حُرِّمَ عليهم فيما جاء به موسى مِنَ التوراةِ لحومُ الإبلِ والثروبُ ، فأحلَّها لهم على لسانِ عيسى - وحُرِّمَت عليهم الشحومُ ، وأُحِلَّت لهم فيما جاء به عيسى - وفى أشياء من السمكِ ، وفى أشياء من الطيرِ ، مما لا صِصِيَّةَ^(٣) له ، وفى أشياء حَرَّمَها عليهم ، وشدَّدها عليهم ، فجاءهم عيسى بالتَّخفيفِ منه فى الإنجيلِ ، فكان الذى جاء به عيسى أَلَيْنَ من الذى جاء به موسى صلواتُ الله عليه^(٤) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ قوله : ﴿ وَلَا أُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال : لحومُ الإبلِ والشحومُ ، لما بُعثَ عيسى أحلَّها لهم ، وُبُعثَ إلى اليهودِ فاختَلَفوا وتفرَّقوا^(٥) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ ﴾ . أى : لما سبقتنى منها ،

(١) الثروب : جمع الثروب ، وهو شحم رقيق يُعْثَى الكرش والأمعاء ، وقيل : هو الشحم المنسوط على الأمعاء والمصارين . تاج العروس (ث ر ب) .

(٢) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢ / ٤٣٥ .

(٣) فى ت ٢ ، س : « صيصة » . والصبصية : شوكة الديك التى فى رجليه . تاج العروس (ص ي ص) .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢ / ٦٥٧ ، ٦٥٨ (٣٥٥٧) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به .

(٥) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢ / ٤٣٥ .

﴿وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ . أى: أُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ كَانَ حَرَامًا عَلَيْكُمْ فَتَرَكْتُمُوهُ ، ثُمَّ أَحْلَاهُ لَكُمْ تَخْفِيفًا عَنْكُمْ ، فَتُصِيبُونَ يُسْرَهُ ، وَتَخْرُجُونَ مِنْ تِبَاعَتِهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عُبَادٍ ، عَنِ الْحَسَنِ : ﴿وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قَالَ : كَانَ حُرْمٌ عَلَيْهِمْ أَشْيَاءٌ ، فَجَاءَهُمْ عِيسَى لِيُحِلَّ لَهُمُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْهِمْ ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ شُكْرَهُمْ ^(٢) .

القولُ في تأويلِ قوله: ﴿وَجِئْتُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .

يعنى بذلك : وَجِئْتُمْ بِحُجَّةٍ وَعِزَّةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، تَعْلَمُونَ بِهَا حَقِيقَةَ مَا أَقُولُ لَكُمْ .

كما حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿وَجِئْتُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قَالَ : مَا بَيَّنَّ لَهُمْ عِيسَى مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا ، وَمَا أَعْطَاهُ رَبُّهُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿وَجِئْتُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ : مَا بَيَّنَّ لَهُمْ عِيسَى مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا . وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ : مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ .

القولُ في تأويلِ قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾

(١) التبعة والتباعة . ما فيه إثم يُبْع به . يقال : ما عليه من الله في هذا تبعة ولا تباعة . ينظر تاج العروس (ت ب ع) .

والأثر في سيرة ابن هشام ٥٨١/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٧/٢ ٦٥٧/٢ (٣٥٥٥) من طريق سلمة عن ابن إسحاق قوله .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٧/٢ ٦٥٧/٢ (٣٥٥٦) من طريق أبي بكر الحنفى به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٣ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٨/٢ ٦٥٨/٢ (٣٥٥٨) .

فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ .

يعنى بذلك : وجئْتُكم بآيةٍ من ربِّكم تَعَلَّمون بها يقينًا صدقِي فيما أقولُ ، فاتَّقُوا اللهَ يا معشرَ بنى إسرائيلَ فيما أمَرَكم به ونهاكم عنه فى كتابه الذى أنزله على موسى ، فأوفُوا بعهدِهِ الذى عاهدْتُموه فيه ، وأطِيعُونِي / فيما دَعَوْتُكم إليه من تَصَدِيقِي فيما أُرْسَلْتِي به إليكم ربي وربُّكم ، فاعْبُدوه ، فإنه بذلك أُرْسَلْتِي إليكم ، وبإِخْلَالِ بعضِ ما كان مُجَرِّمًا عليكم فى كتابكم ، وذلك هو الطريقُ القويمُ ، والهُدَى المتينُ الذى لا اعوجاجَ فيه .

٢٨٣/٣

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴿٥١﴾ : تَبَرُّيًا مِنَ الذى يَقولون فيه - يعنى : ما يَقولُ فيه النصارى - واخْتِجَاجًا لربِّهِ عليهم . ﴿ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ أى : هذا الذى قد حَمَلْتُم عليه وجئْتُكم به ^(١) . واخْتَلَفَ القَرَأَةُ فى قِراءَةِ قولِهِ : ﴿ إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ ؛ فقَرَأْتَهُ عامَّةُ قِراءَةِ الأَمصارِ : ﴿ إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ بكسْرِ أَلِفٍ ﴿ إِنَّ ﴾ . على ابتداءِ الخَبَرِ .

وقرأه بعضهم : (أَنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) . بفتحِ أَلِفٍ (أَنَّ) ^(٢) ، بتأويلِ : وجئْتُكم بآيةٍ من ربِّكم أن اللهَ ربي وربُّكم . على رَدِّ « أن » على « الآية » ، والإبدالِ منها .

(١) سيرة ابن هشام ٥٨١/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٥٨/٢ (٣٥٦٠ ، ٣٥٦٢) ، من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) قال ابن خالويه فى مختصر الشواذ ص ٢٧ : بالفتح ، الأخفش عن بعض القراء . وينظر المحرر الوجيز لابن عطية ٤٣٦/٢ ، والبحر المحييط ٤٦٩/٢ .

والصوابُ من القراءةِ عندنا ما عليه قرأةُ الأمصارِ ، وذلك كسرُ أَلِفٍ ﴿إِنَّ﴾ .
على الابتداءِ ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ من القراءةِ على صحةِ ذلك ، وما اجتمعت عليه
فحُجَّةٌ ، وما انفرد به المنفردُ عنها فرأى ، ولا يُعْتَرَضُ بالرأيِ على الحُجَّةِ .

وهذه الآيةُ ، وإن كان ظاهرُها خبيراً ، ففيه الحجةُ البالغةُ من الله لرسوله
محمدٍ ﷺ ، على الوفدِ الذين حاجَّوه من أهلِ نَجْرَانَ ، بإخبارِ الله عزَّ وجلَّ عن أن
عيسى كان بريئاً مما نسبته إليه من نسبه إلى غيرِ الذي وصف به نفسه ، من أنه لله عبدٌ
كسائرِ عبديه من أهلِ الأرضِ ، إلا ما كان الله جلَّ ثناؤه [٤١٢/١ ظ] خصَّه به من النبوةِ
والحُججِ التي آتاه دليلاً على صدقه - كما أتى ^(١) سائرَ المرسلينِ غيره من الأعلامِ
والأدلةِ على صدقهم - ^(٢) وحُجَّةٌ على نبوته ^(٣) .

القولُ في تأويلِ قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴾ (٥٢) .

يعنى بقوله جلَّ ثناؤه : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ ﴾ : فلما وجد
عيسى منهم الكفرَ .

و « الإحساسُ » هو الوجودُ ، ومنه قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ هَلْ تَحْسِبُ مِنْهُمْ مَنْ
أَحَدٍ ﴾ [مریم : ٩٨] .

فأما « الحسُّ » بغيرِ أَلِفٍ ، فهو : الإفناءُ والقتلُ ، ومنه قوله : ﴿ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ
بِأَذْنِهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] . و « الحسُّ » أيضاً : العطفُ والرِّقَّةُ . ومنه قولُ

(١) في ص ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « أن » .

(٢ - ٢) في م : « الحجة على نبوتهم » .

الْكُمَيْتِ^(١) :

هل من بكى الدارَ راجٍ أن تحسَّ له أو يُبكي الدارَ ماء العبرة الخِضَلُ^(٢)
يعنى بقوله : أن تحسَّ له : أن ترقَّ له .

فتأويل الكلام : فلما وجد عيسى من بنى إسرائيل الذين أرسله الله إليهم ،
جحدوا لنبوته ، وتكذبتا / لقوله ، وصدا عما دعاهم إليه من أمر الله ، قال : ﴿ مَنْ
أَنْصَارِيَّ إِلَى اللَّهِ ﴾ يعنى بذلك : قال عيسى : من أغوانى على المكذبين بحجة الله ،
والمؤلِّين عن دينه ، والجاحدين نبوة نبيِّه ، إلى الله عزَّ وجلَّ ؟
ويعنى بقوله : ﴿ إِلَى اللَّهِ ﴾ : مع الله .

وإنما حُسن أن يُقال : ﴿ إِلَى اللَّهِ ﴾ . بمعنى : مع الله ؛ لأن من شأن العرب إذا
ضُموا الشيء إلى غيره ، ثم أرادوا الخبرَ عنهما بضمٍّ أحدهما مع الآخر إذا ضُمَّ إليه ،
جعلوا مكان « مع » « إلى » أحيانا ، وأحيانا تُخبرُ عنهما بـ « مع » ، فتقول : الذُّودُ^(٣)
إلى الذودِ إبلٌ . بمعنى : إذا ضُمَّتِ الذُّودُ إلى الذودِ صارت إبلا . فأما إذا كان
الشيء مع الشيء لم يَقُولوه بـ « إلى » ، ولم يَجْعَلُوا مكان « مع » « إلى » ، غيرُ جائزٍ أن
يُقال : قديم فلانٍ وإليه مالٌ . بمعنى : ومعه مالٌ .

وبمثل ما قلنا فى تأويلِ قوله : ﴿ مَنْ أَنْصَارِيَّ إِلَى اللَّهِ ﴾ قال جماعةٌ

(١) شعر الكميت بن زيد الأسدي ١٢/٢ .

(٢) الخِضَلُ : كل شيء ندي يترشش من ندهاء فهو خِضَلٌ ، وقد خِضَلَ الثوبُ دمعُه : بَلَّه . اللسان (خ ض ل) .

(٣) الذُّودُ : ثلاثة أبعرة إلى التسعة . وقيل : إلى العشرة . وقيل : من ثلاث إلى خمس عشرة . وقيل : من ثلاث إلى العشرين وفوق ذلك . وقيل : ما بين الثلاث إلى الثلاثين أو ما بين الثلاثين إلى التسع . تاج

من أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدْيِ قَوْلَهُ : ﴿ مَنْ أَنْصَرَ إِلَى اللَّهِ ﴾ يَقُولُ : مع الله ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ : ﴿ مَنْ أَنْصَرَ إِلَى اللَّهِ ﴾ يَقُولُ : مع الله ^(١) .

وأما سبب استنصار عيسى عليه السلام من استنصر من الحواريين ، فإن بين أهل العلم فيه اختلافاً ؛ فقال بعضهم : كان سبب ذلك ما حدثني به موسى ابن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشَّدْيِ : لما بعث الله عيسى ، فأمره بالدعوة ، نفته بنو إسرائيل وأخرجوه ، فخرج هو وأمه يسيحون في الأرض ، فنزل في قرية على رجل ، فضافهم وأحسن إليهم ، وكان لتلك المدينة ملك جبار معتد ، فجاء ذلك الرجل يوماً وقد وقع عليه همٌّ وحزنٌ ، فدخل منزله ومريمٌ عند امرأته ، فقالت مريمٌ لها : ما شأن زوجك ؟ أراه حزينا ! قالت : لا تسألني . قالت : أخبريني لعل الله يُفرِّج كُرْبَتَهُ . قالت : فإن لنا ملكاً يجعلُ على كلِّ رجلٍ منا يوماً يُطعمه هو وجنوده ، ويشقيهم من الخمر ، فإن لم يفعلْ عاقبته ، وإنه قد بلغتْ نوبته اليوم الذي يُريدُ أن يصنعَ له فيه ، وليس لذلك عندنا سعة . قالت : فقولي له : لا يهتَمُّ ، فإنني أمرتُ ابني فيدعو له فيكفِي ذلك . قالت مريمٌ لعيسى في ذلك ، قال عيسى : يا أمّة ، إنى إن فعلتُ كان في ذلك شرٌّ . قالت : فلا تُبال ، فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا . قال عيسى : فقولي له : إذا اقترب ذلك ،

فَامَلًا قُدُورَكَ وَخَوَابِيكَ^(١) مَاءً، ثُمَّ أَعْلِمْنِي^(٢). فَلَمَّا مَلَأَهُنَّ أَعْلَمَهُ، فَدَعَا اللَّهَ، فَتَحَوَّلَ مَا فِي الْقُدُورِ لَحْمًا وَمَرَقًا وَخَبْزًا، وَمَا فِي الْخَوَابِي^(٣) حَمْرًا، لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَآتَاهُ طَعَامًا^(٤)، فَلَمَّا جَاءَ الْمَلِكُ أَكَلَ، فَلَمَّا شَرِبَ الْخَمْرَ سَأَلَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا الْخَمْرُ؟ قَالَ لَهُ: هِيَ مِنْ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا. قَالَ الْمَلِكُ: فَإِنْ خَمَرِي أُوتِيَتْ بِهَا مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ، فَلَيْسَ هِيَ مِثْلَ هَذِهِ. قَالَ: هِيَ مِنْ أَرْضٍ أُخْرَى. فَلَمَّا خَلَطَ عَلَى الْمَلِكِ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَنَا أُخْبِرُكَ، عِنْدِي غَلَامٌ لَا يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَإِنَّهُ دَعَا اللَّهَ، فَجَعَلَ الْمَاءَ حَمْرًا. قَالَ الْمَلِكُ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَخْلِفَهُ، فَمَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ، وَكَانَ أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنْ رَجَلًا دَعَا اللَّهَ حَتَّى / جَعَلَ الْمَاءَ حَمْرًا، لَيْسَتْ جَابِئًا لَهُ حَتَّى يُحْيِيَ ابْنِي. فَدَعَا عَيْسَى فَكَلَّمَهُ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ فَيُحْيِيَ ابْنَهُ، فَقَالَ عَيْسَى: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّهُ إِنْ عَاشَ كَانَ شَرًّا. فَقَالَ الْمَلِكُ: لَا أَبَالِي أَلَيْسَ أَرَاهُ؟ فَلَا أَبَالِي مَا كَانَ. فَقَالَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَإِنْ أَحْيَيْتَهُ تَتْرُكُونِي أَنَا وَأُمِّي نَذْهَبُ أَيَّمَا شِئْنَا؟ قَالَ الْمَلِكُ: نَعَمْ. فَدَعَا اللَّهَ، فَعَاشَ الْغَلَامُ. فَلَمَّا رَأَاهُ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ قَدِ عَاشَ، تَنَادَوْا بِالسَّلَاحِ. وَقَالُوا: أَكَلْنَا هَذَا، حَتَّى إِذَا دَنَا مَوْتُهُ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ ابْنَهُ، فَيَأْكُلْنَا كَمَا أَكَلْنَا أَبُوهُ! فَاقْتَتَلُوا. وَذَهَبَ عَيْسَى وَأُمَّهُ، وَصَحْبُهُمَا يَهُودِيٌّ، وَكَانَ مَعَ الْيَهُودِيِّ رَغِيْفَانِ، وَمَعَ عَيْسَى رَغِيْفٌ، فَقَالَ لَهُ عَيْسَى: شَارِكْنِي. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَعَمْ. فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ

٢٨٥/٣

(١) الْخَوَابِي، جَمْعُ خَايَةٍ، وَهِيَ الْحِوَّةُ الْكَبِيرَةُ، تَرَكَوْا هَمَزَتَهَا كَمَا تَرَكَوْا هَمَزَةَ الْبَرِّيَّةِ، وَالذَّرِّيَّةِ تَخْفِيفًا لِكَثْرَةِ الْاسْتِعْمَالِ. تَاجُ الْعُرُوسِ (خ ب أ).

(٢) بَعْدَهُ فِي ص، م، ت، ١، س: «قَالَ».

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ: ت، ١، س.

ليس مع عيسى إلا رغيّف نديم . فلمّا ناما جعل اليهوديُّ يريدُ أن يأْكُلَ الرغيّفَ ، فلما أكلَ لُقْمَةً قال له عيسى : ما تَصْنَعُ ؟ فيقولُ : لا شيءَ . فيطْرُحُها ، حتى فرغَ مِنَ الرغيّفِ كُلِّهِ . فلما أَصْبَحَا قال له عيسى : هَلُمَّ طَعَامَكَ . فجاءَ برغيّفٍ ، فقال له عيسى : أين الرغيّفُ الآخرُ ؟ قال : ما كان معي إلا واحدٌ . فسكّت عنه عيسى . فانْطَلَقُوا ، فمَرُّوا براعى غنمٍ ، فنادى عيسى : يا صاحبَ الغنمِ ، [١٣/١٥] أَجْزِزْنَا شاةً مِنَ غنمِكَ . قال : نعم ، أُرْسِلُ صاحبَكَ يَأْخُذُها . فأرْسَلَ عيسى اليهوديَّ ، فجاءَ بالشاةِ ، فذَبَحَها وشَوَّها ، ثم قال لليهوديِّ : كُلْ ولا تَكْسِرْ عَظْمًا . فأكَلَا ، فلما شَبِعُوا قَذَفَ عيسى العظامَ فى الجلِدِ ، ثم ضَرَبَها بعصاه ، وقال : قومى بإذنِ اللهِ . فقامت الشاةُ تَثْعُو^(١) ، فقال : يا صاحبَ الغنمِ ، خُذْ شاتَكَ . فقال له الراعى : مَنْ أنت ؟ قال : أنا عيسى ابنُ مريمَ . قال : أنت الساحرُ ! وفرَّ منه . قال عيسى لليهوديِّ : بالذى أحيا هذه الشاةَ بعدَ ما أَكَلْنَاها ، كم كان معكَ رغيّفًا ؟ فحلّفَ ما كان معه إلا رغيّفٌ واحدٌ . فمَرُّوا بصاحبِ بقرٍ ، فنادى عيسى ، فقال : يا صاحبَ البقرِ ، أَجْزِزْنَا مِنَ بقرِكَ هذه عِجْلاً . قال : ابْعَثْ صاحبَكَ يَأْخُذُها . قال : انْطَلِقْ يا يهوديُّ فِجِئْ به . فانْطَلَقَ فجاءَ به . فذَبَحَ وشَوَّاهُ ، وصاحبُ البقرِ يَنْظُرُ ، فقال له عيسى : كُلْ ولا تَكْسِرْ عَظْمًا . فلما فرغوا قَذَفَ العِظامَ فى الجلِدِ ، ثم ضَرَبَها بعصاه ، وقال : قُمْ بإذنِ اللهِ . فقام وله خُوازٌ . قال : خُذْ عِجْلَكَ . قال : وَمَنْ أنت ؟ قال : أنا عيسى . قال : أنت السَّحَّارُ ! ثم فرَّ منه . قال اليهوديُّ : يا عيسى أحييتَه بعدَ ما أَكَلْنَاها ! قال عيسى : فبالذى أحيا الشاةَ بعدَ ما أَكَلْنَاها ، والعجلُ بعدَ ما أَكَلْنَاهُ ، كم كان معكَ رغيّفًا ؟ فحلّفَ

(١) الثَّغَاءُ : صوت الشاءِ والمعز وما شاكلها ، وقد ثَغَا يَثْعُو وَثَعَتْ وَثَعَتْ ثَغْفًا ثَغْفًا : أى صاحت . اللسان

باللّهِ ما كان معه إلا رغيْفٌ واحدٌ. فانْطَلَقا حتى نَزَلا قريّةً، فنَزَلَ اليهوديُّ أعلاها، وعيسى في أسفلها، وأخذ اليهوديُّ عصا مثلَ عصا عيسى^(١)، وقال: أنا الآن أُحْيِي الموتى. وكان مَلِكٌ تلك المدينة مريضًا شديدَ المرضِ، فانْطَلَقَ اليهوديُّ يُنادي: مَنْ يَتَّبِعُنِي طَبِيبًا. حتى أتى مَلِكَ تلك القريّة، فأخبر بوجعِهِ، فقال: أَدْخِلُونِي عليه، فأنا أُبْرِئُهُ، وإن رأيتُموه قد مات فأنا أُحْيِيهِ. فقيل له: إن وجعَ المَلِكِ قد أعْمِيا الأَطِباءَ قَبْلَكَ، ليس مِنْ طَبِيبٍ يُداوِيهِ ولا يُفِيءُ^(٢) دواؤهُ شيئًا إلا أمير به فضْلب. قال: أَدْخِلُونِي عليه، فإني سأُبْرِئُهُ. فأَدْخِلَ عليه، فأخذ بِرِجْلِ المَلِكِ، فضرَبه بعصاه حتى مات، فجعل يَضْرِبُهُ بعصاه وهو ميتٌ، ويقول: قُمْ بِإِذْنِ اللّهِ. فأخذ لِيُضَلَّبَ، فبلغ عيسى، فأقبل إليه، وقد رُفِعَ على الخشبة، فقال: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَحْيَيْتُمْ لَكُمْ صَاحِبَكُمْ أَتَتْرُكُونَ لِي صَاحِبِي؟ قالوا: نعم. فأحيا اللّهُ المَلِكَ لعيسى، فقام وأنزَلَ اليهوديُّ، فقال اليهوديُّ^(٣): يا عيسى، أنتَ أعْظَمُ الناسِ عَلَيَّ مِئَةً، واللّهِ لا أفارقك أبدًا^(٤).

قال عيسى - فيما حدثنا/ به محمدُ بنُ الحسينِ بنِ موسى، قال: ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ قال: ثنا أسباطُ، عن الشُدِّيِّ - لليهوديِّ: أنشدك بالذي أحيا الشاة والعجلَ بعد ما أكلناهما، وأحيا هذا بعد ما مات، وأنزلك من الجذع بعد ما رُفِعَتْ^(٥) عليه لتضَلَّبَ، كم كان معك رغيْفًا؟ قال: فحلَفَ بهذا كلّه، ما كان معه

٢٨٦/٣

(١) في س: «موسى».

(٢) في مصدر التخريج: «يعنى». وأصل الفئء: الرجوع، وقيد بعضهم بالرجوع إلى حالة حسنة. تاج العروس (ف ي أ).

(٣) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٣، س.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣٩٦/٤٧، ٣٩٧ من طريق عمرو بن حماد، عن أسباط، عن السدي،

عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٥) في ص، ت، ٢: «رفعل».

إلا رَغِيفٌ واحدٌ . قال : لا بأسَ . فأنطَلَقا حتى مرَّا على كَنْزٍ قد حَفَرْتَهُ السَّبَاعُ
والدوابُّ ، فقال اليهوديُّ : يا عيسى ، لِمَنْ ^(١) هذا المَالُ ؟ قال عيسى : دَعِه ، فإن له
أهلاً يَهْلِكُون عليه . فجَعَلت نفسُ اليهوديِّ تَطَلُّعُ إلى المَالِ ، وَيَكْرَهُ أن يَغْصِبَ
عيسى ، فأنطَلقت مع عيسى ، ومرَّ بالمَالِ أربعةُ نفرٍ . فلَمَّا رَأَوْهُ اجْتَمَعُوا عليه ، فقال
اثنان لصاحِبَيْهِمَا : انطَلِقا فابْتَاعا لنا طعامًا وشرابًا ودوابَّ نَحْمِلُ عليها هذا المَالُ .
فأنطَلقت الرجلان فابْتَاعا دوابَّ وطعامًا وشرابًا ، وقال أحدهما لصاحِبِهِ : هل لك أن
نَجْعَلَ لصاحبَيْنا في طعامِهما سُتْمًا ، فإذا أَكَلَا ماتا ، فكان المَالُ بيني وبينك ؟ فقال
الآخَرُ : نعم . ففَعَلَا ، وقال الآخَران : إذا ما أَتَيْانا بالطعامِ ، فليَقُمْ كُلُّ واحدٍ إلى
صاحِبِهِ فيَقْتُلُهُ ، فيكونَ الطعامُ والدوابُّ بيني وبينك . فلما جاءا بطعامِهما قاما
فقتَلاهما ، ثم قَعَدَا على الطعامِ ، فأكَلَا منه فماتا ، وأَعْلِمَ ذلك عيسى ، فقال
 لليهوديِّ : أَخْرِجْهُ حتى نَقْتَسِمَهُ . فَأَخْرَجَهُ ، فقسَمَهُ عيسى بينَ ثلاثةٍ ، فقال
اليهوديُّ : يا عيسى ، اتَّقِ اللهَ ولا تَظَلِمْنِي ، فإنما هو أنا وأنت ، ما هذه الثلاثةُ ؟ قال له
عيسى : هذا لي ، وهذا لك ، وهذا الثلثُ لصاحبِ الرَغِيفِ . قال اليهوديُّ : فإن
أخْبِرْتُكَ بصاحبِ الرَغِيفِ تُعْطِينِي هذا المَالَ ؟ فقال عيسى : نعم . قال : أنا هو . قال
عيسى : خُذْ حظي وحظُّكَ وحظُّ صاحبِ الرَغِيفِ ، فهو حظُّكَ مِنَ الدنيا
والآخرةِ . فلَمَّا حَمَلَهُ مَشَى به شيئًا ، فحَسِيفَ به ، وأنطَلقت عيسى ابنُ مريمَ ، فمرَّ
بالحواريِّين وهم يَضْطادون السمكَ ، فقال : ما تَصْنَعُونَ ؟ فقالوا : نَضْطادُ السمكَ .
فقال : أفلا تَمْتَشُونَ حتى نَضْطادَ الناسَ ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا عيسى ابنُ مريمَ .
فآمَنُوا به ، وأنطَلقوا معه ، فذلك قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ مَن أَنْصَارِيَّ إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عِبَادِ بْنِ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية . قَالَ : اسْتَنْصَرَ فَنَصَرَهُ الْحَوَارِيُّونَ ، وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : كَانَ سَبَبَ اسْتِنْصَارِ عِيسَى مَنْ اسْتَنْصَرَ ؛ لِأَنَّ مَنْ اسْتَنْصَرَ الْحَوَارِيْنَ عَلَيْهِ كَانُوا أَرَادُوا قَتْلَهُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ قَالَ : كَفَرُوا وَأَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَذَلِكَ حِينَ اسْتَنْصَرَ قَوْمَهُ ، قَالَ : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ ^(٢) .
وَالْأَنْصَارُ جَمْعُ نَصِيرٍ ، كَمَا الْأَشْرَافُ جَمْعُ شَرِيفٍ ، وَالْأَشْهَادُ جَمْعُ شَهِيدٍ .

/ وَأَمَّا « الْخَوَارِثُونَ » ، فَإِنَّ أَهْلَ [٤١٣/١] ط [التَّوَابِلِ اخْتَلَفُوا فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ سُمُّوا خَوَارِثِينَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : سُمُّوا بِذَلِكَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ .

٢٨٧/٣

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ الْمُحَارِبِيِّ ، قَالَ : مِمَّا رَوَى أَبِي ، قَالَ : ثنا قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ ، عَنْ مَيْسِرَةَ ، عَنْ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : إِنَّمَا سُمُّوا الْخَوَارِثِينَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ ^(٣) .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٥٩/٢ (٣٥٦٧) مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرِ الْحَنْفِيِّ بِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٥٩/٢ (٣٥٦٤) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ ثَوْرٍ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ أَيْضًا فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٣٥/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٥٩/٢ (٣٥٦٨) مِنْ طَرِيقِ مَيْسِرَةَ بِهِ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ .

وقال آخرون : سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا قَصَّارِينَ يُبَيِّضُونَ الثياب .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ أَبِي أَرْطَاةَ ، قَالَ : الْحَوَارِيُّونَ الْغَسَّالُونَ الَّذِينَ يَحْوِزُونَ الثِّيَابَ ؛ يَغْسِلُونَهَا ^(١) .

وقال آخرون : هم خاصة الأنبياءِ وصفوئهم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْبَةَ ، عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ ، أَنَّ قَتَادَةَ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : كَانَ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ . فَقِيلَ لَهُ : مَنْ الْحَوَارِيُّونَ ؟ قَالَ : الَّذِينَ تَصْلُحُ لَهُمُ الْخِلَافَةُ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْمُتَنَجِّبِ ^(٣) بْنِ الْحَارِثِ ^(٤) قَالَ : ثنا يَشْرُبُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ﴾ [المائدة : ١١٢] . قَالَ : أَصْفِيَاءُ الْأَنْبِيَاءِ ^(٥) .

وأشبهه الأقوال التي ذكرنا في معنى الحواريين قول من قال : سُمُّوا بذلك لبياضِ ثيابهم ، ولأنهم كانوا غَسَّالِينَ .

وذلك أن الحَوَرَ عند العربِ شدةُ البياضِ ، ولذلك سُمِّيَ الحَوَارِيُّ مِنَ

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٣ من طريق وراق ، عن ابن أبي أرتاة .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٩/٢ (٣٥٧٠) من طريق ابن علية به مختصراً .

(٣ - ٣) في النسخ : « قال ثنا الحسين » . وهو إسناد دائر لا ذكر للحسين فيه .

(٤) في م ، ت ، ١ ، س : « عن » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٠/٢ (٣٥٧٢) من طريق المنجاب به .

الطعام : حُوَارَى ؛ لشدة بياضه ، ومنه قيل للرجل الشديد البياض مُقْلَةَ العَيْنَيْنِ :
أحورٌ . وللمرأة : حوراء .

وقد يَجُوزُ أن يكونَ حواريُّو عيسى كانوا سُئِمُوا بالذي ذَكَرْنَا مِن تَبْيِضِهِم
الثياب ، وأنهم كانوا قَصَّارِينَ ، فَعَرَفُوا بصحبة عيسى ، واختياره إِيَّاهم لنفسه
أصحابًا وأنصارًا ، فَجَرَى ذلك الاسمُ لهم ، واستُعْمِلَ حتى صار كلُّ خاصة للرجل
مِن أصحابه وأنصاره حُوَارِيَّه ، ولذلك قال النبي ﷺ : « لكلُّ نبيٍّ حواريٌّ ،
وحواريُّ الزبير »^(٢) . يعني خاصته ، وقد تُسَمَّى العربُ النساءَ اللواتي مَسَاكُنُهُنَّ
القرى والأمصارُ « حُوَارِيَّاتٍ » ، وإنما سُمِّيْنَ بذلك لغلبة البياضِ عليهن ، ومن ذلك
قولُ أبي جَلْدَةَ اليَشْكُرِيُّ^(٣) :

فقلُّ للحواريَّاتِ^(٤) يَبْكِينَ غيرنا ولا تَبْكِينَا إلا الكلابُ النَّوَابِغُ

ويعنى بقوله : ﴿ قَالَكِ الْهُوَارِيُّونَ ﴾ : قال هؤلاء الذين صفتهم ما ذكرنا من
تبييضهم الثياب : ﴿ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ ﴾ : / صدقنا بالله ، واشهد أنت يا عيسى بأننا
مسلمون . ٢٨٨/٣

وهذا خبرٌ من الله عزَّ وجلَّ أن الإسلامَ دينه الذي ابْتَعَثَ به عيسى والأنبياءُ
قبله ، لا النصرانية ولا اليهودية ، وتَبَرُّةٌ من الله لعيسى مِمَّنِ انْتَحَلَ النصرانية ، ودان
بها ، كما برأ إبراهيم من سائر الأديانِ غيرِ الإسلامِ ، وذلك احتِجَاجٌ من الله تعالى
ذَكَرَهُ لنبيه ﷺ على وفِدِ نَجْرَانَ .

(١) فى ص ، ت ٢ ، س : « إن لكل » وهو لفظ بعض الروايات .

(٢) أخرجه أحمد ٢٠٠/٢٢ ، ٢٠١ (١٤٢٩٧) ، والبخارى (٢٨٤٧ ، ٣٧١٩ ، ٤١١٣ ، ٧٢٦١) ،
ومسلم (٢٤١٥) من حديث جابر .

(٣) البيت فى الوحشيات ص ٢٩ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ص ١٠٧ ، ولسان العرب (ح و ر) .

(٤) فى الوحشيات ، والمؤتلف والمختلف : « لنساء المصر » .

كما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ وَالْعُدْوَانَ ﴿ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيزِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ وهذا قولهم الذي أصابوا به الفضلَ من ربِّهم ، ﴿ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ لا كما يقول هؤلاء الذين يُحاجُّونك فيه - يعنى وفدَ نصارى نَجْرَانَ ^(١) .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٥٢) .

وهذا خبرٌ من الله عزَّ وجلَّ عن الخواريئين أنهم قالوا : ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا ﴾ أى : صدَّقنا ﴿ بِمَا أَنْزَلْتَ ﴾ يعنى : بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك ، ﴿ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ يعنى بذلك : صرنا أتباع عيسى ، على دينك الذى ابْتَعْتَهُ به ، وأعوأته على الحق الذى أرسلته به إلى عبادك .

وقوله : ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ يقول : فَأُتِيتُ أَسْمَاءَنَا مَعَ أَسْمَاءِ الَّذِينَ شَهِدُوا بِالْحَقِّ ، وَأَقْرَبُوا لَكَ بالتوحيد ، وصدقوا رُسُلَكَ ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَكَ وَنَهْيَكَ ، فَاجْعَلْنَا فى عِدَادِهِمْ وَمَعَهُمْ ، فيما تُكْرِمُهُمْ به مِن كَرَامَتِكَ ، وَأَجِلْنَا مَحَلَّهُمْ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ كَفَرَ بِكَ ، وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِكَ ، وَخَالَفَ أَمْرَكَ وَنَهْيَكَ .

يُعْرَفُ خَلْقَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ سَبِيلَ الَّذِينَ رَضِيَ أَقْوَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ ، لِيَحْتَدُوا طَرِيقَهُمْ ، وَيَتَّبِعُوا مِنْهَا جَهْمَ ، فَيَصِلُوا إِلَى مِثْلِ الَّذِي وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ دَرَجَاتِ كَرَامَتِهِ ، وَيُكَذِّبُ بِذَلِكَ الَّذِينَ انْتَحَلُوا مِنَ الْمَلَلِ غَيْرَ الْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ ، فى دَعْوَاهُمْ على أنبياءِ اللَّهِ ، أَنَّهُمْ كَانُوا على غَيْرِهَا ، وَيَحْتَجُّ بِه على الوفدِ الذين حَاجُّوا رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥٨ ، ٦٦٠ (٣٥٦٣ ، ٣٥٧٤ ، ٣٥٧٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

أهلِ نَجْرَانَ ، بَأْنَ قَيْلٍ مَن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ أَتْبَاعِ عِيسَى ، كَانَ خِلَافَ قَيْلِهِمْ ،
وَمِنْهَا جِهَةٌ غَيْرُ مِنْهَا جِهَةٌ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴾ . أَى : هَكَذَا كَانَ قَوْلُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ ^(١) .

القولُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾ ﴿٥٤﴾ .

يَعْنَى بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَمَكَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَ
اللَّهُ أَنَّ عِيسَى أَحْسَنَ مِنْهُمْ الْكُفْرَ .

وَكَانَ مَكْرُهُمُ الَّذِي وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ مُوَاطَاةً بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الْفِتْكِ بَعِيسَى
وَقَتْلِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ عِيسَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ بَعْدَ إِخْرَاجِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ وَأُمَّهُ مِنْ بَيْنِ
أَطْهَرِهِمْ ، عَادَ إِلَيْهِمْ ، فِيمَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ،
قَالَ : ثنا أَشْبَاهُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ : ثُمَّ إِنَّ عِيسَى [١/٤١٤] سَارَ بِهِمْ ، يَعْنَى بِالْحَوَارِيِّينَ /
الَّذِينَ كَانُوا يَصْطَادُونَ السَّمَكَ ، فَأَمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ إِذْ دَعَاهُمْ ، حَتَّى أَتَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
لَيْلًا فَصَاحَ فِيهِمْ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ فَتَأَمَّنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ ﴾
الآيَةُ [الصف : ١٤] .

وَأَمَّا مَكْرُ اللهُ بِهِمْ ، فَإِنَّهُ - فِيمَا ذَكَرَ الشُّدِّيُّ - إِلقَاؤُهُ شَبَهَ عِيسَى عَلَى بَعْضِ
أَتْبَاعِهِ ، حَتَّى قَتَلَهُ الْمَآكِرُونَ بَعِيسَى ، وَهُمْ يَخْسَبُونَهُ عِيسَى ، وَقَدْ رَفَعَ اللهُ عِزَّهُ وَجَلَّ
عِيسَى قَبْلَ ذَلِكَ .

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٦٠ (٣٥٧٦) من طريق سلمة ، عن ابن
إسحاق قوله .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أشباط ، عن الشدّي : ثم إن بنى إسرائيل حَصَرُوا عيسى وتسعة عشر رجلاً من الحواريين في بيت ، فقال عيسى لأصحابه : مَنْ يأخذُ صورتي فيقتلُ وله الجنة؟ فأخذها رجلٌ منهم ، وُضِعَ بعيسى إلى السماء ، فذلك قوله : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ . فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر ، فأخبروهم أن عيسى قد صعد به إلى السماء ، فجعلوا يعذون القوم ، فيجدونهم ينقصون رجلاً من العدة ، ويرون صورة عيسى فيهم ، فشكوا فيه ، وعلى ذلك قتلوا الرجل ، وهم يُرَوْنَ أنه عيسى ، وصلبوه ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا قُلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧] .

وقد يحتمل أن يكون معنى مكر الله بهم استدراجهم إياهم ؛ ليبلغ الكتاب أجله ، كما قد بينا ذلك في قول الله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ^(١) [البقرة : ١٥] .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفُتْ عَنْكَ وَإِنَّكَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله ، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم ، إذ قال الله جل ثناؤه : إني مُتَوَفِّيك . ف ﴿ إِذْ ﴾ صلة من قوله : ﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ يعنى : ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى : إني مُتَوَفِّيك ورافعك إلى فتوفاه ورفعاه إليه .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى « الوفاة » التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية ؛ فقال بعضهم : هي وفاة نوم . وكان معنى الكلام على مذهبهم : إني مُنِيْمُكَ

(١) ينظر ما تقدم في ٣١٢/١ - ٣١٨ .

ورافعك في نومك .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ . قال : يعني وفاة المنام ؛ رفعه الله في منامه . قال الحسن : قال رسول الله ﷺ لليهود : « إن عيسى لم يمُت ، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة »^(١) .

وقال آخرون : معنى ذلك : إنني قابضك من الأرض فرافعك إلي . قالوا : ومعنى الوفاة القبض . / كما يقال : توفيت من فلان ما لي عليه . بمعنى : قبضته واستوفيته . قالوا : فمعنى قوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ . أى : قابضك من الأرض حيناً إلى جوارى ، وأخذك إلى ما عندي بغير موت ، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك .

٢٩٠/٣

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا علي بن سهل ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عن مطر الوراق في قول الله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ . قال : متوفيك من الدنيا ، وليس بوفاة موت^(٢) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (بتحقيق حكمت بشير ياسين) ٢٩٦/٢ (٦٤٢) من طريق عبد الله بن

أبي جعفر به ، عن الحسن قوله . وينظر تفسير ابن كثير ٣٨/٢ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (بتحقيق حكمت بشير ياسين) ٢٩٦/٢ (٦٤١) ، وأبو نعيم

في الحلية ١٣٠/٦ من طريق ضمرة به .

الحسن في قوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ . قال : مُتَوَفِّيكَ مِنَ الْأَرْضِ ^(١) .
 حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قوله :
 ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : فَرَفَعَهُ إِيَّاهُ
 إِلَيْهِ تَوَفَّيَهُ إِيَّاهُ ، وَتَطَهَّرَهُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنى معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، أَنَّ
 كَعْبَ الْأَخْبَارِ قَالَ : مَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيُؤَيِّتَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، إِنَّمَا بَعَثَهُ اللَّهُ دَاعِيًا
 وَمُبَشِّرًا يَدْعُو إِلَيْهِ وَحْدَهُ ، فَلَمَّا رَأَى عِيسَى قَلَّةَ مَنْ اتَّبَعَهُ ، وَكَثْرَةَ مَنْ كَذَّبَهُ ، شَكَا
 ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ . وَلَيْسَ مَنْ
 رَفَعْتُهُ عِنْدِي مَيِّتًا ، وَإِنِّي سَأُبْعَثُكَ عَلَى الْأَعْوَرِ الدَّجَالِ ، فَتَقْتُلُهُ ، ثُمَّ تَعِيشُ بَعْدَ ذَلِكَ
 أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، ثُمَّ أَمِيتُكَ مَيِّتَةَ الْحَيِّ . قَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ : وَذَلِكَ يُصَدِّقُ
 حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ : « كَيْفَ تَهْلِكُ أُمَّةٌ أَنَا فِي أَوَّلِهَا ، وَعِيسَى فِي
 آخِرِهَا ؟ » ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ
 الزَّيْبِرِ : ﴿ يَلْعِيسِيَّ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ . أَيْ : قَابِضُكَ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٦١ (٣٥٨٢) عن الحسن بن يحيى .
 به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٦٢ (٣٥٨٦) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج ببعضه .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٣٦٦ إلى المصنف ، والمرفوع أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/٣٩٤ ،

٣٩٥ من حديث ابن عباس .

﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ﴾ . قال : ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضُك . قال : و ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ و ﴿وَرَأْفَعُكَ﴾ واحدٌ . قال : ولم يمت بعد حتى يقتل الدجال ، وسيموت . وقراً قول الله عز وجل : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ . قال : رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلاً . قال : وينزل كهلاً^(١) .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن ، في قول الله عز وجل : ﴿يُعِيسِي إِيَّي مُتَوَفِّيكَ وَرَأْفَعُكَ إِلَىٰ﴾ الآية كلها . قال : رفعه الله إليه ، فهو عنده في السماء^(٢) .

وقال آخرون : معنى ذلك : إني متوفيك وفاة موت .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ . يقول : إني مُميتك^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمن لا يتهم ، عن وهب / ٢٩١/٣ ابن مُتَبِّهِ اليماني أنه قال : توفي الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات [٤١٤/١] من النهار ، حتى رفعه إليه^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : والنصارى يزعمون

(١) ذكره الطوسي في التبيان ٤٧٨/٢ ، والقرطبي في تفسيره ١٠٠/٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦١/٢ (٣٥٨٤) من طريق أبي بكر الحنفي به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦١/٢ (٣٥٨٠) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦١/٢ (٣٥٨١) من طريق سلمة به .

أنه تَوَفَّاهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ ، ثُمَّ أَحْيَاهُ اللَّهُ ^(١) .

وقال آخرون : معنى ذلك : إذ قال الله : يا عيسى إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا ، ومُتَوَفِّيكَ بعدَ إنزالِي إياكَ إلى الدنيا . وقالوا ^(٢) : هذا من المُقَدِّمِ الذي معناه التأخيرُ ، والمؤخَّرِ الذي معناه التقديمُ .

قال أبو جعفرٍ : وأولى هذه الأقوالِ بالصحةِ عندنا قولُ مَنْ قال : معنى ذلك : إني قابضُكَ مِنَ الْأَرْضِ ورافعُكَ إليّ . لتواترِ الأخبارِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « يَنْزِلُ عيسى ابنُ مريمَ ، فيقتُلُ الدجالَ ، ثم يَمُكُّ في الأرضِ - مدةً ذكرها ، ^(٣) اختلفت الرواةُ ^(٤) في مَبَلِّغِها - ثم يموتُ ، فيصَلِّي عليه المسلمون ويَدْفِنونه » .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ مسلمِ الزهرى ، عن حنظلةِ بنِ عليٍّ الأسلمى ، عن أبى هريرةَ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لِيُهْبِطَنَّ اللَّهُ عيسى ابنَ مريمَ حَكَمًا عَدْلًا ، وإمامًا مُقْسِطًا ، يَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيُفِيضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَجِدَ مَنْ يَأْخُذُهُ ، وَلَيْسَلُكَنَّ الرُّوحَاءَ حَاجًّا أَوْ مَعْتَمِرًا ، أَوْ لَيْتِنَيْسِنَ ^(٥) بهما جميعًا » ^(٥) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن الحسنِ بنِ دينارٍ ، عن

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٨/٢ .

(٢) في م : « قال » .

(٣ - ٤) في م : « اختلفت الرواية » .

(٤) في م : « يدين » . وينظر مصادر التخريج الآتية .

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٨٤٢) ، والحميدى (١٠٠٥) ، وأحمد ٢١٧/١٢ ، ١٠٩/١٣ ، ٢٨٠ ،

٢٨١ ، ٣٨٧/١٦ ، ٥٧١ ، ٧٢٧٣ ، ٧٩٠٣ ، ٧٦٨١ ، ١٠٦٦١ ، ١٠٩٧٤) ، ومسلم (١٢٥٢) ، وابن

حبان (٦٨٢٠) ، والبيهقى ٢/٥ ، والبقوى (٤٢٧٨) من طريق الزهرى به ..

قتادة، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ :
« الأنبياء إخوة لِعَلَاتٍ ، أمهاتهم شتى ، ودينتهم واحدٌ ، وأنا أولى الناس بعيسى
ابن مريم ؛ لم يكن بيني وبينه نبيٌ ، وإنه خليفتي على أمتي ، وإنه نازلٌ ، فإذا
رأيتُموه فاعرفوه ، فإنه رجلٌ مزبورٌ الخلق إلى الحمرة والبياض ، سبط الشعر كأن
شعره يقطرُ ، وإن لم يُصبه بللٌ ، بين مُصرتين ^(١) ، يدق الصليب ، ويقتل الخنزير ،
ويفيض المالُ ، ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها ،
ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال ، وتقع في الأرض الأمانة ،
حتى تززع الأسود مع الإبل ، والنمر مع البقر ، والذئب مع الغنم ، وتلعب الغلمان
بالحيات ، لا يضرب بعضهم بعضاً ، فيثبت في الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفى ، ويصلى
المسلمون عليه ويدفنونه » ^(٢) .

قال أبو جعفر : ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل لم يكن بالذي يميتُه ميتة
أخرى ، فيجمع عليه ميتتين ؛ لأن الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ،
ثم يحييهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ
يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِ شَيْءٍ ﴾ [الروم : ٤٠] .

٢٩٢/٣ / فتأويل الآية إذن : قال الله لعيسى : يا عيسى إني قابضك من الأرض ،
ورافئك إلى ، ومطهرتك من الذين كفروا فجددوا نبتك .

وهذا الخبر وإن كان مخرجه مخرج خبر ، فإن فيه من الله عز وجل احتجاجاً
على الذين حاجوا رسول الله ﷺ في عيسى من وفد نجران ، بأن عيسى لم يقتل ولم

(١) المصرة من الثياب : التي فيها صفرة خفيفة . النهاية ٤/٣٣٦ .

(٢) أخرجه أحمد ١٥٣/١٥ ، ١٥٤ ، (٩٢٧٠) ، وأبو داود (٤٣٢٤) ، وابن حبان (٦٨٢١) ، والحاكم

٥٩٥/٢ من طريق قتادة به ، وسيأتي من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به في ٦٧٤/٧ .

يُضَلِّبْ ، كما زعموا ، وأنهم واليهود - الذين أقروا بذلك ، وادَّعَوْا على عيسى - كَذِبَةً فِي دَعْوَاهُمْ وَزَعَمِهِمْ .

كما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ثم أُخْبِرَهُمْ - يعنى الوفدَ مِنْ نَجْرَانَ - وردَّ عليهم فيما أُخْبِرُوا هُمْ ^(١) واليهودُ ^(٢) بصلبه ، كيف رفعه وطهره منهم ، فقال : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ ﴾ ^(٣) .

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . فإنه يعنى : مُنْظَفُكَ فَمُخَلَّصُكَ مِّنْ كَفَرٍ بكَ وَجَحَدَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ ، مِنَ الْيَهُودِ وَسَائِرِ الْمِلَلِ غَيْرِهَا .

كما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : إذ هموا منك بما هموا ^(٤) .

حدثني محمدُ بنُ سِنَانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفى ، عن عبادٍ ، عن الحسنِ بنِ قولة : ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : طهره من اليهود والنصارى والمجوس ، ومن كفار قومه ^(٥) .

القولُ فى تأويلِ قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَيَّ ﴾

(١) سقط من : ص ، ت ، ٢ ، س .

(٢) فى ص ، ت ، ٢ : « لليهود » .

(٣) سيرة ابن هشام فى ١ / ٥٨٢ .

(٤) سيرة ابن هشام ١ / ٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢ / ٦٦٢ (٣٥٨٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢ / ٦٦٢ (٣٥٨٧) من طريق أبى بكر الحنفى به .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ^(١) ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ
السَّدِيِّ : ﴿ وَجَاعِلُ / الَّذِينَ [٤١٥/١] اتَّبَعُوا فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ : ٢٩٣/٣
أما ﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ ، فيقال : هم المؤمنون . ^(٢) ويقال : بل ^(٣) هم الرُّومُ . ^(٤)

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عِبَادٍ ، عَنْ الْحُسَيْنِ :
﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ قال : جعل الذين اتبعوه
فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة . قال : المسلمون من فوقهم ، وجعلهم أعلى ممن
ترك الإسلام إلى يوم القيامة ^(٤) .

وقال آخرون : معنى ذلك : وجاعل الذين اتبعوا من النصارى فوق اليهود .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ :
﴿ وَمَطْهَرُكُمْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : الذين كفروا من بنى إسرائيل ،
﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ قال : الذين آمنوا به من بنى إسرائيل وغيرهم ﴿ فَوْقَ الَّذِينَ
كَفَرُوا ﴾ النصارى فوق اليهود إلى يوم القيامة . قال : فليس بلد فيه أحد من النصارى
إلا وهم فوق يهود في شقي ولا غرب ، هم في البلدان كلها مُسْتَدَلُّون ^(٥) .

القول في تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ

(١) في ص : « الفضل » .

(٢ - ٣) في م : « وليس » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٢/٢ (٣٥٩٠) من طريق أحمد بن الفضل به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٣/٢ (٣٥٩٣) من طريق آخر عن الحسن بنحوه .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

تَخْلِفُونَ ﴿٥٥﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ إِلَيَّْ ﴾ : ثم إلى الله أيها المختلفون فى عيسى ﴿ مَرْجِعُكُمْ ﴾ . يعنى : مصيركم يوم القيامة . ﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ . يقول : فأقضى حينئذ بين جميعكم فى أمر عيسى بالحق ﴿ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴾ من أمره .

وهذا من الكلام الذى صُرف من الخبر عن الغائب إلى مخاطبة ، وذلك أن قوله : ﴿ ثُمَّ إِلَيَّْ مَرْجِعُكُمْ ﴾ . إنما قصد به الخبر عن مُتبعي عيسى والكافرين به . وتأويل الكلام : وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إلى مَرَجِعِ الفريقين ؛ الذين اتبعوك والذين كفروا بك ، فأحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون . ولكن رد الكلام إلى الخطاب لسبوق^(١) القول ، على سبيل ما ذكرنا من الكلام الذى يخرج على وجه الحكاية ، كما قال : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَائِكِ وَجِرِينَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبَئَةٍ ﴾ [يونس : ٢٢] .

القول فى تأويل قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ : فأما الذين جحدوا نبوتك يا عيسى ، وخالفوا ملئتك ، وكذبوا بما جئتهم به من الحق ، وقالوا فىك الباطل ، وأضافوك إلى غير الذى يتبغى أن يضيفوك إليه ، من اليهود والنصارى ، وسائر أصناف الأديان ، فإنى أعذبهم عذابا شديدا ، أما فى الدنيا فبالقتل والسبأ والذلة

(١) فى م ، ت ا : « لسوق » .

وَالْمَسْكُونَةِ، وَأَمَا فِي الْآخِرَةِ فَبِنَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا. ﴿٥٦﴾ وَمَا لَهُمْ مِنْ
تَنْصِيرِينَ ﴿٥٧﴾. يقول: وما لهم من عذابِ الله مانع، ولا عن أليم عقابه لهم دافع، بقوة
ولا شفاعة؛ لأنه العزيز ذو الانتقام.

/ وأما قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. فإنه يعنى تعالى
ذكره: وأما الذين آمنوا بك يا عيسى - يقول: صدقوك - فأقروا بنبوتك وبما جئتهم
به من الحق من عندي، ودأبوا بالإسلام الذي بعثتك به، وعملوا بما فرضت من
فرائضى على لسانك، وشرعت من شرائعى، وستنت من سننى.

كما حدثنى المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن على،
عن ابن عباس قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. يقول: أدوا فرائضى^(١).

﴿فَيُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ﴾ يقول: فيعطهم جزاء أعمالهم الصالحة كاملاً، لا
يتخسون منه شيئاً ولا ينقصونه.

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. فإنه يعنى: والله لا يحب من ظلم غيره
حقاً له، أو وضع شيئاً فى غير موضعه.

فنفى جل ثناؤه عن نفسه بذلك أن يظلم عباده، فيجازى المسىء ممن كفر جزاء
المحسنين ممن آمن به، أو يُجازى المحسن ممن آمن به وأتبع أمره، وانتهى عما نهاه عنه
فأطاعه، جزاء المسيئين ممن كفر به، وكذب رسله، وخالف أمره ونهيه، فقال: إنى
لا أحب الظالمين، فكيف أظلم خلقى؟

وهذا القول من الله تعالى ذكره وإن كان خرج مخرج الخبر، فإنه^(٢) وعيد منه

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف.

(٢) فى م: «كأنه».

للكافرين به وبرسله ، ووعدُ منه للمؤمنين به وبرسله ؛ لأنه أعلمُ الفريقين جميعاً أنه لا يَحْسُنُ هذا المؤمنُ حَقَّهُ ولا يَظْلِمُ كرامته فيصعها في من كفر به وخالف أمره ونهيه ، فيكون لها بوضعها في غير أهلها ظالماً .

القول في تأويل قوله : ﴿ ذَلِكْ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ ذَلِكْ ﴾ : هذه الأنباء التي أنبأ بها نبيّه عن عيسى وأمه مريم ، وأمها حنّة ، وزكريا وابنه يحيى ، وما قصّ من أمرِ الحواريين واليهود من بنى إسرائيل - نتلوها عليك يا محمد . يقول : نقرؤها عليك يا محمد ، على لسان جبريل بوحيها إليك . ﴿ مِنَ الْآيَاتِ ﴾ . يقول : من العبرِ والحججِ على من حاجك من وفد نصارى نجران ويهود بنى إسرائيل ، الذين كذبوك وكذبوا ما جئتهم به من الحق من عندي . ﴿ وَالذِّكْرِ ﴾ . يعنى : والقرآن ﴿ الْحَكِيمِ ﴾ . [١/٤١٥ظ] يعنى ذا الحكمة الفاصلة بين الحق والباطل ، وبينك وبين ناسيى المسيح إلى غير نسبه .

كما حدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ ذَلِكْ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ : القاطع الفاصل الحق ، الذى لم يخلطه الباطل ، من الخبر عن عيسى ، واما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلن خبراً غيره ^(١) .

حدّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك : ﴿ ذَلِكْ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ قال : القرآن ^(١) .

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٦٥ (٣٦٠٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٧ إلى المصنف .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ وَالذِّكْرُ ﴾ . يقولُ : القرآنُ الحكيمُ الذي قد كَمَلَ في حكمته ^(١) .

٢٩٥/٣ / القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤه : إن شَبَهَ عيسى في خَلْقِي إياه من غيرِ فحلٍ - فأخبر به يا محمد الوفدَ من نصارى نجران - عندي كشَبَه آدم ، الذي خَلَقْتُهُ مِنْ ترابٍ ، ثم قلتُ له : كن . فكان ، من غيرِ فحلٍ ، ولا ذكْرٍ ، ولا أنثى . يقولُ : فليس خَلَقِي عيسى من أمه ، من غيرِ فحلٍ ، بأعجَبَ من خَلَقِي آدمَ من غيرِ ذكْرٍ ولا أنثى ، فكان لحمًا ، يقولُ : وأمري إذ أمرتُه أن يكونَ فكان ، فكذلك خَلَقِي عيسى ، أمرتُه أن يكونَ فكان .

وذكر أهلُ التأويلِ أن الله عزَّ وجلَّ أنزلَ هذه الآيةَ احتجاجًا لنبيه ﷺ على الوفدِ من نصارى نجران الذين حاجَّوه في عيسى .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ^(٢) ، عن مُغيرةٍ ، عن عامرٍ ، قال : كان أهلُ نجرانَ أعظمَ قومٍ من النصارى في عيسى قولًا ، فكانوا يُجادِلون النبي ﷺ ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ هذه الآيةَ في سورةِ آلِ عمرانَ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٤٧ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٢/٤٧٦ .

(٢) في س : « جوير » . وينظر تهذيب الكمال ٤/٥٤٠ .

الْكٰذِبِيْنَ ﴿١﴾ .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . وذلك أن رَهْطًا مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ ، قَدِمُوا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وكان فيهم السيد والعاقب ، فقالوا لمحمد : ما شأنك تذكُرُ صاحبنا ؟ فقال : « من هو ؟ » . قالوا : عيسى ، تزعم أنه عبدُ الله . فقال محمد : « أجل ، إنه عبدُ الله » . قالوا له : فهل رأيت مثلَ عيسى ، أو أُنبئت به ؟ ثم خرجوا من عنده ، فجاءه جبريلُ عليه السلامُ بأمرِ ربنا السميعِ العليم ، فقال : قلْ لهم إذا أتوك : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ إلى آخرِ الآية ^(١) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ سَيِّدِي أَهْلِي نَجْرَانَ وَأَسْقَفِيهِمُ السَّيِّدَ وَالْعَاقِبَ ، لَقِيَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَاهُ عَنْ عِيسَى ؟ فَقَالَا : كُلُّ آدَمِيٍّ لَهُ أَبٌ ، فَمَا شَأْنُ عِيسَى لَا أَبَ لَهُ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(٢) .

حدَّثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المُفضَّل ، قال : ثنا أشباط ، عن

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٨/١٢ ، ٥٤٩/١٤ من طريق جرير به مختصراً ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٠ - تفسير) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٧/٢ (٣٦١٦) من طريق مغيرة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٢ إلى عبد بن حميد وأبي نعيم .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٥/٢ (٣٦٠٦) عن محمد بن سعد به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

الشَّدْيِي : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ : لَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَسَمِعَ بِهِ أَهْلُ نَجْرَانَ ، أَنَاهُ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ نَفَرٍ مِنْ خِيَارِهِمْ ؛ مِنْهُمْ الْعَاقِبُ ، وَالسَّيِّدُ ، وَمَاسْرُجِسُ ، وَمَارِيحُزُ^(١) ، فَسَأَلُوهُ مَا يَقُولُ / فِي عِيسَى ؟ فَقَالَ : « هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ » . قَالُوا لَهُمْ : لَا ، وَلَكِنَّهُ هُوَ اللَّهُ ، نَزَلَ مِنْ مُلْكِهِ ، فَدَخَلَ فِي جَوْفِ مَرْيَمَ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا ، فَأَرَانَا قَدْرَتَهُ وَأَمْرَهُ ، فَهَلْ رَأَيْتَ قَطُّ إِنْسَانًا خُلِقَ مِنْ غَيْرِ أَبِي ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عكرمةَ قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . قَالَ : نَزَلَتْ فِي الْعَاقِبِ وَالسَّيِّدِ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ ، وَهُمَا نَضْرَانِيَّانِ^(٣) .

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : بَلَّغْنَا أَنَّ نَصَارَى أَهْلِ نَجْرَانَ قَدِيمٌ وَفَدُّهُمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فِيهِمُ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ ، وَهُمَا يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا أَهْلِ نَجْرَانَ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، فِيمَ تَشْتُمُّ صَاحِبَتِنَا ؟ قَالَ : « مَنْ صَاحِبُكُمْ ؟ » . قَالَا : عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، تَزَعُمُ أَنَّهُ عَبْدٌ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَجَلٌ ، إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ^(٤) وَرُوحٌ مِنْهُ » . فَغَضِبُوا وَقَالُوا : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا ، فَأَرِنَا عَبْدًا يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَيُرِيءُ الْأَكْمَةَ ، وَيَخْلُقُ

(١) في ت ١ ، س : « مار بحر » ، وفي م : « ماريجز » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

(٤) (٤ - ٤) سقط من : ص ، ت ٢ .

مِن الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ - الْآيَةَ - لَكِنَّهُ اللَّهُ . فَسَكَتَ حَتَّى أَتَاهُ جَبْرِيْلُ ،
فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ
مَرْيَمَ ۗ ﴾ [المائدة : ١٧ ، ٧٢] الْآيَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا جَبْرِيْلُ ، إِنَّهُمْ
سَأَلُونِي أَنْ أُخْبِرَهُمْ بِمَثَلِ عَيْسَى » . قَالَ جَبْرِيْلُ : مَثَلُ عَيْسَى كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ
مِنْ تَرَابٍ ، [١/٤١٦] ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُنْ . فَيَكُونُ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا عَادُوا ، فَقَرَأَ
عَلَيْهِمُ الْآيَاتِ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن
الزبير : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عَيْسَى عِنْدَ اللَّهِ ﴾ فَاسْمَعُ ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ
قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٥٩] الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ . فَإِن قَالُوا : خَلِقَ عَيْسَى
مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ . فَقَدْ خَلَقْتُ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ بَتَلِكِ الْقُدْرَةِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْثَى وَلَا ذَكَرٍ ، فَكَانَ
كَمَا كَانَ عَيْسَى لَحْمًا وَدَمًا وَشَعْرًا وَبَشَرًا ، فَلَيْسَ خَلَقَ عَيْسَى مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ بِأَعْجَبَ
مِنْ هَذَا ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عَيْسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ . قَالَ : أَتَى
نَجْرَانِيَّانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَا لَهُ : هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ أَحَدًا وُلِدَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ فَيَكُونُ
عَيْسَى كَذَلِكَ ؟ قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عَيْسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ
خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ، أَكَانَ لآدَمَ أَبٌ أَوْ أُمٌّ ! كَمَا خَلَقْتُ هَذَا فِي

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ ، ٣٨ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٨٢ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٦٥ (٣٦٠٧) من طريق سلمة ، عن ابن
إسحاق قوله .

بطن هذه .

فإن قال قائل : فكيف قال : ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ ﴾ . و « آدم » معرفة ،
والمعارف لا تُوصَلُ ؟

قيل : إن قوله : ﴿ خَلَقْتُم مِّن تَرَابٍ ﴾ . غيرُ صلةٍ لآدم ، وإنما هو بيانٌ عن أمره ،
على وجه التفسيرِ عن المَثَلِ الذي ضربَه ، وكيف كان .

وأما قوله : ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . فإِنما قال : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ . وقد ابتدأ
الخبرَ عن خَلْقِ آدم ، وذلك خبرٌ عن أمرٍ قد تَقَضَّى ، وقد أخرجَ الخبرَ عنه مُخْرَجَ الخبرِ
عمًا قد مضى ، فقال جلُّ ثناؤه : ﴿ خَلَقْتُم / مِن تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . لأنه
بمعنى الإعلامِ مِنَ اللَّهِ نبيّه أن تَكُونُ الأشياءُ بقوله : ﴿ كُنْ ﴾ . ثم قال :
﴿ فَيَكُونُ ﴾ . خبرًا مُبْتَدَأً ، وقد تناهى الخبرُ عن أمرِ آدمَ عندَ قوله : ﴿ كُنْ ﴾ .

فتأويلُ الكلامِ إذن : إن مثلَ عيسى عندَ اللهِ كمثلُ آدمَ خلقه من ترابٍ ثم قال
له : كُنْ . واغْلَمْ يا محمدُ أن ما قال له ربُّك : كُنْ . فهو كائنٌ .

فلما كان في قوله : ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ ﴾ . دلالةٌ
على أن الكلامَ يُرادُ به إعلامُ نبيِّ اللهِ ﷺ وسائرِ خلقه أنه كائنٌ ما كونه ابتداءً من غيرِ
أصلٍ ولا أولٍ ولا غُنْصيرٍ ، استُغْنِيَ بدلالةِ الكلامِ على المعنى ، وقيل : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ .
فَعَطْفٌ بالمستقبلِ على الماضي ، على ذلك المعنى .

وقد قال بعضُ أهلِ العربيةِ : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ رُفِعَ على الابتداءِ ، ومعناه : كُنْ
فكان . فكأنه قال : فإذا هو كائنٌ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ الْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : الذى أنبأك به من خبر عيسى ، وأن مثله كمثلي آدم خلقه من تراب ، ثم قال له ربه : ﴿ كُن ﴾ . هو ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ يقول : هو الخبر الذى هو من عند ربك ، ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴾ يعنى : فلا تكن من الشاكين فى أن ذلك كذلك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴾ يعنى : فلا تكن فى شك من عيسى أنه كمثلي آدم عبد الله ورسوله ، وكلمة الله وروحه ^(١) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴾ . يقول : فلا تكن فى شك مما قصصنا عليك أن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمة منه وروح ، وأن مثله عند الله كمثلي آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : ﴿ كُن ﴾ فيكون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ : ما جاءك من الخبر عن عيسى . ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴾ ، أى : قد جاءك الحق من ربك فلا تتمر فيه ^(٢) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴾ . قال : والمتمرّون الشاكون .

والمرية والشك والرئب واحد سواء ، كهية ما تقول : أعطني ، وناولنى ،

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٨ إلى المصنف .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٦٦ (٣٦١٠ ، ٣٦١٢) من طريق عبد الله بن إدريس وسلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

وَهَلُمَّ . فهذا مختلفٌ في الكلام ، وهو واحدٌ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْنِدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتِهَلْ فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (١) .

يعنى بقوله جلّ ثناؤه : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ ﴾ : فمن جادلَكَ يا محمدُ في المسيحِ عيسى ابنِ مريمَ .

والهاءُ / في قوله : ﴿ فِيهِ ﴾ عائدةٌ على ذكرِ « عيسى » ، وجائزٌ أن تكونَ عائدةٌ على « الحقِّ » الذى قال تعالى ذكره : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ .

ويعنى بقوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ : من بعدِ ما جاءكَ مِنَ الْعِلْمِ الذى قد بيّنته لك فى عيسى أنه عبدُ الله ، ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْنَا ﴾ : هَلُمُّوا ، فلندعُ ﴿ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتِهَلْ ﴾ يقولُ : ثم نلتعن .

يقالُ فى الكلامِ : ماله ؟ بهلهُ اللهُ ! أى : لعنه اللهُ . وماله ؟ عليه بُهلهُ اللهُ ! يُريدُ اللعنَ . وقال لبيدٌ ، وذكر قومًا هلكوا ، فقال (١) :

* نظر الدهرُ إليهم فابتَهَلْ *

يعنى : دعا عليهم بالهلاكِ .

﴿ فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ منا ومنكم فى أنه (٢) عيسى .

كما حدّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ فَمَنْ ﴾

(١) شرح ديوان لبيد ص ١٩٧ ، وعجز البيت : فى قروم سادة من قومه

(٢) فى م : « آية » .

حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴿١﴾ : أى فى عيسى [٤١٦/١ظ] أنه عبدُ الله ورسوله ، من كلمة الله وزوجه ، ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ ابنِ الزبيرِ : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ : أى : من بعد ما قَصَصْتُ عليك من خبره ، وكيف كان أمره ، ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ الآية ^(٢) .

حدَّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ . يقولُ : مَنْ حَاجَّكَ فى عيسى من بعد ما جاءك فيه من العلم ^(٣) .

حدَّثنا يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ ثُمَّ نَبَّهَلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴾ . قال : منا ومنكم .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : وثنى ابنُ لهيعةَ ، عن سليمانِ بنِ زيادِ الحَضْرَمِيِّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ الحارثِ بنِ جَزْءِ الرُّبَيْدِيِّ ، أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقولُ : « ليت بينى وبين أهلِ نجرانَ حجابًا ، فلا أراهم ولا يَرُونى » . من شدة ما كانوا يُمازُونَ النبيَّ ﷺ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٦/٢ (٣٦١٣) من طريق شيبان عن قتادة نحوه .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٦/٢ (٣٦١٤) من طريق ابن إدريس عن ابن إسحاق قوله .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٦/٢ عقب الأثر (٣٦١٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ص ٣٠١ والبزار (٣٧٨٦) من طريق ابن لهيعة به .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٦٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن هذا الذى أنبأئك به يا محمد من أمر عيسى ، فقصصته عليك من أنبيائه ، وأنه عبدى ورشولى ، وكلمتى ألقىتها إلى مريم ، وروح منى ، لهو القصص والنبا الحق ، فاعلم ذلك ، واعلم أنه ليس للخلق معبود يستوجب عليهم العبادة بملكه إياهم ، إلا معبودك الذى تعبده ، وهو الله العزيز الحكيم .

ويعنى بقوله : ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ : العزيز فى انتقامه ممن عصاه ، وخالف أمره ، وادعى معه إلها غيره ، أو عبد رباً سواه ، ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ فى تدييره ، لا يدخل ما دبره وهن ، ولا يلحقه خلل .

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ . يعنى : فإن أذبر / هؤلاء الذين حاجوك فى عيسى عما جاءك ٢٩٩/٣ من الحق من عند ربك ، فى عيسى وغيره من سائر ما أتاك الله من الهدى والبيان ، فأعرضوا عنه ، ولم يقبلوه ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ . يقول : فإن الله ذو علم بالذين يعصون ربهم ، ويعملون فى أرضه وبلايه بما نهاهم عنه ، وذلك هو إفسادهم . يقول تعالى ذكره : فهو عالم بهم وبأعمالهم ، يخصيها عليهم ويحفظها ، حتى يجازيهم عليها جزاءهم .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ : أى : إن هذا الذى جئت به من الخبر عن

عيسى ، ﴿ لَهٗوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ ^(١) مِنْ أَمْرِهِ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جريج : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهٗوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ : إن هذا الذي قلنا في عيسى ﴿ لَهٗوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهٗوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ . قال : إن هذا القصصَ الحقُّ في عيسى ، ما يَنْبَغِي لعيسى أن يَتَعَدَّى هذا ولا يُجَاوِزَهُ ^(٣) ؛ أن يَتَعَدَّى أن يكونَ كلمةَ اللَّهِ ألقاها إلى مريمَ ، ورؤوحاً منه ، وعبدَ اللَّهِ ورسولَهُ ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهٗوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ : إن هذا الذي قلنا في عيسى هو الحقُّ ، ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ الآية ^(٥) .

فلَمَّا فَضَّلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيْنَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبَيْنَ الْوَفْدِ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ بِالْقَضَاءِ الْفَاصِلِ وَالْحُكْمِ الْعَادِلِ ، ^(٦) وَأَمْرِهِ ^(٦) - إن هم تَوَلَّوْا عما دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِوُحْدَانِيَةِ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا صَاحِبَةَ ، وَأَنَّ عَيْسَى عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَبْنَاؤُا إِلَّا الْجَدَلَ ^(٧) وَالْخُصُومَةَ - أن يَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُلَاعَنَةِ ، ففَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٨٣ .

(٢) المحرر الوجيز ٢/٤٥٣ بنحوه .

(٣) في ت ٢ ، ت ٣ : « يتجاوزة » .

(٤) المحرر الوجيز ٢/٤٥٣ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٦٨ (٣٦٢٤) عن محمد بن سعد .

(٦ - ٦) كذا في النسخ ، والصواب : أمره . بحذف الواو .

(٧) في س : « الجدال » .

فعل ذلك رسول الله ﷺ أَنْحَزَلُوا^(١) فَاثْتَنَعُوا مِنَ الْمَلَاغِنَةِ، وِدَعُوا إِلَى الْمُصَالِحَةِ .

كالذي حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قال : ثنا جَرِيرٌ، عن مُغِيرَةَ، عن عامِرٍ، قال : فَأَمِرٌ - يعنى النبى ﷺ - بِمَلَاغِنَتِهِمْ - يعنى بِمَلَاغِنَةِ أَهْلِ نَجْرَانَ - بقوله : ﴿فَمَنْ حَاكَمَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الآية . فتَوَاعَدُوا أَنْ يُلَاعِنُوهُ، ووَاعَدُوهُ الْغَدَ، فَاثْتَنَعُوا إِلَى السَّيِّدِ وَالْعَاقِبِ، و^(٢) «كَانَا أَعْقَلَهُمْ^(٣) فَتَابَعَاهُمْ، فَاثْتَنَعُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ عَاقِلٍ، فَذَكَرُوا لَهُ مَا فَارَقُوا عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فقال : مَا صَنَعْتُمْ ! وَنَدَمْتُمْ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنْ كَانَ نَبِيًّا، ثُمَّ دَعَا عَلَيْكُمْ، لَا يُعْضِبُهُ اللَّهُ فِيكُمْ أَبَدًا، وَلَئِنْ كَانَ مَلِكًا، فَظَهَرَ عَلَيْكُمْ لَا يَسْتَبْقِيَكُمْ^(٤) أَبَدًا. قالوا : فكيف لنا وقد واعدنا ؟ فقال لهم : إذا غَدَوْتُمْ إِلَيْهِ، فَعَرِّضْ عَلَيْكُمْ الَّذِي فَارَقْتُمُوهُ عَلَيْهِ، فَقُولُوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ . فَإِنْ دَعَاكُمْ أَيْضًا، فَقُولُوا^(٥) : نَعُوذُ بِاللَّهِ . وَلَعَلَّهُ أَنْ يُعْفِيَكُمْ مِنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا غَدَوْا، غَدَا النَّبِيُّ ﷺ مُخْتَضِعًا حَسَنًا، آخِذًا بِيَدِ الْحُسَيْنِ، وَفَاطِمَةَ تُنْمِشِي خَلْفَهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الَّذِي فَارَقُوهُ عَلَيْهِ بِالْأَمْسِ، [١٧/٤١] فقالوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ . ثُمَّ دَعَاهُمْ، فَقَالُوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ . مِرَارًا، قَالَ : «إِنْ أُيِّتُمْ فَأَسْلِمُوا، وَلَكُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ أُيِّتُمْ فَأَعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ / ٣٠٠/٣ وَجَلَّ . قالوا : مَا تَمْلِكُ إِلَّا أَنْفُسُنَا . قَالَ : «إِنْ أُيِّتُمْ فَإِنِّي أَنْبِئُكُمْ عَلَى سِوَايَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . قالوا : مَا لَنَا طَاقَةٌ بِحَرْبِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ نُؤَدِّي الْجِزْيَةَ . قَالَ : فَجَعَلَ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفِي^(٥) حُلَّةً ؛ أَلْفًا فِي رَجَبٍ، وَأَلْفًا فِي صَفَرٍ . فَقَالَ

(١) فى س : «انجذبوا» .

(٢ - ٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «كان أعقلهما» ، وفى س : «كانا أعقلهما» .

(٣) فى ص ، ت ١ ، س : «يسبقنكم» .

(٤) بعده فى م : «له» .

(٥) فى س : «ألف ألف» .

النبي ﷺ : « لَقَدْ أَتَانِي الْبَشِيرُ بِهَلَكَةِ أَهْلِ نَجْرَانَ ، حَتَّى الطَّيْرُ عَلَى الشَّجَرِ - أَوْ الْعَصَافِيرُ عَلَى الشَّجَرِ - لَوْ تَمَّتُوا عَلَى الْمَلَاعِنَةِ »^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيذٌ ، قَالَ : فَقُلْتُ لِلْمَغِيرَةِ : إِنْ النَّاسَ يَزُؤُونَ فِي حَدِيثِ أَهْلِ نَجْرَانَ أَنْ عَلِيًّا كَانَ مَعَهُمْ^(٢) . فَقَالَ : أَمَا الشَّعْبِيُّ فَلَمْ يَذْكُرْهُ ، فَلَا أَذْرِي لَشُؤِّهِ رَأَى بَنِي أُمَيَّةَ فِي عَلِيٍّ ، أَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَدِيثِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةٌ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ : فدعاهم إلى التَّصْفِ^(٣) ، وقطع عنهم الحُجَّةَ ، فلما أتى رسولَ اللهِ ﷺ الخبرُ من اللهِ عنه ، والفصلُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وأمره بما أمره به من ملاحظتهم ،^(٤) « إِنْ رَدُّوا » عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، دَعْنَا نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ، ثُمَّ تَأْتِيكَ بِمَا^(٥) تُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ فِيمَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ . فَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ ، ثُمَّ حَلَّوْا بِالْعَاقِبِ ، وَكَانَ ذَارِئِهِمْ ، فقالوا : يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ ، مَا تَرَى ؟ قَالَ : وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى ، لَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا لَنَبِيِّ مَرْسَلٌ ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفَصْلِ مِنْ خَيْرِ صَاحِبِكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَاعَنَ قَوْمٌ نَبِيًّا قَطُّ ، فَبَقِيَ كِبِيرُهُمْ ، وَلَا نَبَتْ صَغِيرُهُمْ ، وَإِنَّهُ لَلِاسْتِثْصَالُ مِنْكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ أُبَيِّتُمْ إِلَّا إِلْفَ دِينِكُمْ ، وَالْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ فِي صَاحِبِكُمْ ، فَوَادِعُوا الرَّجُلَ ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا إِلَى بِلَادِكُمْ حَتَّى يُرِيَكُمْ زَمَنٌ رَأَيْتَهُ . فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ فقالوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، قَدْ رَأَيْنَا أَلَا نُلَاعِنُكَ ، وَأَنْ تَتْرُكَكَ عَلَى

(١) تقدم تخريجه في ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(٢) أى : كان مع النبي ﷺ وفاطمة والحسن والحسين ، كما سيأتى .

(٣) النصف ، الاسم من الإنصاف ، وهو أن تعطيه من الحق كالذى تستحقه لنفسك . التاج (ن ص ف) .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ : «أوردوا» ، وفى ت ١ ، س : «إذ ردوا» .

(٥) فى ص ، ت ٢ : «فما» .

دينك ، ونزج على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك تزواه لنا ، يحكم بيننا في أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضى^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عيسى بن فرقد ، عن أبي الجارود ، عن زيد بن علي في قوله : ﴿ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ الآية . قال : كان النبي ﷺ وعلي فاطمة والحسن والحسين .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ الآية ، فأخذ - يعنى النبي ﷺ - بيد الحسن والحسين وفاطمة ، وقال لعلي : « اتبعنا » . فخرج معهم ، فلم يخرج يومئذ النصارى ، وقالوا : إنا نخاف أن يكون هذا هو النبي^(٢) ، وليس دعوة النبي كغيرها . فتخلفوا عنه يومئذ ، فقال النبي ﷺ : « لو خرجوا لأحترقوا » . فصالحوه على صلح ، على أن له عليهم ثمانين ألفاً ، فما عجزت الدراهم ففي الغروض ؛ الحلة بأربعين ، وعلى أن له عليهم ثلاثاً وثلاثين درعاً ، وثلاثاً وثلاثين بعيراً ، وأربعة وثلاثين فرساً غازية كل سنة ، وأن رسول الله ﷺ ضامن لها حتى تؤدبها إليهم^(٣) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ دعا وفدًا من وفد نجران من النصارى ، وهم الذين حاجوه في عيسى ، فنكصوا عن ذلك ، وخافوا . / وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول : « والذي نفس ٣٠١/٣ محمد بيده ، إن كان العذاب لقد تدللى على أهل نجران ، ولو فعلوا لأستؤصلوا عن

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٨٣ ، ٥٨٤ .

(٢) بعده في النسخ : « صلى الله عليه وسلم » ، وليس في تفسير ابن أبي حاتم ، والنصارى أيضا لا تقوله .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٦٧ (٣٦١٨) من طريق أحمد بن المفضل به مختصراً .

جديد^(١) الأرض^(٢) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ . قال : بلغنا أن النبي ﷺ خرج ليُداعى^(٣) أهل نجران ، فلما رأوه خرج ، هابوا وفرقوا ، فرجعوا . قال معمر : قال قتادة : لما أراد النبي ﷺ أن يُباهل^(٤) أهل نجران أخذ بيد حسن وحسين ، وقال لفاطمة : « اتبعينا » . فلما رأى ذلك أعداء الله رجعوا^(٥) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لو خرج الذين يُباهلون النبي ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً^(٦) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا زكريا بن عدي ، قال : ثنا غبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثله^(٧) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسى بيده ، لو لاعتنوني ما حال الحول ويحضرتهم منهم أحدٌ إلا أهلك الله [٤١٧/١] الكاذبين » .

(١) جديد الأرض : وجهها . اللسان (ج د) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٢ إلى المصنف .

(٣) في م : « ليلاعن » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من تفسير عبد الرزاق .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٢ .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ ، ومن طريقه البخاري (٤٩٥٨) مختصراً ، والترمذي (٣٣٤٨) ، والنسائي في الكبرى (١١٦٨٥) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٨/٢ (٣٦٢٠) من طريق الحسن بن يحيى به .

(٧) في النسخ : « عن » ، وسيأتي على الصواب في ٥٩١/١٠ ، ٥٦١/١١ .

(٨) أخرجه البزار (٢١٨٩ - كشف) من طريق زكريا بن عدي به ، وأخرجه أحمد ٩٩/٤ (٢٢٢٦) ، =

حدّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن زيد ، قال : قيل لرسول الله ﷺ : لو لاعنت القوم ، بمن كنت تأتي حين قلت : ﴿ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ ؟ قال : « حسنٌ وحسينٌ » .

حدّثني محمد بن سنان ، قال : ثنا (١) أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا المنذر بن ثعلبة ، قال : ثنا علباء بن أحمر اليشكري ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ﴾ الآية . قال (٢) : أُرْسِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى (٣) عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَابْنَيْهِمَا (٤) الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ، وَدَعَا الْيَهُودَ لِثَلَاغَتِهِمْ ، فَقَالَ شَابٌّ مِنَ الْيَهُودِ : وَيَحْكُمُ ، أَلَيْسَ عَهْدُكُمْ بِالْأَمْسِ (٥) إِخْوَانِكُمُ الَّذِينَ مُسِيخُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرًا ! لَا تُلَاعِنُوا . فَانْتَهَوْا (٥) .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لأهل الكتاب ، وهم أهل التوراة والإنجيل : ﴿ تَعَالَوْا ﴾ : هَلُّمُوا ﴿ إِلَىٰ / كَلِمَةٍ سَوَّامٍ ﴾ . يعنى : إلى كلمة عدل ٣٠٢/٣

= والنسائي (١١٠٦١ - كبرى) ، وأبو يعلى (٢٦٠٤) من طريق عبيد الله به ، وأخرجه أحمد ٤/٩٨ (٢٢٢٥) من طريق عبد الكريم به .

(١ - ١) فى ص ، ت ١ : « أبو كريب » .

(٢) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣ - ٣) فى س : « فاطمة وابنها » .

(٤) بعده فى س : « من » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٩ ، ٤٠ إلى المصنف .

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَالْكَلِمَةُ الْعَدْلُ هِيَ أَنْ تُوحَّدَ ^(١) اللَّهُ فَلَا تَعْبُدَ ^(٢) غَيْرَهُ ، وَتَبْرَأَ ^(٣) مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ ، فَلَا تُشْرِكْ ^(٤) بِهِ شَيْئًا .

وقوله : ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ . يقول : وَلَا يَدِينُ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ بِالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ ، وَيُعَظِّمُهُ بِالسُّجُودِ لَهُ ، كَمَا يَشْجُدُ لِرَبِّهِ ، ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ . يقول : فَإِنْ أَعْرَضُوا عَمَّا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْكَلِمَةِ السَّوَاءِ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِدَعَائِهِمْ إِلَيْهَا ، فَلَمْ يُجِيبُواكَ إِلَيْهَا ، ﴿ فَقُولُوا ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ^(٥) لِلْمُتَوَلِّينَ عَنْ ذَلِكَ : ﴿ أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّوَابِلِ فِي مَنْ نَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَزَلَتْ فِي يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا حِوَالَى مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدٌ ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، قَالَ : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ دَعَا يَهُودَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى الْكَلِمَةِ السَّوَاءِ ، وَهُمْ الَّذِينَ حَاجُّوا فِي إِبْرَاهِيمَ ^(٦) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ دَعَا الْيَهُودَ إِلَى الْكَلِمَةِ السَّوَاءِ ^(٧) .

(١) فِي ص ، ت ، أ : « يُوْحَدُ » ، وَفِي س : « تُوْحَدُ » .

(٢) فِي ص ، ت ، أ : « يَعْْبُدُ » .

(٣) فِي ص : « تَتَبْرَأُ » ، وَفِي ت ، أ : « تَبْرَأُ » . وَفِي س : « تَبْرَأُ » .

(٤) فِي ت ، أ : « يَشْرِكُ » ، وَفِي س : « تُشْرِكُ » .

(٥) بَعْدَهُ فِي س : « فَقُولُوا » .

(٦) عَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٤٠/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

(٧) فِي ص ، م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « كَلِمَةٌ » .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ :
 بَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا يَهُودَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى ذَلِكَ ، فَأَتَوْا عَلَيْهِ ، فَجَاهَدَهُمْ . قَالَ :
 دَعَاهُمْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُلْ يَتَاهَلْ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ ﴾ الْآيَةَ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَل نَزَلَتْ فِي الْوَفْدِ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ
 الزبيرِ : ﴿ قُلْ يَتَاهَلْ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الْآيَةَ إِلَى قَوْلِهِ :
 ﴿ فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . قَالَ : فدعاهم إلى النَّصْفِ ، وقَطَعَ عَنْهُمْ
 الْحُجَّةَ . يعني وفدَ نَجْرَانَ ^(٢) .

حَدَّثَنَا موسى ، قَالَ : ثنا عمرو ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قَالَ : ثم دعاهم
 رسولُ اللَّهِ ﷺ - يعني الوفدَ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ - فَقَالَ : ﴿ يَتَاهَلْ الْكِتَابِ تَعَالَوْا
 إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الْآيَةَ ^(٣) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ زَيْدٍ ، قَالَ : قال - يعني
 جَلَّ ثَنَاؤُهُ - : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصُّ الْحَقُّ ﴾ فِي عَيْسَى - على ما قد بيَّناه فيما
 مَضَى ^(٤) - قَالَ : فَأَتَوْا - يعني الوفدَ مِنْ نَجْرَانَ - فَقَالَ : ادْعُهُمْ إِلَى أُيُسْرٍ مِنْ هَذَا ، قُلْ :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٩/٢ (٣٦٢٨) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج بنحوه .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٨٣/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٠/٢ (٣٦٣١) من طريق سلمة عن ابن إسحاق قوله .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٠/٢ إلى المصنف .

(٤) ينظر الأثر المتقدم في ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

﴿ يَأْهَلْ أَلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ﴾ . فقرأ حتى بلغ ﴿ آتِيَابَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ، فَأَبْوَا أَنْ يَقْبَلُوا هَذَا وَلَا الْآخَرَ .

وإنما قلنا : عني بقوله : ﴿ يَأْهَلْ أَلْكِتَابِ ﴾ أهل الكتابين ؛ لأنهما جميعاً من أهل الكتاب ، ولم يَخْصُصْ جَلٌّ ثناؤه بقوله : ﴿ يَأْهَلْ أَلْكِتَابِ ﴾ بعضاً دون بعض ، فليس بأن يكون مَوْجَّهًا ذلك إلى أنه / مقصودٌ به أهل التوراة بأولى منه بأن يكون مَوْجَّهًا إلى أنه مقصودٌ به أهل الإنجيل ، ولا أهل الإنجيل بأولى أن يكونوا مقصودين به دون غيرهم من أهل التوراة . وإذ لم يَكُنْ أحدُ الفريقين بذلك بأولى من الآخر ؛ لأنه لا دلالة على أنه المخصوصُ بذلك من الآخر ، ولا أثرٌ صحيح ، فالواجب أن يكون كلُّ كتابيٍّ معنيًا به ؛ لأن إفراذَ العبادةِ لله وحده ، وإخلاصَ التوحيدِ له ، واجبٌ على كلِّ مأمورٍ منهيٍّ ^(١) من خلقِ الله ، واسمُ ^(٢) أهلِ الكتابِ يلزمُ ^(٣) أهلَ التوراةِ وأهلَ الإنجيلِ ، فكان معلوماً بذلك أنه غنيٌّ به الفريقان جميعاً .

وأما تأويلُ قوله : ﴿ تَعَالَوْا ﴾ . فإنه : أَقْبِلُوا وَهَلُّمُوا . وإنما هو « تفاعلوا » ، من العلوِّ ، فكان القائلُ لصاحبه : تعال إليَّ . قائلٌ ^(٤) : تفاعل . من العلوِّ ، كما يقالُ : تَدَانَ منى . من الدُّنُوِّ ، وتَقَارَبَ منى . من القربِ .

وقوله : ﴿ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ ﴾ فإنها الكلمةُ العَدْلُ . والسواءُ من نعتِ « الكلمة » .

وقد اختلف أهل العربية في وجه إنباع ﴿ سَوَامٍ ﴾ في الإعرابِ « الكلمة » ،

(١) بعده في س : « عنه » .

(٢) سقط من : م ، وفي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س : « أنتم » ، وهو غير واضح في ت ٢ والصواب ما أثبتنا .

(٣) في م : « يعم » .

(٤) في م : « فإنه » ، وفي ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فإنك » .

وهو اسمٌ لا صفةٌ ؛ فقال بعضٌ نحويي البصرة : جُرَّ ﴿ سَوَاءٌ ﴾ ؛ لأنها من صفةِ الكلمةِ ، وهى العدلُ ، وأراد مُستَوِيَةً . قال : ولو أراد اشتواءَ كان النصبُ ، وإن شاء أن يجعلها على الاستواءِ وَيَجْرُ جاز ، وَيَجْعَلُهُ من صفةِ الكلمةِ ، مثل الخَلْقِ ؛ لأن الخلقَ هو المخلوقُ ، والخلقُ قد يكونُ صفةً واسماً ، وَيَجْعَلُ الاستواءَ مثل المُستَوِي ، قال عزٌّ وجلٌّ : [١/٤١٨] ﴿ الَّذِي جَعَلَنَّهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً أَلْعَكِيفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ [الحج : ٢٥] . لأن السَّوَاءَ لِلأَجْرِ ، وهو اسمٌ ليس بصفةٍ ، فيجْرَى على الأولِ ، وذلك إذا أراد به الاشتواءَ ، فإن أراد به مُستَوِيًا جاز أن يُجْرَى على الأولِ . والرفعُ فى ذا المعنى جيّدٌ ؛ لأنها لا تُعَيَّرُ عن حالِها ، ولا تُثَنَّى ، ولا تُجْمَعُ ، ولا تُؤنَّثُ ، فأشبهت الأسماءَ التى هى مثلُ عَدْلٍ ورضى وجُنُبٍ ، وما أشبهه . ذلك ، وقالوا - (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم)^(١) - : فالسواءُ للمَحْيَا ، والمماتُ بهذا^(٢) المبتدأ .

وإن شئتُ أجزئته على الأولِ ، وجعلته صفةً مُقدَّمةً ، كأنها من سببِ الأولِ ، فجزت عليه ، وذلك إذا جعلته فى معنى مُستَوِي . والرفعُ وجهُ الكلامِ كما فسرتُ لك .

وقال بعضٌ نحويي الكوفة : ﴿ سَوَاءٌ ﴾ : مصدرٌ وُضِعَ مَوْضِعَ الفعلِ^(٣) ، يعنى موضعٌ مُتساويةٌ ومتساوٍ ؛ فمرةً يأتى على الفعلِ ، ومرةً على المصدرِ ، وقد يقالُ فى ﴿ سَوَاءٌ ﴾ بمعنى عَدْلٍ : سَوَى وسَوَى . كما قال جل ثناؤه : ﴿ مَكَانًا سَوَى ﴾ [طه : ٥٨] . وسَوَى يُرادُ به عَدْلٌ ونَصَفٌ بيننا وبينك . وقد روى عن ابنِ مسعودٍ أنه كان

(١) تأتى هذه القراءة عند تفسير الآية ٢١ من سورة الجاثية .

(٢) فى س : « فهذا » .

(٣) يعنى بالفعل هنا الوصف المشتق مثل فاعل ومفعول . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص ٥٢ .

يَقْرَأُ ذَلِكَ : (إِلَى كَلِمَةٍ عَدْلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) ^(١) .

وبمثل الذي قلنا في تأويل قوله : ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ ^(٢) وأن السواء هو العدل ، قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ : عَدْلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ الآية ^(٣) .

حدثني المثنى : قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿قُلْ / يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ . بمثله ^(٤) . ٣٠٤/٣

وقال آخرون : هو قول لا إله إلا الله .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : قال أبو العالية : كلمة السواء لا إله إلا الله ^(٥) .

(١) هذا قول الفراء في معاني القرآن ٢٢٠/١ ونسب هذه القراءة إلى ابن مسعود . وينظر المحرر الوجيز ٤٥٤/٢ .

(٢) - ٢) في م : «بأن» ، وفي ت ١ ، س : «فإن» .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٠/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) في ص ، ت ١ : «الآية» .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٠/٢ ٣٦٣٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٩/٢ ٣٦٢٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

وأما قوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾ . فإن «أن» في موضعٍ خفضٍ ، على معنى : تعالوا إلى ألا نعبد إلا الله .

وقد بيننا معنى «العبادة» في كلام العرب فيما مضى ، ودللنا على الصحيح من معانيه بما أغنى عن إعادته^(١) .

وأما قوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ . فإن اتخاذه بعضهم بعضاً^(٢) ما كان بطاعة الأتباع الرؤساء فيما أمرهم به من معاصي الله ، وتزكيتهم ما نهوهم عنه من طاعة الله ، كما قال جل ثناؤه: ﴿اتَّخِذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرَبَّهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة : ٣١] .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ، يقول : لا يطع بعضهم بعضاً في معصية الله ، ويقال : إن تلك الربوبية أن يطيع الناس سادتهم وقادتهم في غير عبادة ، وإن لم يصلوا لهم^(٣) .

وقال آخرون : اتخاذه بعضهم بعضاً أرباباً سجوداً بعضهم لبعض .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا حفص بن عمر^(٤) ، عن الحكم بن

(١) ينظر ما تقدم في ١/١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) بعده في م : «هو» .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٤٠ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٧٠ (٣٦٣٤) من طريق ابن ثور عن ابن جريج مقتصرًا على آخره . .

(٤) في س : «عمرو» .

أبان ، عن عكرمة في قوله : ﴿ وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . قال :
سجود بعضهم لبعض^(١) .

وأما قوله : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ أُشْهِدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . فإنه يعنى : فإن
تولَّى الذين تدعونهم إلى الكلمة السواء عنها وكفروا ، فقولوا أنتم أيها المؤمنون لهم :
اشهدوا علينا بأننا بما توليتم عنه ؛ من توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، وأنه الإله
الذى لا شريك له ، ﴿ مُسْلِمُونَ ﴾ ، يعنى : خاضعون لله به ، متذللون له بالإقرار
بذلك ، بقلوبنا وألسنتنا .

وقد بينا معنى « الإسلام » فيما مضى ، ودلنا عليه بما أغنى عن إعادته^(٢) .
القول في تأويل قوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ
التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٥) .

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ : يا أهل التوراة
والإنجيل . ﴿ لِمَ تُحَاجُّونَ ﴾ : لم تجادلون ﴿ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، وتخاصمون فيه ؟
يعنى : فى إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه .

وكان / حجاجهم فيه ادعاء كل فريق من أهل هذين الكتابين أنه كان منهم ،
وأنه كان يدين دين أهل نخلته^(٣) ، فعابهم الله عز وجل بأدعائهم ذلك ، ودل على
مناقضتهم ودعواهم ، فقال : وكيف تدعون أنه كان على ملتكم ودينكم ،
و^(٤) دينكم إما يهودية [١/٤١٨ظ] أو نصرانية ، واليهودى منكم يزعم أن دينه إقامة

٣٠٥/٣

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٠/٢ (٣٦٣٥) من طريق حفص بن عمر به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٤٣٢/٢ .

(٣) فى س : « ملته » .

(٤) بعده فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أما » ، وبعده فى س : « ما » .

التوراة والعمل بما فيها ، والنصراني منكم يزعم أن دينه إقامة الإنجيل وما فيه ، وهذا^(١) كتابان لم يترزلا إلا بعد حين من مهلك إبراهيم ووفاته ، فكيف يكون منكم^(٢) ؟ فما^(٣) وجه اختصاصكم فيه ، وادعائكم أنه منكم ، والأمر فيه على ما قد علمتم ؟

وقيل : نزلت هذه الآية في اختصاص اليهود والنصارى في إبراهيم ، وادعاء كل فريق منهم أنه كان منهم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، قال : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةٌ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبيرة ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله ﷺ ، فتنازعوا عنده ، فقالت الأخبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديًا . وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا . فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . قالت النصارى : كان نصرانيًا . وقالت اليهود : كان يهوديًا . فأخبرهم الله أن التوراة والإنجيل^(٤) إنما أنزلا^(٥) من بعده ، وبعده كانت اليهودية والنصرانية^(٥) .

(١) في ص ، ت ١ : « هذا » .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « منهم » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أما » .

(٤ - ٤) في م : « ما أنزلا إلا » .

(٥) سيرة ابن هشام ١/٥٥٣ ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/٣٨٤ من طريق يونس بن بكير به بأطول مما هنا .

(تفسير الطبري ٣١/٥)

حدثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادة قوله : ﴿ يَتَأَهَّلَ
 الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ . يقول : لم تُحَاجُّوْنَ في إبراهيم وتزعمون أنه
 كان يهوديًا أو نصرانيًا ، ﴿ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ -
 فكانت اليهودية بعد التوراة ، وكانت النصرانية بعد الإنجيل - ﴿ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) ؟

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في دعوى اليهود إبراهيم أنه منهم .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادة ، قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ
 اللَّهِ ﷺ دَعَا يَهُودَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى كَلِمَةِ السَّوَاءِ ، وَهُمْ الَّذِينَ حَاجُّوا فِي
 إِبْرَاهِيمَ ، ' وَزَعَمُوا أَنَّهُ مَاتَ ' يَهُودِيًّا ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَنَفَاهُمْ مِنْهُ ،
 فَقَالَ : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ
 إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن
 الربيع مثله ^(٤) .

حدثني محمد بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ،
 عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّوْنَ فِي ﴾

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤٥٦/٢ ، والبحر المحيط ٤٨٢/٢ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ . قال : اليهود^(١) ، برآه^(٢) الله عزَّ وجلَّ منهم^(٣) حين ادَّعى كلُّ أمةٍ أنه منهم ، وألحق به المؤمن من كان من أهل الحنيفية^(٤) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مُجاهدٍ مثله .

306/3 /وأما قوله : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ . فإنه يعنى : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ : أفلا^(٥) تفقهون^(٦) خطأ قبلكم : إن إبراهيم كان يهوديًا أو نصرانيًا ، وقد علمتم أن اليهودية والنصرانية حدثت من بعد مهلكه بحين ؟

القول فى تأويل قوله : ﴿هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءَ حُجَجَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ها أنتم^(٧) القوم الذين خاصمتم وجادلتم ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ من أمر دينكم الذى وجدتموه فى كتبكم ، وأتكم به رسل الله من عنده ، ومن غير ذلك مما أوتيتموه وثبتت عندكم صحته ، ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ﴾ يقول : فلم تجادلون وتخاصمون ﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ ، يعنى : فى^(٨) الذى لا علم

(١) بعده فى م ، ومصدرى التخريج : « والنصارى » . والمصنف إنما ذكر هذا الأثر والأثر قبله فى ذكر من قال : إن الآية نزلت فى اليهود ، وعلى إثباتها لا يكون فرق بين هذا القول والقول قبله .

(٢) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « برأهم » .

(٣) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « منه » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧١/٢ (٣٦٣٨) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، س .

(٦) سقط من : س ، وفى ص : « تفقهون » .

(٧) بعده فى م : « هؤلاء » .

(٨) سقط من : م .

القول في تأويل قوله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦٧).

وهذا تكذيب من الله عز وجل [٤١٩/١] دَعَوَى الَّذِينَ جَادَلُوا فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَلَّتِيهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَأَدْعَوَانَهُ كَانَ عَلَى مِلَّتِهِمْ ، وَتَبَرُّتُهُ^(١) لَهُمْ مِنْهُ ، وَأَنَّهُمْ لَدِينِهِ مُخَالِفُونَ ، وَقَضَاءُ مِنْهُ^(٢) عَزَّ وَجَلَّ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَلِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ دِينِهِ ، وَعَلَى مِثْهَاجِهِ وَشَرَائِعِهِ ، دُونَ سَائِرِ أَهْلِ الْمَلَلِ وَالْأَدْيَانِ غَيْرِهِمْ .

يقول الله عز وجل: ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا، ولا^(٣) كان من المشركين الذين يعبدون الأوثان والأصنام، أو^(٤) مخلوقًا دون خالقه الذي هو إله الخلق / وبارئهم، ﴿ وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا ﴾ . يعني: مَتَّبِعًا أَمْرَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ ، مُسْتَقِيمًا ٣٠٧/٣ على محجة الهدى التي أمر^(٥) بلزومها، ﴿ مُسْلِمًا ﴾ . يعني: خَاشِعًا لِلَّهِ بِقَلْبِهِ ، مُتَذَلِّلًا لَهُ بِجَوَارِحِهِ ، مُذْعِنًا لِمَا فَرَضَ عَلَيْهِ وَأَلْزَمَهُ مِنْ أَحْكَامِهِ .

وقد بينا اختلاف أهل التأويل في معنى الحنيف فيما مضى ، ودلّلنا على القول الذي هو أولى بالصحة من أقوالهم ، بما أغنى عن إعادته^(٦) في هذا الموضع^(٧) .

وبنحو ما قلنا في ذلك من التأويل قال أهل التأويل .

(١) في ص ، ت ، ١ ، س : « تنزيه » . وكتب فوقها في ص : « ط » .

(٢) في س : « لله » .

(٣) في م ، ت ، ١ ، س : « لكن كان حنيفا مسلما وما » .

(٤) في ص ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أن » .

(٥) بعده في ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « الله » .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، س . وينظر ما تقدم في ٥٩١/٢ - ٥٩٤ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ شَاهِينَ الْوَاسِطِيُّ ، قَالَ : ثنا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ دَاوُدَ ، عَنْ عَامِرٍ ، قَالَ : قَالَتِ الْيَهُودُ : إِبْرَاهِيمُ عَلَى دِينِنَا . وَقَالَتِ النَّصَارَى : هُوَ عَلَى دِينِنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ الْآيَةَ . فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ ، وَأَذْحَضَ حُجَّتَهُمْ . يَعْنِي الْيَهُودَ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ مَاتَ يَهُودِيًّا ^(١) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يَعْقُوبُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّهْرِيُّ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - لَا أَرَاهُ إِلَّا يُحَدِّثُهُ عَنْ أَبِيهِ - أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ وَيَتَّبِعُهُ ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ الْيَهُودِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ ، وَقَالَ : إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أُدِينَ دِينَكُمْ ، فَأَخْبِرْنِي عَنْ دِينِكُمْ . فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ : إِنَّكَ لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِييِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ . قَالَ زَيْدٌ : مَا أَفْرَأُ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا ، وَأَنَا ^(٣) أَسْتَطِيعُ ، فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى دِينٍ لَيْسَ فِيهِ هَذَا ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ^(٤) حَنِيفًا . قَالَ : وَمَا الْحَنِيفُ ؟ قَالَ : دِينُ إِبْرَاهِيمَ ، لَمْ يَكُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ، وَكَانَ لَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ . فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى ، فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ ،

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٣/٢ (٣٦٤٩) من طريق ابن أبي جعفر به من قول أبي العالية .

(٣) بعده في م ، ت ١ ، س : « لا » .

(٤) في م ، ت ١ : « تكون » ..

فقال : إني لعلّي أن أدينَ دينكم ، فأخبروني عن دينكم . قال : إنك لن تكونَ على ديننا حتى تأخذَ بنصيبك من لعنةِ الله . قال : لا أحتملُ من لعنةِ الله شيئاً ، ولا من غضبِ الله شيئاً أبداً ، وأنا ^(١) أستطيعُ ، فهل تدلّني على دينٍ ليس فيه هذا ؟ فقال له ^(٢) نحو ما قاله اليهوديُّ : لا أعلمه إلا أن يكونَ ^(٣) حنيفاً . فخرج من عندهم ^(٤) وقد رضى الذى أخبراه والذى اتّفقا عليه من شأنِ إبراهيمَ ، ^(٥) فلم يزلُ رافعاً يديه إلى الله ، وقال : اللهم إني أشهدك أنى على دين إبراهيمَ . ^(٦)

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤه بقوله : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ﴾ : إن أحقّ الناس بإبراهيمَ ونُصرتَه وولايته ، ﴿ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ ، يعنى : الذين سلّكوا طريقه ومنهاجه ، فوحدوا الله مخلصين له الدين ، وسئوا سنتَه ^(٧) ، وشرّعوا شرائعه ، وكانوا لله خُنفاءً

(١) بعده فى م ، ت ، ١ ، س : « لا » .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « نحو ما » ، وفى م : « نحو ما » .

(٣) فى م ، ت ، ١ : « تكون » .

(٤) فى م : « عنده » .

(٥ - ٥) فى صحيح البخارى : « فلما برز رفع يديه » . وفى تاريخ دمشق : « فلما توفى رفع يديه » .

(٦) أخرجه البخارى (٣٨٢٧) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥٠٣/١٩ من طريق موسى بن عقبة به .

وبعده فى ص : « يتلوه القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . والحمد لله على (!؟) محمد وآله وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم ، رب يسر ، أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان ، قال : حدثنا محمد بن

جرير الطبرى .

وبعده فى ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان ، قال :

حدثنا محمد بن جرير الطبرى » ويظهر من هذا أن الراوى للقسم المقبل من التفسير رجل آخر غير أبى محمد

الفرغانى وينظر ترجمتهما فى ٣٧/١ ، ٣٩ من المقدمة .

(٧) فى م : « سنته » .

مسلمين ، غير مشركين به ، ﴿ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ يعني محمداً ﷺ ، ﴿ وَالَّذِينَ ﴾ ٣٠٨/٣
 ءَامَنُوا ﴾ ، / يعني : والذين صدقوا محمداً وبما جاءهم به من عند الله ، ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ ﴾
 الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، يقول : والله ناصر المؤمنين بمحمد ، المصدقين له في نبوته وفيما
 جاءهم ^(١) به من عنده ، على من خالفهم من أهل الملل والأديان .
 وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾
 النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ . يقول : الذين اتبعوه على ملته وسنته ومنهاجه
 وفطرته ، ﴿ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ وهو نبي الله محمد ، ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ معه ، وهم
 المؤمنون الذين صدقوا نبي الله واتبعوه . كان محمد رسول الله ﷺ والذين معه من
 المؤمنين أولى الناس بإبراهيم ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
 الربيع مثله ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَجَابِرُ بْنُ الْكُرْدِيِّ وَالْحَسَنُ بْنُ أَبِي يَحْيَى الْمَقْدِسِيُّ ،
 قَالُوا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن
 عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ لَكُلِّ نَبِيٍّ وُلَاةٌ مِنَ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ

(١) في س : « جاء » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٧٤ ، ٦٧٥ (٣٦٥٨ ، ٣٦٥٩ ، ٣٦٦١) من طريق ابن أبي جعفر

وَالَّذِينَ [٤١٩/١] مِنْهُمْ أُمِّيٌّ وَخَلِيلٌ رَبِّي . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِذْرِهِمْ لِلَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) .

حدَّثنا ابنُ المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو نُعيمٍ الفضلُ بنُ دُكينٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن
أبيه ، عن أبي الضُّحَى ، عن عبدِ اللهِ ، أَرَاهُ قالَ : عن النبيِّ ﷺ . فذكر نحوه (٣) .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنا مُعاويةُ بنُ صالحٍ ، عن
عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ : يقولُ اللهُ سبحانه : ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِذْرِهِمْ لِلَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ﴾ وهم المؤمنون (٤) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا
يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥) .

يعنى بقوله جلَّ ثناؤه : ﴿وَدَّتْ﴾ : تَمَنَّتْ ، ﴿طَائِفَةٌ﴾ : جماعَةٌ ،
﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ، وهم أهلُ التوراةِ مِنَ اليهودِ ، وأهلُ الإنجيلِ مِنَ النصارى ،
﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ ، يقولُ : لو يُضِدُّونكم أيُّها المؤمنونَ عن الإسلامِ ، ويُرِدُّونكم عنه
إلى ما هم عليه مِنَ الكفرِ ، فيُهْلِكونكم بذلكِ .

والإضلالُ في هذا الموضعِ الإهلاكُ ، مِنْ قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿وَقَالُوا آءِذَا

(١) بعده في س : « بكر » .

(٢) أخرجه البزار في مسنده (١٩٧٣) عن محمد بن المثني به ، وأخرجه الترمذى (٢٩٩٥) ،
والطحاوى في مشكل الآثار (١٠٠٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق حكيمت بشير ياسين) ٣٢٦/٢ ،
٣٢٧ (٧٣١) ٣٢٦/٢ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢١/٦ من طريق أبي أحمد به ، وأخرجه
الحاكم ٢٩٢/٢ ، ٥٥٣ من طريق سفيان به .

(٣) أخرجه الترمذى عقب (٢٩٩٥) من طريق أبي نعيم به ، وأخرجه أحمد ٣٤٨/٦ (٣٨٠٠) ١٦٧/٧ ،
(٤٠٨٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٤/٢ (٣٦٥٦) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٧٩ ، وابن
عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢١/٦ من طريق سفيان به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٧٤/٢ (٣٦٥٧) ، من طريق عبد الله بن صالح به .

صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَعْنَاءَ لِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿ [السجدة : ١٠] . يعنى : إذا هلكنا . ومنه قولُ
الأخطلِ فى هجاءِ جرير^(١) :

كنتَ القَدَى فى موجِ أكدرَ مُزِيدِ قذِفَ الأتْيى به فضلٌ ضلَّالاً
يعنى : هلكَ هلاكاً . وقولُ نابغةِ بنى ذُيَّان^(٢) :

/ فآبَ مُضِلُّوه بعَيْنِ جَلِيَّةِ^(٣) وعودِ بالجولانِ^(٤) حزمٌ ونائلُ
يعنى : مُهْلِكوه .

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ : وما يُهْلِكون - بما يَفْعَلون مِن محاولتِهِم
صدَّكم عن دينِكُم - أحدًا غيرَ أنفُسِهِم . يعنى بـ ﴿ أَنْفُسَهُمْ ﴾ تَبَاعَهُمْ^(٥) وأشياءَهُم
على ملتِهِم وأديانِهِم . وإنما أهلكوا أنفُسَهُم وتَبَاعَهُمْ^(٥) بما حاولوا مِن ذلك ؛
لاشْتِيحايهِم مِن اللّهِ بفعلِهِم ذلك سَخَطَهُ ، واشتِحقاقِهِم به غضبَهُ ولعنتَهُ ؛ لكفرِهِم
باللّهِ ، ونقضِهِم الميثاقَ الذى أَخَذَ اللّهُ^(٦) عليهم فى كتابِهِم ، فى اتِّباعِ محمدٍ ﷺ
وتصديقِهِ ، والإقرارِ بنبوّتِهِ . ثم أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُم أَنَّهُم يَفْعَلون ما يَفْعَلون ، مِن
مُحاولةِ صدِّ المؤمنين عن الهدى إلى الضلالةِ والرّدَى ، على جهلِ منهم بما اللّهُ بهم
مُجَلِّ مِن عقوبتِهِ ، ومُدْخِرٍ لَهُم مِن أليمِ عذابِهِ ، فقال تعالى ذِكرُهُ : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾
أنَّهُم لا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُم ،^(٧) فى محاولتِهِم^(٧) إضلالِكُم أيُّها المؤمنون .

(١) تقدم تخريجه فى ٤١٦/٢ .

(٢) ديوانه ص ١١٩ .

(٣) جلية الأمر : حقيقته . اللسان (ج ل ي) والبيت فيه .

(٤) الجولان : جبل من نواحي دمشق ، من عمل حوران . معجم البلدان ١٥٩/٢ .

(٥) فى م : « أتباعهم » .

(٦) سقط من : ص ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧ - ٧) فى م : « بمحاولتهم » .

ومعنى قوله : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ : وما يذرون ولا يعلمون .

وقد بيّنا تأويل ذلك بشواهد في غير^(١) هذا الموضع ، فأغنى ذلك عن إعادته^(٢) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يَتَّاهَلُ الْكِنْبِ لِمَ تَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ يَتَّاهَلُ الْكِنْبِ ﴾ ، من اليهود والنصارى ، ﴿ لِمَ تَكْفُرُونَ ﴾ . يقول : لم تجحدون ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ . يعنى : بما فى كتاب الله الذى أنزله إليكم على ألسن أنبيائكم من آيه وأدليته . ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ أنه حق من عند ربكم !

وإنما هذا من الله عز وجل توبيخ لأهل الكتابين على كفرهم بمحمد ﷺ ومجحدوهم نبوته ، وهم يجدونه فى كتبهم ، مع شهادتهم أن ما فى كتبهم حق ، وأنه من عند الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ يَتَّاهَلُ الْكِنْبِ لِمَ تَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ . يقول : تشهدون أن نعت محمد نبي الله ﷺ فى كتابكم ، ثم تكفرون به وتتكفرونه ولا تؤمنون به ، وأنتم تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل ، النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته^(٣) .

(١) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ =

حدَّثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكَيْتَبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ . يقول : تَشْهَدُونَ أن نعتَ محمدٍ في كتابِكُم ، ثم تَكْفُرُونَ به ولا تُؤْمِنُونَ به ، وأنتم تَجِدُونَهُ عندَكُم في التوراة والإنجيل ؛ النبيُّ الأُمِّيُّ ^(١) .

حدَّثني محمدٌ ، قال : ثنا أحمدٌ ، قال : ثنا أسباطٌ ، عن الشدِّي : ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكَيْتَبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ : آياتُ اللَّهِ : محمدٌ ، وأما ﴿ تَشْهَدُونَ ﴾ : فيشْهَدُونَ ^(٢) أنه الحقُّ يَجِدُونَهُ ^(٣) مكتوبًا عندهم ^(٤) .

/ « حدَّثنا القاسمُ ، قال ^(٥) : حدَّثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قوله : ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكَيْتَبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ أن الدينَ عندَ اللَّهِ الإسلامُ ، ليس لله دينٌ غيرُهُ ^(٦) .

٣١٠/٣

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكَيْتَبِ لِمَ تَلْسُوتُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ .

يعنى بذلك جُلُّ ثناءؤه : يا أهلَ التوراة والإنجيلِ ، ﴿ لِمَ تَلْسُوتُ ﴾ . يقول : لِمَ تَخْلِطُونَ ﴿ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ . وكان خَلَطَهُمُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ إظهارَهُمُ بِالسُّتِهِمُ مِنْ

= والإنجيل ﴿ الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

والأثر عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٦/٢ ، ٦٧٧ (٣٦٦٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) في ت ١ ، س ، وتفسير ابن أبي حاتم : « فتشهدون » .

(٣) في ت ١ ، س : « تجدونه » .

(٤) في س : « عندهم » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٦/٢ (٣٦٦٦ ، ٣٦٦٨) من طريق أحمد به .

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، وتقدم هذا الإسناد كثيرًا ، وسيأتي على الصواب بعد قليل .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٧/٢ (٣٦٧٢) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج .

التصديقِ بمحمدٍ ﷺ وما جاء به من عند الله ، غير الذي في قلوبهم من اليهودية والنصرانية .

كما حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال عبدُ الله بنُ الصَّيْفِ ، وعدِيُّ بنُ زيدٍ ، والحارثُ بنُ عوفٍ ، بعضهم لبعضٍ : تعالوا [١/٤٢٠] نؤمنُ بما أنزلَ على محمدٍ وأصحابه عُذوةً ، ونكفُرُ به عشيَّةً ، حتى نلبسَ عليهم دينهم ، لعلهم يصنعون كما نصنعُ ، فيزجِعُوا عن دينهم . فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ فيهم : ﴿ يَأْهَلْ أَلِكْتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴾^(١) .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ يَأْهَلْ أَلِكْتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ . يقولُ : لِمَ تَلْبِسُونَ اليهوديةَ والنصرانيةَ بالإسلامِ ، وقد علمتمُ أن دينَ اللهِ الذي لا يقبلُ غيره الإسلامُ ، ولا يجزى إلا به^(٢) .

حدثني المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بمثله ، إلا أنه قال : الذي لا يقبلُ من أحدٍ غيره الإسلامُ . ولم يقل^(٣) : ولا يجزى^(٤) إلا به^(٤) .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ قوله :

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٥٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٧٧ ، ٦٧٨ (٣٦٧٥) من طريق سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد قوله . وعزاه السيوطي أيضا في الدر المنثور ٢/٤٢ إلى ابن إسحاق وابن المنذر ، وفيه : عبد الله بن الضيف . بالضاد المعجمة ، وهو رواية في اسمه .

(٢) في ص ، ت ، ١ : « للذي » ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٤٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يقبل » .

(٤ - ٤) في ص : « الآية » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٧٧ (٣٦٧٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

﴿يَأْهَلْ أَلْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ : الإسلام باليهودية والنصرانية^(١) .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابن زيد فى قول الله عز وجل : ﴿لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ . قال : الحق : التوراة التى أنزل الله على موسى ، والباطل : الذى كتبوه بأيديهم^(٢) .

قال أبو جعفر : وقد بيّنا معنى « اللبس » فيما مضى بما أغنى عن إعادته^(٣) .

القول فى تأويل قوله : ﴿وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤) .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : ولم تكفموا يا أهل الكتاب الحق ؟ والحق الذى كتبوه : ما فى كتبهم من نعت محمد ﷺ ومبعثه ونبوته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ : كتبوا شأن محمد وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر^(٥) .

/ حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ . يقول : يكفموا شأن محمد ﷺ ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر^(٥) .

٣١١/٣

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٤٦٣/٢ .

(٢) المصدر السابق ٣٦٢/٢ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٦٠٥/١ - ٦٠٧ .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٨/٢ عقب الأثر (٣٦٧٦) معلقاً .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٨/٢ عقب الأثر (٣٦٧٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

حدَّثني القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ ﴾ : الإسلامُ ، وأمرَ محمدٍ ﷺ ، ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأن الدينَ الإسلامُ ^(١) .

وأما قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . فإنه يعنى به : وأنتم تعلمون أن الذى تكفّمونه من الحقِّ حقٌّ ، وأنه من عندِ اللَّهِ .

وهذا القولُ من اللَّهِ عزَّ وجلَّ خبرٌ عن تَعَمُّدِ أهلِ الكتابِ الكفرَ به ، وكتمانهم ما قد عِلِموا من نبوةِ محمدٍ ﷺ ووجدوه فى كتبهم ، وجاءتهم به أنبياءُهم .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ءَاخِرُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى صفةِ المعنى الذى أمرت به هذه الطائفةُ من أمرت به ، من الإيمانِ وَجَهَ النَّهَارِ وكفري ^(٢) آخره ؛ فقال بعضهم : كان ذلك أمرًا منهم إياهم بتصديقِ النبىِّ ﷺ فى نبوته ، وما جاء به من عندِ اللَّهِ ، وأنه حقٌّ فى الظاهرِ ، من غيرِ تصديقه فى ذلك بالعزمِ واعتقادِ القلوبِ على ذلك ، وبالكفرِ به ، وجُحودِ ذلك كله فى آخره .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة فى قوله : ﴿ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ءَاخِرُهُمْ ﴾ . فقال بعضهم لبعضٍ : أعطوهم الرضا بدينهم أولَ النهارِ ، واكفروا آخره ، فإنه أجددُ

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/٤٦٣ .

(٢) فى م : « الكفر » .

أَنْ يُصَدِّقُواكُمْ ، وَيَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمْ فِيهِمْ مَا تَكْرَهُونَ ، وَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ يَزِجُوا عَنْ دِينِهِمْ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ ، قَالَ : ثنا خَالِدٌ ، عَنْ حُصَيْنٍ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرُهُ ﴾ .
قَالَ : قَالَتِ الْيَهُودُ : ءَامِنُوا مَعَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ ، وَكُفِّرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَزِجُونَ مَعَكُمْ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاهُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ : ﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَزِجُونَ ﴾ : كَانَ أَحْبَابُ قُرَى عَرَبِيَّةٍ ^(٣) اثْنَيْ عَشَرَ حَبْرًا ، فَقَالُوا لِبَعْضِهِمْ : ادْخُلُوا فِي دِينِ مُحَمَّدٍ أَوَّلَ النَّهَارِ وَقُولُوا : نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا حَقٌّ صَادِقٌ . فَإِذَا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ فَكُفِّرُوا وَقُولُوا : إِنَّا رَجَعْنَا إِلَىٰ عِلْمَائِنَا وَأَحْبَابِنَا فَسَأَلْنَاهُمْ ، فَحَدَّثُونَا أَنَّ مُحَمَّدًا كَاذِبٌ ، وَأَنْكُمْ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ، وَقَدْ رَجَعْنَا إِلَىٰ دِينِنَا فَهُوَ أَعْجَبُ إِلَيْنَا مِنْ / دِينِكُمْ . لَعَلَّهُمْ يَشْكُونَ ؛ يَقُولُونَ : هَؤُلَاءِ كَانُوا مَعَنَا أَوَّلَ النَّهَارِ ، فَمَا بِالْهَمِّ ؟ فَأُخْبِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ بِذَلِكَ ^(٤) .

٣١٢/٣

حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ حُصَيْنٍ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْغِفَارِيِّ ، قَالَ : قَالَتِ الْيَهُودُ لِبَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ : أَتَسْلِمُوا أَوَّلَ النَّهَارِ وَارْتَدُّوا آخِرَهُ

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٣ ، بأطول منه ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٩/٢ (٣٦٨٢) عن الحسن به ببعضه .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٢ - تفسير) عن خالد به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٩/٢ (٣٦٨١) من طريق السدي ، عن أبي مالك نحوه .

(٣) قرى عربية : قرى بالحجاز معروفة . معجم ما استعجم ٩٢٩/٣ ، ٩٣٠ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٤٢ ، ٤٣ إلى المصنف . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق حكمت بشير ياسين) ٢/ ٣٣٧ (٧٦٤) من طريق أحمد بن الفضل به . قال : كان أحبار قرى عربية اثني عشر حبرًا .

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . فَأَطَاعَ اللَّهُ [١/٤٢٠ظ] عَلَى سِرِّهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكَتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

وقال آخرون : بل الذي أَمَرْتُ^(١) به مِنَ الْإِيمَانِ الصَّلَاةِ ، وَحُضُورِهَا مَعَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ ، وَبَتْرِكِ^(٢) ذَلِكَ آخِرَهُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ : يَهُودٌ تَقُولُهُ ، صَلَّتْ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَاةَ الصُّبْحِ ، وَكَفَرُوا آخِرَ النَّهَارِ ؛ مَكْرًا مِنْهُمْ ، لِيُرِيُوا النَّاسَ أَنَّ قَدْ بَدَّتْ لَهُمْ مِنْهُ الضَّلَالَةُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا اتَّبَعُوهُ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ بِمِثْلِهِ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكَتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ الْآيَةِ : وَذَلِكَ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا : إِذَا لَقِيتُمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوَّلَ النَّهَارِ فَأَمِنُوا ، وَإِذَا كَانَ آخِرَهُ فَصَلُّوا صَلَاتِكُمْ ، لَعَلَّهُمْ يَقُولُونَ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْكِتَابِ ، وَهُمْ أَعْلَمُ مِنَّا . لَعَلَّهُمْ يَنْقَلِبُونَ عَنْ دِينِهِمْ ، وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ^(٤) .

(١) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أَمَرْتَهُ » .

(٢) فِي م ، س : « تَرَكَ » ، وَفِي ت ٢ : « نَتَرَكَ » .

(٣) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ ص ٢٥٣ ، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٧٩/٢ (٣٦٨٤) .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٨٠/٢ (٣٦٨٦ ، ٣٦٨٩) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ بِهِ دُونَ قَوْلِهِ : =

فتأويل الكلام إذن : ﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ . يعنى : من اليهود الذين يقرءون التوراة : ﴿ ءَامِنُوا ﴾ : صدقوا ، ﴿ بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ، وذلك ما جاءهم به محمد ﷺ من الدين الحق وشرائعه وسننه ، ﴿ وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ . يعنى : أول النهار .

وسمى أوله وجهاله ؛ لأنه أحسنه ، وأول ما يؤاوجه الناظر فيراه منه ، كما يقال لأول الثوب : وجهه . وكما قال ربيع بن زياد^(١) :

مَنْ كَانَ مَشْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ
وَبِنَحْوِ الذِّى قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ جَمَاعَةٌ مِّنْ أَهْلِ التَّوْبِيلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

٣١٣/٣ / حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ : أول النهار^(٢) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ : أول النهار ، ﴿ وَأَكْفُرُوا ءَاخِرُهُ ﴾ . يقول : آخر النهار^(٣) .

حدَّثَنَا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن

= ﴿ وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ .

(١) البيت فى مجاز القرآن ٩٧/١ ، وحماسة أبى تمام ٤٩٤/١ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٩/٢ عقب الأثر (٣٦٨٣) من طريق ابن أبى جعفر به بنحوه مقتصرًا

على الجزء الأول ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٢ إلى المصنف .

مُجَاهِدٍ : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجِهَ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا ءَاخِرُهُ ﴾ .
قال : قالوا^(١) : صَلُّوا مَعَهُم الصَّبْحَ ، وَلَا تُصَلُّوا مَعَهُمْ آخِرَ النَّهَارِ ، لَعَلَّكُمْ تَشْتَرُونَ لَهُمْ
بِذَلِكَ .

وأما قوله : ﴿ وَآكْفُرُوا ءَاخِرُهُ ﴾ . فإنه يعنى به أنهم قالوا : واجحدوا ما صدقتم
به من دينهم فى وجه النهار ، فى آخر النهار ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . يعنى بذلك :
لعلهم يرجعون عن دينهم معكم ويدعونونه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴾ . يقول : لعلهم يدعون دينهم ، ويرجعون إلى الذى أنتم عليه^(٢) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع
مثله^(٣) .

حدثنا محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن
أبيه ، عن ابنِ عباس : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ : لعلهم ينقلبون عن دينهم^(٤) .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن
الشدى : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ : لعلهم يشكون^(٥) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابنِ جريج ، عن

(١) فى النسخ ، « قال » . والمثبت ما يقتضيه السياق .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ عقب الأثر (٣٦٨٩) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ عقب الأثر (٣٦٩٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ (٣٦٨٩) عن محمد بن سعد به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ عقب الأثر (٣٦٨٩) من طريق عمرو بن حماد ، عن

مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ : ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ . قَالَ : يَرْجِعُونَ عَنْ دِينِهِمْ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ .

يَعْنَى بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَلَا تُصَدِّقُوا إِلَّا مَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ فَكَانَ يَهُودِيًّا .

وَهَذَا خَبْرٌ مِنَ اللَّهِ عَنِ قَوْلِ الطَّائِفَةِ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ : ﴿ءَأَمِنُوا

بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَأَمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ﴾ .

وَاللَّامُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ : ﴿لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ . نَظِيرَةُ اللَّامِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ : ﴿عَسَىٰ

أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ﴾ [النمل : ٧٢] . بِمَعْنَى : رَدْفَكُمْ ^(١) .

وَبِنَحْوِ مَا قَلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيد ، قَالَ : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ

تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ : هَذَا قَوْلُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ^(٢) .

/ حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثنا إسحاق ، قَالَ : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع

٣١٤/٣

مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أحمدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ،

عَنِ الشَّدِيِّ : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ . قَالَ : لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ

الْيَهُودِيَّةَ ^(٣) .

(١) بعده في م : « بعض الذى تستعجلون » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨١/٢ (٣٦٩٢) من طريق أحمد بن مفضل به .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا بِالْمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ . قَالَ : لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ آمَنَ بدينِكُمْ ^(١) ؛ مِنْ خَالَفَهُ ، فَلَا تُؤْمِنُوا بِهِ .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : قوله : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ . اعتراض ^(٢) به في وسط الكلام ، خبراً ^(٣) من الله عن أن البيان بيانه ، والهدى هداه . قالوا : وسائر الكلام بعد ذلك [٤٢١/١] مُتَّصِلٌ بالكلام الأول ، خبراً ^(٣) عن قِيلِ اليهودِ بعضها لبعض . فمعنى الكلام عندهم : وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ، وَلَا تُؤْمِنُوا أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ، أَوْ أَنْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ . أَيْ : وَلَا تُؤْمِنُوا أَنْ يُحَاجَّكُم أَحَدٌ عِنْدَ رَبِّكُمْ . ثُمَّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ : إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَإِنْ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ : حَسَدًا مِنْ يَهُودٍ أَنْ تَكُونَ

(١) بعده في م : « لا » .

(٢) في م : « اعتراض » .

(٣) في م : « خبر » .

النبوة في غيرهم، وإرادة أن يُتَّبَعُوا^(١) على دينهم^(٢).

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا سبيل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

وقال آخرون: تأويل ذلك: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾: إن البيان بيان الله. ﴿أَنْ يُؤَقَّ أَحَدٌ﴾، قالوا: ومعناه: لا يؤتى أحد من الأمم ﴿مَثَلٌ﴾ مَّا أُوتِيْتُمْ ﴿﴾، كما قال: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الْكَلِيمَاتِ﴾ [النساء: ١٧٦]. بمعنى: لا تَضَلُّونَ. وكقوله: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٢٠٠﴾ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴿﴾ [الشعراء: ٢٠٠، ٢٠١]. بمعنى: ألا يؤمنوا. ﴿مَثَلٌ مَّا أُوتِيْتُمْ﴾ يقول: مثل ما أُوتيت أنت يا محمد وأُمَّتُكَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْهُدَىٰ، ﴿أَوْ﴾^(٣) ﴿بِحَاجَتِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾. قالوا: ومعنى ﴿أَوْ﴾: إلا. أى: إلا أن يُحَاجُّوكُمْ. يعنى: إلا أن يُجَادِلُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، عِنْدَ^(٤) مَا فَعَلَ بِهِمْ رَبُّكُمْ^(٥).

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: قال الله عز وجل لحمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤَقَّ أَحَدٌ مَثَلٌ مَّا أُوتِيْتُمْ﴾. يقول: مثل ما أُوتيتُم يا أمة محمد. ﴿أَوْ بِحَاجَتِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾،

(١) فى س: «ينقلوا».

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٤، ومن طريقه ابن حاتم فى تفسيره ٦٨١/٢ (٣٦٩٧).

(٣) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «أن».

(٤) سقط من: ت ٢، وفى س: «بمعنى».

(٥) فى س: «وبكم».

يقول^(١) اليهودُ : فَعَلَ اللَّهُ بِنَا^(٢) كَذَا وَكَذًا مِنَ الْكِرَامَةِ ، حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاوَاتِ .
فَإِنَّ الَّذِي أُعْطِيْتُمْ^(٣) أَفْضَلُ ، فَقُولُوا : ﴿ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾
الآية^(٤) .

فعلى هذا التأويل جميع هذا الكلام من الله^(٥) نبيه^(٦) محمداً^(٧) أن يقوله
/ لليهود ، وهو مُتَلَصِّقٌ^(٨) بعضه ببعض لا اعتراض فيه . والهدى الثاني ردُّ على ٣١٥/٣
الهدى الأول ، و ﴿ أَنْ ﴾ في موضع رفع على أنه خبر عن الهدى .

وقال آخرون : بل هذا أمر من الله نبيه أن يقوله لليهود . وقالوا : تأويله : ﴿ قُلْ ﴾
يا محمد : ﴿ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ ﴾ مِنَ النَّاسِ ﴿ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ﴾ .
يقول : مثل الذي أُوتِيْتُمُوهُ أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله ، ومثل نبيكم ، لا
تَحْسُدُوا الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أُعْطِيْتُهُمْ مِثْلَ الَّذِي أُعْطِيْتُمْ مِنْ فَضْلِي ، فَإِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ
أُوتِيَهُ مَنْ أَشَاءُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشِيرٌ ، قَالَ : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى
هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ﴾ . يقول : لما أنزل الله كتاباً مثل كتابكم ،
وبعث نبياً مثل نبيكم ، حسدتموهم على ذلك ، ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾ الآية^(٩) .

(١) في م ، س : « تقول » .

(٢) في س : « بكم » .

(٣) في س : « أعطيتكم » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم مرفقاً في تفسيره ٦٨١/٢ ، (٣٦٩٦) ، ٦٨٢/٢ ، (٣٦٩٨) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٥ - ٥) في م : « لنبيه محمد » .

(٦) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « مثل » .

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٢/٢ عقب الأثر (٣٧٠٠) معلقاً ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٣/٢ إلى المصنف .

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ ^(٢) تَأْوِيلُ ذَلِكَ : ﴿ قُلْ ﴾ يَا مُحَمَّدُ : ﴿ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ﴾ أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ . قَالُوا : وَهَذَا آخِرُ الْقَوْلِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقُولَهُ لِلْيَهُودِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ . قَالُوا : وَقَوْلُهُ : ﴿ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ ﴾ . مَرْدُودٌ عَلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ .

وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِ أَهْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ : وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ فَتَشْرُكُوا الْحَقَّ ، أَنْ يُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ مَنْ اتَّبَعْتُمْ دِينَهُ ، فَأُخْبِرْتُمُوهُ ^(٣) أَنَّهُ مُحِقٌّ ، وَأَنْكُمْ تَجِدُونَ نَعْتَهُ فِي ^(٤) كِتَابِكُمْ . فَيَكُونُ حِينَئِذٍ قَوْلُهُ : ﴿ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ ﴾ ^(٥) . مَرْدُودًا عَلَى جَوَابِ نَهْيِ ^(٦) مَتْرُوكٍ عَلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حِجَابُ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ﴾ . يَقُولُ : هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، ﴿ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ . قَالَ : قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَا تُخْبِرُوهُمْ بِمَا بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ فِي كِتَابِهِ لِيُحَاجُّوكُمْ . قَالَ : لِيُخَاصِمُوَكُمْ بِهِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٢/٢ (٣٧٠٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «فاخترتموه» .

(٤) في س : «من» .

(٥) في ص ، ت ١ : «أن» .

(٦) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «النهى» .

عند ربكم ، ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ .

^(١) قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يكون قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ ^(١) معترضاً ^(٢) به ، وسائر الكلام متسقاً ^(٣) على سياق واحد .

فيكون تأويله حيثئذ : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع ^(٤) دينكم ، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم . بمعنى : لا يؤتى أحد مثل ^(٥) ما أوتيتم ، ﴿ أَوْ بِحَاجَتِكُمْ ﴾ ^(٦) عند ربكم . بمعنى : أو أن يحاجكم ^(٧) عند ربكم أحد بإيمانكم ؛ لأنكم أكرم على الله منهم ، بما فضلكم به عليهم .

فيكون الكلام كله خبراً عن قول الطائفة التي قال الله عز وجل : ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَّهَ النَّهَارَ ﴾ . سوى قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ . ثم يكون الكلام ^(٨) مبتدأ بتكذيبهم في قولهم ^(٩) : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد للقائلين ما قالوا ، من الطائفة التي وصفت لك قولها لتباعها من اليهود : ﴿ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ . إن التوفيق توفيق الله ، / والبيان بيانه ، وإن الفضل بيده يؤتیه من يشاء ، لا ما تمنئتموه أنتم يا معشر اليهود .

(١ - ١) سقط من النسخ ، واستظهرناه من عادة المصنف في تفسيره ، ويؤيده ما سيأتي .

(٢) في م : « معترض » .

(٣) في م : « متسق » .

(٤) في م : « اتبع » .

(٥) في م : « بمثل » .

(٦) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « أن » .

(٧) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يحاجوكم » .

(٨) بعده في س : « متنه » .

(٩) في س : « قوله » .

وإنما اختَرْنَا ذلك من سائرِ الأقوالِ التي ذَكَرَناها ؛ لأنه أَصَحُّها [٤٢١/١ ط] معنَى ، وأحسُّها استقامةً على معنى كلامِ العربِ ، وأشدُّها اتساقاً على نَظْمِ الكلامِ وسياقه ، وما عدا ذلك من القولِ فانتزاعٌ يَبْغُدُ مِنَ الصَّحَّةِ ، على اشتِكَراهِ شديدٍ للكلامِ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٧٣) .

يعنى بذلك جَلَّ ثناؤه : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لهؤلاءِ اليهودِ الذين وصفتُ^(١) قولهم لأوليائهم : ﴿ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾ . إن^(٢) التوفيقَ للإيمانِ والهدايةَ للإسلامِ بيدِ اللَّهِ ، وإليه دونكم ودونَ سائرِ خلقه ، ﴿ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ، من خلقه ، يعنى : يُعْطِيهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ . تَكْذِيبًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ فى قولهم لثبائعهم : لا يُؤْتِي أَحَدٌ^(٣) مثلَ ما أوتيتم . فقال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنبيِّهِ ﷺ : قلْ لهم : ليس ذلك إليكم ، إنما هو إلى اللَّهِ الذى بيده الأشياءُ كُلُّها ، وإليه الفضلُ وبيده ، يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ . ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ . يعنى : وَاللَّهُ ذُو سَعَةٍ بِفَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ . ﴿ عَلِيمٌ ﴾ : ذُو عِلْمٍ بَمَنْ هُوَ مِنْهُمْ لِلْفَضْلِ أَهْلٌ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ قِرَاءَةً ، عن ابنِ جريجٍ فى قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . قال : الإسلامُ^(٤) .

(١) بعده فى س : « لك » .

(٢) فى س : « أى » .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) عزاه السيوطى فى الدرر المشور ٤٣/٢ إلى المصنف .

القول في تأويل قوله: ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٤).

يعنى بقوله: ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾: «يفتعل»، من قول القائل: خَصَصْتُ فلانًا بكذا، أخصه به.

وأما «رحمته» في هذا الموضع، فالإسلام والقرآن، مع النبوة.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾. قال: النبوة، يختص^(١) بها من يشاء^(٢).

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾. قال: يختص بالنبوة من يشاء^(٣).

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك قراءة، عن ابن جريج: ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾. قال: القرآن والإسلام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج مثله.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. يقول: ذو فضلٍ يتفضلُ به على من أحبَّ وشاء من خلقه. ثم وصف فضله بالعظيم^(٤)، فقال: فضله عظيم؛ لأنه غير

(١) في م: «يخص».

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٤، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٢/٢ (٣٧٠٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٢/٢ عقب الأثر (٣٧٠٢) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٤) في ت ١، س: «بالعظيم».

مُشَبِّهه^(١) فِي عِظَمِ مَوْقِعِهِ - مِمَّنْ أَفْضَلَهُ^(٢) عَلَيْهِ^(٣) - إِفْضَالُ خَلْقِهِ ، وَلَا يُقَارِبُهُ فِي جَلَالَةِ خَطَرِهِ وَلَا يُدَانِيهِ .

/القولُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِيَّاكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدُّهُ إِيَّاكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ .

٣١٧/٣

وهذا خيرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ - وهم اليهودُ مِنْ بنى إِسْرَائِيلَ - أَهْلُ أَمَانَةٍ يُؤَدُّونَهَا وَلَا يَخُونُونَهَا ، وَمِنْهُمْ الْخَائِنُ أَمَانَتَهُ ، الْفَاجِرُ فِي يَمِينِهِ ، الْمُسْتَحِلُّ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَمَا وَجْهُ إِخْبَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ نَبِيِّهِ ﷺ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ ، مِنْهُمْ الْمُؤَدِّي أَمَانَتَهُ وَالْخَائِنُهَا ؟

قِيلَ : إِنَّمَا أَرَادَ جَلَّ وَعَزَّ بِإِخْبَارِهِ الْمُؤْمِنِينَ خَبَرَهُمْ - عَلَى مَا بَيَّنَّهَ فِي كِتَابِهِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ - تَحْذِيرَهُمْ أَنْ يَأْتِمِنُوهُمْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ، وَتَحْوِيفَهُمْ الْاِغْتِرَارَ بِهِمْ ؛ لِاسْتِحْلَالِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَمْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ .

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ : وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِي إِنْ تَأْمَنَهُ يَا مُحَمَّدُ عَلَى عَظِيمٍ مِنَ الْمَالِ كَثِيرٍ يُؤَدُّهُ إِيَّاكَ ، وَلَا يَخُونُكَ فِيهِ ، وَمِنْهُمْ الَّذِي إِنْ تَأْمَنَهُ عَلَى دِينَارٍ يَخُونُكَ فِيهِ ، فَلَا يُؤَدُّهُ إِيَّاكَ إِلَّا أَنْ تُلَجَّ عَلَيْهِ بِالتَّقَاضِيِ وَالْمَطَالِبَةِ .

وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ بِدِينَارٍ ﴾ . وَ«عَلَى» يَتَعَاقَبَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، هَذَا كَمَا يَقَالُ : مَرَزْتُ بِهِ ، وَمَرَزْتُ عَلَيْهِ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِلَّا مَا دُمْتَ لَهُ مُتَقَاضِيًا .

(١) فِي م : « مشبهه » .

(٢) فِي ت ١ : « فضله » .

(٣) بَعْدَهُ فِي ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « من » .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ : إِلَّا مَا طَلَبْتَهُ وَاتَّبَعْتَهُ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ في قوله : ﴿ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ . قال : تَقْتَضِيهِ إِيَاهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ في قوله : ﴿ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ . قال : مُوَاطِئًا ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا سِيبُلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : إِلَّا مَا دُمَّتْ ^(٤) قَائِمًا على رَأْسِهِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أحمدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٣/٢ عقب الأثر (٣٧٠٨) معلقًا .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مواكصا » ، وفي م ، وتفسير مجاهد ، ومطبوعة الدر المنثور : « مواطبا » ، والثبت من تفسير ابن أبي حاتم ، ونسخة مخطوطة من الدر المنثور ، وهو صواب ما في النسخ الأولى عندنا ، وواكظ وواظب بمعنى ، ينظر النهاية ٢٢٠/٥ ، والتاج (و ك ظ) ، ونص أن قول مجاهد : مواكظا .

والأثر في تفسير مجاهد ص ٢٥٤ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق حكمت بشير ياسين)

٣٤٧/٢ (٨٠٤) ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « عليه » .

السدى قوله : ﴿ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ . يقول : يَعْتَرِفُ بِأَمَانَتِهِ مَا دُمَّتْ قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ ، فَإِذَا قُمَّتْ ثُمَّ جِئْتَ تَطْلُبُهُ ، كَافَرَكَ ^(١) الَّذِي يُؤَدِّي وَالَّذِي يَجْحَدُ ^(٢) .

وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال : معنى ذلك : إلا ما دُمَّتْ عليه قائمًا بالمطالبة والاقْتِضَاءِ . من / قولهم : قام فلانٌ بحقى على فلانٍ ^(٣) حتى استخرجه لى . أى : عمل فى تخليصه ، وسعى فى استخراجِه منه حتى استخرجه ؛ لأن الله عز وجل إنما وصفهم باستحلالهم أموال الأُميين ، وأن منهم من لا يقضى ما عليه إلا بالاقْتِضَاءِ الشَّدِيدِ والمُطَالَبَةِ ، وليس القيام على رأس الذى عليه الدَّيْنُ بموجب له التُّقْلَةُ عما هو عليه من استِحْلَالِ ما هو له مُسْتَحْلَلٌ ، ولكن قد يكون - مع استحلاله الذَّهَابِ بما عليه لربِّ الحقِّ - إلى استِخْرَاجِه السَّبِيلَ بالاقْتِضَاءِ والمَحَاكِمَةِ والمُخَاصَمَةِ ، فذلك الاقْتِضَاءُ هو قيامُ ربِّ المالِ باستِخْرَاجِ حَقِّه مِّنْهُ هو عليه .

القول فى تأويلِ قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ سَبِيلٌ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه أن من استحلَّ الخيانة من اليهود ، وجحودَ حقوقِ العربى التى هى له عليه ، فلم يؤدِّ ما ائتمنه العربى عليه إليه إلا ما دام له مُتَقَاضِيًا مُطَالِبًا ، من أجلِ أنه يقول : لا حرجَ علينا فيما أصبنا من أموالِ العربِ ولا إثمٌ ؛ لأنهم على غيرِ الحقِّ ، وأنهم مُشْرِكُونَ .

واختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضهم نحو قولنا فيه .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا

(١) كافرُه حَقُّه : جحدُه . اللسان (ك . ف . ر) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٣/٢ (٣٧٠٩) من طريق أحمد بن الفضل به .

(٣) بعده فى س : « إلى سنة » .

لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴿١﴾ الآية . قالت اليهودُ : ليس علينا فيما أصبنا من أموال العربِ سبيلٌ^(١) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قوله : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴾ . قال : ليس علينا في المشركين سبيلٌ . يَعْنُونَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ^(٢) .

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدٌ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴾ . قال : يُقَالُ لَهُ : مَا بِالْكَ لَا تُؤَدِّي أَمَانَتَكَ ؟ فيقولُ : ليس علينا حرجٌ في أموالِ العربِ ، قد أحلَّها اللهُ لنا^(٣) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يعقوبُ القُميِّ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ : لما نزلت : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴿١﴾ . قال : قال النبي ﷺ : « كَذَبَ أَعْدَاءُ اللَّهِ ، مَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي ، إِلَّا الْأَمَانَةَ ، فَإِنَّهَا مُؤَدَّاةٌ إِلَى الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ »^(٤) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا هشامُ بنُ عبيدِ اللهِ ، عن يعقوبِ القُميِّ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، قال : لما قالت اليهودُ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٥/٢ (٣٧١٥) عن الحسن بن يحيى . به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٤/٢ (٣٧١٣) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٤/٢ (٣٧١٢) من طريق يعقوب القمي به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

الْأُمِّيَّتَيْنِ سَكِيلٌ ﴿٧٥﴾ : يَعْنُونَ أَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : «إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ ، إِلَّا الْأَمَانَةَ ، فَإِنَّهَا مُؤَدَّاةٌ» . وَلَمْ يَرِدْ عَلَى ذَلِكَ .

٣١٩/٣ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَكِيلٌ﴾ : وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَانُوا يَقُولُونَ : لَيْسَ عَلَيْنَا جُنَاحٌ فِيمَا أَصَبْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ ؛ لِأَنَّهُمْ أُمِّيُّونَ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَكِيلٌ﴾ . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

وَقَالَ آخَرُونَ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حِجَابُ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَكِيلٌ﴾ . قَالَ : بَايَعَ الْيَهُودَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا تَقَاضَوْهُمْ ثَمَنَ ثِيوبِهِمْ ، فَقَالُوا : لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْنَا أَمَانَةٌ ، وَلَا قِضَاءٌ لَكُمْ عِنْدَنَا ؛ لِأَنَّكُمْ تَرَكَتُمْ دِينَكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ عَلَيْهِ . قَالَ : وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ وَجَدُوا ذَلِكَ فِي كِتَابِهِمْ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، قَالَ : ثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ صَعْصَعَةَ ، قَالَ : قَلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : ^(٢) إِنْ نَغَزُو^(٢) أَهْلَ الْكِتَابِ ، فَنُصِيبُ مِنْ ثَمَارِهِمْ ؟

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٨٤/٢ (٣٧١٤) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ ثَوْرٍ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، وَعَزَاهُ السَّيْوَتِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٤٤/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٢) (٢ - ٢) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «أَنْتَمَنْ» ، وَفِي س : «إِنَّا قَنْ» ، وَفِي الْأَمْوَالِ وَتَفْسِيرِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ : «إِنَّا نَسِيرُ فِي أَرْضٍ» . وَصَوَابٌ مَا فِي النِّسْخِ الْآخَرِي : «إِنَّا نَمْرُ بِأَهْلِ الْكِتَابِ» . لَمَّا أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي الْأَمْوَالِ (٤١٤) مِنْ طَرِيقِ آخَرَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : «إِنَّا نَمْرُ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ ...»

قال : وتقولون كما قال أهل الكتاب : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴾^(١) !
 حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ أَبِي
 إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ صَعْصَعَةَ ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : إِنَّا نُصِيبُ فِي
 الْعُرْفِ^(٢) أَوْ الْعَدْقِ - الشُّكُّ مِنَ الْحَسَنِ - مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الذِّمَّةِ الدَّجَاجَةَ وَالشَّاةَ .
 فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَتَقُولُونَ مَاذَا ؟ قَالَ : نَقُولُ : لَيْسَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ بَأْسٌ . قَالَ : هَذَا كَمَا
 قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ ﴾ . إِنَّهُمْ إِذَا أَدَّوْا الْجِزْيَةَ لَمْ تَحِلَّ لَكُمْ
 أَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِطَيْبِ أَنْفُسِهِمْ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٤) .

يعنى بذلك جل ثناؤه أن القائلين منهم : ليس علينا في أموال الأميين من العرب
 حرج أن نختأنهم إياه . يقولون - بقبيلهم : إن الله جل ثناؤه أحل لنا ذلك ، فلا حرج
 علينا في خيانتهم إياه ، وترك قضائهم - الكذب على الله ، عامدين الإثم بقبيل
 الكذب على الله ، أنه أحل ذلك لهم ، وذلك قوله عز وجل : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

كما حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أحمدُ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن السدي : فيقول
 على الله الكذب وهو يعلم - يعنى الذى يقول منهم - إذا قيل له : ما لك لا تؤددي

(١) أخرجه أبو عبيد في الأموال ص ١٩٧ (٤١٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٤/٢ (٣٧١١) من طريق
 سفيان الثوري به .

(٢) في ت ٣ : « العرب » ، وفي تفسير عبد الرزاق ، والدر المنثور : « الغزو » . والعرف : ضرب من النخل في
 كلام أهل البحرين ، تسمى البزوشوم . التاج (ع ر ف) . ويدل على صواب ما في النسخ أنه قال : أو العدق .
 والعدق النخلة ، وقيل : النخلة بحملها .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٣ ، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (٦٢٤) ، والبيهقي ١٩٨/٩ من طريق أبي
 إسحاق به . ووقع عند البيهقي زيد بن صعصعة . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٢ إلى ابن المنذر .

أمانتك ؟ - : ليس علينا حرج في أموال العرب ، قد أحلها الله لنا ^(١) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : يعني ادعاءهم أنهم وجدوا في كتبهم قولهم : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتِينَ سَبِيلٌ ﴾ ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٣) .

وهذا إخبار من الله عز وجل ^(٤) عما لمن ^(٥) أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها ؛ اتقاء الله ومراقبته ، عنده ^(٦) ، فقال / جل ثناؤه : ليس الأمر كما يقول هؤلاء الكاذبون على الله من اليهود ، من أنه ليس عليهم في أموال الأميين حرج ولا إثم . ثم قال : ﴿ بَلَىٰ ﴾ . ولكن ﴿ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ ﴾ : يعني : ولكن الذي أوفى بعهده . وذلك وصيته إياهم التي أوصاهم بها في التوراة ، من الإيمان بحميد ﷺ وما جاءهم به . والهاء في قوله : ﴿ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ ﴾ . عائدة على اسم « الله » في قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ . يقول : بلى من أوفى بعهد الله الذي عاهدته في كتابه ، فآمن بحميد ﷺ وصدق به وبما جاء به من الله ، من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها ، وغير ذلك من أمر الله ونهيه ، ﴿ وَاتَّقَى ﴾ . يقول : واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به ، وسائر معاصيه التي حرّمها عليه ، فاجتنب ذلك ؛ مراقبة

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٥/٢ (٣٧١٦) من طريق أحمد بن الفضل به .

(٢) تقدم تخريجه في ص ٥١٢ .

(٣ - ٣) في م : « عن » .

(٤) في م : « وعيده » . وسياق الكلام : « وهذا إخبار من الله عز وجل عما عنده لمن أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها ؛ اتقاء الله ومراقبته » .

وعيد الله ، وخوف عقابه ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ . يعنى : فإن الله يُحِبُّ الذين يتَّقونه ، فيخافون عقابه ، ويَحْذَرُونَ عذابه ، فيَجْتَنِبُونَ ما نهاهم عنه وحرّمه عليهم ، ويُطِيعونه فيما أمرهم به .

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول : هو اتقاء الشرك .

حدّثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى ﴾ . يقول : اتقى الشرك ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ . يقول : الذين يتَّقون الشرك ^(١) .

وقد بيّنا اختلاف أهل التأويل فى ذلك ، والصواب من القول فيه بالأدلة الدالة عليه فيما مضى من كتابنا ، بما فيه الكفاية عن إعادته ^(٢) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٧) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الذين يشتبدلون بتزكيتهم عهد الله الذى عهد إليهم ، ووصيته التى أوصاهم بها فى الكتب التى أنزلها الله إلى أنبيائه ، باتباع محمد وتصديقه ، والإقرار به ، وما جاء به من عند الله ، وبأيمانهم الكاذبة التى يشتجلون بها ما حرّم الله عليهم من أموال الناس التى ائتمنوا عليها ، ﴿ ثَمَنًا ﴾ . يعنى : عوضًا وبدلًا ، ^(٣) ﴿ قَلِيلًا ﴾ . يقول ^(٤) : حسيسًا من عرض الدنيا وحطامها ، ﴿ أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ . يقول : فإن الذين يفعلون ذلك لا حظّ لهم فى خيرات

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٤ ، إلى المصنف .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٣٨٦ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

الآخرة ، ولا نصيب لهم من نعيم الجنة ، وما أعدَّ اللهُ لأهلها فيها دون غيرها .
وقد بيَّنا اختلاف أهل التأويل فيما مضى فى معنى « الخلاقى » ، ودلَّنا على
أولى أقوالهم فى ذلك بالصواب بما فيه الكفاية^(١) .

وأما قوله : ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾ . فإنه يعنى : ولا يكلمهم اللهُ بما يسرهم ،
﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ يقول : ولا يعطفُ عليهم بخير ؛ مقتاً من اللّهِ لهم^(٢) . كقول
القائل لآخر : انظروا إلى نظرة اللّهِ إليك . بمعنى : تعطفُ على تعطف اللّهُ عليك بخير
ورحمة . وكما يقال للرجل : لا سمع اللّهُ لك دعائك . يُراد : لا استجاب اللّهُ لك .
والله لا يخفى عليه خافية ، وكما قال الشاعر^(٣) :

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ أَلَّا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ
وقوله : ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ . يعنى : ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم ،
﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . يعنى : ولهم عذابٌ مؤجّع .

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله أنزلت هذه الآية ، ومن عنى
بها ؟ فقال بعضهم : نزلت فى أخبار من أخبار اليهود .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن
عكرمة ، قال : نزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا
قَلِيلًا ﴾ فى أبى رافع ، وكنانة بن أبى الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وحجى

(١) ينظر ما تقدم فى ٣٦٥/٢ - ٣٦٧ .

(٢) أى لا ينظر إليهم نظر رحمة . فالنظر هنا على حقيقته ، صفة لله جل وعز كما يليق به سبحانه .

(٣) هو شمير - ويقال : سمير - بن الحارث الضبى ، والبيت فى النوادر ص ١٢٤ ، والأضداد ص ١٣٧ .

ابن أُخْطَبِ^(١) .

وقال آخرون : بل نزلت في الأشعث بن قيسٍ وخَصْمٍ له .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني أبو السائبِ سَلْمُ بْنُ جُنَادَةَ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن أبي وائلٍ ، عن عبدِ اللهِ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ، لَقِيَ اللهُ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ » . فقال الأشعثُ بنُ قيسٍ : فَيَ وَاللَّهِ كَانَ ذَلِكَ ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ أَرْضٌ ، فَجَحَدَنِي ، فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَلَاكَ بَيْنَتَةٌ ؟ » قلتُ : لا . فقال لليهوديَّ : « اِحْلِفْ » . قلتُ : يا رسولَ اللهِ ، إِذْ يَحْلِفُ فَيَذْهَبَ مَالِي . فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية^(٢) .

حدَّثنا مجاهدُ بنُ موسى ، قال : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، قال : أَخْبَرَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ ، عن عدِيِّ بنِ عدِيٍّ ، عن رَجَاءِ بنِ حَيَوَةَ والغُرَسِ^(٣) ، أَنَهُمَا حَدَّثَاهُ ، عن أبيه عدِيِّ بنِ عَمِيرَةَ^(٤) ، قال : كان بين امرئ القيسِ^(٥) ورجلٍ من حَضْرَمَوْتِ خُصُومَةً ، فَارْتَفَعَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لِلْحَضْرَمِيِّ : « بَيْنَتِكَ وَالْأَيْمَانِ ». قال :

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٤٥ إلى المصنف ، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٨٢ .
 (٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٥٠٣) ، وأحمد ٦/٨١ (٣٥٩٧) ، ٧/١٤٠ (٤٠٤٩) ، والبخارى (٢٤١٦ ، ٢٤١٧ ، ٢٦٦٦ ، ٢٦٦٧) ، ومسلم (١٣٨) ، وأبو داود (٣٢٤٣) ، والترمذى (١٢٦٩) ، وابن ماجه (٢٣٢٣) ، وأبو يعلى (٥١٩٧) ، وابن منده (٥٦٦) من طريق أبى معاوية به .
 (٣) هو الغرْس بن عميرة أخو عدى بن عميرة . وينظر الإصابة ٥/٢٦٩ ، ٢٧١ .
 (٤) فى ص ، س ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عمير » .
 (٥) هو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر ، كان على كردوس يوم اليرموك . ينظر الإصابة ١/١١٢ ، ١١٣ .

يا رسولَ اللَّهِ ، إن حَلَفَ ذَهَبَ بأرضي . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « من حَلَفَ على يمين كاذبةٍ لِيَقْتَطِعَ بها حقَّ أخيه ، ليقبِ اللَّهُ وهو عليه غَضَبًا » . فقال امرؤُ القيسِ : يا رسولَ اللَّهِ ، فما لِن تَرَكَها وهو يَعْلَمُ أنها حقٌّ ؟ قال : « الجنةُ » . قال : فإنِّي أشهدك أني قد تَرَكتُها . قال جريرٌ : فكنْتُ مع أيوبَ السَّخْتِيَانِي حِينَ سَمِعْنَا هذا الحديثَ من عدى ، فقال أيوبُ : إن عدِيًّا قال في حديثِ العُزْسِ بنِ عَمِيرَةَ : فنزَلتْ هذه الآيةُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ إلى آخرِ الآية . قال جريرٌ : ولم أَحْفَظْ يومئذٍ من عدى ^(١) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال آخرونَ : إن الأشعثَ بنَ قيسٍ اختَصَمَ هو ورجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ في أرضٍ كانت في يده لذلك الرجلِ ، أخذها لتعزُّزه في الجاهليةِ ، فقال النبيُّ ﷺ : « أَوِّمَ بَيْنَكَ » . قال الرجلُ : ليس يشهدُ لي أحدٌ على الأشعثِ . قال : « فلكَ يمينُهُ » . ^(٢) فقام الأشعثُ ليخلفَ ^(٣) ، فأنزَلَ اللَّهُ عز وجل هذه الآيةَ ، فنكَلَ الأشعثُ ، وقال : إنني أشهدُ اللَّهَ وأشهدُكم أن خصمي صادقٌ . فردَّ إليه أرضه ، وزاده من أرضِ نفسه زيادةً كثيرةً ؛ مخافةً أن ينفقَ في يده شيءٌ من حقِّه ، فهي لعقبِ ذلك الرجلِ بعده ^(٣) .

(١) أخرجه أبو عبيد في الأموال (٦٥٧) ، وأحمد ٢٥٧/٢٩ (١٧٧١٨) ، والنسائي في الكبرى (٥٩٩٦) ، من طريق يزيد بن هارون به . وأخرجه أحمد ٢٥٤/٢٩ (١٧٧١٦) ، والطبراني في الكبير ١٧/١٠٨ (٢٦٥) ، والبيهقي ٢٥٤/١٠ ، وفي الشعب (٤٨٤٠) من طريق جرير بن حازم به .
(٢) (٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فقام الأشعثُ فحلف » ، وفي الدر : « فقال الأشعثُ : نحلف » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٢ إلى المصنف ، إلى قوله : زيادة كثيرة .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ شَقِيقٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا ، هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لَقِيَ اللَّهَ ، وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ . ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية ، ثُمَّ إِنَّ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ خَرَجَ إِلَيْنَا فَقَالَ : مَا حَدَّثَكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ فَحَدَّثَنَا بِمَا قَالَ : فَقَالَ : صَدَقَ ، لَقِيَ أَنْزَلَتْ ؛ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ حُصُومَةٌ فِي بَيْرٍ ، فَاخْتَصَمْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ » . فَقُلْتُ : إِذَنْ يَحْلِفُ وَلَا يُبَالِي . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ » . ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ تَصْدِيقَ ذَلِكَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا حَدَّثَنَا بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ عَامِرٍ ، أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَتَهُ أَوَّلَ النَّهَارِ ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُهُ جَاءَ رَجُلٌ يُسَاوِمُهُ ، فَحَلَفَ لَقَدْ مَنَعَهَا أَوَّلَ النَّهَارِ مِنْ كَذَا ^(٢) ، وَلَوْلَا الْمَسَاءُ مَا بَاعَهَا بِهِ . فَانزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا دَاوُدُ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ

(١) أخرجه البخارى (٢٥١٥ ، ٢٦٦٩) ، ومسلم (١٣٨/٢٢١) ، والنسائى فى الكبرى (٥٩٩٣) من طريق جرير به ، كما أخرجه أحمد ٥/٢١١ (الميمنية) ، والبخارى (٦٦٥٩ ، ٧١٨٣) من طريق منصور به .

(٢) بعده فى م ، ت ١ : « وكذا » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٤٤ ، ٤٥ إلى المصنف .

مجاهدٍ نحوه^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية إلى ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : أنزلهم الله بمنزلة السحرة .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، أن عمرانَ بنَ حُصَيْنٍ كان يقولُ : مَنْ حَلَفَ على يمينِ فاجرةٍ يَقْتَطِعُ بها مالَ أخيه ، فَلْيَتَّبِعُوا مقعدَه من النارِ . فقال له قائلٌ : شئٌ سَمِعْتَه من رسولِ اللهِ ﷺ ؟ قال لهم : إنكم لَتَجِدُونَ ذلك . ثم قرأ هذه الآيةَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية .

حَدَّثَنِي موسى بنُ عبدِ الرحمنِ المَسْرُوقِيُّ ، قَالَ : ثنا حسينُ بنُ عليٍّ ، عن زائدةَ ، عن هشامٍ ، قَالَ : قال محمدٌ ، عن^(٢) عمرانَ بنِ حُصَيْنٍ : مَنْ حَلَفَ على يمينِ مَضْبُورَةٍ^(٣) ، فَلْيَتَّبِعُوا بوجهه مقعدَه من النارِ . ثم قرأ هذه الآيةَ كُلِّهَا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾^(٤) .

حَدَّثَنَا ابنُ حميدٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ المباركِ ، عن معمرٍ ، عن الزهرِيِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ قَالَ : /إن اليمينَ الفاجرةَ من الكبائرِ . ثم تلا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾^(٥) .

٣٢٣/٣

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥/٢ إلى المصنف .

(٢) في النسخ : « بن » .

(٣) اليمين المصبورة ، أو يمين الصبر : هي التي يلزم بها صاحبها ويحس عليها ، وكانت لازمة له من جهة الحكم . ينظر النهاية ٨/٣ .

(٤) أخرجه أحمد ٤/٤٣٦ ، ٤٤١ (الميمية) ، وأبو داود (٣٢٤٢) ، والبخاري (٣٦١١) ، والطبراني ١٨/١٨٨ (٤٤٦) ، والحاكم ٤/٢٩٤ من طريق هشام به مرفوعاً . وأخرجه الطبراني ١٨/١٨٧ (٤٤٥) من طريق محمد ابن سيرين به .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٤ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، أن عبد الله بن مسعود كان يقول : كنا نرى ونحن مع رسول الله ﷺ أن من الذنب الذي لا يُغفرُ يمين الصَّبرِ ، إذا فَجَرَ فيها صاحبُها^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٨) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن من أهل الكتاب ، وهم اليهود الذين كانوا حوَالَى مدينة رسول الله ﷺ على عهدِهِ ، من بنى إسرائيل .

والهاء والميم في قوله : ﴿ مِنْهُمْ ﴾ . عائدة على « أهل الكتاب » الذين ذكرهم في قوله : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ .

وقوله : ﴿ لَفَرِيقًا ﴾ . يعنى : جماعةٌ ، ﴿ يَلُؤْنَ ﴾ . يعنى : يُحِرِّفُونَ ﴿ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ . يعنى : لِتَظُنُّوا أن الذى يُحِرِّفُونَهُ بكلامِهِم من كتابِ اللَّهِ وتثزِيلِهِ . يقول اللَّهُ عزَّ وجلَّ : وما ذلك الذى لَوَّأَ بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ فَحَرَّفُوهُ وَأَحَدْتُوهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَا لَوَّأَ بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ ، فَأَلْحَقُوهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . يقول : مما أنزله اللَّهُ على أنبيائه ، ﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . يقول : وما ذلك الذى لَوَّأَ بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ فَأَحَدْتُوهُ ، مما أنزله اللَّهُ إلى أَحَدٍ من أنبيائه ، ولكنه مما أَحَدْتُوهُ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ ، افتراءً على اللَّهِ . يقول عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . يعنى بذلك أَنَّهُمْ يَتَعَمَّدُونَ قِبَلِ الْكُذِبِ عَلَى اللَّهِ ، والشهادة عَلَيْهِ بِالْبَاطِلِ ، وَالْإِلْحَاقَ

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/٢ إلى المصنف .

بكتابِ اللَّهِ ما ليس منه ، طلبًا للرياسةِ والحسبيسِ من حطامِ الدنيا .
 وبنحوِ ما قلنا في معنى : ﴿ يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ،
 عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ . قال : يُحَرِّفُونَهُ ^(١) .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن
 مجاهدٍ مثله .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا
 يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ حتى بلغ : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : هم أعداءُ اللَّهِ اليهودُ ،
 حرَّفوا كتابَ اللَّهِ ، وابتدعوا فيه ، وزعموا أنه من عندِ اللَّهِ ^(٢) .

٣٢٤/٣ / حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ،
 عن الربيعٍ مثله ^(٣) .

حدَّثني محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن
 أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ
 مِنَ الْكِتَابِ ﴾ : وهم اليهودُ ، كانوا يزيّدون في كتابِ اللَّهِ ما لم يُنزِلِ اللَّهُ ^(٤) .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ (٣٧٣٤) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٦/٢ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ عقب الأثر (٣٧٣٤) معلقًا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ (٣٧٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ (٣٧٣٣) عن محمد بن سعد به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ . قال : فريقٌ من أهل الكتابِ يَلُؤُونَ ألسنتهم ، وذلك تحريفهم إياه عن موضعه ^(١) .

وأصل اللجّ الفتلُ والقلْبُ ، من قولِ القائلِ : لوى فلانٌ يدَ فلانٍ . إذا فتلها وقلبها . ومنه قولُ الشاعرِ ^(٢) :

* لوى يدهُ اللهُ الذي هو غابتهُ *

يقالُ منه : لوى يدهُ ولسانهُ ، يَلْوِي لِيًا ، و ما لوى ظهرَ فلانٍ أحدٌ ، إذا لم يضرعه أحدٌ ، ولم يفتلَ ظهره إنسانٌ . وإنه لالْوَى بعيدُ المستمرِّ ، إذا كان شديدَ الخصومةِ ، صابرًا عليها ، لا يُغَلَّبُ فيها . قال الشاعرُ ^(٣) :

فلو كان في ليلي شداً ^(٤) من خصومةٍ للوئث أعناقِ الخصومِ ^(٥) الملاويا
القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ
وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وما ينبغي لأحدٍ من البشرِ . والبشرُ جمعُ بنى آدمَ ، لا

(١) ذكره الطوسي في التبيان ٢/٥٠٨ .

(٢) هو فرعان بن الأعراف أبو منازل ، والبيت في عيون الأخبار ٣/٨٧ ، ومعجم الشعراء ص ١٨٩ ، وشرح ديوان الحماسة ٣/١٤٤٥ .

(٣) هو قيس بن الملوح (مجنون ليلي) ، والبيت في الأغاني ٢/٣٨ ، واللسان (ش دى ، ش ذى ، ل وى) .

(٤) هذا الحرف يروى بالبدال المهملة ، وبالذال المعجمة ، والشدا البقية ، والشذا من الأذى . وأكثر الناس على أنه بالذال . اللسان (ش دى ، ش ذى) .

(٥) في اللسان : «المطى» . وكانت في أصول الأغاني : «الخصوم» . وغيرها نشره كرواية اللسان .

واحد له من لفظه ، مثل القوم والخلق ، وقد يكون اسماً لواحد . ﴿ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ ﴾ . يقول : أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ كِتَابَهُ ، ﴿ وَالْحُكْمَ ﴾ . يعنى : وَيُعَلِّمَهُ فَضْلَ الْحِكْمَةِ ، ﴿ وَالنَّبُوَّةَ ﴾ . يقول : وَيُعْطِيهِ النَّبُوَّةَ ، ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . يعنى : ثم يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله ، وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة ، ولكنه إذا آتاه الله ذلك ، فإنما يدعُوهم إلى العلم بالله ، ويحدوهم على معرفة شرائع دينه ، وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه ، وأئمة في طاعته وعبادته ، بكونهم معلّمى الناس الكتاب ، وبكونهم دارسيه .

/وقيل : إنّ هذه الآية نزلت في قومٍ من أهل الكتاب قالوا للنبي ﷺ : أتدعوننا إلى عبادتك ؟

٣٢٥/٣

كما حدثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابنُ إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحزاب من اليهود والنصارى من أهل نجران ، عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجلٌ من أهل نجران نصراني ، يُقال له الرّئيس^(١) : أو ذلك تريد منّا يا محمد ، وإليه تدعوننا ؟ أو كما قال ، فقال رسول الله ﷺ : « معاذَ الله أن نعبد غيرَ الله ، أو نأمرَ بعبادة غيره ، ما بذلك بعثنى ، ولا بذلك أمرنى » . أو كما قال .

(١) فى م ، وتفسير ابن أبى حاتم : « الرئيس » ، وفى س : « الرئيس » ، وبعده فى سيرة ابن هشام : « ويروى : الرئيس ، والرئيس » .

والرئيس : رئيس السامرة ، خذلهم الله تعالى ، وهو كبيرهم ، تبصير المنتبه ٦١٧/٢ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ الآية ، إلى قوله : ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال أبو رافع^(٢) القرظي . فذكر نحوه^(٣) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . يقول : ما كان ينبغي لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة يأمر عباده أن يتخذوه ربًا من دون الله .

حدثني المشني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله^(٤) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كان ناس من يهود يتعبدون الناس من دون ربهم ، بتخريفهم كتاب الله عن موضعه ، فقال الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . ثم يأمر الناس بغير ما

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٥٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٣/٢ (٣٧٥٦) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال محمد بن أبي محمد : وقال أبو نافع فذكره .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم - كما مر - : « أبو نافع » .

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣٨٤/٥ من طريق يونس بن بكير به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩١/٢ (٣٧٤٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤه بذلك : ولكن يقول لهم : كونوا ربّائين . فترك القول استغناءً بدلالة الكلام عليه .

وأما قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . فإنّ أهل التأويل اختلفوا في تأويله ؛ فقال بعضهم : معناه : كونوا حكماء علماء .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قال : حكماء علماء ^(١) .

حدّثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قال : حكماء علماء .

حدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن أبي رزين مثله .

حدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي رزين : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ : حكماء علماء ^(٢) .

حدّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن في قوله :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩١/٢ (٣٧٤٥) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج .

(٢) تفسير سفيان ص ٧٨ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٤ - تفسير) عن جرير به بلفظ : فقهاء علماء .

﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . قال : كونوا فقهاء علماء^(١) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . قال : فقهاء^(٢) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني القاسم ، عن مجاهد قوله : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ قال : فقهاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . قال : كونوا فقهاء علماء^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن منصور بن المعتمر ، عن أبي رزين في قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . قال : علماء حكماء^(٣) . قال معمر : وقال قتادة^(٤) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ،

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٢/٢ عقب الأثر (٣٧٤٩) معلقاً .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١٢٥/١ بلفظ : علماء علماء . وقال ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩١/٢ عقب الأثر (٣٧٤٧) : وروى عن أبي رزين : علماء علماء .

(٤) كذا في النسخ ، وينظر المحرر الوجيز ٤٨٤/٢ ، وفي البحر المحيط ٥٠٦/٢ : والراني : الحكيم العالم ، قاله قتادة وأبو رزين ... أو العالم الحليم ، قاله قتادة وغيره .

عن الشُدِّي في قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ : أما الربانيون فالحكامُ
الفقهاء^(١) .

حدثني يونس^(٢) ، قال : أخبرنا ابن وهب^(٢) ، قال : أخبرنا سفيان ، عن ابن أبي
نجيح ، عن مُجاهد ، قال : الربانيون الفقهاء العلماء ، وهم فوق الأخبار^(٣) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ،
عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . يقول : كونوا
حكماً فقهاء .

حدثت عن المنجاب ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن
يحيى بن عقييل في قوله : ﴿ الرَّبَّيْنُونَ وَالْأَخْبَارُ ﴾ [المائدة : ٤٤ ، ٦٣] . قال : الفقهاء
العلماء .

حدثت عن المنجاب ، قال : ثنا بشر ، عن أبي رزق ، عن الضحاك ، عن ابن
عباس مثله^(٤) .

حدثني ابن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو
كديثة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس في قوله :
﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ . قال : كونوا حكماً فقهاء^(٥) .

(١) في ت ٢ : « والفقهاء » .

(٢) (٢ - ٢) سقط من ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٢/٢ (٣٧٤٩) من طريق المنجاب به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩١/٢ (٣٧٤٦) من طريق عطاء به ، بلفظ : هم الفقهاء المعلمون .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعتُ أبا معاذٍ ، قال : أخبرنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمعتُ الضحاکَ يقولُ في قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . يقولُ : كونوا فقهاءَ علماءً^(١) .

وقال آخرونَ : بل هم الحكماءُ الأتقياءُ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/حدثني يحيى بنُ طلحةَ اليَربوعيِّ ، قال : ثنا فضيلُ بنُ عياضٍ ، عن عطاءِ بنِ ٣٢٧/٣ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . قال : حكماءُ أتقياءَ^(٢) .
وقال آخرونَ : بل هم ولاةُ الناسِ وقادتهم .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : سمعتُ ابنَ زيدٍ يقولُ في قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . قال : الربانيون الذين يُرَبُّونَ الناسَ ، ولاةُ هذا الأمرِ ، يُرَبُّونَهُمْ : يُلُونَهُمْ . وقرأ : ﴿ لَوْلَا يَنْهَهُمُ الرَّبَّيْنُونَ وَالْأَخْبَارُ ﴾ [المائدة : ٦٣] قال : الربانيون الولاةُ ، والأخبارُ العلماءُ^(٣) .

قال أبو جعفرٍ : وأولى الأقوالِ عندى بالصوابِ فى الربَّانِيَّينَ ، أنهم جمعُ ربانِيٍّ ، وأنَّ الربَّانِيَّ المنسوبُ إلى الرَّبَّانِ ، الذى يُرَبِّبُ الناسَ ، وهو الذى يُضَلِّحُ أمورَهُمْ ، وَيُرَبِّئُهَا ، ويقومُ بها ، ومنه قولُ علقمةَ بنِ عبدةَ^(٤) :

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى ابن أبى حاتم وعبد بن حميد .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٢/٢ عقب الأثر (٣٧٤٩) معلقا .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

(٤) تقدم تخريجه فى ١/٤٤٣ .

وَكُنْتَ أَهْرَأَ أَفْضَتْ إِلَيْكَ رَبَّابَتِي وَقَبْلَكَ رَبَّتِي - فَضِغْتُ - زُبُوبٌ
يعنى بقوله : ربتنى : ولى أمرى والقيام به قبلك من يرثه و يُصليحه ، فلم
يُصليحوه ، ولكنهم أضعأوني فَضِغْتُ .

يقال منه : ربّ أمرى فلانٌ ، فهو يرثه ربّاً ، وهو رآه . فإذا أريد به المبالغة فى
مدحه قيل : هو ربّانٌ . كما يقال : هو نَعْسَانٌ . من قولهم : نَعَسَ يَنْعَسُ . وأكثر ما
يجىء من الأسماء على « فَعْلان » ما كان من الأفعال ماضيه على « فَعِل » مثل
قولهم : هو سكرانٌ وعطشانٌ وريّانٌ ، من : سَكَرَ يَسْكُرُ ، وَعَطِشَ يَعْطِشُ ، وَرَوَى
يُرَوِّى . وقد يجىء مما^(١) كان ماضيه على « فَعَلَ يَفْعُلُ » ، نحو ما قلنا من : نَعَسَ
يَنْعَسُ ، و : ربّ يرُبُّ .

فإذ كان الأمر فى ذلك على ما وصفنا ، وكان الرّبّان ما ذكرنا ، والرّبّانئى هو
المنسوب إلى من كان بالصفة التى وصفتُ ، وكان العالم بالفقه^(٢) والحكمة من
المُصلِحين^(٣) أمور الناس بتعليمه إياهم الخيرَ ، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم ، وكان
كذلك الحكيمُ التقى لله ، والوالى الذى يلى أمور الناس ، على المنهاج الذى وليه
المُقسِطون من المُصلِحين أمور الخلق بالقيام فيهم ، بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم ،
وعائدة النفع عليهم فى دينهم ودنياهم ، كانوا جميعاً^(٤) مُستحقين أنهم^(٤) يَمْنُ دَخَلَ
فى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَٰكِن كُفُّوا رَبَّنَا نَعْنَ ﴾ .

(١) فى ص ، ت ١ : « ما » .

(٢) فى ص ، س : « دون الفقه » .

(٣) بعده فى م : « يرب » .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ١ ، س : « مستحقون أن » .

فالرَبَّانِيُونَ إِذْ هُمْ عِمَادُ النَّاسِ فِي الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ وَأُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ : وَهُمْ فَوْقَ الْأَخْبَارِ . لِأَنَّ الْأَخْبَارَ هُمُ الْعُلَمَاءُ ، وَالرَّبَّانِيُّ الْجَامِعُ إِلَى الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ الْبَصَرَ بِالسِّيَاسَةِ وَالتَّذْيِيرِ ، وَالْقِيَامَ بِأُمُورِ الرَّعِيَّةِ ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَلِكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩) .

اختلفتِ القراءةُ في قراءةِ ذلك ؛ فقرأه عامةُ قُرَآةِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَبَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ : (بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) . بفتحِ التاءِ وتخفيفِ اللّامِ^(١) ، بمعنى : بعلمكم الكتابَ ، ودراستكم إياه وقراءتكم . واعتلوا لاختيارهم قراءةَ ذلك كذلك ، بأنَّ الصوابَ لو كان التشديدُ في اللّامِ وضَمُّ التاءِ ، لكان الصوابُ في : ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ . بضمِّ التاءِ /وتشديدِ الراءِ .

وقرأ ذلك عامةُ قُرَآةِ الْكُوفِيِّينَ : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَلِكِتَابَ ﴾ . بضمِّ التاءِ من : ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ وتشديدِ اللّامِ^(٢) ، بمعنى : بتعليمكم الناسَ الكتابَ ، ودراستكم إيَّاه . واعتلوا لاختيارهم ذلك بأنَّ مَنْ وُصِفَ بالتعليمِ فقد وُصِفَ بالعلمِ ، إذ لا يُعَلِّمُونَ إِلَّا بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِمَا يُعَلِّمُونَ .

قالوا : ولا موصوفَ بأنه يُعَلِّمُ إِلَّا وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ عَالِمٌ . قالوا : فأما الموصوفُ بأنه عالمٌ ، فغيرُ موصوفٍ بأنه مُعَلِّمٌ غَيْرِهِ . قالوا : فأولى القراءتينِ بالصوابِ أبلغهما في مدحِ القومِ ، وذلك وُصِفَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْكِتَابَ .

(١) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٣ .

(٢) وهى قراءة عاصم وابن عامر وحزمة والكسائى . المصدر السابق .

كما حدثني المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن ابنِ عُيَيْنَةَ ، عن حُمَيْدِ الأَعْرَجِ ، عن مجاهدٍ أنه قرأ : (بما كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الكِتَابَ وبِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) . مُخَفَّفَةً بِنَصْبِ التَّاءِ ^(١) ، وقال ابنُ عُيَيْنَةَ : ما عَلَّمُوهُ حَتَّى عَلِمُوهُ ^(٢) .
 وَأَوْلَى القَرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ ^(٣) قِرَاءَةُ مَنْ قرأه بضمِّ التَّاءِ وتشدِيدِ اللَّامِ ؛ لأنَّ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَ القَوْمَ بِأنهم أهلُ عَمَادٍ للنَّاسِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَأَهْلُ إِصْلَاحٍ لَهُمْ وَلِأُمُورِهِمْ ، وَتَرْبِيَةٍ ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴾ . على ما يَبَيَّنَّا قَبْلُ مِنْ معْنَى الرِّبَانِيِّ ، ثم أَخْبَرَ تعالى ذِكْرَهُ عَنْهُمْ أَنهم صاروا أَهْلَ إِصْلَاحٍ لِلنَّاسِ وَتَرْبِيَةٍ لَهُمْ ، بتعليمهم إِيَّاهُمْ كِتَابَ رَبِّهِمْ .

وِدِرَاسَتُهُمْ إِيَّاهُ تِلاوَتُهُ . وقد قيل : دِرَاسَتُهُمُ الفِقْهُ .

وَأَشْبَهُ التَّأْوِيلَيْنِ بِالدِّرَاسَةِ ما قلنا مِنْ تِلاوَةِ الكِتَابِ ؛ لأنَّهُ عَطَفَ على قَوْلِهِ : ﴿ تَعْلَمُونَ أَلْكِتَابَ ﴾ . وَالكِتَابُ هُوَ القُرْآنُ ، فَلأنَّ تِكونَ الدِّرَاسَةَ مَعْنِيًّا بِها دِرَاسَةُ القُرْآنِ ، أَوْلَى مِنْ أنْ يِكونَ مَعْنِيًّا بِها دِرَاسَةُ الفِقهِ الَّذِي لَمْ يِجْرِ لَهُ ذِكرٌ .

(١) كذا قال المصنف ، وقد نص في المحرر الوجيز ٤٨٦/٢ ، والبحر المحيط ٥٠٦/٢ ، أن قراءته بفتح التاء والعين واللام المشددة ، أى : تتعلمون .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٢/٢ (٣٧٥١) من طريق يحيى بن آدم به ، قال : ﴿ بما كنتم تعلمون ﴾ : حقيقة ما علموه حتى علموا .

ثم أورد في الأثر (٣٧٥٣) بسند آخر إلى سفيان بن عيينة ، قال : من قرأها ﴿ بما كنتم تعلمون ﴾ قال : يقول : علموا وعملوا ثم علموا .

وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ كالذى عندنا أيضًا سواء ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط ٥٠٦/٢ : وتكلموا في ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى ، وقد تقدم أني لا أرى شيئًا من هذه التراجيح ؛ لأنها كلها منقولة متواترة قرآنًا ، فلا ترجيح في إحدى القراءتين على الأخرى .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : قال يحيى بن آدم : قال أبو بكر^(١) :
كان عاصم يقرأها : ﴿ يَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ ﴾ . قال : القرآن ، ﴿ وَيَمَا
كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ . قال : الفقه^(٢) .

فمعنى الآية : ولكن يقول لهم : كونوا أيها الناس سادة الناس وقادتهم ، في أمر
دينهم وديناهم ، ربانيين بتعليمكم إياهم كتاب الله ، وما فيه من حلالٍ وحرامٍ ،
وفرضٍ وندبٍ ، وسائر ما حواه من معاني أمور دينهم ، وتبلاوتكم إياه ،
ودراسيتكموه .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ
أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

اختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ ؛ فقراءته عامة قراءة الحجاز
والمدينة : (ولا يأمرُكم)^(٣) . على / وجه الابتداء من الله بالخبر عن النبي ﷺ أنه لا
يأمرُكم أيها الناس أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا .

واستشهد قارئو ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود^(٤) أنه كان
يقرأها^(٥) : (وَلَنْ يَأْمُرُكُمْ) . فاستدلوا بدخول « لن » على انقطاع الكلام عما قبله ،

(١) في النسخ : « زكريا » . وتقدم على الصواب في ٦٢٠/٢ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢١٣ .

(٤) في س : « عباس » . وينظر قراءة ابن مسعود في الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٣٥٠ ، ٣٥١ ،
والحرر الوجيز ٤٨٦/٢ ، والبحر المحيط ٥٠٧/٢ .

(٥) بعده في ص ، ت ، ٢ ، ٣ : « وهو » ، وبعده في م ، ت ، ١ : « وهي » .

وابتداءً خبرٍ مستأنفٍ . قالوا : فلَمَّا صَيَّرَ مَكَانَ « لَنْ » فِي قِرَاءَتِنَا : ﴿ لَا ﴾ وَجِبَتْ قِرَاءَتُهُ بِالرَّفْعِ .

وَقَرَأَهُ بَعْضُ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ بِنَصْبِ الرَّاءِ ^(١) ، عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ ﴾ . وَكَانَ تَأْوِيلُهُ عِنْدَهُمْ : مَا كَانَ لِبَشِيرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ ، وَلَا أَنْ يَأْمُرَكُمْ ، بِمَعْنَى : وَلَا كَانَ لَهُ أَنْ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا .

وَأَوْلَى الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ . بِالنَّصْبِ عَلَى الْإِتِّصَالِ بِالَّذِي قَبْلَهُ ، بِتَأْوِيلِ : مَا كَانَ لِبَشِيرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوَّةَ ، ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَا أَنْ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا . لِأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي سَبَبِ ^(٢) الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أتريدُ أَنْ نَعْبُدَكَ ؟ فَأخْبَرَهُمُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ ، وَلَا إِلَى اتِّخَاذِ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ، وَلَكِنَّ الَّذِي لَهُ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى أَنْ يَكُونُوا رَبَّانِيِّينَ .

فَأَمَّا الَّذِي ادَّعَى مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ رَفْعًا أَنَّهُ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ : (وَلَنْ يَأْمُرَكُمْ) . اسْتِشْهَادًا لَصِحَّةِ قِرَاءَتِهِ بِالرَّفْعِ ، فَذَلِكَ خَبْرٌ غَيْرُ صَحِيحٍ سَنَدُهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ خَبْرٌ رَوَاهُ حِجَابٌ ، عَنْ هَارُونَ الْأَعْوَرِ ^(٣) أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ خَبْرًا صَحِيحًا سَنَدُهُ ، لَمْ يَكُنْ فِيهِ لِمَحْتَجِّ حِجَّةً ؛ لِأَنَّ مَا كَانَ عَلَى صِحَّتِهِ مِنَ الْقِرَاءَةِ مِنْ

(١) وهى قراءة عاصم وابن عامر وحزمة . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٣ .

(٢) فى م : « سب » .

(٣) فى م : « لا يجوز » . ورسمه فى باقى النسخ أقرب إلى المثبت . ينظر غاية النهاية ٣٤٨/٢ ، وتهذيب

الكتاب الذي قد جاء به المسلمون وراثته عن نبيهم ﷺ لا يجوز تركه ، لتأويل على^(١) قراءة أضيفت إلى بعض الصحابة ، ينقل من يجوز في نقله الخطأ والسهو .

فتأويل الآية إذن : وما كان للنبي أن يأمر^(٢) الناس أن يتخذوا الملائكة والنبين أرباباً - يعنى بذلك : آلهة يُعبدون من دون الله - كما ليس له أن يقول لهم : كونوا عباداً لي من دون الله . ثم قال جل ثناؤه نافيًا عن نبيه ﷺ أن يأمر عباده بذلك : ﴿ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ ﴾ أيها الناس ، نبيكم ، بجحود وخذانية الله ، ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . يعنى : بعد إذ أنتم له مُنقادون بالطاعة ، مُتذللون له بالعبودية . أى : إن ذلك غير كائن منه أبدًا .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ولا يأمركم النبي ﷺ أن تتخذوا الملائكة والنبين أرباباً^(٣) .

القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِءِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ .

/يعنى بذلك جل ثناؤه : وأذكروا يا أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبیین . ٣٣٠/٣
يعنى : حين أخذ الله ميثاق النبیین . وميثاقهم : ما وثقوا به على أنفسهم طاعة الله فيما أمرهم ونهاهم .

وقد بينا أصل الميثاق باختلاف أهل التأويل فيه بما فيه الكفاية^(٤) .

(١) فى م : « نحو » .

(٢) بعده فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « كما نهى » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٤٣٩/١ ، ٤٦/٢ .

﴿ لَمَّا آتَيْنِكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ . فاختلفتِ القراءةُ في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامةُ قراءة الحجاز والعراق : ﴿ لَمَّا آتَيْنِكُمْ ﴾ . بفتح اللامِ من : ﴿ لَمَّا ﴾ . إلا أنهم اختلفوا في قراءة : ﴿ آتَيْنِكُمْ ﴾ ؛ فقرأه بعضهم : ﴿ آتَيْنِكُمْ ﴾ . على التوحيد ، وقرأه آخرون : (آتَيْنَاكُمْ) . على الجمع ^(١) .

ثم اختلف أهل العربية إذا قرئ ذلك كذلك ؛ فقال بعض نحويي البصرة : اللامُ التي مع « ما » في أوّل الكلام لامُ الابتداءِ ، نحو قولِ القائلِ : لزيدُ أفضلُ منك . لأن « ما » ^(٢) اسمٌ ، والذي بعدها صلةٌ لها ، واللامُ التي في : ﴿ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ . لامُ القسمِ ، كأنه قال : واللهِ لتؤمننَّ به . يُؤكِّدُ في أوّل الكلامِ وفي آخره ، كما يقالُ : أمّا ^(٣) واللهِ أن لو جئتني لكان كذا وكذا . وقد يُستغنى عنها ، فوكِّد في : ﴿ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ . باللامِ في آخر الكلامِ ، وقد يُستغنى عنها ، ويُجعلُ خبرٌ : ﴿ لَمَّا آتَيْنِكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ ﴿ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ ﴿ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ مثلُ : لعبدُ اللهِ واللهِ لتأتيننه . قال : وإن شئت جعلتُ خبرَ « ما » ﴿ مِّنْ كِتَابٍ ﴾ . يريدُ : لما آتيتكم كتابٌ وحكمةٌ . وتكون ﴿ مِّنْ ﴾ زائدةً .

وخطأ بعض نحويي الكوفيين ذلك كله ، وقال : اللامُ التي تدخلُ في أوائلِ الجزاءِ ^(٤) تُجابُ بجواباتِ الأيمانِ ، يقالُ : لمن قامَ لآتيته . و : لمن قامَ ما أحسن . فإذا وقع في جوابها « ما » ، و « لا » ، عُلم أن اللامَ ليست بتوكيد للأولى ؛ لأنه يُوضع موضعها « ما » و « لا » ، فتكونُ كالأولى ، وهي جوابٌ للأولى . قال : وأمّا قوله :

(١) قرأ حمزة وحده بكسر اللام من (لما) . وقرأ الباقون بالفتح ، وقرأ نافع وحده : (آتيناكم) . وقرأ الباقون :

﴿ آتيتكم ﴾ . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٤ .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « لما » .

(٣) في س : « لما » .

(٤ - ٤) في م : « لا تجاب بما ولا لا ، فلا يقال : لمن قام لا تتبعه ، ولا » .

﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ . بمعنى إسقاط ﴿مِنْ﴾ غلط ؛ لأن « مِنْ » التي تدخل وتخرج لا تقع مواقع الأسماء . قال : ولا تقع في الخبر أيضاً ، إنما تقع في الجحد والاستفهام والجزاء .

وأولى الأقوال في تأويل هذه الآية - على قراءة من قرأ ذلك بفتح اللام - بالصواب : أن يكون قوله : ﴿لَمَّا﴾ بمعنى : لهمما . وأن تكون « ما » حرف جزاء أدخلت عليها اللام ، وصيّر الفعل معها على « فَعَلَ » ، ثم أُجيب بما تجاب به الأيمان ، فصارت اللام الأولى يميناً ، إذ تُلقيت بجواب اليمين .

وقرأ ذلك آخرون : (لَمَّا آتَيْتُكُمْ) . بكسر اللام من « لما » ، وذلك قراءة جماعة من أهل الكوفة .

ثم اختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله ؛ فقال بعضهم : معناه إذا قرئ كذلك : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتيتكم . ف « ما » على هذه القراءة بمعنى « الذي » عندهم . وكان تأويل الكلام : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ، ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ . يعني : ثم إن جاءكم رسول ، يعني ذكر محمد في التوراة - ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ﴾ . أي : ليكونن إيمانكم به للذي عندكم في التوراة من ذكره .

وقال آخرون منهم : تأويل ذلك إذا قرئ بكسر اللام من (لَمَّا) : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتاهم من الحكمة . ثم جعل قوله : ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ﴾ . من الأخذ ، أخذ الميثاق ، كما يقال في الكلام : أخذت ميثاقك لتفعلن . لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستخلاف . فكان تأويل الكلام عند قائل هذا القول : وإذ استخلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة ، متى جاءهم رسول مُصدّق لما معهم ليؤمننَّ به ولينصرنَّه .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾ . /بفتح اللام ؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أخذ ميثاقَ جميع الأنبياء بتصدقهم كلُّ رسولٍ له ابتعثه إلى خلقه ، فيما ابتعثه به إليهم ، كان من آتاه كتاباً ، أو ممن لم يؤت به كتاباً ، وذلك أنه غيرُ جائزٍ وصفُ أحدٍ من أنبياءِ الله عزَّ وجلَّ ورسله ، بأنه كان ممن أُبيح له التكذيبُ بأحدٍ من رسله ؛ فإذا كان ذلك كذلك ، وكان معلوماً أنَّ منهم من أنزل عليه الكتابُ ، وأنَّ منهم من لم ينزل عليه الكتابُ ، كان يبيِّن أنَّ قراءةَ من قرأ ذلك : (لَمَّا آتَيْنَاكُمْ) . بكسر اللام ، بمعنى : من أجل الذي آتيناكم من كتابٍ . لا وجه له مفهومٌ إلا على تأويلٍ بعيدٍ ، وانتزاعٍ عميقٍ .

٣٣١/٣

ثم اختلف أهل التأويل في من أخذ ميثاقه بالإيمان بمن جاءه من رسلِ الله مُصدِّقاً لما معه ؛ فقال بعضهم : إنما أخذ الله بذلك ميثاقَ أهلِ الكتابِ دونَ أنبيائهم . واستشهدوا لصحة قولهم بذلك بقوله : ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَتَلَنَصُرُنَّهُ﴾ . قالوا : فإنما أمر الذين أرسلت إليهم الرسل من الأمم بالإيمان برسلِ الله ، ونصرتها على من خالفها ، وأما الرسلُ ، فإنه لا وجهَ لأمرها بنصرة أحدٍ ؛ لأنها المحتاجةُ إلى المعونةِ على من خالفها من كفره بنى آدمَ ، فأما هي ، فإنها لا تُعين الكفرةَ على كفرها ولا تنصُرُها . قالوا : وإذا لم يكن غيرُها وغيرُ الأمم الكافرة ، فمن الذي ينصُرُ النبيَّ فيؤخذ ميثاقه بنصرتِه ؟

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ . قال : هي خطأ من الكاتب^(١) ، وهي في قراءة ابن مسعود : (وَإِذْ أَخَذَ

(١) في تفسير مجاهد والدر المنثور : « الكتاب » . قال أبو حيان في البحر المحیط ٢ / ٥٠٨ : وهذا لا يصح عنه ؛ =

اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهدٍ مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ . يقولُ : وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ . وكذلك كان يقرؤها الربيعُ : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) . إنما هي أهلُ الكتابِ . قال : وكذلك كان يقرؤها أبي بنُ كعبٍ . قال الربيعُ : ألا ترى أنه يقولُ : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرْتَهُ ﴾ . يقولُ : لتؤمننَّ بمحمدٍ ﷺ ولتنصرنَّه . قال : هم أهلُ الكتابِ^(٢) .

وقال آخرون : بل الذين أخذَ ميثاقَهُم بذلك الأنبياءُ دونَ أممها .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المثنى وأحمدُ بنُ حازمٍ ، قالا : ثنا أبو نعيمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن حبيبٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : إنما أخذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ عَلَى قَوْمِهِمْ^(٣) .

= لأن الرواة الثقات نقلوا عنه أنه قرأ النبيين كعبد الله بن كثير وغيره ، وإن صح ذلك عن غيره فهو خطأ مردود بإجماع الصحابة على مصحف عثمان .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى عبد بن حميد والقرائبي وابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٣/٢ (٣٧٥٧) ، من طريق أبي نعيم به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى ابن المنذر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طائوس ، عن أبيه في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ : أَنْ يُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن طائوس ، عن أبيه / في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ الآية . قال : أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء ليصدقن وليؤمنن بما جاء به الآخر منهم ^(٢) .

٣٣٢/٣

حدثني المنثى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف بن عمر ^(٣) ، عن أبي رزق ، عن أبي أيوب ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لم ينعث الله عز وجل نبيا ؛ آدم فمن بعده ، إلا أخذ عليه العهد في محمد ، لئن بعث وهو حي ، ليؤمنن به ولينصرنّه ، ويأمره فيأخذ العهد على قومه ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ الآية ^(٤) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ ﴾ الآية : هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضا ، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته ، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم ، وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ،

(١) سيأتي تخريجه بتمامه في ص ٥٤٣ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) في م : « عمرو » . وينظر تهذيب الكمال ٣٢٤ / ١٢ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

وَيُضِدُّ قُوهُ وَيَنْصُرُوهُ ^(١) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ الآية . قال : لم يتبعث الله عز وجل نبياً قط من لدن نوح إلا أخذ ميثاقه ليؤمننَّ بمحمدٍ ولينصُرُنَّه إن خرج وهو حي ، وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ، ولينصُرُنَّه إن خرج وهم أحياء ^(٢) .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا عبد الكبير ^(٣) بن عبد المجيد أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا عباد بن منصور ، قال : سألت الحسن عن قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ الآية كلها . قال : أخذ الله ميثاق النبيين ليلغنَّ آخركم أولكم ولا تختلفوا ^(٤) .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه أخذ ميثاق النبيين وأممهم ، فاجتزأ بذكر الأنبياء عن ذكر أممها ؛ لأن في ذكر أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذِهِ على التَّبَاع ؛ لأنَّ الأُمَّمَ تُبَاعُ الأنبياء .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : ثم ذكر ما أخذ

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٤/٢ (٣٧٦١) ، من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) فى س : « الكرم » . وينظر تهذيب الكمال ٢٤٣/١٨ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

عليهم - يعنى : على أهل الكتاب - وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه - يعنى : بتصديق محمد ﷺ - إذا جاءهم ، وإقرارهم به على أنفسهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ إلى آخر الآية ^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس مثله ^(٢) .

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك الخبر عن أخذ الله الميثاق من أنبيائه ، بتصديق بعضهم بعضاً ، وأخذ الأنبياء على أممها وتباعها الميثاق بنحو الذى أخذ عليها ربها ، من تصديق / أنبياء الله ورسوله بما جاءتها به ؛ لأن الأنبياء عليهم السلام بذلك أرسلت إلى أممها ، ولم يدع أحد من صدق المرسلين أن نبياً أرسل إلى أمة بتكذيب أحد من أنبياء الله عز وجل وحججه فى عباده ، بل كلها - وإن كذب بعض الأمم بعض أنبياء الله ببحورها نبوته - مفرة بأن من ثبتت صحته نبوته ، فعليها الدثينة بتصديقه ، فذلك ميثاق مقرر به جميعهم . ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق إنما أخذ على الأمم دون الأنبياء ؛ لأن الله عز وجل قد أخبر أنه أخذ ذلك من النبيين ، فسواء قال قائل : لم يأخذ ذلك منها ربها . أو قال : لم يأمرها ببلاغ ما أرسلت . وقد نص الله عز وجل أنه أمرها بتبليغه ؛ لأنها جميعاً خبران من الله عنها ؛ أحدهما أنه أخذ منها ، والآخر منهما أنه أمرها ، فإن جاز الشك فى أحدهما جاز فى الآخر . وأما ما استشهد به الربيع بن أنس ، على أن المعنى بذلك أهل

٣٣٣/٣

(١) سيرة ابن هشام ٥٥٥/١ . وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٩٤/٢ ، ٦٩٥ (٣٧٦٤) من طريق سلمة ، عن محمد بن إسحاق قوله . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٨٤/٥ من طريق يونس بن بكير به .

الكتاب ، من قوله : ﴿ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ . فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ شَاهِدٍ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَ ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ قَدْ أُمِرَ بَعْضُهَا بِتَصْدِيقِ بَعْضٍ ، وَتَصْدِيقُ بَعْضِهَا بَعْضًا نُصْرَةٌ مِنْ بَعْضِهَا بَعْضًا .

ثم اختلفوا في الذين عُنُوا بقوله : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ ؛ فقال بعضهم : الذين عُنُوا بذلك هم الأنبياء ، أخذت موثقتهم أن يُصَدِّقَ بعضهم بعضًا ، وأن ينصروه . وقد ذكرنا الرواية بذلك عن من قاله .

وقال آخرون : هم أهل الكتاب ، أمروا بتصديق محمد ﷺ إذا بعثه الله ، وبُنصرتهم ، وأُخِذَ ميثاقهم في كتبهم بذلك . وقد ذكرنا الرواية بذلك أيضًا عن من قاله .

وقال آخرون - بمن قال : الذين عُنُوا بأخذ الله ميثاقهم منهم في هذه الآية هم الأنبياء - : قوله : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ مَعْنَى بِهِ أَهْلُ الْكِتَابِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرنا ابن طاوس ، عن أبيه في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ . قال : أخذ الله ميثاق النبيين أن يُصَدِّقَ بعضهم بعضًا ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ . قال : فهذه الآية لأهل الكتاب ، أخذ الله ميثاقهم أن يؤمنوا بمحمد ويصُدِّقوه ^(١) .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٩٣ ، ٦٩٤ (٣٧٥٨ ، ٣٧٦٢) عن

الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٤٧ إلى ابن المنذر مختصرًا .

حدثني المشني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، قال : قال قتادة : أخذ الله على النبيين ميثاقهم أن يُصدّق بعضهم بعضاً ، وأن يُبلغوا كتاب الله ورسالته إلى عبادِهِ ، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم ، وأخذوا موثيق أهل الكتاب في كتابهم فيما بلغتهم رسولهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدّقوه ويصُروهُ (١) .

وأولى الأقوال بالصوابِ عندنا في تأويل هذه الآية أن جميع ذلك خبرٌ من الله عز وجل عن أنبيائه ، أنه أخذ ميثاقهم به ، وألزمهم دعاء أممها إليه ، والإقرار به ؛ لأنّ ابتداء الآية خبرٌ من الله عز وجل عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم ، ثم وصف الذي أخذ به ميثاقهم ، فقال : هو كذا ، وهو كذا .

وإنما قلنا : إن ما أخبر الله أنه أخذ به موثيق أنبيائه من ذلك ، قد أخذت الأنبياء موثيق أممها به ؛ لأنها / أُرسلت لتدعو عباد الله إلى الدّينونة بما أمرت بالدّينونة به في أنفسها من تصديق رُسل الله ، على ما قدّمنا البيان قبل .

٣٣٤/٣

فتأويل الآية : واذكروا يا معشر أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيين ، لمهما آتيتكم أيها النّبيون من كتابٍ وحكمة ، ثم جاءكم رسولٌ من عندي مُصدّق لما معكم ، ﴿ لَتُؤْمِنَنَّ ﴾ به - يقول : لتُصدّقنّه - ﴿ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ .

وقد قال السُدّي في ذلك بما حدثنا به محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السُدّي قوله : ﴿ لَمَّا آتَيْتُكُمْ ﴾ . يقول لليهود : أخذت ميثاق النبيين بمحمد ﷺ ، وهو الذي ذُكر في الكتاب عندكم (٢) .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٣/٢ ، ٦٩٤ (٣٧٥٩) من طريق أحمد بن الفضل به . وفيه : أخذت ميثاق الناس لمحمد .

فتأويل ذلك على قول الشدئى الذى ذكرناه : وأذكروا يا معشر أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيين ، لما آتيتكم أيها اليهود من كتاب وحكمة . وهذا الذى قاله الشدئى ، كان تأويلاً لا وجهة غيره^(١) لو كان التنزيل : (بما آتيتكم) . ولكن التنزيل باللام ﴿ لَمَّا آتَيْتُكُمْ ﴾ . وغير جائز فى لغة أحد من العرب أن يقال : أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم . بمعنى : بما آتيتكم .

القول فى تأويل قوله : ﴿ قَالَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : وإذا أخذ الله ميثاق النبيين بما ذكر ، فقال لهم تعالى ذكره : أقررتُم بالميثاق الذى واثقتُمونى عليه ، من أنكم مهما أتاكم رسول من عندى مُصدّق لما معكم ، لتؤمننَّ به ولتنصرُنَّه ؟ ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ يقول : وأخذتُم على ما واثقتُمونى عليه من الإيمان بالرسول التى تأتيتكم بتصديق ما معكم من عندى ، والقيام بنصرتهم - ﴿ إِصْرِي ﴾ . يعنى : عهدى ووصيئى ، وقبيلتُم فى ذلك مِنِّي ورَضِيْتُموه .

والأخذُ هو القبولُ فى هذا الموضعِ والرِّضا ، من قولهم : أخذ الوالى عليه البيعة . بمعنى : بايعه ، وقبِلَ ولايته ، ورَضِيَ بها .

وقد بيَّنا معنى « الإصرِ » باختلافِ المختلفين فيه ، والصحيح من القولِ فى ذلك ، فيما مضى قَبْلُ ، بما أغتنى عن إعادته فى هذا الموضع^(٢) .

وحذفتِ الفاءُ من قوله : ﴿ قَالَ أَقْرَرْتُمْ ﴾ . لأنه ابتداءُ كلام ، على نحو ما قد بيَّنا فى نظائره فيما مضى^(٣) .

(١) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « له » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ١٥٨ - ١٦٣ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٧٦/٢ .

وأما قوله : ﴿ قَالُوا أَفَرَرْنَا ﴾ . فإنه يعنى به : قال النبيون الذين أخذ الله ميثاقهم بما ذُكِرَ في هذه الآية : أفررنا بما ألزمتنا من الإيمان برسلك الذين تُرسلهم مُصدقين لما معنا من كُتُبِك ونبُصرتهم .

القول في تأويل قوله : ﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : قال الله : فاشهدوا أيها النبيون بما أخذتُ به ميثاقكم - من الإيمان بتصديق رُسُلِي التي تأتيكم بتصديق ما معكم من الكتاب والحكمة ، ونُصرتهم - على أنفسكم ، وعلى أتباعكم من الأمم ، إذ أنتم أخذتم ميثاقهم على ذلك ، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم بذلك .

كما حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف بن عمر^(١) ، عن أبي رزق ، عن أبي أيوب ، عن علي بن أبي طالب في قوله : ﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا ﴾ . يقول : فاشهدوا على أممكم بذلك ، ﴿ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ عليكم وعليهم^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : فمن أعرض عن الإيمان برُسُلِي الذين أرسلتهم بتصديق ما كان مع أنبيائي من الكتب والحكمة ، وعن نُصرتهم ، فأذبر^(٣) ولم يؤمن بذلك ، ولم ينُصِرْ ، ونكث عهده وميثاقه ، ﴿ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ . يعنى : بعد العهد والميثاق الذي أخذَه اللهُ عليه^(٤) ، ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ . يعنى بذلك أن

٣٣٥/٣

(١) في م : « عمرو » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف .

(٣) في ص ، ت ١ : « فأذبروا » .

(٤) بعده في ص ، ت ١ : « به » .

المتولين عن الإيمان بالرسول الذين وصف الله^(١) أمرهم ونصرتهم ، بعد العهد والميثاق اللذين أخذوا عليهم بذلك ، ﴿ هُمْ الْفٰلسِفُونَ ﴾ ، يعنى بذلك : الخارجون من دين الله وطاعة ربهم .

كما حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف بن عمر ، عن أبي رزق ، عن أبي أيوب ، عن علي بن أبي طالب : ﴿ فمن تولى ﴾ عنك يا محمد بعد هذا العهد من جميع الأمم ، ﴿ فأولئك هم الفلاسفون ﴾ : هم العاصون في الكفر^(٢) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه - قال أبو جعفر : يعنى الرازى - ﴿ فمن تولى بعد ذلك ﴾ . يقول : بعد العهد والميثاق الذى أخذ عليهم ﴿ فأولئك هم الفلاسفون ﴾ .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ،^(٣) عن أبيه^(٣) ، عن الربيع مثله . وهاتان الآيتان وإن كان مخرج الخبر فيهما من الله عز وجل بما أخبر أنه أشهد وأخذ به ميثاق من أخذ ميثاقه به عن أنبيائه ورسله ؛ فإنه مقصود به إخبار من كان حوالى مهاجر رسول الله ﷺ من يهود بنى إسرائيل أيام حياته ﷺ ، عمًا لله عليهم من العهد فى الإيمان بنبوّة محمد ﷺ - ومعنى تكبيرهم ما كان الله أخذًا على آبائهم وأسلافهم من المواثيق والعهود ، وما كانت أنبياء الله عرفتهم ، وتقدمت إليهم فى تصديقهم واتباعه ونصرتهم على من خالفه وكذبه - وتعريفهم ما فى كتب الله التى أنزلها إلى أنبيائه ، التى ابتعثهم إليهم ، من صفته وعلامته .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف .

(٣ - ٣) سقط من النسخ .

القول في تأويل قوله: ﴿ أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (١٣).

اختلفت القراءة في قراءة ذلك؛ فقرأته عامة قراة الحجاز من مكة والمدينة، وقراءة الكوفة: (أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ تَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) على وجه الخطاب^(١). وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز: ﴿ أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾، بالياء كِلْتَيْهِمَا على وجه الخبر عن الغائب^(٢). وقرأ ذلك بعض أهل البصرة: (أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ) على وجه الخبر عن الغائب، (وإليه تُرْجَعُونَ) بالتاء على وجه المخاطبة^(٣).

وأولى ذلك بالصواب قراءة من قرأ: (أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ تَبْغُونَ) على وجه الخطاب، (وإليه تُرْجَعُونَ) بالتاء؛ لأن الآية التي قبلها خطاب لهم، فإتباع الخطاب نظيره أولى من صرف الكلام إلى غير نظيره، وإن كان الوجه الآخر جائزاً؛ لما قد ذكرنا فيما مضى قبل، من أن الحكاية يخرج الكلام معها أحياناً/على الخطاب كله، وأحياناً على وجه الخبر عن الغائب، وأحياناً بعضه على الخطاب، وبعضه على الغيبة، فقولُه: (تَبْغُونَ)^(٤)، (وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) في هذه الآية من ذلك.

وتأويل الكلام^(٥): يا معشر أهل الكتاب: (أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ تَبْغُونَ) يقول: أَفَغَيَّرَ

(١) هذه قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي بكر عن عاصم وحزمة والكسائي. ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢١٤.

(٢) هذه قراءة حفص عن عاصم. المصدر السابق.

(٣) هذه قراءة أبي عمرو وحده. المصدر السابق.

(٤) في ص: «يبغون».

(٥) بعده في ص، س، ت ١: «أفغير الله».

طاعةِ اللَّهِ تلتَمسونَ وتريدونَ . ﴿ وَ لَهُ ۥ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ،
يقولُ : وله خَشَع مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فخَضَع له بِالْعِبَادَةِ ، وَأَقْرَبَ له بِإِفْرَادِ
الرُّبُوبِيَّةِ ، وَانْقَادَ له بِإِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ وَالْأُلُوهَةِ . ﴿ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ . يقولُ :
أَسْلَمَ لِلَّهِ طَائِعًا ، مَنْ كَانَ إِسْلَامُهُ مِنْهُمْ لَهُ طَائِعًا ، وَذَلِكَ كَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ
وَالْمُرْسَلِينَ ، فَإِنَّهُمْ أَسْلَمُوا لِلَّهِ طَائِعِينَ ، ﴿ وَكَرْهًا ﴾ : مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَارِهًا .
وَإِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى إِسْلَامِ الْكَارِهِ الْإِسْلَامَ وَصِفَتِهِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ :
إِسْلَامُهُ إِقْرَارُهُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُ وَرَبُّهُ ، وَإِنْ أَشْرَكَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ غَيْرَهُ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد^(١) :
﴿ وَ لَهُ ۥ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ . قال : هو كقوله :
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٢) [الزمر : ٣٨] .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن
مجاهدٍ مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ،
عن أبي العالبي في قوله : (وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه
تُرْجَعُونَ) . قال : كلُّ آدميٍّ قد^(٣) أَقْرَبَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُهُ ، فَمَنْ أَشْرَكَ
فِي عِبَادَتِهِ ، فَهَذَا الَّذِي أَسْلَمَ كَرْهًا ، وَمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ^(٤) الْعِبَادَةَ ، فَهُوَ الَّذِي أَسْلَمَ

(١) بعده في ت ٢ : « عن ابن عباس » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) سقط من : ت ١ ، س .

(٤) في ص ، م : « له » .

طَوْعًا^(١) .

وقال آخرون : بل إسلام الكاره منهم كان حين أُخِذَ منه^(٢) الميثاق فأقرّ به .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ قال : حين أُخِذَ الميثاق^(٣) .

وقال آخرون : عني بإسلام الكاره منهم سجود ظله .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا سَوَّازُ^(٤) بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن ليث ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ . قال : الطائع : المؤمن ، وكرهًا : ظل الكافر^(٥) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ . قال : سجود المؤمن طائعًا ، وسجود الكافر وهو كارئة^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٦/٢ ، ٦٩٧ ، ٣٧٧٦) من طريق أبي جعفر به .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، س .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف .

(٤) في ت : ٢ : « سويد » . وينظر تهذيب الكمال ٢٣٨/١٢ ، ٢٣٩ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٤/٢ إلى أبي الشيخ .

(٦) تفسير مجاهد ص ٢٥٥ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٧/٢ (٣٧٧٧) .

أحدثني المتنبي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلي ، عن ابن أبي نجيح ، عن ٣٣٧/٣ مجاهد : ﴿ وَكَرَّهَا ﴾ . قال : سجد المؤمن طائعا ، وسجد الكافر وهو كارئة^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : سجد وجهه وظلّه طائعا .
وقال آخرون : بل إسلامه بقلبه في مشيئة الله واستقادته لأمره ، وإن أنكر ألوهته بلسانه .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر^(٢) : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال : استقاد كلهم له^(٣) .
وقال آخرون : عنى بذلك : إسلام من أسلم من الناس كرها ، حذر السيف على نفسه .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرَّهَا ﴾ الآية [١/٢٧٧٤] كلها . فقال : أكره أقوام على الإسلام ، وجاء أقوام

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٥ ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٤ إلى ابن المنذر .

(٢) في النسخ : « بن » . وجابر هو الجعفي ، وتقدم في ٢٦٦/٤ ، ٢٧٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٦/٢ (٣٧٧٢) من طريق وكيع به .

وقال آخرون : معنى ذلك أن^(١) عبادة الخلق لله عزَّ وجلَّ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المثني ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : / (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) . قال : عِبَادَتُهُمْ لِي أَجْمَعِينَ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وهو قوله : ﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾^(٢) [الرعد : ١٥] .

وأما قوله : (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) . فإنه يعنى : وإليه يا معشرَ مَنْ يَبْتَغِي غيرَ الإسلامِ دينًا من اليهودِ والنصارى وسائرِ الناسِ (تُرْجَعُونَ)^(٣) . يقولُ : إليه تَصِيرُونَ بعدَ مماتِكُمْ ، فَمُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ؛ الْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ .

وهذا من الله عزَّ وجلَّ تحذيرٌ خَلَقَهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، فَيَصِيرَ إِلَيْهِ بعدَ وفاته على غيرِ ملةِ الإسلامِ .

القولُ فى تأويلِ قوله تعالى : ﴿ قُلْ ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾^(٨٤) .

(١) فى م : « فى » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٦/٢ (٣٧٧٥) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) فى ت ١ ، ٢ ، س : « يرجعون » .

يعنى بذلك جل ثناؤه : أفغير دين الله تبغون يا معشر اليهود ، وله أسلم من فى السماوات والأرض طوعاً وكرهاً ، وإليه ترجعون ، فإن ابتغوا غير دين الله يا محمد ، فقل لهم : أمناً بالله . فترك ذكر قوله : فإن قالوا : نعم . و^(١) ذكر قوله : فإن ابتغوا غير دين الله . لدلالة ما ظهر من الكلام عليه .

وقوله : ﴿ قُلْ ءَأَمَّنَا بِاللَّهِ ﴾ . يعنى به : قل لهم يا محمد : صدقنا بالله أنه ربنا وإلهنا ، لا إله غيره ، ولا نعبد أحداً سواه . ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ﴾ . يقول : وقل : وصدقنا أيضاً بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله ، فأقرزنا به . ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . يقول : وصدقنا أيضاً بما أنزل على إبراهيم خليل الله ، وعلى ابنتيه إسماعيل وإسحاق ، وابن ابنه يعقوب ، وبما أنزل على الأسباط ، وهم ولد يعقوب الاثنا عشر . وقد بيننا أسماءهم بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع^(٢) . ﴿ وَمَا أَوْتَيْنَا مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ . يقول : وصدقنا أيضاً مع ذلك بالذى أنزل الله على موسى وعيسى من الكُتُبِ والوحي ، وبما أنزل على النبيين من عنده .

والذى أتى الله موسى وعيسى - مما أمر الله عز وجل محمداً بتصديقهما فيه والإيمان به - التوراة^(٣) التى آتاها موسى ، والإنجيل الذى آتاه عيسى .

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ . يقول : لا نصدق بعضهم ونكذب بعضهم ، ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم ، كما كفرت اليهود والنصارى ببعض أنبياء الله ،

(١) فى ت ١ : «أو» .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٥٩٧/٢ - ٥٩٩ .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : «التوراة» .

وَصَدَقَتْ بَعْضًا ، وَلَكِنَّا نَوْمُنُ بِجَمِيعِهِمْ وَنُصَدِّقُهُمْ .

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ يعني : ونحن ندين لله^(١) بالإسلام ، لا ندين غيره ، بل نتبرأ إليه من كل دين سواه ، ومن كل ملة غيره .

ويعنى بقوله : ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ : ونحن له مُتَقَادُونَ بالطاعة ، مُتَدَلِّلُونَ بالعبودية ، مُقَرَّبُونَ له بالألوهة والرُّبُوبية ، وأنه لا إله غيره .

وقد ذكرنا الرواية بمعنى ما قلنا في ذلك فيما مضى^(٢) ، وكرهنا إعادته .

/القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ۳۳۹/۳
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وَمَنْ يَطْلُبْ دِينًا غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ لِيَدِينَهُ بِهِ ، فَلَنْ يُقْبَلَ اللَّهُ مِنْهُ ، ﴿ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ . يقول : من الباطنين أنفسهم حظوظها^(٣) من رحمة الله عز وجل .

وذكر أن أهل كل ملة ادَّعَوْا أنهم هم المسلمون لما نزلت هذه الآية ، فأمرهم الله بالحج إن كانوا صادقين ؛ لأن من سنة الإسلام الحج ، فامتنعوا ، فأدخض الله بذلك حجتهم .

ذكر الخبر بذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، قال : زعم عكرمة : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ . فقالت المثل : نحن المسلمون .

(١) سقط من : ت ١ ، س .

(٢) ينظر ما تقدم في ٥٩٦/٢ ، ٥٩٧ .

(٣) في ت ١ ، س : « حظوظهم » .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] . فَحَجَّ الْمُسْلِمُونَ وَقَعَدَ ^(١) الْكُفْرَاءُ ^(٢) .

[٤٢٨/١] حَدَّثَنِي الْمَثْنَى ، قَالَ : ثنا الْقَعْنَبِيُّ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ : قَالَتِ الْيَهُودُ : فَحَنَ مُسْلِمُونَ ^(٣) . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ يَحْجُّهُمْ ^(٤) أَنْ : ﴿ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٥) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سَفِيَانٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، قَالَتِ الْيَهُودُ : فَحَنَ مُسْلِمُونَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ : قُلْ لَهُمْ : إِنَّ ﴿ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ ﴾ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٦) .

وَقَالَ آخَرُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا حَدَّثَنَا بِهِ الْمَثْنَى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا

(١) فِي ت ١ ، ت ٢ : « فَقَدَ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٩٩/٢ (٣٧٨٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيْوَيْطِيُّ فِي الدِّرَالْمَشْتُورِ ٥٧/٢ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٣) فِي م ، ت ١ : « الْمُسْلِمُونَ » .

(٤) فِي ص ، ت ١ ، س : « فَحَجُّهُمْ » .

(٥) أَخْرَجَهُ الشَّافِعِيُّ فِي الْأَمِّ ٩٣/٢ ، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سَنَنِهِ (٥٠٦ - تَفْسِيرٍ) ، وَابِيهِقَى ٣٢٤/٤ عَنْ سَفِيَانَ بْنِ بَنْحَوَةَ .

(٦) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧١٦/٣ (٣٨٧٥) عَنْ يُونُسَ وَابْنِ الْمُقْرَيْءِ بِهِ .

وَالَّذِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١٥﴾ . إلى قوله : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢] . فأنزل الله عزَّ وجلَّ بعد هذا : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ عِدَّ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ^(١) .

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَاهَدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٦) أَوْلَيْكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٧) خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٨٩) .

اختلف أهل التأويل في من عُني بهذه الآية ، وفي من نزلت ؛ فقال بعضهم : نزلت في الحارث بن شويد الأنصاري ، وكان مسلماً فارتدَّ بعد إسلامه .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن عبد الله بن بزيع البصري ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان رجلاً من الأنصار أسلم ، ثم ارتدَّ ولحق بالشرك ، ثم ندم ، فأرسل إلى قومه : أرسلوا إلى رسول الله ﷺ ، هل لي من توبة ؟ قال : فنزلت : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢) . فأرسل إليه قومه فأسلم ^(٣) .

(١) تقدم تخريجه في ٤٦/٢ .

(٢) أخرجه النسائي (٤٠٧٩) ، وفي الكبرى (١١٠٦٥) عن محمد بن عبد الله به ، وأخرجه ابن حبان

(٣) من طريق يزيد بن زريع به .

حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَى عَبْدُ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا دَاوُدُ ، عَنْ عِكْرَمَةَ بِنَحْوِهِ ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : فَكَتَبَ إِلَيْهِ قَوْمُهُ ، فَقَالَ : مَا كَذَّبَتْنِي قَوْمِي . فَرَجَعَ ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثَنَا حَكِيمُ بْنُ جَمِيعٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُسْهِرٍ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : ارْتَدَّ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ . فَذَكَرَ ^(٢) نَحْوَهُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ الْأَعْرَجِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : جَاءَ الْحَارِثُ بْنُ سُؤَيْدٍ ، فَأَسْلَمَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ كَفَرَ الْحَارِثُ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ الْقُرْآنَ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ﴾ . إِلَى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . قَالَ : فَحَمَلَهَا إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَفَرَّأَهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ الْحَارِثُ : إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ لَصَدُوقٍ ، وَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِأَصْدُقُ مِنْكَ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِأَصْدُقُ الثَّلَاثَةَ . قَالَ : فَرَجَعَ الْحَارِثُ فَأَسْلَمَ ، فَحَسَّنَ إِسْلَامَهُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيدِيِّ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴾ . قَالَ :

(١) سقط من : ت ١ ، س . وينظر الإصابة ١/٥٧٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٠/٢ (٣٧٩٥) من طريق علي بن مسهر به ، وأخرجه أحمد بن منيع - كما في الإتحاف بذيل المطالب ٥٤٣/٨ - والحاكم ١٤٢/٢ ، والواحدى في أسباب النزول ص ٨٣ من طريق داود به ، وأخرجه الواحدى ص ٨٣ من طريق عكرمة به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٥ ، وأخرجه مسدد ، كما في المطالب العالية (٣٩٢٨) - ومن طريقه الواحدى في أسباب النزول ص ٨٣ - عن جعفر به .

أُنزِلَتْ فِي الْحَارِثِ بْنِ سُؤَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ ، كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ هَذِهِ
الآيَاتِ ^(١) ، ثُمَّ تَابَ وَأَسْلَمَ ، فَتَسَخَّهَا اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ
وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ ، قَالَ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ
كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ
مُجَاهِدٍ ، مِثْلَهُ .

/ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حِجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ ، عَنْ ٣٤١/٣
مُجَاهِدٍ ، قَالَ : هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرٍو مِنْ عَوْفٍ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ^(٤) .

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : لَحِقَ بِأَرْضِ
الرُّومِ فَتَنَصَّرَ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى قَوْمِهِ : أَرْسِلُوا ، هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ : فَحَسِبْتُ أَنَّهُ آمَنَ
ثُمَّ رَجَعَ ^(٤) .

(١) بعده في ص ، ت ، ٢ : « ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ » ، وبعده في م ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س :
« إلى ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ » .

ولعله أراد : « إلى قوله : ﴿ أولئك جزأؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ » . والله أعلم .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) عزاه الحافظ في الإصابة ٥٧٧/١ إلى عبد بن حميد والفريرابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

قال ابن جريج : قال عكرمة : نزلت في أبي عامر الراهب ، والحارث بن شويد ابن [٤٢٨/١] الصّامت ، ووخوح بن الأسلت^(١) ، في اثني عشر رجلاً رجعوا عن الإسلام ، ولحقوا بقريش ، ثم كتبوا إلى أهلهم : هل لنا من توبة ؟ فنزلت : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ الآيات^(٢) .

وقال آخرون : غنى بهذه الآية أهل الكتاب ، وفيهم نزلت .

ذكر من قال ذلك

حدّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ : فهم أهل الكتاب ، عزفوا محمداً ﷺ ، ثم كفروا به^(٣) .

حدّثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عبّاد بن منصور ، عن الحسن في قوله : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ الآية كلّها . قال : اليهود والنصارى^(٤) .

حدّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول في قوله : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ الآية : هم أهل

(١) في ت ١ ، س : « الأسلب » . وهو ووحوح (عامر) بن الأسلت بن جشم بن وائل ، أخو أبي قيس . ينظر الإصابة ٦ / ٦٠١ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٦٤٥ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٩/٢ (٣٧٩٠) عن محمد بن سعد به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

الكتاب من اليهود والنصارى ، رَأَوْا نَعْتَ^(١) محمد ﷺ في كتابهم ، وأَقْرَبُوا^(٢) به ، وشَهِدُوا أَنَّهُ حَقٌّ ، فَلَمَّا بُعِثَ مِنْ غَيْرِهِمْ حَسَدُوا الْعَرَبَ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَنْكَرُوهُ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِقْرَارِهِمْ ، حَسَدًا لِلْعَرَبِ ، حِينَ بُعِثَ مِنْ غَيْرِهِمْ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَيْفَ يَهْدَى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ . قَالَ : هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ ، كَانُوا يَجِدُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فِي كِتَابِهِمْ ، وَيَسْتَفْتِحُونَ بِهِ ، فَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ^(٤) .

قال أبو جعفر : وأشبهُ القَوْلَيْنِ بظَاهِرِ التَّنْزِيلِ مَا قَالَ الْحَسَنُ ، مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَعْنَى بِهَا أَهْلُ الْكِتَابِ ، عَلَى مَا قَالَهُ ، غَيْرَ أَنَّ الْأَخْبَارَ بِالْقَوْلِ الْآخِرِ أَكْثَرُ ، وَالْقَائِلِينَ بِهِ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ . وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ بِسَبَبِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ذُكِرَ أَنَّهُمْ كَانُوا ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَجَمَعَ قِصَّتَهُمْ وَقِصَّةَ مَنْ كَانَ سَبِيلَهُ سَبِيلَهُمْ فِي ارْتِدَائِهِ عَنِ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ . ثُمَّ عَرَّفَ عِبَادَهُ سُنتَهُ فِيهِمْ ، فَيَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَلِكَ كُلِّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، ثُمَّ كَفَرَ بِهِ بَعْدَ أَنْ بُعِثَ ، وَكُلِّ مَنْ كَانَ كَافِرًا ثُمَّ أَسْلَمَ عَلَى عَهْدِهِ ﷺ ، ثُمَّ ارْتَدَّ وَهُوَ حَيٌّ عَنِ إِسْلَامِهِ . فَيَكُونُ مَعْنِيًّا بِالْآيَةِ جَمِيعُ هَذَيْنِ الصَّنِفَيْنِ وَغَيْرُهُمَا ،^(٥) مَنْ كَانَ بِمِثْلِ مَعْنَاهُمَا^(٥) ، بَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فتأويل الآية إذن : ﴿ كَيْفَ يَهْدَى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ . يعنى : كيف يُرْشِدُ اللَّهُ لِلصَّوَابِ ، وَيُؤَفِّقُ لِلْإِيمَانِ ، قَوْمًا جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، ﴿ بَعْدَ

(١) فى ص : « بعث » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « أقرا » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١٢٥/١ ، وفيه : « ويستخفون به » .

(٥ - ٥) فى ت ١ : « من كان بمعناهما » .

إِيْمَانِهِمْ ﴿١٦﴾ . أى : بعدَ تَصْدِيقِهِمْ إِيَّاهُ ، وإِقْرَارِهِمْ بِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ، ﴿١٧﴾ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴿١٨﴾ . يقولُ : وبعدَ أن أقرُّوا أن محمداً رسولُ اللهِ ﷺ إلى خَلْقِهِ حَقًّا . ﴿١٩﴾ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴿٢٠﴾ . يعنى : وجاءهم الحُجُجُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، والدلائلُ بَصِيحَةٌ ذَلِكَ . ﴿٢١﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾ . يقولُ : والله لا يُوفِّقُ ^(١) لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ الْجَمَاعَةَ الظَّالِمَةَ ، وهم الذين بَدَّلُوا الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ ، فاختاروا الكفرَ على الإِيْمَانِ .

وقد دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَى قَبْلُ عَلَى مَعْنَى « الظُّلْمِ » ، وَأَنَّهُ وَضِعَ الشَّيْءُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ ^(٢) .

﴿٢٣﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ ﴿٢٤﴾ . يعنى : هؤلاء الذين كفروا بعدَ إِيْمَانِهِمْ ، وبعدَ أن شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ . ﴿٢٥﴾ جَزَاءُهُمْ ﴿٢٦﴾ : ثَوَابُهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ الَّذِي عَمِلُوهُ . ﴿٢٧﴾ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ ﴿٢٨﴾ . يعنى : أَن يَجِلَّ ^(٣) بِهِمْ مِنَ اللَّهِ الْإِقْصَاءُ وَالتَّبْعُدُ ، وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ مَا ^(٤) يَسُوؤُهُمْ مِنَ الْعِقَابِ . ﴿٢٩﴾ أَجْمَعِينَ ﴿٣٠﴾ . يعنى : مِنْ جَمِيعِهِمْ ، لَا مِنْ ^(٥) بَعْضٍ مِنْ سَمَاءِ جَلِّ ثَنَائِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ ، وَلَكِنْ مِنْ جَمِيعِهِمْ . وَإِنَّمَا جَعَلَ ذَلِكَ جَلَّ ثَنَائِهِ ثَوَابَ عَمَلِهِمْ ؛ لِأَنَّ عَمَلَهُمْ كَانَ بِاللَّهِ كُفْرًا .

وقد بَيَّنَّا صِفَةَ لَعْنَةِ النَّاسِ الْكَافِرِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ ^(٦) .

(١) فى ت ١ : « يوقف » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٥٥٩ ، ٥٦٠ .

(٣) فى ص ، م : « حل » .

(٤ - ٤) فى ص ، م : « إلا ما » ، وفى ت ١ ، ٣ ، س : « إلا ما » ، وفى ت ٢ : « ما » . والمثبت ما يستقيم به السياق .

(٥) سقط من : م .

(٦) ينظر ما تقدم فى ٢/٢٣٢ ، ٧٣٣ .

﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا ﴾ . يعنى : ما كَثِيرِينَ . ﴿ فِيهَا ﴾ . يعنى : فى عقوبة اللّهِ . ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ﴾ : لا يُتَّفَصُونَ مِنَ الْعَذَابِ شَيْئًا فى حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ، وَلا يُتَّفَسُونَ فِيهِ . ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ . يعنى : وَلا هُمْ يُنظَرُونَ لِمَعْذِرَةٍ يَعْتَذِرُونَ . وَذَلِكَ كُلُّهُ أَعْنَى ^(١) الْخُلُودِ فى الْعُقُوبَةِ فى الْآخِرَةِ .

ثم استثنى جل ثناؤه الذين تابوا من هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ، فقال تعالى ذكره : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ﴾ . يعنى : إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ارْتِدَادِهِمْ عَنْ إِيمَانِهِمْ ، فَرَجَعُوا الْإِيمَانَ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَصَدَّقُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ . ﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾ . يعنى : وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ . ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . يعنى : فَإِنَّ اللَّهَ لَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ كَفْرِهِ ﴿ عَفُورٌ ﴾ . يعنى : سَاتَرَ عَلَيْهِ ذَنْبَهُ الَّذِى كَانَ مِنْهُ مِنَ الرَّدَّةِ ، فَتَارَكَ عِقُوبَتَهُ عَلَيْهِ ، وَفَضِيحَتَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، غَيْرِ مُؤَاخِذِهِ بِهِ إِذَا مَاتَ عَلَى التَّوْبَةِ مِنْهُ . ﴿ رَحِيمٌ ﴾ : مُتَعَطِّفٌ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأَوْلَاتِيكَ هُمْ الضَّالُّونَ ﴾ .

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : عنى اللّهُ عزَّ وجلَّ بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ببعضِ أنبيائه الذين بُعثوا قبلَ محمدٍ ﷺ بعد إيمانهم ، ﴿ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا ﴾ بكُفْرِهِمْ بِمحمدٍ ﷺ ، ﴿ لَنْ نُقَبَلَ تَوْبَتَهُمْ ﴾ عند حُضُورِ المَوْتِ ، وَحَشْرَجَتِهِ بِنَفْسِهِ .

(١) أعنى الخلود : أشده نصبا وتعبا . وينظر اللسان (ع ن ي) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد بن منصور ،
 عن الحسن في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ
 تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ ، قال : اليهود والنصارى لن تُقْبَلَ توبتهم عند
 الموت^(١) .

٣٤٣/٣

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ : أولئك أعداء الله اليهود ، كفروا بالإنجيل
 وبيعسى ، ثم ازدادوا كُفْرًا بمحمد ﷺ والفرقان^(٢) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن
 قتادة في قوله : ﴿ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ . قال : ازدادوا كُفْرًا حتى حَضَرَهُمُ الموتُ ،
 فلم تُقْبَلْ تَوْبَتُهُمْ حِينَ حَضَرَهُمُ الموتُ . قال معمر : وقال مثل ذلك عطاء
 الخراساني^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
 قتادة قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ . وقال : هم اليهود ، كفروا بالإنجيل ، ثم ازدادوا كُفْرًا
 حين بعث الله محمدًا ﷺ ، فأنكروه وكذبوا به^(٤) .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٢/٢ عقب الأثر (٣٨٠٤) معلقاً .

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٨٤ ، والبعوى في تفسيره ٦٤/٢ ، ٦٥ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٥ ، ١٢٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٢/٢ (٣٨٠٤) عن الحسن بن

يحيى به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠١/٢ (٣٨٠١) من طريق شيبان ، عن قتادة . وعزاه السيوطي في =

وقال آخرون : معنى ذلك : إن الذين كفروا من أهل الكتاب بمحمدٍ بعدَ إيمانهم بأنبيائهم ، ﴿ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا ﴾ . يعنى : ذُنُوبًا ، ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ : من ذنوبهم ، وهم على الكفرِ مُقيمون .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا المُتَنَّى ، قال : ثنا عبدُ الوهَّابِ ، قال : ثنا داودُ ، عن رُفيعِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا ﴾ : ازدادوا ذُنُوبًا وهم كفاؤُ ، ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . من تلك الذنوبِ ما كانوا على كفرِهِم وضلاليتِهِم ^(١) .

حدَّثنا ابنُ المُتَنَّى ، قال : ثنا ابنُ أبى عديٍّ ، عن داودَ ، قال : سألتُ أبا العالِيَّةَ ، قال : قلتُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . قال : إنما هم هؤلاء النصارى واليهودُ الذين كفروا ، ثم ازدادوا كفراً بذنوبِ أصابوها ، فهم يتوبون منها فى كفرِهِم ^(٢) .

حدَّثنا عبدُ الحميدِ بنُ بيانِ الشُّكْرِيُّ ^(٣) ، قال : أخبرنا ابنُ أبى عديٍّ ، عن داودَ ، قال : سألتُ أبا العالِيَّةَ عن الذين آمنوا ثم كفروا ، فذكر نحوًا منه .

حدَّثنا ابنُ المُتَنَّى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، قال : سألتُ أبا العالِيَّةَ عن هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ . قال : هم اليهودُ والنصارى والمجوسُ ، أصابوا ذُنُوبًا فى

= الدر المنثور ٤٩/٢ إلى عبد بن حميد .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٢/٢ (٣٨٠٥) من طريق داود به بمعناه .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠١/٢ (٣٧٩٩) من طريق داود بن أبى هند به بمعناه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) فى م : « البشكرى » . وينظر تهذيب الكمال ٤١٣/١٦ .

كفرهم ، فأرادوا أن يتوبوا منها ، ولن يتوبوا من الكفر ، ألا ترى أنه يقول :
﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ ؟

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن داود ، عن
أبي العالية في قوله : ﴿ لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ ﴾ . قال : تابوا من بعض ولم يتوبوا من
الأصل^(١) .

حدثت عن عمّار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن داود بن أبي هند ، عن
أبي العالية قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ . قال : هم
اليهود والنصارى ، يُصِيبُونَ الذنوب ، فيقولون : تتوب . وهم مُشْرِكُونَ ، قال الله
عزَّ وجلَّ : لَنْ نُقْبَلَ التَّوْبَةَ فِي الضَّلَالَةِ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن الذين كفروا بعد إيمانهم بأنبيائهم^(٢) ، ﴿ ثُمَّ
أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ . يعني بزيادتهم الكفر تمامهم^(٣) عليه حتى هلكوا وهم عليه
مُقيّمون . ﴿ لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ ﴾ : لن تنفعهم توبتهم الأولى وإيمانهم ، لكفرهم الآخر
ومؤتيمهم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن
مجاهد^(٤) قوله : ﴿ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ . قال : نموا^(٥) على كفرهم . قال ابن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٢/٢ (٣٨٠٣) من طريق أبي عاصم به ، وعزاه السيوطي في الدر
المنثور ٥٠/٢ إلى ابن المنذر وعبد بن حميد .

(٢) في ص : « بآبائهم » .

(٣) في م ، س : « بما هم » . وتم على الشيء أقام عليه واستمر . التاج (ت م م) .

(٤) في م ، ت ١ : « عكرمة » .

(٥) في ص ، م : « نموا » .

جَرِيحٍ : ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ . يقول : إيمانهم أول مرة لن يَنْفَعَهُمْ ^(١) .

وقال آخرون : معنى قوله : ﴿ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا﴾ : ماتوا كفارًا ، فكان ذلك هو زيادتهم من كُفْرِهِمْ . وقالوا : معنى : ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ : لن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ عند موتهم .

ذِكْرٌ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدٌ ، قال : ثنا أسباطٌ ، عن الشَّدِيِّ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ : أما : ﴿أزدَادُوا كُفْرًا﴾ ؛ فماتوا وهم كفارٌ ، وأما : ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ ؛ فعند موته إذا تاب لم تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ ^(٢) .

قال أبو جعفرٍ : وأولى هذه الأقوال بالصوابِ في تأويلِ هذه الآية قولٌ من قال : عنى بها اليهود . وأن يكونَ تأويلُهُ : إن الذين كفروا من اليهودِ بمحمدٍ ﷺ عند مَبْعَثِهِ ، بعدَ إيمانهم به قبلَ مَبْعَثِهِ ، ثم ازدادوا كُفْرًا بما أصابوا من الذنوبِ في كُفْرِهِمْ ومُقامِهِمْ على ضلالَتِهِمْ ، لن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ من ذنوبِهِمْ التى أصابوها في كُفْرِهِمْ ، حتى يتوبوا من كُفْرِهِمْ بمحمدٍ ﷺ ، ويُراجِعوا التوبةَ منه ، بتَّصَدِيقٍ ^(٣) ما جاء به من عندِ اللَّهِ .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوالِ فى هذه الآيةِ بالصوابِ ؛ لأن الآياتِ قبلَها وبعدها فيهم نزلت ، فأولى أن تكونَ هى فى معنى ما [٢٩/١] ط قبلَها

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٠/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠١/٢ (٣٨٠٠) من طريق أحمد بن مفضل به بشرطه الأول .

(٣) فى ص ، ت ٢ : « بتصديقه » .

وما بعدها إذ^(١) كانت في سياقٍ واحدٍ .

وإنما قلنا : معنى ازديادهم الكفر ما أصابوا في كفرهم من المعاصي ؛ لأنه جل ثناؤه قال : ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . فكان معلوماً أن معنى قوله : ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . إنما هو معنيٌّ به : لن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ مما ازدادوا^(٢) من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم ، لا من كفرهم ؛ لأن الله تعالى ذكره وعد أن يقبل التوبة من عباده ، فقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [الشورى : ٢٥] . فمُحَالٌّ أن يقول عز وجل : أقبُل ، ولا أقبُل . في شيء واحدٍ . وإذا كان ذلك كذلك - وكان من مُحْكَمِ الله في عباده أنه قابلٌ توبة كل تائبٍ من كل ذنب ، وكان الكفر بعد الإيمان أحد تلك الذنوب التي وعد قبول التوبة منها بقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ - عُليم أن المعنى / الذي لا يقبل التوبة منه غير المعنى الذي يقبل التوبة منه . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذي لا يقبل منه التوبة هو الازدياد على الكفر بعد الكفر ، لا يقبل الله^(٣) توبة صاحبه ما أقام على كفره ؛ لأن الله لا يقبل من مشركٍ عملاً ما أقام على شركه وضلاله ، فأما إن تاب من شركه وكفره وأصلح ، فإن الله - كما وصف به نفسه - غفورٌ رحيمٌ .

فإن قال قائلٌ : وما يُنكر أن يكون معنى ذلك كما قال من قال : فلن تُقبَلَ تَوْبَتُهُمْ من كفرهم عند حضور^(٤) أجله ، و^(٥) تَوْبَتُهُ الأولى ؟

(١) في ص ، ت ٢ : « إذا » .

(٢) في ص : « أرادوا » .

(٣) بعده في ص ، ت ٢ ، س : « منه » .

(٤ - ٥) لعل صواب السياق : « أجلهم وتوبتهم الأولى » .

(٥) في ص ، س : « أو » .

قيل : أنكرنا ذلك لأن التوبة من العبد غير كائنة إلا في حال حياته ، فأما بعد مماته فلا توبة ، وقد وعد الله عز وجل عباده قبول التوبة منهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، ولا خلاف بين جميع الحجة في أن كافراً لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين ، أن حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه والموازنة ، وسائر الأحكام غيرهما^(١) . فكان معلوماً بذلك أن توبته في تلك الحال لو كانت غير مقبولة ، لم ينتقل حكمه من حكم الكفار إلى حكم أهل الإسلام ، ولا منزلة بين الموت والحياة يجوز أن يقال : لا يقبل الله فيها توبة الكافر . فإذا صح أنها في حال حياته مقبولة ، ولا سبيل بعد الممات إليها ، بطل قول الذي زعم أنها غير مقبولة عند حضور الأجل .

وأما قول من زعم أن معنى ذلك : التوبة التي كانت قبل الكفر . فقول لا معنى له ؛ لأن الله عز وجل لم يصف القوم بإيمان كان منهم بعد كفر ، ثم كفر بعد إيمان ، بل إنما وصفهم بكفر بعد إيمان ، فلم يتقدم ذلك الإيمان كفر كان للإيمان لهم توبة منه ، فيكون تأويل ذلك على ما تأوله قائل ذلك . وتأويل القرآن على ما كان موجوداً في ظاهر التلاوة - إذا لم تكن حجة تدل على باطن خاص - أولى من غيره وإن أمكن توجيهه إلى غيره .

وأما قوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ . فإنه يعنى بذلك : وهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً ، هم الذين^(٢) ضلوا^(٣) سبيل الحق ، فأخطأوا منهجه ، وتركوا نصف^(٤) السبيل وهدى الله^(٥) ،^(٦) خيرة منهم ، وعمى عنه^(١) .

(١) في ص ، ت ، ١ ، س : « غيرها » .

(٢) بعده في ت ٢ : « كفروا » .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، س : « أضلوا » .

(٤) في م : « منصف » . ونصف السبيل عدله وجادته .

(٥) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، س ، وبعده في م : « الذى » .

(٦ - ٦) في ص : « خبرهم منهم » ، وفي م : « أخبرهم عنه فعموا عنه » .

وقد بيّنا فيما مضى معنى « الضلال » بما فيه الكفاية^(١) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ۗ أُؤْتِيكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٩١) .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى : جحدوا نبوة محمد ﷺ ولم يُصدّقوا به وبما جاء به من عند الله من أهل كلّ ملة ؛ يهودها ونصاراها ومجوسها وغيرهم ، ﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا ﴾ . يعنى : وماتوا على ذلك من جحود نبوته وجحود ما جاء به ، ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ﴾ . يقول : فلن يُقبَل ممن كان بهذه الصفة فى الآخرة جزاءً

ولا رشوة على ترك عقوبته / على كفره ، ولا جعل على العفو عنه ، ولو كان له ٣٤٦/٣ من الذهب قدر ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها ، فرشا وجزى^(٢) على ترك عقوبته ، وفى العفو عنه على كفره ، عوضاً مما اللّه مُجِلُّ به من عذابه^(٣) ؛ لأن الرشا إنما يُقبَلُ مَنْ كان ذا حاجة إلى ما رُشِيَ^(٤) ، فأما مَنْ له الدنيا والآخرة ، فكيف يُقبَلُ الفدية وهو خلاق كلّ فدية افتدى بها مُفتدي من^(٥) نفسه أو غيره ؟

وقد بيّنا أن معنى « الفدية » : العوض والجزاء من المُفتدى منه ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع^(٦) .

ثم أخير عزّ وجلّ عما لهم عنده ، فقال : ﴿ وَأُولَئِكَ ﴾ . يعنى : هؤلاء الذين

(١) ينظر ما تقدم فى ١٩٧/١ - ١٩٩ .

(٢) فى ص ، ت ١ : « جزاء » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « عباد » ، وفى س : « عقابه » .

(٤) فى ت ١ ، س : « رشا » .

(٥) فى م : « عن » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ٣ / ١٨٠ .

كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ، ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . يقول : لهم عند الله في الآخرة عذابٌ مُوجِعٌ ، ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴾ . يعنى : وما لهم من قريبٍ ولا حميمٍ ولا صديقٍ يَنْصُرُهُ فَيَسْتَنْقِذَهُ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ عَذَابِهِ ، كما كانوا يَنْصُرُونَهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنْ حَاوَلَ أَذَاهُ وَمَكْرُوهُهُ .

وقد حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، قال : ثنا أنس بن مالك ، أن نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقول : « يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ ؟ فيقول : نعم . قال فيقال : لقد سئلت ما هو أيسرُ من ذلك » . فذلك قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ [١/٤٣٠] أَحَدِهِمْ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أفتَدَى بِهِ ۗ ﴾ ^(١) .

حدَّثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفى ، قال : ثنا عبَّادٌ ، عن الحسن ، قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ . قال : هو كلُّ كافرٍ ^(٢) .

ونُصِبَ قوله : ﴿ ذَهَبًا ﴾ على الخروجِ من المقدارِ الذى قبله والتفسيرِ ^(٣) منه ، وهو قوله : ﴿ مِثْلُ الْأَرْضِ ﴾ . كقولِ القائلِ : عندى قَدْرُ زِقِّ سَمْنًا ، وَقَدْرُ رَطْلٍ عَسَلًا . فالعسلُ ^(٤) مُبَيَّنٌ ^(٥) به ما ^(٦) ذُكِرَ من المقدارِ ، وهو نكرةٌ منصوبةٌ على التفسيرِ

(١) أخرجه أحمد ١٧/٢١ ، ٤٧١ (١٣٢٨٨ ، ١٤١٠٧) ، وعبد بن حميد (١١٧٩) ، والبخارى (٦٥٣٨) ، ومسلم (٢٨٠٥) ، وأبو يعلى (٢٩٢٦ ، ٢٩٧٦ ، ٣٠٢١) ، وابن حبان (٧٣٥١) ، والبيهقى فى البعث (٩١ ، ٩٢) من طريق سعيد بن أبى عروة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٢/٢ (٣٨٠٦) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٣) التفسير : التمييز . وينظر ما تقدم فى ٢٤٣/٢ .

(٤) فى ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : « بالعسل » .

(٥) فى ت ، ١ ، س : « يبين » . والمبين : المميز . ينظر شرح التسهيل ٣٧٩ / ١ .

(٦) فى ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، س : « عما » .

للمقدارِ ، والخروجِ منه .

وأما نحويو البصرة ، فإنهم زعموا أنه نَصَبَ الذهبَ لاشتغالِ^(١) الملءِ^(٢) بالأرضِ ، ومجىءِ الذهبِ بعدهما ، فصار نصبُها نظيرَ نصبِ الحالِ ، وذلك أن الحالَ يَجِيءُ بعدَ فعلٍ قد شُغِلَ بفاعله فيُنصَبُ ، كما يُنصَبُ المفعولُ الذي يأتي بعدَ الفعلِ الذي قد شُغِلَ بفاعله . قالوا : ونظيرُ قوله : ﴿ مَلَأُ الْأَرْضَ ذَهَبًا ﴾ . فى نَصَبِ الذهبِ فى الكلامِ : لى مِثْلِكَ رجلاً . بمعنى : لى مِثْلِكَ من الرجالِ . وزعموا أن نَصَبَ الرجلِ لاشتغالِ الإضافةِ بالاسمِ ، فُنصِبَ كما يُنصَبُ المفعولُ به ؛ لاشتغالِ^(٣) الفعلِ بالفاعلِ .

وأَدْخَلَتِ الواوُ فى قوله : ﴿ وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ﴾ . لمُحذوفٍ من الكلامِ بعده ، دلَّ عليه دخولُ الواوِ ،^(٤) كالواوِ فى قوله : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾^(٥) [الأنعام : ٧٥] . وتأويلُ الكلامِ : وليكونَ من الموقنين^(٥) أرئناهُ ملكوتَ السماواتِ والأرضِ . فكذلك ذلك فى قوله : ﴿ وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ﴾ . ولو لم يكنْ فى الكلامِ واوٌ لكان الكلامُ صحيحاً ، ولم يكنْ هناك متروكٌ ، وكان : فلن يُقبلَ من أحدهم ملءُ الأرضِ ذهباً لو افتدى به .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ

(١) فى ت ١ ، س : « لاشتغال » .

(٢) فى ت ٢ : « الملل » .

(٣) فى ت ١ ، س : « لاشتغال » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ .

(٥) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « لمتروك من الكلام دل عليه دخول الواو وتأويل الكلام وليكون من

الموقنين » .

فَاتَّكَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ ﴿٩٢﴾ .

/يعنى بذلك جل ثناؤه : لن تُدرِكوا أيُّها المؤمنون البرَّ ، وهو البرُّ من اللّهِ الذى ٣٤٧/٣
يَطْلُبونه منه بطاعتهم إيّاه ، وعبادتهم له ، ويَزجونه منه ، وذلك تَفْضُّله عليهم
يُدخالهم جنّته ، وصرّف عذابه عنهم . ولذلك قال كثيرٌ من أهل التّأويل : البرُّ
الجنة ؛ لأنّ برَّ الرّبِّ بعبده فى الآخرة إكرامه ^(١) إيّاه يُدخاله الجنة .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن شريكٍ ، عن أبى إسحاقٍ ، عن عمرو بن
ميمونٍ ، فى قوله : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ ﴾ . قال : الجنة ^(٢) .

حدّثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمَانِيّ ، قال : ثنا شريكٌ ، عن أبى إسحاقٍ ، عن
عمرو بن ميمونٍ فى قوله : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ ﴾ . قال : البرُّ الجنة .

حدّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن
السُّدِّىّ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ ﴾ : أما البرُّ فالجنة ^(٣) .

فتأويلُ الكلام : لن تنالوا أيُّها المؤمنون جنة ربِّكم ﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا
يُحِبُّونَ ﴾ . يقول : حتى تتصدّقوا مما تُحِبُّون ^(٤) وتَهْوُونَ أن يكونَ لكم من نفيسِ
أموالِكُم .

كما حدّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةٍ قوله : ﴿ لَنْ نَنَالُوا

(١) فى م : « وإكرامه » .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ٤٢٤/١٣ عن شريك به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٣/٣ عقب الأثر (٣٨٠٩) من طريق عمرو ، عن أسباط به .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « فتهوون » .

الْبِرِّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ ﴿١﴾ . يَقُولُ : لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ بِكُمْ^(١) حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُعْجِبُكُمْ ، وَمَا تَهْوُونَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ ، عَنْ عَبَّادٍ ، عَنِ الْحَسَنِ قَوْلَهُ : ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ﴾ . قَالَ : مِنَ الْمَالِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ : وَمَهْمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَتَتَصَدَّقُوا بِهِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِمَا يَتَصَدَّقُ بِهِ الْمُتَصَدِّقُ مِنْكُمْ ، فَيُنْفِقُهُ مِمَّا يُحِبُّ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿عَلِيمٌ﴾ . يَقُولُ : هُوَ ذُو عِلْمٍ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهُ ، حَتَّى يُجَازِيَ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ جَزَاءَهُ فِي الْآخِرَةِ .

كَمَا حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ . يَقُولُ : مَحْفُوظٌ لَكُمْ ذَلِكَ ، اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ، شَاكِرٌ لَهُ^(٣) . وَبِنَحْوِ التَّأْوِيلِ الَّذِي قَلْنَا تَأْوِيلَ هَذِهِ الْآيَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ﴾ . قَالَ : كَتَبَ عَمْرٌو بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنْ يَتَتَعَ لَهُ جَارِيَةٌ مِنْ

(١ - ١) فِي ص : «بِرِكُمْ» ، وَفِي ت : ٢ : «بِيرِكُمْ» ، وَفِي ت ١ ، س : «بِرِكُمْ» .

(٢) عَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرَامَثُورِ ٥١/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٠٤/٣ (٣٨١٥) مِنْ طَرِيقِ شَيْبَانَ ، عَنْ قَتَادَةَ .

جُلُودًا^(١) يَوْمَ فَتَحَتْ مَدَائِنُ كَسْرَى ، فِي قِتَالِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَدَعَا بِهَا
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا
تُحِبُّونَ ﴾ . فَأَعْتَقَهَا عُمَرُ . وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى
حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] . ﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
حَصَاصَةٌ ﴾^(٢) [الحشر : ٩] .

/ حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا سَيْبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ ٣٤٨/٣
مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ سِوَاءً .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ،
قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . أَوْ هَذِهِ الْآيَةُ :
﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة : ٢٤٥ / الحديد : ١١] . قَالَ أَبُو طَلْحَةَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَائِطِي الَّذِي بَكَذَا وَكَذَا صَدَقَةٌ ، وَلَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ سِرًّا لَمْ
أَجْعَلْهُ عَلَانِيَةً . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اجْعَلْهَا فِي قُرَاءِ أَهْلِكَ »^(٣) .

[٤٣٠/١] حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي ، قَالَ : ثنا الْحِجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ ، قَالَ : ثنا حَمَّادٌ ، عَنْ
ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا
مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . قَالَ أَبُو طَلْحَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَسْأَلُنَا مِنْ أَمْوَالِنَا ، أَشْهَدُ أَنِّي قَدْ

(١) أى من سبى جلولاء . وجلولاء اسم للوقعة التي كانت بين المسلمين والفرس في صفر من سنة ست
عشرة ، وفيها انتصر المسلمون بعد قتال لم يسمع بمثله ، وقتل من الفرس يومئذ مائة ألف ، حتى جلولوا وجه
الأرض بالقتلى ، فلذلك سميت جلولاء . ينظر تاريخ المصنف ٢٤/٤ - ٣٤ ، والبداية والنهاية ١٠/٢٠ - ٢٤ .
(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٥٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .
(٣) أخرجه أحمد ١٩/١٩١ ، ٢٠/١٧٩ ، ٢١/٢٩٥ (١٢١٤٤) ، ١٢٧٨١ ، (١٣٧٦٧) ، وعبد بن
حميد (١٤١٣) ، والترمذي (٢٩٩٧) ، وأبو يعلى (٣٨٦٥) ، وابن خزيمة (٢٤٥٨) ، (٢٤٥٩) ،
والطحاوي ٣/٢٨٩ ، ٤/٣٨٦ ، والدارقطني ٤/١٩١ من طريق حميد به .

جَعَلْتُ أَرْضِي بِأَرْيَحًا^(١) لِلَّهِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اجعلها في قرابتك » . فجعلها بينَ حسانَ بنِ ثابتٍ وأبي بنِ كعبٍ^(٢) .

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ ، قال : ثنا ليثُ ، عن ميمونِ بنِ مهرانَ ، أن رجلاً سألَ أبا ذرٍّ : أيُّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قال : الصلاةُ عمادُ الإسلامِ ، والجهادُ سنامُ العملِ ، والصدقةُ شيءٌ عَجَبٌ^(٣) . فقال : يا أبا ذرٍّ ، لقد تَرَكْتَ شيئاً هو أوثقُ عملي في نفسي لا أراك ذَكَرْتَهُ . قال : ما هو ؟ قال : الصيامُ . فقال : قُزْبَةٌ ، وليس هنا^(٤) . وتلا هذه الآية : ﴿ لَنْ نَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ ﴾^(٥) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرني داودُ بنُ عبدِ الرحمنِ المكِّيُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي حسينٍ ، عن عمرو بنِ دينارٍ ، قال : لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيةُ : ﴿ لَنْ نَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ ﴾ . جاء زيدٌ بفرسٍ له ، يقالُ لها : سَبَلٌ^(٦) . إلى النبيِّ ﷺ ، فقال : تَصَدَّقْ بهذه يا رسولَ اللَّهِ . فأعطاهَا

(١) كذا في النسخ ، وسنن أبي داود . ويقال أيضاً : بيرحاء . بالمد والقصر ، بفتح الراء وضمها ، مصروف وممنوع . قال الزمخشري : هو بوزن « فَيْعَلِي » من البراح ، وهي الأرض الظاهرة ، وهو اسم مال وموضع بالمدينة . ينظر الفائق ٩٣/١ ، ومشارك الأنوار ١١٥/١ ، ١١٦ ، والنهاية ١١٤/١ ، وعون المعبود ٥٨/٢ .

(٢) أخرجه أحمد ٤٣١/٢١ (١٤٠٣٦) ، ومسلم ٤٣/٩٩٨ ، وأبو داود (١٦٨٩) ، والنسائي (٣٦٠٤) ، وابن خزيمة (٢٤٦٠) ، وابن حبان (٧١٨٣) ، والدارقطني ١٩١/٤ ، والبيهقي ١٦٥/٦ ، ٢٨٥ ، وفي الشعب (٣٤٢٣) ، وابن عبد البر في التمهيد ٢١٦/١ من طريق حماد بن سلمة به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٢ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

(٣) في م : « عجيب » .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٣ : « هناك » . والمثبت موافق لما في الدر المنثور .

(٥) عزه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٢ إلى المصنف .

(٦) في م : « سيل » . والمثبت موافق لما في كتاب الخليل لأبي عبيدة ص ١٧٩ . وينظر تاج العروس (س ب ل) .

رسولَ اللَّهِ ﷺ ابته أسامة بن زيد بن حارثة ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنما أردتُ أن أتصدقَ به . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قد قُبِلت صدقتك » ^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن أيوبَ وغيره أنها حين نزلت : ﴿ لَنْ نَأْتُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . جاء زيدُ بنُ حارثةَ بفرسٍ له كان يُحبُّها ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هذه في سبيلِ اللَّهِ . فحمل رسولُ اللَّهِ ﷺ عليها أسامة بنُ زيدٍ ، فكأنَّ زيدًا وجد في نفسه ، فلما رأى ذلك منه النبيُّ ﷺ ، قال : « أما إنَّ اللَّهَ قد قَبِلها » ^(٢) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٩٣) .

يعنى بذلك جل ثناؤه أنه لم يكن حرم على بنى إسرائيل - وهم ولدُ يعقوبَ ابنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ خليلِ الرحمن - شيئًا من الأَطعمة من قبل أن تُنزلَ التوراةُ ، بل كان ذلك كله لهم حلالًا ، إلا ما كان يعقوبُ حرمه على نفسه ، فإنَّ ولدَه حرموه استينانًا بأبيهم يعقوبَ ، من غيرِ تحريمِ اللَّهِ ذلك عليهم فى وَحْيٍ ، ولا تنزِيلٍ ، ولا على لسانِ رسولٍ له إليهم ، من قبلِ نزولِ التوراةِ .

ثم اختلف أهلُ التأويلِ فى تحريمِ ذلك عليهم : هل نزل فى التوراةِ أم لا ؟ فقال بعضهم : لما أنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ التوراةَ حرمَ عليهم من ذلك ما كانوا يُحرمونه قبلَ نزولها .

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٦٧/١٩ من طريق ابن وهب به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٢٦٦ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن
 الشدي قوله: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى
 نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فَمَنْ قَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ﴾ . قالت اليهود: إنما نحرم ما حرم إسرائيل على نفسه، وإنما حرم
 إسرائيل العزوق، كان يأخذه عزوق النساء^(١)، كان يأخذه بالليل، ويتزكّه بالنهار،
 فحلف لئن الله عافاه منه لا يأكل عزوقًا أبدًا. فحرّمه الله عليهم. ثم قال: ﴿قُلْ
 فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ . ما حرم هذا عليكم غيري؛
 ببيغيتكم، فذلك قوله: ﴿فَيُظْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ
 لَهُمْ﴾^(٢) [النساء: ١٦٠].

فتأويل الآية على هذا القول: كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل، إلا ما حرم
 إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنزل التوراة، فإن الله حرم عليهم من ذلك ما كان
 إسرائيل حرمه على نفسه في التوراة؛ ببيغيتهم على أنفسهم وظلمهم لها. قل
 يا محمد: فأتوا أيها اليهود - إن أنكرتم ذلك - بالتوراة، فاتلوها إن كنتم
 صادقين أن الله لم يحرم ذلك عليكم في التوراة، وأنكم إنما تحرمونه لتحريم

٢/٤

(١) عرق النساء: وجع يتدنى من الورك من خلف، وينزل إلى الركبة، وربما بلغ الكعب، وكلما طال زمانه
 زاد نزوله، وربما امتد إلى الأصابع بحسب كثرة مادته وقتها، ويهزل معه الرجل، والفخذ، ويصعب
 الانكباب وتسوية القامة، وربما انخلع بسببه طرف الفخذ. ينظر الموجز في الطب لابن النفيس ص ٢٦٧.
 (٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٢/٢ عن المصنف. وينظر تفسير البغوي ٦٨/٢، وتفسير القرطبي ١٣٤/٤،

والعروق المقصودة هي العروق التي تكون في اللحم، جمع عزوق وهو الأجوف الذي يكون فيه الدم،
 والعصب: غير الأجوف. ينظر تفسير البغوي ٦٨/٢، والنهاية ٢١٩/٣.

إسرائيلَ إِيَّاهُ عَلَى نَفْسِهِ .

وقال آخرون : ما كان شيءٌ من ذلك عليهم حرامًا ، ولا حرّمه الله عليهم في التوراة ، وإنما هو شيءٌ حرّمه على أنفسهم ، اتّباعًا لأبيهم ، ثم أضافوا تحريمه إلى الله ، فكذبهم الله عزّ وجلّ في إضافتهم ذلك إليه ، فقال الله عزّ وجلّ لنبيه محمدٍ ﷺ : قل لهم يا محمدُ : إن كنتم صادقين ، فأتوا بالتوراة فاتلوها حتى ننظر هل ذلك فيها أم لا ؟ فيتبيّن^(١) كذبهم لمن يجهل أمرهم .

ذكر من قال ذلك

حدّث عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعتُ أبا معاذٍ ، قال : أخبرنا عبيدُ بنُ سليمان ، قال : سمعتُ الضحّاك يقولُ في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ : إسرائيلُ هو يعقوبُ ، أخذَه عزقُ النّساءِ ، فكان لا يبيّت^(٢) الليلَ من وجعه ، وكان لا يؤذيه بالنهار ، فحلفَ لئن شفاه الله لا يأكلُ عروقًا أبدًا . وذلك قبلَ نزولِ التوراةِ على موسى ، فسألَ نبيَّ الله ﷺ اليهودَ : ما هذا الذي حرّم إسرائيلُ على نفسه ؟ فقالوا : نزلتِ التوراةُ بتحريمِ الذي حرّم إسرائيلُ . فقال الله لمحمدٍ ﷺ : [١/٤٣١و] ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴾ . وكذبوا وافتروا ؛ لم تُنزلِ التوراةُ بذلك^(٣) .

وتأويلُ الآيةِ على هذا القولِ : كلُّ الطعامِ كان حلالًا لبنى إسرائيلَ من قبلِ أن

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « ليتبين » .

(٢) في ص ، م : « يبيت » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٠٦ ، ٧٠٧ (٣٨٢٥) من طريق أبي معاذ به مقتصرًا على آخره .

تُنزَلُ التَّوْرَةُ وَبَعْدَ نَزْوِهَا ، إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ .
 بِمَعْنَى : لَكِنَّ إِسْرَائِيلَ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ بَعْضَ ذَلِكَ . وَكَأَنَّ
 الضَّحَّاكَ وَجَّهَ قَوْلَهُ : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . إِلَى الْإِسْتِثْنَاءِ الَّذِي
 يُسَمِّيهِ النُّحَوِيُّونَ الْإِسْتِثْنَاءَ الْمُنْقَطِعَ .

وَقَالَ آخَرُونَ : تَأْوِيلُ ذَلِكَ : كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
 إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ عَلَى وَلَدِهِ ، بِتَحْرِيمِ
 إِسْرَائِيلَ إِيَّاهُ عَلَى وَلَدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ حَرَّمَهُ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَلَا عَلَى وَلَدِهِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى
 أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي
 إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ : فَإِنَّهُ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْعُرُوقَ ،
 وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا ، فَكَانَ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ عَافَانِي اللَّهُ
 مِنْهُ لَا يَأْكُلُهُ لِي وَلَدٌ ، وَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي التَّوْرَةِ . وَسَأَلَ مُحَمَّدٌ ﷺ نَفَرًا مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ ، فَقَالَ : « مَا شَأْنُ هَذَا حَرَامًا ؟ » فَقَالُوا : هُوَ حَرَامٌ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلِ الْكِتَابِ .
 فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ إِلَى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حَجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قَالَ
 ابْنُ عَبَّاسٍ : أَخَذَهُ - يَعْنِي إِسْرَائِيلَ - عِرْقُ النَّسَا ، فَكَانَ لَا يَبِيتُ ^(٢) بِاللَّيْلِ مِنْ شِدَّةِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٦/٣ (٣٧٢٢) عن محمد بن سعد به ، من قوله : سأل محمد

الوجع ، وكان لا يُؤذيه بالنهار ، فحلف لعن شفاه الله لا يأكل عرقاً أبداً . وذلك قبل أن تُنزل التوراة ، فقال اليهودُ للنبيِّ ﷺ : نَزَلَتْ / التوراةُ بتحريمِ الذي حرّم إسرائيلُ ٤/ ، على نفسه . قال اللهُ لمحمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . وكذبوا ، ليس في التوراة ^(١) .

قال أبو جعفرٍ : وأولى الأقوالِ في ذلك عندنا بالصواب ^(٢) : قولُ من قال : معنى ذلك : كلُّ الطعامِ كان حلالاً لبني إسرائيلَ من قبلِ أن تُنزلَ التوراةُ ، إلا ما حرّم إسرائيلُ على نفسه ، من غيرِ تحريمِ الله ذلك عليه ، فإنه كان حراماً عليهم بتحريمِ أبيهم إسرائيلَ ذلك عليهم ، من غيرِ أن يُحرّمه اللهُ عليهم في تنزيلِ ، ولا بوحى قبلَ التوراةِ ، حتى نزلتِ التوراةُ ، فحرّم اللهُ عليهم فيها ما شاء ، وأحلَّ لهم فيها ما أحبَّ . وهذا قولُ قائله جماعةٌ من أهلِ التأويلِ ، وهو معنى قولِ ابنِ عباسٍ الذي ذكرناه قبلُ .

ذَكَرُ بَعْضُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّورَةُ ﴾ : وإسرائيلُ هو يعقوبُ ، ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . يقولُ : كلُّ الطعامِ كان حلالاً لبني إسرائيلَ من قبلِ أن تُنزلَ التوراةُ ، إلا ما حرّم إسرائيلُ على نفسه ، فلمَّا أنزل اللهُ التوراةَ حرّم عليهم فيها ^(٣) ما شاء ^(٣) ، وأحلَّ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٦/٣ (٣٨٢٣) من طريق ابن جريج عن ابن عباس ببعضه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٢/٢ إلى ابن المنذر ، مطولاً .

(٢) بعده في ص ، ت ، ١ ، س : « أن » .

(٣ - ٣) في ص ، ت ، ١ ، س : « أشياء » .

لهم ما شاء^(١) .

حدَّثت عن عمار ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ بنحوه .
واختلف أهلُ التأويلِ في الذي كان إسرائيلُ حرَّمه على نفسه ؛ فقال بعضهم :
كان الذي حرَّمه إسرائيلُ على نفسه العُرُوقُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا أَبُو بَشِيرٍ ، عن يوسُفَ
ابنِ ماهَكَ ، قال : جاءَ أعرابيٌّ إلى ابنِ عباسٍ ، فقال : إنه جعل امرأته عليه حرامًا .
قال : ليست عليك بحرامٍ . قال : فقال الأعرابيُّ : ولمَ ؟ واللَّهِ يقولُ في كتابه :
﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ .
قال : فضحك ابنُ عباسٍ وقال : وما يُدريك ما كان إسرائيلُ حرَّم على نفسه ؟ قال :
ثم أَقْبَل على القومِ يُحدِّثُهم ، فقال : إسرائيلُ عَرَضَتْ له الأنساءُ^(٢) فَأَضَنَّتْهُ ، فجعل
لِلَّهِ عليه ، إن شفاه اللهُ منها لا يَطْعَمُ عِرْقًا . قال : فلذلك اليهودُ تَنزِعُ العروقَ من
اللحمِ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبَةُ ، عن أبي بشرٍ ،
قال : سمعتُ يوسُفَ بنَ ماهَكَ ، يُحدِّثُ أن أعرابيًّا أتى ابنَ عباسٍ ، فذكر رجلًا حرَّم
امرأته ، فقال : إنها ليست بحرامٍ . فقال الأعرابيُّ : رأيت قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ كُلُّ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٦/٣ (٣٨٢١) من طريق شيبان عن قتادة دون أوله .

(٢) الأنساء : جمع نساء . وتقدم تعريف عرق النساء في ص ٥٧٨ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٨ - تفسير) من طريق أبي بشر به نحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥١/٢ إلى عبد بن حميد .

الطَّعَامِ كَانَ حَلَالٍ لِّنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴿٤٥﴾ . فقال : إن إسرائيل كان به عِرْقُ النَّسَا ، فحَلَفَ لَنَ عَافَاهُ اللَّهُ أَلَا يَأْكُلُ العُرُوقَ مِنَ اللِّحْمِ . وإنها ليست عليك بحرام .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن سليمانَ التَّيْمِيِّ ، عن أبي مَجَلَزٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كُلُّ / الطَّعَامِ كَانَ حَلَالٍ لِّنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قال : إن يعقوبَ أَخَذَهُ وَجَعُ عِرْقِ النَّسَا ، فَجَعَلَ لِلَّهِ عَلَيْهِ ، أَوْ ^(١) أَقْسَمَ ، أَوْ قَالَ : لَا يَأْكُلُهُ مِنَ الدُّوَابِّ . قال : والعروقُ كُلُّهَا تَبِعَ لِذَلِكَ العَرِقِ .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الَّذِي حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ، أَنَّ الْأَنْثَاءَ أَخَذَتْهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَأَشْهَرَتْهُ ، فَتَأَلَّى ^(٢) ، إِنَّ اللَّهَ شَفَاهُ لَا يَطْعَمُ نَسَا أَبَدًا . فَتَبَعَتْ بَنُوهُ العُرُوقَ بَعْدَ ذَلِكَ ، يُخْرِجُونَهَا [٤٣١/١ ظ] مِنَ اللِّحْمِ .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ بِنَحْوِهِ . وَزَادَ فِيهِ : قَالَ : فَتَأَلَّى ؛ لَنَ شَفَاهُ اللَّهُ لَا يَأْكُلُ عِرْقًا أَبَدًا . فَجَعَلَ بَنُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَّبِعُونَ العُرُوقَ فَيُخْرِجُونَهَا مِنَ اللِّحْمِ ، وَكَانَ الَّذِي حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ، العُرُوقُ .

حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قال : اشْتَكَى إِسْرَائِيلُ عِرْقَ النَّسَا ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ شَفَانِي لِأَحْرَمَنَّ العُرُوقَ . فَحَرَّمَهَا ^(٣) .

(١) في ت ١ ، ت ٢ ، س : « أن » .

(٢) أى : حلف .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٦ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ ،
عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَانَ إِسْرَائِيلُ
أَخَذَهُ عِرْقُ النَّسَا ، فَكَانَ يَبِيتُ لَهُ زُقَاءً ، فَجَعَلَ لِلَّهِ عَلَيْهِ إِنْ شَفَاهُ إِلَّا يَأْكُلُ الْعُرُوقَ ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كُلُّ الْأَطْعَامِ كَانَ حَلَالًا لِيَنبِيَّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ
عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قَالَ سَفِيَانُ : لَهُ زُقَاءً ، يَعْنِي : صِيَاخٌ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيْرٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قَالَ : كَانَ يَشْتَكِي
عِرْقَ النَّسَا ، فَحَرَّمَ الْعُرُوقَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حَازِمَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ
مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيْرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ،
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كُلُّ الْأَطْعَامِ كَانَ حَلَالًا لِيَنبِيَّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ . قَالَ : كَانَ إِسْرَائِيلُ يَأْخُذُهُ عِرْقُ
النَّسَا ، فَكَانَ يَبِيتُ وَلَهُ زُقَاءً ، فَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَأْكُلَ عِرْقًا .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ الَّذِي كَانَ إِسْرَائِيلُ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ لِحَوْمِ الْإِبِلِ وَأَبْنَانِهَا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : ثَنَى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ ، قَالَ : سَمِعْنَا أَنَّهُ اشْتَكَى شَكْوَى ، فَقَالُوا : إِنَّهُ عِرْقُ النَّسَا . فَقَالَ :

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٦ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٦ .

ربّ ، إن أحبّ الطعامِ إلىّ لحومُ الإبلِ وألبانها ، فإن شفّيتني فإنني أحرّمها عليّ^(١) .
قال ابنُ جريجٍ : وقال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ : لحومُ الإبلِ وألبانها حرّم إسرائيل^(٢) .

حدّثني محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفيّ ، قال : ثنا عبّادُ ، عن الحسنِ
في قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ . قال : كان إسرائيلُ حرّم
على نفسه لحومَ الإبلِ ، وكانوا يزعمون أنهم يجدون في التوراة تحريمَ إسرائيلَ على
نفسه لحومَ الإبلِ ، وإنما كان حرّم إسرائيلُ على نفسه لحومَ الإبلِ / قبل أن تُنزلَ
التوراةُ ، فقال اللهُ : ﴿ فَأَتُوا بِالتَّورَةِ فَأَتَلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . فقال : لا
تجدون في التوراة تحريمَ إسرائيلَ على نفسه ، أي^(٣) لحمَ الإبلِ .

حدّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، قال : ثنا
حبيبُ بنُ أبي ثابتٍ ، قال : ثنا سعيدٌ . عن ابنِ عباسٍ ، أن إسرائيلَ أخذهُ عِرْقُ
النّسا ، فكان يبيّثُ بالليلِ له زُقاءً . يعنى : صياحٌ . قال : فجعل على نفسه لئِن شَفَاهُ
اللهُ منه لا يأكلهُ ، يعنى لحومَ الإبلِ . قال : فحرّمه اليهودُ . وتلا هذه الآيةُ : ﴿ كُلُّ
الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ
التَّورَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّورَةِ فَأَتَلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . أي : إنّ هذا قبلَ
التوراة^(٤) .

حدّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ عيسى ، عن الأعمشِ ، عن حبيبٍ ، عن

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣/٣ عن عبد الله بن كثير .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٢/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء .

(٣) في النسخ : « إلا » . وهو ما لا يستقيم مع السياق المذكور في بقية الأثر قبل هذه اللفظة ، والمثبت ما
يستقيم به السياق . وهو صنيع الشيخ شاكر رحمه الله .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٥/٣ (٣٨١٨) ، والحاكم ٢/٢٩٢ ، والبيهقي ٨/١٠ من طريق

يحيى بن سعيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥١/٢ إلى عبد بن حميد والفريابي وابن المنذر .

سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قال : حَرَّمَ العروقَ ولحومَ الإبلِ . قال : كان به عِرْقُ النَّسَا ، فأكَل من لحومِها ، فبات بليلة يَزُقُو ، فحَلَفَ ألا يأْكُلُه أبداً^(١) .

حدَّثنا أبو كُريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . قال : حَرَّمَ لحومَ^(٢) الأنعام^(٣) .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قولُ ابنِ عباس الذي رواه الأعمشُ ، عن حبيب ، عن سعيد عنه ، أن ذلك العروقُ ولحومُ الإبلِ ؛ لأن اليهودَ مُجمِعةً إلى اليومِ على ذلك من تحريمِهما ، كما كان عليه من ذلك أوائلها .

وقد روى عن رسولِ اللهِ ﷺ بنحو ذلك خبرٌ ، وهو ما حدَّثنا به أبو كُريب ، قال : ثنا يونسُ بنُ بكيرٍ ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن ابنِ عباس ، أن عِصابةً من اليهودِ حَضَرَتْ رسولَ اللهِ ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسمِ ، أخبرنا أَى الطعامِ حَرَّمَ إسرائيلُ على نفسه من قبل أن تُنزلَ التوراةُ ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ : «أَنشُدْكم بالَّذى أنزلَ التوراةَ على موسى ، هل تَعْلَمون أن إسرائيلَ يعقوبَ مَرِضاً شديداً ، فطال سُقْمُه منه ، فنذرَ لله نَذراً ؛ لئن عافاه اللهُ من سُقْمِه ، لِيَحْرَمَنَّ أَحَبَّ الطعامِ والشرابِ إليه ، وكان أَحَبَّ الطعامِ إليه لَحْمانُ الإبلِ ، وأَحَبَّ الشرابِ إليه ألبانُها» ؟ فقالوا : اللهم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٥/٣ (٣٨١٨) من طريق الأعمش به .

(٢) في ص : «لحم» .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٥/٣ (٣٨٢٠) من طريق وكيع به .

(١) نعم .

وأما قوله : ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . فإن معناه : قل يا محمد للزاعمين من اليهود أن الله حرم عليهم فى التوراة العروق ولحوم الإبل وأبناها ﴿ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتُوهَا ﴾ . [٤٣٢/١] يقول : قل لهم : جيئوا بالتوراة فآتوها ، حتى يتبين لمن خفى عليه كذبهم ، وقيلهم الباطل على الله من أمرهم ، أن ذلك ليس مما أنزلته فى التوراة ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . يقول : إن كنتم محقين فى دعواكم أن الله أنزل تحريم ذلك فى التوراة ، فأتونا بها ، فآتوا تحريم ذلك علينا منها .

وإنما ذلك خبر من الله عن كذبهم ؛ لأنهم لا يجيئون بذلك أبداً على صحته ، فأعلم الله بكذبهم عليه نبيه ﷺ ، وجعل إعلانه إياه ذلك حجة له عليهم ؛ لأن ذلك إذا كان يخفى على كثير من أهل ملتهم ، فمحمد ﷺ - وهو أمي من غير ملتهم ، لولا أن الله أعلمه ذلك بوحي من عنده - كان أحرى ألا يعلمه ، فكان فى ذلك له ﷺ من أعظم الحجج عليهم بأنه نبي لله إليهم ؛ لأن ذلك من أخبار أوائلهم ، كان من خفى علومهم الذى لا يعلمه غير خاصة منهم ، إلا من أعلمه الذى لا يخفى عليه خافية ؛ من نبي أو رسول ، أو من أطلع الله على علمه ممن شاء من خلقه .

القول فى تأويل قوله : ﴿ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٩٤) .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٠٤ ، ٧٠٥ (٣٨١٦) ، والطبرانى فى الكبير (١٣٠١٢) من طريق عبد الحميد بن بهرام به .

يعنى جل ثناؤه بذلك : فَمَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ مَثًّا وَمِنْكُمْ ، مِنْ بَعْدِ مَجِيئِكُمْ
 بالتوراة ، وتلاوتكم إياها ، وَعَدَمِكُمْ مَا ادَّعَيْتُمْ مِنْ تَحْرِيمِ اللَّهِ الْعُرُوقَ وَالْحَوْمَ الْإِبِلِ
 وَأَلْبَانَهَا فِيهَا ، ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . يعنى : فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ ﴿ فَأُولَئِكَ ﴾ .
 يعنى : فهؤلاء الذين يفعلون ذلك ﴿ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . يعنى : فهم الكافرون القائلون
 على الله الباطل .

كما حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن زكريا ،
 عن الشعبي : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . قال : نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا
 كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٩٥) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : قل يا محمدُ : صدق الله فيما أخبرنا به من قوله :
 ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ ﴾ . وأن الله لم يحرم على إسرائيل ولا
 على ولده العروق ولا لحوم الإبل وألبانها ، وأن ذلك إنما كان شيئًا حرمه
 إسرائيل على نفسه وولده بغير تحريم الله إياه عليهم فى التوراة ، وفى كل ما
 أخبر به عباده من خير ، دونكم أنتم يا معشر اليهود الكذبة فى إضافتكم تحريم
 ذلك إلى الله عليكم فى التوراة ، المفترية على الله الباطل فى دعواكم عليه غير
 الحق . ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ . يقول : فإن كنتم أئمة اليهود محققين فى
 دعواكم أنكم على الدين الذى ارتضاه الله لأنبيائه ورسوله ، فاتبعوا ملة إبراهيم خليل
 الله ، فإنكم تعلمون أنه الحق الذى ارتضاه الله من خلقه دينًا ، واتتعت به أنبياءه ،
 وذلك الحنيفية ، يعنى : الاستقامة على الإسلام وشرائعه ، دون اليهودية والنصرانية
 والمشركية .

وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يقول : لم يكن يُشْرِكُ في عبادته أحدًا من خلقه ، فكذلك أنتم أيضًا أيها اليهود ، فلا تتخذ بعضكم بعضًا آربابًا من دون الله ، تُطيعونهم كطاعة إبراهيم ربّه . وأنتم يا معشر عبدة الأوثان ، فلا تتخذوا الأوثان والأصنام آربابًا ، ولا تعبدوا شيئًا من دون الله ؛ فإن إبراهيم خليل الرحمن كان دينه إخلاص العباد لربّه وحده ، من غير إشراك أحدٍ معه فيه ، فكذلك أنتم أيضًا ، فأخلصوا له العبادّة ، ولا تشركوا معه في العبادّة أحدًا ، فإن جميعكم مُقرّون بأن إبراهيم كان على حقٍّ وهديٍّ مستقيم ، فاتبّعوا ما قد أجمع جميعكم على تصوّيه / من ملته الحنيفيّة ، ودّعوا ما اختلفتم فيه من سائر الملل غيرها ، أيها ٧/٤ الأحزاب ، فإنها يدّع ابّتدعتموها ، إلى ما قد أجمعتم عليه أنه حقٌّ ، فإن الذي أجمعتم عليه أنه صوابٌ وحقٌّ من ملة إبراهيم ، هو الحق الذي ارتضيته ، وابتعثت به أنبيائي ورسلي ، وسائر ذلك هو الباطل الذي لا أقبله من أحدٍ من خلقي جاءني به يوم القيامة .

وإنما قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . يعنى به : وما كان من عددهم وأوليائهم . وذلك أن المشركين بعضهم من بعضٍ في التظاهر على كفرهم ، ونصرة بعضهم بعضًا ، فبرأ الله إبراهيم خليله أن يكون منهم ، أو من^(١) نصرائهم وأهل ولايتهم . وإنما عنى جلّ ثناؤه بالمشركين : اليهود والنصارى وسائر الأديان غير الحنيفيّة . قال : لم يكن إبراهيم من أهل هذه الأديان المشركية ، ولكنه كان حنيفًا مسلمًا .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٩٦) .

(١) زيادة يقتضيهما السياق .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : تأويله : إن أول بيت وضع للناس يُعبد الله فيه مباركاً وهدي للعالمين الذي ببكة . قالوا : وليس هو أول بيت وضع في الأرض ؛ لأنه قد كانت قبله بيوت كثيرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن غزوة ، قال : قام رجل إلى علي ، فقال : ألا تُخبرني عن البيت ، أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ فقال : لا ، ولكنه أول بيت وضع [٤٣٢/١ ظ] فيه ^(١) البركة ، مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ^(٢) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت خالد بن غزوة ، قال : سمعت علياً وقيل له : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ : هو أول بيت كان في الأرض ؟ قال : لا . قال : فأين كان قوم نوح ، وأين كان قوم هود ؟ قال : ولكنه أول بيت وضع للناس مباركاً وهدي ^(٣) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سأل حفص الحسن وأنا أسمع ، عن قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ . قال : هو أول مسجد عبد الله فيه في الأرض .

حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي ، قال : ثنا ضمرة ، عن ابن شوذب ، عن مطر

(١) في النسخ : « في » . والمثبت مما تقدم في ٥٦١ / ٢ .

(٢) تقدم تخريجه في ٥٦٢ / ٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٠ / ٣ (٣٨٣٩) من طريق سماك به .

في قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ . قال : قد كانت قبله بيوت ، ولكنه أول بيت وُضِعَ للعبادة^(١) .

حدَّثني محمد بنُ سنان ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفِيُّ ، قال : ثنا عبَّادٌ ، عن الحسنِ قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ : يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ ﴿ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾^(١) .

حدَّثني المُشَنَّى ، قال : ثنا الحِمَانِيُّ ، قال : ثنا شريكٌ ، عن سالمٍ ، عن سعيدٍ ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ قال : وُضِعَ للعبادة .

٨/٤

/وقال آخرون : بل هو أول بيت وُضِعَ للناس . ثم اختلفوا قائلو ذلك في صفة وضعه أول ؛ فقال بعضهم : خُلِقَ قَبْلَ جَمِيعِ الْأَرْضِينَ ، ثم دُحِيتِ الْأَرْضُونَ مِنْ تَحْتِهِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بنُ عُمارةِ الأَسَدِيِّ ، قال : ثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، قال : أَخْبَرَنَا شيبانٌ ، عن الأعمشِ ، عن بُكَيْرِ بْنِ الْأَخْنَسِ ، عن مجاهدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرو ، قال : خَلَقَ اللَّهُ الْبَيْتَ قَبْلَ الْأَرْضِ بِالْفِي سَنَةٍ ، وَكَانَ - إِذْ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ - رَئِدَةً بِيضَاءً ، فَدُحِيتِ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ^(٢) .

حدَّثني محمد بنُ عبدِ الملكِ بنِ أَبِي الشَّوَارِبِ ، قال : ثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ ، قال : ثنا خُصَيْفٌ ، قال : سَمِعْتُ مَجَاهِدًا يَقُولُ : إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ ، ثُمَّ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٢/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه الحاكم ٥١٨/٢ ، والبيهقي في دلائل النبوة ٤٤/٢ ، وفي الشعب (٣٩٨٣) من طريق مجاهد به

نحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٢/٢ إلى ابن المنذر والطبراني .

دحا الأرض من تحتها^(١) .

حدّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ : كقولهِ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(٢) [آل عمران : ١١٠] .

حدّثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِيكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ : أمّا ﴿ أَوَّلَ بَيْتٍ ﴾ فإنه يوم كانت الأرض ماء ، كان زبده على الأرض ، فلما خلق الله الأرض خلق البيت معها ، فهو أول بيت وُضِعَ في الأرض^(٣) .

حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِيكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ . قال : أول بيت وضعه الله عزّ وجلّ فطاف به آدم ومن بعده^(٤) .

وقال آخرون : موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله في الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن البيت هبط

(١) ذكره البغوي في تفسيره بنحوه ٧٠/٢ .

(٢) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة ٤٠/١ من طريق آخر ، عن مجاهد ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٢/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٧/٣ (٣٨٢٨) من طريق أحمد بن المفضل به نحوه ، وعنده : على البحر . بدل : على الأرض .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١٢٦/١ ، ١٢٧ .

مع آدمَ حينَ هبطَ . قال : أهبِطُ معكَ يَبْتِي يُطَافُ حَوْلَهُ ، كما يطَافُ حَوْلَ عَرشِي .
 فطَافَ حَوْلَهُ آدمُ ، ومن كانَ بَعْدَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، حتَّى إذا^(٤) كانَ زَمَنُ الطُّوفَانِ - زَمَنَ
 أَغْرَقَ اللَّهُ قَوْمَ نُوحٍ - رَفَعَهُ اللَّهُ وَطَهَّرَهُ مِنْ أَنْ يُصِيبَهُ عِقَابُهُ أَهْلَ الْأَرْضِ ، فَصَارَ
 مَعْمُورًا فِي السَّمَاءِ ، ثم إن إبراهيمَ تَتَبَعَ مِنْهُ أَثَرًا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَبَنَاهُ عَلَى أُسَاسٍ قَدِيمٍ كَانَ
 قَبْلَهُ^(٢) .

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ مَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِ : إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ مَبَارَكٍ وَهُدًى
 وَوُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيَّكَّتْهُ . وَمَعْنَى ذَلِكَ : إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَوُضِعَ لِلنَّاسِ ؛ أَى لِعِبَادَةِ اللَّهِ
 فِيهِ ، ﴿ مَبَارَكًا وَهُدًى ﴾ ، يَعْنِي بِذَلِكَ : وَمَا بَأْسُ لِنُشْكِ النَّاسِكِينَ ، وَطَوَافِ الطَّائِفِينَ ،
 تَعْظِيمًا لِلَّهِ ، وَإِجْلَالًا لَهُ ، لِلَّذِي بَيَّكَّتْهُ ؛ لِصِحَّةِ الْخَبْرِ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ
 سَلِيمَانَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيْ
 مَسْجِدٍ وَوُضِعَ أَوَّلُ ؟ قَالَ : « الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ » . قَالَ : ثُمَّ أَيْ ؟ قَالَ : « الْمَسْجِدُ
 الْأَقْصَى » . قَالَ : كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ : « أَرْبَعُونَ سَنَةً »^(٣) .

٩/٤

فَقَدْ بَيَّنَّ هَذَا الْخَبْرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ هُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ وَوَضَعَهُ
 اللَّهُ فِي الْأَرْضِ ، عَلَى مَا قُلْنَا . فَأَمَّا فِي مَوْضِعِهِ^(٤) بَيْتًا بَغِيرِ مَعْنَى بَيْتِ لِعِبَادَةِ وَالْهُدَى
 وَالْبَرَكَةِ ، فَفِيهِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ مَا قَدْ ذَكَرْتُ بَعْضَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَبَعْضَهُ فِي سُورَةِ

(١) فِي م : « إِذ » .

(٢) أَخْرَجَهُ الْأَزْرَقِيُّ فِي أَحْبَارِ مَكَّةَ ١٢/١ مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ بِنَحْوِهِ مُخْتَصِرًا .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَانَ (١٥٩٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي عَدِيٍّ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ (٤٦٤) ، وَأَحْمَدُ ١٦٠/٥ ،
 ١٦٦ ، ١٦٧ (الْمِمْنِيَّةُ) ، وَأَبُو عَوَانَةَ ٣٩٢/١ مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ بِهِ .

(٤) فِي م ، ت ٢ : « وَوَضَعَهُ » . وَالْمَثْبُوتُ هُوَ لَفْظُ الْمُصَنِّفِ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي ٥٥٢/٢ .

« البقرة »^(١) وغيرها من سُورِ الْقُرْآنِ ، وَيَتَّبِعُ الصَّوَابَ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ لِلَّذِي بِيَكَّةٍ مُبَارَكًا ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : لِلْبَيْتِ الَّذِي بُمَزَّ دَحِمِ النَّاسِ ؛ لَطَوَافِهِمْ فِي حَجِّهِمْ وَعُمْرِهِمْ .

وَأَصْلُ الْبَيْتِ الرَّحْمُ . يُقَالُ مِنْهُ : بَكَ فُلَانٌ فَلَانًا . إِذَا زَحَمَهُ^(٢) وَصَدَّمَهُ^(٣) . فَهُوَ يَبْكُهُ بَكًا . وَهَمَّ يَبْكُوكُن فِيهِ . يَعْنِي بِهِ : يَتْرَاحِمُونَ وَيَتَصَادِمُونَ فِيهِ . فَكَأَنَّ « بَكَّةً » فَعْلَةٌ ، مِنْ : بَكَ فُلَانٌ فَلَانًا : زَحَمَهُ^(٣) . سُمِّيَتْ الْبُقْعَةُ بِفِعْلِ الْمُرْدَحِمِينَ بِهَا .

فَإِذَا كَانَتْ بَكَّةً مَا وَصَفْنَا ، وَكَانَ مَوْضِعَ ائْزِدْحَامِ النَّاسِ حَوْلَ الْبَيْتِ ، وَكَانَ لَا طَوَافَ يَجُوزُ خَارِجَ الْمَسْجِدِ ، كَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ يَكُونُ مَا حَوْلَ الْكَعْبَةِ مِنْ [١/٣٣٣ و] دَاخِلِ الْمَسْجِدِ ، وَأَنَّ مَا كَانَ خَارِجَ الْمَسْجِدِ فَ « مَكَّةً » لَا « بَكَّةً » ؛ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى خَارِجَهُ يُوجِبُ عَلَى النَّاسِ التَّبَاكُّ فِيهِ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، كَانَ يَبِينًا بِذَلِكَ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ : بَكَّةً اسْمٌ لِبَطْنِ مَكَّةً . وَمَكَّةً اسْمٌ لِلْحَرَمِ^(٤) .

(١) ينظر ما تقدم في ٥٤٩/٢ - ٥٥٦ .

(٢ - ٢) في ص ، س : « صدمة أو زحمة » .

(٣) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « من زحمة » .

(٤) بعده في ص : « يتلوه ذكر من قال في ذلك ما قلنا ، من أن بكة موضع مزدحم للناس للطواف . والحمد لله على عونه وإحسانه - وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم تسليما . بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر . أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان البغدادي قال : حدثنا محمد بن جرير . وبعده في ت ، ١ ، س : « أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان البغدادي ، قال : حدثنا محمد بن جرير رحمه الله » .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ فِي ذَلِكَ مَا قَلْنَا ؛

مِنْ أَنْ بَكَّةَ مَوْضِعٌ مُزْدَحِمٍ لِلنَّاسِ لِلطَّوَافِ

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، عَنْ حُصَيْنٍ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْغِفَارِيِّ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ . قَالَ : بَكَّةُ مَوْضِعٌ الْبَيْتِ ، وَمَكَّةُ مَا سِوَى ذَلِكَ ^(١) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَغِيرَةُ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ مِثْلَهُ ^(٢) .
حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا حَكَّامٌ ، عَنْ عَمْرٍو ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، قَالَ : مَرَّتْ امْرَأَةٌ بَيْنَ يَدَيِ رَجُلٍ وَهُوَ يَصَلِّي وَهِيَ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَدَفَعَهَا . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : إِنَّهَا بَكَّةُ ، يُتَّكَّفُ بِعُضْهَا بَعْضًا ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الصَّمَدِ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ مَجَاهِدٍ ، قَالَ : إِنَّمَا سُمِّيَتْ بَكَّةَ لِأَنَّ النَّاسَ يَتَّبِأُونَ فِيهَا ؛ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَفِيَانَ ، عَنْ حَمَادٍ ، عَنْ سَعِيدٍ ، قَالَ : قَلْتُ : لِأَيِّ شَيْءٍ سُمِّيَتْ بَكَّةُ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ يَتَّبِأُونَ فِيهَا . قَالَ : يَعْنِي :

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩٠ (القسم الأول من الجزء الرابع) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٩/٣ (٣٨٣٦) ، من طريق حصين به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد .
(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٩- تفسير) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٩/٣ (٣٨٣٨) من طريق مغيرة به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٨/٣ (٣٨٣٢) من طريق عمرو به ، وفيه : بعضهم بعضا .
(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٤- تفسير) ، والبيهقي في الشعب (٤٠١٦) من طريق شعبة به بلفظ آخر ، وأخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩٠ ، ٢٩١ (القسم الأول من الجزء الرابع) من طريق الحكم عن مجاهد .

يَزِدَّ حَمُونَ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَفِيَانَ ، عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ أَخِيهِ ، عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : إِنَّمَا سُمِّيَتْ بَكَّةَ لِأَنَّهُمْ يَأْتُونَهَا حُجَّاجًا^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ : فَإِنَّ اللَّهَ بَكَ بِه النَّاسَ جَمِيعًا ، فَيَصَلِّي النِّسَاءُ قُدَّامَ الرِّجَالِ ، وَلَا يَصْلُحُ بَيْلِدٌ غَيْرِهِ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : « بَكَّةُ » ؛ بَكَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَصَلُّي بَعْضُهُمْ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضٍ ، لَا يَصْلُحُ ذَلِكَ إِلَّا بِمَكَّةَ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ فَضِيلِ بْنِ مَرْزُوقٍ ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ ، قَالَ : بَكَّةُ مَوْضِعُ الْبَيْتِ ، وَمَكَّةُ مَا حَوْلَهَا^(٥) .

/حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ أَزْهَرَ ، عَنْ غَالِبِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ شِهَابٍ عَنْ بَكَّةَ ، قَالَ : بَكَّةُ الْبَيْتُ وَالْمَسْجِدُ . وَسَأَلَهُ

١٠/٤

(١) في م : « يتزاحمون » .

والأثر أخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩٠ (القسم الأول من الجزء الرابع) عن وكيع به ، وأخرجه سعيد بن منصور (٥١١ - تفسير) من طريق سفيان به ، دون آخره .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩٠ (القسم الأول من الجزء الرابع) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٨/٣ (٣٨٣٠) من طريق وكيع به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٩/٣ (٣٨٣٣) ، والبيهقي في الشعب (٤٠١٥) من طريق سعيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٦ ، ١٢٧ .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩١ (القسم الأول من الجزء الرابع) عن وكيع به .

عن مكة ، فقال ابن شهاب : مكة الحرم كله ^(١) .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاءٍ ومجاهدٍ ،
قالا : بكَّةُ بك فيها الرجال والنساء ^(٢) .

حدثني عبد الجبار بن يحيى الرَّمْلِيُّ ، قال : قال ضَمْرَةُ بن ربيعة : بكَّةُ المسجد ،
ومكةُ البيوت ^(٣) .

وقال بعضهم بما حدثني به يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال :
أخبرنا جويبر ، عن الضحَّاك في قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ .
قال : هي مكة ^(٤) .

وقيل : ﴿ مُبَارَكًا ﴾ ؛ لأن الطواف به مغفرةٌ للذنوب .

فأما نصبُ قوله : ﴿ مُبَارَكًا ﴾ . فإنه على الخروج ^(٥) من قوله : ﴿ وُضِعَ ﴾ ؛
لأن في ﴿ وُضِعَ ﴾ ذكرًا من « البيت » هو به مشغولٌ ، وهو معرفةٌ ، و « مباركٌ »
نكرةٌ لا يصلح أن يتبعه في الإعراب ^(٦) .

وأما على قول من قال : هو أوَّل بيتٍ وُضِعَ للناسِ - على ما ذكرنا في
ذلك قول من ذكرنا قوله - فإنه نصبٌ على الحال من قوله : ﴿ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ ﴾ ؛ لأن معنى الكلام على قولهم : إن أوَّل بيتٍ وُضِعَ للناسِ البيتُ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٩/٣ عقب الأثر (٣٨٣٣) عن مجاهد معلقا .

(٣) ذكره الطوسي في التبيان ٥٣٥/٢ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى المصنف .

(٥) الخروج : النصب على الحال . مصطلحات النحو الكوفي ص ٥٩ .

(٦) ينظر ما تقدم في ص ٥٧٢ .

الذى ^(١) بِيَكَّةَ مَبَارَكًا . فـ «البيت» عندهم من صفته ^(٢) «الذى بِيَكَّةَ» ، و«الذى» بصِلته معرفة ، و«المبارك» نكرة ، فنُصِبَ على القطعِ منه فى قولِ بعضهم ، وعلى الحالِ فى قولِ بعضهم ، ﴿ وَهُدًى ﴾ فى موضعِ نصبٍ على العطفِ على قوله : ﴿ مَبَارَكًا ﴾ .
القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ .

اختلفت القراءة فى قراءة ذلك ؛ فقرأه قراءة الأماص : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ على جماع «آية» ، بمعنى : فيه علاماتٌ بيِّناتٌ .

وقرأ ذلك ابنُ عباسٍ : (فيه آيةٌ بيِّنةٌ) . يعنى بها : مقامُ إبراهيمَ . يُرادُ بها علامةٌ واحدةٌ ^(٣) .

ثم اختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قوله : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ . وما تلك الآياتُ ؟ فقال بعضهم : مقامُ إبراهيمَ والمشعُرُ ^(٤) ، ونحو ذلك .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ : مقامُ إبراهيمَ والمشعُرُ ^(٥) .

حدَّثنا الحسنُ ^(٦) بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ ومجاهدٍ : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ قالوا : مقامُ إبراهيمَ من الآياتِ

(١) زيادة لا بد منها ليستقيم السياق .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : «صفة» .

(٣) ينظر تفسير ابن أبى حاتم ٧١١/٣ (٣٨٤٧) ، والتبيان ٥٣٧/٢ .

(٤) بعده فى م ، ت ، ٢ : «الحرام» .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٠/٣ (٣٨٤٤) عن محمد بن سعد به .

(٦) فى النسخ : «إسحاق» . وهو خطأ ، وتقدم مراوًا .

البينات^(١) .

وقال آخرون : الآيات البيناتُ مقامُ إبراهيمَ ، ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ .

ذكرُ من قال ذلك

١١/٤

حدَّثني محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفِيُّ ، قال : ثنا عبَّادٌ ، عن الحسنِ
في قوله : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ . قال : مقامُ إبراهيمَ ، ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾^(٢) .

وقال آخرون : الآياتُ البيناتُ هو مقامُ إبراهيمَ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن
السُّدِّيِّ قوله : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ : أما « الآياتُ البيناتُ » فمقامُ
إبراهيمَ .

وأما الذين قرءوا ذلك : (فيه آيةٌ بيِّنةٌ)^(٣) على التوحيدِ ، فإنهم عَنُوا بِالآيَةِ البَيِّنَةِ
مقامَ إبراهيمَ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ [٤٣٣/١ ظ] بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ

(١) تفسير عبد الرزاق ١٢٧/١ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٤/٢ إلى عبد بن حميد .

وقال الزمخشري : ويجوز أن تذكر فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله ؛ لأن الاثنين نوع من الجمع
كالثلاثة والأربعة ، ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات ، كأنه قيل : فيه
آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله وكثير سواهما . الكشاف ٤٤٧/١ .

(٣) وهي قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة .

أبى نَجِيح ، عن مجاهدٍ : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ . قال : قَدَمَاهُ فِي الْمَقَامِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ .
يقولُ : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾ . قال : هَذَا شَيْءٌ آخَرٌ ^(١) .

حُدِّثَتْ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ :
(فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ) قَالَ : أَثَرُ قَدَمَيْهِ فِي الْمَقَامِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ .

وأولى الأقوالِ في تأويلِ ذلك بالصوابِ قولُ مَنْ قال : الآياتُ البيِّناتُ منهن
مقامُ إبراهيمَ . وهو قولُ قتادةَ ومجاهدٍ ، الذي رواه معمرٌ عنهما ، فيكونُ الكلامُ
مرادًا فيه ^(٢) « منهن » ، فترك ذكره اكتفاءً بدلالةِ الكلامِ عليها .

فإن قال قائلٌ : فهذا المقامُ من الآياتِ البيِّناتِ ، فما سائرُ الآياتِ التي من أجلها
قيل : ﴿ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ ؟

قيل : منهن المقامُ ، ومنهن الحجُّ ، ومنهن الحطيمُ .

وأصحُّ القراءتين في ذلك قراءةٌ من قرأ : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ . على
الجماعِ ؛ لإجماعِ قرأةِ أمصارِ المسلمين على أن ذلك هو القراءةُ الصحيحةُ دونَ
غيرها .

وأما اختلافُ أهلِ التأويلِ في تأويلِ : ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . فقد ذكرناه في
سورةِ « البقرة » ، وبيَّنَّا أولى الأقوالِ بالصوابِ فيه هنالك ، وأنه عندنا المقامُ المعروفُ
^(٣) .
به .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٦ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١١/٣ (٣٨٤٥) ، وعزه السيوطي في
الدر المنثور ٥٤/٢ إلى عبد بن حميد والأزرقي وابن المنذر .

(٢) في م : « فيهن » .

(٣) ينظر ما تقدم في ٥٢٥/٢ - ٥٢٩ .

فتأويل الآية إذن : إن أول بيتٍ وُضِعَ للناسِ مباركًا وهدى للعالمين ، للذي ببكة ، فيه علاماتٌ بيّنتُ من قدرة الله ، وآثارِ خليله إبراهيم ، منهن أثرُ قدم خليله إبراهيم ﷺ في الحجر الذي قام عليه .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : تأويله الخبرُ عن أن كلَّ من جرَّ في الجاهلية جريرةً ، ثم عاذ بالبيت ، لم يكن بها مأخوذًا .

/ ذكر من قال ذلك

١٢/٤

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ : وهذا كان في الجاهلية ؛ كان الرجل لو جرَّ كلَّ جريرة على نفسه ، ثم لجأ إلى حرم الله ، لم يُتناول ولم يُطلب ، فأما في الإسلام ، فإنه لا يمتنع من حدود الله ؛ من سرق فيه فُطِع ، ومن زنى فيه أُقيم عليه الحدُّ ، ومن قتل فيه قُتِل .

وعن قتادة أن الحسن كان يقول : إنَّ الحَرَمَ لا يمتنع من حدٍّ (١) الله ؛ لو أصاب حدًّا في غيرِ الحَرَمِ ، فلجأ إلى الحَرَمِ ، لم يمتنع ذلك أن يُقام عليه الحدُّ . ورأى قتادة ما قاله الحسن (٢) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ . قال : كان ذلك في الجاهلية ، فأما اليوم

(١) في م ، س : « حدود » .

(٢) أخرجه الأزرقى في أخبار مكة ٣٦٨/١ من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٤/٢ إلى

عبد بن حميد ، وابن المنذر .

فإن سرق فيه أحدٌ قُطِعَ ، وإن قتل فيه قُتِلَ ، ولو قُدير فيه على المشركين قُتِلوا^(١) .

حدَّثنا سعيدُ بنُ يحيى الأمويُّ ، قال : ثنا عبدُ السلام بنُ حربٍ ، قال : ثنا خُصيفٌ ، عن مجاهدٍ في الرجلٍ يقتلُ ، ثم يدخلُ الحرمَ ، قال : يُؤخَذُ فيُخرجُ من الحرمِ ، ثم يُقامُ عليه الحدُّ . يقولُ : القتلُ .

حدَّثنا محمدُ بنُ المنثيِّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، عن شعبةٍ ، عن حمادٍ مثلَ قولِ مجاهدٍ .

حدَّثنا أبو كريبٍ وأبو السائبِ ، قالا : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : أخبرنا هشامٌ ، عن الحسنِ وعطاءٍ ، في الرجلٍ يُصيبُ الحدَّ ، ويلجأُ إلى الحرمِ : يُخرجُ من الحرمِ فيُقامُ عليه الحدُّ .

فتأويلُ الآيةِ على قولِ هؤلاءِ : فيه آياتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيمَ ، والذي دخله من الناسِ كان آمناً بها في الجاهليةِ .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن يدخله يكن آمناً بها . بمعنى الجزاءِ . كمنحو قولِ القائلِ : من قام لي أكرمته . بمعنى : من يقيم لي أكرمه . وقالوا : هذا أمرٌ كان في الجاهليةِ ، كان الحرمُ مفرغَ كلِّ خائفٍ ، وملجأً كلِّ جانٍ ؛ لأنه لم يكن يُهاج به ذو جريرةٍ ، ولا يقرضُ الرجلُ فيه لقاتلِ أبيه وابنه بسوءٍ . قالوا : وكذلك هو في الإسلامِ ؛ لأن الإسلامَ زاده تعظيماً وتكريماً .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧١٢ (٣٨٥١) عن الحسن بن يحيى به . وأخرجه الأزرقى في أخبار مكة ١/٣٦٨ من طريق معمر ، عن قتادة ومجاهد .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ ، قَالَ : ثنا خُصِيفٌ ، قَالَ : ثنا مُجَاهِدٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِذَا أَصَابَ الرَّجُلُ الْحَدَّ ؛ قَتَلَ أَوْ سَرَقَ ، فَدَخَلَ الْحَرَمَ ، لَمْ يُبَايَعْ وَلَمْ يُؤْوَى ، حَتَّى يَتَّبِرَ فَيُخْرِجَ مِنَ الْحَرَمِ ، فَيَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدُّ . قَالَ : فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : وَلَكِنِّي لَا أَرَى ذَلِكَ ، أَرَى أَنْ يُؤَخَذَ بِرُمَّتِهِ ^(١) ، ثُمَّ يُخْرِجَ مِنَ الْحَرَمِ ، فَيَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدُّ ، فَإِنْ الْحَرَمَ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا شِدَّةً ^(٢) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَبُو السَّائِبِ ، قَالَا : ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْمَلِكِ ، عَنْ عَطَاءٍ ، قَالَ : أَخَذَ ابْنُ الزُّبَيْرِ سَعْدًا مَوْلَى مَعَاوِيَةَ - وَكَانَ فِي قَلْعَةٍ بِالطَّائِفِ - فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ^(٣) مَنْ يُشَاوِرُهُ فِيهِمْ : إِنَّهُمْ لَنَا عَدُوٌّ ^(٤) . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَوْ وَجَدْتُ قَاتِلَ أَبِي لَمْ أُعْرِضْ لَهُ . قَالَ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ ^(٥) : أَلَا نُخْرِجُهُمْ مِنَ الْحَرَمِ ؟ قَالَ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَفَلَا قَبْلَ أَنْ تُدْخِلَهُمُ الْحَرَمَ ؟ زَادَ أَبُو السَّائِبِ فِي حَدِيثِهِ : فَأَخْرَجَهُمْ فَصَلَبَهُمْ ، وَلَمْ يُضْغِعْ ^(٦) إِلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(١) الرُّمَّةُ : قِطْعَةٌ حَبْلٍ يُشَدُّ بِهَا الْأَسِيرُ أَوْ الْقَاتِلُ الَّذِي يُقَادُ إِلَى الْقِصَاصِ . يَنْظُرُ اللَّسَانُ (ر م م) .

(٢) عَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٥٤/٢ دُونَ آخِرِهِ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ ، وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مِصْنَفِهِ (١٧٣٠٦ ، ١٧٣٠٧) ، وَالْأَزْرَقِيُّ فِي أَخْبَارِ مَكَّةَ ٣٦٧/١ مِنْ طَرِيقِ طَاوُسٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِنَحْوِهِ .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : ت ٢ .

(٤) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عَرَقَ » وَفِي م : « عَيْنَ » ، وَفِي س : « عَوْنٌ » .

(٥) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ : « تَنْطِقُ » ، وَفِي س : « يَحِقُّ » .

(٦) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مِصْنَفِهِ (٩٢٢٥) عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ جَرِيحٍ بِهِ . وَعِنْدَهُ : سَعْدًا مَوْلَى عْتَبَةَ . =

/ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا حَجَّاجٌ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَنْ أَخَذَ حَدَّثًا فِي غَيْرِ الْحَرَمِ ثُمَّ لَجَأَ إِلَى الْحَرَمِ ، لَمْ يُعْرَضْ لَهُ ، وَلَمْ يُبَايَعْ ، وَلَمْ يُكَلَّمْ ، وَلَمْ يُؤَوْ ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ ، فَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَخَذَ فَأُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ . قَالَ : وَمَنْ أَخَذَ فِي الْحَرَمِ حَدَّثًا أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ [١/٤٣٤ و] بِنِصْرِ السُّلَمِيِّ ، عَنْ ابْنِ أَبِي حَبِيْبَةَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ حُصَيْنٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ أَخَذَ حَدَّثًا ثُمَّ اسْتَجَارَ بِالْبَيْتِ ، فَهُوَ آمِنٌ ، وَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْاقِبُوهُ عَلَى شَيْءٍ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ ، فَإِذَا خَرَجَ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ^(٢) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، قَالَ : لَوْ وَجَدْتُ قَاتِلَ عَمْرٍ فِي الْحَرَمِ مَا هَجَّجْتُهُ^(٣) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَبُو السَّائِبِ ، قَالَا : ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : ثنا لَيْثٌ ، عَنْ عَطَاءٍ ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُثْبَةَ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ الْحَدَّ فِي الْحَرَمِ ، فَقَالَ لَهُ عُثْبَةُ بْنُ عُمَيْرٍ : لَا تُقِمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فِي الْحَرَمِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَصَابَهُ فِيهِ^(٤) .

= وأصله عند الأزرقى فى أخبار مكة ١/٣٦٨ من طريق ابن جريج به . وعنده : سعدًا مولى عقبة .
(١) سقط من : ص .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٥ ، إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٥ إلى المصنف .

(٣) أخرجه عبدالرزاق فى مصنفه (٩٢٢٩) ، والأزرقى فى أخبار مكة ١/٣٦٩ من طريق أبى الزبير عن ابن عمر ، عندهما : « ندهته » ، بدل « هجته » .

(٤) ينظر البحر المحيط ٣/١٠ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَبُو السَّائِبِ ، قَالَا : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : أَخْبَرَنَا مُطَرِّفٌ ، عن عامرٍ ، قال : إِذَا أَصَابَ الْحَدَّ ثُمَّ هَرَبَ إِلَى الْحَرَمِ فَقَدْ أَمِنَ ، فَإِذَا أَصَابَهُ فِي الْحَرَمِ ، أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فِي الْحَرَمِ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا مُؤَمَّلٌ ، قَالَ : ثنا سفيانُ ، عن فِرَاسٍ ، عن الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : مَنْ أَصَابَ حَدًّا فِي الْحَرَمِ أُقِيمَ عَلَيْهِ فِي الْحَرَمِ ، وَمَنْ أَصَابَهُ خَارِجًا مِنَ الْحَرَمِ ثُمَّ دَخَلَ الْحَرَمَ ، لَمْ يُكَلَّمْ ، وَلَمْ يُبَايَعْ ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ فَيُقَامَ عَلَيْهِ .

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأَمَوِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : ثنا عطاءُ ابْنِ السَّائِبِ ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، وَعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عن عطاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ ، فِي الرَّجُلِ يَقْتُلُ ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْحَرَمَ ، قَالَ : لَا يَبِيعُهُ أَهْلُ مَكَّةَ ، وَلَا يَشْتَرُونَ مِنْهُ ، وَلَا يَسْقُونَهُ وَلَا يُطْعَمُونَهُ ، وَلَا يُؤْوَوْنَ - عَدَّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً - حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ فَيُؤْخَذَ بِذَنْبِهِ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أَبِيهِ ، عن عطاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَصَابَ حَدًّا ثُمَّ دَخَلَ الْحَرَمَ ، أَنَّهُ لَا يُطْعَمُ ، وَلَا يُسْقَى ، وَلَا يُؤْوَى ، وَلَا يُكَلَّمُ ، وَلَا يُنَكَّحُ ، وَلَا يُبَايَعُ ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْهُ أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، قَالَ : ثنا حمادٌ ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٧٣٠٨) من طريق مطرف ، بنحوه مطولاً .

(٢) ينظر البحر المحیط ١٠/٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١١/٣ (٣٨٥٠) من طريق عطاء بن السائب به نحوه .

ابن عباس ، قال : إذا أخذت الرجل حدثاً ، ثم دخل الحرم ، لم يؤوّ ، ولم يُجالس ، ولم يُبايع ، ولم يُطعم ، ولا يُسقى ، حتى يخرج من الحرم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أمّا قوله : ﴿ وَمَنْ / دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ . فلو أن رجلاً قتل رجلاً ، ثم أتى الكعبة ، فعاذ بها ، ثم لقيه أخو المقتول ، لم يحل له أبداً أن يقتله ^(١) .

١٤/٤

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن دخله يكن آمناً من النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن مسلم ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ^(٢) زريق ^(٣) بن مسلم الخزومي ، قال : ثنا زياد بن أبي عياش ^(٤) ، عن يحيى بن جعدة في قوله : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ . قال : آمناً من النار ^(٥) .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول ابن الزبير ومجاهد والحسين ومن قال : معنى ذلك : ومن دخله من غيره ممن لجأ إليه عائداً به ، كان آمناً ما كان فيه ،

(١) ينظر البحر المحيط ٣ / ١٠ .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « هذا أخبرناه » .

(٣) في ص : « رريق » ، وفي م : « رزيق » .

(٤) في ص ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عياس » ، وفي م ، ت ، ١ ، س : « عياض » . والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم وتفسير ابن كثير .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣ / ٧١٢ (٣٨٥٦) من طريق أبي عاصم به ، وذكره ابن كثير في تفسيره

٦٦ / ٢ عن ابن أبي حاتم ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٥٥ / ٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

ولكنه يُخْرِجُ منه ، فيُقَامُ عليه الحدُّ إن كان أصاب ما يَسْتَوْجِبُهُ في غيره ثم لَجَأَ إليه ، وإن كان أصابه فيه أُقِيمَ عليه فيه .

فتأويلُ الآيةِ إذن : فيه آياتٌ بيِّناتٌ مَقَامُ إبراهيمَ ، ومَنْ يدخُلُهُ مِنَ النَّاسِ مستَجِيرًا به ، يَكُنْ آمِنًا مِمَّا اسْتَجَارَ مِنْهُ مَا كَانَ فِيهِ ، حَتَّى يُخْرِجَ مِنْهُ .

فإن قال قائلٌ : وما مَنَعَكَ من إقامةِ الحدِّ عليه فيه ؟

قيل : لاتفاقِ جميعِ السَّلَفِ على أن مَنْ كانت جريئته في غيره ثم عاذ به فإنه لا يُؤَخَذُ بجريئته فيه . وإنما اختلفوا في صفةِ إخراجِهِ مِنْهُ لِأَخْذِهِ بِهَا ؛ فقال بعضهم : صفةُ ذلك منعه المعاني التي يُضْطَرُّ مَعْ مَنْعِهِ وَفَقْدِهِ إِلَى الخُرُوجِ مِنْهُ .

وقال آخرون : لا صفةٌ لذلك غيرُ إخراجِهِ مِنْهُ بِمَا أَمَكَّنَ إخراجَهُ مِنَ المعاني التي تُوصِلُ إِلَى إقامةِ حدِّ اللَّهِ عليه معها . فلذلك قلنا : غيرُ جائزِ إقامةِ الحدِّ عليه فيه إلَّا بَعْدَ إخراجِهِ مِنْهُ . فأما مَنْ أصاب الحدَّ فيه ، فإنه لا خلافَ بَيْنَ الجميعِ في أنه يُقَامُ عليه فيه الحدُّ ، فكلتا المسألتينِ أصلٌ مُجْمَعٌ على حَكَمِهِمَا على ما وَصَفْنَا .

فإن قال لنا قائلٌ : وما دَلَالَتُكَ على أن إخراجِ العائِدِ بالبَيْتِ إِذَا اتاه مستَجِيرًا به مِنْ جَرِيئةِ جَرَّهَا ، أو مِنْ حدِّ أصابه ، من الحَرَمِ جائزٌ لإقامةِ الحدِّ عليه ، وأخذه بالجريرة ، وقد أَقَرَّرْتَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قد جعلَ مَنْ دَخَلَهُ آمِنًا ، ومعنى الآمنِ غيرُ معنى الخائفِ ، فيما^(١) هما فيه مُخْتَلِفَانِ ؟

(١) في م : « فيما » .

قيل : قلنا ذلك لإجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن إخراج العائذ به من جريرة أصابها أو فاحشة أتاها ، وَجَبَتْ عليه بها عقوبةٌ ، منه ببعض معانى الإخراج ؛ لأخذه بما لزمه ، واجب على إمام المسلمين وأهل الإسلام معه .

وإنما اختلفوا فى السبب الذى يُخْرَجُ به منه ؛ فقال بعضهم : السبب الذى يجوزُ إخراجُه به منه تركُ جميع المسلمين مبايعته وإطعامه وسقيته وإيواءه وكلامه ، وما أشبه ذلك من المعانى التى لا قرار للعائذ به فيه مع بعضها ، فكيف مع جميعها !

وقال آخرون منهم : بل إخراجُه لإقامة من لزمه [١/٤٣٤ظ] من العقوبة واجبٌ ، بكل معانى الإخراج .

فلما كان إجماعًا من الجميع ، على أن حكم الله فى من عاذ بالبيت ، من حدِّ أصابه ، أو جريرة جَرَّها - إخراجُه منه ؛ لإقامة ما فرض الله على المؤمنين إقامته عليه ، / ثم اختلفوا فى السبب الذى يجوزُ إخراجُه به منه - ١٥/٤ كان اللازمُ لهم وإمامهم إخراجُه منه بأى معنى أمكنهم إخراجُه منه ، حتى يُقيموا عليه الحدَّ الذى لزمه خارجًا منه إذا كان لَجَأً إليه من خارج ، على ما قد بيَّنا قبلُ .

وبعدُ ، فإن الله عزَّ وجلَّ لم يضع حدًّا من حدوده عن أحدٍ من خلقه ، من أجل بقيةٍ وموضعٍ صار إليها من لزمه ذلك ، وقد تظاهرت الأخبارُ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إني حرمتُ المدينةَ كما حرمتُ إبراهيمَ مكةَ »^(١) . ولا خلاف بين جميع الأمة ،

(١) أخرجه أحمد ٣٧٤/٢٦ (١٦٤٤٦) ، والبخارى (٢١٢٩) ، ومسلم (١٣٦٠) من حديث =

أن عائداً لو عاذ من عقوبة لزمته بحرم النبي ﷺ ، يُؤاخَذُ بالعقوبة فيه . ولولا ما ذكرتُ من إجماع السلفِ على أن حرم إبراهيم لا يقام فيه على من عاذ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه ^(١) ، لكان أحقُّ البقاع أن تُؤدَّى فيه فرائضُ الله التي ألزمها عباده - من قتلٍ أو غيره - أعظمَ البقاعِ إلى الله ؛ كحرمِ الله ، وحرمِ رسوله ﷺ ، وليكنَّا أميرنا بإخراجِ مَنْ أمرنا بإخراجه من حرمِ الله لإقامة الحدِّ ؛ لما ذكرنا من فعلِ الأمةِ ذلك وراثته .

فمعنى الكلام إذ كان الأمرُ على ما وصَّفنا : ومن دخله كان آمناً ما كان فيه . فإذا كان ذلك كذلك ، فمن لجأ إليه من عقوبة لزمته عائداً به ، فهو آمنٌ ما كان به حتى يخرج منه ، وإنما يصيرُ إلى الخوفِ بعدَ الخروجِ أو الإخراجِ منه ، فحينئذٍ هو غيرُ داخله ، ولا هو فيه .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

يعنى بذلك جلُّ ثناؤه : وفرضٌ واجبٌ لله على من استطاع من أهلِ التكليفِ السبيلَ إلى حجِّ بيته الحرامِ ، الحجِّ إليه .

وقد بيَّنا فيما مضى معنى الحجِّ ، ودلَّلنا على صحَّةِ ما قلنا من معناه ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضعِ ^(٢) .

واختلف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، وما

= عبد الله بن زيد بن عاصم .

(١) ما لزمه : يعنى ما بقى فيه .

(٢) ينظر ما تقدم في ٢ / ٧١١ ، ٧١٢ .

السبيل التي يجبُ مع استطاعتها فرضُ الحجِّ ؟ فقال بعضهم : هي الزاؤُ والراحلةُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ ، قال : أخبرنا ابنُ جريجٍ ، قال : قال عمرُ بنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه : ﴿ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، قال : الزاؤُ والراحلةُ^(١) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ ، قال : أخبرنا ابنُ جريجٍ ، قال : قال عمرو بنُ دينارٍ : الزاؤُ والراحلةُ^(٢) .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن أبي جَنَابٍ^(٣) ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ في قوله : ﴿ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ قال : الزاؤُ والبعيرُ^(٤) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ : والسبيلُ أن يَصِحَّ بدنُ العبدِ ويكونَ له ثمنُ زاؤٍ وراحلةٍ من غيرِ أن يُجَحِّفَ به^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٠/٤ من طريق ابن جريج ، عن عطاء ، عن عمر .

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار ٦١/١٢ .

(٣) في م ، ت ١ : « حباب » ، وفي ت ٢ : « حيان » ، وفي س : « حباب » ، وغير منقوطة في ص . وهو أبو جَنَاب الكلبى . ينظر تهذيب الكمال ٢٨٤/٣١ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٠/٤ عن وكيع به ، وأخرجه الترمذى (٣٣١٦) من طريق أبي جناب به مطولاً ، وأخرجه البيهقى ٣٣١/٤ من طريق عكرمة ، عن ابن عباس .

(٥) أخرجه البيهقى ٣٣١/٤ من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٦/٢ إلى ابن المنذر .

١٦/٤ / حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ أَسْلَمَ ، قَالَ : ثنا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ ، قَالَ : سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مِنْ مَلَكٍ ثَلَاثَمِائَةِ دَرَاهِمٍ ، فَهُوَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَثْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَطَاءً يَقُولُ : السَّبِيلُ الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ : أَمَا ﴿ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ : السَّبِيلُ : رَاحِلَةٌ وَزَادَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى وَأَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَا : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوْقَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : ﴿ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قَالَ : الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الرَّبِيعُ بْنُ صَبِيحٍ ، عَنْ الْحَسَنِ ، قَالَ : الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ ، قَالَ : قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنَ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩١/٤ من طريق النزال بن عمار ، عن ابن عباس .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٩١/٤ من طريق داود عن عطاء .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٨٩/٤ من طريق محمد بن سوقة به نحوه .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٠/٤ من طريق يونس وهشام ، عن الحسن .

فقال رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ، ما السبيلُ ؟ قال : « الزادُ والراحلةُ »^(١) .

واعْتَلَّ قائلو هذه المقالةِ بأخبارِ رُوِيَتْ عن رسولِ اللهِ ﷺ بنحوِ ما قالوا في ذلك .

ذِكْرُ الرِوَايَةِ بِذَلِكَ عَنِ رَسولِ اللهِ ﷺ

حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ الخَوْزَمِيُّ ، قال : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ ، يَحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو ، قال : قام رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال : ما السبيلُ ؟ قال : « الزادُ والراحلةُ »^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قال : ثنا أَبُو حذيفةَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن إبراهيمِ الخَوْزَمِيِّ ، عن محمدِ بْنِ عَبَّادِ ، عن ابنِ عَمْرٍو ، أن النبيَّ ﷺ قال في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : « السبيلُ إلى الحجِّ الزادُ والراحلةُ »^(٣) .

حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ ، قال : ثنا بشرٌ بْنُ المَفْضَلِ ، قال : ثنا يونسُ ، وحَدَّثَنِي يَعْقوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قال : ثنا [١/٤٣٥و] ابنُ عُليَّةَ ، عن يونسَ ، عن

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه - كما في نصب الراية ٨/٣ - من طريق منصور به .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٩٩٨) عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق به .

(٣) أخرجه البيهقى ٣٢٧/٤ ، وفي الشعب (٣٩٧٤) من طريق أبي حذيفة به ، وأخرجه الدارقطنى ٢١٧/٢

(١٠) من طريق سفيان به ، وأخرجه الشافعى ٢٨٣/١ ، ٢٨٤ ، وابن أبى شيبة ٩٠/٤ ، وابن ماجه (٢٨٩٦) ،

والترمذى (٨١٣) ، وابن عدى ٢٢٨/١ ، والبيهقى ٣٣٠/٤ ، والبغوى (١٨٤٧) من طريق لإبراهيم بن يزيد

به ، وأخرجه ابن أبى حاتم في تفسيره ٧١٣/٣ (٣٨٦٠) ، والدارقطنى ٢١٧/٢ ، ٢١٨ (١١) ، ١٢) من طريق

محمد بن عباد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٥/٢ ، ٥٦ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

الحسن، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. قالوا: يا رسول الله، ما السبيل؟ قال: «الزاد والراحلة»^(١).

حدثنا أبو عثمان المُقَدَّمِيُّ والمُثَنَّى بنُ إبراهيم، قالوا: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا هلال بن عبد الله^(٢) مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي، قال: ثنا أبو إسحاق، عن الحارث، عن علي، عن النبي ﷺ، قال: «مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تَبْلُغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، فَلَمْ يَحُجَّ، فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَذَلِكَ أَنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾»^(٣) الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ قال له قائل، أو رجل: يا رسول الله، ما السبيل إليه؟ قال: «مَنْ وَجَدَ زَادًا وَرَاحِلَةً»^(٤).

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذی، قال: ثنا شاذ بن فياض البصري، قال: ثنا هلال^(٥) أبو هاشم، عن أبي إسحاق الهمداني، عن الحارث، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً فَلَمْ

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٨ - تفسير)، وابن أبي شيبة ٩٠/٤، والدارقطني ٢١٨/٢، والبيهقي ٣٢٧/٤ من طريق يونس به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر. (٢ - ٢) في ص، م، ت ١: «عبيد الله». وينظر تهذيب الكمال ٣٠/٣٤٢.

(٣) أخرجه الترمذی (٨١٢)، والبيهقي في الشعب (٣٩٧٨) من طريق مسلم بن إبراهيم به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٢ إلى ابن مردويه.

(٤) أخرجه البيهقي ٣٣٠/٤ من طريق سعيد به.

(٥ - ٥) في ص، م، ت ١، س: «بن هشام»، وفي ت ٢: «بن إسحاق بن هشام».

يُحِجُّ ، مات يهوديًا أو نصرانيًا ، وذلك أن الله يقولُ في كتابه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ « الآية ^(١) .

حدَّثني أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نُعيمٍ ، قال : ثنا حمادُ بنُ سلمةَ ، عن قتادةَ وحميدٍ ، عن الحسنِ ، أن رجلاً قال : يا رسولَ اللهِ ، ما السبيلُ إليه ؟ قال : « الزادُ والراحلةُ » .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المنهالِ ، قال : ثنا حمادُ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، عن النبيِّ ﷺ مثله .

وقال آخرون : السبيلُ التي إذا استطاعها المرءُ كان عليه الحجُّ ، الطاقةُ للوصولِ إليه .

قال : وذلك قد يكونُ بالمشي وبالركوبِ ، وقد يكونُ مع وجودِهما العجزُ عن الوصولِ إليه ، بامتناعِ الطريقِ مِنَ العدوِّ الحائلِ ، وبقلةِ الماءِ ، وما أشبه ذلك .

قالوا : فلا بيانَ في ذلك أُبينُ مما بينه اللهُ عزَّ وجلَّ ، بأن يكونَ مستطيعًا إليه السبيلُ ؛ وذلك الوصولُ إليه بغيرِ مانعٍ ولا حائلٍ بينه وبينه ، وذلك قد يكونُ بالمشي وحده ، وإن أعوزه الموكبُ ، وقد يكونُ بالمركبِ وغير ذلك .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهديٍّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٣/٣ (٣٨٥٩) ، وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير ٧٠/٢ - من طريق هلال أبي هاشم به .

خالد بن أبي كريمة ، عن رجل ، عن ابن الزبير قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : على قدر القوة ^(١) .

حدثنا يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : الزاد والراحلة ، فإن كان شابًا صحيحًا ليس له مال ، فعليه أن يُواجز نفسه بأكله وعقبه حتى يقضي حاجته . فقال له قائل : كلف الله الناس أن يمشوا إلى البيت ؟ فقال : لو أن لبعضهم ميراثًا بمكة ، أكان تاركه ؟ والله لا نطلق إليه ولو حبوا ، كذلك يجب عليه الحج ^(٢) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عطاء : من وجد شيئًا يُبلغه فقد وجد سبيلًا ، كما قال الله عز وجل : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا أبو هانئ ، قال : سئل ^(٣) عامر عن هذه الآية : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : السبيل ما يسره الله .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٠/٤ عن ابن مهدي به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٤/٣ (٣٨٦٣) من طريق جويبر عن الضحاك قال : إن كان فقيرًا وهو صحيح شاب ، فليواجر نفسه بالأكلة والعقبة حتى يحج .

وقوله : بأكله وعقبه : يعني أن يجعل القاصد للحج - وليس معه نفقة وظهر يبلغه - نفسه أجيرًا عند غيره ، مقابل أن يطعمه ويحمله حتى يبلغ حجته ويقضيها .

(٣) في النسخ : « ثنا سهل بن » . وسيأتي على الصواب في ص ٦٢٢ .

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْخَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبَّادٌ ، عَنْ
الْحَسَنِ : مَنْ وَجَدَ شَيْئًا يَبْلُغُهُ فَقَدْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا^(١) .
وقال آخرون : السبيلُ إلى ذلك الصَّحَّةُ .

١٨/٤

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ وَالْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ،
قَالُوا : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِي ، قَالَ : ثنا حَيْوَةُ بْنُ شَرِيحٍ وَابْنُ لَهْبَعَةَ ، قَالَا :
أَخْبَرَنَا شُرْحَبِيلُ بْنُ شَرِيكِ الْمَعْفَرِيُّ ، أَنَّهُ سَمِعَ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ فِي هَذِهِ
الآيَةِ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قَالَ : السَّبِيلُ
الصَّحَّةُ^(٢) .

وقال آخرون بما حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ
فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا ﴾ ، قَالَ : مَنْ وَجَدَ قُوَّةً فِي النَّفَقَةِ وَالْجَسَدِ وَالْحُمْلَانِ . قَالَ : وَإِنْ كَانَ فِي
جَسَدِهِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ الْحِجَّ ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ الْحِجُّ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ قُوَّةٌ فِي مَالٍ ،
كَمَا إِذَا كَانَ صَحِيحَ الْجَسَدِ وَلَا يَجِدُ مَالًا وَلَا قُوَّةً ، يَقُولُونَ : لَا يُكَلِّفُ أَنْ
يَمْشِيَ .

وأولى الأقوالِ في ذلك عندنا بالصوابِ قولُ مَنْ قَالَ يَقُولُ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَعَطَاءٌ :
إِنَّ ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ ؛ لِأَنَّ السَّبِيلَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الطَّرِيقُ . فَمَنْ كَانَ وَاجِدًا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٣/٣ (٣٨٥٨) من طريق أبي بكر الخنفي به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٤/٣ (٣٨٦١) من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ به .

طريقًا إلى الحجّ لا مانع له منه ؛ مِنْ زَمَانَةٍ ، أو عجزٍ ، أو عدوّ ، أو قِلَّةِ ماءٍ في طريقه ، أو زائدٍ ، وضعفٍ عن المشي ، فعليه فرض الحجّ ، لا يُعْزِئُهُ إِلَّا أَدَاؤُهُ . فإن لم يكن واجدًا سبيلًا - أعنى بذلك : فإن لم يكن مُطيقًا الحجّ بتعذّر بعض هذه المعانى التى وَصَفْنَاها عليه - فهو ممن لا يجدُ إليه طريقًا ولا يستطيعه ؛ لأن الاستطاعةَ إلى ذلك هو القدرةُ عليه . ومن كان عاجزًا عنه ببعض الأسبابِ التى ذَكَرْنَا أو بغير ذلك ، فهو غيرُ مطيقٍ ولا مُسْتَطِيعٍ إليه السبيل .

وإنما قلنا : هذه المقالةُ أولى بالصحةِ مما خالفها ؛ لأن الله عزَّ وجلَّ لم يَخْصُصْ - [٤٣٥/١ ط] إذ أُلْزِمَ الناسَ فرضَ الحجّ - بعضَ مستطيعي السبيلِ إليه ، بسقوطِ فَرْضِ ذلك عنه . فذلك على كلِّ مستطيعٍ إليه سبيلًا بعمومِ الآية .

فأمَّا الأخبارُ التى رُوِيَتْ عن رسولِ اللهِ ﷺ فى ذلك بأنه الزائدُ والراحلةُ ، فإنها أخبارٌ فى أسانيدِها نظَّر ، لا يجوزُ الاحتجاجُ بمثلها فى الدين .

واختلف القراءَةُ فى قراءةِ «الحجّ» ، فقرأ ذلك جماعةٌ من قراءِ أهلِ المدينةِ والعراقِ بالكسرِ : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾^(١) .

وقرأ ذلك جماعةٌ أُخرى منهم بالفتحِ : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ)^(٢) . وهما لغتان معروفتان للعربِ ، فالكسرُ لغةُ أهلِ نجدٍ ، والفتحُ لغةُ أهلِ العاليةِ ، ولم نَرَ أحدًا من أهلِ العربيةِ ادَّعى فرقًا بينهما فى معنى ولا غيره ، غيرَ ما ذَكَرْنَا مِنْ اختلافِ اللغتين ، إِلَّا ما حَدَّثْنَا به أبو هشامِ الرَّفَاعِيُّ ، قال : قال

(١) وهى قراءة حمزة والكسائى وحفص عن عاصم . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٤ .

(٢) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وأبى بكر عن عاصم ، وابن عامر . المصدر السابق .

حسین^(١) الجُعْفِيُّ : الحَجُّ مفتوح : اسْمٌ ، والحجُّ مكسورٌ : عَمَلٌ .

وهذا قولٌ لم أرَ أهلَ المعرفةِ بلغاتِ العربِ ومعانى كلامِهِم يَعْرِفُونَهُ ، بل رأيتُهُم مُجْمِعِينَ على ما وَصَفْتُ من أَنهما لغتانِ بمعنَى واحدٍ .

والذى نقولُ به فى قراءةِ ذلك : إن القراءتينِ إذ كانتا مستفيضتينِ فى قراءةِ أهلِ الإسلامِ ، ولا اختلافٍ / بينهما فى معنَى ولا غيره ، فهما قراءتانِ قد جاءتا مجيئاً الحُجَّةِ ، فبأى القراءتينِ - أعنى بكسرِ الحاءِ من الحجِّ أو فتحها - قرأ القارئُ ، فمصيبُ الصوابِ فى قراءتهِ .

وأما ﴿ مِنْ ﴾ التى مع قوله : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ ﴾ . فإنه فى موضعٍ خفيضٍ على الإبدالِ من ﴿ النَّاسِ ﴾ . لأن معنى الكلامِ : وللهِ على من استطاعِ من الناسِ سبيلاً إلى حجِّ البيتِ ، حجُّه . فلما تقدّم ذكرُ ﴿ النَّاسِ ﴾ قبل ﴿ مِنْ ﴾ ، بيّن بقوله : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ ، الذى عليه فرضُ ذلك منهم ؛ لأنَّ فَوْضُ ذلك على بعضِ الناسِ دونَ جميعِهِم .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩٧) .

يعنى بذلك جُلُّ ثنائِهِ : وَمَنْ جحد ما ألزَمه اللهُ من فرضِ حجِّ بيتهِ ، فَأَنكَرَهُ وكَفَرَ به ، فإنَّ اللهُ غَنِيٌّ عنه وعن حجِّهِ وعَمَلِهِ ، وعن سائرِ خلقِهِ من الجنِّ والإنسِ .

كما حدّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ ، عن الحجاجِ بنِ أَرْطاةَ ، عن محمدِ بنِ أبى الجَالِدِ ، قال : سَمِعْتُ

(١) فى النسخ : « حسن » . وتقدم فى ١٧٢/١ .

مُقَسَّمًا ، عن ابن عباسٍ في قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ . قال : مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِفَرِضٍ عَلَيْهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَجَّاجُ ، عَنْ عَطَاءٍ ، وَجُوَيْرُوتَ ، عَنِ الضَّحَّاكِ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَا : مَنْ جَحَدَ الْحَجَّجَ وَكَفَرَ بِهِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ أَرْطَاةَ ، عَنْ عَطَاءٍ ، قَالَ : مَنْ جَحَدَ بِهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا عِمْرَانُ الْقَطَّانُ ، يَقُولُ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْحَجَّجَ لَيْسَ عَلَيْهِ ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ ، عَنْ عُبَادٍ ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ، قَالَ : مَنْ أَنْكَرَهُ ، وَلَا يَرَى أَنَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَقًّا ، فَذَلِكَ كَفَرٌ ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ قَالَ : مَنْ كَفَرَ بِالْحَجَّجِ .

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَمَانَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُونُسَ ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ : مَنْ كَفَرَ بِالْحَجَّجِ كَفَرَ بِاللَّهِ ^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٥/٣ (٣٨٧١) من طريق عاصم بن أبي النجود عن ابن عباس بنحوه .

(٢) ينظر البحر المحيط ١٢/٣ .

(٣) ينظر تفسير البغوي ٧٤/٢ ، والبحر المحيط ١٢/٣ .

(٤) ينظر تفسير البغوي ٧٤/٢ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا يَعْلَى بْنُ أَسَدٍ ، قَالَ : ثنا خَالِدٌ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَرَبُّكَ عَلَى النَّاسِ حَزِيمٌ أَلَيْسَتْ مِنْ أَسْطِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ ﴾ . قَالَ : مَنْ لَمْ يَرَهُ عَلَيْهِ وَاجِبًا ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حذيفة ، قَالَ : ثنا شَيْبٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ قَالَ : بِالْحَجِّ .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ أَلَّا يَكُونَ مَعْتَقِدًا فِي ^(٢) حُجَّهِ أَنْ لَهُ الْأَجْرَ عَلَيْهِ ، وَلَا أَنْ عَلَيْهِ بِتَرْكِهِ إِثْمًا ، وَلَا عَقُوبَةً .

/ ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ /

٢٠/٤

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ قَالَ : هُوَ مَا إِنْ حَجَّ لَمْ يَرَهُ بَرًّا ، وَإِنْ قَعَدَ لَمْ يَرَهُ مَأْتِمًا .

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بِيَّانٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُونُسَ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : هُوَ مَا إِنْ حَجَّ لَمْ يَرَهُ بَرًّا ، وَإِنْ قَعَدَ لَمْ يَرَهُ مَأْتِمًا ^(٣) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا فِطْرٌ ^(٤) ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ نُفَيْعٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَرَبُّكَ عَلَى النَّاسِ حَزِيمٌ أَلَيْسَتْ مِنْ أَسْطِطَاعٍ إِلَيْهِ ﴾

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٧- تفسير) من طريق هشام بن حسان به .

(٢) بعده في ص : « عمله و » ، وبعده في ت ٢ : « عمله » .

(٣) أخرجه الشافعي ٩٣/٢ ، والبيهقي في معرفة السنن والآثار ٤٦٩/٣ من طريق ابن جريج به ، أخرجه

عبد الرزاق في تفسيره ١٢٨/١ ، وسعيد بن منصور في سننه (٥١٦- تفسير) ، والبيهقي ٣٢٤/٤ من طريق

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

(٤) في م : « مطر » .

سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ . فقام رجلٌ من هُذَيْلٍ ، فقال : يا رسولَ الله ، من تركه كفر؟ قال : « من تركه ولا يخافُ عقوبته ، ومن حجَّ ولا يرجو ثوابه ، فهو ذاك » ^(١) .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . يقولُ : مَنْ كَفَرَ بالحجِّ ، فلم يرَ حجَّه بَرًّا ، ولا تركه مأثمًا ^(٢) .

وقال آخرون : معنى ذلك : وَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : سأله عن قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ [٤٣٦/١] فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . ما هذا الكفر؟ قال : مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهديٍّ ، قال : ثنا سفيانٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ . قال : من كَفَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ^(٤) .

حدَّثنا يحيى بنُ أبي طالبٍ ، قال : أخبرنا يزيدٌ ، قال : أخبرنا جويبرٌ ، عن

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٥/٣ (٣٨٧٢) ، والبيهقي ٤/٣٢٤ ، من طريق أبي صالح به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٥/٣ (٣٨٦٨) من طريق عبد الرحمن بن مهدي به .

الضحَّاك في قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال :
لما نزلت آية الحج جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم ، فقال : « يا أيها
الناس ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ كتب عليكم الحجَّ فحجُّوا » . فأمنت به ملة واحدة ، وهي
من صدق النبي ﷺ وآمن به ، وكفرت به خمس مِللٍ ، قالوا : لا تؤمنُ به ، ولا
نصليُّ إليه ، ولا نستقبِله . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) .

حدَّثني أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : أخبرنا أبو نُعيمٍ ، قال : ثنا أبو هانئٍ ، قال :
سئل عامرٌ عن قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ . قال : مَنْ كَفَرَ مِنَ الْخَلْقِ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
عنه ^(٢) .

حدَّثني محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو حذيفةً ، قال : ثنا سفيانٌ ، عن إبراهيمٍ ،
عن محمدِ بنِ عبادٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن النبي ﷺ في قولِ اللهِ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ .
قال : « مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » ^(٣) .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي
نَجِيحٍ ، عن عكرمة مولى / ابنِ عباسٍ في قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا ﴾ [آل عمران : ٨٥] . فقالت المملُ : نحن مسلمون . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ
عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ ﴾

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٥- تفسير) من طريق جوير به نحوه . وعزاه السيوطي في الدر
المنثور ٥٧/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ينظر تفسير القرطبي ١٤٨/٤ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٤/٣ (٣٨٦٧) ، والبيهقي في الشعب (٣٩٧٤) من طريق أبي
حذيفة به .

الْعَلَمِينَ ﴿١﴾ . فَحَجَّ الْمُؤْمِنُونَ وَقَعَدَ الْكُفَّارُ ^(١) .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن كفر بهذه الآيات التي في مقام إبراهيم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . فقراً : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ [آل عمران : ٩٦] . فقراً حتى بلغ : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ ﴾ . قال : من كفر بهذه الآيات : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . ليس كما يقولون : إذا لم يَحُجَّ ، وكان غنياً ، وكانت له قوة ، فقد كفر بها . وقال قوم من المشركين : فإننا نكفُرُ بها ولا نفعلُ . فقال الله عز وجل : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) .

وقال آخرون بما حدَّثني إبراهيم بن عبد الله بن مسلم ، قال : أخبرنا أبو عمر الضري ، قال : ثنا حماد ، عن حبيب بن أبي بقية ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . قال : من كفر بالبيت ^(٣) .

وقال آخرون : كفره به تركه إياه حتى يموت .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن

(١) أخرجه البيهقي ٤/ ٣٢٤ ، ومعرفة السنن والآثار ٣/ ٤٦٨ ، ٤٦٩ (٢٦٥٢) من طريق ابن أبي نجیح به

بنحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٢ إلى المصنف ، وعبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٢ إلى المصنف مختصراً .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

السُّدِّيُّ : أما ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ فَمَنْ وَجَدَ مَا يَحُجُّ بِهِ ، ثُمَّ لَا يَحُجُّ ، فَهُوَ كَافِرٌ ^(١) .
 وأولى التَّأْوِيلَاتِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَعْنَى ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ :
 وَمَنْ جَحَدَ فَرَضَ ذَلِكَ وَأَنْكَرَ وَجُوبَهُ فَإِنَّ اللَّهَ غَنَى عَنْهُ وَعَنْ حُجِّهِ ، وَعَنْ الْعَالِمِينَ
 جَمِيعًا .

وإنما قلنا ذلك أولى به ؛ لأن قَوْلَهُ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ . بِعَقِبِ قَوْلِهِ : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى
 النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . بَأَنْ يَكُونَ خَيْرًا عَنِ الْكَافِرِ بِالْحَجِّ ،
 أَحَقُّ مِنْهُ بِأَنْ يَكُونَ خَيْرًا عَنْ غَيْرِهِ ، مَعَ أَنَّ الْكَافِرَ بِفَرْضِ الْحَجِّ عَلَى مَنْ فَرَضَهُ اللَّهُ
 عَلَيْهِ ، بِاللَّهِ كَافِرٌ ، وَأَنَّ الْكَفَرَ أَصْلُهُ الْجُحُودُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ جَاحِدًا ، وَلِفَرْضِهِ مُنْكَرًا ،
 فَلَا شَكَّ إِنْ حَجَّ لَمْ يَرْجُ بِحُجِّهِ بَرًّا ، وَإِنْ تَرَكَه فَلَمْ يَحُجَّ لَمْ يَرَهُ مَأْتَمًا .
 فهذه التَّأْوِيلَاتُ ، وَإِنْ اخْتَلَفَتِ الْعِبَارَاتُ بِهَا ، فَمَتَقَارِبَاتُ الْمَعَانِي .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى
 مَا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٩٨) .

يعنى بذلك : يا معشرَ يهودِ بنى إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ مَنْ يَنْتَحِلُ الدِّيَانَةَ بِمَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كِتَابِهِ ، مَنْ كَفَرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَجَحَدَ نُبُوَّتَهُ : لَمْ تَجْحَدُونَ
 ﴿ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ ؟ يَقُولُ : لَمْ تَجْحَدُونَ / حُجَّجَ اللَّهُ الَّتِي آتَاهَا مُحَمَّدًا ﷺ فِي
 كِتَابِكُمْ وَغَيْرِهَا ، الَّتِي قَدْ ثَبَّتَتْ عَلَيْكُمْ بِصَدَقِهِ وَنُبُوَّتِهِ حُجَّتُهُ . وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ^(٢) .
 يَقُولُ : لَمْ تَجْحَدُونَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ صَدَقَهُ ؟ فَأَخْبِرْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٧٤/٢ بنحوه ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ١٢/٣ وفيه ، فهذا كفر
 معصية .

(٢) ليس هذا من الآية ، فتمام الآية : ﴿ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾ . ويمكن أن يكون المصنف أورد هذه
 العبارة من عنده ، أو اقتباسًا من الآيات الأخرى ؛ لاعتباره ذلك متسقا مع علم اليهود بصدق النبي ﷺ .

متعمدون الكفر بالله وبرسوله ، على علم منهم ومعرفة من كفرهم .

وقد حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي : ﴿ يَأْهَلُ الْكِنَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ : أما آيات الله فمحمد ﷺ .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : ثنا عبّاد ، عن الحسن في قوله : ﴿ يَأْهَلُ الْكِنَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ . قال : هم اليهود والنصارى ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ يَأْهَلُ الْكِنَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : يا معشر يهود بنى إسرائيل وغيرهم ممن يتنحل التصديق بكتب الله ، ﴿ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يقول : لم تُضِلُّوا عن طريق الله ومحجته التي شرعها لأنبيائه [٤٣٦/١ ظ] وأوليائه وأهل الإيمان ﴿ مَن ءَامَنَ ﴾ يقول : من صدق بالله ورسوله وما جاء به من عند الله ، ﴿ تَبِعُونَهَا عِوَجًا ﴾ يعنى : تبغون لها عوجًا .

والهاء والألف اللتان في قوله : ﴿ تَبِعُونَهَا ﴾ عائدتان على ﴿ سَبِيلِ ﴾ ، وأنتها لتأنيث السبيل .

ومعنى قوله : ﴿ تَبِعُونَهَا عِوَجًا ﴾ ^(٢) . من قول الشاعر ، وهو سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ ^(٣) :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٦/٣ (٣٨٨٠) من طريق أبي بكر به .

(٢ - ٢) كذا في النسخ ، ولعل الصواب : تبغونها عوجا : تطلبون لها عوجا .

(٣) تقدم تخريجه في ٥٠٢/٣ . (تفسير الطبرى ٤٠/٥)

بِعَاكَ وَمَا تَبَغِيهِ حَتَّى وَجَدْتُهُ كَأَنَّكَ قَدْ وَاَعَدْتَهُ أَمْسٍ مَوْعِدًا
يعنى : طَلَبْتُكَ وَمَا تَطَلَّبْتُهُ .

يقال : ابغى كذا . يُرَادُ : ابْتَغَاهُ لى . فإِذَا أَرَادُوا : أَعْنَى عَلَى طَلْبِهِ وَابْتِغَاهُ مَعَى .
قالوا : أَبِغْنِي . بفتح الألف . وكذلك يقال : اخليتنى . بمعنى : اكفنى الحلب .
وأخليتنى : أعنى عليه . وكذلك جميع ما ورد من هذا النوع فعلى هذا .

وأما العَوْجُ فهو الأَوْذُ والمَيْلُ . وإنما يعنى بذلك الضلالَ عن الهدى . يقولُ جلُّ
ثناؤُهُ : لَمْ تُصَدُّوا عَنْ دِينِ اللَّهِ مَنْ صَدَّقَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، تَبْغُونَ دِينَ اللَّهِ اِعْوَجَاجًا عَنْ
سُنَّتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ .

وخرَجَ الكلامُ على « السبيلِ » والمعنى لأهله . كأن المعنى : تَبْغُونَ لِأَهْلِ دِينِ
اللَّهِ وَلَنْ هُوَ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ ، ﴿ عَوْجًا ﴾ . يقولُ : ضلالًا عن الحقِّ ، وَرِيقًا عَنْ
الاستقامةِ على الهدى والمحنةِ .

والعَوْجُ بكسرِ أوله : الأَوْذُ فى الدينِ والكلامِ . والعَوْجُ بفتحِ أوله : المَيْلُ فى
الحائِطِ والقناةِ وكلِّ شىءٍ منتصبٍ قائمٍ .

وأما قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ﴾ . فإنه يعنى : شهداء على أن الذى تُصَدُّون
عنه من السبيلِ حقٌّ ، تعلمونه وتجدونه فى كتبكم . ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .
يقولُ : ليس اللهُ بغافلٍ عن أعمالكم التى تَعْمَلونها / مما لا يَرْضاه لعباده ، وغير^(١)
ذلك من أعمالكم ، حتى يُعاجلكم بالعقوبةِ عليها مُعَجَّلَةً ، أو يُؤخَّرَ ذلك لكم حتى
تَلْقَوْه فَيُجَازِيَكُمْ عَلَيْهَا .

وقد ذُكِرَ أن هاتين الآيتين من قوله : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِنَانِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِبَايَاتِ

(١) فى ص ، ت ١ : « عن » .

اللَّهِ ﴿ وَالْآيَاتِ بَعْدَهُمَا ^(١) ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَأُولَئِكَ ^(٢) لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ ، حَاوَلَ الْإِغْرَاءَ بَيْنَ الْحَيَّتَيْنِ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ ، لِيُرَاجِعُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ ، فَعَنَّفَهُ اللَّهُ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ ، وَقَبَّحَ لَهُ مَا فَعَلَ ، وَوَبَّخَهُ عَلَيْهِ ، وَوَعَّظَ أَيْضًا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْإِفْتِرَاقِ وَالْإِخْتِلَافِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْإِجْتِمَاعِ وَالْإِثْلَافِ .

ذِكْرُ الرِّوَايَةِ بِذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثنى الثَّقَةُ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، قَالَ : مرَّ شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ - وَكَانَ شَيْخًا قَدِ عَسَا ^(٣) فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، عَظِيمَ الْكُفْرِ ، شَدِيدَ الضُّغْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ - عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ ، فَعَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ جَمَاعَتِهِمْ وَأُلْفَتِهِمْ ، وَصَلَّاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ : قَدْ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ ^(٤) بِهَذِهِ الْبِلَادِ ، لَا ^(٥) وَاللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَأُ هُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ . فَأَمَرَفْتِي شَابًا مِنْ يَهُودَ ، وَكَانَ مَعَهُ ^(٦) ، فَقَالَ : ائْتِي إِلَيْهِمْ ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ ، وَذَكِّرْهُمْ يَوْمَ بُعَاثٍ وَمَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنْتَشِدُهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ . وَكَانَ يَوْمَ بُعَاثٍ يَوْمًا اقْتَتَلَتْ

(١) فِي ت ١ : « بَعْدَهُمَا » .

(٢ - ٢) فِي النُّسخِ : « فَأُولَئِكَ » . وَالمُثَبِّتِ قِرَاءَةَ الْآيَةِ .

(٣) فِي ص ، ت ١ : « عَسَا » . وَعَسَا وَعَسَا : أَسْنُ وَكَبِيرٌ وَوَلِيُّ . اللِّسَانُ (ع ت و ، ع س و) .

(٤) بَنُو قَيْلَةَ : الْأَنْصَارُ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، وَقَيْلَةُ اسْمُ أُمِّ لَهُمْ قَدِيمَةٌ ، وَهِيَ قَيْلَةُ بِنْتُ كَاهِلٍ ، قَضَاعِيَّةٌ ، وَيُقَالُ :

بِنْتُ جَفْنَةَ . غَسَانِيَّةٌ . يَنْظُرُ اللِّسَانُ وَالتَّاجُ (ق ي ل) ، وَجَمْهَرَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ لِابْنِ حَزْمٍ ص ٣٣٢ .

(٥) سَقَطَ مِنْ : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٦) فِي سِيْرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « مَعَهُمْ » .

فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ، ففعل . فتكلم القوم عند ذلك ، فتنازعوا وتفاخروا ، حتى تَوَاتَبَ رجلان من الحيين على الركب ؛ أوس بن قَيْظِي ، أحد بني حارثة بن الحارث ، من الأوس ، وجَبَّارُ بنُ صَخِرٍ ، أحد بني سلمة من الخزرج ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم والله رَدَدْنَاهَا الْآنَ جَذَعَةً^(١) . وغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، السلاح السلاح ، موعدكم الظاهرة . والظاهرة الحرة . فخرجوا إليها ، وتَحَاوَزَ^(٢) الناس ، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض ، والخزرج بعضها إلى بعض ، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج إليهم في من معه من المهاجرين من أصحابه ، حتى جاءهم ، فقال : « يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدو الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً ؟ فعرف القوم أنها نزعَةٌ من الشيطان ، وكيدٌ من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيدَ عدوِّ الله شأس بن قيس وما صنع ، فأنزل الله في شأس بن قيس وما صنع : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ / يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴿٩٩﴾ الآية . وأنزل الله عز وجل في أوس بن قَيْظِي وجَبَّارِ بن

٢٤/٤

(١) أعدت الأمر جذعاً : جديداً كما بدأ . التاج (ج ذ ع) .

(٢) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «تحاور» ، وقد سقط هذا الحديث بطوله وبقرة بعده من «س» . وتحاوروا : تراجعوا الكلام بينهم ، وتجادلوا . وتَحَاوَزَ الفريقان في الحرب : انحاز كل واحد منهما عن الآخر . وواضح من هنا بُعْدُ معنى التحاور - بالراء - عن السياق وغرابته ، لذا أثبتناها بالزاي . وينظر التاج (ح و ر ، ح و ز) .

صخري ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا ، الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا عَمَّا ^(١) أَذْخَلَ عَلَيْهِمْ شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ يُرَدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ . إلى قوله : ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٢) .

وقيل : إنه عَنَى بقوله : ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ﴾ [١/٣٧٧و٤] لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿جماعةً يهودَ بنى إسرائيلَ الذين كانوا بينَ أظْهُرِ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَيَّامَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَالنَّصَارَى ، وَأَنْ صَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَانَ بِإِخْبَارِهِمْ مَنْ سَأَلَهُمْ عَنْ أَمْرِ نَبِيِّ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : هَلْ يَجِدُونَ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِمْ ؟ أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ نَعْتَهُ فِي كِتَابِهِمْ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبَغُّوْنَهَا عِوَجًا﴾ : كانوا إذا سألهم أجدد : هل تجدون محمدًا ؟ قالوا : لا . فصدوا عنه الناس . وبغوا محمدًا عوجًا : هلاكًا ^(٣) .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿يَتَأْهَلُ

(١) فى م : «مما» .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٥٥ - ٥٥٧ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧١٦ ، ٧١٨ (٣٨٧٨) ، ٣٨٩٣ من طريق سلمة به مختصرًا جدًّا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٧ ، ٥٨ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧١٧ (٣٨٨٤) من طريق أحمد بن المفضل به .

الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١﴾ . يقول : لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَعَنِ نَبِيِّ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ فِيمَا تُقْرَعُونَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ غَيْرَهُ ، وَلَا يَجْزِي إِلَّا بِهِ ، تَجِدُونَهُ ^(١) مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ ^(٢) فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ^(٣) ؟

حَدَّثَنِي الْمُتَنَبِّيُّ ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ نَحْوَهُ ^(٤) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ ، قَالَ : ثنا عَبَّادٌ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . قَالَ : هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، نَهَاهُمْ أَنْ يَصُدُّوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَغْدِلُوا النَّاسَ إِلَى الضَّلَالَةِ ^(٥) .

فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ عَلَى مَا قَالَه ^(٦) الشَّدِيدِيُّ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ مُحَمَّدٍ ، وَتَمْتَنُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ؛ بِكُتْمَانِكُمْ صِفَتَهُ الَّتِي تَجِدُونَهَا فِي كِتَابِكُمْ . وَمُحَمَّدٌ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ هُوَ السَّبِيلُ . ﴿ تَبْعُونَهَا عِوَجًا ﴾ : تَبْعُونَ مُحَمَّدًا هَلَاكًا .

وَأَمَّا سَائِرُ الرِّوَايَاتِ غَيْرِهِ ، وَالْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ نَحْوُ التَّأْوِيلِ الَّذِي يَبَيَّنُهُ

(١) فِي ت ٢ ، وَالدر المَشُور : « يَجِدُونَهُ » .

(٢) فِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وَالدر المَشُور : « عِنْدَهُمْ » .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧١٧/٣ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٨٨٣) مَعْلَقًا مَخْتَصِرًا ، وَعَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدر المَشُور ٥٨/٢ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧١٧/٣ (٣٨٨٣) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ نَحْوَهُ مَخْتَصِرًا .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧١٧/٣ مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ الْخَنْفِيِّ بِهِ مَخْتَصِرًا .

(٦) فِي ص ، ت ٢ : « قَالَ » .

قبل ، من أن معنى السبيل التي ذكرها في هذا الموضع الإسلام ، وما جاء به محمد من الحق من عند الله .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (١٠٠) .

اختلف أهل التأويل في من عني بذلك ؛ فقال بعضهم : عني بقوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الأوس والخزرج ، وبـ ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ : شأس بن قيس اليهودي . على ما قد ذكرنا قبل من خبره عن زيد بن أسلم^(١) .

/ وقال آخرون في من عني بـ ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ مثل قول زيد بن أسلم ، غير ٢٥/٤ أنهم قالوا : الذي جرى الكلام بينه وبين غيره من الأنصار حتى هموا بالقتال ، ووجد اليهودي به معمرًا فيهم ، ثعلبة بن عَنَمَةَ^(٢) الأنصاري .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ : قال : نزلت في ثعلبة بن عَنَمَةَ^(٣) الأنصاري ؛ كان بينه وبين أناس من الأنصار كلام ، فمشى بينهم يهودي من قَيْنُقَاعَ ، فحمل بعضهم على بعض^(٣) ، حتى همت الطائفتان من الأوس والخزرج أن يحملوا السلاح فيقتاتلوا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

(١) هو الأثر المتقدم في الصفحة السابقة .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « عنمة » . بالغين . وينظر أسد الغابة ١ / ٢٩١ ، والإصابة ١ / ٤٠٦ .

(٣) حملت على بنى فلان : إذا أرشئت بينهم . التاج (ح م ل) . والمعنى هنا : الإيقاع والإفساد بينهم .

كُفْرِينَ ﴿١﴾ . يقول : إن حملتم السلاح فاقْتُلْتُمْ كفرتم^(١) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا جعفر^(٢) بن سليمان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد في قوله : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ قال : كان جماع قبائل الأنصار بطنيين ؛ الأوس والخزرج ، وكان بينهما في الجاهلية حربٌ ودماءٌ وشنانٌ ، حتى من الله عليهم بالإسلام وبالنبي ﷺ ، فأطفأ الله الحرب التي كانت بينهم ، وألف بينهم بالإسلام . قال : فبينما رجلٌ من الأوس ورجلٌ من الخزرج قاعدان يتحدَّثان ، ومعهما يهودى جالسٌ ، فلم يزل يُذكِّرهما أيامهما ، والعداوة التي كانت بينهما ، حتى استبَّأ ، ثم اقتتلا . قال : فنادى هذا قومه ، وهذا قومه ، فخرجوا بالسلاح ، وصف بعضهم لبعض . قال : ورسول الله ﷺ شاهد يومئذ بالمدينة ، فجاء رسول الله ﷺ ، فلم يزل يمشى بينهم إلى هؤلاء وإلى هؤلاء ؛ ليسكنهم^(٣) ، حتى رجعوا ووضعوا السلاح ، فأنزل الله عز وجل القرآن في ذلك : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٤) .

فتأويل الآية : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقروا بما جاءهم به نبيهم ﷺ من عند الله ، إن تطيعوا جماعةً ممن يتنحل الكتاب من أهل التوراة والإنجيل ، فتقبلوا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٨/٣ ، ٧١٩ ، ٧١٩ (٣٨٩٢ ، ٣٨٩٧) من طريق أحمد بن المفضل به مختصراً .

(٢) في تفسير عبد الرزاق : « معمر » خطأ . وينظر تهذيب الكمال ٤٣/٥ .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « فيسكنهم » ، وفي تفسير عبد الرزاق : « يسكنهم » . والمثبت موافق لما في تفسير ابن أبي حاتم .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٨ ، ١٢٩ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٩/٣ (٣٨٩٤) عن الحسن

منهم ما يأمرونكم به ، يُضِلُّوكُمْ فَيُزِدُّوكُمْ بَعْدَ تَصْدِيقِكُمْ رَسُولَ رَبِّكُمْ ، وَبَعْدَ إِقْرَارِكُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ ﴿ كَافِرِينَ ﴾ . يقول : جاحدين لما قد آمنتكم به وصدقتموه من الحق الذي جاءكم من عند ربكم . فنهاهم جل ثناؤه أن يتصحوهم ويقبلوا منهم رأياً أو مشورةً ، ويُعلمهم تعالى ذكره أنهم لهم منطون على غلّ وغشّ وحسد وبغضاء^(١) .

[٤٣٧/١ ظ] كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يُرِدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ : قد تقدّم الله إليكم فيهم كما تسمعون ، وحذركم وأنباكم بضلاليتهم ، فلا تأمنوهم على دينكم ، ولا تتصحوهم على أنفسكم ، فإنهم الأعداء الحسدة الضلال ، كيف تأتمنون قوماً كفروا بكتابتهم ، وقتلوا رسلهم ، وتخيروا في دينهم ، وعجزوا عن أنفسهم ؟ أولئك والله هم أهل التهمة والعداوة^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله^(٣) .

/ القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١١١) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ أيها المؤمنون بعد إيمانكم بالله وبرسوله ، فترتدوا على أعقابكم ، ﴿ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ ﴾ . يعنى : حجج

(١) فى م : « بغض » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٨/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٩/٣ (٣٨٩٥) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به .

اللَّهُ عَلَيْكُمْ الَّتِي أَنْزَلَهَا فِي كِتَابِهِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، ﴿ وَفِيكُمْ رَسُولٌ ﴾ حُجَّةٌ أُخْرِجَ عَلَيْكُمْ لِلَّهِ ، مَعَ آيِ كِتَابِهِ ، يَدْعُوكُمْ جَمِيعٌ ذَلِكَ إِلَى الْحَقِّ ، وَيُصِّرُكُمْ الْهَدَى وَالرِّشَادَ ، وَيُنْهَاكُمْ عَنِ الْعَمَى وَالضَّلَالِ . يَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى ذِكْرُهُ : فَمَا ^(١) وَجْهُ عَذْرِكُمْ ^(٢) عِنْدَ رَبِّكُمْ فِي جِحُودِكُمْ نَبْوَةَ نَبِيِّكُمْ ، وَارْتِدَادِكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَرَجُوعِكُمْ إِلَى أَمْرِ جَاهِلِيَّتِكُمْ ، إِنْ أَنْتُمْ رَاجِعْتُمْ ذَلِكَ وَكَفَرْتُمْ ، وَفِيهِ هَذِهِ الْحُجُجُ الْوَاضِحَةُ ، وَالْآيَاتُ ^(٣) الْبَيِّنَةُ عَلَى خَطَأِ فَعْلِكُمْ ذَلِكَ إِنْ فَعَلْتُمُوهُ .

كما حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ الْآيَةُ : عَلَمَانِ بَيْنَانِ ؛ وَجِدَانِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ، وَكِتَابِ اللَّهِ ؛ فَأَمَّا نَبِيُّ اللَّهِ فَمَضَى ﷺ ، وَأَمَّا كِتَابُ اللَّهِ فَأَبْقَاهُ اللَّهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ، فِيهِ حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ ، وَطَاعَتُهُ وَمَعْصِيَتُهُ ^(٤) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : وَمَنْ يَتَعَلَّقْ بِأَسْبَابِ اللَّهِ ، وَيَتَمَسَّكْ بِدِينِهِ وَطَاعَتِهِ ، ﴿ فَقَدْ هُدِيَ ﴾ . يَقُولُ : فَقَدْ وَفَّقَ لَطَرِيْقٍ وَاضِحٍ ، وَمُحَجِّجَةً مُسْتَقِيمَةً غَيْرَ مُعْوَجَّجَةٍ ، فَيَسْتَقِيمُ بِهِ إِلَى رِضَا اللَّهِ ، وَإِلَى النِّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَالْفَوْزِ بِجَنَّتِهِ .

كما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ ﴾ . قَالَ : يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ^(٥) .

(١ - ١) فِي ص : « وَحَدَّ عَدُوكُمْ » ، وَفِي ت ١ : « وَجَدَّ عَدُوكُمْ » .

(٢) فِي ص ، ت ١ : « الْأَيَّامُ » .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٢٠/٣ (٣٨٩٩) مِنْ طَرِيقِ شَيْبَانَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، وَعَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِ الْمُنْتَوَرِ ٥٨/٢ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٢٠/٣ (٣٩٠١) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ ثَوْرٍ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، وَعَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِ الْمُنْتَوَرِ ٥٨/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

وأصل العَصْمِ المنع . فكلُّ مانِعٍ شيئاً فهو عاصِمُهُ ، والمُنْتَبِعُ به مُعْتَصِمٌ به . ومنه قولُ الفَرَزْدَقِ ^(١) :

أنا ابنُ العاصِمِينَ بنى تَمِيمٍ إذا ما أَعْظَمُ الحَدَثَانِ نَابَا
ولذلك قيل للحبيل : عِصَامٌ . وللسببِ الذي يَنْسَبُ به الرجلُ إلى حاجته :
عِصَامٌ . ومنه قولُ الأعشى ^(٢) :

إلى المَرْءِ قَيْسٍ أُطِيلُ الشَّرَى ^(٣) وَأَخْذُ من كُلِّ حَيٍّ عِصْمٌ

يعنى بالعِصْمِ الأسبابُ ؛ أسبابُ الذِّمَّةِ والأمانِ . يقالُ منه : اعْتَصَمْتُ بحبيلٍ
من فلانٍ ، واعتصمْتُ حبلاً منه ، واعتصمْتُ به ، واعتصمته . وأفصحُ اللغتين
إدخالُ الباءِ ، كما قال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . وقد جاء :
اعتصمته . كما قال الشاعر ^(٤) :

/ إذا أَنْتَ جازَيْتَ الإِخَاءَ بِمِثْلِهِ وَأَسَيْتَنِي ثُمَّ اعْتَصَمْتَ حِبَالِيَا ٢٧/٤
فقال : اعتصمْتَ حِبَالِيَا . ولم يُدخِلِ الباءَ . وذلك نظيرُ قولهم : تناولتُ
الحِطَامَ ، وتناولتُ بالحِطَامِ ، وتعلَّقتُ به ، وتعلَّقتُهُ . كما قال الشاعر ^(٥) :
تَعَلَّقْتُ هندا نَاشِئاً ^(٦) ذاتِ مِثْرَيرٍ وَأَنْتَ وَقَدِ قَارَفْتَ ^(٧) لِمَ تَدْرِي ما الحِلْمُ

(١) ديوانه ص ١١٥ .

(٢) ديوانه ص ٣٧ .

(٣) الشَّرَى : سيرُ الليلِ عامته ، وقيل : سيرُ الليلِ كله . يُذَكَّرُ ويؤنَّثُ . اللسان (س ر ي) .

(٤) معاني القرآن للفراء ١/ ٢٢٨ .

(٥) معاني القرآن للفراء ١/ ٢٢٨ .

(٦) الناشئُ : فوقِ المحتلم ، وقيل : هو الغلامُ والجاريةُ وقد جاوزا حدَ الصغر ، وكذلك الأُنثى ناشئٌ .
التاج (ن ش أ) .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فارقت » . وقارفت : قاربت . التاج (ق ر ف) .

وقد بيّنا^(١) معنى « الهدى » و« الصراط » ، وأنه معنيٌّ به الإسلام ، فيما مضى قبل بشواهد ، فكرهنا إعادته في هذا الموضوع^(٢) .

وقد ذُكر أن الذي نزل في سبب تحاؤز^(٣) القبيلين^(٤) ؛ الأوس والخزرج ، كان من^(٥) قوله : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ .

ذُكِرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حدّثنا أبو كريب ، قال : ثنا حسن بن عطية ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن الأغرّ ابن الصّباح ، عن خليفة بن حصين ، عن أبي نصر ، عن ابن عباس ، قال : كانت الأوس والخزرج بينهم حربٌ في الجاهلية^(٦) كلَّ شهرٍ ، فبينما هم جلوسٌ إذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا ، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ إلى آخر الآيتين ، ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ إلى آخر الآية^(٧) .

القول في تأويل قوله : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بينت » .

(٢) ينظر ما تقدم في ١٦٥/١ وما بعدها .

(٣) في النسخ : « تحاور » . وينظر ما تقدم في ص ٦٢٨ .

(٤) في م : « القبيلتين » . والقبيل : كالقبيلة . ينظر اللسان (ق ب ل) .

(٥) في م : « منه » .

(٦ - ٦) كذا في النسخ ، وفي تفسير ابن أبي حاتم : « كل شيء » ، وفي تفسير القرطبي : « قتال وشر » ، وفي

الدر المنثور : « بينهم شر » .

(٧) أخرجه الفريابي ومن طريقه الطبراني (١٢٦٦٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٠/٣ (٣٨٩٨) من =

يعنى بذلك جل ثناؤه : يا معشر من صدق الله ورسوله ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ : خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه ، ﴿ حَقَّ تَقَاتِيهِ ﴾ : حق خوفه ، وهو أن يطاع فلا يُعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويُذكر فلا يُنسى ، ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ ﴾ أيها المؤمنون بالله ورسوله ﴿ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ لربكم ، مُذْعِنُونَ له بالطاعة ، مخلصون له الألوهة^(١) والعبادة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد [٤٣٨/١] الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، وحدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : / أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ٢٨/٤ زبيد ، عن مرة ، عن عبد الله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِيهِ ﴾ . قال : أن يطاع فلا يُعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يُكفر^(٢) .

حدَّثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن زبيد ، عن مرة ، عن عبد الله مثله^(٣) .

= طريق قيس بن الربيع به نحوه ، وأخرجه البخارى فى الكبير ٧٦/٩ ، والطبرانى (١٢٦٦٧) من طريق الأغر ابن الصباح به بلفظ : كان بين الأوس والخزرج . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٨/٢ إلى ابن المنذر . وينظر تفسير القرطبي ١٥٦/٥ .

(١) فى م : « الألوهية » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٩ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ (٣٩٠٨) من طريق عبد الرحمن به ، وأخرجه الطبرانى (٨٥٠٢) ، وابن مردويه فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير ٧٢/٢ من طريق الفريايى وابن وهب عن الثوري ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٩/٢ إلى عبد بن حميد والفريايى وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ (٣٩٠٨) من طريق عبد الرحمن به ، وابن المبارك فى الزهد (٢٢) عن شعبة به .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، عَنْ زُيَيْدٍ ، عَنْ مَرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَبُو السَّائِبِ ، قَالَا : ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : سَمِعْتُ لَيْثًا ، عَنْ زُيَيْدٍ ، عَنْ مَرَّةَ بْنِ شَرَّاحِيلَ الْبَكِيلِيِّ ^(١) ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحِجَاجُ بْنُ الْمِنْهَالِ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ زُيَيْدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : ثنا مِشْعَرٌ ، عَنْ زُيَيْدٍ ، عَنْ مَرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ الْمَسْعُودِيِّ ، عَنْ زُيَيْدِ الْإِيَامِيِّ ^(٤) ، عَنْ مَرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ زُيَيْدٍ ، عَنْ مَرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى ، عَنْ ^(٦) سَفْيَانَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ : ﴿ اَتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ . قَالَ : أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى ، وَيُشْكَرَ

(١) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الهمداني » . وكتاهما صواب ، ينظر تهذيب الكمال ٣٧٩ / ٢٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٩٧ / ١٣ ، ٢٩٨ عن ابن إدريس به .

(٣) أخرجه الطبراني (٨٥٠١) ، والحاكم ٢ / ٢٩٤ من طريق أبي نعيم به .

(٤) في ت ٢ : « اليامي » . وكتاهما صواب . ينظر تهذيب الكمال ٢٨٩ / ٩ .

(٥) أخرجه النحاس في ناسخه ص ٢٨١ من طريق المسعودي به .

(٦) في النسخ : « بن » . وينظر تهذيب الكمال ٣٢٣ / ٢٥ ، ٢٤٥ / ٣١ .

فلا يُكْفَرُ، ويُذَكَّرُ فلا يُنْسَى^(١).

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمونٍ نحوه.

حدَّثنا ابنُ المثنى، قال: ثنا يحيى بنُ سعيدٍ، قال: ثنا شعبةٌ، قال: ثنا عمرو بنُ مرةٍ،^(٢) عن مرةٍ^(٢)، عن الربيعِ بنِ خُثَيْمٍ^(٣) قال: أن يطاعَ فلا يُعْصَى، ويُشكَّرَ فلا يُكْفَرُ، ويُذَكَّرَ فلا يُنْسَى^(٤).

حدَّثنا المثنى، قال: ثنا أبو داودَ، قال: ثنا شعبةٌ، عن عمرو بنِ مرةٍ، قال: سَمِعْتُ مرَّةً الهَمْدَانِيَّ يُحَدِّثُ عن الرَّبِيعِ بنِ خُثَيْمٍ في قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾. فذَكَرَ نحوه.

حدَّثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفةَ، قال: ثنا شبلٌ، عن قيسِ بنِ سعيدٍ، عن طاوسٍ: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾: أن يُطَاعَ فلا يُعْصَى^(٥).

حدَّثني محمدُ بنُ سِنَانٍ، قال: ثنا أبو بكرٍ الحَنْفِيُّ، قال: ثنا عَبَّادٌ، عن الحسنِ في قوله: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾. قال: حقُّ تَقَاتِهِ أن يُطَاعَ

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩٠٨) معلقًا، وينظر تفسير ابن كثير ٧٢/٢.

(٢) (٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) في م: «خثيم».

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩٠٨) معلقًا.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٣/٣ (٣٩١٣) من طريق أبي حذيفة به.

فلا يُعصَى^(١) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي : ثم تقدم إليهم - يعني إلى المؤمنين من الأنصار - فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ : أما حقُّ تقاتِهِ ؛ يُطاعُ فلا يُعصى ، ويُذكَرُ فلا يُنسى ، ويُشكَّرُ فلا يُكفَّرُ^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج بن المنهال ، قال : ثنا همام ، عن قتادة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ : أن يُطاعَ فلا يُعصى . قال : ﴿ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٣) .

وقال آخرون : بل تأويل ذلك كما حدثني به المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ،/ عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ . قال : حقُّ تقاتِهِ أن يجاهد^(٤) في^(٥) الله حقَّ جهاده ، ولا يأخذهم^(٦) في الله لومة لائم ، ويقوموا^(٧) لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم^(٨) .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩٠٨) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩٠٨) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٣) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ من طريق شيان عن قتادة به .

(٤) في م ، والدر المنثور : « يجاهدوا » ، وفي ت ١ : « تجاهدوا » ، والمثبت موافق لما في تفسير ابن أبي حاتم والناسخ والمنسوخ ، وينظر الأثر الآتي فهو نفسه .

(٥) بعده في م ، وتفسير ابن أبي حاتم : « سبيل » .

(٦) في الناسخ والمنسوخ : « تأخذكم » ، وفي الدر المنثور : « تأخذهم » .

(٧) في الناسخ والمنسوخ : « وتقوموا » .

(٨ - ٨) في الناسخ والمنسوخ : « آبائكم وأبنائكم » ، وفي الدر المنثور : « أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم » . =

ثم اختلف أهل التأويل في هذه الآية ؛ هل هي منسوخة أم لا ؟ فقال بعضهم : هي مُحْكَمَةٌ غيرُ منسوخة .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ : إنها لم تُنسخ ، ولكن حقَّ تقاته أن يُجاهد^(١) في الله حقَّ جهاده . ثم ذكر تأويله الذي ذكرناه عنه آنفاً .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن قيس بنِ سعيد ، عن طاوسٍ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ : فإن لم تفعلوا ولم تستطعوا فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون^(٢) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريج ، قال : قال طاوسٌ : قوله : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . يقول : إن لم تتقوه ، فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون .

وقال آخرون : هي منسوخة ، نسخها قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

[التغابن : ١٦] .

= والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ (٣٩١٠) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٢٨٣ ، وابن الجوزي في نواسخه ص ٢٤٤ من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٩/٢ إلى ابن المنذر . (١) في م : « تجاهد » .

(٢) تنمة الأثر المتقدم في ص ٦٣٩ ، وليس في الإسناد ذكر ابن أبي نجيح ، وكذا فيما سيأتي في ص ٦٤٣ ، وهو الموافق لما في تفسير ابن أبي حاتم . (تفسير الطبري ٤١/٥)

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قوله : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ : ثم أنزل التحفيفَ واليسرَ، وعاد بعائِدته ورحمته على ما يَعْلَمُ مِنْ ضَعْفِ خَلْقِهِ، فقال : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ . فجاءت هذه الآية فيها تخفيفٌ وعافيةٌ ويسرٌ^(١) .

حدَّثني المنثى، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المنهالِ الأَمامطى، قال : ثنا همامٌ، عن قتادةَ : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ . قال : نسختها هذه الآيةُ التي في «التغابنِ» : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ . وعليها بايَع رسولُ اللهِ ﷺ ؛ على السمعِ والطاعةِ فيما استطاعوا .

حدَّثني المنثى، قال : ثنا إسحاقٌ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ بنِ أنسٍ، قال : لما نزلتْ : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ، ثم نزل بعدها : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ . فنسخت هذه الآيةُ [٤٣٨/١] التي في «آل عمران»^(٢) .

حدَّثنا محمدٌ، قال : ثنا أحمدٌ، قال : ثنا أسباطٌ، عن السُّدِّيِّ : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ : فلم يُطِقِ الناسُ هذا،

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/٢٩٥ عن معمر، عن قتادة، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٩ إلى عبد بن حميد وأبى داود فى ناسخه والمصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٢٢ عقب الأثر (٣٩١١) من طريق ابن أبى جعفر به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٩ إلى المصنف .

فَنَسَخَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فقال : ﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾^(١) .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا / أَنْقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ . قال : جاء أمرٌ شديدٌ ، قالوا^(٢) : وَمَنْ يَعْرِفُ قَدْرَ هَذَا أَوْ يَتَلَعُهُ ؟ فلما عَرَفَ أنه قد اشْتَدَّ ذلك عليهم ، نسخها عنهم ، وجاء بهذه الأخرى ، فقال : ﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ فنسخها .

وأما قوله : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . فإن تأويله كما حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلى ، عن قيس بن سعيد ، عن طاوس : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . قال : على الإسلام وعلى حرمة الإسلام^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وتعلّقوا بأسبابِ الله جميعًا . يريدُ بذلك تعالى ذكره : وتمسّكوا بدينِ الله الذى أمرَكم به ، وعهده الذى عهدته إليكم فى كتابه إليكم ، من الألفة والاجتماعِ على كلمة الحقِّ ، والتسليمِ لأمرِ الله .

وقد دلّلنا فيما مضى قبل على معنى الاعتصام .

وأما الحبلُ ؛ فإنه السببُ الذى يُوصَلُ به إلى البُعْية والحاجة . ولذلك سُمّي الأمانُ حبلًا ؛ لأنه سببٌ يُوصَلُ به إلى زوالِ الخوفِ ، والنجاةِ من الجَزَعِ والذعرِ . ومنه قولُ أعشى بنى ثعلبة^(٤) :

(١) أخرجه ابن الجوزى فى نواسخه ص ٢٤٣ من طريق أحمد بن المفضل به ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩١١) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال » ، وفى س : « فقال » .

(٣) تنمة الأثر المتقدم فى ص ٦٣٩ ، وينظر ص ٦٤١ .

(٤) ديوانه ص ٢٩ .

وَإِذَا تَجَمَّزُواهَا حَبَالُ قَبِيلَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الْأُخْرَى إِلَيْكَ حَبَالَهَا^(١)
 ومنه قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مَنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مَنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران:
 . [١١٢]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ،
 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ . قَالَ :
 الْجَمَاعَةُ^(٢) .

٣١/٤ / حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عَنِ الْعَوَّامِ ، عَنِ
 الشَّعْبِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ . قَالَ : حَبْلُ اللَّهِ
 الْجَمَاعَةُ .

وقال آخرون : عني بذلك القرآن والعهد الذي عهد فيه .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله :
 ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ : حَبْلُ اللَّهِ الْمُتَيْنِ الَّذِي أَمَرَ أَنْ يُعْتَصَمَ بِهِ هَذَا

(١) كان من عادة العرب أن يُخيف بعضها بعضًا في الجاهلية ، فكان الرجل إذا أراد سفرًا أخذ عهدًا من سيد
 كل قبيلة ، فيأمن به ما دام في تلك القبيلة حتى ينتهي إلى الأخرى ، فيأخذ مثل ذلك أيضًا ، يريد به الأمان .
 اللسان (ح ب ل) والبيت فيه .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٢٠ - تفسير) ، والطبراني (٩٠٣٣) من طريق هشيم به ، وعزاه
 السيوطي في الدر المنثور ٦٠/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

القرآن^(١) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قوله : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . قال : بعهدِ اللَّهِ وأمره^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريزٌ ، عن منصورٍ ، عن شقيقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : إن الصراطَ مُحْتَضَرٌ ، تحضُّره الشياطينُ ، ينادون : يا عبدَ اللَّهِ ، هلمَّ ، هذا الطريقُ ؛ ليضدُّوا عن سبيلِ اللَّهِ ، فاعتصموا بحبلِ اللَّهِ ، فإنَّ حبلَ اللَّهِ هو كتابُ اللَّهِ^(٣) .

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، عن أسباطٍ ، عن الشدِّيِّ : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ : أمَّا حبلُ اللَّهِ ، فكتابُ اللَّهِ^(٤) .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ بِحَبْلِ اللَّهِ ﴾ : بعهدِ اللَّهِ^(٥) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عطاءٍ : ﴿ بِحَبْلِ اللَّهِ ﴾ . قال : العهدُ^(٦) .

(١) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق شيبان ومعمر عن قتادة به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٩ ، وأخرجه ابن حاتم فى تفسيره ٧٢٤/٣ (٣٩١٩) عن الحسن به .

(٣) أخرجه الطبرانى (٩٠٣١) من طريق سفيان عن منصور به ، وأخرجه الدارمى ٤٣٢/٢ ، وابن الضريس فى فضائله ص ٥٠ (٧٤) ، والبيهقى فى الشعب (٢٠٢٥) من طرق عن الأعمش عن شقيق به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٠/٢ إلى الفريابى ، وعبد بن حميد ، وابن الأبارى فى المصاحف وابن مردويه .

(٤) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٥) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق مسلم بن خالد الزنجى عن ابن أبى نجيح به .

(٦) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق ابن جريج به .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا وَكَيْعٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبي وائلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ ﴾ . قال : حبلُ اللَّهِ القرآنُ ^(١) .

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زهيرٍ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحَّاكِ في قوله : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . قال : القرآنُ .

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يحيى ، قال : ثنا أسباطُ بنُ محمدٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبي سليمانَ العَزَمِيِّ ، ^(٢) « عن عطيةٍ » ، عن أبي سعيدِ الخدرِيِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كتابُ اللَّهِ ، هو حبلُ اللَّهِ الممدودُ من السماءِ إلى الأرضِ » ^(٣) .

وقال آخرون : بل ذلك هو إخلاصُ التوحيدِ لله .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ في قوله : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . يقولُ : اعْتَصِمُوا بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ ^(٤) .

حَدَّثَنِي يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . قال : الحبلُ الإسلامُ . وقرأ : ﴿ وَلَا

٣٢/٤

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٩ - تفسير)، والطبراني (٩٠٣٢) من طريق أبي وائل به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٠/٢ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٢) سقط من النسخ، والمثبت من تفسير ابن كثير ٧٣/٢ ومصادر التخریج .

(٣) ذكره ابن كثير ٧٣/٢ عن المصنف، وأخرجه أحمد ٣٠٨/١٧ (١١٢١١)، وابن أبي عاصم في السنة (١٥٥٣)، وأبو يعلى (١١٤٠)، والطبراني (٢٦٧٨) من طريق عبد الملك بن أبي سليمان به، وأخرجه ابن

أبي شيبة ٥٠٦/١٠ - ومن طريقه ابن أبي عاصم في السنة (١٥٥٤) من طريق عطية به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٤/٣ (٣٩١٨) من طريق ابن أبي جعفر به .

تَفَرَّقُوا ﴿١﴾ .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ : ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذى عهد إليكم فى كتابه ، من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، والانتهاى إلى أمره .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ [١/٤٣٩] عَلَيْكُمْ ﴿ : إن الله عز وجل قد كره لكم الفرقة ، وقدم إليكم فيها ، وحذركموها ، ونهاكم عنها ، ورضى لكم السمع والطاعة ، والألفة والجماعة ، فازوضوا لأنفسكم ما رضى الله لكم إن استطعتم ، ولا قوة إلا بالله ^(٢) .

حدثنى المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ : لا تعادوا عليه . يقول : على الإخلاص لله ، وكونوا ^(٣) عليه إخواناً ^(٤) .

حدثنى المشنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، أن الأوزاعى حدثه ، أن يزيد الرقاشى حدثه ، أنه سمع أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بنى إسرائيل أفرقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتى ستفرق على اثنتين وسبعين فرقة ، كلهم فى النار إلا واحدة » . قال : فقيل : يا رسول الله ،

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦١/٢ إلى المصنف .

(٢) ينظر التبيان ٥٤٦/٢ .

(٣) فى ص ، ت ١ : « تكونوا » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٤/٣ (٣٩٢١) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به .

وما هذه الواحدة؟ قال : فقبض يده وقال : « الجماعة » ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا ﴾ ^(١) .

حدَّثني عبدُ الكريمِ بنُ أبي عُميرٍ ، قال : ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، قال : سَمِعْتُ الأوزاعيَّ يُحدِّثُ عن يزيدِ الرَّقاشيِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبيِّ ﷺ نحوه ^(٢) .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا المُحاريبيُّ ، عن ابنِ أبي خالِدٍ ، عن الشَّعبيِّ ، عن ثابتِ بنِ قُطَيْبَةَ ^(٣) المُرزبيِّ ^(٤) ، عن عبدِ اللَّهِ ، أنه قال : يا أيها الناسُ ، عليكم بالطاعةِ والجماعةِ ، فإنها ^(٥) حبلُ اللَّهِ الذي أمر به ، وإنَّ ما تَكْرهون في الجماعةِ والطاعةِ ، هو خيرٌ مما تَشْتَجِبُونَ في الفُرقةِ ^(٦) .

حدَّثنا عبدُ الحميدِ بنُ بيانِ السكريُّ ^(٧) ، قال : أخبرنا محمدُ بنُ يزيدٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالِدٍ ، عن الشعبيِّ ، عن ثابتِ بنِ قُطَيْبَةَ ^(٨) ، قال : سَمِعْتُ ابنَ مسعودٍ وهو يَخْطُبُ ، وهو يقولُ : يا أيها الناسُ . ثم ذَكَر نحوه ^(٨) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٣/٣ (٣٩١٥) من طريق أبي صالح عبد الله بن صالح به .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) من طريق الوليد بن مسلم عن أبي عمرو الأوزاعي عن قتادة عن أنس به .

(٣) في م ، س : « قُطَيْبَةَ » . وينظر التاريخ الكبير ١٦٨/٢ .

(٤) في ص : « المرزبي » ، وفي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المرزبي » . والمثبت موافق لما في طبقات ابن سعد

١٩٧/٦ ، وثقات ابن حبان ٩٢/٤ ، ونسبه في التاريخ الكبير : « المدني » .

(٥) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم : « فإنهما » . وينظر الأثر بعد الآتي .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٣/٣ (٣٩١٦) من طريق إسماعيل - وهو ابن أبي خالد - به .

(٧) في م : « البشكري » .

(٨) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٠٨/١ من طريق محمد بن يزيد به .

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَفْصِ الْأُبُلِيِّ ^(١) ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ أَبُو هِشَامٍ ، قَالَ : ثنا مجالدُ بْنُ سَعِيدٍ ، عن عامرٍ ، عن ثابتِ بْنِ قُطَيْبَةَ ^(٢) الْمُرْنِيِّ ^(٣) ، قَالَ : قال عبدُ اللَّهِ : عليكم بالطاعةِ والجماعةِ ، فإنها جبلُ اللَّهِ الذي أمر به . ثم ذكر نحوه ^(٤) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ .

/ يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ : واذكروا ما أنعم الله به عليكم من الألفة والاجتماع على الإسلام .

واختلف أهل العربية في قوله : ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ ؛ فقال بعض نحويي البصرة في ذلك : انقطع الكلام عند قوله : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ . ثم فسّر بقوله : ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . وأخبر بالذي كانوا فيه قبل التأليف ، كما تقول : أمسك الحائط ^(٥) أن يميل .

وقال بعض نحويي الكوفة : قوله : ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . تابع قوله : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ . غير منقطعة منها .

والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله : ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . متصل بقوله : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ . غير منقطع عنه .

وتأويل ذلك : واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم حين

(١) في م : « الآملي » ، وفي س : « الایلی » . وينظر تهذيب الكمال ٦٢ / ٣ .

(٢) في م ، س : « قطنة » .

(٣) في ص : « المرني » ، وفي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المرى » .

(٤) أخرجه الآجری فی الشریعة فی (١٧) من طریق مجالد به ، وأخرجه الحاكم ٥٥٥ / ٤ من طریق أبي حصين عن عامر .

(٥) بعدها في ت ١ : « قبل » .

كنتم أعداءً، أى بشرِككم^(١)، يَقْتُلُ بعضُكم بعضًا عَصِيَّةً، فى غير طاعةِ اللهِ ولا طاعةِ رسوله، فألفَ اللهُ بالإسلامِ بينَ قلوبِكُمْ، فجعلَ بعضُكم لبعضٍ إخوانًا - بعدَ أن^(٢) كنتم أعداءً - تتواصلون بألفَةِ الإسلامِ، واجتماعِ كلمتِكُمْ عليه .

كما حَدَّثنا بشرٌّ، قال : ثنا يزيدُ، قال : حَدَّثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قوله : ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ : كنتم تذابحون فيها، يأكلُ شديدُكم ضعيفُكم، حتى جاء اللهُ بالإسلامِ، فأخى به بينكم وألفَ به بينكم، أما واللهِ الذى لا إلهَ إلا هو، إنَّ الألفَةَ لرحمةٌ، وإنَّ الفرقَةَ لعذابٌ^(٣) .

حَدَّثنى المنثى، قال : ثنا إسحاقُ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ فى قوله : ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ : يَقْتُلُ بعضُكم بعضًا، ويأكلُ شديدُكم ضعيفُكم، حتى جاء اللهُ بالإسلامِ، فألفَ به بينكم، وجمع جمعكم عليه، وجعلكم عليه إخوانًا^(٤) .

فالنعمَةُ التى أنعمَ اللهُ على الأنصارِ، التى أمرهم تعالى ذكره فى هذه الآية أن يذكروها، هى ألفةُ الإسلامِ، واجتماعُ كلمتهم عليها، والعداوةُ التى كانت بينهم، التى قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ . فإنها عداوةُ الحروبِ التى كانت بينَ الحيين من الأوسِ والخزرجِ فى الجاهليةِ قبلَ الإسلامِ، يزعمُ العلماءُ بأيامِ العربِ أنها تطاولتَ بينهم عشرين ومائةَ سنةٍ .

(١) فى ص : «شرككم» .

(٢) فى م : «إذ» .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦١/٢ إلى ابن المنذر وفيه زيادة مرسلة إلى النبى ﷺ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٥/٣ (٣٩٢٥) من طريق ابن أبى جعفر به مختصراً .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومائة سنة ، حتى قام الإسلام وهم على ذلك ، فكانت حربهم بينهم وهم أخوان لأب وأم ، فلم يُسمع بقوم كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم ، ثم إن الله عز وجل أطقاً ذلك بالإسلام ، وألف بينهم برسوله محمد ﷺ .^(١)

فذكرهم جل ثناؤه إذ وعظهم ، عظيم ما كانوا فيه في جاهليتهم من البلاء والشقاء ، بمعادة بعضهم بعضاً ، وقتل بعضهم بعضاً ، وخوف بعضهم [١/٤٣٩ظ] من بعض ، وما صاروا / إليه بالإسلام ، واتباع الرسول ﷺ والإيمان به ، وبما جاء به من الائتلاف والاجتماع ، وأمن بعضهم من بعض ، ومصير بعضهم لبعض إخواناً .

وكان سبب ذلك ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : ثنا عاصم بن عمر بن قتادة المدني^(٢) ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قديم سويد بن صامت ، أخو بني عمرو بن عوف ، مكة حاجباً أو معتمراً . قال : وكان سويد إنما يُسميه قومه فيهم الكامل ؛ لجلده وشعره ونسبه وشرفه . قال : فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به ، فدعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام ، قال : فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي . قال : فقال له رسول الله ﷺ : « وما الذي معك ؟ » قال : مَجَلَّةٌ لُقْمَان - يعني حكمة لقمان - فقال له رسول الله ﷺ : « اغرضها عليّ » . فغرضها عليه ، فقال : « إن هذا الكلام^(٣) حسن ، معي أفضل من

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦١/٢ إلى المصنف مختصراً .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س : « الكفري » ، وفي ت ٢ : « الكفري » .

(٣) في م : « الكلام » .

هذا ، قرآن أنزله الله عليّ ، هدى ونورٌ . قال : فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يعتد^(١) منه ، وقال : إن هذا القول حسنٌ ، ثم انصرف عنه ، وقدم المدينة ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج ، فإن كان قومه ليقولون : قد قتل وهو مسلمٌ . وكان قتله قبل يوم بُعاث^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى الحُصَيْن^(٣) بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، أحد بني عبد الأشهل ، أن محمود بن لبيد^(٤) ، أحد بني عبد الأشهل ، قال : لما قدم أبو الحيسر^(٥) أنس بن رافع مكة ، ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم^(٦) إياس بن معاذ ، يلتبسون الحلف من قريش على قوم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم ، فجلس إليهم ، فقال : « هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟ » قالوا : وما ذاك ؟ قال : « أنا رسول الله ، بعثني إلى العباد ، أذعوهم إلى الله ، أن يعبدوا^(٧) الله ولا يُشركوا^(٨) به شيئا ، وأنزل عليّ الكتاب » . ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فقال إياس بن معاذ ، وكان غلاما حدثا : أي قوم ، هذا والله خير مما جئتم له . قال : فأخذ^(٩) أبو الحيسر^(١٠)

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يبعده » ، وفي س : « يتعده » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٤٢٥ - ٤٢٧ ، وأخرجه المصنف في تاريخه ٢/٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٣) في م ، ت ١ ، س : « الحسين » . وينظر تهذيب الكمال ٦/٥١٧ .

(٤) في م : « أسد » .

(٥) في ص ، م ، ت ١ : « أبو الجيش » ، وفي ت ٢ ، ت ٣ : « الحسين » ، والمثبت من تاريخ المصنف ، وسيرة ابن هشام .

(٦) في س : « منهم » .

(٧) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يعبدون » .

(٨) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يشركون » .

(٩) في تاريخ المصنف ، وسيرة ابن هشام : « يأخذ » .

(١٠) في ص ، م ، س : « الجيش » ، وفي ت ١ : « الحسن » ، وفي ت ٢ ، ت ٣ : « الحسين » .

أنس بن رافع حَفَنَةً مِنَ البطحاءِ فضربَ بها وجهَ إياسِ بنِ معاذٍ ، وقال : دَعْنَا مِنْكَ ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لَعِيرٍ هَذَا ، قال : فصَمَتَ إياسُ بنُ مُعَاذٍ ، وقام رسولُ اللَّهِ ﷺ عنهم ، وانصَرَفُوا إلى المَدِينَةِ ، وكانت وَقْعَةُ بُعَاثِ بْنِ الأوسِ والخزرجِ . قال : ثم لم يَلْبَثْ إياسُ بنُ معاذٍ أن هَلَكَ . قال : فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِظْهَارَ دِينِهِ ، وإِعْزَازَ نَبِيِّهِ ﷺ ، وإِنجَازَ موعِدِهِ له ، خَرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ في (١) المَوسِمِ الَّذِي لَقِيَ فِيهِ النَفَرَ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَعَرَضَ (٢) نَفْسَهُ عَلَى قِبَائِلِ العَرَبِ ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوسِمٍ ، فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَ العُقْبَةِ ، إِذْ لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الخَزْرَجِ أَرَادَ اللَّهُ لَهُمْ (٣) خَيْرًا ، قال ابنُ حميدٍ : قال سلمةُ : قال مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عَمَرَ بنِ قَتَادَةَ ، عن أَشْيَاحٍ مِنَ قَوْمِهِ ، قالوا : لَمَّا لَقِيَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ قال لهم : « مَنْ أَنْتُمْ ؟ » قالوا : نَفَرٌ مِنَ الخَزْرَجِ . قال : « أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ ؟ » قالوا : نَعَمْ . قال : « أَفَلَا تَجْلِسُونَ حَتَّى أُكَلِّمَكُم ؟ » قالوا : بَلَى . قال : فَجَلَسُوا مَعَهُ ، فدَعَاهُمْ إلى اللَّهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الإِسْلَامَ ، وتَلا عَلَيْهِمُ القُرْآنَ . قال : وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لَهُمْ بِهِ فِي الإِسْلَامِ ، أَنْ يَهُودَ كَانُوا / مَعَهُمُ بِيلاَدِهِمْ ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعَليمٍ ، وَكَانُوا أَهْلَ شَرِكِ أَصْحَابِ أوثانٍ ، وَكَانُوا قَدْ عَزَّوهُمْ (٤) بِيلاَدِهِمْ ، فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قالوا لَهُمْ : إِنْ نَبِيًّا الآنَ مَبْعُوثٌ قَدْ أَظَلَّ زَمَانَهُ ، نَتَّبِعُهُ وَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ ، فَلَمَّا كَلَّمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أولئك النَفَرَ ، ودَعَاهُمْ إلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : يا قَوْمُ ،

(١) سقط من النسخ ، والمثبت من تاريخ المصنف وسيرة ابن هشام .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يعرض » . وهو صحيح أيضا ، والمثبت موافق لما في مصدرى التخريج .

(٣) في تاريخ المصنف ، وسيرة ابن هشام : « بهم » .

(٤) في م ، وسيرة ابن هشام : « غزوهم » . وعزوهم : غلبوهم . اللسان (ع ز ز) .

تعلمون^(١) والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا^(٢) يسبقنكم إليه . فأجابوه فيما^(٣) دعاهم إليه بأن صدقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرا ما بينهم ، وعسى^(٤) الله أن يجمعهم^(٥) بك ، وستقدم^(٦) عليهم فتدعوهم^(٧) إلى أمرك ، ونعرض^(٨) عليك الذي أجبناك إليه^(٩) من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا وصدقوا ، وهم فيما ذكر لي ستة نفر . قال : فلما قدموا المدينة على قومهم ، ذكروا لهم رسول الله ﷺ ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبق دأب من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان العام المقبل ، وافى^(١٠) الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلقيه بالعقبة ، وهي العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يُفترض عليهم الحرب^(١١) .

(١) في م ، وسيرة ابن هشام : « تعلموا » ، وفي تاريخ المصنف : « تعلمن » .

(٢) في النسخ : « ولا » . والمثبت من تاريخ المصنف وسيرة ابن هشام .

(٣) في س : « إلى ما » .

(٤ - ٥) في م : « أن يجمعهم الله » .

(٥) في ص ، ت ١ : « ستقدم » .

(٦) في ت ١ : « فتدعوهم » .

(٧) في ص ، ت ١ ، وسيرة ابن هشام : « تعرض » .

(٨) بعده في ت ٢ : « الإسلام » .

(٩) في س : « عليه » .

(١٠) في ص ، ت ١ : « واتي » .

(١١) سيرة ابن هشام ٤٢٧/١ - ٤٣١ ، وأخرجه المصنف في تاريخه ٣٥٢/٢ - ٣٥٥ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَنَّهُ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَأَمَّنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ ، [١/٤٤٠] فَأَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُمْ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ بَيْنَ قَوْمِنَا حَرْبًا ، وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ جِئْتَ عَلَى حَالِكَ هَذِهِ الْأَيْتِيَّاهُ الَّذِي تُرِيدُ . فَوَاعَدُوهُ ^(١) الْعَامَ الْمُقْبِلَ ، وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَذْهَبُ ، فَلَعَلَّ ^(٢) اللَّهُ أَنْ يُصْلِحَ تِلْكَ الْحَرْبَ . قَالَ : فَذَهَبُوا فَفَعَلُوا ، فَأَصْلَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تِلْكَ الْحَرْبَ ، وَكَانُوا يُرَوِّنَ أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ ، وَهُوَ يَوْمُ بُعَاثٍ ، فَلَقُوهُ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ سَبْعِينَ رَجُلًا قَدِ آمَنُوا ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمُ ^(٣) النِّقْبَاءَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ^(٤) نَقِيًّا ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : ﴿ وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ ^(٥) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : أَمَا ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ : فَفِي حَرْبِ سَمِيرٍ ^(٦) ، ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . بِالْإِسْلَامِ ^(٧) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا أَبُو سَفِيَانَ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ بِنَحْوِهِ ، وَزَادَ فِيهِ : فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ عَائِشَةَ مَا كَانَ ، فَتَشَاوَرَ ^(٨) الْحَيَّانَ ،

(١) فِي م : « فَوَاعَدُوهُ » .

(٢) فِي س ، وَتَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ : « لَعَلَّ » .

(٣) فِي تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزَاقِ ، وَالِدْرُ الْمُنْتَوَرِ : « مِنْهُمْ » .

(٤) سَقَطَ مِنْ : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ١/١٢٩ . وَعِزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٦١/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذِرِ .

(٦) سَقَطَ مِنَ النُّسخِ ، وَالْمُثَبَّتُ مِمَّا سَيَأْتِي فِي الصَّفْحَةِ التَّالِيَةِ . وَيَنْظُرُ مَا تَقَدَّمَ فِي ٢/٢٠٨ .

(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣/٧٢٥ (٣٩٢٧) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُفَضَّلِ بِهِ مُقْتَصِرًا عَلَى آخِرِهِ .

(٨) تَشَاوَرَا : تَوَاتَبَا . يَنْظُرُ التَّاجُ (ث و ر) .

فقال بعضهم لبعض : موعدكم الحرّة . فخرجوا إليها ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ الآية . فاتاهم رسول الله ﷺ ، فلم يزل يتلوها عليهم حتى اعتنق بعضهم بعضاً ، وحتى إن لهم لخينيناً^(١) ، يعني البكاء^(٢) .

وسُميّر الذي زعم السدي أن قوله : ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ . عنى به حربته ، هو سُمَيْرُ بْنُ زَيْدٍ^(٣) بن مالك ، أحد بني عمرو بن عوف ، الذي ذكره مالك بن العجلان في قوله^(٤) :

٣٦/٤ / إِنَّ سُمَيْرًا أَرَى عَشِيرَتَهُ قَدْ حَدَبُوا^(٥) دُونَهُ وَقَدْ أَنْفُوا^(٦)

إِنْ يَكُنِ الظَّنُّ صَادِقِي بِنِي النِّجَارِ لَمْ يَطْعَمُوا الَّذِي عُغِفُوا^(٧)

وقد ذكر علماء الأنصار أن مبدأ العداوة التي هيّجت^(٨) الحروب التي كانت بين قبيلتيها الأوس والخزرج وأولها ، كان بسبب قتل^(٩) مولى لمالك بن العجلان الخزرجي ، يقال له : الخُرُّ^(١٠) بن سُمَيْرٍ . من مُزَيْنَةَ ، وكان حليفاً لمالك بن

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لخيننا » ، وفي س : « لنحيا » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦١/٢ إلى المصنف .

(٣) ذكره أبو الفرج في الأغاني ٤٠/٣ : « يزيد » ، وكذا ذكر أخاه درهم بن يزيد ، وفي نسخ منه في اسم أخيه « زيد » .

(٤) جمهرة أشعار العرب ٦٣٧/٢ ، والأغاني ٢٠/٣ ، والخزانة ٢٧٩/٤ .

(٥) حدب : تعطف وحنأ . ينظر التاج (ح د ب) .

(٦) في م : « أبقوا » .

(٧) في ص ، م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « علقوا » . وقال أبو الفرج في الأغاني : يقال : عُغِفُوا الضميم : إذا أفروا به . أى : ظنى أنهم لا يقبلون الضميم .

(٨) في ص ، ت ، ١ ، س : « هاجت » .

(٩) في ص ، ت ، ١ : « قتلة » ، وفي س : « قبيلة » .

(١٠) كذا في النسخ ، وفي خزانة الأدب : « بجير » ، وفي شرح ديوان حسان ص ٨١ نقلا عن ابن الكلبي وغيره : « أبجر » .

العجلان ، ثم اتصلت تلك العداوة بينهم ، إلى أن أطفأها الله بنبيه محمد ﷺ .
فذلك معنى قول السدي : حربٌ سُميرٌ ^(١) .

وأما قوله : ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ . فإنه يعنى : فأصبحتم بتأليف الله عزَّ وجلَّ بينكم بالإسلام وكلمة الحقِّ ، والتعاونِ على نصرَةِ أهلِ الإيمانِ ، والتأزيرِ على مَنْ خالفكم من أهلِ الكفرِ ، إخوانًا متصادقين ، لا ضغائنَ بينكم ولا تحاسدَ .
كما حدَّثني بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله :
﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ : ذُكِرَ ^(٢) لنا أن رجلاً قال لابنِ مسعودٍ : كيف أصبحتم ؟ قال : أصبحنا بنعمةِ الله إخوانًا .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ .
يعنى بقوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ : وكنتم يا معشرَ المؤمنين من الأوسِ والخزرجِ ، على حفرِ حفرةٍ من النارِ . وإنما ذلك مثلاً لكفرهم الذى كانوا عليه قبلَ أن يَهْدِيَهُمُ اللهُ للإسلامِ ، يقولُ تعالى ذكره : وكنتم على طرفِ جهنمِ بكفرِكُم الذى كنتم عليه قبلَ أن يُنْعِمَ اللهُ عليكم بالإسلامِ ، فتصيروا بائئلافكم عليه إخوانًا ، ليس بينكم وبينَ الوقوعِ فيها إلا أن تموتوا على ذلك من كفرِكُم ، فتكونوا من الخالدين فيها ، فَأَنْقَذَكُمْ اللهُ منها بالإيمانِ الذى هداكم له .
وشفا الحفرة طرُفُها وحرُفُها ، مثلُ شفا الرِّكِيَّةِ والبئرِ ، ومنه قولُ الراجزِ :

نحن حفرنا للحجيجِ سَجَلَهُ

نابتةٌ فوقَ شفاها بَقْلَهُ ^(٣)

(١) فى م : « ابن سُمير » .

(٢) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « وذكر » .

(٣) لم نجد هذا الرجز ، وأقرب ما ورد إليه ما ذكره أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم ٣ / ٧٢٤ . تعريف =

(تفسير الطبرى ٤٢ / ٥)

يعنى : فوق حرفها . يقال : هذا شفا هذه الرِّكِيَّة ، مَقْصُورٌ ، وهما شفوَاها .

/ وقال : ﴿ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ . يعنى ^(١) : فَأَنْقَذَكُمْ مِنَ الْحَفْرَةِ . فردَّ الخبر إلى الحفرة ، وقد ابتدأ الخبر عن الشِّفَا ؛ لأن الشِّفَا مِنَ الْحَفْرَةِ ، فجاز ذلك ، إذ كان الخبر عن الشفا على السبيل التي ذكرها في هذه الآية خبيراً عن الحفرة ، كما قال جرير بن عطية ^(٢) :

٣٧/٤

رَأَتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذَنْ مَنِى كَمَا أَخَذَ السَّرَا ^(٣) مِنَ الْهَلَالِ
فذكر « مرَّ السنين » ، ثم رجع إلى الخبر عن السنين ، وكما قال العجاج ^(٤) :

طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي

طَوَّيْنَ طَوَّلِي وَطَوَّيْنَ عَرْضِي

وقد بيَّنتُ العلة التي من أجلها قيل ذلك كذلك فيما مضى قبل ^(٥) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك من التأويل قال أهل التأويل .

= سجلة فقال : بئر احتفرها قصى بمكة ، وقال :

أنا قصى وحفرت سجلة

تُزَوِي الْحَجِيجَ زُغْلَةً فُزْغَلَةً

وقيل : بل حفرها هاشم ، وهبها أسد بن هاشم لعدى بن نوفل ، وفي ذلك تقول خالدة بنت هاشم :

نحن وهبنا لعدى سجلة

تُزَوِي الْحَجِيجَ زُغْلَةً فُزْغَلَةً

(١) بعده في ص : « فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا » .

(٢) شرح ديوان جرير ص ٥٤٦ . وتفسير الآية ٣٣ من سورة الرعد .

(٣) السرار بكسر السين وفتحها : آخر ليلة من الشهر ، يستمر الهلال بنور الشمس . وينظر التاج (س ر ر) والمراد في البيت نقصان القمر حتى يبلغ أن يكون هلالا .

(٤) وكذا نسبه إليه سيبويه في الكتاب ١/٥٣ ، ونسبه أبو حاتم في المعمرين ص ١٠٨ ، وأبو الفرج في الأغاني

٢٨/٢١ إلى الأغلب المجلى ، وفي روايته اختلاف ، وينظر الخزانة ٤/٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٥) ينظر ما تقدم في ٤/٢٤٧ ، ٢٤٨ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدٌ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادة قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ﴾ : كان هذا الحثي من العرب أذل الناس ذلاً ، وأشقاه عيشاً ، وأبيته ضلالةً ، وأعرأه جلوداً ، وأجوعه بطوناً ، مكعومين^(١) على رأس حجرٍ بين الأسدين فارس الروم ، لا والله ، ما فى بلادهم يومئذٍ من شىء يُحسدون عليه ، من عاش منهم عاش شقيئاً ، ومن مات رُدَى فى النار ، يُؤكلون ولا يأكلون ، والله ما نعلم قبيلاً يومئذٍ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغرَ حظاً وأدقَّ فيها شأنًا منهم ، حتى جاء الله عزَّ وجلَّ بالإسلام ، فوزَّثكم فيها [٤٤٠/١] به الكتاب ، وأحلَّ لكم به دارَ الجهادِ ، ووضعَ لكم به من الرزقِ ، وجعلكم به ملوكاً على رقابِ الناسِ ، وبالإسلامِ أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا نعمه^(٢) ، فإن ربكم مُنعمٌ يُحبُّ الشاكرين ، وإن أهلَ الشكرِ فى مزيدِ الله ، فتعالى ربُّنا وتبارك^(٣) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقٌ ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ . يقولُ : كنتم على الكفرِ باللهِ ، ﴿ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ : من ذلك وهداكم إلى الإسلامِ .

/ حدثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن ٣٨/٤ السدى : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ : بمحمدٍ ﷺ . يقولُ :

(١) فى م : « معكومين » ، وكعم البعير : شدَّ فاه فى هياجه لئلا يعض أو يأكل ، وكعمه الخوف : أمسك فاه . اللسان (ك ع م) .

(٢) فى س : « نعمة الله » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥٨١/٣ عن قتادة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٧٧/٣ إلى المصنف وابن المنذر وأبى الشيخ .

كنتم على طرفِ النارِ ، من مات منكم أوبق^(١) في النارِ ، فبعث الله محمداً ﷺ فاستنقذكم به من تلك الحفرة^(٢) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا حسن بن حبي^(٣) : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ . قال : عصبية .

القول في تأويل قوله : ﴿ كَذَلِكَ يبينُ اللهُ لكمْ آيَتِهِ لعلَّكُمْ تهتدون ﴾ ﴿١٠٣﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ : كما بين لكم ربكم في هذه الآيات أيتها المؤمنون من الأوس والخزرج ، من غل^(٤) اليهود الذي يضمرونه لكم ، وغشهم لكم ، وأمره^(٥) إياكم بما أمركم به فيها ، ونهيه لكم عما نهاكم عنه ، والحال التي كنتم عليها في جاهليتكم والتي صرتم إليها في إسلامكم ، معرفكم^(٦) في كل ذلك مواقع نعمه قبلكم وصنائه لديكم - فكذاك يبين^(٧) سائر حججه لكم في تنزيله ، وعلى لسان رسوله ﷺ ، ﴿ لعلَّكُمْ تهتدون ﴾ يعنى : لتتهتدوا إلى سبيل الرشاد وتسلكوها فلا تضلوا عنها .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠٤﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أُمَّةٌ ﴾ . يقول :

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وبقى » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٦/٣ (٣٩٣٠ ، ٣٩٣١) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٣) في م : « يحيى » . وينظر تهذيب الكمال ١٧٧/٦ .

(٤) في م : « علماء » .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، س : « أمرهم » .

(٦) في م : « يعرفكم » .

(٧) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « لكم » .

جماعة ﴿ يَدْعُونَ ﴾ النَّاسَ ﴿ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ يَعْنِي : إِلَى الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ ، ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ يَقُولُ : يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ (رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) ، وَدِينِهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ يَعْنِي : وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ ، وَالتَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، بِجِهَادِهِمْ بِالْأَيْدِي وَالْجَوَارِحِ حَتَّى يَتَّقَادُوا لَكُمْ بِالطَّاعَةِ .

وقوله : ﴿ وَأَوْلِيَّتِكُمْ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . يعنى : الْمُتَّجِحُونَ عِنْدَ اللَّهِ ، الْبَاقُونَ فِي جَنَانِهِ (٢) وَنَعِيمِهِ .

وقد دللنا (٣) على معنى الإفلاح فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته هاهنا (٤) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نَعِيمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى بْنُ عَمْرِو الْقَارِئِ ، عَنْ أَبِي عَوْنِ الثَّقَفِيِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ صُبَيْحًا ، قَالَ : سَمِعْتُ عَثْمَانَ يَقْرَأُ : (وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسْتَتِعِينَونَ اللَّهَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ) (٥) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو نَعِيمٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عَيْنَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الزَّبِيرِ يَقْرَأُ (٦) . فَذَكَرَ مِثْلَ قِرَاءَةِ عَثْمَانَ الَّتِي ذَكَرْنَاها قَبْلُ

(١ - ١) سقط من : م ، س ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) فى م : « جناته » .

(٣) بعده فى م : « فيما مضى » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٢٥٦/١ - ٢٥٨ .

(٥) أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف ص ٣٩ من طريق عيسى بن عمر ، به . وذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٤/٤٤٩ فى ترجمة صبيح ، وفيه : يهدون . بدلا من : يدعون . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٦٢ إلى عبد بن حميد وابن الأثير ، وهذه القراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة ، وهى مخالفة لرسم المصحف .

(٦) فى ت ١ : « يقول » .

سواء^(١) .

حدَّثنا يحيى بنُ أبي طالب ، قال : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ، قال : أَخْبَرَنَا جَوَيْبِرٌ ، عن الضحاك : ﴿ وَكَتَبْنَا مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . قال : هم خاصة أصحابِ رسولِ اللهِ^(٢) ، وهم خاصة الرواة^(٣) .

٣٩/٤ /القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

يَعْنِي بِذَلِكَ عَزَّ وَجَلَّ : وَلَا تَكُونُوا يَا مَعْشَرَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴿ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، ﴿ وَاخْتَلَفُوا ﴾ فِي دِينِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ مِنْ حُجَجِ اللَّهِ ، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَعَلِمُوا الْحَقَّ فِيهِ فَتَعَمَّدُوا خِلَافَهُ ، وَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ وَنَقَضُوا عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ جَرَاءَةً عَلَى اللَّهِ ، ﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ ﴾ يَعْنِي : وَلِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ ﴿ عَذَابٌ ﴾^(٤) عِنْدَ اللَّهِ ﴿ عَظِيمٌ ﴾ .

يقول جل ثناؤه : فلا تفرقوا^(٥) يا معشر المؤمنين في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم ، ولا تفعلوا فعلهم ، وتشتتوا في دينكم بسنتهم ، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم .

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٢١ - تفسير) ، وابن أبي داود في المصاحف ص ٨٢ ، ٨٣ من طريق ابن عيينة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦١ / ٢ ، ٦٢ إلى عبد بن حميد وابن الأباري .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الرسول » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٢ / ٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) بعده في م ، س : « من » .

(٥) في م : « تفرقوا » .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ . قال : هم أهل الكتاب ، نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا ويختلفوا كما تفرقوا واختلف أهل الكتاب ، قال الله عز وجل : ﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(١) .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ . ونحو هذا في القرآن : أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفُرقة ، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في [٤١/١] دين الله ^(٢) .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . قال : هم اليهود والنصارى ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه وتسود وجوه .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٢/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٨/٣ (٣٩٤٥) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٨/٣ (٣٩٤٦) من طريق أبي بكر الحنفي به .

وأما قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾. فإن معناه: ٤٠/٤ فأما الذين أسودت / وجوههم فيقال لهم: أكفرتُم بعد إيمانكم فدورقوا العذاب بما كنتم تكفرون .

ولابدل «أما» من جواب بالفاء، فلما أسقط الجواب سقطت الفاء معه، وإنما جاز ترك ذكر «فيقال»، لدلالة ما ذكر من الكلام عليه .

وأما معنى قوله جل ثناؤه: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾. فإن أهل التأويل اختلفوا في من عني به؛ فقال بعضهم: عني به أهل قبلتنا من المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ الآية: لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تشمعون، ولقد ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «والذي نفس محمد بيده، ليردَّن عليّ الحوض ممن صجبنى أقوام، حتى إذا رُفِعوا إليّ ورأيتهم، اختلجوا^(١) دُونِي، فلاقولن: رب، أصحابي، أصحابي. فليقالن: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك». وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضت وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: هؤلاء أهل^(٢) طاعة الله^(٣) والوفاء بعهد الله، قال الله عز وجل: ﴿فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٤).

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ

(١) اختلجوا: اجتذبوا واقتطعوا. التاج (خ ل ج).

(٢) في س: «الطاعة».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٠/٣ (٣٩٦٠) من طريق يزيد به، مقتصرًا على آخره. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٣/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد. دون المرفوع. والمرفوع أخرجه البخاري (٦٥٧٦)، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود.

إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١﴾ : فهذا من كفر من أهل القبلة حين اقتتلوا^(١) .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن حمادِ بنِ سلمةَ والرَّبيعِ بنِ صبيح ، عن أبي غالبٍ^(٢) ، عن أبي أمامةَ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ ﴾ . قال : هم الخوارج^(٣) .

وقال آخرون : عُني بذلك كلُّ من كفر بالله بعدَ الإيمانِ الذي آمن ، حينَ أخذَ اللهُ من صلبِ آدمَ ذريته ، وأشهدهم على أنفسهم^(٤) بما بينَ في كتابه^(٥) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عليُّ بنُ الهيثم ، قال : أخبرنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالبيّة ، عن أبيِّ بنِ كعبٍ في قوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَسَوْدٌ وُجُوهٌُ ﴾ . قال : صاروا يومَ القيامةِ فريقين ؛ فقال لمن أسودَّ وجهه وعيَّرهم : ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ . قال : هو الإيمانُ الذي كان قبلَ الاختلافِ في زمانِ آدمَ ، حينَ أخذَ منهم عهدهم وميثاقهم ، وأقرؤوا

(١) في س : « اختلفوا » . والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٠/٣ (٣٩٥٨) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) في النسخ : « مجالد » . والمثبت من مصادر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ١٧٠/٣٤ .

(٣) أخرجه الطبراني (٨٠٣٤ ، ٨٠٣٧) من طريق حماد والربيع به مرفوعا .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٩/٣ (٣٩٥٥) من طريق أبي غالب به مرفوعاً أيضاً . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « نفسه » .

(٥) يشير المصنف إلى قوله جل وعز : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ . الآية ١٧٢ من سورة الأعراف .

كلهم بالعبودية ، وفطرهم على الإسلام ، فكانوا أمةً واحدةً مسلمين ، يقول : ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ . يقول : بعد ذلك الذى كان فى زمانِ آدمَ . وقال فى الآخرين : الذين استقاموا على إيمانهم ذلك ، فأخلصوا^(١) له الدينَ والعملَ ، فبيّضَ اللهَ وجوههم ، وأدخلهم فى رضوانه وجنته^(٢) .

وقال آخرون : بل الذين عُنوا بقوله : ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ . المنافقون .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنى محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفى ، عن عبّادٍ ، عن الحسنِ : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ / وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌُ ﴾ الآية . قال : هم المنافقون ، كانوا أعطوا كلمة الإيمان بالستيم وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم^(٣) .

٤١/٤

وأولى الأقوالِ التى ذكرناها فى ذلك بالصوابِ القولُ الذى ذكرناه عن أبيّ بنِ كعبٍ ، أنه غنى بذلك جميعَ الكفارِ ، وأن الإيمانَ الذى يُؤبّخون على ارتدادهم عنه هو الإيمانُ الذى أقرّوا به يومَ قيل لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . وذلك أن اللهَ جلّ ثناؤه جعلَ جميعَ أهلِ الآخرةِ فريقين ؛ أحدهما سوداً^(٤) وجوهه ، والآخِرُ بيضاً^(٥) وجوهه ، فمعلومٌ إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان ، أن جميعَ الكفارِ داخلون فى فريقٍ من سُودٍ وجّهه ، وأن جميعَ المؤمنين داخلون فى فريقٍ من بيّضٍ وجّهه ، فلا وجهَ إذنَ لقولِ قائلٍ : غنى بقوله : ﴿ أَكْفَرْتُمْ

(١) فى ص ، ت ، ١ ، س : « وأخلصوا » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٣٠/٣ (٣٩٥٦ ، ٣٩٥٩) من طريق أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٢٩/٣ (٣٩٥٣) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٤) فى م : « سوداء » .

(٥) فى م : « بيضاء » .

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿ بعضُ الكفارِ دونَ بعضٍ . وقد عمَّ اللهُ جُلَّ ثناؤه الخبرَ عنهم جميعهم ، وإذا دخل جميعهم في ذلك ، ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعدُ إلا حالةً واحدةً ، كان معلومًا أنها المرادُ بذلك .

فتأويل الآية إذن : أولئك لهم عذابٌ عظيمٌ في يومٍ تبيضُّ وجوهُ قومٍ ^(١) ، وتسودُّ وجوهُ آخرين ؛ فأما الذين اسودَّت وجوههم فيقال : أجددتم توحيدَ اللهِ وعهدَه وميثاقَه الذي واثقتُموه عليه ، بالأُ تشرِكوا به شيئًا ، وتخلَّصوا له العبادة ﴿ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ . يعنى : بعد تصديقكم به ، ﴿ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ . يقول : بما كنتم تجحدون في الدنيا ما كان اللهُ قد أخذ ميثاقكم بالإقرار به والتصديق .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آتَيْتَ وَجُوهَهُمْ ﴾ من ثبت على [١/٤٤١: ٤٤١] عهدِ اللهِ وميثاقه ، فلم يُبدل دينه ، ولم يُقلَّب على عقبيته بعد الإقرار بالتوحيد ، والشهادة لرَّبِّه بالألوهة ، وأنه لا إله غيره ، ﴿ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ . يقول : فهم في رحمة اللهِ . يعنى : في جنَّته ونعيمها ، وما أعدَّ اللهُ لأهلها فيها ، ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . أى : باقون فيها أبدًا بغير نهاية ولا غاية .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

يعنى بقوله ^(٢) جُلَّ ثناؤه : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ : هذه آياتُ اللهِ .

وقد بيَّنَّا كيف وضعت العربُ « تلك » و « ذلك » مكانَ « هذا » و « هذه » في غير هذا الموضع فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته ^(٣) .

(١) سقط من : ص ، ت ، ١ ، س .

(٢) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بذلك » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ١/٢٢٨ - ٢٣١ .

وقوله : ﴿ ءَايَاتُ اللَّهِ ﴾ . يعنى مواعظَ اللّهِ وعِبره وحُجَجِه ، ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴾ : نَقْرُوهَا عَلَيْكَ وَنَقُصُّهَا ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ . يعنى بالصدقِ واليقينِ .

وإنما يعنى بقوله : ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ ﴾ : هذه الآياتُ التي ذَكَرَ فيها أمُورَ المؤمنين من أنصارِ رسولِ اللّهِ ﷺ وأمُورَ يهودِ بنى إسرائيلَ وأهلِ الكتابِ ، وما هو فاعلٌ بأهلِ الوفاءِ بعهدِهِ ، وبالمبدلين دينه ، والناقضين عهدَهُ بعدَ الإقرارِ به . ثم أخبَرَ عزَّ وجلَّ نبيّه محمداً ﷺ أنه يتلوه ذلك عليه بالحقِّ ، وأعلمه أن مَنْ عاقبَ ^(١) من خلقِهِ بما أخبَرَ أنه معاقبه ؛ من تسويدِ وجهِهِ ، وتخليدِهِ فى أليمِ عذابِهِ ، وعظيمِ عقابِهِ ، ومَنْ جازاه منهم بما جازاه ؛ من تبييضِ وجهِهِ ، وتكريمِهِ ، وتشريفِ منزلتِهِ ^(٢) لديه ، بتخليدِهِ فى دائمِ نعيمِهِ ، فبغيرِ ظلمٍ منه لفريقٍ منهم ، بل بحقِّ ^(٣) استوجوبِهِ ، وأعمالٍ لهم سَلَفَتْ ، جازاهم / عليها ، فقال تعالى ذكره : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .
يعنى بذلك : وليس اللّهُ يا محمداً بتسويدِ وجوهِ هؤلاءِ ، وإذاقَتِهِم العذابِ العظيمِ ، وتبييضِهِ ^(٤) وجوهَ هؤلاءِ ، وتنعيمِهِ إياهم فى جَنَّتِهِ ، طالباً وضعِ شَيْءٍ مما فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ فى ^(٥) غيرِ موضِعِهِ الذى هو موضِعُهُ . إعلاماً بذلكِ عباده أنه لن يَضْلَحَ فى حكمته بخلقِهِ غيرُ ما وعدَ أهلَ طاعته والإيمانِ به ، وغيرُ ما أوعدَ ^(٦) أهلَ معصيته والكفرِ به ، وإنذاراً منه هؤلاءِ ، وتبشيراً منه هؤلاءِ .

٤٢/٤

(١) فى م : «عاقبه» .

(٢) فى ص ، ت ، ١ : «متوليه» .

(٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «الحق» .

(٤) فى م : «تبييض» .

(٥) زيادة من : م .

(٦) فى ص : «وعد» .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (١١٩) .

يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ يُعَاقِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، بِمَا ذَكَرَ أَنَّهُ مَعَاقِبُهُمْ بِهِ ، مِنَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ وَتَسْوِيدِ الْوَجْهِ ، وَتُيِّبُ^(١) أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ الَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَى التَّصَدِيقِ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِمُ الَّتِي عَاهَدُوا عَلَيْهَا ، بِمَا وَصَفَ أَنَّهُ مُثَبِّهُهُمْ بِهِ ، مِنَ الْخُلُودِ فِي جِنَانِهِ^(٢) ، مِنْ غَيْرِ ظَلَمٍ مِنْهُ لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ فِيمَا فَعَلَ ؛ لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى الظُّلْمِ ، وَذَلِكَ أَنَّ^(٣) الظَّالِمَ إِنَّمَا يَظْلِمُ غَيْرَهُ لِيَزْدَادَ إِلَى عِزِّهِ^(٤) عِزَّةً بِظُلْمِهِ إِيَّاهُ ، وَإِلَى سُلْطَانِهِ سُلْطَانًا ، أَوْ^(٥) إِلَى مُلْكِهِ مُلْكًا ؛^(٦) أَوْ إِلَى نَقْصَانِ^(٧) فِي بَعْضِ أَسْبَابِهِ ، يُتِمُّمُ بِهَا^(٨) ظَلَمَ غَيْرِهِ فِيهِ مَا كَانَ نَاقِصًا مِنْ أَسْبَابِهِ عَنِ التَّمَامِ ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ جَمِيعُ مَا بَيْنَ أَقْطَارِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، وَمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلَا مَعْنَى لظُلْمِهِ أَحَدًا ، فَيَجُوزُ^(٩) أَنْ يَظْلِمَ شَيْئًا ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَسْبَابِهِ شَيْءٌ نَاقِصٌ يَحْتَاجُ إِلَى تَمَامٍ ، فَيَتَمَّ ذَلِكَ بِظُلْمِ غَيْرِهِ ، تَعَالَى اللَّهُ عُلُوًّا كَبِيرًا . وَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَقِيبَ قَوْلِهِ : ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٢٨) .

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ .

(١) فِي ص : « ثَبَّت » ، وَفِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ثَبَّت » ، وَفِي س : « ثَبَّتِ » .

(٢) فِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « جِنَانِهِ » .

(٣) سَقَطَ مِنْ : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤) فِي م : « عِزَّتِهِ » .

(٥) فِي م : « وَ » .

(٦ - ٦) فِي م : « لِنَقْصَانِ » .

(٧) فِي م : « بِمَا » .

(٨) فِي س : « فَلَا يَجُوزُ » .

واختَلَفَ أهلُ العَرَبِيَّةِ فِي وَجِهٍ تَكَرَّرَ اللهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ اسْمُهُ مَعَ قَوْلِهِ : ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ . ظَاهِرًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ اسْمُهُ ظَاهِرًا مَعَ قَوْلِهِ : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ؛ فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ الْعَرَبِ : أَمَّا زَيْدٌ فَذَهَبَ زَيْدٌ . وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(١) :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَعَّصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا
فَأَظْهَرَ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ .

وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكُوفَةِ : لَيْسَ ذَلِكَ نَظِيرَ هَذَا الْبَيْتِ ؛ لِأَنَّ مَوْضِعَ الْمَوْتِ الثَّانِي فِي الْبَيْتِ مَوْضِعُ كِنَايَةٍ ؛ لِأَنَّهُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي الْآيَةِ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ . خَبِرٌ لَيْسَ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فِي شَيْءٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ^(٢) مِنَ الْقَصْتَيْنِ مَفَارِقٌ مَعْنَاهَا مَعْنَى الْأُخْرَى ، مَكْتَفِيَةٌ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِنَفْسِهَا ، غَيْرُ مَحْتَاجَةٍ إِلَى الْأُخْرَى ، كَمَا^(٣) قَالَ الشَّاعِرُ : لَا أَرَى الْمَوْتَ . مَحْتَاجٌ إِلَى تَمَامِ الْخَبْرِ عَنْهُ .

وَهَذَا الْقَوْلُ الثَّانِي عِنْدَنَا أَوْلَى بِالصَّوَابِ ؛ لِأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا تُوجَّهُ^(٤) مَعَانِيهِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ إِلَى الشَّوَادِ مِنَ الْكَلَامِ وَالْمَعَانِي ، وَلَهُ فِي الْفَصِيحِ مِنَ الْمُنْطَقِ وَالظَّاهِرِ مِنَ الْمَعَانِي الْمَفْهُومِ وَجْهٌ صَحِيحٌ مَوْجُودٌ .

(١) الْبَيْتُ لَعْدَى بَنِ زَيْدٍ ، كَمَا فِي أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ١/٢٤٣ ، وَالْخَزَائِنَةَ ١/٣٨١ . وَنَسَبَهُ فِي الْكِتَابِ ١/٦٢ ، وَاللِّسَانَ (ن غ ص) إِلَى ابْنِهِ سَوَادَةَ . وَفِي نَسَخَةٍ مِنَ الْكِتَابِ : سَوَادٌ . وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَعْدَى بَنِ زَيْدٍ ، فَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ص ٦٥ ، كَمَا فِي حَاشِيَةِ النَّكْتِ لِلْأَعْلَمِ ١/١٩٨ .

(٢) فِي ص ، ت ١ ، س : «وَاحِدٌ» .

(٣) كَذَا فِي النَّسَخِ ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ : «وَمَا» .

(٤) فِي م ، ي ٢ ، ت ٣ : «تُؤَخَذُ» ، وَفِي ت ١ ، س : «يُوجَدُ» ، وَغَيْرُ مَنْقُوطَةٌ فِي ص . وَالْمَثْبُوتُ مَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

وأما قوله : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ . فإنه يعنى تعالى ذكره : إلى الله / مصيرُ أمرٍ جميعِ خلقه ؛ الصالحِ منهم والطالحِ ، والحسنِ والمسيءِ ، فينجزى كلًّا على قدرِ استحقاقهم منه الجزاءَ ، بغيرِ ظلمٍ منه أحدًا منهم .

القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ .

اختلف أهل التأويلِ فى تأويلِ قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ؛ فقال بعضهم : هم الذين هاجروا مع رسولِ [١/٤٤٢] الله ﷺ من مكة إلى المدينة ، وخاصةً من أصحابِ رسولِ الله ﷺ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن سِماكٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال فى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : هم الذين خرجوا معه من مكة ^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابنُ عليّة ^(٢) ، عن قيسٍ ، عن سِماكٍ ، عن عكرمةٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة .

حدثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/١٥٥ ، وأحمد ٤/٢٧٢ (٢٤٦٣) ، والنسائي فى الكبرى (١١٠٧٢) ، والطبرانى (١٢٣٠٣) ، والحاكم ٢/٢٩٤ من طريق إسرائيل ، عن سماك به .
(٢) فى النسخ : « عطية » . وقد تقدم مرااًا .

قال عمرُ بنُ الخطابِ : لو شاءَ اللهُ لقال : أنتم . فكنا^(١) كلُّنا ، ولكن قال^(٢) : ﴿ كُنْتُمْ ﴾ . في خاصيةٍ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ومن صنَع مثلَ صنيعِهِمْ^(٣) ، كانوا خيرَ أمةٍ أُخْرِجَت للناسِ ، يأْمُرُونَ بالمعروفِ ويَنْهَوْنَ عن المنكرِ^(٤) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال عكرمةُ : نزلت في ابنِ مسعودٍ وسالمِ مولى أبي حذيفةَ وأبي بنِ كعبٍ ومعاذِ بنِ جبلٍ^(٥) .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا مصعبُ بنُ المقدمِ ، عن إسرائيلَ ، عن السديِّ ، عن حدِّثه ، قال عمرُ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت لِلنَّاسِ ﴾ . قال : تكونُ لأولنا ولا تكونُ لآخرنا^(٦) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا إسرائيلُ ، عن سِمَاكِ بنِ حربٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت لِلنَّاسِ ﴾ . قال : هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة^(٧) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذكر لنا أن عمرَ ابنَ الخطابِ قال في حجةٍ حجَّها ورأى من الناسِ رِعةً سيئةً^(٨) ، فقرأ هذه : ﴿ كُنْتُمْ

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وكنا » .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ما صنعتم » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٧٠) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٣/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٦٩) من طريق إسرائيل به .

(٧) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٦٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٨) الرعة ههنا : الاحتشام والكف عن سوء الأدب ، أى : لم يحسنوا ذلك . النهاية ١٧٥ / ٥ .

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿ الآية . ثم قال : يا أيها الناس ، مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَمُ ^(١) الْأُمَّةِ ، فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ مِنْهَا ^(٢) .

٤٤/٤ / حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جَوَيْبِرٌ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قَالَ : هُمْ ^(٣) أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً . يَعْنِي : وَكَانُوا هُمُ الرُّوَاةُ الدَّعَاةُ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِطَاعَتِهِمْ ^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، إِذَا ^(٥) كُنْتُمْ بِهَذِهِ الشَّرُوطِ الَّتِي وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهَا . فَكَانَ تَأْوِيلُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، أُخْرِجُوا لِلنَّاسِ فِي زَمَانِكُمْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . يَقُولُ : عَلَى هَذَا الشَّرْطِ ؛ أَنْ تَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوُا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ . يَقُولُ : لِمَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ وَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٦) [الدخان : ٣٢] .

(١) فِي م : « تِلْكَ » ، وَفِي س : « هَذِهِ » .

(٢) عَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَثُورِ ٦٣/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

(٣) سَقَطَ مِنْ : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) تَقَدَّمَ فِي ص ٦٦٢ .

(٥) فِي م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « إِذ » .

(٦) عَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَثُورِ ٦٤/٢ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذِرِ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : يقول : كنتم خير الناس للناس ، على هذا الشرط ؛ أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله . يقول : لمن بين ظهره ، كقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَّرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَيَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الدخان : ٣٢] .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن سفيان ، عن ميسرة ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : كنتم خير الناس للناس ، يجيئون بهم في السلاسل تَدْخِلُونَهُمْ ^(١) فِي الْإِسْلَامِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا عُيَيْدُ بْنُ أُسْبَاطٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية في قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : خير الناس للناس ^(٣) .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ؛ لأنهم أكثر الأمم استجابة للإسلام .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . قال : لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة ، فمن ثم

(١) في ت ١ ، ٢ ، ت ٣ ، س : « فدخلوا بهم » ، وفي صحيح البخاري : « حتى يدخلوا » .
 (٢) أخرجه البخاري (٤٥٥٧) ، والنسائي في الكبرى (١١٠٧١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٧١) ، والحاكم ٨٤/٤ من طريق سفيان به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٣/٣ (٣٩٧٥) من طريق عيسى بن موسى عن عطية به ، وعقب الأثر (٣٩٧٢) معلقاً . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى عبد بن حميد .

قال : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ^(١) .

وقال بعضهم : عنى بذلك أنهم كانوا خير أمة أُخْرِجَتْ للناسِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في

قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . قال : قد كان ما تَسْمَعُ مِنَ الْخَيْرِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ . ٤٥/٤

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : نحن آخِزُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن ؛ وذلك أن يعقوب

ابن إبراهيم حدَّثني قال : ثنا ابن عليه ، عن يهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « أَلَا إِنَّكُمْ وَقَيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً ، أَنْتُمْ خَيْرُهَا ^(٢) وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ ^(٣) » .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، [٤٤٢/١] قال : أخبرنا

(١) بعدها في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « واللّه أعلم » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٣/٣ (٣٩٧٣) من طريق ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب .

(٢) في ص ، م ، والمسند ، والمنتخب ، والموضع الثاني من سنن ابن ماجه : « آخرها » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الناس » .

والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٢٨٨) من طريق ابن عليه به .

وأخرجه أحمد ٥/٣ ، ٥ (الميمنية) ، والدارمي ٢/٣١٣ ، وعبد بن حميد (٤٠٩-منتخب) ، وابن ماجه (٤٢٨٧) ، والطبراني ١٩/٤٢٢ (١٠٢٣) من طرق عن يهز به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٢/٦٤ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

معمرٌ ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : « أنتم تُتَمُّون سبعين أمةً ، أنتم خيرها وأكرمها على الله » ^(١) .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال ذات يوم وهو مُسِنِّدٌ ظهره إلى الكعبة : « نحن نُكْمِلُ يومَ القيامةِ سبعين أمةً ، نحن آخرها وخيرها » ^(٢) .

وأما قوله : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ . فإنه يعني : تأمرون بالإيمان بالله ورسوله والعمل بشرائعه ، ﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . يعني : وتنهون عن الشرك بالله وتكذيب رسوله ، وعن العمل بما نهى عنه .

كما حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . يقول : تأمرونهم بالمعروف ؛ أن يشهدوا ألا إله إلا الله ، والإقرار بما أنزل الله ، وتقاتلونهم عليه ، ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف ، وتنهونهم عن المنكر ، والمنكر هو التكذيب ، وهو أنكر المنكر ^(٣) .

وأصل المعروف كل ما كان معروفًا ^(٤) فعله ، جميلًا مستحسنًا ^(٥) ، غير مستقبح في أهل الإيمان بالله ، وإنما سُمِّيت طاعة الله معروفًا ؛ لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٣٠ ، ومن طريقه الترمذى (٣٠٠١) ، والحاكم ٤/ ٨٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٣١ (٣٩٦٧) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٦٤ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٣٣ ، ٧٣٤ (٣٩٧٧ ، ٣٩٧٨) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٢٠٦) ، من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٦٤ إلى ابن المنذر .

(٤ - ٤) فى م : « ففعله جميل مستحسن » .

يَسْتَنْكِرُونَ فَعْلَهُ . وَأَصْلُ الْمُنْكَرِ مَا أَنْكَرَهُ اللَّهُ ، وَرَأَوْهُ قَبِيحًا فَعْلُهُ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ
مَعْصِيَةُ اللَّهِ مُنْكَرًا ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ يَسْتَنْكِرُونَ فَعْلَهَا ، وَيَسْتَعْظِمُونَ رُكُوبَهَا .
وقوله : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ . يعنى : وَتُصَدِّقُونَ بِاللَّهِ ، فَتُخْلِصُونَ لَهُ التَّوْحِيدَ
وَالْعِبَادَةَ .

فإن سأل سائلٌ فقال : وكيف قيل : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ . وقد زعمت أن
تأويل الآية أن هذه الأمة خير الأمم التي مضت ، وإنما يقال : كنتم خير أمة . لقوم
كانوا خيارًا فتغيروا عما كانوا عليه ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبت إليه ، وإنما معناه : أنتم خير أمة . كما
قيل : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَائِلٌ ﴾ [الأنفال : ٢٦] . وقد قال فى موضع آخر :
﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرْكُمْ ﴾ [الأعراف : ٨٦] ، فإدخال « كان » فى
مثل هذا وإسقاطها بمعنى واحد ؛ لأن الكلام معروف معناه .

ولو قال أيضًا فى ذلك قائلٌ : ﴿ كُنْتُمْ ﴾ بمعنى التمام . كان تأويله :
خُلِقْتُمْ خير أمة ، أو : وُجِدْتُمْ خير أمة ، كان معنى صحيحًا .

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى / ذلك : كنتم خير أمة عند الله فى اللوح
المحفوظ ، أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .

والقولان الأولان اللذان قلنا أشبهه بمعنى الخير الذى رَوَيْنَاهُ قَبْلُ .

وقال آخرون : معنى ذلك : كنتم خير أهل طريقة . وقال : الأُمَّةُ الطَّرِيقَةُ .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ
الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : ولو صدق أهل التوراة والإنجيل ، من اليهود

والنصارى ، بمحمد ﷺ وما جاءهم به من عند الله ، ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ عند الله في عاجل دنياهم وأجل آخرتهم ، ﴿ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ . يعنى : من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، المؤمنون المصدقون رسول الله ﷺ فيما جاءهم به من عند الله ، وهم عبد الله بن سلام وأخوه ، وثعلبة بن سعية^(١) وأخوه ، وأشباههم ممن آمنوا^(٢) بالله ، وصدقوا^(٣) برسوله محمد ﷺ ، واتبعوا ما جاءهم به من عند الله ، ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ يعنى : الخارجون عن دينهم ؛ وذلك أن من دين اليهود أتباع ما فى التوراة والتصديق بمحمد ﷺ ، ومن دين النصارى اتباع ما فى الإنجيل والتصديق به وبما فى التوراة ، وفى^(٤) الكتابين صفة محمد ﷺ ونعته ومبعثه ، وأنه نبي الله . وكلتا الفرقتين - أعنى اليهود والنصارى - مكذبة ، فذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذى يدعون أنهم يدينون به ، الذى قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

وقال قتادة بما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة :

﴿ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ : ذم الله أكثر الناس^(٥) .

[١١/ظ] القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أذى ﴾ .

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : لن يضرركم^(١) يا أهل الإيمان بالله

(١) فى م : « سعيد » . وينظر سيرة ابن هشام ٢/٢٣٨ ، ٢٤٥ .

(٢) فى ص ، ت ١ ، س : « آمن » .

(٣ - ٣) فى ص : « رسوله محمداً » .

(٤) بعده فى ص ، م : « كل » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٣٤ (٣٩٨٢) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٦٤ إلى عبد بن حميد .

* من هنا تبدأ قطعة من مخطوط جامعة القرويين ولعلها الجزء الحادى عشر ، وسيجد القارئ أرقام صفحاتها بين معقوفين .

(٦) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يضرركم » .

ورسوله ، هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب شيئا ، بكفرهم وتكذيبهم نبيكم محمدا ﷺ ، ﴿إِلَّا أَدَّى﴾ . يعنى بذلك : ولكنهم يؤذونكم بشركهم وإسماعكم كفرهم ، وقولهم فى عيسى وأمه وعزير ، ودعائهم إياكم إلى الضلالة ، ولا يضرونكم^(١) بذلك .

وهذا من الاستثناء المنقطع الذى هو مخالف معنى ما قبله ، كما قيل : ما أشكى شيئا إلا خيرا . وهذه كلمة محكية عن العرب سماعا .
وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَدَّى﴾ . يقول : لن يضركم إلا أذى تسمعونه منهم^(٢) .

٤٧/٤ /حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَدَّى﴾ . قال : أذى تسمعونه منهم^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَدَّى﴾ . قال : إشارتهم فى عزير وعيسى والصليب^(٤) .

حدثنى محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يضروكم » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٦٤ ، إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٣٤ عقب الأثر (٣٩٨٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٣٥ (٣٩٨٥) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج .

قوله : ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ الآية . قال : تَسْمَعُونَ مِنْهُمْ كَذِبًا عَلَى اللَّهِ ،
يَدْعُونَكُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُوَلُّوكمُ الْآدْبَارَ ثُمَّ لَا
يُنصَرُونَ﴾ .

يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاهُ ^(٢) : وَإِنْ يُقَاتِلِكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى
يُهْزِمُوا عَنْكُمْ ، فَيُوَلُّوكُمْ أَدْبَارَهُمْ انْهَزَامًا .

فَقَوْلُهُ ^(٣) : ﴿يُوَلُّوكُمُ الْآدْبَارَ﴾ . كِنَايَةٌ عَنْ انْهَزَامِهِمْ ؛ لِأَنَّ الْمُنْهَزِمَ يُحَوِّلُ ظَهْرَهُ
إِلَى قَبْرِهِ ^(٤) الطَّالِبِ هَرْبًا إِلَى مَلْجَأٍ وَمَوْتِلٍ يَبْلُغُ إِلَيْهِ مِنْهُ ، خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ ، وَالطَّالِبُ
فِي أَثَرِهِ . فَذُبُرُ الْمَطْلُوبِ حِينَئِذٍ يَكُونُ مُحَاذِي وَجْهِ الطَّالِبِ الْهَازِمِ .

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ . يَعْنِي : ثُمَّ لَا يُنصِرُهُمُ اللَّهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْكُمْ ؛
لِكَفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِيمَانِكُمْ بِمَا آتَاكُمْ نَبِيُّكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
قَدْ أَلْقَى الرَّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ ^(٥) ، فَأَيْدِكُمْ ^(٦) أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِنصْرِكُمْ . وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى ذَكَرَهُ نَبِيُّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ نَصْرَهُمْ عَلَى مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .

وَإِنَّمَا رَفَعَ قَوْلَهُ : ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ . وَقَدْ جَزَمَ قَوْلَهُ : [٢/١١] ﴿يُوَلُّوكُمُ
الْآدْبَارَ﴾ . عَلَى جَوَابِ الْجَزَاءِ ، ائْتِنَافًا لِلْكَلامِ ؛ لِأَنَّ رُعُوسَ الْآيَاتِ قَبْلَهَا بِالنُّونِ ،
فَأَلْحَقَ هَذِهِ بِهَا ، كَمَا قَالَ : ﴿وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ﴾ [المرسلات : ٣٦] . رَفَعًا ، وَقَدْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٤/٣ (٣٩٨٤) من طريق أبي بكر الحنفي به .

(٢) بعده في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وَأَمَّا قَوْلُهُ » .

(٤) في م : « جَهَةٌ » . وَالْقِرْنَ : الْكَفَاءُ وَالنَّظِيرُ فِي الشُّجَاعَةِ وَالْحَرْبِ . اللَّسَانُ (ق ر ن) .

(٥) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قُلُوبِ » .

(٦) في م : « كَائِدِكُمْ » .

قال في موضع آخر^(١) : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَومُوا ﴾ [فاطر : ٣٦] . إذ لم يكن رأس آية .

القول في تأويل قوله : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ﴾ : الرِّموا الذلة . والذلة الفعلة من الذل .

وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع^(٢) .

﴿ أَيْنَ مَا تُقِفُوا ﴾ . يعنى : حيثما لقوا . يقول جل ثناؤه : الرِّم اليهود المكذِّبون بحميد ﷺ الذلة أينما^(٣) كانوا من الأرض ، وبأى مكان كانوا من بقاعها ، من بلاد المسلمين والمشركين ، ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ .

كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هُوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن في قوله : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبِأَمْرٍ مِّنَ اللَّهِ وَبِأَمْرٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ . قال : أدركتهم هذه الأمة وإن المجوس لتجيبهم الجزية^(٤) .

/حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد ، عن ٤/٤٨ الحسن في قوله : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ .

(١) بعدها في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وقد قال » .

(٢) ينظر ما تقدم في ٢/٢٦ .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أين » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٣٥ (٣٩٨٧) من طريق هُوذة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور

٢/٦٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

النَّاسِ ﴿١﴾ . قال : أذلَّهم اللهُ ، فلا منعةَ لهم ، وجعلهم اللهُ تحت أقدامِ المسلمين^(١) .

وأما الحيلُ الذي ذكره اللهُ في هذا الموضع ، فإنه السببُ الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين ، وعلى أموالهم وذراريهم ، من عهدٍ وأمانٍ تقدَّم لهم عقده قبل أن يُثقفوا في بلادِ الإسلام .

كما حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهدٍ في قوله جلَّ وعزَّ : ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ﴾ . قال : بعهدٍ ، ﴿وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ . قال : بعهدهم^(٢) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ . يقول : إلا بعهدٍ من اللهِ وعهدٍ من الناس .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة مثله^(٣) .

حدَّثنا حميدُ بنُ مسعدة ، قال : ثنا يزيدٌ ، عن عثمان بنِ غياث^(٤) ، قال عكرمة : يقول : ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ . قال : بعهدٍ من اللهِ وعهدٍ من الناس^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ (٣٩٨٨) من طريق أبي بكر الخنفي به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٧ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٠ .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « عتاب » .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) معلقاً .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مَنْ آلِهِ وَحَبْلِ مَنْ النَّاسِ ﴾ . يقولُ : إِلَّا بعهدي مِنَ اللَّهِ وعهدي مِنَ النَّاسِ ^(١) .

حَدَّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مَنْ آلِهِ وَحَبْلِ مَنْ النَّاسِ ﴾ . يقولُ : إِلَّا بعهدي مِنَ اللَّهِ وعهدي مِنَ النَّاسِ ^(٢) .

حَدَّثني محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا [٢/١١] أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ أَيَنْ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مَنْ آلِهِ وَحَبْلِ مَنْ النَّاسِ ﴾ : فهو عهدٌ مِنَ اللَّهِ وعهدي مِنَ النَّاسِ ، كما يَقُولُ الرجلُ : ذمَّةُ اللَّهِ وذمَّةُ رسوله ﷺ . فهو الميثاقُ ^(٣) .

حَدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال مجاهدٌ : ﴿ أَيَنْ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مَنْ آلِهِ وَحَبْلِ مَنْ النَّاسِ ﴾ . قال : بعهدي مِنَ اللَّهِ وعهدي مِنَ النَّاسِ لهم ^(٤) . قال ابنُ جريجٍ : وقال عطاءٌ : العهدُ حبلُ اللَّهِ ^(٥) .

حَدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ أَيَنْ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مَنْ آلِهِ وَحَبْلِ مَنْ النَّاسِ ﴾ . قال : إِلَّا بعهدي ، وهم يهودُ . قال : والحبلُ العهدُ . قال : وذلك قولُ أبي الهيثمِ بنِ التَّيْهَانِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ أتته الأنصارُ في العقبةِ : أيُّها الرجلُ ، إنا قاطعونُ فيك حبلاً بيننا وبينَ النَّاسِ . يقولُ : عهدودًا . قال : واليهودُ لا يَأْتَمونَ في أرضٍ مِنَ أرضِ اللَّهِ إِلَّا بهذا الحبلِ الذي قال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ (٣٩٩٠ ، ٣٩٩١) من طريق هارون بن عترة عن أبيه عن ابن

عباس ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٥٧ .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) معلقًا .

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . وقرأ : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ٥٥] . قال : فليس بلدٌ فيه أحدٌ من النصارى إلا وهم فوق
يهودٍ في "شَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ" ، هم في البلدانِ كُلِّهَا مُسْتَدَلُّونَ ، قال اللهُ :
﴿ وَتَطَعَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا ﴾ [الأعراف : ١٦٨] . قال : يهودٌ ^(١) .

٤٩/٤ / حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قَالَ :
سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ ﴾ . يَقُولُ : بَعْدِهِ
مِنَ اللَّهِ وَعَهْدِهِ مِنَ النَّاسِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرٌ ، عَنْ
الضَّحَّاكِ مِثْلَهُ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَعْنَى الَّتِي جَلَبَ الْبَاءَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ
اللَّهِ ﴾ ؛ فَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكُوفَةِ : الَّتِي جَلَبَ الْبَاءَ فِي ذَلِكَ ^(٤) فَعَلَّ مَضْمَرٌ قَدْ تَرِكَ
ذِكْرَهُ . قَالَ : وَمَعْنَى الْكَلَامِ : ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَمَا تُتَّقُوا إِلَّا أَنْ يَتَّعِصِمُوا بِحَبْلِ
مِنَ اللَّهِ . فَأُضْمِرَ ذَلِكَ . وَاسْتَشْهَدَ لِقَوْلِهِ ذَلِكَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ ^(٥) :

رَأْتَنِي بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ ^(٦) فَرُوقُ

(١ - ١) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س : « فَسُوقٌ وَلَا غَيْرُهُمْ » ، وَفِي ت ٢ : « فَوْقٌ وَلَا غَيْرُهُمْ » .

(٢) يَنْظُرُ مَا تَقْدُمُ فِي ص ٤٥٥ .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٣٥/٣ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٩٩١) مَعْلَقًا .

(٤) فِي ص : « بِحَبْلِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ » ، وَفِي م : « قَوْلُهُ بِحَبْلِ » ، وَفِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قَوْلُهُ
بِحَبْلِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ » .

(٥) هُوَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ الْهَلَالِيُّ ، وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ ص ٣٥ . وَرَوَايَةُ الْبَيْتِ فِيهِ هَكَذَا :

فَجَعْتُ بِحَبْلَيْهَا فَفَرَدْتُ مَخَافَةً إِلَى النَّفْسِ رَوْعَاءُ الْجَنَانِ فَرُوقُ

(٦) رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ : ذِكَايَةُ الْفُؤَادِ . يَنْظُرُ اللَّسَانَ (ر و ع) .

وقال : أراد : أَقْبَلْتُ بِحَبْلَيْهَا ^(١) . وبقول الآخر ^(٢) :

حَنْشَى حَائِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَانَتْ حَائِلٌ ^(٣) أَدْنُو ^(٤) لَصِيدٍ
^(٥) قَرِيبِ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مِنْ رَأَى - وَلَسْتُ مُقَيَّدًا - أَنَى بِقَيْدٍ ^(٦)
^(٦) يريدُ : مقيدًا بقيدٍ ^(٦) .

فأوجب إعمال فعلٍ محذوفٍ وإظهارَ صلته ^(٧) وهو متروكٌ .

وذلك في مذاهب العربية ضعيفٌ ، ومن كلام العرب بعيدٌ . وأما ما استشهد به لقوله من الأبيات ، فغير دال على صحة دعواه ؛ لأن في قول الشاعر : رَأَتْنِي بِحَبْلَيْهَا . دلالةٌ بينة في أنها رَأَتْهُ بالحبلِ مُمَسِّكًا . [٣/١١] ففي إخباره عنها أنها رَأَتْهُ بِحَبْلَيْهَا ، إخبارٌ منه أنها رَأَتْهُ مُمَسِّكًا بالحبلين ، فكان فيما ظهر من الكلام مُسْتَعْنَى عن ذكر الإمساك ، وكانت الباء صلة ^(٨) لقوله : رَأَتْنِي . كما ^(٩) قول القائل : أَنَا بِاللَّهِ . مكتفٍ بنفسه ومعرفة السامع معناه ، أن تكون الباء محتاجة إلى كلام يكون لها جالبًا غير الذي ظهر ، وأن ^(١٠) المعنى : أَنَا بِاللَّهِ مُسْتَعِينٌ .

وقال بعض نحويي البصرة : قوله : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ أَلَلَةٍ ﴾ . استثناءً

(١) في ص ، س : « بحلها » .

(٢) هو أبو الطمحان القيني حنظلة بن الشرقي ، كما في المعمرين ص ٧٢ ، والمعاني الكبير ٣ / ١٢١٤ ، وقال أبو الفرج في الأغاني ٢ / ٣٥٧ : يقال : إنه لعدي بن زيد .

(٣) الخاتلة : مشى الصياد قليلا قليلا في خفية فلا يسمع الصيد حسه . اللسان (خ ت ل) والبيت فيه .

(٤) في النسخ : « أحنو » . والمثبت من معاني القرآن للفراء ١ / ٢٣٠ ، فهذه مقاله ، وفي مصادر التخرىج الأخرى : « يدنو » .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٦ - ٦) سقط من النسخ ، والمثبت من معاني القرآن .

(٧) الصلة هنا : الجار والمجرور .

(٨) في م : « وصلة » .

(٩) بعده في م : « في » .

(١٠) بعده في الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « كان » .

خارج من أول الكلام . قال : وليس ذلك بأشد من قوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلْمًا ﴾ [مریم : ٦٢] .

وقال آخرون من نحوئى الكوفة : هو استثناء متصل . والمعنى : ضربت عليهم الذلة أينما تُقفوا . أى : بكل مكان ، إلا بموضع جبل من الله . كما تقول : ضربت عليهم الذلة فى الأمكنة إلا فى هذا المكان .

وهذا أيضًا طلب الجزء^(١) ، فأخطأ المفصل ، وذلك أنه زعم أنه استثناء مُتَّصِلٌ ، ولو كان متصلًا كما زعم ، لوجب أن يكون القوم إذا تُقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم الذلة^(٢) . وليس ذلك صفة اليهود ؛ لأنهم أينما تُقفوا بحبل من الله وحبل من الناس ، أو بغير حبل من الله وغير حبل من الناس ، فالذلة مضروبة عليهم ، على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل^(٣) . فلو كان قوله : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ ﴾ . استثناء متصلًا ، لوجب أن يكون القوم إذا تُقفوا بعهد وذمة ، ألا تكون الذلة مضروبة عليهم ، وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم ، وخلاف ما هم به من الصفة ، فقد تبين أيضًا بذلك فساد قول هذا القائل أيضًا .

ولكن القول عندنا أن الباء فى قوله : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . أُذخِلت لأن الكلام الذى قبل الاستثناء مُقتضٍ فى المعنى الباء . وذلك أن^(٤) معنى قوله : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا ﴾ : ضربت عليهم الذلة بكل مكان تُقفوا . ثم قال : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ ﴾ . على غير وجه الاتصال بالأول ، ولكنه على

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « الحق » . وهو من قولهم : إنك لتكثر الجزء وتخطئ المفصل . مثل يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد . ينظر نهاية الأرب ١١ / ٣ ، ومجمع الأمثال ٩٦ / ١ .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « المسكنة » .

(٣) فى ص ، ت ، ١ : « قيل » .

(٤) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « هو » .

الانقطاع عنه ، ومعناه : ولكن قد ^(١) يُثَقَّفُونَ بحبيلٍ من اللّهِ وحبيلٍ من الناس ، كما قيل : ﴿ وَمَا كَانِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ [النساء : ٩٢] . فالخطأ وإن كان منصوبًا بما عمل فيما قبل الاستثناء ، فليس قوله باستثناء متصل بالأول بمعنى : إلا خطأ فإن له قتله كذلك . ولكن معناه : ولكن قد يقتله خطأ . فكذلك قوله : ﴿ أَيْنَ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ ﴾ . وإن كان الذي جلب الباء التي بعد ﴿ إِلَّا ﴾ الفعل الذي يقتضيها قبل ﴿ إِلَّا ﴾ ، فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذي قبله ، بمعنى أن القوم إذا لقوا فالذلة زائلة عنهم ، بل الذلة ثابتة لهم ^(١) بكل حال ، ولكن معناه ما بيّنا آنفًا .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَبَاءُ وَعَضِبِ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا ﴾ [٣/١١] يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَبَاءُ وَعَضِبِ مِنَ اللَّهِ ﴾ : وتحمّلوا غضب اللّهِ فانصرفوا به مستحقّيه . وقد بيّنا أصل ذلك بشواهده ، ومعنى المسكنة ، وأنها ذلّ الفاقة والفقر وخشوعهما ، ومعنى الغضب من اللّهِ ، فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ^(٢) .

وقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ . يعنى جلّ ثناؤه بقوله : ﴿ ذَلِكَ ﴾ أى : بؤءهم الذى باءوا به من غضب اللّهِ ، وضرب الذلة عليهم ، بدّل مما كانوا يكفرون بآيات اللّهِ . يقول : مما كانوا يجحدون أعلام اللّهِ وأدلته على صدق أنبيائه ، وما فرض عليهم من فرائضه ، ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٦/٢ ، ٢٧ .

حَقِّ ۞ . يقول : وبما كانوا يقتلون أنبياءهم ورُسلَ الله إليهم ، اعتداءً على الله ، وجراءةً عليه بالباطل ، وبغير حقٍّ استحقُّوا منهم القتل .

فتأويلُ الكلام : ألزِموا الذلَّةَ بأيِّ مكانٍ تُقَوُّوا ، إلا بذمةٍ من الله وذمةٍ من الناسِ ، وانصرفوا بغضبٍ من / الله مُتَحَمِّلِيهِ ^(١) ، وألزموا ذلَّ الفاقةِ وخشوعِ الفقيرِ ، بدلاً مما كانوا يَجْحَدُونَ بآياتِ الله وأدليتهِ وحججهِ ، ويقتلون أنبياءه بغيرِ حقٍّ ظلماً واعتداءً .

٥١/٤

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .

يعنى ^(٢) تعالى ذكره : فعلنا بهم ذلك بكفرهم وقتلهم الأنبياء ومعصيتهم ربهم واعتدائهم أمره .

وقد بيَّنا معنى « الاعتداء » في غيرِ موضعٍ فيما مضى من كتابنا بما ^(٣) فيه الكفايةُ عن إعادته ^(٤) .

فأعلم ربُّنا جلَّ ثناؤه عباده ما فعل بهؤلاء القومِ من أهلِ الكتابِ ؛ من إحلالِ الذلَّةِ والخزى بهم في عاجلِ الدنيا ، مع ما ذخر لهم في الآجلِ من العقوبةِ والنكالِ وأليمِ العذابِ ، إذ تعدَّوا حدوده واستحلُّوا محارمه ؛ تذكيراً منه تعالى ذكره لهم ، وتنبهها على موضعِ البلاءِ الذي من قبله أتوا ، ليُنبيوا ويذكروا ، وعِظَةً منه لأمتنا ألا يستنثوا بسنتهم ويؤكِّبوا منهاجهم ^(٥) ، فيسلكَ بهم مسالكهم ، ويُحِلَّ بهم من نقمِ الله ومثلاته ^(٦) ما أحلَّ بهم .

(١) في الأصل : « محتمليه » .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يقول » .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بما » .

(٤) ينظر ما تقدم في ٣٢/٢ .

(٥) في ص : « منهاجهم » ، وفي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « منهاجهم » .

(٦) في س : « بلائته » .

فَقَوْلُهُ ^(١) : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . مرفوعة بقوله : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ .

وقد توهم جماعة من نحويي الكوفة والبصرة والمتقدمين منهم في صناعتهم ^(٢) ، أن ما بعد ﴿ سَوَاءٌ ﴾ في هذا الموضع من قوله : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . ترجمة عن ﴿ سَوَاءٌ ﴾ وتفسير عنه ، بمعنى : لا يستوى من أهل الكتاب أمة قائمة يثلون آيات الله آناء الليل ، وأخرى كافرة . وزعموا أن ذكر الفرقة الأخرى ترك اكتفاءً بذكر إحدى الفرقتين ، وهي الأمة القائمة ، ومثله بقول أبي ذؤيب ^(٣) :

٥٢/٤ /عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لِأَمْرِهَا سَمِيعٌ فَمَا أَدْرَى أُرْشِدُ طِلَابُهَا
ولم يُقَلْ : أم غير رشدي . اكتفاءً بقوله : أُرْشِدُ . من ذكرٍ : أم غير رشدي . وبقول
الآخر ^(٤) :

أَرَاكَ ^(٥) فَلَأَدْرَى أَهَمَّ هَمَمْتُهُ وَذُو الْهَمِّ قَدَمًا خَاشِعٌ مُتَضَائِلٌ
وهو مع ذلك خطأ عندهم قول القائل المرید أن يَقُولَ : سَوَاءٌ أَقَمْتَ أم قَعَدْتَ :
سَوَاءٌ أَقَمْتَ . حَتَّى يَقُولَ : أم قَعَدْتَ . وَإِنَّمَا يُجِيزُونَ حَذْفَ الثَّانِي فِيمَا كَانَ مِنَ
الْكَلَامِ مَكْتَفِيًا بِوَاحِدٍ ، دُونَ مَا كَانَ نَاقِصًا عَنِ ذَلِكَ ، وَذَلِكَ نَحْوُ : مَا أَبَالِي . أَوْ : مَا
أَدْرَى . فَأَجَازُوا فِي ذَلِكَ : مَا أَبَالِي أَقَمْتَ . وَهَمَّ يَرِيدُونَ : مَا أَبَالِي أَقَمْتَ أم قَعَدْتَ .
لَا كِتْفَاءً : مَا أَبَالِي . بِوَاحِدٍ ، وَكَذَلِكَ فِي ^(٦) : مَا ^(٧) أَدْرَى . وَأَبَوَا الْإِجَازَةَ فِي

(١) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قوله » .

(٢) ينظر معاني القرآن للفرء ١ / ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٣) تقدم تخريج البيت في ١ / ٣٤٤ .

(٤) معاني القرآن للفرء ١ / ٢٣١ .

(٥) في م : « أزال » .

(٦) بعده في ت ٢ : « ما أبالي أو » .

(٧) بعده في الأصل : « لا » .

« سواء » ، من أجل نقصانه ، وأنه غير مكتفٍ بواحدٍ . فأغفلوا في توجيههم قوله : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . على ما حكينا عنهم إلى ما وجهوه [١١/٤٤] إليه - مذاهبتهم في العربية ، إذ أجازوا فيه من الحذف ما هو غير جائز عندهم في الكلام مع « سواء » . وأخطئوا تأويل الآية ، ف﴿ سَوَاءٌ ﴾ في هذا الموضع بمعنى التمام والاكتماء ، لا بالمعنى الذي تأوله من حكينا قوله .

وقد ذكر أن قوله : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . الآيات الثلاث نزلت في جماعة من اليهود أسلموا فحسُن إسلامهم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سَعِيَّة^(١) ، وأسيد بن سَعِيَّة ، وأسد بن عبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فآمنوا وصدقوا ، ورغبوا في الإسلام ، وتنحوا^(٢) فيه ، قالت أخبار يهود وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا أتبعه إلا أشرارنا ، ولو كانوا من خيارنا ما تَرَكوْا / دين آبائهم وذهبوا إلى غيره . فأنزل الله ٥٣/٤ تبارك وتعالى في ذلك من قولهم : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَوْلِيكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٣) .

(١) في ص ، ت ٢ ، س : « سعيد » .

(٢) في الأصل : « تنحوا » ، وبدون نقط في ص ، وفي ت ١ ، ت ٣ : « نجاوا » ، وفي ت ٢ : « محرا » ، وفي م ، وتفسير ابن أبي حاتم : « منحوا » ، وفي سيرة ابن هشام : « رسخوا » . وتنحوا فيه : توجهوا له ، وصاروا في ناحيته ، وقصدوه . ينظر النهاية ٣٠/٥ ، والتاج (ن ح و) .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٥٧/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٧/٣ (٤٠٠٣) من طريق سلمة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى ابن المنذر .

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيْبٍ ، قَالَ : ثنا يونسُ بنُ (١) بكيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال :
 ثنى محمدُ بنُ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : ثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ ،
 عن ابنِ عباسٍ بنحوه . (٢)

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ الآية . يَقُولُ : ليس كلُّ القومِ هلكَ ، قد كان لله فيهم
 بقيةٌ . (٣)

حَدَّثَنَا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، قال : قال ابنُ جريجٍ :
 ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ : عبدُ اللهُ بنُ سلامٍ ، وثعلبةُ بنُ سلامٍ أخوه ، وسعيةُ ومُبَشَّرٌ ، وأسيدٌ
 وأسَدُ ابنا كعبٍ . (٤)

وقال آخرون : معنى ذلك : ليس أهلُ الكتابِ وأُمَّةُ محمدٍ القائمةُ بحقِّ اللهِ
 سواءً عندَ اللهِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي
 نجيحٍ ، عن الحسنِ بنِ يزيدٍ (٥) العجلِيِّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ أنه كان يَقُولُ في
 قوله : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . قال : لا يَسْتَوِي أَهْلُ الْكِتَابِ

(١) في النسخ : « عن » .

(٢) أخرجه الطبراني (١٣٨٨) من طريق أبي كريب به ، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٥٣٣/٢ - ومن طريقه

ابن عساكر في تاريخه ١١٥/٢٩ - من طريق يونس به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى المصنف .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أبي يزيد » ، وفي س : « أبي زيد » . وينظر التاريخ الكبير ٣٠٨/٢ ،

والجرح ٤٢/٣ .

وأمة محمد ﷺ^(١) .

حدَّثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ الآية . يقول : ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الأمة التي هي قائمة^(٢) .

وقد بينا أن أولى [٥/١١] القولين بالصواب في ذلك قول من قال : قد تمت القصة عند قوله : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ . عن إخبار الله بأمر مؤمنى أهل الكتاب وأهل الكفر منهم ، وأن قوله : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . خير مبتدأ عن مدح مؤمنيهم ، ووصفهم بصفتهم ، على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج . ويعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ : جماعة ثابتة على الحق . وقد دللنا على معنى « الأمة » فيما مضى ، بما أغتنى عن إعادته^(٣) .

وأما « القائمة » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ؛ فقال بعضهم : معناها العادلة .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن منجهد : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . قال : عادلة^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٧/٣ (٤٠٠٠) من طريق ابن أبي نجيح به ، وستأتي بقيته في ص ٦٩٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٧/٣ (٤٠٠١) من طريق أحمد بن المفضل به ، وفيه : قانته لله .

(٣) ينظر ما تقدم في ١/٢٢٤ .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٥٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨٦/٢ (١٢٢٣) تحقيق حكمت

بشير) ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى عبد بن حميد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنها قائمة على كتاب الله وما أمر به فيه .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . يَقُولُ : قَائِمَةٌ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَفَرَائِضِهِ وَحُدُودِهِ .

حَدَّثَنَا عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ يَقُولُ : قَائِمَةٌ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ ^(١) .

/حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ مَنِ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . يَقُولُ : أُمَّةٌ مَهْتَدِيَةٌ ، قَائِمَةٌ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، لَمْ تَنْزِعْ عَنْهُ وَتَتْرُكْهُ ، كَمَا تَرُكُهُ الْآخَرُونَ وَضَيَعُوهُ ^(٢) .

٥٤/٤

وقال آخرون : بل معنى ﴿ قَائِمَةٌ ﴾ : مُطِيعَةٌ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السُّدِّيِّ : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ الآية . يَقُولُ : لَيْسَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ كَمَثَلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ قَائِمَةٌ ^(٣) لِلَّهِ ، وَالْقَائِمَةُ ^(٤) الْمُطِيعَةُ ^(٥) .

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس وقتادة ومن قال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٨/٣ (٤٠٠٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٨/٣ (٤٠٠٤ ، ٤٠٠٥) عن محمد بن سعد به .

(٣) في م ، وتفسير ابن أبي حاتم : « قانئة » .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « القانئة » .

(٥) تقدم في الصفحة السابقة ، إلى قوله : قائمة .

بقولهما ، على ما روينا عنهم ، وإن كان سائر الأقوال الأخر متقاربة المعنى من معنى ما قاله ابن عباس وقتادة في ذلك ، وذلك أن معنى قوله : ﴿ قَائِمَةٌ ﴾ : مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفرائضه وشرائع دينه ، بالعدل والطاعة ، وغير ذلك من أسباب الخير من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . ونظير ذلك الخبر الذي رواه النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم ركبوا سفينة » ^(١) . [١١ / ٥٥] ثم ضرب لهم مثلاً ، فالقائم على حدود الله هو الثابت على التمسك بما أمره الله به واجتناب ما نهاه الله عنه . فتأويل الكلام : من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله متمسكة به ، ثابتة على العمل بما فيه وبما ^(٢) سن لهم ^(٣) رسوله ﷺ .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ ^(٤) .

يعنى بقوله : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ : يقرءون كتاب الله آناء الليل . ويعنى بقوله : ﴿ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ : ما أنزل الله في كتابه من العبر والمواعظ . يقول : يتلون ذلك آناء الليل ^(٤) فيتدبرونه ويتفكرون فيه .

وأما ﴿ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ : فساعات الليل ، واحداً إنى ، كما قال الشاعر ^(٥) :

حُلُوٌّ وَمُرٌّ كَعَطْفِ الْقِدْحِ مِرَّتُهُ فى كُلِّ إِنْيِ حَذَاهُ ^(٦) اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ ^(٧)

(١) أخرجه الحميدى (٩١٩) ، وأحمد ٣١/٣٠ (١٨٣٦١) ، والبخارى (٢٤٩٣ ، ٢٦٨٦) ، والترمذى (٢١٧٣) .

(٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، وفى م : « ما » .

(٣) فى النسخ « له » . والمثبت ما يقتضيه السياق .

(٤) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يقول فى ساعات الليل » .

(٥) هو المتنخل الهدلى ، والبيت فى ديوان الهدليين ٢ / ٣٥ .

(٦) فى الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « من » .

(٧) فى م : « قضاة » .

(٨) كعطف القدح : يريد : طوى كما يطوى القدح . ومرثته : قتلته . ينتعل : يسرى فى كل ساحة من الليل =

وقد قيل إن واحد الآناء: إني مقصورٌ، كما واحد الأمعاء معي .
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : تأويله : ساعات الليل .
كما قلنا .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

٥٥/٤

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ
ءَانَاءَ اللَّيْلِ ﴾ : أي ساعات الليل^(١) .

حدَّثت عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : آناء
الليل ساعات الليل^(٢) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ :
قال عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ : سمعنا العرب تقولُ : آناء الليل ساعات الليل .
وقال آخرون : آناء الليل جوف الليل .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن
السدِّي : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ ﴾ : أمّا ﴿ ءَانَاءَ اللَّيْلِ ﴾ : فجوف الليل^(٣) .
وقال آخرون : بل عُنى بذلك قومٌ كانوا يُصلُّون العشاء الآخرة^(٤) .

= من هدايته . ينظر شرح أشعار الهذليين ٣/١٢٨٣ .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٣٩ عقب الأثر (٤٠١٣) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٣٩ عقب الأثر (٤٠١٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٣٨ عقب الأثر (٤٠١٠) من طريق عمرو ، عن أسباط به .

(٤) في م : « الأخيرة » .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ^(١) الْعَجَلِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ ﴾ : صَلَاةُ الْعَتَمَةِ هُمْ يُصَلُّونَهَا ، وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَا يُصَلِّيَهَا^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : ثنى يحيى بنُ أيوبَ ، عن عبيد الله بن زحري ، عن سليمان ، عن زرِّ بن حُبَيْشٍ ، [٦/١١] عن عبد الله بن مسعود ، قال : احتبس علينا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ ليلةٍ ، كان عندَ بعضِ أهله أو نسائه ، فلم يأتنا لصلاةِ العشاءِ حتى ذهبَ ليلٌ ، فجاءَ مِنَّا المصلِّي ومِنَّا المضطجعُ ، فبشَّرنا وقال : « إنه لا يُصَلِّي هذه الصلاةَ أحدٌ من أهلِ الكتابِ » . فأَنزَلَ اللهُ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾^(٣) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : ثنا عَلِيُّ بْنُ مَعْبُدٍ ، عَنْ أَبِي يَحْيَى^(٤) الْخِرَاسَانِيُّ ، عَنْ نَصْرِ بْنِ طَرِيفٍ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ الْعِشَاءَ - يُرِيدُ الْعَتَمَةَ - فَقَالَ لَنَا : « مَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ يَنْتَظِرُ هَذِهِ الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْوَقْتِ غَيْرُكُمْ » . قَالَ :

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أبي يزيد » .

(٢) أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ٣٠٨/٢ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٩/٣ (٤٠١٤) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٥/٢ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر . وتقدم أوله فى ص ٦٩٢ ، ٦٩٣ .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « و » .

(٤) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ٨٨ من طريق يونس به ، وأخرجه الطبرانى فى الكبير (١٠٢٠٩) ، وأبو نعيم فى الحلية ١٨٧/٤ من طريق يحيى بن أيوب به .

(٥ - ٥) فى س : « ابن أبى نجيح » .

فَنَزَلَتْ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ الْيَلِّ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾^(١) .

وقال آخرون : بل غنى بذلك قوم كانوا يُصَلُّون فيما بين المغرب والعشاء .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا الثَّورِيُّ ، عن منصورٍ ، قال : / بَلَّغْنِي أَنهَا نَزَلَتْ - : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ الْيَلِّ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ - فيما بينَ المغربِ والعشاءِ^(٢) .

٥٦/٤

وهذه الأقوال التي ذكرتها على اختلافها متقاربة المعاني ، وذلك أن الله تعالى ذكره وصف هؤلاء القوم بأنهم يتلون آيات الله في ساعات الليل ، وهي آناؤه ، وقد يكون تاليها في صلاة العشاء تاليًا لها آناء الليل ، وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ، ومن تلاها جوف الليل ، فكلُّ تالي لها^(٣) ساعات الليل . غير أن أولى الأقوال بتأويل الآية قول من قال : غنى بذلك تلاوته^(٤) القرآن في صلاة العشاء ؛ لأنها صلاة لا يُصَلِّيها أحدٌ من أهل الكتاب ، فوصف الله جل ثناؤه أمة محمد ﷺ بأنهم يُصَلُّونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله .

وأما قوله : ﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ . فإن بعض أهل العربية^(٥) زعم أن معنى

(١) أخرجه أحمد ٣٠٤/٦ (٣٧٦٠) ، والنسائي في الكبرى (١١٠٧٣) ، والبخاري (٣٧٥) ، وأبو يعلى (٥٣٠٦) ، وابن أبي حاتم ٧٣٨/٣ (٤٠٠٨) ، (٤٠٠٩) ، وابن حبان (١٥٣٠) ، والواحدى في أسباب النزول ص ٨٧ ، ٨٨ من طريق عاصم به . وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٦٥/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٣١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٣٩/٣ (٤٠١٢) من طريق الثورى به ، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٦٥/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « له » .

(٤) فى م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « تلاوة » .

(٥) هو الفراء فى معانى القرآن ١/٢٣١ .

السجود في هذا الموضع اسمٌ للصلاة لا للسجود ؛ لأن التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع ، فكأن معنى الكلام كان^(١) عنده : يتلون آيات الله آناء الليل وهم يُصلُّون .

وليس المعنى على ما ذهب إليه ، وإنما معنى الكلام : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم ، وهم مع ذلك يشجُدون فيها . فالسجود هو السجود المعروف في الصلاة .

القول في تأويل قوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ [٦/١١] ﴾ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ .

يعنى بقوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ : يُصَدِّقُونَ بِاللَّهِ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ مُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَلَيْسُوا كَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَجْحَدُونَ وَحِدَانِيَةَ اللَّهِ ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ ، وَيُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ ، وَيُنْكِرُونَ الْمَجَازَةَ عَلَى الْأَعْمَالِ ، وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ .

وقوله : ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ . يقول : وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَصَدِيقِ مُحَمَّدٍ^(٢) وَمَا^(٣) جَاءَهُمْ بِهِ . ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . يَقُولُ : وَيَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْكَفْرِ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَهُوَ تَصَدِيقُ مُحَمَّدٍ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، ﴿ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ . يَقُولُ : وَيَسْتَدِرُّونَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ؛ خَشْيَةً أَنْ يُفَوَّتَهُمْ ذَلِكَ قَبْلَ مَعَاجِلَتِهِمْ مَنَائِمَهُمْ .

(١) سقط من : م ، ت ، ٢ ، ٣ .

(٢ - ٢) في الأصل : « بما » .

ثم أخبر جل ثناؤه أنّ هؤلاء الذين هذه صفتهم من أهل الكتاب ، هم من عداد الصالحين ؛ لأن من كان منهم فاسقاً قد باء بغضبٍ من الله ؛ لكفره بالله وآياته ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وعصيانه ربّه ، واعتدائه في حدوده .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ .

اختلّفت القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة قراءة الكوفة : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ . بالياء^(١) جميعاً ، ردّاً على صفة القوم الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم يأْمرون بالمعروف ويَنْهون عن المنكر .

٥٧/٤

وقرأته عامة قراءة المدينة والحجاز وبعض قراءة الكوفة ، بالتاء في الحرفين جميعاً : (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ)^(٢) . بمعنى : وما تَفْعَلُوا أنتم أيها المؤمنون من خير فلن يُكْفَرَ كُفُوهُم رُبُّكُمْ .

وكان بعض قراءة أهل البصرة يَرى القراءتين في ذلك جائزاً بالياء والتاء في الحرفين . والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ . بالياء في الحرفين كليهما ، يعنى بذلك الخبر عن الأمة القائمة ، التالية آيات الله . وإنما اخترنا ذلك لأن ما قبل هذه الآية من الآيات خبر عنهم ، فالحاق هذه الآية - إذ كان لا دلالة فيها تدلُّ على الانصراف عن صفتهم - بمعاني الآيات

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص .

ينظر حجة القراءات ص ١٧٠ .

(٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو البصري وعاصم في رواية أبي بكر عنه . ينظر السبعة لابن

قَبْلَهَا أُولَى مِنْ صَرَفِهَا عَنْ مَعَانِي مَا قَبْلَهَا .

وبالذی اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ .

[٧/١١١] حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ التَّغْلِبِيُّ ، قَالَ ثنا القاسمُ بْنُ سَلَامٍ ، قَالَ : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : بلغني عن ابن عباس أنه كان يقرؤهما جميعاً بالياء^(١) .

فتأويل الآية إذن على ما اخترنا من القراءة : وما تفعل هذه الأمة من خير ، وتعمل من عمل لله فيه رضا ، فلن يكفروهم الله ذلك . يعنى بذلك : فلن يُبطلَ اللهُ ثواب عملهم ذلك ، ولا يدعهم بغير جزاء منه لهم عليه ، ولكنه يُجزل لهم الثواب عليه ، ويُسنى^(٢) لهم الكرامة والجزاء .

وقد دللنا على معنى « الكفر » فيما مضى قبل بشواهد ، وأن أصله تغطية الشيء^(٣) . فكذلك ذلك في قوله : ﴿ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ : فلن يُعطَى على ما فعلوا من خير ، فيتركوا بغير مجازاة ، ولكنهم يشكرون على ما فعلوا من ذلك ، فيجزل لهم الثواب منه .

وبنحو ما قلنا^(٤) من التأويل تأول من تأول ذلك من أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : (وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ) . يقول : لن يُضَلَّ عنكم^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى المصنف .

(٢) يعنى : يزيد .

(٣) ينظر ما تقدم في ٢٦٢/١ .

(٤) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « في ذلك » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر ٦٥/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثله ^(١) .

وأما قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ . فإنه يقولُ تعالى ذكره : وَاللَّهُ ذُو عِلْمٍ بِنِيتِهِمْ عَلَيْهِمْ ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ ، وَحَافِظِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ حَتَّى يُثَبِّتَهُمْ عَلَيْهَا ، وَيَجَازِيَهُمْ بِهَا ؛ تَبَشِيرًا مِنْهُ لَهُمْ جَلٌّ ذِكْرُهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا ، وَحُضًّا لَهُمْ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنْ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي ارْتَضَاهَا لَهُمْ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

/وهذا وعيدٌ من الله جل ثناؤه للأمة الأخرى الفاسقة من أهل الكتاب ، الذين أخبر عنهم بأنهم فاسقون ، وأنهم قد باءوا بغضبٍ منه ، ولمن كان من نُظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله ، وما جاء به محمدٌ ﷺ من عند الله . يقولُ تعالى ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . يعنى : الذين جحدوا بُوءة محمدٍ ﷺ ، وكذبوا به ، وبما جاءهم به من عند الله ، ﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ ، يعنى : لن تدفع أمواله التى جمعتها فى الدنيا ، وأولاده الذين ربَّاهم فيها ، شيئًا من عقوبة الله يوم القيامة ، إن أخرها لهم إلى يوم القيامة ، ولا فى الدنيا إن عجلها لهم فيها .

وإنما خصَّ أمواله وأولاده ؛ [٧/١١٦] لأن أولاد الرجل أقربُ أنسبائه إليه ، وهو على ماله أقدر ^(٢) منه على مال غيره ، وأمره فيه أجوزُ من أمره فى مال غيره ، فإذا لم يُغن عنده ولده لصلبه ، وماله الذى هو نافذُ الأمر فيه ، فغير ذلك من أقربائه وسائر

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٤٠/٣ (٤٠٢٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أقرب » .

أَنْسِبَائِهِ وَأَمْوَالِهِمْ ، أَبْعُدْ مِنْ أَنْ تُعْنَى عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْعًا .

ثم أخبر جلّ ذكره أنهم هم أهل النار الذين هم أهلها بقوله : ﴿ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ . وإنما جعلهم أصحابها ؛ لأنهم أهلها الذين لا يخرجون منها ولا يفارقونها ، كصاحب الرجل الذي لا يفارقه ، وقرينه الذي لا يُزايِلُه ، ثم وكّد ذلك بإخباره عنهم أنهم فيها خالدون : إِنَّ^(١) صُحْبَتَهُمْ إِيَّاهَا صَحْبَةٌ لَا انْقِطَاعَ لَهَا ، إِذْ كَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا يُفَارِقُ صَاحِبَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ ، وَيُزَايِلُهُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ صَحْبَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ النَّارَ الَّتِي أُضْلُواهَا ، وَلَكِنَّهَا صَحْبَةٌ دَائِمَةٌ لَا نِهَايَةَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهَا ، وَمِمَّا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ .

القول في تأويل قوله : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : سَبَهُ مَا يُنْفِقُ الَّذِينَ كَفَرُوا - أَيْ : سَبَهُ مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ الْكَافِرُ مِنْ مَالِهِ ، فَيُعْطِيهِ مَنْ يُعْطِيهِ عَلَى وَجْهِ الْقُرْبَى إِلَى رَبِّهِ ، وَهُوَ لَوْحْدَانِيَّةِ اللَّهِ جَاحِدٌ ، وَلِحَمْدِ نَبِيِّهِ ﷺ مُكْذِبٌ ، فِي أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ نَافِعِهِ مَعَ كُفْرِهِ ، وَأَنَّهُ مُضْمَحِلٌّ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ ، ذَاهِبٌ بَعْدَ الَّذِي كَانَ يَرْجُو مِنْ عَائِدَةٍ نَفَعِهِ عَلَيْهِ - كَسَبِهِ ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ يعنى : فِيهَا^٢ بَرْدٌ شَدِيدٌ ، ﴿ أَصَابَتْ ﴾ هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا الْبَرْدُ الشَّدِيدُ : ﴿ حَرْثَ قَوْمٍ ﴾ . يعنى : زَرْعَ قَوْمٍ ، قَدْ أَمَلُوا إِدْرَاكَهُ ، وَرَجَّوْا رَيْعَهُ ، وَعَائِدَةَ نَفَعِهِ ، ﴿ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . يعنى : أَصْحَابَ الزَّرْعِ ، عَصَبُوا اللَّهَ وَتَعَدَّوْا حُدُودَهُ ؛ ﴿ فَأَهْلَكَتْ ﴾ ، يَقُولُ : فَأَهْلَكَتِ الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا الصِّرُّ زَرْعَهُمْ ذَلِكَ ، بَعْدَ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمَلِ ، وَرَجَاءِ عَائِدَةِ نَفَعِهِ عَلَيْهِمْ .

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢ - ٢) سقط من : م .

يقولُ تعالى ذكره : فكذلك فَعَلُ اللّهِ بنفقةِ الكافرِ وصدقتهِ في حياته حينَ يَلْقَاهُ ، يُنْطَلُ ثَوَابُهَا ، وَيُخَيَّبُ رَجَاءَهُ مِنْهَا .

وَخَرَجَ الْمَثَلُ لِلنَّفَقَةِ ، وَالْمَرَادُ بِالْمَثَلِ صَنِيعُ اللّهِ بِالنَّفَقَةِ ، يُبَيِّنُ ذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . فهو كما قد بَيَّنَّا في مثله من قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ﴾ [البقرة : ١٧] . وما أشبه ذلك .

فتأويلُ الكلامِ : مَثَلُ إِبْطَالِ اللّهِ أَجَرَ مَا يُنْفِقُونَ في هذه الحياةِ الدنيا ، كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ . وإنما جاز/ تَزَكُّ ذِكْرُ إِبْطَالِ اللّهِ أَجَرَ ذَلِكَ لدلالةِ آخِرِ الكلامِ عليه ، وهو قَوْلُهُ : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . ولمعرفةِ السامعِ [٨/١١] ذلكَ معناه .

واختلف أهلُ التأويلِ في معنى « النفقة » التي ذكرها في هذه الآية ؛ فقال بعضهم : هي النَّفَقَةُ المعروفةُ في الناسِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ ، في قولِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . قال : نَفَقَةُ الكافرِ في الدنيا^(١) .

وقال آخرون : بل^(٢) الذي يقولُه بلسانِه مما لا يُصَدِّقُه قلبُه^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٤١ (٤٠٢٤) من طريق ابن أبي نجيح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٦٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « ذلك قوله » .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٢ ، س : « بقلبه » .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المُفضَّل ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدِّي : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ ﴾ . يقول : مَثَلُ مَا يُنْفِقُ ^(١) فلا يُقْبَلُ منه كمثلِ هذا الزرع إذا زَرَعَهُ القَوْمُ الظالمون ، فأصابته ريحٌ فيها صِرٌّ ، أصابته فأهلكته . فكذلك أنفقوا ، فأهلكهم شِرُّكهم ^(٢) .

وقد بيَّنا أولى ذلك بالصوابِ قبلُ .

وقد تقدَّم بيَّاننا تأويلَ : ﴿ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . بما فيه الكفاية من إعادته في هذا الموضع ^(٣) .

وأما الصِّرُّ فإنه شدة البرد ، وذلك بعُصوفٍ من الشمالِ في إحصارِ الطَّلِّ والأنداءِ ، في صبيحةٍ مُغمِمةٍ ^(٤) بعقبِ ليلةٍ مُضحِيةٍ .

كما حدَّثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان بن غياث ، قال : سمعتُ عكرمة يقولُ : ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قال : برِّدٌ شديدٌ ^(٥) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال لي ابنُ جريج : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قال : برِّدٌ شديدٌ وزمهريرٌ .

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يقول » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ (٤٠٢٨) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) ينظر ما تقدم في ٢١٦/٢ ، ٦٠٥/٣ .

(٤) في م : « معتمة » . ومعنى الكلام في صبيحة لا يرى فيها شمس من شدة الدُّجْن ، تعقب ليلة انقشع عنها الغيم . اللسان (غ ي م ، ص ح و) .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) معلقاً . (تفسير الطبري ٤٥/٥)

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . يقولُ : بَرْدٌ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن سفيانَ ، عن هارونَ بنِ عنترةَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : الصَّرُّ البَرْدُ^(١) .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . أي بَرْدٌ شديدٌ^(٢) .

حَدَّثْتُ عن عَمَّارٍ ، قَالَ : حدثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثله^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أحمدُ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن الشَّدْيِ : « الصَّرُّ » : البردُ^(٤) .

٦٠/٤ / حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عمي ، قَالَ : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . يقولُ : رِيحٌ فيها بَرْدٌ .

حَدَّثَنِي يونسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قَالَ : صِرٌّ بَارِدَةٌ أَهْلَكَتْ حَرَّهْمَ . قَالَ : وَالْعَرَبُ تَدْعُوهَا الصَّرِيْبَ . تَأْتِي الرِّيحُ بَارِدَةً ، فَتُصْبِحُ صَرِيْبًا قَدْ احْتَرَقَ الزَّرْعُ . تَقُولُ : صُرِبَ اللَّيْلَةَ . أَصَابَهُ صَرِيْبٌ ، تَلَّتْ الصَّرُّ الَّتِي أَصَابَتْهُ .

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٢٢ - تفسير) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ (٤٠٢٥) من طريق عنترة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « الشديد » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا جُؤيَيْرٌ ، عن الضَّحَّاكِ : ﴿ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قَالَ : رِيحٌ فِيهَا بَرْدٌ^(١) .

[١٨/٨] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾^(١١٧) .

يعنى بذلك جلّ ثناءؤه : وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم ، من إحباطه ثواب أعمالهم وإبطاله أجورها ؛ ظلماً منه لهم ، يعنى : وُضِعَ منه لما فعل بهم من ذلك فى غير موضعه ، وعند غير أهله ، بل وُضِعَ فعله ذلك فى موضعه ، وفعل بهم ما هم أهله ؛ لأن عملهم الذى عملوه لم يكن لله وهم له بالوحدانية دائنون ، ولأمره متبوعون ، ولرسليه مُصدّقون ، بل كان ذلك منهم وهم به مشركون ، ولأمره مخالفون ، ولرسليه مُكذّبون ، بعد تقدّم منه إليهم أنه لا يقبل عملاً من عاملٍ ، إلا مع إخلاص التوحيد له ، والإقرار بنبوة أنبيائه ، وتصديق ما جاءهم به ، وتوكيده الحُجَجَ بذلك عليهم ، فلم يكن بفعله ما فعل بمن كفر به ، وخالف أمره فى ذلك ، بعد الإعذار إليه ، من إحباط أجر^(٢) عمله ، له ظالماً ، بل الكافر^(٣) هو الظالم نفسه ، لإكسابها من معصية الله ، وخلاف أمره ، ما أوردها به نار جهنم ، وأصلاها به سعير سقر .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِيطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ .

يعنى بذلك جل ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، وأقرّوا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم ، ﴿ لَا تَتَّخِذُوا بِيطَانَةً ﴾ . يقول : لا تتخذوا أولياء وأصدقاء

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) معلقاً .

(٢) فى ص : « وفر » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وافر » .

(٣) بعده فى الأصل : « و » .

لأنفسِكُمْ ﴿مَنْ دُونِكُمْ﴾ . يقول : من دون أهل دينكم ومِلَّتِكُمْ . يعنى : من غير المؤمنين . وإنما جعل البطانةً مثلاً لخليل الرجل ، فَشَبَّهَهُ بما ولى بطنه من ثيابه ؛ لجلوله ^(١) منه فى اطلاعِهِ على أسرارِهِ وما يَطُويه عن أبعادِهِ وكثير من أقاربه ، مَحِلٌّ ما ولى جَسَدَهُ من ثيابه .

فَنَهَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ به أن يتخذوا من الكفارِ به أَحِلَّاءَ وَأَصْفِيَاءَ ، ثم عَرَفَهُم ما هم عليه لهم مُنْطَوُونَ ، من الغِشِّ والخِيَانَةِ ، وَبُغَيْتِهِمْ ^(٢) إِيَّاهُمِ الْغَوَائِلَ ، مُحَذَّرَهُمْ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَمِنْ ^(٣) مُخَالَاتِهِمْ ، فقال تعالى ذكره : ﴿لَا يَأْتُونَكُمُ خَبَالًا﴾ . يعنى : لا يستطيعونكم شَرًّا . من : أَلَوْتُ أَلْوَأُوا . يقال : ما أَلَا فلانٌ كذا . أى : ما استطاع ، كما قال الشاعر ^(٤) :

٦١/٤ /جَهْرَاءُ لَا تَأَلُو إِذَا هِيَ أَظْهَرَتْ بَصْرًا وَلَا مِنْ عَيْلَةٍ تُغْنِينِي
[٩/١١] يعنى : لا تستطيع عند الظهر إِبْصَارًا .

وإنما يعنى جلّ ذكره بقوله : ﴿لَا يَأْتُونَكُمُ خَبَالًا﴾ . البِطَانَةُ التى نَهَى الْمُؤْمِنِينَ عن اتخاذِها من دونِهِمْ ، فقال : إن هذه البِطَانَةُ لا تُتْرَكُكُمْ طاقَتها خَبَالًا . أى : لا تَدْعُ جَهْدَها فيما أَوْرَثَكُمُ الخَبَالَ .

وَأَصْلُ الخَبِيلِ والخَبَالِ الفسادُ ، ثم يُسْتَعْمَلُ فى معانٍ كثيرة ، يَدُلُّ على ذلك الخَبْرُ عن النَبِيِّ ﷺ : «مَنْ أُصِيبَ بِخَبِيلٍ أَوْ جِرَاحٍ» ^(٥) .

(١) فى الأصل : « لجلوله » .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بغيتهم » .

(٣) فى الأصل : « عن » .

(٤) هو أبو العيال الهذلى ، والبيت فى ديوان الهذليين ٢/٢٦٣ .

(٥) أخرجه أحمد ٢٦٦/٢٦٦ ، ٢٩٧ (١٦٣٧٥) ، والدارمى ١٨٨/٢ ، وأبو داود (٤٤٩٦) ، وابن ماجه

(٢٦٢٣) من حديث أبى شريح الخزاعى .

وأما قوله: ﴿وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ﴾ . فإنه يعنى : ودُّوا عنتكم . يقول : يَتَمَنُّونَ لكم العنتَ والشرَّ فى دينكم ، وما يسوءكم ولا يشترُّكم .

وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم ، ويضافونهم المؤدَّة ، بالأسباب التى كانت بينهم فى جاهليتهم قبل الإسلام ، فنهاهم الله عن ذلك ، وأن يشتنصحوهم فى شىء من أمورهم .

ذكرُ «الخبيرِ بذلك»^(١)

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاق ، قال : قال محمدُ ابنُ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبَّيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان رجالٌ من المسلمين يواصلون رجالاً من يهودَ ؛ لما كان بينهم من الجوارِ والحلفِ فى الجاهلية ، فأنزل اللهُ تبارك وتعالى فيهم ، ينهاهم عن مباطئتهم ؛ تحوُّفَ الفتنة عليهم منهم : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِيَدَانَهُمْ دُونَكُمْ﴾ . إلى قوله : ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾^(٢) .

حدثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيح ، عن مجاهدٍ فى قولِ الله تبارك وتعالى : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِيَدَانَهُمْ دُونَكُمْ لَا يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالًا﴾ : فى المنافقين من أهلِ المدينة ، نهى اللهُ جل ثناؤه المؤمنين أن يتولَّوهم^(٣) .

(١ - ١) فى ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « من قال ذلك » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٥٨/١ ، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٨٨ عن ابن عباس معلقاً ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٣/٣ (٤٠٣٧) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد قوله . وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٨ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٢/٣ (٤٠٣٤) ، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ : نَهَى اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَدْخِلُوا الْمَنَافِقِينَ أَوْ يُؤَاخِوهُمْ ، أَوْ ^(١) يَتَوَلَّوْهُم مِّن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ : هم المنافقون ^(٣) .

٦٢/٤ /حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه عن الربيعِ قوله : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ . يقولُ : لا تَسْتَدْخِلُوا الْمَنَافِقِينَ ، فَتَوَلَّوْهُم دُونَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٤) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَيَعْقُوبُ بْنُ إِبرَاهِيمَ ، قالا : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشِبٍ ، عن الأزهريِّ بنِ راشدٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَسْتَضِيْعُوا بَنَارَ أَهْلِ الشُّرْكِ ، وَلَا تَنْتَقِشُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ عَرِيئًا » . [٩/١١٧] قَالَ : فلم يَدْرُوا ما ذلكَ حتى أتوا الحسنَ فسألوه ، فقال : نعم ، أما قوله : « لَا تَنْتَقِشُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ عَرِيئًا » . فإنه يقولُ : لَا تَنْتَقِشُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ مُحَمَّدًا . وأما قوله : « وَلَا تَسْتَضِيْعُوا بَنَارَ أَهْلِ الشُّرْكِ » . فإنه يعني به المشركين ، يقولُ لَا تَسْتَشِيرُوهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِكُمْ . قَالَ : وَقَالَ الْحَسَنُ : وَتَصَدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ . ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ ^(٥) .

(١) في ص ، ت ٢ : « أن » ، وفي م ، ت ١ ، س : « أي » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٣/٣ (٤٠٣٥) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٢/٣ (٤٠٣٣) عن محمد بن سعد به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٣/٣ عقب الأثر (٤٠٣٥) من طريق ابن أبي جعفر به ،

(٥) أخرجه بتمامه أبو يعلى - كما في تفسير ابن كثير ٨٩/٢ ، ومسدد - كما في المطالب العالية

(٢٤٧٩) - والبيهقي ١٠/١٢٧ ، وفي الشعب (٩٣٧٥) من طريق هشيم به ، وأخرجه أحمد =

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا [٤٤٧/١] أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أسباط ، عن الشَّدِيِّ : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنَخِذُوا بِطَانَةٍ مِّن دُونِكُمْ ﴾ : أما البِطَانَةُ ، فهم المنافقون ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قوله : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنَخِذُوا بِطَانَةٍ مِّن دُونِكُمْ ﴾ الآية . قال : لا يَسْتَدخِلُ المؤمنُ المنافقَ دونَ أخيه .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قال ابنُ زَيْدٍ في قوله : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنَخِذُوا بِطَانَةٍ مِّن دُونِكُمْ ﴾ الآية . قال : هؤلاء المنافقون ، وقرأ قوله : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ ﴾ الآية .

واختلفوا في تأويلِ قوله : ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معناه : ودُّوا ما ضللتُم عن دينِكُم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثنا أسباط ، عن الشَّدِيِّ : ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ . يقولُ : ما ضللتُم ^(٢) .

وقال آخرون بما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ . يقولُ : في دينِكُم ، يعني أنهم يودُّون أن تَعْتَتُوا في دينِكُم .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ . فجاء بالخبرِ عن البِطَانَةِ

= ١٨/١٩ (١١٩٥٤) ، والنسائي (٥٢٢٤) وغيرهما من طريق هشيم به - بدون ذكر تفسير الحسن

- وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٣/٣ عقب الأثر (٤٠٣٥) من طريق عمرو بن حماد ، أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٣/٣ (٤٠٤٠) من طريق أسباط به .

بلفظ الماضي في محلّ الحالِ والقَطْعِ ، بعدَ تمامِ الخبرِ ، والحالاتُ لا تكونُ إلا بصُورِ الأسماءِ أو الأفعالِ المُستقبَلَةِ ، دونَ الماضيّةِ منها ؟

قيل : ليس الأمرُ في ذلك على ما ظننتَ من أن قوله : ﴿ وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ ﴾ حالٌ للبطانةِ ^(١) ، وإنما هو خبرٌ عنهم ثانياً ، منقطعٌ عن الأولِ ، غيرُ مُتَّصِلٍ به .

وإنما تأويلُ الكلامِ : يا أيُّها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانةً صفتهم كذا ، صفتهم كذا . فالخبرُ عن الصفةِ الثانيةِ غيرُ مُتَّصِلٍ بالصفةِ الأولى ، وإن كانتا جميعاً من صفةِ شخصٍ واحدٍ .

٦٣/٤ /وقد زعم بعضُ أهلِ العربيةِ أن قوله : ﴿ وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ ﴾ . من صلةِ البطانةِ ، ^(٢) وأن معنى ذلك : لاتتخذوا بطانةً ودُّوا - أى : أحبُّوا - ما عنيتهم .

وليس لهذا القولِ الذى قاله صاحبُ هذه المقالةِ وجهٌ معروفٌ ؛ وذلك أن البطانةَ ^(٣) قد وُصِلت بقوله : ﴿ لَا يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالًا ﴾ . فلا وجهٌ لصلةِ أخرى بعدَ تمامِ البطانةِ بصلتهِ ، ولكنّ القولَ فى ذلك كما بيّنا قبلُ من أن قوله : ﴿ وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ ﴾ . خبرٌ مبتدأٌ عن البطانةِ غيرِ الخبرِ الأولِ ، وغيرُ حالٍ من البطانةِ ولا قَطْعٍ منها .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : قد بدت بغضاء هؤلاء الذين نهيتكم أيها المؤمنون أن تتخذوهم [١١/١٠] بطانةً من دونكم ، لكم بأفواههم ، يعنى : بألسنتهم ، والذى بدا لهم منهم بألسنتهم ، إقامتهم على كفرهم ، وعداوتهم من خالف ما هم عليه مُقيّمون من الضلالةِ ، فذلك من أو كيدِ الأسبابِ فى مُعاداتهم أهلَ الإيمانِ ؛ لأن ذلك

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « من البطانة » .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، وفى م : « و » .

عداوة على الدين ، والعداوة على الدين العداوة التي لا زوال لها إلا بانتقال أحد المتعاديين إلى ملة الآخر منهما ، وذلك انتقال من هدى إلى ضلالة ، كانت عند المتقبل إليها ضلالة قبل ذلك ، فكان في إبدائهم ذلك للمؤمنين ومقامهم عليه ، أئبئ الدلالة لأهل الإيمان على ما هم عليه لهم ^(١) من البغضاء والعداوة .

وقد قال بعضهم : معنى قوله : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ : قد بدت بغضاؤهم لأهل الإيمان إلى أوليائهم من المنافقين وأهل الكفر ، بإطلاق بعضهم بعضا على ذلك .

وزعم قائلو هذه المقالة أن الذين عُتُوا بهذه الآية أهل النفاق ، دون من كان مُصْرِحًا بالكفر من اليهود وأهل الشرك .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ . يقول : قد بدت البغضاء من أفواه المنافقين إلى إخوانهم من الكفار ، من غشهم للإسلام وأهله ، وبغضهم إياهم ^(٢) .

حَدَّثَنَا عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ . يقول : من أفواه المنافقين ^(٣) .

وهذا القول الذي ذكرناه عن قتادة قول لا معنى له ، وذلك أن الله تعالى ذكره إنما نهى المؤمنين أن يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالغش للإسلام وأهله والبغضاء ؛ إما

(١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٤/٣ (٤٠٤٢) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٤/٣ عقب الأثر (٤٠٤٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

بأدلة ظاهرة دالة على أن ذلك من صفتهم ، وإما بإظهار الموصوفين بذلك العداوة والشئان وبالمناصبية لهم ، فأما من لم يُثبتوه^(١) معرفة أنه الذي نهاهم الله عز وجل عن مخالته ومباطنته ، فغير جائز أن يكونوا نُهوا عن مخالته ومصادقته ، إلا بعد تعريفهم إياهم ، إما بأعيانهم وأسمائهم ، وإما بصفات قد عرفوهم بها .

وإذ كان ذلك كذلك ، وكان إبداء المنافقين بألسنتهم ما فى قلوبهم من بغضاء المؤمنين إلى إخوانهم من الكفار ، غير مُدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم ، مع إظهارهم الإيمان بألسنتهم لهم ، والتؤدد إليهم ، كان بيّنا أن الذى نهى الله المؤمنين عن اتّخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم ، هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بألسنتهم ، على ما وصفهم الله تبارك وتعالى به ، فعرفهم المؤمنون بالصفة التى نعتهم الله بها ، وأنهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ، ممن كان له ذمّة وعهد من رسول الله ﷺ وأصحابه ، من أهل الكتاب ؛ لأنهم لو كانوا المنافقين ، لكان الأمر فيهم على ما قد بيّنا ، ولو كانوا الكفار [١٠/١١] من قد ناصب المؤمنين الحرب ، لم يكن المؤمنون متّخذينهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم ، وافتراق أمصارهم ، ولكنهم الذين كانوا يبينن أظهر دور^(٢) المؤمنين من أهل الكتاب ، أيام رسول الله ﷺ ، ممن كان له من رسول الله ﷺ عهد وعقد ، من يهود بنى إسرائيل .

٦٤/٤

والبغضاء مصدر ، وقد ذكر أنها فى قراءة ابن مسعود^(٣) : (قَدْ بَدَأَ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) . على وجه التذكير ، وإنما جاز ذلك بالتذكير ولَفْظُهُ لَفْظُ الْمَوْثِقِ ؛ لأن المصادر تأنيثها ليس بالتأنيث اللازم ، فيجوزُ تذكيرُ ما خرج منها على لفظ

(١) لم يثبتوه : لم يعرفوه حق المعرفة .

(٢) سقط من : م .

(٣) معانى القرآن للقرآء ١/ ٢٣١ ، البحر المحيط ٣/ ٣٨ .

المؤث وتأنيثه ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ [هود : ٦٧] . وكما قال : ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥٧] .
وفى موضع آخر : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ [هود : ٩٤] ، و ﴿ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٧٣ ، ٨٥] .

وقال : ﴿ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ وإنما بدا ما بدا من البغضاء منهم ^(١) بألسنتهم ؛ لأن المعنى به الكلام الذى ظهر للمؤمنين منهم من أفواههم ، فقال : قد بدت البغضاء بألسنتهم من أفواههم .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بذلك : والذى تخفى ﴿ صُدُورُهُمْ ﴾ . يعنى : صدور هؤلاء الذين نهاهم عن اتخاذهم بطانة ، فتحينه ^(١) عنكم أيها المؤمنون ، ﴿ أَكْبَرُ ﴾ . يقول : أكبر مما قد بدا لكم بألسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ . يقول : وما تخفى صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم ^(٢) .

حدثت عن عمّار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ . يقول : ما تكئن صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم ^(٣) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : قد بيئنا لكم أيها المؤمنون ﴿ الْآيَاتِ ﴾ . يعنى بالآيات

(١) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) فى م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فتخفيه » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٤/٣ (٤٠٤٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

العَبْرَ . يقول : قد يَبْتَنَّا لكم من أمرِ هؤلاء اليهود الذين نَهَيْناكم أن تَتَّخِذُوهم بِطانَةً من دونِ المؤمنين ، ما تَعْتَبِرُونَ وتَتَّعِظُونَ به من أمرِهِمْ ﴿ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ . يعنى : إن كنتم تَعْقِلُونَ عن اللّهِ مَوَاعِظَهُ ، وأمره ونهيهِ ، وتعرفون مواقع نَفْعِ ذلك منكم ، ومَبْلَغِ عائدته عليكم .

[١١/١١] القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ هَآأَنْتُمْ أَوْلَآءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ .

يعنى بذلك جَلَّ ثناؤه : ها أنتم أيها المؤمنون الذين ﴿ يُحِبُّونَهُمْ ﴾ . يقول : تُحِبُّونَ هؤلاء الكفار الذين نَهَيْتُكم/ عن اتِّخَاذِهِم بِطانَةً من دونِ المؤمنين ، فتَوَدُّونَهُم وتواصلونَهُم ، وهم لا يُحِبُّونَكم ، بل يَنْطُؤُونَ^(١) لكم على^(٢) العداوة والغشِّ ، ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ .

٦٥/٤

ومعنى الكتابِ فى هذا الموضع معنى الجمع ، كما يقال : كثر الدرهم فى أيدي الناس . بمعنى : الدرهم . فكذلك قوله : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ « إنما معناه : بالكتابِ كُلِّها ؛ كتابِكُم الذى أنزله اللّهُ تبارك وتعالى إليكم ، وكتابِهِم الذى أنزله إليهم ، وغير ذلك من الكتابِ التى أنزلها اللّهُ تعالى ذكره على عباده .

يقولُ جَلَّ ثناؤه : فأنتم - إذ كنتم أيها المؤمنون تُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّها ، وتعلمون أن الذين نَهَيْتُكم عن أن تَتَّخِذُوهم بِطانَةً من دونِكُمْ ، كفارًا بذلك كُلِّهِ ؛ بِجُحُودِهِمْ^(٣) ما فى^(٣) ذلك كُلِّهِ ، من عهودِ اللّهِ إليهم ، وتبديليهم ما فيه من أمرِ اللّهِ ونهيهِ - أولى بَعْدَاوتِكُمْ إياهم ، وبِغَضَائِهِمْ وَغَشِّهِمْ ، منهم بَعْدَاوتِكُمْ وبِغَضَائِكُمْ ، مع جُحُودِهِمْ بعضَ الكتابِ ، وتكذيبِهِمْ ببعضِها .

(١) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ينظرون » ، وفى ت ١ : « ينظرون » .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣ - ٣) سقط من م ، س ، وفى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فى » .

كما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن محمدِ بنِ إِسْحَاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبي محمدٍ ، عن عِكْرَمَةَ ، أو عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ . أى : بكتابِكُمْ وكتابِهِمْ ، وبما مضى من الكتبِ قبلَ ذلك ، وهم يكفرون بكتابِكُمْ ، فأنتم أحقُّ بالبغضاءِ لهم ، منهم لكم ^(١) .

وقال : ﴿ هَآتَيْتُمْ أَوْلاَءَ ﴾ . ولم يُقُلْ : هؤلاء ^(٢) أنتم . ففَرَّقَ بينَ « ها » و « أولاءِ » ، بكنايةِ اسمِ المخاطِبين ؛ لأنَّ العربَ كذلك تفعلُ فى « هاذا » ، إذا أرادت به التقريبَ ومذهبَ النُقْصانِ الذى يحتاجُ إلى تمامِ الخبرِ ، وذلك مثلُ أن يقالَ لبعضِهِمْ : أين أنت ؟ فيجيبُ المقولُ ذلك له : ها أنا ذا . ففَرَّقَ بينَ التَّنْبِيهِ ، و « ذا » ^(٣) بِمَكْنِيِّ اسمِ نفسه ، ولا يكادون يقولون : هذا أنا . ثم يُنْتِنَى وَيُجْمَعُ على ذلك ، وربما أعادوا حرفَ التَّنْبِيهِ مع « ذا » ، فقالوا : ها أنا هذا . ولا يفعلون ذلك إلا فيما كان تقريبًا ، فأما إذا كان على غيرِ التَّقْرِيبِ والنُقْصانِ ، قالوا : هذا هو ، وهذا أنت . وكذلك يفعلون مع الأسماءِ الظاهرة ، يقولون : هذا عمرو قائمًا وإن كان « هذا » تَقْرِيْبًا . وإنما فعلوا ذلك فى المكنى مع التقريبِ ؛ تَفَرُّقًا بينَ « هذا » إذا كان بمعنى الناقصِ الذى يحتاجُ إلى تمامٍ ، وبينه إذا كان بمعنى الاسمِ الصحيحِ .

وقوله : ﴿ يُحِبُّونَهُمْ ﴾ خبرٌ للتقريبِ .

وفى هذه الآيةِ إبانةٌ من اللّهِ تعالى ذكره عن حالِ الفريقين - أعنى المؤمنين والكافرين - ورحمةِ أهلِ [١١/١١] الإيمانِ ورأفتِهِمْ بأهلِ الخلافِ لهم ، وقساوةِ قلوبِ أهلِ الكفرِ وغلظتِهِمْ على أهلِ الإيمانِ .

(١) سيرة ابن هشام ٥٥٨/١ ، وعراه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) فى الأصل ، ص ، ت ، ١ : « هذا » .

(٣) فى الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أولاءِ » .

كما حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ مُجْبُوْنِهِمْ وَلَا يُجْبُوْنَكُمْ وَتُؤْمِنُوْنَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ : فواللهُ ، إن المؤمنَ لِيُحِبُّ الْمُنَافِقَ ، وَيَأْوِيْ لَهُ وَيَرْحَمُهُ ، ولو أن المنافقَ يَقْدِرُ على ما يَقْدِرُ عليه المؤمنُ منه ، لأَبَادَ خَضْرَاءَهُ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : المؤمنُ خَيْرٌ لِلْمُنَافِقِ مِنَ الْمُنَافِقِ لِلْمُؤْمِنِ ، يَرْحَمُهُ ، ولو يَقْدِرُ الْمُنَافِقُ مِنَ الْمُؤْمِنِ على مثلِ ما يَقْدِرُ الْمُؤْمِنُ عليه منه ، لأَبَادَ خَضْرَاءَهُ ^(٢) .

وكان مجاهدٌ يقولُ : نزلت هذه الآيةُ في المنافقين .

٦٦/٤ / حَدَّثَنِي بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ ^(٣) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه أن هؤلاء الذين نهى الله تبارك وتعالى المؤمنين أن يتخذوهم بطانةً من دونهم ، ووصفهم بصفيتهم ، إذا لقوا المؤمنين من أصحابِ رسولِ الله ﷺ ، أعطوهم بألسنتهم تقيّةً ؛ حذراً على أنفسهم منهم ، فقالوا لهم : قد آمنّا وصدّقنا بما جاء به محمدٌ . وإذا هم خَلَوْا فَصَارُوا فِي خَلَاءٍ حَيْثُ لَا يَرَاهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ، عَضُّوا - على ما يَرَوْنَ من ائتلافِ المؤمنين واجتماعِ كلمتِهِم وصلحِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٥/٣ (٤٠٤٧) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى في الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطى في الدر المنثور ٦٦/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٨ .

ذات بينهم - أناملهم ، وهى أطراف أصابعهم ؛ تَعَيَّظًا مما بهم من المَوْجِدَةِ عليهم ، وأسى على ظَهِرِ يستندون إليه ؛ لَمُكَاشَفَتِهِم العداوة ، ومُنَاجَزَتِهِم المَحَارِبَةَ .
وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ : إِذَا لَقُوا الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا : آمَنَّا . لَيْسَ بِهِمُ إِلَّا مَخَافَةٌ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَصَانَعُوهُمْ بِذَلِكَ ، ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ . يَقُولُ : مِمَّا يَجِدُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغَيْظِ وَالْكَرَاهِيَةِ لِلَّذِي هُمْ عَلَيْهِ ، لَوْ يَجِدُونَ رِيحًا ^(١) لَكَانُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، فَهَمُّ كَمَا نَعَتَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بِمَثَلِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : مِنَ الْغَيْظِ لِكِرَاهِيَةِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَقُلْ : لَوْ يَجِدُونَ رِيحًا . وَمَا بَعْدَهُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : ثنا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ عَمْرٍو ابْنِ مَالِكِ التُّكْرِيِّ ^(٤) ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : كَانَ أَبُو الْجَوَازِ إِذَا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ . قَالَ : هُمْ الْإِبَاضِيُّةُ ^(٥) [١١ / ١٢٠] .

(١) الريح هنا بمعنى الغلبة والقوة .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٦/٣ (٤٠٥٦) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٥/٣ عقب الأثر (٤٠٥٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « البكرى » . وينظر الأنساب ٥ / ٥٢٢ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٥/٣ ، ٧٤٦ (٤٠٥١ ، ٤٠٥٥) من طريق يحيى بن عمرو بن مالك به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

القول في تأويل قوله : ﴿الْأَنَامِلَ﴾

والأنامل جمع أئمة، ويقال: أئمة. وربما جمعت أئمة، قال الشاعر^(١):

أوفيكما^(٢) ما بَلَّ حَلْقِي رِيْقَتِي وما حَمَلَتْ كَفَّائِي أُمَّلِي العَشْرَا
وهي أطراف الأصابع.

كما حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: الأنامل أطراف الأصابع^(٣).

/حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ،^(٤) عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ^(٥).

٦٧/٤

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قال: ثنا أحمدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قال: ثنا أسباط، عن الشَّدِيِّ: ﴿وَإِذَا خَلَقُوا عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ﴾: الأصابع^(٦).

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل،^(٧) عن أبي إسحاق^(٨)، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قوله: ﴿عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾. قال: عَضُوا

= والإباضية: فرقة من الخوارج، وهم أصحاب عبد الله بن إباض التميمي، الذي خرج في أيام مروان بن محمد، ومن معتقداتهم أن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناحتهم جائزة، وموارثهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، ودار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان، فإنه دار بغى، ومرتكبي الكبائر موحدون لا مؤمنون. ينظر الملل والنحل ١/ ٢٤٤.

(١) البيت في اللسان والتاج (ك ف ف).

(٢) في الأصل: «أودبكما»، وفي ص: «أودكها»، وفي م: «أودكما»، وفي ت ١: «أودسكها»، وفي ت ٢: «أودفكما»، وفي س: «أوذيلها». والمثبت موافق لما في اللسان والتاج، وما في هذه النسخ تحريف عنه.

(٣) ذكره ابن كثير ٩٠/٢.

(٤ - ٤) في الأصل: «قال: ثنا أبو».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٦/٣ عقب الأثر (٤٠٥٤) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٦/٣ عقب الأثر (٤٠٥٤) من طريق عمرو عن أسباط به.

(٧ - ٧) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س. وينظر تهذيب الكمال ١٠٢/٢٢.

على أصابعهم^(١).

القول في تأويل قوله: ﴿قُلْ مَوْتُوُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١١٩﴾.

يعنى بذلك جلّ ثناؤه: قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت لك صفتهم، وأخبرتك أنهم إذا لقوا أصحابك قالوا: آمناً. وإذا خلوا عَضُوا عليكم الأنامل من الغيظ - ﴿مَوْتُوُوا بِغَيْظِكُمْ﴾. (٢) أى: موئوا بالغيظ^(٢) الذى بكم على المؤمنين؛ لاجتماع كلمتهم، واتلاف جماعتهم.

وخرج هذا الكلام مخرج الأمر، وهو دعاء من الله تبارك وتعالى نبيه محمداً ﷺ بأن يدعوا عليهم بأن يهلكهم الله عز وجل كمدًا مما بهم من الغيظ على المؤمنين، قبل أن يروا فيهم ما يتمنون لهم من العنت في دينهم، والضلالة بعد هداهم، فقال لنبيه ﷺ: قل يا محمد: اهلكوا بغيظكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. يعنى بذلك: إن الله ذو علم بالذى فى صدور هؤلاء الذين إذا لقوا المؤمنين قالوا: آمناً. وما ينطوون عليه لهم من الغل والغمر^(٣)، ويعتقدون لهم من العداوة والبغضاء، وبما فى صدور جميع خلقه، حافظ على جميعهم ما هو عليه منطوي من خير وشر، حتى يجازي جميعهم على ما قدّم من خير وشر، واعتقد من إيمان وكفر، وانطوى عليه لرسوله وللمؤمنين من نصيحة أو غل وغمر.

القول في تأويل قوله: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهَمُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ﴿١٢٠﴾.

يعنى بقوله جل ثناؤه [١١/١٢٠ظ]: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهَمُمْ﴾: إن تنالوا أيها

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٧٤٦/٣ (٤٠٥٤) من طريق أبي إسحاق به، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى ابن المنذر.

(٢-٢) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٣) تفسير الطبرى ٤٦/٥

(٣) الغمر، بكسر الغين: الحقد. النهاية ٣/٣٨٤.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ سِرُّوًّا بظهورِكم على عدوِّكم ، وتتابعِ الناسِ في الدخولِ في دينِكم وتُصَدِّقِ نَبِيِّكُمْ ، ومُعَاوَنَتِكُمْ على أَعْدَائِكُمْ ، يَشُوهُمُ ^(١) ^(٢) فَيَحْزَنُوا لذلك ، ويكْتَسِبُوا له ، ﴿ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ . يقولُ ^(٣) . وَإِنْ تَنَلَّكُمْ مَسَاءَةٌ بِإِحْفَاقِ سَرِيَّةٍ لَكُمْ ، أَوْ بِإِصَابَةِ عَدُوِّكُمْ مِنْكُمْ ، أَوْ اخْتِلَافٍ يَكُونُ بَيْنَ جَمَاعَتِكُمْ ، يَفْرَحُوا بِهَا .

كما حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ وَإِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوَّاهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ : فَإِذَا رَأَوْا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَلْفَةً وَجَمَاعَةً وَظُهُورًا على عدوِّهم ، غَاظَهُمْ ذلك وسَاءَهُمْ ، وَإِذَا رَأَوْا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فُرْقَةً وَاخْتِلَافًا ، أَوْ أُصِيبَ طَرَفٌ مِنْ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ ، سَرَّهُمْ ذلك وَأُعْجِبُوا به وابتَهَجُوا به ، ^(٤) فهو ذَأْبُهُمْ ^(٥) ، كَلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ فِرْقٌ ^(٦) أَكْذَبَ اللَّهُ أُخْدُوثَتَهُ ، وَأَوْطَأَ مَجَلَّتَهُ ، وَأَبْطَلَ حُجَّتَهُ ، وَأَظْهَرَ عَوْرَتَهُ ، فَذَٰكَ قِضَاءُ اللَّهِ فِي مَنْ مَضَى مِنْهُمْ ، وَفِي مَنْ بَقِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(٧) .

٦٨/٤ / حَدَّثَنَا عَنْ عَمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ وَإِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوَّاهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ . قال : هم المنافقون ، إِذَا رَأَوْا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ جَمَاعَةً وَظُهُورًا على عدوِّهم ، غَاظَهُمْ ذلك غَيْظًا شَدِيدًا وسَاءَهُمْ ، وَإِذَا رَأَوْا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فُرْقَةً وَاخْتِلَافًا ، أَوْ أُصِيبَ طَرَفٌ مِنْ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ ، سَرَّهُمْ ذلك وَأُعْجِبُوا به ، قال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا

(١) سقط من : ص ، ت ٢ ، س .

(٢ - ٢) سقط من ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣ - ٣) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فهم » .

(٤) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قرن » .

والفرق : الطائفة من الناس . اللسان (ف ر ق) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٧/٣ (٤٠٦٠ ، ٤٠٦٢) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطي أيضا

في الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ . قال : إذا رأوا من المؤمنين جماعة وألفه ساءهم ذلك ، وإذا رأوا منهم فرقة واختلافا فرحوا ^(١) .

وأما قوله : ﴿وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ . فإنه يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن تصبروا وأياها المؤمنون على طاعة الله وأتباع أمره فيما أمركم به ، واجتناب ما نهاكم عنه ، من اتخاذ بطانية لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله جل ثناؤه صفتهم من دون المؤمنين ، وغير ذلك من سائر ما نهاكم ، وتتقوا ربكم ، فتخافوا التقدّم بين يديه فيما ألزمكم وأوجب عليكم من حقه وحق رسوله ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ . أى : كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم .

ويعنى بـ ﴿كَيْدُهُمْ﴾ عوائلهم التى ^(٢) يبتغونها للمسلمين ، ومكرهم بهم ؛ ليضدوهم عن الهدى وسبيل الحق .

واختلفت القراءة فى قراءة قوله : ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ ؛ فقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز وبعض البصريين [١٣/١١] : (لَا يَضُرُّكُمْ) . مخففة بكسر الضاد ^(٣) ، من قول القائل : ضارنى فلان ، فهو يضيرنى ضييراً . وقد حكى سماعاً من العرب : ما يتفعلنى ذاك ^(٤) ولا يضيرونى . فلو كانت قرئت على هذه اللغة لقليل : لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا . ولكنى لا أعلم أحداً قرأ به .

(١) ينظر البحر المحيط ٣/٤٣ .

(٢ - ٣) فى ص : «تعوبها للمسلمين» .

(٣) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٥ .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ س .

وقرأ ذلك جماعةً من أهل المدينة وعامة قرأة أهل الكوفة: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴿. بَضَمُ الضَّادِ وَتَشْدِيدُ الرَّاءِ^(١)، من قولِ القائلِ: ضَرَّنِي فلانٌ فهو يَضُرُّنِي ضَرًّا.

وأما الرفعُ في قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾. فمن وجهين؛ أحدهما على إنباعِ الرَّاءِ في حركتها - إذ كان الأصلُ فيها الجزمَ، ولم يُمكنْ جزمُها؛ لتَشْدِيدِها - أقربَ حركاتِ الحروفِ التي قبلها، وذلك حركةُ الضَّادِ وهي الضمَّةُ، فأُلْحِقَتْ بها حركةُ الرَّاءِ لِقُرْبِها منها، كما قالوا: مُدُّ ياهذا. والوجهُ الآخرُ من وجهي الرفعِ في ذلك، أن تكونَ مرفوعةً على صحبةٍ، وتكونَ «لا» بمعنى «ليس»، وتكونَ الفاءُ التي هي جوابُ الجزاءِ متروكةً؛ لعلمِ السامعِ بموضعِها.

وإذا كان ذلك معناه، كان تأويلُ الكلامِ: وإن تَضَيَّرُوا وتَتَّقُوا فليس يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا. ثم تُرِكَتِ الفاءُ من قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾. وَوُجِّهَتْ «لا» إلى معنى «ليس»، كما قال الشاعرُ^(٢):

فإن كان لا يُزْضِيكَ حتى تُرَدِّدَنِي إلى قَطْرِي لا إِخَالِكَ راضِيًا
ولو كانت الراءُ مُحَرَّكَةً إلى الخفضِ والنصبِ كان جائزًا، كما قيل: مُدُّ ياهذا، ومُدُّ.

/وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. يقولُ جل ثناؤه: إن الله تبارك وتعالى بما يعملُ هؤلاء الكفارُ في عبادِهِ وبلادِهِ من الفسادِ، والصدِّ عن سبيلِهِ،

(١) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي. السبعة لابن مجاهد ص ٢١٥.

(٢) في الأصل: «فلا».

(٣) هو سوار بن المضرب السعدي، والبيت في النوادر لأبي زيد ص ٤٥، ومعاني القرآن للفراء ١/٣٣٢،

والكامل للمبرد ١٠٢/٢.

والعداوة لأهل دينه ، وغير ذلك من معاصي الله جلَّ وعزَّ ، مُحِيطٌ بِجَمِيعِهِ ، حافظٌ
له ، لا يَغْرُبُ عنه شيءٌ منه ، حتى يُؤَفِّيَهُمْ جَزَاءَهُمْ على ذلك كُلِّهِ ، ويُذِيقَهُمْ عِقَابَهُ
عليه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٢١) .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : وإن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ آيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ كَيْدُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مِنَ الْيَهُودِ شَيْئًا ، ولكن اللّٰهُ يَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ [١٣/١١ظ] إن صَبَرْتُمْ عَلَى طَاعَتِي وَاتَّبَاعِ أَمْرِ رَسُولِي ، كما نَصَرْتُكُمْ بِيَدِي وَأَنْتُمْ أَدَلَّةٌ ، وإن أَنْتُمْ خَالَفْتُمْ آيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَمْرِي ، ولم تَصْبِرُوا عَلَى مَا كَلَّفْتُكُمْ مِنْ فَرَائِضِي ، ولم تَتَّقُوا مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، وخَالَفْتُمْ أَمْرِي وَأَمْرَ رَسُولِي ، فإنه نَزَلَ بِكُمْ مَا نَزَلَ بِكُمْ بِأُحْدٍ ، فاذْكُرُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ ، إذ عَدَا نَبِيُّكُمْ يُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ . فترك ذكر الخبر عن أمر القوم إن لم يَصْبِرُوا عَلَى أَمْرِ رَبِّهِمْ ، ولم يَتَّقُوهُ ؛ اكتفاءً بدلالة ما ظهر من الكلام على معناه ، إذ ذكر ما هو فاعلٌ بهم من صَرْفِ كَيْدِ أَعْدَائِهِمْ عَنْهُمْ ، إن صَبَرُوا عَلَى أَمْرِهِ وَاتَّقَوْا مَحَارِمَهُ ، وَتَعَقَّبِيهِ ذَلِكَ بَتْدَ كَبِيرِهِمْ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ بِأُحْدٍ ، إذ خَالَفَ بَعْضُهُمْ أَمْرَ رَسُولِهِ ﷺ وَتَنَازَعُوا الرَّأْيَ بَيْنَهُمْ .

وأُخْرِجَ الْخِطَابُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . على وَجْهِ الْخِطَابِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، والمرادُ بِمَعْنَاهُ : الَّذِينَ نَهَاكَمُ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذُوا ^(١) الْكُفَّارَ مِنَ الْيَهُودِ بَطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ . فقد تَبَيَّنَ إِذْنُ أَنْ قَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ ﴾ ^(٢) إنما خَبَرُهَا فِي مَعْنَى الْكَلَامِ ، على ما قد بَيَّنَّتْ وَأَوْضَحْتُ .

(١) في م ، ت ، ٢ ، ٣ : « يتخذ » .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « جرها » .

وقد اختلف أهل التأويل في اليوم الذي عَنَى اللهُ تبارك وتعالى بقوله : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ لِلْقِتَالِ﴾ ؛ فقال بعضهم : عَنَى بذلك يوم أُحُدٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ لِلْقِتَالِ﴾ . قَالَ : مَشَى النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ عَلَى رِجْلَيْهِ يُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ لِلْقِتَالِ﴾ : ذَلِكَ يَوْمُ أُحُدٍ ، غَدَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِهِ إِلَى أُحُدٍ ، يُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبْعِ قَوْلَهُ : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ لِلْقِتَالِ﴾ : فَعَدَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِهِ إِلَى أُحُدٍ ، يُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ^(٣) .

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ لِلْقِتَالِ﴾ . فَهُوَ يَوْمُ أُحُدٍ ^(٤) .

٧٠/٤

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٨/٣ (٤٠٦٧) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٧/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٨/٣ عقب الأثر (٤٠٦٩) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٨/٣ عقب الأثر (٤٠٦٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٨/٣ (٤٠٦٩) عن محمد بن سعد به .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ،
عَنِ الشَّدِيِّ : ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قَالَ : هذا ^(١) يوم
أُحُدٍ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ [١٤/١١٦] ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : مِمَّا نَزَلَ فِي يَوْمِ
أُحُدٍ : ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) .
وَقَالَ آخَرُونَ : عَنَى بِذَلِكَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانِ الْقَزَّازُ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا
عَبَّادٌ ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْلَعِدَ
الْقِتَالِ ﴾ . قَالَ : يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ عَدَا يُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ يَوْمَ
الْأَحْزَابِ ^(٤) .

وَأَوْلَى هَذِينَ الْقَوْلَيْنِ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : عَنَى بِذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ
ثَنَاوَهُ يَقُولُ فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ . وَلَا
خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ أَنَّهُ عُنِيَ بِالطَّائِفَتَيْنِ بَنُو سَلِيمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ
أَهْلِ السِّيَرِ وَالْمَعْرِفَةِ بِمَعَاذِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ أَمْرِهِمَا
إِنَّمَا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ دُونَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ .

(١) فِي م : « هُنَا » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٤٨/٣ عَقِبَ الْأَثَرِ (٤٠٦٩) مِنْ طَرِيقِ أَسْبَاطٍ بِهِ .

(٣) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ١٠٦/٢ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٤٨/٣ (٤٠٧٠) مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرِ الْحَنْفِيِّ بِهِ .

فإن قال لنا قائلٌ : فكيف يكون ذلك يومَ أحدٍ ورسولُ اللهِ ﷺ إنما راحَ إلى أُحدٍ من أهله للقتالِ يومَ الجمعةِ ، بعدَ ما صَلَّى الجمعةَ في أهله بالمدينةِ بالناسِ ، كالذي حَدَّثَكُمْ ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ ابنُ مسلمٍ بنِ عُبيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ شهابِ الزُّهْرِيُّ ، ومحمدُ بنُ يحيى بنِ حَبَّانَ ، وعاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ ، والحِصِينُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عمرو بنِ سعدِ بنِ معاذٍ ، وغيرِهِم من علمائنا ، أن رسولَ اللهِ ﷺ راحَ حينَ صَلَّى الجمعةَ إلى أُحدٍ ، دخلَ فليسَ لأُمَّتِهِ ^(١) ، وذلك يومَ الجمعةِ حينَ فرغَ من الصلاةِ ، وقد مات في ذلك اليومِ رجلٌ من الأنصارِ ، فَصَلَّى عليه رسولُ اللهِ ﷺ ، ثم خرجَ عليهم وقال : « ما يُنْبَغِي للنبيِّ إذا ليسَ لأُمَّتِهِ أن يَضَعَهَا حتى يُقَاتِلَ » ^(٢) .

قيل : إن النبيَّ ﷺ وإن كان خروجه لقتالِ القومِ كان رَواحًا ^(٣) ، فلم يكن تَبَوُّثُهُ المؤمنينَ مقاعدَهُم للقتالِ عندَ خُروجهِ ، بل كان ذلك قبلَ خُروجهِ لقتالِ عدوِّه ، وذلك أن المشركينَ نزلوا منزلاًهم من أُحدٍ - فيما بلغنا - يومَ الأربعاءِ ، فأقاموا به ذلك اليومَ ويومَ الخميسِ ويومَ الجمعةِ ، حتى راحَ رسولُ اللهِ ﷺ إليهم في يومِ الجمعةِ ، بعدَ ما صَلَّى بأصحابِهِ الجمعةَ ، فأصبحَ بالشُّعبِ من أُحدٍ يومَ السبتِ للنصفِ من شوالٍ .

حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ ابنُ مسلمٍ الزُّهْرِيُّ ، ومحمدُ بنُ يحيى بنِ حَبَّانَ ، وعاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ ، والحِصِينُ بنُ عبدِ الرحمنِ وغيرِهِم .

(١) اللأمة مهموزة : الدرع . وقيل : السلاح . ولأمة الحرب : أدواته . النهاية ٢٢٠ / ٤ .

(٢) جزء من أثر طويل في سيرة ابن هشام ٦٠/٢ - ٦٤ ، وأخرجه المصنف في تاريخه ٤٩٩/٢ - ٥٠٣ ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢٢٤/٣ - ٢٢٧ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٧/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) الرواح : تقيض الصباح . وقيل : العشى أو من الزوال إلى الليل . التاج (ر و ح) .

/فإن قال : فكيف ^(١) كانت تَبَوُّئُهُ المؤمنین مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ عُذُوًّا قَبْلَ خُرُوجِهِ ، ٧١/٤
وقد عَلِمَتْ أَن التَّبَوُّؤَةَ اتَّخَذَ المَوَاضِعَ ^(٢) ؟

قيل : كانت تَبَوُّئُهُ إِيَّاهُمْ ذَلِكَ قَبْلَ مُنَاهِضَتِهِ عَدُوَّهُ ، عِنْدَ مَشُورَتِهِ عَلَى أَصْحَابِهِ
بِالرَّأْيِ الَّذِي رَأَاهُ لَهُمْ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا سَمِعَ بِنَزُولِ
المُشْرِكِينَ مِنْ قَرِيْشٍ وَأَتْبَاعِهَا أُحُدًا ، [١١ / ١٤] قَالَ - فِيمَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
الحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنِ الشُّدِّيِّ - لِأَصْحَابِهِ :
« أَشِيرُوا عَلَيَّ ، مَا أَصْنَعُ » ؟ . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْرِجْ بِنَا ^(٣) إِلَى هَذِهِ الْأَكْلَبِ .
فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا غَلَبْنَا عَدُوَّ لَنَا قَطُّ ^(٤) أَتَانَا فِي دِيَارِنَا ، فَكَيْفَ وَأَنْتَ
فِينَا ! فَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بِنْتِ السَّلْوَلِ ، وَلَمْ يَدْعُهُ قَطُّ قَبْلَهَا ،
فَاسْتَشَارَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْرِجْ بِنَا إِلَى هَذِهِ الْأَكْلَبِ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
يُعْجِبُهُ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ ، فَيُقَاتِلُوا فِي الْأَزْقَةِ ، فَأَتَاهُ التُّعْمَانُ بْنُ مَالِكِ الْأَنْصَارِيُّ
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا تَحْرِمْنِي الْجَنَّةَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لِأَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ . فَقَالَ لَهُ :
« بِمَ » ؟ قَالَ : بِأَنْيِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنْيِ لَا أَوْفِيَّ مِنَ الزَّخْفِ .
قَالَ : « صَدَقْتُ » . فَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ . ثُمَّ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا بَدْرَ عَه فَلَيسَهَا ، فَلَمَّا رَأَوْهُ
قَدْ لَبَسَ السَّلَاحَ نَدِمُوا ، وَقَالُوا : بِئْسَمَا صَنَعْنَا ، نُشِيرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْوَحْيِ
يَأْتِيهِ ! فَقَامُوا وَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : اصْنَعْ مَا رَأَيْتَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَلْبَسَ لِأُمَّتِهِ فَيَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ » ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ

(١) فِي ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وَكَيْفَ » .

(٢) فِي ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « الْمَوَاضِعَ » .

(٣) سَقَطَ مِنْ : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) أَخْرَجَهُ المَصْنَفُ فِي تَارِيخِهِ ٥٠٣/٢ ، وَسَأَتَى بَقِيَّتَهُ فِي ص ١٣ .

شِهَابِ الزهري، ومحمدُ بنُ يحيى بنِ حَبَّانَ، وعاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادة، والحصينُ بنُ عبد الرحمنِ بنِ عمرو بنِ سعدِ بنِ معاذٍ، وغيرهم من علمائنا، قالوا: لما سمِعَ رسولُ اللهِ ﷺ والمسلمون بالمشركين قد نزلوا منزلهم من أحدٍ، قال رسولُ اللهِ ﷺ للمسلمين: «إني قد رأيتُ بقرًا، فأولئها خيرًا، ورأيتُ في ذبابٍ^(١) سيفي تَلَمَّا^(٢)»، ورأيتُ أني أدخلتُ يدي في دِرْعِ حَصِينَةَ، فأولئها المدينة، فإن رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتَدْعُوهم حيثُ نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بِشَرِّ مَقَامٍ، وإن هُم دَخَلوا علينا قَاتَلْنَاهم فيها». وكان رأى عبدِ اللهِ بنِ أبي بنِ سلُولٍ مع رأي رسولِ اللهِ ﷺ، يَرى رأى رسولِ اللهِ ﷺ في ذلك ألا يخرج إليهم، وكان رسولُ اللهِ ﷺ يَكْرَهُ الخُروجَ من المدينة، فقال رجالٌ من المسلمين ممن أكرم اللهُ بالشهادة يومَ أُحُدٍ، وغيرهم ممن كان فاتَهُ بدرٌ وحضورُهُ: يا رسولَ اللهِ، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يَرونَ أَنَا جُنُودًا^(٣) عنهم^(٣) وضَعُفنا. فقال عبدُ اللهِ بنُ أبي بنِ سلُولٍ: يا رسولَ اللهِ، أقم بالمدينة، لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قطُّ إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا^(٤) إلا أصبنا منه، فدَعهم يارسولَ اللهِ، فإن أقاموا أقاموا بِشَرِّ مَحَبَسٍ، وإن دخلوا قَاتَلهم الرجالُ في وجوههم وزمائمهم النساءُ والصبيانُ بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائِبين كما جاءوا. فلم يَزَلِ الناسُ برسولِ اللهِ ﷺ، الذين كان من أمرهم حُبٌّ لقاءِ القومِ، حتى [١١/١٥٥] دخل رسولُ اللهِ ﷺ فليسَ لأمته^(٥).

فكانت تَبَوُّؤُهُ رسولِ اللهِ ﷺ المؤمنين المقاعد^(٦) للقتالِ، ما ذكرنا / من

(١) ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به. النهاية ١٥٢/٢.

(٢) أي: كسروا.

(٣ - ٣) في س: «خفنا منهم».

(٤) بعده في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «قط».

(٥) تقدم تخريجه في ص ٨.

(٦) في م: «مقاعد».

مَشُورَتِهِ عَلَى أَصْحَابِهِ بِالرَّأْيِ الَّذِي ذَكَرْنَا ، عَلَى مَا وَصَفَهُ الَّذِينَ حَكَّمْنَا قَوْلَهُمْ .
يقال منه : بَوَّأْتُ الْقَوْمَ مَنَزِلًا ، وَبَوَّأْتُهُمْ لَهْمًا ، فَأَنَا أُبَوِّئُهُمُ الْمَنْزَلَ تَبَوُّؤَةً ، وَأُبَوِّئُ لَهُمْ
مَنَزِلًا تَبَوُّؤَةً .

وقد ذُكِرَ أَنَّ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ^(١) : (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ
لِلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ) . وَذَلِكَ جَائِزٌ ، كَمَا يَقَالُ : رَدَفَكَ وَرَدَفَ لَكَ ، وَنَقَدْتُ
لَهَا صَدَاقَهَا وَنَقَدْتُهَا ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ ^(٢) :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ
وَالكَلَامُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِذَنْبِي .

وقد حُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ سَمَاعًا : أَبَاتُ الْقَوْمِ مَنَزِلًا ، فَأَنَا أُبَيِّئُهُمْ إِبَاءَةً . وَيَقَالُ
مِنْهُ : أَبَاتُ الْإِبْلِ . إِذَا رَدَدْتَهَا إِلَى الْمَبَاءَةِ . وَالْمَبَاءَةُ الْمَرَاخُ الَّذِي تَبَيَّتُ فِيهِ . وَالْمَقَاعِدُ ،
جَمْعُ مَقْعِدٍ ، وَهُوَ الْمَجْلِسُ .

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ : وَادْكُرْ إِذْ غَدَوْتَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَهْلِكَ ، تَتَّخِذُ لِلْمُؤْمِنِينَ
مُعَسْكَرًا وَمَوْضِعًا لِقِتَالِ عَدُوِّهِمْ .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . يعنى بذلك تعالى ذكره : وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِمَا يَقُولُ
الْمُؤْمِنُونَ لَكَ فِيمَا شَاوَرْتَهُمْ فِيهِ ، مِنْ مَوْضِعِ لِقَائِكَ وَلِقَائِهِمْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ ، مِنْ
قَوْلِ مَنْ قَالَ : أَخْرَجْنَا بِنَا إِلَيْهِمْ حَتَّى نَلْقَاهُمْ خَارِجَ الْمَدِينَةِ . وَقَوْلِ مَنْ قَالَ لَكَ : لَا
تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ ، وَأَقَمَّ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى يَدْخُلُوهَا عَلَيْنَا - عَلَى مَا قَدِ بَيَّنَّا قَبْلُ - وَبِمَا ^(٣) تُشِيرُ
بِهِ عَلَيْهِمْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ ، عَلَيْهِمْ بِأَصْلِحِ تِلْكَ الْآرَاءِ لَكَ وَلَهُمْ ، وَبِمَا تُخْفِيهِ صَدُورُ

(١) ينظر البحر المحيط ٤٦/٣ .

(٢) تقدم في ١٧٠/١ .

(٣) في ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س : « مما » .

المُشِيرِينَ عَلَيْكَ بِالْخُرُوجِ إِلَى عَدُوِّكَ ، وَصُدُورُ الْمُشِيرِينَ عَلَيْكَ بِالْمَقَامِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِكَ وَأُمُورِهِمْ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . أَيْ سَمِيعٌ لِمَا يَقُولُونَ ، عَلِيمٌ بِمَا يُخْفُونَ ^(١) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١٢١) .

يعنى بذلك جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ حِينَ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا . وَالطَّائِفَتَانِ اللَّتَانِ هَمَّتَا بِالْفَشْلِ - فِيمَا ذُكِرَ لَنَا - بَنُو سَلِيمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ . قَالَ : بَنُو حَارِثَةَ كَانُوا نَحْوَ أُحُدٍ ، وَبَنُو سَلِيمَةَ نَحْوَ سَلْعٍ ، [١١ / ١٥٠ ظ] وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ^(٢) . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ فِيمَا مَضَى بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ عَنْ إِعَادَتِهِ .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ الْآيَةَ : وَذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَالطَّائِفَتَانِ بَنُو سَلِيمَةَ وَبَنُو

٧٣/٤

(١) سيرة ابن هشام ١٠٦/٢ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٨/٣ (٤٠٧١ ، ٤٠٧٢) من طريق سلمة به .

(٢) تفسير مجاهد ٢٥٨ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٨/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حارثة؛ حَيَّان من الأنصارِ ، هُمُوا بِأَمْرِ ، فَعَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ قَتَادَةُ : وَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالُوا : مَا يَسُرُّنَا أَنَّا لَمْ نَهَمَّ بِالَّذِي هَمَمْنَا بِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ أَنَّهُ وَلِيُّنَا ^(١) .

^(٢) حَدَّثَتْ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ ^(٢) : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ ﴾ الآية : وذلك يومَ أُحُدٍ ، فالطائفتانِ بنو سَلِمةَ وبنو حارثةَ ؛ حَيَّانِ مِنَ الْأَنْصَارِ . فَذَكَرَ مِثْلَ قَوْلِ قَتَادَةَ ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ ، قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ فِي أَلْفِ رَجُلٍ ، وَقَدْ وَعَدَهُمُ الْفَتْحَ إِنْ صَبَرُوا ، فَلَمَّا خَرَجَ ^(٤) ، رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سَلُولٍ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ، فَتَبِعَهُمْ أَبُو جَابِرِ السَّلْمِيُّ يَدْعُوهُمْ ، فَلَمَّا غَلَبُوهُ وَقَالُوا لَهُ : مَا نَعْلَمُ قِتَالًا ، وَلَنْ أُطْعَمْنَا لَتَرْجِعَنَّ مَعَنَا . وَقَالَ : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ . فَهَمَّ بَنُو سَلِمةَ وَبَنُو حَارِثَةَ ، هَمُّوا بِالرَّجُوعِ حِينَ رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ، فَعَصَمَهُمُ اللَّهُ ، وَبَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَبْعِمِائَةٍ ^(٥) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ عِكْرَمَةُ : نَزَلَتْ فِي بَنِي سَلِمةَ مِنَ الْخَزْرَجِ ، وَبَنِي حَارِثَةَ مِنَ الْأَوْسِ ، وَرَأْسُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ ^(٦) .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٩/٣ عقب الأثر (٤٠٧٣) معلقا، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٨/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢ - ٢) في س : « حدثنا عمرو قال حدثنا » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٩/٣ عقب الأثر (٤٠٧٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٥) تنمة الأثر المتقدم في ص ٩ .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٨/٢ إلى المصنف .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ . فهم بنو حارثة وبنو سلمة^(١) .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ . والطائفتان بنو سلمة من جشم بن الخزرج ، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس ، وهما الجناحان^(٢) .

حدَّثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عبادة ، عن الحسن في قوله : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ الآية . قال : هما طائفتان من الأنصار ، هما أن يفشلا ، فعصمهما الله وهزم عدوهما^(٣) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ . قال : نحن^(٤) هم ؛ بنو سلمة وبنو حارثة ، وما نُحِبُّ أن لو لم^(٥) تكن هممنا^(٥) ؛ لقول الله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهَا ﴾^(٦) .

حدَّثني أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ،

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٩/٣ عقب الأثر (٤٠٧٣) معلقا ، وعزاه السيوطى فى الدر ٦٨/٢ إلى المصنف .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ١٠٦/٢ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٤٩/٣ (٤٠٧٥) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥ - ٥) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « تكن همتا » .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١ / ١٣١ . وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٤٩/٣ (٤٠٧٧) عن الحسن بن يحيى به .

وأخرجه سعيد بن منصور (٥٢٣ - تفسير) ، والبخارى (٤٠٥١ ، ٤٥٥٨) ، ومسلم (٢٥٠٥) ، والبيهقى فى الدلائل ٢٢١/٣ من طريق ابن عيينة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٨/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

قال : سمعتُ جابرَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ . فذكرَ نحوه .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زَيْدٍ : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ . قال : هذا يومُ أُحُدٍ ^(١) .

وأما قوله : ﴿ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ . فإنه يعنى : ^(٢) « هَمَّتَا أَنْ تَضْعُفَا وَتَجْبِنَا » عن لقاءِ عدُوِّهما . يقالُ منه : فَشِلَ فلانٌ عن لقاءِ عدُوِّه ، يَفْشَلُ فَشَلًا .

/ كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، ٧٤/٤
قال : قال [١٦/١١] ابنُ عباسٍ : الفَشَلُ الجُبْنُ ^(٣) .

وكان هُمُهما الذى هَمَّما به من الفَشَلِ ، الانصرافَ عن رسولِ اللهِ ﷺ والمؤمنين ، حينَ انصرفَ عنهم عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سلولَ بمن معه ، جُبْنًا منهم ، من غيرِ شَكٍّ منهم فى الإسلامِ ولا نفاقٍ ، فعصَمهم اللهُ عزَّ وجلَّ مما هَمُّوا به من ذلك ، ومَضَوْا مع رسولِ اللهِ ﷺ لوجهه الذى مَضَى له ، وترَكوا عبدَ اللهِ بنَ أُبَيٍّ ابنَ سلولَ والمنافقين معه ، فأثنتى اللهُ عزَّ وجلَّ عليهما بثبوتهما على الحقِّ ، وأخبر أنه وليُّهما وناصرُهُما على أعدائِهِما من الكفارِ .

كما حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إِسحاقَ : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ .
أى : المدافعُ ^(٤) عنهما ما هَمَّما به من فَشَلِهِما ^(٥) .

وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضَعْفٍ ووَهْنٍ أصابَهُما من غيرِ شَكٍّ أصابَهُما فى دينِهِما ، فتولَّى دَفَعَ ذلك عنهما برَحْمَتِهِ وعائِدَتِهِ ، حتى سَلِمَتَا من

(١) ينظر التبيان ٥٧٧/٢ .

(٢) (٢ - ٢) فى ص ، م ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « هما أن يضعفا ويجبنا » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٨/٢ إلى المصنف .

(٤) فى م : « الدافع » .

(٥) سيرة ابن هشام ١٠٦/٢ .

وَهَنِمَا وَضَعْفُهُمَا ، وَلِحَقَّتَا بِنَبِيِّهِمَا ﷺ .

يقول : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ . أى : من كان به ضعف من المؤمنين أو وهن فليتوكل على ، وليستعين بى ، أعنه على أمره ، وأدفع عنه حتى أبلغ به ، وأقويه على نيته .

وقد ذكر أن ابن مسعود رضى الله عنه كان يقرأ : (وَاللَّهُ وَلِيُّهُمْ)^(١) . وإنما جاز أن يقرأ ذلك كذلك ؛ لأن الطائفتين وإن كانتا فى لفظ اثنين ، فإنهما فى معنى جماع ، بمنزلة الخضمين والخزبين .

القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٢٢) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ، وينصركم ربكم ، ولقد نصركم الله ببدر على أعدائكم وأنتم يومئذ أذلة ، يعنى قليلون فى غير منعة من الناس ، حتى أظهركم الله على عدوكم ، مع كثرة عددهم وقلة عدديكم ، وأنتم اليوم أكثر عدداً منكم حينئذ ، فإن تصبروا لأمر الله ينصركم كما نصركم ذلك اليوم ، ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ . يقول : فاتقوا ربكم بطاعته ، واجتتاب محارمه ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . يقول : لتشكروه على ما من به عليكم من النصر على أعدائكم ، وإظهار دينكم ، ولما هداكم له من الحق الذى ضل عنه مخالفيكم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ . يقول : وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة ، ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

(١) ينظر معانى القرآن للفراء ١/٢٣٣ ، والبحر المحيط ٣/٤٧ .

تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ ، أَى : فاتقون ، فإنه شكرٌ نعمتى .^(١)

واختلِفَ فى المعنى الذى من أجله سُمِّيَ بدرٌ بدرًا ؛ فقال بعضهم : سُمِّيَ بذلك ؛ لأنه كان ماءً لرجلٍ يُسَمَّى بدرًا ، فسُمِّيَ باسمِ صاحبه .

ذكرٌ من قال ذلك

[١١٦/١١ظ] حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أبى ، عن زكريا ، عن الشعبيِّ ، قال : كانت بدرٌ لرجلٍ يقالُ له : بدرٌ . فسُمِّيَتْ به .^(٢)

/ حَدَّثَنِى يعقوبُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا زكريا ، عن الشعبيِّ ، أنه قال : ٧٥/٤ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ . قَالَ : كانت بدرٌ بئرًا لرجلٍ يقالُ له : بدرٌ . فسُمِّيَتْ به .

وأنكر ذلك آخرون ، وقالوا : ذلك اسمٌ سُمِّيَتْ به البقعة كما سُمِّيَ سائرُ البلدانِ بأسمائها .

ذكرٌ من قال ذلك

حَدَّثَنَا الحارثُ بنُ محمدٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ سعيدٍ ، قَالَ : ثنا محمدُ بنُ عمرِ الواقديِّ ، قَالَ : ثنا منصورٌ ، عن أبى الأسودِ ، عن زكريا ، عن الشعبيِّ ، قَالَ : إنما سُمِّيَ بدرًا ؛ لأنه كان ماءً لرجلٍ من جُهَيْنَةَ ، يقالُ له : بدرٌ . قَالَ الحارثُ ، قَالَ ابنُ سعيدٍ ، قَالَ الواقديُّ : فذَكَرْتُ ذلكَ لعبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ ومحمدِ بنِ صالحٍ ، فَأَنكَرَاهُ ،

(١) سيرة ابن هشام ١٠٦/٢ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥١/٣ (٤٠٨٨ ، ٤٠٩٠) من طريق سلمة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥٠/٢ (٤٠٨٣) من طريق وكيع به . وأخرجه ابن سعد ٢٧/٢ ، وابن

أبى شيبَةَ ٣٥٤ / ١ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥٠/٢ (٤٠٨٢) من طريق زكريا به ، وعزاه السيوطى فى

الدر المنثور ٦٩/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وقالا : فلأى شىء سُميت الصفراء^(١) ؟ ولأى شىء سُميت الحمراء^(٢) ؟ ولأى شىء سُمى رابعٌ ؟ هذا ليس بشىء ، إنما هو اسمُ الموضع . قال : وذكرْتُ ذلك ليحيى بن النعمانِ الغفاري . فقال : سمعتُ شيوخنا^(٣) من بنى غفارٍ يقولون : هو ماؤنا ومنزلنا ، وما ملكه أحدٌ قطُّ يقال له : بدرٌ . وما هو من بلادِ جُهينة ، إنما هى بلادُ غفارٍ . قال الواقدي : فهذا المعروفُ عندنا^(٤) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعتُ أبا معاذٍ ، قال : أخبرنا عبيدُ بنُ سليمان ، قال : سمعتُ الضحاک يقول : بدرٌ ماءٌ عن يمينِ طريقِ مكة ، بين مكة والمدينة^(٥) .

وأما قوله : ﴿ أَذَلَّةٌ ﴾ . فإنه جمعٌ ذليل ، كما الأعرَّة جمعٌ عزيز ، والأليئة جمعٌ لبيب ، وإنما سَمَّاهم الله عزَّ وجلَّ أَذَلَّةً ؛ لقلةِ عددهم ، لأنهم كانوا ثلاثمائة نفسٍ وبضعةَ عشرَ ، وعدوُّهم ما بينَ التسعمائةِ إلى الألفِ - على ما قد بينَّا فيما مضى - فجعلهم لقلةِ عددهم أَذَلَّةً .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ وَلَقَدْ نَزَرَكُمُ ﴾

(١) الصفراء : واد من ناحية المدينة ، وقال عرام بن الأصبح السلمي : الصفراء : قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلها وهى فوق ينبع مما بلى المدينة . معجم البلدان ٣ / ٣٩٩ .

(٢) الحمراء : حمراء الأسد ، موضع على ثمانية أميال من المدينة إليه انتهى رسول الله ﷺ يوم أحد فى طلب المشركين . معجم البلدان ٢ / ٣٣٢ .

(٣) فى الأصل : « شيوخا » .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ / ٢٧ ، وينظر : فتح البارى ٢ / ٢٧ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢ / ٦٩ إلى المصنف .

اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ : وبدراً ماءً بين مكة والمدينة ،
التقى عليه نبي الله ﷺ والمشركون ، وكان أوّل قتالٍ قاتله نبي الله ﷺ . ^(١) قال
قتادة ^(٢) : ذكر لنا أنه قال لأصحابه يومئذ : « أنتم اليوم بعبدة أصحاب طالوت يوم لقي
جالوت » . فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، والمشركون يومئذ ألف أو زاهقوا
ذلك ^(٣) .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عباد ، عن الحسن في قوله :
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . قال : يقول :
وأنتم قليل [١٧/١١] أذلة . وهم يومئذ بضعة عشر وثلاثمائة ^(٤) .

حدثت عن عمّار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، نحو قول
قتادة ^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ
وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ . ^(٥) يقول : وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة ^(٦) .

/ وأما قوله جل ثناؤه : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . فإن تأويله كالذي قد
بيّنت .

كما حدثنا ابن حميد ، قال ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

(١ - ١) في م : « و » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد ، وأخرج المرفوع عبد الرزاق في تفسيره
١٠١/١ عن معمر عن قتادة .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥١/٣ (٤٠٨٦) من طريق أبي بكر به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥١/٣ (٤٠٨٧) من طريق ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة والربيع .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥١/٣ (٤٠٨٨) من طريق سلمة به .

تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ . أى : فاتقونى ، فإنه شكرٌ نعمتى ^(١) .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٣﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ولقد نصركم الله بيدى وأنتم أذلة إذ تقول للمؤمنين بك من أصحابك : ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴾ ، وذلك يوم بدر .

ثم اختلف أهل التأويل فى حضور الملائكة يومئذ حزبهم وفى أى يوم وعدوا ذلك ؟ فقال بعضهم : إن الله تبارك وتعالى ذكره كان وعد المؤمنين يوم بدر أن يمدهم بملائكته إن أتاهم العدو من فورهم ، فلم يأتوهم ولم يمدهوا .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنى حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : حدث المسلمون ^(٢) يوم بدر ^(٣) أن كوز بن جابر المحاربي يمده المشركين . قال : فسق ذلك على المسلمين ، فقبل لهم : ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٣﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ . قال : فبلغت كوزاً الهزيمة ، فرجع ، ولم يمدهم بالخمسة ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥١/٢ (٤٠٩٠) من طريق سلمة به .

(٢ - ٣) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة ٣٥٨/١٤ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥٢/٢ (٤٠٩٥) من طريق داود به . وعزاه

السيوطى فى الدر المنثور ٦٩/٢ إلى ابن المنذر .

حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا دَاوُدُ ، عَنْ عَامِرٍ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ ، بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَيَأْتُوكُمْ مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا ﴾ - يَعْنِي كُزْرًا وَأَصْحَابَهُ - ﴿ يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ . قَالَ : فَبَلَغَ كُزْرًا وَأَصْحَابَهُ الْهَزِيمَةَ ، فَلَمْ يُمِدَّهُمْ ، وَلَمْ تَنْزِلِ الْخَمْسَةُ ، وَأَمِدُّوا بَعْدَ ذَلِكَ بِالْأَلْفِ ، فَهَمَّ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَتَمِيُّ ، عَنْ عَبَّادٍ ، عَنِ الْحُسَيْنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾ الآية كلها . قَالَ : هَذَا يَوْمَ بَدْرٍ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْبَةَ ، عَنْ دَاوُدَ ، [١٧/١١] عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ كُزْرًا / بَنَ جَابِرِ الْمُحَارِبِيِّ يَرِيدُ أَنْ يُمِدَّ الْمَشْرِكِينَ بِبَدْرٍ ، قَالَ : فَشَقَّ ٧٧/٤ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ . قَالَ : فَبَلَغَتْهُ هَزِيمَةُ الْمَشْرِكِينَ ، فَلَمْ يُمِدَّ أَصْحَابَهُ ، وَلَمْ يُمِدُّوا بِالْخَمْسَةِ ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : كَانَ هَذَا الْوَعْدُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَصَبَرَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَاتَّقَوْا اللَّهَ ، فَأَمَدَّهُمْ بِمَلَائِكَتِهِ عَلَى مَا وَعَدَهُمْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثنا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٩/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٢/٣، ٧٥٣، (٤٠٩٢، ٤١٠٤) من طريق أبي بكر الحنفي به .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة .

عبدُ اللَّهِ بنُ أبي بكرٍ، عن بعضِ بنى ساعدةَ، قال: سَمِعْتُ أبا أُسَيْدٍ مالِكَ بنَ ربيعةَ، بعدَ ما أُصِيبَ بصرُه يقولُ: لو كنتُ معكم بديرِ الآنَ، ومعى بَصْرِي، لأخْبِرْتكم بالشُّعْبِ^(١) الذي خَرَجْتَ منه الملائكةُ، لا أشكُّ ولا أتمارى^(٢).

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمَةُ، قال: قال ابنُ إِسْحاقَ، وثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبي بكرٍ، عن بعضِ بنى ساعدةَ، عن أبي أُسَيْدٍ مالِكَ بنِ ربيعةَ، وكان شَهِيدَ بدرًا: أنه قال بعدَ إذ ذَهَبَ بصرُه: لو كنتُ معكم اليومَ بديرٍ، ومعى بَصْرِي، لأرِيْتُكم الشُّعْبَ الذي خَرَجْتَ منه الملائكةُ، لا أشكُّ ولا أتمارى^(٣).

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمَةُ، عن محمدِ بنِ إِسْحاقَ، قال: وثنى عبدُ اللَّهِ ابنُ أبي بكرٍ أنه حَدَّثَ عن ابنِ عَبَّاسٍ، أن ابنَ عَبَّاسٍ، قال: ثنى رجلٌ من بنى غِفَّارٍ، قال: أَقْبَلْتُ أنا وابنُ عَمِّ لِي، حتى أَصْعَدْنَا في جَبَلٍ يُشْرِفُ بنا على بدرٍ، ونحن مُشْرِكانَ، نَنْتَظِرُ الوَقْعَةَ على مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ^(٤)، فَنَنْتَهِبُ مع مَنْ يَنْتَهِبُ. قال: فبينا نحن في الجبلِ، إذ دَنَّتْ مِنَّا سَحَابَةٌ، فَسَمِعْنَا فيها حَمَمَةَ الحَيْلِ، فَسَمِعْتُ قائلاً يقولُ: أَقْدِمْ حَيْرُومُ^(٥). قال: فأما ابنُ عَمِّي فأنكَشَفَ قِناعَ^(٦) قلبِه، فمات مكانه، وأما أنا فكَدْتُ أَهْلِكَ، ثم تَماسَكْتُ^(٧).

(١) في ص: « بالبعث »، وفي ت ١: « بالنقب ».

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٥٢/٣، ٥٣ من طريق يونس بن بكير به.

(٣) سيرة ابن هشام ٦٣٣/١.

(٤) الدبرة: أى الدولة والظفر والنصرة، وتفتح الباء وتسكن، ويقال: على مَنْ الدبرة أيضاً أى الهزيمة. النهاية ٩٨/٢.

(٥) حيزوم: جاء فى التفسير أنه اسم فرس جبريل عليه السلام، والحيزوم لغة هو الصدر. وقيل وسطه. النهاية ٤٦٧/١.

(٦) قناع القلب: غشاؤه، تشبها بقناع المرأة. النهاية ١١٤/٤.

(٧) سيرة ابن هشام ٦٣٣/١، وأخرجه المصنف فى تاريخه ٤٥٣/٣، وعنه الأصفهاني فى الأغاني ١٩٨/٤ =

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عن محمدِ بنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : وثني الحسنُ ابنُ عمارَةَ ، عن الحكمِ بنِ عُثَيْبَةَ ، عن مِقْسَمٍ ، مولى عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، قَالَ : لم تُقَاتِلِ الملائكةُ في يومٍ من الأيامِ سوى يومِ بدرٍ ، وكانوا يَكُونونَ فيما سِواه من الأيامِ عَدَدًا ومَدَدًا لا يَضْرِبونَ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، قَالَ : قال محمدُ بنُ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقَ بنُ يسارٍ ، عن رجالٍ من بني مازنِ بنِ النجارِ ، عن أبي داودَ المازنيِّ - وكان شَهِيدَ بدرًا - قَالَ : إني لأَتَّبِعُ رجلاً من المشركين يومَ بدرٍ لأضربه ، إذ وَقَعَ رأسُه قبلَ أن يَصِلَ إليه سيفي ، فَعَرَفْتُ أن قد قتلَه غيري ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، قَالَ : قال محمدُ : ثني حسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، عن عِكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، قَالَ : قال أبو رافعٍ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ : كنتُ غُلامًا للعباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، [١١/١٨١] وكان الإسلامُ قد دَخَلنا أهلَ البيتِ ، فأسلمَ العباسُ ، وأسلمتْ أمُّ الفضلِ ، وأسلمتْ ، وكان العباسُ يَهَابُ قومَه ، ويكرهُ أن يُخالِفَهُم ، وكان يَكْتُمُ إسلامَه ، وكان ذا مالٍ كثيرٍ مُتَفَرِّقٍ في قومَه ، وكان أبو لهبٍ عدوُّ اللَّهِ قد تَخَلَّفَ عن بدرٍ ، وَبَعَثَ مكانَه العاصيَ بنَ هشامِ بنِ المغيرةِ ، وكذلك صَنَعُوا ؛ لم يَتَخَلَّفَ رجلٌ إلا بَعَثَ مكانَه رجلاً ، فلما جاء الخُبْرُ عن مُصابِ أصحابِ بدرٍ من قريشٍ ، كَتَبَهُ اللَّهُ / وأخزاه ، وَوَجَدْنَا في ٧٨/٤

= وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (٤٠٣) ، والبيهقي في الدلائل ٣/٥٢ ، من طريق ابن إسحاق به .

(١) سيرة ابن هشام ١/٦٣٤ ، وأخرجه الأصفهاني في الأغاني ٤/١٩٩ عن المصنف به ، وأخرجه الطبراني (١٢٠٨٥) من طريق الحكم به .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٦٣٣ ، وأخرجه المصنف في تاريخه ٣/٤٥٣ وعند الأصبهاني في الأغاني ٤/١٩٨ ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (٤٠٤) ، والبيهقي في الدلائل ٣/٥٦ من طريق ابن إسحاق به .

أنفسنا قوة وعزاً^(١) . قال : وكنث رجلاً ضعيفاً ، وكنث أعملُ القِداحِ ، أنحِثُها في حجرة زمزم ، فوالله إنى لجالسٌ فيها أنحِثُ القِداحِ وعندى أمُّ الفضلِ جالسةٌ ، وقد سَرَّنا ما جاءنا من الخبرِ ، إذ أقبلَ الفاسقُ أبو لهبٍ يَجُرُّ رجله بشراً ، حتى جلس على طُنبِ^(٢) الحجرِ ، فكان ظهره إلى ظهري ، فبينما هو جالسٌ إذ قال الناسُ : هذا أبو سفيانُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ قد قَدِمَ . قال : قال أبو لهبٍ : هَلُمَّ إلَيَّ يا ابنَ أخي ، فعندك^(٣) الخبرُ . قال : فجلسَ إليه ، والناسُ قيامٌ عليه ، فقال : يا ابنَ أخي ، أخبِرْني كيف كان أمرُ الناسِ ؟ قال : لا شيءَ والله ، إن كان إلا أن لقيناهم ، فمَنَحناهم أكتافنا ، يَقتلوننا ويأسروننا كيف شاءوا ، وإيُّ الله مع ذلك ما مُتُّ الناسَ ، لقينا رجلاً بيضاً على خيلٍ بُلقي^(٤) بينَ السماءِ والأرضِ ،^(٥) ما تُلَيِّقُ شيئاً^(٦) ، ولا يقومُ لها شيءٌ . قال أبو رافعٍ : فَرَفَعْتُ طُنبَ الحجرِ بيدي ، ثم قلتُ : تلك الملائكةُ^(٧) .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن محمدٍ ، قال : ثنى الحسنُ بنُ عمارَةَ ، عن الحكمِ بنِ عُتَيْبَةَ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان الذي أسرَ العباسَ أبو اليسرِ كعبُ بنُ عمرو أخو بني سَلَمَةَ ، وكان أبو اليسرِ رجلاً مجموعاً^(٨) ، وكان

(١) في ص ، ت ١ : «عنة» ، وفي م ، ت ٢ ، ت ٣ : «عونة» .

(٢) الطنب : جبل طويل يشد به البيت والسرادق ، وقيل الوتد ، والجمع : أطناب وطينة . اللسان (طنب) .

(٣) في ص ، ت ١ : « فعندي » .

(٤) بعده في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ما » . وتُلَيِّقُ الفرس : كان فيه سواد وبياض ، فهو أبلق جمعه بلق . اللسان

(بلق) .

(٥ - ٥) في م : « ما يليق لها شيء » ، وما تليق شيئاً . أى : ما تبقى شيئاً ، يقال : فلان ما يليق شيئاً من سخائه . أى : ما يُمَسِّك شيئاً . ينظر اللسان (ل ي ق) .

(٦) سيرة ابن هشام ١ / ٦٤٦ ، وأخرجه المصنف في التاريخ ٣ / ٤٦١ وعنه الأصفهاني في الأغاني ٤ / ٢٠٥ ،

وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٤ / ٧٣ ، والحاكم ٣ / ٣٢٣ من طريق ابن إسحاق به .

(٧) رجلاً مجموعاً : يراد به مجتمع الخلق لم يبسط ، كما يدل عليه سياق الأثر ، وينظر التاج (ج م ع) .

العباسُ رجلاً جسيماً ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ لأبي اليسرِ : « كيف أسرتَ العباسَ يا أبا اليسرِ ؟ ». قال : يا رسولَ اللهِ ، لقد أعاننى عليه رجلٌ ما رأيتهُ قبلَ ذلك ولا بعده ، هيئتهُ كذا وكذا . قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لقد أعانك عليه ملكٌ كريمٌ »^(١) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ . أمَدُّوا بالآفِ ، ثم صاروا ثلاثةَ آلافِ ، ثم صاروا خمسةَ آلافِ ، ﴿ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ وذلك يومَ بدرٍ ، أمَدَّهُم اللهُ بخمسةِ آلافٍ من الملائكةِ^(٢) .

حدَّثتُ عن عمَّارٍ ، عن ابنِ أبي جعفرٍ^(٣) ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنحوه^(٤) .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال ثنى عمى ،^(٥) قال : حدثنى أبى^(٥) ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ فى قوله : ﴿ يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ . فإنهم أتوا محمداً ﷺ مُسَوِّمِينَ^(٦) .

حدَّثنى محمدُ بنُ بشرٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال^(٧) ثنا سفيانُ ، [١١/١٨١ ظ] عن ابنِ خُثَيْمٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : لم تُقاتِلِ الملائكةُ إلا يومَ بدرٍ^(٨) .

(١) أخرجه المصنف فى التاريخ ٤٦٣/٢ ، وعنه الأصفهاني فى الأغاني ٢٠٦/٤ ، وأخرجه أبو نعيم فى

الدلائل (٤٠٢) من طريق سلمة به ، وأخرجه ابن سعد فى الطبقات ١٢/٤ من طريق مقسم به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم ٧٥٤/٣ (٤١٠٥) من طريق يزيد ، وعزاه السيوطى فى الدر ٦٩/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، وفى م : « نجيح » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥٢/٣ (٤٠٩٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥٤/٣ (٤١١٢) عن محمد بن سعد بأطول من هذا .

(٧ - ٧) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س .

(٨) تفسير مجاهد ص ٢٥٩ ، وأخرجه ابن أبى شيبه ٣٥٤/١٤ من طريق سفيان به .

وقال آخرون : إن الله عزّ وجلّ إنما وعدهم يومَ بدرٍ أن يُمدّهم إن صَبَرُوا عندَ طاعتهِ ، وجهادِ أعدائه ، واتَّقوه باجتنابِ محارمه ، أن يُمدّهم فى حروبهم كلّها ، فلم يَصْبِرُوا ، ولم يَتَّقُوا إلّا فى يومِ الأحزابِ ، فأمدّهم حينَ حاصروا قُرَيْظَةَ .

ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حدّثنى محمدُ بنُ عُمارَةَ الأَسَدِيّ ، قال : ثنا عبيدُ^(١) اللّهِ بنُ موسى ، قال : أخبرنا سليمانُ بنُ زيدٍ أبو إدام^(٢) الحُارِثِيّ ، عن عبدِ اللّهِ بنِ أبى أوفى ، قال : كُنَّا مُحَاصِرِي قُرَيْظَةَ والنضيرِ ما شاء اللّهُ أن نُحَاصِرَهُمْ ، فلم يُفْتَحْ عَلَيْنَا ، فرَجَعْنَا ،^(٣) فدعا رسولُ اللّهِ ﷺ بِغُسْلٍ ، فهو^(٤) يَغْسِلُ رَأْسَهُ ، إذ جاءه جبريلُ ﷺ / فقال : يا محمدُ ، وَضَعْتُمْ أَسْلِحَتَكُمْ ولم تَضَعِ الْمَلَائِكَةُ أَوْزَارَهَا ! فدعا رسولُ اللّهِ ﷺ بِخِرْقَةٍ ، فَلَفَّ بِهَا رَأْسَهُ ولم يَغْسِلْهُ ، ثم نادى فينا ، فقُمْنَا^(٥) كَالَّذِينَ مُعِينٌ لا نَعْبَأُ بِالسَّيْرِ شَيْئًا ، حتى أتينا قُرَيْظَةَ والنضيرِ ، فيومئذٍ أمدنا اللّهُ عزّ وجلّ بثلاثةِ آلافٍ من الملائكةِ ، وفتح اللّهُ لنا فَنَحَا يَسِيرًا ، فَأَنْقَلَبْنَا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللّهِ وَفَضْلٍ^(٥) .

٧٩/٤

وقال آخرون بنحو هذا المعنى ، غير أنهم قالوا : لم يَصْبِرِ القَوْمُ ، ولم يَتَّقُوا ، ولم يُمدّوا بشيءٍ فى أحدٍ .

(١) فى ص ، م : « عبد » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « آدم » . وينظر تهذيب الكمال ٤٣١/١١ .

(٣ - ٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فدعا رسول اللّهِ ﷺ فهو » ، وفى م : « فبينما رسول اللّهِ ﷺ فى بيته » . والغُسل والغُسل : الماء يَغْتَسَلُ بِهِ . وينظر اللسان (غ س ل) .

(٤ - ٤) فى م : « كالزمعين » .

(٥) ذكره البغوى فى تفسيره ١٠٠/٢ ، وعزاه السيوطى فى الخصائص الكبرى ٢٣٣/١ إلى المصنف .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : أخبرني عمرو بنُ دينارٍ ، عن عِكْرَمَةَ ، سَمِعْتُهُ ^(١) يَقُولُ : ﴿ بَلَّغْ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا ﴾ . قال : يومَ بدرٍ . قال : فلم يَصْبِرُوا ولم يَتَّقُوا ، فلم يُمِدُّوا يومَ أُحُدٍ ، ولو مُدُّوا لم يُهْزَمُوا يومئذٍ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن عمرو ابنِ دينارٍ ، قال : سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ يَقُولُ : لم يُمِدُّوا يومَ أُحُدٍ ولا بِمَلَكٍ واحدٍ . أو قال : إلا بِمَلَكٍ واحدٍ ^(٣) . أبو جعفرٍ يَشْكُ .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ قَوْلَهُ : ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ ﴾ إِلَى ﴿ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ . كان هذا مَوْعِدًا ^(٤) مِنَ اللَّهِ يَوْمَ أُحُدٍ ، عَرَضَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ اتَّقَوْا وَصَبَرُوا أَمَدَدْتُهُمْ ^(٥) بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ . فَفَرَّ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ أُحُدٍ وَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ ، فَلَمْ يُمِدَّهُمُ اللَّهُ ^(٦) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ بَلَّغْ إِن ﴾

(١) في ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س : « سمعه » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٩/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٢/٣ (٤٠٩٧) من طريق ابن عيينة باللفظ الأول : « ولا بملك واحد » . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٩/٢ إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) في ص : « موعودًا » .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س : « أمدهم » .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٢/٣ ، ٧٥٣ (٤٠٩٨) من طريق أبي معاذ به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٩/٢ إلى ابن المنذر .

تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا ﴿١﴾ الآية كلها ، قالوا الرسولِ اللهُ ﷺ وهم ينتظرون^(١) المشركين : يا رسول الله ، أليس يُمدُّنا اللهُ كما أمدَّنا يوم بدرٍ ؟ فقال رسولُ اللهُ ﷺ : ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِّنَ [١١/١٩] الْمَلَائِكَةِ مُزْلَيْنِ ﴾ ، وإنما أمدَّكم يوم بدرٍ بألفٍ . قال : فجاءت الزيادةُ من اللهِ على أن يَصْبِرُوا وَيَتَّقُوا . قال : بشرط أن ﴿ يَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ ﴾ الآية كلها^(٢) .

وأولى الأقوالِ في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله عزَّ وجلَّ أخبر عن نبيه محمدٍ ﷺ أنه قال للمؤمنين : ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾ ، فوعدهم ثلاثة آلاف من الملائكة ممدداً لهم ، ثم وَعدهم بعدَ الثلاثة الآلافِ خمسةَ آلافٍ إن صَبَرُوا لأعدائهم وَاتَّقُوا اللهُ ، ولا دلالةُ في الآية على أنهم أمدُّوا بالثلاثة الآلافِ ، ولا بالخمسة الآلافِ ، ولا على أنهم لم يُمدُّوا بهم .

وقد يجوزُ أن يكون اللهُ عزَّ وجلَّ أمدَّهم ، على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدَّهم . وقد يجوزُ أن يكونَ لم يُمدَّهم ، على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك ، ولا خبيرَ عندنا صحَّح من الوجه الذي يثبت أنهم أمدُّوا بالثلاثة الآلافِ ، ولا بالخمسة الآلافِ ، وغيرُ جائزٍ أن يقالَ في ذلك قولٌ إلا بخيرٍ تقومُ الحجَّةُ به ، ولا خبيرَ به كذلك ، فُتسلَّم لأحدِ الفريقين قوله ؛ غيرَ أن في القرآنِ دلالةٌ على أنهم قد أمدُّوا يوم بدرٍ بألفٍ من الملائكة ، / وذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴾ [الأنفال : ٩] . فأما في يوم أُحُدٍ ، فالدلالةُ على أنهم لم يُمدُّوا أيُّن منها في أنهم أمدُّوا ، وذلك أنهم لو أمدُّوا

٨٠/٤

(١) في م : « ينتظرون » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٩/٢ إلى المصنف .

لم يُهْزَمُوا، ويُنالُ منهم ما نِيلَ منهم .

فالصوابُ فيه من القولِ : أن يقالَ كما قال تعالى ذكره . وقد بيَّنا معنى الإمدادِ

فيما مضى ، والمددِ ، ومعنى الصبرِ والتقوى ^(١) .

وأما قوله : ﴿ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِم هَذَا ﴾ . فإن أهل التأويلِ اختلفوا فيه ؛ فقال

بعضُهم : معنى قوله : ﴿ مِّن فَوْرِهِم هَذَا ﴾ . مِن وَجْهِهِمْ هذا .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن عثمانِ بنِ غِيَاثٍ ، عن

عِكْرَمَةَ ، قال : ﴿ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِم هَذَا ﴾ . قال : مِن وَجْهِهِمْ هذا ^(٢) .

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مِّن فَوْرِهِم هَذَا ﴾ .

يقولُ : مِن وَجْهِهِمْ هذا .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن

قتادةَ مثله ^(٣) .

حدَّثني محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحَنْفِيُّ ، قال : ثنا عَبَّادٌ ، عن الحسنِ

في قوله : ﴿ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِم هَذَا ﴾ : مِن وَجْهِهِمْ هذا ^(٤) .

حدَّثتُ عن عَمَّارِ بنِ الحسنِ ، عن ابنِ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله :

(١) ينظر ما تقدم في ٢٣٧/١ - ٢٤٠، ٣١٨ - ٣٢٠، ٦١٧ .

(٢) أخرجه عبد بن حميد - كما في تعليق التعليق ١٨٨/٤ - من طريق عثمان بن غياث به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٠ .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٣/٣ عقب الأثر ٤١٠٣ معلقاً ، وذكره البغوي في تفسيره ١٠٠/٢ .

﴿ وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا ﴾ يقول : من وجههم هذا ^(١) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي قوله : ﴿ وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا ﴾ . يقول : من وجههم هذا ^(٢) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا ﴾ . يقول : من سفرهم [١٩/١١] هذا ويقال - يعني عن غير ابن عباس - : بل هو من غضبهم هذا ^(٣) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا ﴾ : من وجههم هذا ^(٤) .

وقال آخرون : معنى ذلك : من غضبهم هذا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة في قوله : ﴿ وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾ . قال : فَوْرُهُمْ ذلك كان يوم أُحُدٍ ، غَضِبُوا لِيَوْمِ بَدْرٍ مَّا لَقُوا ^(٥) .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك بن مغول ، قال : سمعتُ أبا صالح مولى أم هانئ يقول : ﴿ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا ﴾ . يقول : من

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٣/٣ عقب الأثر (٤١٠٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٣/٣ (٤١٠٣) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٣/٣ (٤١٠١) عن محمد بن سعد به .

(٤) ذكره الطوسي في التبيان ٥٨١ / ٢ ، والقرطبي في تفسيره ١٩٦ / ٤ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٩/٢ إلى المصنف . وينظر تفسير ابن أبي حاتم ٧٥٣/٣ عقب الأثر (٤١٠٢) .

عَضِبِهِمْ هَذَا^(١) .

أحدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، ٨١/٤
عن مجاهد في قوله : ﴿ وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا ﴾ . قال : عَضِبَتْ لَهُمْ - يعنى
الكفار - فلم يُقاتِلوهم عند تلك الساعة ، وذلك يوم أُحُد^(٢) .

أحدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ،
قال مجاهد : ﴿ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا ﴾ . قال : من غضبهم هذا^(٣) .

أحدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعتُ أبا معاذ ، قال : أخبرنا عُبيد بن
سليمان ، قال : سمعتُ الضحاک في قوله : ﴿ وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا ﴾ . يقول :
من وَجْهِهِمْ وغَضِبِهِمْ^(٣) .

وأصلُ الفَورِ ، ابتداءُ الأمرِ يُؤخَذُ^(٤) فيه ثم يُوصَلُ بآخر ، يقالُ منه : فارت
القدْرُ ، فهى تفورُ فَوْزًا وفَوْرَانًا . إذا ابتدأ ما فيها بالغليانِ ثم اتَّصل . ومَضِيَتْ إلى فلانٍ
من فَوْرِي ذلك . يُرادُ به : من وَجْهِهِ الذى ابتَدَأَتْ فيه .

فالذى قال فى هذه الآية : معنى قوله : ﴿ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا ﴾ : من وَجْهِهِمْ
هذا . فَصَدَّ إلى أن تأويله : ويأتيكم كُرْزُ بنِ جابرٍ وأصحابه يوم بدرٍ ، من ابتداءِ
مَخْرَجِهِم الذى خَرَجُوا منه ، لئِنَّصْرَةَ أصحابِهِم من المشركين .

وأما الذين قالوا : معنى ذلك : من غضبهم هذا ، فإنما عَنُوا أن تأويلَ ذلك :
ويأتيكم كفارُ قريشٍ وتبَاعَهُمْ يوم أُحُدٍ ، من ابتداءِ عَضِبِهِم الذى عَضِبُوهُ لقتلاهم

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٩/٢ إلى عبد بن حميد والمصنف .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٩ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٩/٢ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥٣/٣ عقب الأثر
(٤١٠٣) معلقًا .

(٤) فى ص ، م : « يوجد » . وأخذ فى الأمر : شرع فيه . الوسيط (أخ ذ) .

الذين قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ بِهَا .

﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ﴾ ، ولذلك من اختلافِ تأويلهم فى معنى قوله : ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِّنْ قَوْمِهِمْ هَذَا﴾ اختلف أهل التأويل فى إمدادِ اللهِ المؤمنين بأحدٍ بملائكته ؛ فقال بعضهم : لم يُمدِّوا بهم ؛ لأن المؤمنين لم يصيروا الأعدائهم ، ولم يتَّقوا اللهَ عزَّ وجلَّ بتركِ مَنْ ترك من الرِّمَّةِ طاعةَ رسولِ اللهِ ﷺ فى ثبوته فى الموضع الذى أمره رسولُ اللهِ ﷺ بالثبوتِ فيه ، ولكنهم أخلُّوا به ؛ طلب الغنائم فقتل من ^(١) قُتِل من ^(٢) المسلمين ، ونال المشركون منهم ما نالوا ^(٣) ، وإنما كان اللهُ عزَّ وجلَّ وَعَدَ نبيَّه ﷺ إمدادهم بهم إن صَبَرُوا وَاتَّقُوا اللهَ .

وأما الذين قالوا : كان ذلك يومَ بدرٍ بسببِ كُرْزِ بْنِ جَابِرٍ . فإن [٢٠/١١] وبعضهم قالوا : لم يأتِ كُرْزٌ وأصحابه إخوانهم من المشركين مَدَدًا لهم ببدرٍ ، ولم يُمدِّ اللهُ المؤمنين بملائكته ؛ لأن اللهَ عزَّ وجلَّ إنما وَعَدَهُمْ أن يُمدَّهُم بملائكته إن أتاهم كُرْزٌ ومَدَّدَ المشركين من قَوْمِهِمْ ، ولم يَأْتِهِم المَدَدُ .

وأما الذين قالوا : إن اللهَ تعالى ذكره ^(٣) قد كان ^(٤) أمدَّ المسلمين بالملائكة يومَ بدرٍ . فإنهم اعتلوا بقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿إِذْ تَسْتَفِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّدُكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال : ٩] .

قالوا ^(٤) : فالألفُ منهم قد أتاهم مَدَدًا ، وإنما الوعدُ الذى كانت فيه الشروطُ فيما زاد على الألفِ ، فأما الألفُ فقد كانوا أمدُّوا به ؛ لأن اللهَ عزَّ وجلَّ كان قد وَعَدَهُمْ ذلك ، ولن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) بعده فى الأصل ، ص ، ت ٢ : «منهم» .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) فى م : «قال» .

واختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾؛ فقرأ ذلك عامة قُرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
والكوفة: (مُسَوِّمِينَ) / بفتح الواو^(١)، بمعنى: أن الله سَوَّمَهَا .
وقرأ ذلك بعض قُرَاءَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو^(٢)،
بمعنى أن الملائكة سَوَّمَتْ أَنْفُسَهَا^(٣) .

٨٢/٤

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر «الواو»؛ لتظاھرِ
الأخبارِ عن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، «وأهلِ» التأويلِ منهم ومن التابعين
بعدهم، بأن الملائكة هي التي سَوَّمَتْ أَنْفُسَهَا، من غيرِ إضافةِ تَسْوِيمِهَا إِلَى اللهِ عَزَّ
وَجَلَّ، أو إلى غيره من خلقه .

ولا معنى لقول من قال: إنما كان يُختارُ الكسرُ في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ . لو
كان في البشرِ، فأما في الملائكة فوضفهم غير ذلك، ظناً منه بأن الملائكة غيرُ ممكن
فيها تَسْوِيمُ أَنْفُسِهَا إِمَّا كَانَ ذَلِكَ فِي الْبَشَرِ، وذلك أنه غيرُ مستحيل أن يكون اللهُ عزَّ
وجلَّ مَكَّنَهَا من تَسْوِيمِ أَنْفُسِهَا نَحْوُ^(٤) تَمَكِينِهِ الْبَشَرَ من تَسْوِيمِ أَنْفُسِهِمْ، فَسَوَّمُوا
أَنْفُسَهُمْ نَحْوُ^(٥) الَّذِي سَوَّمِ الْبَشَرَ، طلباً منها بذلك طاعةَ رَبِّهَا، فَأُضِيفَ تَسْوِيمُهَا
أَنْفُسِهَا إِلَيْهَا، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ تَسْبِيبِ اللهِ لَهُمْ أَسْبَابِهِ، وَهِيَ إِذَا كَانَتْ مَوْصُوفَةً
بِتَسْوِيمِهَا أَنْفُسَهَا؛ تَقَرَّبَتْ مِنْهَا إِلَى رَبِّهَا، كَانَ أَبْلَغَ فِي مَدْحِهَا، لِاخْتِيَارِهَا طَاعَةَ اللهِ،
من أن تكونَ مَوْصُوفَةً بِأَنَّ ذَلِكَ مَفْعُولٌ بِهَا .

(١) هي قراءة نافع وابن عامر وحزمة والكسائي . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٦ .

(٢) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٦ .

(٣) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «لنفسها» .

(٤) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س .

(٥ - ٥) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «فأهل» .

(٦) في م: «بحق» .

ذَكَرُ الْأَخْبَارِ بِمَا ذَكَرْنَا مِنْ إِضَافَةٍ مَنِ أَضَافَ التَّسْوِيمَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ دُونَ
إِضَافَةٍ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِمْ ، عَلَى نَحْوِ مَا قَلْنَا فِيهِ

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْبَةَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ عَوْنٍ ^(١) ، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ
إِسْحَاقَ ، قَالَ : إِنْ أَوَّلَ مَا كَانَ الصُّوفُ لِيَوْمَيْدٍ - يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : « تَسَوُّمُوا ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَتْ » ^(٢) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ غَسَّانَ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
الْغَسِيلِ ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي أُسَيْدٍ - وَكَانَ بَدْرِيًّا [٢٠/١١] فَكَانَ
يَقُولُ : لَوْ أَنَّ بَصْرَى مَعِيَ ^(٣) ، ثُمَّ ذَهَبْتُ مَعِيَ إِلَى الْأُحُدِ ، لِأَخْبَرْتُكُمْ بِالشَّعْبِ الَّذِي
خَرَجَتْ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ فِي عَمَائِمِ صُفْرِ ، قَدْ طَرَحُوهَا ^(٤) بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ ^(٥) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي
نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ . يَقُولُ :
مُعَلِّمِينَ ، مَجْرُوزَةٌ أَذْنَابُ خَيْلِهِمْ وَنَوَاصِيهَا ، فِيهَا الصُّوفُ أَوْ الْعِهْنُ ، وَذَلِكَ
التَّسْوِيمُ ^(٦) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا حَكَّامٌ ، عَنْ عُنْبَسَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ،
عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَرَّةَ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾

(١) فِي م : « عَوْف » .

(٢) أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سَنَتِهِ ٣١٠/٢ (٢٨٦١) ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٢٦١/١٢ ، ٢٦١/١٤ ، ٣٥٨/١٤ مِنْ طَرِيقِ
ابْنِ عَوْنٍ بِهِ .

(٣) فِي ص ، ت ٢ ، س : « حَرَحَ مِنْهُ » .

(٤) فِي س : « أَرْخُوهَا » .

(٥) عَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْشُورِ ٧٠/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

(٦) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ ص ٢٥٩ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٢٦١/١٢ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ بِهِ .

﴿مُسَوِّمِينَ﴾ . قال : مَجْرُوزَةٌ أَذْنَابُهَا وَأَعْرَافُهَا ، فِيهَا الصَّوْفُ أَوْ الْعِهْنُ ، فَذَلِكَ التَّسْوِيمُ .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ سَيِّمَاهُم يَوْمَئِذٍ الصَّوْفُ بِنَوَاصِي خِيْلِهِمْ وَأَذْنَابُهَا ، وَأَنَّهُمْ عَلَى خَيْلٍ بُلْقِيٍّ ^(١) .

/ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ ٨٣/٤ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ . قَالَ : كَانَ سَيِّمَاهَا صُوفًا فِي نَوَاصِيهَا ^(٢) .

حُدِّثَتْ عَنْ عَمَّارٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ . قَالَ : كَانَتْ خِيُولُهُمْ مَجْرُوزَةٌ الْأَعْرَافِ ، مُعَلَّمَةٌ نَوَاصِيهَا وَأَذْنَابُهَا بِالصَّوْفِ وَالْعِهْنِ ^(٣) .

حُدِّثَتْ عَنْ عَمَّارٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، كَانُوا يَوْمَئِذٍ عَلَى خَيْلٍ بُلْقِيٍّ ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرٌ ، عَنْ الضَّحَّاكِ وَبَعْضِ أَشْيَاخِنَا ، عَنِ الْحَسَنِ ، نَحْوَ حَدِيثِ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ^(٥) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أحمدُ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عَنْ الشَّدِيدِيِّ : ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ : مُعَلِّمِينَ ^(٦) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٠/٢ إلى عبد بن حميد والمصنف .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١٣٠/١ وفيه زيادة : « وأذناؤها » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٤/٣ (٤١٠٩) من طريق أبي جعفر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٠/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٠/٢ إلى المصنف .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور ١٠٨٩/٣ (٥٢٤) - تفسير من طريق جووير به بمعناه .

(٦) ذكره الطوسي في التبيان ٥٨٠/٢ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ : فَإِنَّهُمْ أَتَوْا مُحَمَّدًا النَّبِيَّ ﷺ مُسَوِّمِينَ بِالصُّوفِ ، فَسَوَّوْا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَنْفُسَهُمْ وَخِيَلَهُمْ عَلَى سِيْمَاهُمْ بِالصُّوفِ ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ يَمَانَ ، قَالَ : ثنا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ حَمْرَةَ ، قَالَ : نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي سِيْمَا الزَّبِيرِ ، عَلَيْهِمْ عِمَائِمُ صُفْرٌ ، وَكَانَتْ عِمَامَةُ الزَّبِيرِ صَفْرَاءً ^(٢) .

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرٌ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ . قَالَ : بِالصُّوفِ فِي نَوَاصِيهَا وَأَذْنَابِهَا .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، قَالَ : نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى خَيْلِ بُلْتِ ، عَلَيْهِمْ عِمَائِمُ صُفْرٌ ، وَكَانَ عَلَى الزَّبِيرِ يَوْمَئِذٍ عِمَامَةٌ صَفْرَاءً ^(٣) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوفِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَرِيكِ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ، أَنَّ الزَّبِيرَ كَانَتْ عَلَيْهِ مَلَأَةٌ صَفْرَاءٌ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَاعْتَمَّ بِهَا ؛ فَتَزَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٤/٣ (٤١١٢) عن محمد بن سعد به .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٥٣٠) ابن أبي شيبة ٢٦١/١٢ ، ٣٧٧/١٤ ، وأحمد في فضائل الصحابة (١٢٦٨) وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٥/٣ (٤١١٣) ، وابن عساكر في تاريخه ٣٥٤/١٨ من طريق هشام به بنحوه .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٣١ ، وأخرجه ابن سعد ١٠٣/٣ ، وأحمد في الفضائل (١٢٦٩) ، والطبراني (٢٣٠) ، وابن عساكر ٣٥٤/١٨ من طريق هشام عن أبيه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٠/٢ إلى عبد بن حميد ، ووقع في مصادر التخريج : هشام بن عروة عن أبيه .

[٢١/١١] مُغْتَمِّينَ بِعَمَائِمَ صُفْرٍ^(١) .

فهذه الأخبارُ التي ذكّرنا بعضها عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال لأصحابه: «تَسْوُمُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ تَسْوَمَتْ» . وقولُ أبي أُسَيْدٍ: خَرَجَتْ الْمَلَائِكَةُ فِي عَمَائِمِ صُفْرٍ قَدْ طَرَحُوهَا بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ . وقولُ مَنْ قال منهم: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ . مُعَلِّمِينَ . يُنْبِئُ جَمِيعُ ذَلِكَ عَنْ صِحَّةِ مَا اخْتَرْنَا مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ ، وَأَنَّ التَّسْوِيمَ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِأَنْفُسِهَا ، عَلَى نَحْوِ مَا قَلْنَا فِي ذَلِكَ فِيمَا مَضَى .

وأما الذين قرءوا ذلك: (مُسَوِّمِينَ) . بالفتح ، فإنهم أَرَاهِمُ تَأَوَّلُوا فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ ، قال : ثنا يزيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، عن عثمانِ بْنِ غِيَاثٍ ، عن عكرمةَ : (بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) . يقولُ : عليهم سيما القتالِ^(٢) . حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : (بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) . يقولُ : عليهم سيما القتالِ ، وذلك يومَ بدرٍ ، أمَدَّهُمُ اللهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ^(٣) .

^(٤) حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، عن ابنِ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾^(٤) . / يقولُ : عليهم سيما القتالِ . ٨٤/٤

فقالوا : كان سيما القتالِ عليهم ، لا أنهم كانوا تَسَوَّمُوا بسِيما فيُضَافُ إليهم التَّسْوِيمُ . فمن أجلِ ذلك قرءوا : (مُسَوِّمِينَ) . بمعنى أن اللهُ تعالى أضاف التَّسْوِيمَ إلى

(١) أخرجه ابن عساكر ٣٥٣/١٨ من طريق أحمد بن يحيى الصوفى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٠/٢ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٥٥/٣ عقب الأثر (٤١١٥) عن عكرمة معلقا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٠/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٧٥٥/٣ (٤١١٥) إلى قوله : «القتال» من غير هذا الطريق ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ٩٤/٢ . وأخرج ابن أبي حاتم باقيه فى ٧٥٤/٣ (٤١٠٥) من طريق يزيد به .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

مَنْ سَوَّمَهُمْ تِلْكَ السَّيِّمًا .

والسَّيِّمًا : العلامة ، يقال : هِيَ سَيِّمًا حَسَنَةً ، وَسَيِّمَاءُ حَسَنَةٌ . كما قال الشاعر^(١) :

عُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعًا لَهُ سَيِّمَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصْرِ
يعنى بذلك : علامةٌ مِنْ حُسْنٍ . فَإِذَا أَعْلَمَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ^(٢) بِعَلَامَةٍ يُعْرِفُ بِهَا فِي
حَرْبٍ أَوْ غَيْرِهَا ، قِيلَ : سَوَّمْ نَفْسَهُ . فَهُوَ يُسَوِّمُهَا تَسْوِيمًا .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ
بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (١٢٦) .

يعنى تعالى ذكره : وما جعل الله وعده إياكم ما وعدكم ، من إمداده إياكم
بالملائكة الذين ذكر عددهم ﴿ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ ﴾ . يعنى بُشْرَى يُبَشِّرُكُمْ بِهَا .
﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾ . يقول : وكى تَطْمَئِنَّ بوعده الذى وعدكم من ذلك
قلوبكم ، فتسكن إليه ، ولا تجزع من كثرة عددِ عدوكم ، وقلية عددكم . ﴿ وَمَا
النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . يعنى : وما ظفركم إن ظفرتم بعدوكم إلا بعون الله ، لا
مِنْ قَبْلِ الْمَدِدِ الَّذِي يَأْتِيكُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . يقول تعالى ذكره : فعلى الله فتوكلوا ، وبه
فاستعينوا ، لا بالجموع وكثرة العدد ، فَإِنَّ نَصْرَكُمْ إِنْ كَانَ ، إِنَّمَا يَكُونُ بِاللَّهِ وَبِعُونِهِ ،
و^(٣) معكم من ملائكته خمسة آلاف ، فإنه إلى أن يكون ذلك بعون الله وبتقويته
إياكم على عدوكم - وإن كان معكم من البشر جموع كثيرة - أخرى^(٤) ، فاتقوا
الله واصبروا على جهادِ عدوكم ، فإن الله ناصركم عليهم .

كما حدَّثنا محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، [٢١/١١ ظ] قال : ثنا

(١) تقدم فى ٢٧/٥ .

(٢) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) فى ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « غيره » .

(٤) فى م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أخرى » .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ ﴾ .
يقول : إنما جعلهم لتستبشروا بهم ، ولتطمئنوا إليهم . ولم يُقاتلوا معهم يومئذ - يعني
يوم أُحُدٍ - قال مجاهد : ولم يُقاتلوا معهم يومئذ ولا قبله ولا بعده ، إلا يوم بدر^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا
بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ ﴾ : لما أعرِف من ضعفكم ، وما النصر إلا
من^(٢) عندى بسلطاني وقدرتى^(٣) ، وذلك^(٤) أن العزَّ والحكم إلى^(٥) لا إلى أحدٍ
من خلقي^(٤) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ : لو شاء الله أن ينصركم بغير الملائكة فعل ، ﴿ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾^(٥) .

/ وأما معنى قوله : ﴿ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ . فإنه جل ثناؤه يعني : العزيز فى ٨٥/٤
انتقامه من أهل الكفر به بأيدى أوليائه من أهل طاعته ، الحكيم فى تدبيره لكم أيها
المؤمنون على أعدائكم من أهل الكفر ، وغير ذلك من أموره . يقول : فأبشروا أيها
المؤمنون بتدبيرى لكم على أعدائكم ، ونصرى إياكم عليهم ، إن أنتم أطعتمونى فيما
أمرتكم به ، وصبرتم لجهادِ عدوى وعدوكم .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٩ ، ومن طريقه أخرج بعضه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٦٣/٥ (٨٨٣٠) ،

(٨٨٣١) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٠/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢ - ٢) فى ت ٢ ، س : « عند الله وسلطانه وقدرته » .

(٣ - ٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « أن العز والحكمة التى » . وفى م : « أنى أعرِف الحكمة التى » . وفى س : «

أن العز والحكمة إلى » .

(٤) سيرة ابن هشام ١٠٨/٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٦٣/٥ من طريق سلمة به .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٠/٢ إلى المصنف .

القول في تأويل قوله: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ (١٢٧).

يعنى بذلك جل ثناؤه: ولقد نصركم الله ببدري؛ ليقطع طرفًا من الذين كفروا. ويعنى بالطرف الطائفة والنفر، يقول تعالى ذكره: ولقد نصركم الله ببدري كيمًا^(١) يهلك طائفة من الذين كفروا بالله ورسوله، فجحذوا وحدانية ربهم، ونبوة نبيهم محمد ﷺ.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾. فقطع الله يوم بدر طرفًا من الكفار، وقتل صناديدهم ورؤساءهم، وقادتهم في الشر^(٢).

حدثت عن عمّار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع نحوه^(٣).

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن، في قوله: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية كلها. قال: هذا يوم بدر، قطع الله طائفة منهم، وبقيت طائفة^(٤).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق^(٥): ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾. أى: ليقطع طرفًا من المشركين بقتل ينتقم به منهم^(٦).

(١) في م: « كما ».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٦/٣ (٤١٢٠) من طريق يزيد به.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٦/٣ بعد الأثر السابق من طريق عبد الله بن أبي جعفر به.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٧٥٥/٣ (٤١١٩) من طريق أبي بكر الحنفي به.

(٥ - ٥) سقط من: ص، م، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٦) سيرة ابن هشام ١٠٨/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم ٧٥٦/٣ (٤١٢٢) من طريق سلمة به.

وقال آخرون : بل معنى ذلك ، وما النصر إلا من عند الله ؛ ليقطع طرفاً من الذين كفروا . وقال : إنما عنى بذلك من قُتِلَ بأُحُدٍ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

[٢٢/١١] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ ، قَالَ : ذَكَرَ اللَّهُ قَتْلَى الْمُشْرِكِينَ - يَعْنِي بِأُحُدٍ - وَكَانُوا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، فَقَالَ : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . ثُمَّ ذَكَرَ الشَّهَدَاءَ فَقَالَ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ﴾ . الآية [آل عمران : ١٦٩] ^(١) .

وأما قوله : ﴿ أَوْ يَكْتُمُهُمْ ﴾ . فإنه يعنى بذلك : أَوْ يُخْزِيَهُمْ بِالْحَيَاةِ مِمَّا ^(٢) رَجَوَا مِنَ الظَّفَرِ بِكُمْ . وقد قيل : إن معنى قوله : ﴿ أَوْ يَكْتُمُهُمْ ﴾ : أَوْ يَضْرَعُهُمْ لوجوههم . ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ سَمِعَ الْعَرَبَ يَقُولُ : كَتَبَهُ اللَّهُ لوجِهِهِ ، بِمَعْنَى : صَرَعَهُ اللَّهُ .

فتأويلُ الكلامِ : ولقد نصرَكم اللهُ بيدِ ؛ لِيُهْلِكَ فَرِيقًا مِنَ الْكُفَّارِ بِالسَّيْفِ ، أَوْ يُخْزِيَهُمْ ، بِخَيْبَتِهِمْ مِمَّا طَمِعُوا فِيهِ مِنَ الظَّفَرِ بِكُمْ ، ﴿ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ . يقولُ : فَيَرْجِعُوا عَنْكُمْ خَائِبِينَ ، لَمْ يُصِيبُوا مِنْكُمْ شَيْئًا مِمَّا رَجَوَا أَنْ يَنَالُوهُ مِنْكُمْ .

/ كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : ﴿ أَوْ يَكْتُمُهُمْ ٨٦/٤ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ : أَوْ يَرُدُّهُمْ خَائِبِينَ . أَيْ ^(٣) : يَرْجِعُ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فَلاَ ^(٤) خَائِبِينَ ،

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٠/٢ إلى المصنف .

(٢) فى م : « بما » .

(٣) فى النسخ : « أو » ، والمثبت من مصدرى التخريج .

(٤) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س . وضرب عليه فى ص . والفعل : القوم المنهزمون ، من الفعل :

الكسر ، وهو مصدر سُمى به ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع . النهاية ٤٧٣/٣ .

لم يَنَالُوا شَيْئًا مَّا كَانُوا يَأْمَلُونَ ^(١) .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ أَوْ يَكْتَبُهُمْ ﴾ .
يقول : يُخْزِيهِمْ ﴿ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : ليقطع طرفاً من الذين كفروا ، أو يكتبهم ، أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم ، فإنهم ظالمون ، ليس لك من الأمر شيء . فقوله : ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ . منصوبٌ عطفاً على قوله : ﴿ أَوْ يَكْتَبُهُمْ ﴾ .

وقد يحتمل أن يكون تأويله : ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم . فيكون نصب ﴿ يَتُوبَ ﴾ بمعنى « أو » التى هى فى معنى « حتى » .

والقول الأول أولى بالصواب ؛ لأنه لا شيء من أمر الخلق إلى أحد سوى خالقهم قبل توبة الكفار وعقابهم ، وبعد ذلك .

وتأويل قوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ : ليس إليك يا محمد من أمر خلقى إلا أن تُنفذَ فيهم أمرى ، وتنتهى فيهم إلى طاعتى ، وإنما أمرهم إلى ، والقضاء فيهم بيدى دون غيرى ، أفضى فيهم ، وأحكم بالذى أشاء ، من التوبة على من كفر

(١) سيرة ابن هشام ١٠٨/٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥٦/٣ (٤١٢٣) من طريق سلمة به .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥٦/٣ عقب الأثر (٤١٢١) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥٦/٣ (٤١٢١) من طريق ابن أبى جعفر به .

بى وعصانى ، وخالف أمرى ، أو العذاب ؛ إما فى عاجل الدنيا بالقتل والتقىم المبيرة ، وإما فى آجل الآخرة ، بما أعددت لأهل الكفر بى .

كما حدثنا ابن حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم قال محمد ﷺ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ . أى : ليس لك من الحكمِ شىءٌ فى عبادى ، إلا ما أمرتُك به فيهم ، أو أتوبُ عليهم برحمتى ، فإن شئتُ فعلتُ ، أو أعذبهم [٢٢/١١ ظ] بذنوبهم ، ﴿ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ . أى : قد استحقوا ذلك بمعصيتهم إياى ^(١) .

وذكر أن الله عز وجل إنما أنزل هذه الآية على نبيّه محمد ﷺ ؛ لأنه لما أصابه بأحد ما أصابه من المشركين ، قال كالأيس لهم من الهدى ، أو من الإنابة إلى الحق : « كيف يُفْلِحُ ^(٢) قومٌ فعلوا هذا بنبيهم ؟ » .

ذكر الرواية التى وردت بذلك

حدثنا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا حُمَيْدٌ ، قال : قال أنس : قال النبي ﷺ يوم أُحُدٍ ، وكُسِرَت رِباعِيتهُ ، وشَجَّ ، فجعل يمسحُ عن وجهه الدم ، ويقول : « كيف يُفْلِحُ ^(٣) قومٌ خَصَّصُوا نبيهم بالدم ، وهو يدعُوهم إلى ربهم ؟ » . فأُنزِلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ^(٤) .

(١) سيرة ابن هشام ١٠٨/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٥٧/٣ ، ٧٥٨ ، (٤١٢٩) ، ٤١٣٠ ، (٤١٣١) من طريق سلمة به .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ : « يصلح » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « يصلح » .

(٤) أخرجه أحمد ٢١٣/٢٠ ، ٢١٤ ، ٣٦٤ ، (١٢٨٣١) ، (١٣٠٨٣) ، وابن ماجه (٤٠٢٧) ، والترمذى (٣٠٠٣) ، والنسائى (١١٠٧٧ - كبرى) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٨٩ ، والبعوى (٣٧٤٨) من طريق ابن حميد به .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي عَدَى ، عن حُمَيْدٍ ، عن أَنَسٍ ، عن النَّبِيِّ ﷺ بنحوه .^(١)

٨٧/٤ / حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، عن حُمَيْدِ الطَّوِيلِ ، عن أَنَسٍ ، عن النَّبِيِّ ﷺ بنحوه .^(٢)

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ طَلْحَةَ الْيَزْبُوعِيُّ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ ، عن حُمَيْدِ الطَّوِيلِ ، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قال رسولُ اللهِ ﷺ حينَ شُجِّ في جَبْهَتِهِ ، وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ : « لا يُفْلِحُ قَوْمٌ صَنَعُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ » . فأوحى اللهُ إليه : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾^(٣) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُليَّةَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عَوْنٍ ، عن الحسن : أن النَّبِيَّ ﷺ قال يومَ أُحُدٍ : « كيف يُفْلِحُ قَوْمٌ دَمَّوْا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وهو يَدْعُوهم إلى اللهِ عز وجل ؟ » . فنزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾^(٤) .

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُليَّةَ ، عن حُمَيْدٍ ، عن أَنَسٍ ، عن النَّبِيِّ ﷺ نحو ذلك .^(٥)

(١) أخرجه أحمد ٢٠٦/٣ (١٣١٦٠) عن ابن أبي عدى به .

(٢) أخرجه ابن سعد ٤٤/٢ ، وأحمد ٢٠/١٩ (١١٩٥٦) ، والترمذى (٣٠٠٢) وابن حبان (٦٥٧٤) ، وأبو يعلى (٣٧٣٨) من طريق هشيم به .

(٣) أخرجه الطحاوى فى المشكل (٥٧١) وابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥٦/٣ (٤١٢٤) من طريق أبى بكر بن عياش به .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٥) أخرجه النسائى فى الكبرى (١١٠٧٧) من طريق ابن عليه به .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ . ذُكِرَ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَنْزِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقَدْ جُرِحَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فِي وَجْهِهِ ، وَأُصِيبَ بَعْضُ رِبَاعِيَّتِهِ ، فَقَالَ - وَسَلَّمْتُ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ يَغْسِلُ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ - : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ ؟ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، عن مَطَرٍ ، عن قتادةَ ، قال أُصِيبَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ ، وَفُوقُ ^(٢) حَاجِبِهِ ، فَوَقَعَ ، وَعَلَيْهِ دِرْعَانٌ ، [٢٣/١١] وَالدَّمُ يَسِيلُ ، فَمَرَّ بِهِ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ ، فَأَجْلَسَهُ ، وَمَسَحَ الدَّمَ ^(٣) عَنْ وَجْهِهِ ، فَأَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ : « كَيْفَ يَقُومُ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ؟ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .

حَدَّثَتْ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَوْلُهُ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الْآيَةَ . قَالَ : قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَدْ شُجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَجْهِهِ ، وَأُصِيبَتْ رِبَاعِيَّتُهُ ، فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ أَدْمَوْا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَهُمْ يَدْعُونَهُ إِلَى الشَّيْطَانِ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى الضَّلَالَةِ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧١/٢ إلى المصنف .

(٢) في الأصل ، ص : « فوق » . والفرق : الفصل بين الشيعين ، وموضع المرفق من الرأس . وفوق الرأس : ما بين الجبين إلى الدائرة . وفرق الحاجب : لعله موضع افتراق الحاجبين . وينظر اللسان (ف ر ق) وسيأتي عن ابن عباس : « شج النبي ﷺ في فرق حاجبه » .

(٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

الجنة ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ ؟ . فَهَمَّ أَنْ يَدْعُوَ عَلَيْهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ . فَكَفَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ ^(١) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْحَتَفِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبَّادٌ ، عَنِ الْحَسَنِ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَيْسَ لَكَ / مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية كلها . قَالَ : جَاءَ أَبُو سَفِيَانَ مِنَ الْحَوْلِ غَضِبَانَ لِمَا صُنِعَ بِأَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقَاتَلَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ قِتَالًا شَدِيدًا ، حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ بَعْدَ الْأَسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَةً عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهَا قَدْ خَالَطَتْ غَضَبًا : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالْدَمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ؟ » . فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .

٨٨/٤

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رِبَاعِيَةَ النَّبِيِّ ﷺ أُصِيبَتْ يَوْمَ أُحُدٍ ، أَصَابَهَا عُثْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَسَجَّهَ فِي وَجْهِهِ ، وَكَانَ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ يَغْسِلُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الدَّمَ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ صَنَعُوا بِنَبِيِّهِمْ هَذَا ؟ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، وَعَنْ عَثْمَانَ الْجَزْرِيِّ ، عَنِ مِقْسَمٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا عَلَى عُثْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ كَسَرَ رِبَاعِيَّتَهُ ، وَوُثِّقَ ^(٣) وَجْهَهُ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ لَا تُحِلِّ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧١/٢ إلى المصنف .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٣١ ، وأخرجه ابن سعد ٤٥/٢ من طريق معمر به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور

٧١/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) الوثق : الضرب حتى يرهص الجلد واللحم ويصل الضرب إلى العظم من غير أن ينكسر . اللسان (وثق) .

عليه الحول حتى يموت كافراً» . [٢٣/١١ظ] قال : فما حال عليه الحول حتى مات كافراً^(١) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : شجَّ النبي ﷺ في فزقِ حاجبه ، وكسرت رباعيته . قال ابن جريج : ذكِر لنا أنه لما جرح ، جعل سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه ، ورسولُ الله ﷺ يقول : « كيف يُفْلِح قومٌ خَضَبُوا وَجْهَ نبيِّهم بالدم وهو يدعُوهم إلى الله » . فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ؛ لأنه دعا على قوم ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ .

ذكر الرواية بذلك

حدَّثني يحيى بن حبيب بن عربي ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ كان يدعو على أربعة نفر ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ . قال : وهداهم الله للإسلام^(٢) .

حدَّثني أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا أحمد بن بشير^(٣) ، عن عمر بن حمزة ، عن سالم ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم العن أبا سفيان ،

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٣١ ، وفي مصنفه (٩٦٤٩) ، ومن طريقه النحاس في ناسخه ص ٢٨٩ ، والبيهقي في الدلائل ٢٦٥/٣ .

(٢) أخرجه أحمد ١٠/٧٦ (٥٨١٣) ، والترمذي (٣٠٠٥) ، وابن خزيمة (٦٢٣) ، وابن حبان (١٩٨٨) من طريق ابن حبيب به . وأخرجه أحمد ١٠/٧٥ (٥٨١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٥٧ (٤١٢٨) من طريق خالد بن الحارث به ، وأخرجه الطحاوي في المشكل (٥٦٨) من طريق ابن عجلان به .

(٣) في ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « سفيان » . ينظر تهذيب الكمال ١/٢٧٣ .

اللَّهُمَّ الْعَنْ الْحَارِثَ / بَنَ هِشَامٍ ، اللَّهُمَّ الْعَنْ صَفْوَانَ بَنَ أُمَيَّةَ . فنزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾^(١) .

٨٩/٤

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عيثاش بن أبي ربيعة ، عن عبد الله بن كعب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، قال : صلى رسول الله ﷺ الفجر ، فلما رفع رأسه من الركعة الثانية ، قال : « اللهم أنج عيثاش بن أبي ربيعة ، وسلمة بن هشام ، والوليد بن الوليد ، اللهم أنج المستضعفين من المسلمين ، اللهم اشد وطأتك على مضر ، اللهم سنين كسنين آل يوسف » . فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ . الآية^(٢) .

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، أخبره عن سعيد بن المسيب ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، أنهما سمعا أبا هريرة يقول : كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ في صلاة الفجر من القراءة ، ويكبر ويرفع رأسه : « سَمِعَ اللَّهُ لَنْ حَمْدِهِ ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ » . ثم يقول وهو قائم : « اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعيثاش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم كسني يوسف ، اللهم العن لحيان ورغلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله » . ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل عليه : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنْ [١١/٢٤و] الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾^(٣) .

(١) أخرجه الترمذی (٣٠٠٤) عن أبي السائب به ، وأخرجه أحمد ٤٨٦/٩ (٥٦٧٤) من طريق عمر بن حمزة به . وأخرجه البخاری (٤٠٦٩) من طريق سالم بنحوه .

(٢) أخرجه الطحاوي ٢٤٢/١ وفي المشكل (٥٦٩) من طريق ابن إسحاق به .

(٣) أخرجه المصنف في تهذيب الآثار مسند ابن عباس ٣٢٣/١ (٥٣٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٧/٣ (٤١٢٦) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١/٢٤١ ، وأبو عوانة ٢/٢٨٠ والنحاس في ناسخه ص ٩٠ =

القول في تأويل قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٩).

يعنى بذلك تعالى ذكره: ليس لك يا محمد من الأمر شيء، ولله جميع ما بين أقطار السموات والأرض من مشرق الشمس إلى مغربها، دونك ودونهم، يحكم فيهم بما شاء، ويقضى فيهم ما أحب، فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمره ونهيه، ثم يغفر له، ويعاقب من شاء منهم على جرمه، فينتقم منه، وهو الغفور، الذى يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه، بتفضيله^(١) عليهم بالغفر والصفح، والرحيم بهم فى تزكيتهم عاجلاً على عظيم ما يأتون من المآثم.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. أى يغفر الذنوب، ويرحم العباد على ما فيهم^(٢).

القول في تأويل قوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٣٠).

/ يعنى بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تأكلوا الربا فى ٩٠/٤ إسلامكم، بعد إذ هداكم له، كما كنتم تأكلونه فى جاهليتكم. وكان أكلهم ذلك فى جاهليتهم، أن الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال إلى أجل، فإذا حلّ الأجل طلبه من صاحبه، فيقول له الذى عليه المال: أخز عنى دينك، وأزيدك على مالك. فيفعلان ذلك، فذلك هو الربا أضعافاً مضاعفةً، فنهاهم الله عز وجل فى إسلامهم عنه.

= عن يونس بن عبد الأعلى به. وأخرجه مسلم (٢٩٤/٦٧٥)، وابن حبان (١٩٧٢)، والبيهقى ١٩٧/٢ من طريق ابن وهب به. وأخرجه أحمد ٤٣١/١٢ (٧٤٦٥)، والبخارى ٤٧/٦ (٤٥٦٠)، وابن خزيمة (٦١٩)، وأبو عوانة ٢٨٠/٢، والطحاوى ٢٤٢/١ وغيرهم من طريق الزهري به.

(١) فى ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «بفضله».

(٢) سيرة ابن هشام ١٠٨/٢، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥٨/٣ (٤١٣٦، ٤١٣٧) من طريق سلمة به.

(تفسير الطبرى ٤/٦)

كما حدثنا محمد بن بشار^(١) ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : كانت ثقيف تدأين في بني المغيرة في الجاهلية ، فإذا حلَّ الأجلُ قالوا : نزيدكم وتوخرون . فنزلت : ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ . أى : لا تأكلوا في الإسلام ، إذا هداكم الله له ، ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ، مما لا يحلُّ لكم في دينكم^(٢) .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ . قال : ربا الجاهلية^(٣) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعتُ ابن زيد يقول في قوله : [٢٤/١١] ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ . قال : كان أبى يقول : إنما كان الرِّبا في الجاهلية في التضعيف وفي السنن ، يكون للرجل فضل دين ، فيأتيه إذا حلَّ الأجل ، فيقول له : ^(٤) تقضى أو تُرَبَّى ؟ فإن كان عنده شيء يُقضىه قضى ، وإلا حوِّله إلى السنن التي فوق ذلك ، إن كانت ابنة مخاض جعلها ابنة لبون في السنة الثانية ، ثم حِقَّة ، ثم جدعة ، ثم رباعيا ، ثم هكذا إلى فوق . وفي العين ، يأتيه ، فإن لم يكن عنده أضغفه في العام القابل ، فإن لم يكن عنده أضغفه أيضا ، تكون مائة ،

(١) في ص ، م ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « سنان » . وهو تصحيف .

(٢) سيرة ابن هشام ١٠٩/٢ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٩ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٩/٣ (٤١٣٩) من طريق ابن أبي نجيح به .

(٤ - ٤) في ص ، ١ ، ٢ ، س : « تقضى أو تردنى » ، وفي م ، ٣ : « تقضىنى أو تردنى » .

فيجعلها إلى قابلٍ مائتين ، فإن لم يكنْ عنده جعلها^(١) أربعمائة ، يُضِعُّهَا له كلَّ سنةٍ ، أو يُقْضِيه . قال : فهذا قوله : ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ .

وأما قوله : ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . فإنه يعني : واتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا المؤمنون في أمرِ الربا فلا تأكلوه ، وفي غيره مما أمركم به ، أو نهاكم عنه ، وأطيعوه فيه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . يقول : لتنجحوا فتنجوا من عقابه ، وتُدْرِكوا ما رَغِبْتُمْ فيه من ثوابه ، والخلود في جنانه .

كما حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاق : ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . أى : فأطيعوا اللَّهَ لعلكم أن تنجوا مما حذركم من عذابه ، وتُدْرِكوا ما رَغِبْتُمْ فيه من ثوابه^(٢) .

القول في تأويلِ قوله : ﴿ وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره للمؤمنين : واتقوا أَيُّهَا المؤمنون النارَ - أن تضلَّوها بأكلِكُمْ الربا ، بعدَ نهْيي إياكم عنه - التي أُعِدَّتْ لها لمن كَفَرَ بي ، فتدخلوا مداخلهم^(٣) - بعدَ إيمانِكُمْ بي - بخلافِكُمْ أمرى ، وتزكِّكُم طاعتي .

/ كما حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاق : ﴿ وَأَتَّقُوا النَّارَ ۙ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ . أى : التي جُعِلَتْ دارًا لمن كَفَرَ بي^(٤) .

القول في تأويلِ قوله : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : وأطيعوا اللَّهَ أَيُّهَا المؤمنون فيما نهاكم عنه من أكلِ الربا

(١) في الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « جعله » .

(٢) سيرة ابن هشام ١٠٩/٢ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦٠/٣ (٤١٤٦) من طريق سلمة به .

(٣) في ص : « مدخلهم » .

(٤) سيرة ابن هشام ١٠٩/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦٠/٣ (٤١٥٠) من طريق سلمة به .

وغيره من الأشياء، وفيما «أمركم به . ﴿وَالرَّسُولَ﴾^(١) . يقول : وأطيعوا الرسولَ أيضًا كذلك . ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ . يقول : لئُرْحَمُوا فلا تُعَذَّبوا .

وقد قيل : إن ذلك مُعَاتِبَةٌ من الله عزَّ وجلَّ أصحابِ رسولِ الله ﷺ الذين خالفوا أمره يوم أُحُدٍ ، فأحلُّوا بما كرههم التي أمروا بالثباتِ عليها .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ [٢٥/١١ و]

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إِسْحاقَ : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ : مُعَاتِبَةٌ لِلَّذِينَ عَصَوْا رَسُولَهُ ﷺ حِينَ أَمَرَهُمْ بِمَا^(٢) أَمَرَهُمْ بِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي غَيْرِهِ^(٣) . يعني في يومِ أُحُدٍ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤) .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿وَسَارِعُوا﴾ : وبادروا وسابقوا ﴿إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ . يعنى : إلى ما يسترُّ عليكم ذنوبكم من رحمته ، وما يُعْطِيها عليكم من عَفْوِهِ عن عُقُوبَتِكُمْ عَلَيْهَا ، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ . يعنى : وسارِعوا أيضًا إلى جنةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ . ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ : وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ ، إِذَا ضُمَّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قال : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضَلِ قال : ثنا أسباط ، عن

(١ - ١) في م : «أمركم به الرسول» .

(٢) في ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س . «مما» ، وفي م : «بالذى» .

(٣) سيرة ابن هشام ١٠٩/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦١/٣ (٤١٥٢) من طريق سلمة به .

الشَّدَى : ﴿ وَجَتَّ عَرْضَهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ . قال : قال ابن عباس : تُقْرَنُ
السماءات السبع والأرضون السبع ، كما تُقْرَنُ الثياب بعضها إلى بعض ، فذاك
عرض الجنة^(١) .

وإنما قيل : ﴿ وَجَتَّ عَرْضَهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ . فوصف عرضها
بالسماوات السبع^(٢) والأرضين^(٣) السبع^(٤) ، والمعنى ما وصفنا من وصف عرضها
بعرض السماوات والأرض ، تشبيهاً به في السعة والعظم ، كما قيل : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ
وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً ﴾ [لقمان : ٢٨] . يعنى إلا كبعث نفس واحدة .
وكما قال الشاعر^(٥) :

كَأَنَّ عَذِيرَهُمْ^(٥) بِجُتُوبِ سِلَى^(٦) نَعَامٍ قَاقٍ^(٧) فِي بَلَدٍ قِفَارٍ
أى عذير نعام . وكما قال الآخر^(٨) :

/ حَسِبْتَ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا / وما هي وَيَبَ غَيْرِكَ بِالْعَنَاقِ ٩٢/٤
يريد صوت عَنَاقٍ .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٢/٢ إلى المصنف .

(٢) سقط من : ص ، م .

(٣) فى الأصل ، ص : « الأرض » .

(٤) نسبه سيويه والأعلم وابن منظور فى اللسان إلى النابغة الجعدى ، ونسبه ياقوت فى معجم البلدان وابن
برى - كما نقله عنه فى اللسان - إلى شقيق بن جزء الباهلى .

والبيت فى الكتاب ١/ ٢١٤ ، والكامل ٣/ ٣٢٢ ، ونكت الأعلام ١/ ٣١٣ ، واللسان (س ل ل ، ق و

ق) ، وشعر النابغة الجعدى ص ٢٤٢ ، ومعجم البلدان ٣/ ١٠٩ ، ١١٠ .

(٥) فى الكامل واللسان (ق و ق) : « عذيرهم » بالعين المعجمة والذال المهملة على الجمع ، وفى معجم
البلدان « عذيرها » والعذير : الحال ، أراد : عذير نعام ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وزعم الأعلام
أن العذير هنا الصوت .

(٦) سلى ، بكسر أوله وتشديد ثانيه وقصر الألف : ماء لبني ضبة باليمامة . معجم البلدان ٣/ ١٠٩ .

(٧) قاق النعام : صوت . اللسان (ق و ق) .

(٨) تقدم فى ٢/ ٢٦٥ ، ٥٩١ ، ٣/ ٧٦ .

وقد ذُكر أن رسول الله ﷺ سُئِلَ فقيل له : هذه الجنة عرضُها ^(١) السماوات والأرض ، فأين النار ؟ فقال : « هذا النهار إذا جاء ، أين الليل ؟ » .

ذِكْرُ الْأَخْبَارِ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغَيْرِهِ

حدّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني مسلم بن خالد ، عن ابن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشد ، ^(٢) عن يعلى بن مَرَّة ^(٣) ، قال : لَقِيْتُ التَّنُوخِيَّ رَسُولَ هِرَقْلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحِمَصَ شَيْخًا كَبِيرًا ، قَدْ فَنِدَ ^(٤) ، قال : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِكِتَابِ هِرَقْلَ ، فَنَاوَلَ الصَّحِيفَةَ رَجُلًا عَنْ يَسَارِهِ . قال : قلت : مَنْ صَاحِبُكُمْ الَّذِي يَقْرَأُ ؟ قالوا : معاوية ، فإذا ^(٥) كتابُ صاحبي ^(٤) : إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض ^(٥) فأين النار ؟ [ظ ٢٥/١١] فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله ! فأين الليل إذا جاء النهار ؟ » ^(٦) .

(١) بعده في الأصل : « كمثل » .

(٢ - ٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يعلى بن أبي مرة » . وهو يعلى بن مرة الثقفي يروى عنه سعيد بن أبي راشد . وسقط هذا الراوى من مسند الإمام أحمد حيث ساقه من قول سعيد بن أبي راشد . وسعيد بن أبي راشد هذا يروى عن يعلى وعن التنوخى مباشرة كما فى تهذيب الكمال ٤٢٦ / ١٠ . ورأى الشيخ شاکر أن ذكر يعلى مقحم فى هذا السند . ونقله ابن كثير فى تفسيره عن الطبرى كالذى هنا . فالله أعلم . وينظر تفسير الطبرى بتحقيق الشيخ شاکر ٢٠٩ / ٧ - ٢١١ .

(٣) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « مد » . وفى م : « أقعد » . وعند ابن كثير : « فسد » . وصوبناه من لفظ المسند : « بلغ الفند » . والفند بالتحريك : الحرف وإنكار العقل لهمم أو مرض . التاج (ف ن د) .

(٤ - ٥) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « كان » ، وفى م : « هو » . والمثبت من المسند وتفسير ابن كثير .

(٥) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أعدت للمتقين » .

(٦) أخرجه أحمد ٤١٦ / ٢٤ - ٤١٩ (١٥٦٥٥) ، وابن زنجويه فى الأموال (١٠٤) ، وعبد الله بن أحمد فى

الزوائد ٢٧ / ٢٤٢ - ٢٤٥ (١٦٦٩٣ ، ١٦٦٩٤) ، وأبو يعلى (١٥٩٧) من طريق عبد الله بن عثمان بن

خثيم به بدون ذكر يعلى .

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهديٍّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن قيسِ بنِ مسلمٍ ، عن طارقِ بنِ شهابٍ ، أن ناسًا من اليهودِ سألوا عمرَ بنَ الخطابِ ، عن جنَّةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ ، أين النارُ؟ قال : رأيتمُ إذا جاء الليلُ أين يكونُ النهارُ؟ فقالوا : اللهمَّ نَزَعْتَ بِمِثْلِهِ ^(١) من التوراةِ ^(٢) .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةٌ ، عن قيسِ ابنِ مسلمٍ ، عن طارقِ بنِ شهابٍ : أن عمرَ أتاه ثلاثةُ نَفَرٍ من أهلِ نَجْرَانَ ، فسألوه ، وعندهَ أصحابُه ، فقالوا : رأيتهُ قوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ . فأين النارُ؟ فأحجم الناسُ ، فقال عمرُ : رأيتمُ إذا جاء الليلُ ، أين يكونُ النهارُ؟ وإذا جاء النهارُ ، أين يكونُ الليلُ؟ فقالوا : لقد نَزَعْتَ مثلها من التوراةِ ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : وأخبرنا شعبةٌ ، عن إبراهيمَ ^(٤) بنِ مُهاجِرٍ ، عن طارقِ بنِ شهابٍ ، عن عمرَ ، بنحوه في الثلاثةِ الرَّهْطِ الذين أتوا عمرَ ، فسألوه عن جنَّةٍ عرضُها كعرضِ السماواتِ والأرضِ ، بمثلِ حديثِ قيسِ بنِ مسلمٍ .

حدَّثنا مجاهدُ بنُ موسى ، قال : ثنا جعفرُ بنُ عونٍ ، قال : أخبرنا الأعمشُ ، عن قيسِ بنِ مسلمٍ ، عن طارقِ بنِ شهابٍ ، قال : جاء رجلٌ من اليهودِ إلى عمرَ ، فقال : تقولون : جنَّةٌ عرضُها السماواتُ والأرضُ ، أين تكونُ النارُ؟ فقال له عمرُ : رأيتهُ النهارَ إذا جاء ، أين يكونُ الليلُ؟ رأيتهُ الليلَ إذا جاء ، أين يكونُ النهارُ؟ فقال : إنه

(١) في م : « مثله » . ونزعت بمثله ، يعنى : جئت بما يشبهها . ينظر النهاية ٥ / ٤١ .

(٢) ذكره بن كثير في تفسيره ٩٩/٢ عن سفيان ، وعزاه السيوطى فى الدرر ٧٢/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٩٩/٢ نقلا عن المصنف من طريق شعبة .

(٤) فى م : « ابن إبراهيم » . وينظر تهذيب الكمال ٢ / ٢١١ .

مَثَلُهَا فِي التَّوْرَةِ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : لِمَ أَخْبَرْتَهُ ؟ فَقَالَ ^(١) لَهُ صَاحِبُهُ : دَعَا إِيَّاهُ بِكُلِّ مُؤَقِّنٍ ^(٢) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو نَعِيمٍ ، قَالَ : ثنا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ ^(٣) ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : تَقُولُونَ : جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، فَأَيْنَ النَّارُ ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَرَأَيْتَ اللَّيْلَ إِذَا جَاءَ ، أَيْنَ يَكُونُ النَّهَارُ ؟ وَإِذَا جَاءَ النَّهَارُ ، أَيْنَ يَكُونُ اللَّيْلُ ؟ ^(٤) .

/ وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ^(٥) وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ ، فَأَطَاعُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ ، فَلَمْ يَتَّعَدُوا حُدُودَهُ ، وَلَمْ يُقَصِّرُوا فِي وَاجِبِ حَقِّهِ عَلَيْهِمْ ، فَيُضَيِّعُوهُ .

كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . أَيْ : ذَلِكَ ^(٥) لِمَنْ أَطَاعَنِي ، وَأَطَاعَ رَسُولِي ^(٦) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظَّيْمِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٧) .

(١ - ١) ليس في : الأصل .

(٢) ذكره بن كثير في تفسيره ٩٩/٢ نقلا عن المصنف من طريق الأعمش .

(٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٩٩/٢ نقلا عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/٢ إلى عبد بن حميد والمصنف .

(٥) في سيرة ابن هشام وتفسير ابن أبي حاتم : « دَارًا » .

(٦) سيرة ابن هشام ١٠٩/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦٢/٣ (٤١٦٠) من طريق سلمة به .

[٢٦/١١] يعنى جلّ ثناؤه بقوله : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ :
أَعِدَّتِ الْجَنَّةُ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لِلْمُنْتَقِينَ ، وَهُمْ الْمُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ، إِمَّا فِي صَرْفِهِ عَلَى مُحْتَاجٍ ، وَإِمَّا فِي تَقْوِيَةٍ مُضْعِفٍ ^(١) ، عَلَى النَّهْوِضِ
لِجِهَادِ عَدُوِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ فِي السَّرَّاءِ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : فِي حَالِ السَّرْوَرِ بِكَثْرَةِ الْمَالِ ، وَرِخَاءِ
الْعَيْشِ .

وَالسَّرَّاءُ مُصَدَّرٌ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : سَرَرَنِي هَذَا الْأَمْرُ مَسْرَرَةً وَسُرُورًا .

وَالضَّرَّاءُ مُصَدَّرٌ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : قَدْ ضُرَّ فُلَانٌ فَهُوَ يُضَرُّ . إِذَا أَصَابَهُ الضَّرُّ ، وَذَلِكَ
إِذَا أَصَابَهُ الضَّيْقُ وَالْجَهْدُ فِي عَيْشِهِ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِّي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ . يَقُولُ : فِي الْعَسْرِ
وَالْيَسْرِ ^(٢) .

فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي وَصَفَ صِفَتَهَا لِمَنْ اتَّقَاهُ ، وَأَنْفَقَ مَالَهُ فِي حَالِ
الرِّخَاءِ ^(٣) وَالسَّعَةِ ، وَفِي حَالِ الضَّيْقِ وَالشَّدَةِ ، فِي سَبِيلِهِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظِ ﴾ . يَعْنِي : وَالْجَارِعِينَ الْغَيْظَ عِنْدَ امْتِلَاءِ نَفْسِهِمْ
مِنْهُ ، يُقَالُ مِنْهُ : كَظَمَ فُلَانٌ غَيْظَهُ . إِذَا تَجَرَّعَهُ ، فَحَفِظَ نَفْسَهُ مِنْ أَنْ تُمَضِّيَ مَا هِيَ
قَادِرَةٌ عَلَى إِمضَائِهِ ، بِاسْتِشْفَائِهَا ^(٤) مِنْ غَاظِهَا ، وَانْتِصَارِهَا مِنْ ظَلَمِهَا .

(١) أضعف فلان : ضعفت دابته ، يقال : هو ضعيف مضعف . فالضعيف في بدنه ، والمضعف في دابته .
التاج (ض ع ف) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦٢/٣ (٤١٦٢) عن محمد بن سعد به ، وليس فيه : « واليسر » .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، س : « الرضا » .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « باستشفائها » .

وأصل ذلك ، من كَظَمِ القِرْبَةَ ، يقالُ منه : كَظَمْتُ القِرْبَةَ ^(١) . إذا ملأته ماءً ، وفلانٌ كَظِيمٌ ومَكْظُومٌ . إذا كان مُتَمَلِّئًا غَمًّا وحُزْنًا ، ومنه قولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٨٤] . يعنى : فهو ^(٢) مُتَمَلِّئٌ مِنَ الْحُزَنِ . ومنه قيل لِمَجَارِي الْمَاءِ ^(٣) : الكَظَائِمُ . لامتلائها بالماءِ ، ومنه قيل : أخذتُ بِكَظِيمِهِ . يعنى بِمَجَارِي نَفْسِهِ .

وَالغَيْظُ ، مصدرٌ ، من قولِ القائلِ : غاظنِي فلانٌ ، فهو يَغِيظُنِي غَيْظًا . وذلك إذا أَحْفَظَهُ ^(٤) وَأَغْضَبَهُ .

وأما قولُهُ : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ . فإنه يعنى : والصَافِحِينَ عَنِ النَّاسِ عقوبةً ذنوبِهِم إليهِم ، وهم على الانتقامِ منهم قَادِرُونَ ، فَتَارِكِيهَا ^(٥) لَهُم .

وأما قولُهُ : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . فإنه يعنى : فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ عَمِلَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ ، التى وَصَفَ أَنَّهُ أَعَدَّ لِلْعَامِلِينَ بِهَا الْجَنَّةَ ، التى عَرَضَهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَالْعَامِلُونَ بِهَا هُمُ الْمُحْسِنُونَ ، وَإِحْسَانُهُمْ هُوَ عَمَلُهُمْ بِهَا .

/ كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلْمَةُ ، عن ابْنِ إِسْحَاقَ : ﴿ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّيِّئَاتِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ الآية إلى ^(٦) : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . أى : وذلك الإِحْسَانُ ، وَأَنَا أَحِبُّ مَنْ عَمِلَ بِهِ ^(٦) .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، [٢٦/١١ ظ] قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سَعِيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ الَّذِينَ

(١) فى ص : « القرية » .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « المياه » .

(٤) يقال : أَحْفَظُهُ فاحْتَفَظَ ، يعنى أَغْضَبُهُ فغَضِبَ . اللسان (ح ف ظ) .

(٥) فى م : « فتاركوها » .

(٦) سيرة ابن هشام ١٠٩/٢ .

يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظَيْبِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ : قَوْمٌ أَنْفَقُوا فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ ، وَالْجَهْدِ وَالرِّخَاءِ . فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ
 يَغْلِبَ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ فَلْيَفْعَلْ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَنِعِمَّتْ وَاللَّهُ يَا بَنَ آدَمَ ، الْجَزَعَةَ تَجْتَرِعُهَا
 مِنْ صَبْرٍ ، وَأَنْتَ مَغِيظٌ ، وَأَنْتَ مَظْلُومٌ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ ، قَالَ : ثنا مُحَرَّرُ أَبُو
 رَجَاءٍ ، عَنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : لِيَقْمَ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ أَجْرٌ . فَمَا يَقُومُ
 إِلَّا إِنْسَانٌ عَفَا ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا دَاوُدُ بْنُ قَيْسٍ ،
 عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ الْجَلِيلِ . عَنْ عَمِّ لَهُ ، عَنْ
 أَبِي هُرَيْرَةَ فِي قَوْلِهِ جَل وَعَز : ﴿ وَالْكُظَيْبِ الْغَيْظِ ^(٢) ﴾ . أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ
 كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَازِهِ ، مَلَأَهُ اللَّهُ أُمْنًا وَإِيمَانًا » ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِّي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ
 أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ جَل وَعَز : ﴿ وَالْكُظَيْبِ الْغَيْظِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴾ : ف ﴿ وَالْكُظَيْبِ الْغَيْظِ ﴾ كَقَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَعْفِرُونَ ﴾
 [الشورى : ٣٧] . يَغْضَبُونَ فِي الْأَمْرِ ^(٤) لَوْ وَقَعُوا بِهِ كَانَ حَرَامًا ، فَيَعْفِرُونَ وَيَعْفُونَ ،
 يَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ . ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ كَقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا
 الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ قَوْلُهُ إِلَى ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور : ٢٢] .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٦٢، ٧٦٣ عقب الأثرين (٤١٦٣، ٤١٦٤) معلقا .

(٢) بعده في الأصل : « والعافين » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٢ .

(٤) في ص : « الأمن » .

يقول : لا تُقْسِمُوا عَلَى أَنْ لَا تُعْطَوْهُمْ مِنَ النَّفَقَةِ شَيْئًا ، وَاَعْفُوا وَاصْفَحُوا^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٥) .

يعنى بقوله جلَّ وعز : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ﴾ . أن الجنة التي وصف عز وجل صفتها ، أُعِدَّتْ للمتقين ،^(٢) الذين ينفقون^(٣) في السراء والضراء ، والذين إذا فعلوا فاحشةً ، وجميع هذه النعوت من صفة المتقين الذين قال تعالى ذكره : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت البناني ، قال : سمعتُ الحسنَ قرأ هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظَيْبِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ﴾ . / إلى ﴿ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴾ . فقال : إن هذين النعتين لنعثُ رجلٍ واحدٍ^(٤) .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، [٢٧/١١] قال : ثنا جريرُ بنُ عبد الحميد ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . قال : هذان^(٥) ذنبان ؛ الفاحشةُ ذنبٌ ، وظلموا أنفسهم ذنبٌ^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦٣/٣ (٤١٦٥) عن محمد بن سعد إلى قوله : « وجه الله » .

(٢ - ٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « المنفقين » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٣ .

(٤) في م : « هذان » .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٢٥ - تفسير) من طريق جرير به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور

٧٧/٢ إلى عبد بن حميد .

وأما الفاحشة فهي صفةٌ لمُتروكٍ . ومعنى الكلام : والذين إذا فعلوا فَعَلَةً^(١) فاحشةً . ويعنى بالفاحشة : الفَعَلَةُ القبيحةُ الخارجةُ عما أذن الله عزَّ وجلَّ فيه .

وأصلُ الفُحْشِ القُبْحُ والخروجُ عن الحدِّ والمقدارِ في كلِّ شيءٍ ، ولذلك^(٢) قيل للطويلِ المُفْرِطِ الطويلِ : إنه لفاحشُ الطويلِ . يراؤُ به : قبيحُ الطويلِ ، خارجُج عن المقدارِ المُستَحْسِنِ . ومنه قيل للكلامِ القبيحِ غيرِ القصدِ^(٣) : كلامٌ فاحشٌ . وقيل للمتكلمِ به^(٤) : أفحشَ في كلامِهِ . إذا نطقَ بفُحْشٍ .

وقد قيل : إن الفاحشةَ في هذا الموضعِ معنًى بها الزَّنا .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا العباسُ بنُ عبدِ العظيمِ ، قال : ثنا جِبَّانُ ، قال : ثنا حَمَّادُ^(٥) ، عن ثابتٍ ، عن جابرٍ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ﴾ . قال : زنا القومِ ، وربُّ الكعبةِ^(٦) .

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ﴾ أما الفاحشةُ فالزَّنا^(٧) .

وقوله : ﴿ أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . يعنى به : فعلوا بأنفسِهِم غيرَ الذى كان

(١) سقط من : ص .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، س . وفي م ، ت ٣ ، س : « منه » .

(٣) كلام قصد : سهل مستقيم . التاج (ق ص د) .

(٤) ليست فى : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٦٤/٣ عقب الأثر (٤١٧٢) معلقا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٧/٢ إلى المصنف و ابن المنذر .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٦٤/٣ (٤١٧٢) من طريق أحمد به .

ينبغي لهم أن يفعلوا بها . والذي فعلوا من ذلك ركوبهم من معصية الله جل وعز ، ما أوجبوا لها به عقوبته .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سُفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . قال : الظلم من الفاحشة ، والفاحشة من الظلم^(١) .

وقوله : ﴿ ذَكِّرُوا اللَّهَ ﴾ . يعنى بذلك : ذكروا وعيد الله على ما أتوا من معصيتهم إياه ، ﴿ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ . يقول : فسألوا ربهم أن يستر عليهم ذنوبهم ، بصفحهم عن العقوبة عليها . ﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . يقول : وهل يغفر الذنوب - أى يعفو عن ركبها فيسترها عليه - إلا الله . ﴿ وَكَمْ يُصِرُّوْا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا ﴾ . يقول : ولم يُقيموا على ذنوبهم التي أتوها ، ومعصيتهم التي ركبوها ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . يقول : لم يُقيموا على ذنوبهم عامدين للمقام عليها ، وهم يعلمون أن الله عز وجل قد تقدّم بالنهاي عنها ، وأوعد عليها العقوبة من ركبها . وذكر أن هذه الآية أنزلت خصوصاً بتخفيفها ويُسرّها أمّتنا^(٢) مما كانت بنو إسرائيل مُتَحَنِّئَةً به من عظيم البلاء في ذنوبها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء ابن أبي رباح ، أنهم قالوا : يا نبي الله ، بنو إسرائيل أكرم على الله ميتاً ؟! ، كانوا إذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبه بايه : اجدع أذنك ، اجدع أنفك ، افعل ... فسكت رسول الله ﷺ ، فنزلت : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ ﴾ ٩٦/٤

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦٤/٣ (٤١٧٣) من طريق وكيع به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٧٧/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «أمتنا» . وقوله : «أمتنا» منصوب على المفعولية لقوله : « خصوصاً » .

مَنْ رَبِّكُمْ وَجَعَلَتْ عَرْضُهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٥﴾ . إلى قوله :
 ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ .
 [٢٧/١١] فقال رسول الله ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بخيرٍ من ذلك ؟ » فقرأ هؤلاء
 الآيات (١) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى (٢) عمرُ بنُ خليفةَ (٢) العبدِيُّ ،
 قال : ثنا عليُّ بنُ زيدِ بنِ جُدعانَ ، قال : قال ابنُ مسعودٍ : كانت بنو إسرائيلَ إذا
 أذنبوا ، أصبح مكتوبًا على بابِه الذنبُ وكفارتهُ ، فأعطينا خيرًا من ذلك هذه
 الآية (٣) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن
 ثابتِ البنانيِّ ، قال : لما نزلت : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ﴾ [النساء : ١١٠]
 بكى إبليسُ فرغًا من هذه الآية .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا جعفرُ بنُ
 سليمانَ ، عن ثابتِ البنانيِّ ، قال : بلغني أن إبليسَ حينَ نزلت هذه الآية :
 ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . بكى (٤) .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنيِّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، قال :
 سمعتُ عثمانَ مولى آلِ أبي عَقِيلِ الثقفيِّ ، قال : سمعتُ عليَّ بنَ ربيعةَ يُحدِّثُ عن
 رجلٍ من فرارةٍ ، يقالُ (٥) له : أسماءُ . أو : ابنُ أسماءَ . عن عليِّ ، قال : كنتُ إذا

(١) ذكره الطوسي في التبيان ٢/ ٥٩٥ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٣/ ٥٩ عن عطاء .

(٢ - ٢) كذا في النسخ ، وصوابه : عمر بن أبي خليفة . ينظر تهذيب الكمال ١٢/ ٣٣٠ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٧٧ إلى ابن المنذر .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٣٣ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٧٧ إلى عبد بن حميد .

(٥) في ص : « فقال » .

سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا ، نَفَعَنِي اللَّهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ ، وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ ، وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ » . قَالَ شُعْبَةُ : وَأَحْسَبُهُ قَالَ : « مُسْلِمٌ » . « يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ، ثُمَّ يَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِدَلِّكَ الذَّنْبِ (١) إِلَّا غَفَرَ لَهُ (١) » . قَالَ شُعْبَةُ : وَقَرَأَ إِحْدَى هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ ، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ (٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، وَحَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثنا وَكَيْعٌ ، عَنْ مِسْعَرٍ وَسَفِيَانَ ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ الْمَغِيرَةِ الثَّقَفِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الْوَالِبِيِّ ، عَنْ أَسْمَاءِ بْنِ الْحَكَمِ الْفَزَارِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللَّهُ بِمَا شَاءَ مِنْهُ ، وَإِذَا حَدَّثَنِي عَنْهُ غَيْرُهُ ، اسْتَحْلَفْتُهُ ، فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ ، وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ ، أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ، ثُمَّ يَصَلِّي » . قَالَ أَحَدُهُمَا : « رَكَعَتَيْنِ » . وَقَالَ الْآخَرُ : « ثُمَّ يَصَلِّي وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ لَهُ » (٣) .

وَحَدَّثَنَا الزَّبِيرُ بْنُ بَكَّارٍ ، قَالَ : ثنا سَعْدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبَرِيِّ ، عَنْ أَخِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ : مَا حَدَّثَنِي أَحَدٌ حَدِيثًا

(١ - ١) سقط من النسخ واستدركناه من مصادر التخريج ومن الروايات التي ستأتي .

(٢) أخرجه أحمد ٢١٩/١ (٤٨) والمروزي في مسند أبي بكر (١٠) ، والبخاري (٨) ، وأبو يعلى (١٣) من طرق عن محمد بن جعفر به ، وأخرجه الطيالسي (١) ، وأحمد ٢١٨/١ ، ٢١٩ (٤٧) ، وأبو يعلى (١٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦٥/٣ (٤١٨٠) ، والبيهقي في الشعب (٧٠٧٧) من طريق شعبة .

(٣) أخرجه الحميدي (٤) ، وابن أبي شيبة ٣٨٧/٢ ، وأحمد ١٧٩/١ (٢) ، والمروزي في مسند أبي بكر (٩) ، وابن ماجه (١٣٩٥) ، والبخاري (٩) ، وأبو يعلى (١٢) ، من طريق وكيع به ، وأخرجه الحميدي (١) ، والنسائي (١٠٢٤٧) ، ١٠٢٤٨ - كبرى) ، والطبراني في الدعاء (١٨٤٢) من طريق مسعر به ، وأخرجه النسائي (١٠٢٤٩ - كبرى) ، وأبو يعلى (١٥) ، والطبراني في الدعاء (١٨٤٢) من طريق سفيان به ، وأخرجه الطيالسي (٢) ، وأحمد ٢٢٣/١ (٥٦) ، وأبو داود (١٥٢١) والترمذي (٤٠٦ ، ٣٠٠٦) ، والنسائي (١٠٢٥٠ - كبرى) ، والبخاري (١٠) ، وأبو يعلى (١١) ، وابن حبان (٦٢٣) ، والطبراني في الدعاء (١٨٤٢) ، والبخاري (١٠١٥) من طريق عثمان بن المغيرة به .

عن رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا سألتُهُ أن يُقسِمَ لي باللهِ لهو سَمِعَهُ من رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إلا أبا بكرٍ ، فإنه كان لا يَكْذِبُ . قال عليٌّ رضي اللهُ عنه : فحدَّثني أبو بكرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « ما مِن عبدٍ يُذنبُ ذنبًا ، ثم يقومُ عندَ ذكرِهِ ذنبَهُ ذلك ، فيتوضَّأُ ثم يصلِّي ركعتينِ ، ويستغفرُ اللَّهَ من ذنبِهِ ذلك ، إلا غفرَهُ اللَّهُ له » ^(١) .

/وأما قوله: ﴿ ذَكِّرُوا اللَّهَ فَأَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ . فإنه كما بيَّنا تأويلَه . وبنحوِ ٩٧/٤ ذلك كان أهلُ التأويلِ يقولون .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، قال : ثنا [٢٨/١١] ابنُ إسحاقَ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ﴾ . أى : إن أتوا فاحشةً . ﴿ أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . بمعصية ، ذكروا نهى اللَّهَ عنها ، وما حرّمَ اللَّهُ عليهم ، فاستغفروا لها ، وعرفوا أنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا هو ^(٢) .

وأما قوله: ﴿ وَمَنْ يَعْفُرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . فإن اسمَ اللَّهِ مرفوعٌ ، ولا جحدٌ قبله ، وإنما يُرْفَعُ ما بعدَ « إلا » يأتباعه ما قبله ، إذا كان نكرةً ومعه جحدٌ ، كقولِ القائلِ : ما فى الدارِ أحدٌ إلا أخوك . فأما إذا قيل : قام القومُ إلا أباك . فإن وَجْهَ الكلامِ فى الأبِ النصبُ ، و « مَنْ » بصلته فى قوله: ﴿ وَمَنْ يَعْفُرِ الذُّنُوبَ ﴾ معرفةٌ . فإن ذلك إنما جاء رفعا ؛ لأن معنى الكلامِ : وهل يغفرُ الذنوبَ أحدٌ . أو : ما يغفرُ الذنوبَ أحدٌ إلا اللَّهُ . فزُيغَ ما بعدَ « إلا » من اسمِ « اللَّهِ » على تأويلِ الكلامِ ، لا على لفظه .

(١) أخرجه الحميدى فى مسنده (٥) ، والبرار فى مسنده (٦) ، وابن عدى فى الكامل ٣/ ١١٩٠ ، والدارقطنى فى العلل ١/ ١٨٠ من طريق عن سعد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٧٧ إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٠٩ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٦٤ - ٧٦٦ (٤١٧٠) ، ٤١٧٩ ، (٤١٨٣) من طريق سلمة به .

وأما قوله : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويل الإصرار ، ومعنى هذه الكلمة ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك ، لم يثبتوا على ما أتوا من الذنوب ، ولم يُقيموا عليه ، ولكنهم تابوا واستغفروا ، كما وصفهم الله جل ثناؤه به .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . فإياكم والإصرارَ ، فإنما هلك المصرون الماضون قُدَمَا ، لا ين্থاهم مخافةُ الله عز وجل عن حرامِ حَرَمَهُ اللهُ عليهم ، ولا يتوبون من ذنبِ أصابوه ، حتى أتاهم الموتُ ، وهم على ذلك ^(١) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . قال : قُدَمَا قُدَمَا في معاصي الله ، لا تن্থاهم مخافةُ الله حتى جاءهم أمرُ الله ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةٌ ، عن ابنِ إسحاق : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . أى : لم يُقيموا على معصيتي ، كفعلِ مَنْ أشرك بى ، فيما عملوا به من كفرٍ بى ^(٣) .

وقال آخرون : معنى ذلك : لم يُواقِعوا الذنْبَ إذا همُّوا به .

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٦٠/٣ عن قتادة مختصرا بنحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٨/٢ إلى ابن المنذر . وينظر الأثر التالى .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٣ ، ١٣٤ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٦٦/٣ (٤١٨٦) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/١٠٩ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٦٦/٣ (٤١٨٨) من طريق سلمة به .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا ﴾ . قَالَ : إِيَّانُ الْعَبْدِ ذَنْبًا إِصْرًا حَتَّىٰ يَتُوبَ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . قَالَ : لَمْ يُوَاقِعُوا ^(٢) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى الْإِصْرَارِ السُّكُوتُ عَلَى الذَّنْبِ ، وَتَرْكُ الْاسْتِغْفَارِ .

٩٨/٤

/ ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

[٢٨/١١ ظ] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدَدِيِّ : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . أَمَّا يُصِرُّوا : فَيَسْكُتُوا وَلَا يَسْتَغْفِرُوا ^(٣) .

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدَنَا : قَوْلُ مَنْ قَالَ : الْإِصْرَارُ : الْإِقَامَةُ عَلَى الذَّنْبِ عَامِدًا ، وَ ^(٤) تَرْكُ التَّوْبَةِ مِنْهُ .

وَلَا مَعْنَى لِقَوْلِ مَنْ قَالَ : الْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ ، هُوَ مُوَاقَعَتُهُ . لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٣ ، ١٣٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٦٦ (٤١٨٦) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) في ص ، ت ١ ، س : « يصروا » .

والأثر في تفسير مجاهد صفحة ٢٦٠ من طريق ابن أبي نجيح بنحوه ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٦٦ (٤١٨٥) من طريق ابن جريج عن مجاهد بنحوه ، وذكره أبو حيان في البحر المحیط ٣/٦٠ عن مجاهد بنحوه وفيها جميعًا : « لم يمضوا » ولم يقل « لم يوافقوا » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٦٦ (٤١٨٧) من طريق أحمد به .

(٤) في النسخ : « أو » . وما أثبتناه هو المقتضى ، يدل ذلك عليه كلام المصنف عن الاستغفار بعد .

مَدَحَ بِتَرِكِ الْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ مُوَاقِعِ الذَّنْبِ ، فَقَالَ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَأَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ ، ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا ﴾ . ولو كان المواقِع الذنب مُصِرًّا بمواقِعته إياه ، لم يكن للاستغفار وَجْهٌ مفهوماً ؛ لأن الاستغفار من الذنب إنما هو التوبة منه والندم ، ولا يُعرف للاستغفار من ذنب لم يُواقِعْه صاحبه وَجْهٌ .

وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما أَصْرَ مَنْ استغفر ، وإن عاد في اليوم سبعين مرة » .

حدَّثني بذلك الحسين بن يزيد السَّيِّعِيُّ ، قال : ثنا عبد الحميد الحماني ، عن عثمان بن واقد ، عن أبي نُصَيْرَةَ^(١) ، عن مولى لأبي بكر ، عن أبي بكر ، عن رسول الله ﷺ^(٢) .

فلو كان موقِع الذنب مُصِرًّا ، لم يكن لقلوبه : « ما أَصْرَ مَنْ استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة » ، معنى ؛ لأن موقِعَةَ الذنب ، إذا كانت هي الإصرار ، فلا يُزيلُ الاسم الذي لزمه معنى غيره ، كما لا يزيلُ عن الزاني اسمَ زانٍ ، وعن القاتل اسمَ قاتلٍ ، توبته منه ، ولا معنى غيرها . وقد أبانَ هذا الخبرُ أن المُستغفِرَ من ذنبه غيرُ مُصِرِّ عليه ، فمعلومٌ بذلك أن الإصرارَ غيرَ الموقِعَةِ ، وأنه المُقَامُ عليه ، على ما قلنا قبل .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معناه ، وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا .

(١) في ص : « نصيرة » وفي س : « نصرة » ، وينظر تهذيب الكمال ٣٤ / ٣٤٥ .

(٢) أخرجه المروزي في مسند أبي بكر (١٢٢) ، والترمذي (٣٥٥٩) عن الحسين بن يزيد السبيعي به ، وأخرجه المروزي في مسند أبي بكر (١٢١) ، وأبو يعلى (١٣٧ ، ١٣٨) ، وابن السني (٣٦١) ، والبيهقي في الشعب (٦٤٢ ، ٧٠٩٩) ، والبعوي (١٢٩٧) من طريق عبد الحميد الحماني به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦٦/٣ (٤١٨٤) من طريق عبد الحميد الحماني به ، غير أنه قال : عن مولى لأبي بكر عن رسول الله . ولم يقل : عن أبي بكر . وأخرجه أبو داود في سننه ٨٥/٢ (١٥١٤) ، والبيهقي ١٨٨/١٠ من طريق عثمان به وعزه السيوطي في الدر المنثور ٧٨/٢ إلى عبد بن حميد .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن الشَّدِيِّ ، أمَّا : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ، فيعلمون أنهم قد أذنبوا ، ثم أقاموا فلم يستغفروا^(١) .

وقال آخرون : معنى ذلك : وهم يعلمون أن الذي أتوا معصية الله .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . قال : يعلمون بما حرَّمت عليهم من عبادةٍ غيري^(٢) .

قال أبو جعفرٍ : وقد تقدَّم بيأننا أولى ذلك بالصواب .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ أُولَئِكَ جَرَّأُوهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ .

/يعنى تعالى ذكَّره بقوله : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ : الذين ذكَّر أنه أعدَّ لهم الجنة التي ٩٩/٤
عرضها السموات والأرض من المتقين ، ووَصَفهم بما وَصَفهم به . ثم قال : هؤلاء الذين هذه صِفَتهم ﴿ جَرَّأُوهُمْ ﴾ يعنى : ثوابهم من أعمالهم التي وَصَفهم تعالى ذكَّره أنهم عملوها ﴿ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ . يقول : عَفُو لهم من الله عن عقوبتهم على ما سَلَف [٢٩/١١] من ذنوبهم ، ولهم على ما أطاعوا الله فيه من أعمالهم -^{٣)} مع محو السيئ من أعمالهم^{٣)} بالحسن منها - ﴿ جَنَّتٌ ﴾ ، وهى البساتين ، ﴿ تَجْرِي مِن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٦٧/٣ (٤١٩٢) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) السيرة ١٠٩/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٦٧/٣ (٤١٩٣) من طريق سلمة به .

(٣) - (٣) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ ﴿١﴾ . يقول : تَجْرَى خِلَالَ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ وَفِي أَسْفَلِهَا ، جَزَاءٌ لَهُمْ عَلَى صَالِحِ أَعْمَالِهِمْ ، ﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا ﴾ يعني : دائمي المقام في هذه الجنات التي وَصَفَهَا . ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾ يعني : وَنِعْمَ جَزَاءُ الْعَامِلِينَ لِلَّهِ الْجَنَاتُ الَّتِي وَصَفَهَا .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ : ﴿ أَوْلَيْكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾ : أى ثوابُ الْمُطِيعِينَ ^(١) .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (١٣٧) .

يعنى بقوله تعالى ذكروه : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ : قد مضت وسلفت منى فى من كان قبلكم - يا معشر أصحاب محمد وأهل الإيمان به - من نحو قوم عاد وثمود وقوم إبراهيم ^(١) وقوم لوط وغيرهم من سلاف الأمم قبلكم ﴿ سُنَنٌ ﴾ يعنى : ^(٢) مثلًا وسييرًا سيرتها ^(٣) فيهم وفى من ^(٤) كذبوا به من أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم ، يأمهالي ^(٥) أهل التكذيب بهم ، واستدراجي إياهم ، حتى بلغ الكتاب فيهم أجلى ^(٦) الذى أجلته لإدالة أنبيائهم وأهل الإيمان بهم عليهم ، ثم أخلت بهم غفوتى ، وأنزلت بساحتهم نقيتى ^(٧) ، فتركهم لمن بعدهم أمثالًا وعبرًا . ﴿ فَسِيرُوا

(١) السيرة ١٠٩/٢ وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٦٨/٣ (٤١٩٩) من طريق سلمة به .

(٢) فى الأصل ، ص ، م : « هود » . وقد تقدم ذكر عاد قوم هود .

(٣ - ٣) فى ص ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « مثلات سيراسرتها » ، وفى م : « مثلات سير بها » .

(٤) بعده فى الأصل : « كان » .

(٥) فى ص ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « يامهال » .

(٦) فى م : « أجله » .

(٧) فى ص : « نقيتى » .

أبي نجیح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا ﴾ . يقول : في الكفار والمؤمنين ، والخير والشر^(١) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا سبيل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ : في^(٢) المؤمنين والكفار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم - يعني بالمسلمين يوم أحد - والبلاء الذي أصابهم ، والتحصين لما كان فيهم ، واتخاذهم الشهداء منهم ، فقال تغزية لهم ، وتعريفاً لهم فيما صنعوا ، وما هو صانع بهم : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ . أي : قد مضت مني وقائع نعمة في أهل التكذيب لرُسلي والشرك بي^(٣) ؛ عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، فسيروا في الأرض تروا مثلات قد مضت مني^(٤) فيهم ، ولمن كان على مثل ما هم عليه مثل ذلك مني ، وإن أملت^(٥) لهم ، أي : لئلا يظنوا أن نعمتي انقطعت عن عدوهم وعدوي ، للدولة التي أدلتها عليكم بها ؛ لأبتليكم بذلك ، لأعلم ما عندكم^(٦) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ . يقول : متعهم في الدنيا قليلاً ، ثم صيرهم إلى النار^(٧) .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٦٠ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦٩/٣ (٤٢٠١) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٨/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) في الأصل : « من » .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « في » .

(٤) ليست في : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أمكنت » .

(٦) سيرة ابن هشام ١٠٩/٢ ، ١١٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦٨/٣ (٤٢٠٢) ، من طريق سلمة

به مختصراً بنحوه .

أبو حذيفة ، قال : ثنا سبيل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ : في المؤمنين والكفار .

وأما السننُ فهي جميعُ سنةٍ . والسنةُ هي المثالُ المتَّبِعُ ، والإمامُ المؤتمُّ به . يُقالُ منه : سنَّ فلانٌ فينا سنةً حسنَةً ، وسنَّ سنةً سيئةً . إذا عملَ عملاً أتبعَ عليه من خيرٍ أو^(١) شرٍّ . ومنه قولُ ليبيدِ بنِ ربيعةَ^(٢) :

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ أَبَاؤُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا
وَقَوْلُ سَلِيمَانَ ابْنِ قَتَّةَ^(٣) :

وَإِنَّ الْأَلَى بِالطَّفِّ^(٤) مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّؤًا^(٥) فَسَنُّوا لِلْكَرَامِ النَّاسِيَا

وقال ابنُ زيدٍ في ذلك بما حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ . قال : أمثالٌ .

القولُ في تأويلِ قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٨) .

اختلف أهلُ التأويلِ في المعنى الذي أُشيرُ إليه بـ ﴿ هَذَا ﴾ ؛ فقال بعضهم : عنى بقوله : ﴿ هَذَا ﴾ . القرآن .

= بلفظ المصنف من طريق شيبان عن قتادة . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٨/٢ إلى عبد بن حميد .

(١) في م : « و » .

(٢) شرح ديوان ليبيد ص ٣٢٠ .

(٣) البيت في الكامل ١/ ١٤ ، والأغانى ١٩/ ١٢٩ ، وشرح ديوان الحماسة ١/ ١٠٧ ، وأمالى الشجرى ١/ ١٣١ . غير منسوب إلا في الأغانى .

(٤) الطف : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية ، كان فيها مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه . معجم البلدان ٣/ ٥٣٩ .

(٥) تأسوا ، من المؤاساة مهموزة ، من قولهم : آسى يؤاسى من الأسوة . يريد : صار بعضهم لبعض أسوة . ينظر اللسان (أ س ا) .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

١٠١/٤ / حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : ثنا عِبَادٌ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . قَالَ : ﴿ هَذَا ﴾ : الْقُرْآنُ^(١) .

حَدَّثَنَا يَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ : وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ ، جَعَلَهُ اللَّهُ [٣٠/١١] بَيَانًا لِلنَّاسِ عَامَةً ، وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ خُصُوصًا^(٢) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ .^(٣) قَالَ : كَانَ تَبْيَاهُهُ لِلنَّاسِ عَامَةً ، ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾^(٣) : لِّلْمُتَّقِينَ خَاصَةً^(٤) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا سُوَيْدٌ ، قَالَ : ثنا ابْنُ الْمُبَارِكِ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : خَاصَةً .

وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّمَا أُشِيرَ بِقَوْلِهِ : ﴿ هَذَا ﴾ ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ هَذَا ﴾ الَّذِي عَرَّفْتُمْكُمْ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، ﴿ بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٦٩/٣ (٤٢١١) مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ بِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٦٩/٢ (٤٢٠٨) مِنْ طَرِيقِ يَزِيدٍ بِهِ . إِلَى قَوْلِهِ : عَامَةً . وَذَكَرَ بَقِيَّتَهُ فِي ٧٧٠/٣ عَقِبَ الْأَثَرِ (٤٢١٦) مَعْلَقًا .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٧٠/٣ (٤٢١٦) مِنْ طَرِيقِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ بِنَحْوِهِ عَنِ الرَّبِيعِ عَنِ أَبِي الْعَالِيَةِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةٌ ، عن ابنِ إسحاقٍ بذلك .

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : قوله : ﴿ هَذَا ﴾ إشارة إلى ما تقدم هذه الآية من تذكير الله جل ثناؤه المؤمنين ، وتعريفهم حدوده ، وحضهم على لزوم طاعته والصبر على جهاد أعدائه وأعدائهم ؛ لأن قوله : ﴿ هَذَا ﴾ . إشارة إلى حاضر ؛ إما مرئي وإما مسموع ، وهو في هذا الموضع إلى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة . فمعنى الكلام : ﴿ هَذَا ﴾ الذي أوضحت لكم وعرفتكموه ﴿ بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، يعنى بالبيان : الشرح والتفسير .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةٌ ، عن ابنِ إسحاقٍ : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ : أى هذا تفسير للناس إن قبلوه ^(١) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ وَالْمُنْثَنِيُّ ، قَالَا : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن بيان ، عن الشعبي : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : من العمى ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا الثوري ، عن بيان ، عن الشعبي مثله ^(٣) .

وأما قوله جل ثناؤه : ﴿ وَهَدَى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ . فإنه يعنى بالهدى : الدلالة على سبيل الحق ومنهج الدين ، وبالموعظة : التذكير للصواب والرشاد .

(١) سيرة ابن هشام ١١٠/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦٩/٣ (٤٢٠٩) من طريق سلمة به .

(٢) تفسير سفيان ص ٨٠ ، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية ٣١١/٤ . وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٢٧- تفسير) من طريق بيان به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٨/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣- ٣) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦٩/٣ (٤٢٠٧) عن الحسن بن يحيى به .

كما حدثنا أحمدُ بنُ حازمٍ والمثنى ، قالا : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن بيان ، عن الشَّعْبِيِّ : ﴿ وَهُدًى ﴾ . قال : من الضلالة ، ﴿ وَمَوْعِظَةٌ ﴾ : من الجهل . حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا الثوريُّ ، عن بيان ، عن الشَّعْبِيِّ مثله ^(١) .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ : أى نورٌ وآدابٌ ، فأما قوله : ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . فإنه يعنى : لمن اتقى الله عزَّ وجلَّ بطاعته واجتنابِ محارمه .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : [٣٠/١١ ظ] ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ^(٢) : ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . أى : لمن أطاعنى ، وعزَّف أمرى ^(٣) .

١٠٢/٤ / القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

وهذا من الله تعالى ذِكْرُهُ تَعْرِيفٌ لأصحابِ رسوله ﷺ على ما أصابهم من الجراحِ والقَتْلِ بأُحْدٍ ^(٤) . قال : ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا يا أصحابِ محمدٍ ، يعنى : ولا تَضَعُفُوا بالذى نالكم من عَدُوِّكم بأُحْدٍ من القَتْلِ والقُرُوحِ ، عن جهادِ عَدُوِّكم وحرَبِهِمْ ، من قولِ القائلِ : وهنَّ فلانٌ فى هذا الأمرِ . فهو يَهِنُ وهنًا . ﴿ وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ : ولا تأسوا فتَجَزَعُوا على ما أصابكم من المصيبةِ يومئذٍ ، فإنكم أنتم الأعْلَوْنَ ، يعنى : الظَّاهِرُونَ عليهم ، ولكم العُقبى فى الظَّفَرِ والنُّصْرَةَ عليهم . ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . يقولُ : إن كنتم مُصَدِّقِي نَبِيِّ محمدٍ فيما يعدُّكم وفيما يُنبئُكم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٧٦٩/٣ (٤٢١٠) ، عن الحسن بن يحيى به .

(٢ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) سيرة ابن هشام ١١٠/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٧٠/٣ (٤٢١٧) من طريق سلمة به .

(٤) فى ص ، ت ، ١ : « بأخذهِ » .

من الخبرِ عما يُقُولُ إليه أمرُكم وأمرُهم .

كما حدَّثنا الثُّنَيُّ ، قال : ثنا سُويْدُ بْنُ نَصْرِ ، قال : ثنا ابنُ المباركِ ، عن يونسَ ، عن الزهريِّ ، قال : كَثُرَ في أصحابِ محمدٍ ﷺ القتلُ والجراحُ ، حتى خَلَصَ إلى كلِّ امرئٍ منهم البأسُ ^(١) ، فانزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ القرآنَ ، فأسى ^(٢) فيه المؤمنينَ بأحسنِ ما آسى به قومًا من المسلمين كانوا قبلهم من الأممِ الماضيةِ ، فقال : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ ^(٣) .

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ في قوله : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ : يُعْزَى أصحابُ محمدٍ ﷺ كما تسمعون ، وَيُحْتَمُّ على قتالِ عدوِّهم ، وَيَنْهَاهم عن العجزِ والوهنِ في طلبِ عدوِّهم في سبيلِ الله ^(٤) .

حدَّثني محمدُ بْنُ سِنَانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفِيُّ ، قال : ثنا عبادةُ ، عن الحسنِ في قوله : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . قال : يأمرُ محمدًا ؛ يقولُ : وَلَا تَهِنُوا ^(٥) أَنْ تَمُتُوا في سبيلِ الله .

حدَّثني محمدُ بْنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا تَهِنُوا ﴾ : وَلَا تَضَعُفُوا ^(٦) .

(١) في م : « اليأس » . والبأس : الخوف . اللسان (ب أ س) .

(٢) آساهم ، يعنى عزاهم . اللسان (أ س ا) .

(٣) ذكره الحفاظ في العجَاب ٧٥٨/٢ عن ابن المباركِ به ، وعزاه السيوطي في الدر المشور ٧٨/٢ إلى المصنف ، وينظر الفتح ٣٤٧/٧ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧١/٣ ٤٢٢٠) من طريق يزيد به .

(٥) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « و » .

(٦) تفسير مجاهد ص ٢٦٠ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٠/٣ ٤٢١٩) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ
مِجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ
الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَهِنُوا ﴾ . يَقُولُ : وَلَا تَضَعُفُوا ^(١) .

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ : ﴿ وَلَا
تَهِنُوا ﴾ . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : وَلَا تَضَعُفُوا [٣١/١١] فِي أَمْرِ عَدُوِّكُمْ ، ﴿ وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ . قَالَ : أَنْهَزَمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الشُّعْبِ ، فَقَالُوا : مَا
فَعَلَ فُلَانٌ ؟ مَا فَعَلَ فُلَانٌ ؟ فَتَعَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَتَحَدَّثُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قُتِلَ ،
فَكَانُوا فِي هَمٍّ وَحَزَنٍ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ ، إِذْ عَلَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْجَبَلِ بِحَيْلِ الْمُشْرِكِينَ
فَوْقَهُمْ ، وَهَمَّ فِي أَسْفَلِ الشُّعْبِ ، فَلَمَّا رَأَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَرِحُوا ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
« اللَّهُمَّ ^(٢) لَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِكَ ، وَلَيْسَ يَعْجُذُكَ ^(٣) بِهَذِهِ الْبَلَدَةِ غَيْرُهُوْلَاءِ النَّفَرِ » .

١٠٣/٤

قَالَ : وَثَابَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رُمَاءً ، فَصَعِدُوا ، فَرَمَوْا حَيْلَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى
هَزَمَهُمُ اللَّهُ ، وَعَلَا الْمُسْلِمُونَ الْجَبَلَ ^(٤) ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : ﴿ وَلَا تَهِنُوا ﴾ . أَى : لَا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٠/٣ عقب الأثر (٤٢١٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، س .

(٣) في ص ، ت ، ١ : « نعبدك » .

(٤) في ص : « الخيل » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧١/٣ (٤٢٢٣) من طريق ابن ثور عن ابن جريج ، وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ٧٨/٢ إلى ابن المنذر .

تَضَعُفُوا، ﴿ وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ : وَلَا تَأْسُوا^(١) على ما أصابكم ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ .
 أَى : لَكُمْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ وَالظُّهُورُ ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ : إِنْ كُنْتُمْ صَدَقْتُمْ نَبِيَّ بِمَا
 جَاءَكُمْ بِهِ عَنِّي^(٢) .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن
 أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أقبل خالد بن الوليد يريد أن يغلو عليهم الجبل ، فقال
 النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ لَا يَغْلُونَ عَلَيْنَا » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا
 وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ .
 اختلف القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة قرأة أهل الحجاز والمدينة والبصرة :
 ﴿ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾^(٤) ، كلاهما بفتح
 « القاف » ؛ بمعنى : إِنْ يَمَسُّكُمْ الْقَتْلُ وَالْجِرَاحُ يَأْمَسُّكُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ، فَقَدْ مَسَّ
 الْقَوْمَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَرْحٌ - قَتْلٌ وَجِرَاحٌ - مِثْلُهُ .

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة : (إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ
 مِثْلُهُ)^(٥) . بضم القاف فيهما جميعاً ، بمعنى : إِنْ يَمَسُّكُمْ أَلْمُ الْجِرَاحِ فَقَدْ مَسَّ
 الْقَوْمَ مِنْكُمْ مِثْلُهُ^(٦) .

وَأُولَى الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ قِرَاءَةٌ مِنْ قَرَأَ : ﴿ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ

(١) في سيرة ابن هشام : « تبتسوا » .

(٢) سيرة ابن هشام ١١٠/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧١/٣ ، ٤٢٢٢ ، ٤٢٢٤ من طريق سلمة به دون أوله .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ٥٠٨/٢ . وينظر تفسير البغوي ١١٠/٢ .

(٤) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه ، ينظر السبعة ص ٢١٦ .

(٥) هذه قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر عنه . ينظر السبعة ص ٢١٦ .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

قَرَحٌ مِّثْلُهُ ﴿١﴾ . بفتح « القاف » فى الحَرْفَيْن ؛ لِإِجْمَاعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ الْقَتْلُ وَالْجِرَاحُ ، فَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقِرَاءَةَ هِيَ « الْفَتْحُ » . وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَزْعُمُ أَنَّ الْقَرَحَ وَالْقَرْحَ لَغْنَانٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَالْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ « مَا قَلْنَا » .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ : إِنَّ الْقَرَحَ الْجِرَاحُ وَالْقَتْلُ .

[٣١/١١] حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرَحٌ مِّثْلُهُ ﴾ . قَالَ : جِرَاحٌ وَقَتْلٌ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَيْنَانَ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عِبَادٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرَحٌ مِّثْلُهُ ﴾ . قَالَ : إِنْ يُقْتَلُ ^(٢) مِنْكُمْ ^(٤) يَوْمَ أُحُدٍ ، فَقَدْ قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ ^(٥) .

١٠٤/٤ / حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرَحٌ مِّثْلُهُ ﴾ : وَالْقَرَحُ : الْجِرَاحَةُ ، وَذَاكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَشَأْنُ فِي أَصْحَابِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ الْقَتْلُ وَالْجِرَاحَةُ ، فَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ

(١ - ١) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ٢ ، س .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٦٠ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٢/٣ (٤٢٢٦) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٩/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) فى م : « يقتلوا » . وفى ت ٢ : « تقتل » .

(٤) فى الأصل : « منهم » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٧٢/٣ (٤٢٢٧) ، من طريق أبى بكر الحنفى به .

أصابهم من ذلك مثل الذي أصابكم ، ^(١) من أعدائكم ^(٢) عِقُوبَةً

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ . قال : ذلك يوم أُحُدٍ ، فثأ في المسلمين ^(٣) الفَرْحُ ، والفَرْحُ ^(٤) الجِراحُ ، وفثأ فيهم القتلُ ، فذلك قوله : ﴿ إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ . يقول : إن كان أصابكم فَرْحٌ فقد أصاب عدوكم مثله ، يُعزَى أصحاب محمد ﷺ ، ويحُثُّهم على القتال ^(٥) .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ : والفَرْحُ هي الجِراحات ^(٥) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةٌ ، عن ابنِ إسحاق : ﴿ إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرْحٌ ﴾ : أى : جِراحٌ ، ﴿ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ ، أى جِراحٍ مِثْلُهَا ^(٦) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا حفصُ بنُ عمرٍ ، قال : ثنا الحَكَمُ بنُ أبانٍ ، عن عِكْرَمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نام المسلمون وبهم الكُلُومُ ، يعنى يومَ أُحُدٍ ، قال عِكْرَمَةُ : وفيهم أنزلت : ﴿ إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ، وفيهم أنزلت : ﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَرَجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

(١ - ١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « وأن الذى أصابكم » .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٧٢/٣ عقب الأثر (٤٢٢٦) معلقا ، مقتصرًا على لفظة : الجراحات ، فقط .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٧٢/٣ (٤٢٢٨) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به بنحوه .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٧٢/٣ عقب الأثر (٤٢٢٦) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٦) سيرة ابن هشام ١١٠/٢ .

يَرْجُونَ ﴿١﴾ [النساء : ١٠٤] .

وأما تأويل قوله : ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ﴾ . فإنه : إن يُصِيبَكُمْ .

كما حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ﴾ : إن يُصِيبَكُمْ ^(١) .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا﴾ ؛ أيام بدرٍ وأُحُدٍ . ويعنى بقوله : ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ : نجعلها دُولاً بَيْنَ النَّاسِ مُصَرَّفَةً . ويعنى بالناس : المسلمين والمشركين ، وذلك أن الله عز وجل [٣٢/١١] أدال ^(٢) المسلمين من المشركين بيدرٍ فقتلوا منهم سبعين وأسرُوا سبعين ، وأدال ^(٣) المشركين من المسلمين بأُحُدٍ فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم . يُقال منه : أدال ^(٣) الله فلاناً من فلانٍ ، فهو يُدِيلُهُ ^(٤) منه إدالةً ^(٥) : إذا ظفر به فانتصر منه مما ^(٦) كان نال ^(٧) منه المدال ^(٨) منه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧١/٣ (٤٢٢٥) من طريق حفص عن الحكم عن عكرمة بنحوه .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٩/٢ إلى المصنف .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : « أدال » . وفي س : « أنال » .

(٤) في ت ١ : « يذيله » ، وفي ت ٢ : « يذله » ، وفي س : « ينله » .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : « إذالة » ، وفي س : « إنالة » .

(٦) في ت ٢ : « من » .

(٧) في ت ٢ : « ذال » .

(٨) في ت ١ : « الذال » ، وفي ت ٢ : « الدال » ، وفي س : « النال » .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفى، عن عباد، عن الحسن: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾. قال: جعل الله الأيام ذولاً، أَدَال^(١) الكفار يوم أُحُدٍ من أصحاب محمد ﷺ^(٢).

١٠٥/٤ / حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: إنه والله لولا الدَّوْلُ ما أُوذِيَ^(٣) المؤمنون، ولكن قد يُدَالُ للكافر من المؤمن، ويُتَلَى المؤمن بالكافر؛ ليعلم الله عز وجل من يُطِيعُه من يعصيه، ويعلم الصادق من الكاذب^(٤).

حدثنى الثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾: فأظهر الله عز وجل نبيه ﷺ وأصحابه على المشركين يوم بدر، وأظهر عليهم عدوهم يوم أُحُدٍ، وقد يُدَالُ الكافر من المؤمن^(٥)، ويُتَلَى المؤمن بالكافر؛ ليعلم الله من يُطِيعُه من يعصيه، ويعلم الصادق من الكاذب، وأما من ابتلى منهم - من المسلمين - يوم أُحُدٍ، فكان^(٦) عُقوبةً بمعصيتهم رسول الله ﷺ^(٧).

(١) فى ت ١: «أذال»، وفى س: «أنال».

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٧٣/٣ (٤٢٣١) من طريق أبى بكر الحنفى به.

(٣) فى م: «أنزل».

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٩/٢ إلى المصنف.

(٥) فى ت ١، ت ٢: «المؤمنين».

(٦) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «فكانت».

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٧٣/٣ (٤٢٣٤) من طريق ابن أبى جعفر به ببعضه.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ،
عَنِ الشَّدِيِّ : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ : يَوْمًا لَكُمْ وَيَوْمًا
عَلَيْكُمْ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ . قَالَ : أَدَالَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ
أُحُدٍ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عُمَى ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ : فَإِنَّهُ كَانَ يَوْمَ
أُحُدٍ يَوْمَ بَدْرٍ ؛ قُتِلَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ ، اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ ، وَعَلَّبَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ الْمُشْرِكِينَ ، فَجَعَلَ لَهُ الدُّوْلَةَ عَلَيْهِمْ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا حَفْصُ بْنُ عَمْرٍ ، قَالَ : ثنا الْحَكَمُ بْنُ
أَبَانَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ قِتَالُ أُحُدٍ ، وَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مَا ^(٤)
أَصَابَ ، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الْجَبَلَ ، فَجَاءَ أَبُو سَفِيَانَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ، أَلَا
تَخْرُجُ ؟ أَلَا تَخْرُجُ ؟ الْحَرْبُ سِجَالٌ ، يَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ لَكُمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
لَأَصْحَابِهِ [٣٢/١١] : « أَجِيبُوهُ » . فَقَالُوا : لَأَسْوَأَ لَأَسْوَأَ ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلَاكُمْ فِي
النَّارِ . فَقَالَ أَبُو سَفِيَانَ : لَنَا عَزْزَى وَلَا عَزْزَى لَكُمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قُولُوا : اللَّهُ
مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ » . فَقَالَ أَبُو سَفِيَانَ : اَعْلُ هُبْلُ اَعْلُ هُبْلُ . فَقَالَ رَسُولُ

(١) ذكره الطوسي في التبيان ٦٠١/٢ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٩/٢ ، إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٢/٣ (٤٢٣٠) عن محمد بن سعد به .

(٤) في ص : « بما » .

اللَّهُ ﷻ : « قولوا : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ » . فقال أبو سفيان : موعدكم وموعدنا بدر الصُّعْرَى . قال عكرمة : وفيهم أنزلت : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ^(١) .

حدَّثني الثُّنِّي : قال : ثنا سويدُ بنُ نَصْرٍ ، قال : أخبرنا ابنُ المَبَارِكِ . عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن ابنِ عباسٍ في قوله : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ : فإنه أدال على النبي ﷺ يوم أُحُدٍ ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ : أي نُصِرُفُهَا لِلنَّاسِ لِلْبَلَاءِ ^(٣) وَالتَّمْحِصِ ^(٤) .

حدَّثني إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، قال : أخبرنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الوهَّابِ الحَجَبِيُّ ، قال : ثنا حمادُ بنُ زَيْدٍ ، عن ابنِ عَوْنٍ ^(٥) ، عن محمدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ . قال : يعني الأمراء .

/ القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ ۙ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١٤٠) .

يعنى بذلك تعالى ذِكْرُهُ : وليعلمَ اللَّهُ الذين آمنوا ويتخذَ منكم شُهَدَاءَ ، ﴿ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ .

ولولم يَكُنْ في الكلامِ واوٌ لكان قوله : ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ مُتَّصِلًا بما قبله ، وكان : وتلك الأيامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الذين آمنوا . ولكن لما دَخَلَتِ الواوُ فيه ،

(١) ينظر ما تقدم في ص ٨٢ حاشية (١) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧١/٣ ، ٧٧٢ (٤٢٢٥) من طريق حفص عن الحكم عن عكرمة مطولاً .

(٣) في م : « بالباء » .

(٤) سيرة ابن هشام ١١٠/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٣/٣ (٤٢٣٣) من طريق سلمة به .

(٥) في ت ٢ ، س : « عوف » . وينظر تهذيب الكمال ٣٩٥/١٥ ، ٣٩٦ .

أَدْنَتْ بِأَنَّ الْكَلَامَ غَيْرٌ^(١) مُتَّصِلٌ بِمَا قَبْلَهَا ، وَأَنَّ بَعْدَهَا خَيْرًا مَطْلُوبًا ، اللَّامُ^(٢) الَّتِي فِي قَوْلِهِ : ﴿وَلْيَعْلَمَ﴾ . بِهِ مُتَعَلِّقَةٌ .

فَإِنَّ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ قِيلَ : ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ .^(٣) ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٤) مَعْرِفَةٌ ، وَأَنْتَ لَا تَسْتَجِيزُ^(٥) فِي الْكَلَامِ : « قَدْ سَأَلْتُ فَعَلِمْتُ عَبْدَ اللَّهِ » ، وَأَنْتَ تَرِيدُ : عَلِمْتُ شَخْصَهُ ، إِلَّا أَنْ تُرِيدَ : عَلِمْتُ صِفَتَهُ وَمَا هُوَ .

قِيلَ : إِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا جَازَ مَعَ «الَّذِينَ» ؛ لِأَنَّ فِي «الَّذِينَ» تَأْوِيلَ «مَنْ» وَ«أَيُّ» ، وَكَذَلِكَ جَائِزٌ مِثْلُهُ فِي «الْأَلْفِ وَاللَّامِ» ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت : ٣] ؛ لِأَنَّ فِي «الْأَلْفِ وَاللَّامِ» مِنْ تَأْوِيلِ «أَيُّ» ، وَ«مَنْ» مِثْلَ الَّذِي فِي «الَّذِي» . وَلَوْ جُعِلَ مَعَ الْاسْمِ الْمَعْرِفَةُ اسْمٌ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى «أَيُّ» ، جَازَ كَمَا يُقَالُ : سَأَلْتُ لِأَعْلَمَ عَبْدَ اللَّهِ مِنْ عَمْرٍو . وَيُرَادُ بِذَلِكَ : لِأَعْرِفَ هَذَا مِنْ هَذَا^(٦) .

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ : وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ، أَيُّهَا الْقَوْمُ ، مِنَ الَّذِينَ نَافَقُوا مِنْكُمْ ، نُدَاوِلُ بَيْنَ النَّاسِ . فَاسْتَعْنَى بِقَوْلِهِ : ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مِنْ^(٧) ذِكْرِ قَوْلِهِ : «مِنَ الَّذِينَ نَافَقُوا» ؛ لِذِلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ ؛ إِذْ كَانَ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تَأْوِيلُ «أَيُّ» عَلَى مَا وَصَفْنَا . فَكَأَنَّهُ قِيلَ : وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ أَيُّكُمْ الْمُؤْمِنُ ، كَمَا قَالَ جَلِ ثَنَاؤُهُ : ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ [الكهف : ١٢] . غَيْرَ أَنَّ «الْأَلْفَ وَاللَّامَ» وَ«الَّذِي» وَ«مَنْ» ، إِذَا وُضِعَتْ مَعَ الْعَلْمِ مَوْضِعَ^(٨) «أَيُّ» نُصِبَتْ بِوُقُوعِ الْعِلْمِ

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) في م : «للأم» .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) في الأصل : «تستحسن» .

(٥) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٦) في م : «عن» .

(٧) في ص ، ت ، ١ ، س : «مواضع» .

عليه ، كما قيل : ﴿ وَيَلْعَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣] . فأما « أَى » فإنها تُرْفَعُ ^(١) .
 وأما قوله : ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً ﴾ . فإنه يعنى : وليعلم الله الذين آمنوا ،
 [٣٣/١١] وليتخذ منكم شهداء ، أَى : ليُكْرِمَ منكم بالشهادة من أراد أن يُكْرِمَهُ بها .
 و « الشهداء » : جمعُ شهيد .

كما حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَيَلْعَمَنَّ اللَّهُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أَى : لِيَمَيِّزَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَلِيُكْرِمَ مَنْ أَكْرَمَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ
 بِالشَّهَادَةِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا سُويْدُ بنُ نَصْرٍ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ المَبَارِكِ قِرَاءَةً عَلَى ابنِ
 جُرَيْجٍ ، فى قوله : ﴿ وَيَلْعَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً ﴾ . قال : فإن
 المسلمين كانوا يَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ : رَبَّنَا أَرِنَا يَوْمًا كَيَوْمِ بَدْرٍ ، تُقَاتِلُ فِيهِ المَشْرِكِينَ ،
 وَتُبْلِيكَ ^(٣) فِيهِ خَيْرًا ، وَتُلْتَمِسُ فِيهِ الشَّهَادَةَ ، فَلَقُوا المَشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَاتَّخَذَ مِنْهُمْ
 شُهَدَاءً .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ وَيَلْعَمَنَّ اللَّهُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً ﴾ : فَكَّرَمَ اللَّهُ أَوْلِيَاءَهُ بِالشَّهَادَةِ بِأَيْدِي عَدُوِّهِمْ ،
 ثُمَّ تَصَيَّرَ حَوَاصِلَ الْأُمُورِ وَعَوَاقِبَهَا لِأَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ ^(٤) .

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ١/٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ومغنى اللبيب بحاشية الأمير ١/٧٢ ، ٧٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/١١٠ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧١/٢ (١٥٢٠) - تحقيق د. حكمت بشير ياسين) من طريق سلمة به .

(٣) فى س : « وننال » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧٣/٢ (١٥٢٣) - تحقيق حكمت بشير ياسين) من طريق يزيد به ،

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٧٩ إلى عبد بن حميد .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ مُرَيجٍ : ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً﴾ . قال : قال ابنُ عباسٍ : كانوا يَسْأَلُونَ الشَّهَادَةَ ، فَلَقُوا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَاتَّخَذَ مِنْهُمْ شُهَدَاءً^(١) .

١٠٧/٤

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ^(٢) : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً﴾ : كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يُرِيَهُمْ يَوْمًا كَيَوْمِ بَدْرٍ ، يُثْلُونَ فِيهِ خَيْرًا ، وَيُرْزَقُونَ فِيهِ الشَّهَادَةَ ، وَيُرْزَقُونَ الْجَنَّةَ وَالْحَيَاةَ وَالرِّزْقَ ، فَلَقُوا الْمُشْرِكِينَ^(٣) يَوْمَ أُحُدٍ ، فَاتَّخَذَ اللَّهُ مِنْهُمْ شُهَدَاءً ، وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾^(٤) الْآيَةَ [البقرة : ١٥٤] .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ : الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ .

كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ : ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ : أَي : الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ بِالسُّنَنِهِمُ الطَّاعَةَ ، وَقَلُوبُهُمْ مُصِرَّةٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « وقال » .

(٣ - ٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « فلقى المسلمين » ، وفي م : « فلقى المسلمون » .

(٤) بعده في الأصل : « بل أحياء عند ربهم يرزقون » ، وهو من الآية ١٦٩ سورة آل عمران .

والأثر عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٩/٢ إلى ابن المنذر .

(٥) سيرة ابن هشام ١١٠/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٤/٣ (٤٢٤١) من طريق سلمة به .

القول في تأويل قوله: ﴿وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾ ﴿١٤١﴾ .
يعنى تعالى ذكره بقوله: ﴿وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: وليختبر الله الذين صدقوا الله ورسوله، فيبتليهم بإدالة^(١) المشركين منهم، حتى يتبين المؤمن منهم المخلص الصحيح الإيمان من المنافق.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد^(٢) في قوله: ﴿وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. قال: ليبتلي^(٣).

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفى، عن عباد، عن الحسن في قوله: ﴿وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. قال: [٣٣/١١] ليُمَحِّصَ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ حَتَّى يُصَدِّقَ^(٤).

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدى: ﴿وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. يقول: يتلى المؤمنين^(٥).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: قال

(١) في ت ١: «إدالة».

(٢) بعده في م: «مثله».

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٦٠. ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٤/٣ (٤٢٤٣).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٥/٣ (٤٢٤٤) من طريق أبي بكر الحنفى به، وستأتى بقيته في

ص ٩١.

(٥) ذكره الطوسى في التبيان ٣/٣ عن السدى بنحوه.

ابن عباس : ﴿ وَلِيَمِخَصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ . قال : يَتَّبِعِيهِمْ ^(١) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَلِيَمِخَصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴾ : فكان تَمَحِيصًا للمؤمنين ، وَمَحَقًا للكافرين ^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَلِيَمِخَصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ : أى : يَخْتَبِرُ الذين آمنوا حتى يُخَلِّصَهُم بالبلاء الذى نزل بهم ، وكيف صَبَرُهُمْ وَيَقِينُهُمْ ^(٣) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿ وَلِيَمِخَصَ اللَّهُ الَّذِينَ / ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴾ . قال : يَمَحَقُ مَنْ مَحَقَ فى الدنيا ، وكان بَقِيَّةً مَنْ يَمَحَقُ ^(٤) فى الآخرة فى النار .

وأما قوله : ﴿ وَيَمَحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴾ ، فإنه يعنى به : أنه يَنْقُصُهُمْ وَيُقْنِيهِمْ . يقال منه : مَحَقَ فلانٌ هذا الطعامَ - إذا نَقَصَهُ أو أَفْنَاهُ - يَمَحَقُهُ مَحَقًا . ومنه قيل مُحَاقِ القمرِ ^(٥) : مُحَاقٌ ، وذلك لنقصانه وفناؤه .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ﴿ وَيَمَحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴾ . قال : يَنْقُصُهُمْ ^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٧٥/٣ (٤٢٤٦) من طريق ابن جريج به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٩/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٧٥/٣ (٤٢٤٧) من طريق يزيد به .

(٣) سيرة ابن هشام ١١٠/٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٧٥/٣ (٤٢٤٥) من طريق سلمة به .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « يمحو » .

(٥) فى ص ، ت ٢ ، س : « العمر » . ومحاق القمر : أن يستسر القمر ليلتين فلا يرى غدوة ولا عشية . ينظر

اللسان (م ح ق) .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٧٥/٣ (٤٢٤٩) من طريق ابن جريج عن ابن عباس به .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، عَنْ عِبَادٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ . قَالَ : يَمْحَقُ الْكَافِرَ ^(١) حَتَّى يُكَذِّبَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ . أَيْ : يُنِيطِلُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَوْلَهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ، حَتَّى يَظْهَرَ مِنْهُمْ كُفْرُهُمْ الَّذِي يَسْتَتِرُونَ ^(٣) بِهِ مِنْكُمْ ^(٤) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(٥) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : أَمْ حَسِبْتُمْ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، وَظَنَنْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ، وَتَنَالُوا كَرَامَةَ رَبِّكُمْ وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ عِنْدَهُ ، ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾ . يَقُولُ : وَلَمَّا يَتَّبِعُنَّ لِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَاهِدُ مِنْكُمْ فِي سَبِيلِي ^(٦) عَلَى مَا أَمَرْتُهُ ^(٧) بِهِ .

وقد بيئتُ معنى قوله : ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ ﴾ ﴿ وَيَعْلَمَ اللَّهُ ﴾ وما أشبه ذلك ، بأدلتِهِ فيما مضى ^(٨) ، بما أغتنى عن إعادته .

وقوله : ﴿ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ . يعنى : الصابرين عند البأس ، على ما ينالهم فى ذاتِ الله من جروح ^(٩) وألمٍ ومكروه .

(١) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « الكافرين » .

(٢) تنمة الأثر المتقدم ص ٨٩ .

(٣) فى ص ، ت ، ١ ، س : « يستتروا » . وفى ت ٢ : « يستبشرون » .

(٤) سيرة ابن هشام ١١٠/٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٧٥/٣ (٤٢٤٨) من طريق سلمة به .

(٥) فى ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « سبيل الله » .

(٦) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « أمر » ، وفى م : « أمره » .

(٧) ينظر ما تقدم فى ٦٤١/٢ - ٦٤٥ .

(٨) فى م : « جرح » .

كما حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ أَمْرٌ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ ، وَتُصِيبُوا مِنْ ثَوَابِ الْكِرَامَةِ ، وَلَمْ أُخْتَبِرْكُمْ بِالشَّدَةِ ، وَأُتْبِلِيَكُمْ بِالْمُكَارِهِ ، [٣٤/١١] حَتَّى أَعْلَمَ صِدْقَ ^(١) ذَلِكَ مِنْكُمْ ؛ الْإِيمَانُ ^(٢) بِي ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي ^(٣) ؟

وَنَصَبٌ ﴿ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ ﴾ عَلَى الصَّرْفِ . وَالصَّرْفُ : أَنْ يَجْتَمِعَ فِعْلَانِ بِيَعِضِ حُرُوفِ النَّسِقِ ، وَفِي أَوَّلِهِ مَا لَا يَحْسُنُ إِعَادَتُهُ مَعَ حَرْفِ النَّسِقِ ، فَيُنْصَبُ الَّذِي بَعْدَ حَرْفِ الْعَطْفِ عَلَى الصَّرْفِ ؛ لِأَنَّهُ مَضْرُوفٌ عَنْ مَعْنَى الْأَوَّلِ ، وَذَلِكَ ^(٤) يَكُونُ مَعَ جَحْدٍ أَوْ اسْتِفْهَامٍ أَوْ نَهْيٍ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ : لَا يَسْعُنِي شَيْءٌ وَيَضِيقُ عَنكَ ^(٥) . لِأَنَّ « لَا » الَّتِي مَعَ « يَسْعُنِي » لَا يَحْسُنُ إِعَادَتُهَا مَعَ قَوْلِهِ : وَيَضِيقُ عَنكَ . فَلِذَلِكَ نُصِبَ ^(٦) .

وَالْقَرَأَةُ فِي هَذَا الْحَرْفِ عَلَى النَّصْبِ . وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ﴿ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ ﴾ . فَيَكْسِرُ الْمِيمَ مِنْ : (يَعْلَمِ) . لِأَنَّهُ كَانَ يَنْوِي جَزْمَهَا عَلَى الْعَطْفِ بِهِ عَلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ ﴾ ^(٧) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ

(١) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « أَصْدَقَ » .

(٢) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « بِالْإِيمَانِ » .

(٣) فِي ت ، ١ ، ت ، ٢ : « بِي » . وَالْأَثَرُ فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١١٠/٢ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣/٧٧٥ مِنْ طَرِيقِ سَلْمَةَ بِهِ مَقْتَصِرًا عَلَى قَوْلِهِ : وَتُصِيبُوا مِنْ ثَوَابِ الْكِرَامَةِ .

(٤) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « لَكِنْ » .

(٥) سَقَطَ مِنْ : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

(٦) يَنْظُرُ مَا تَقْدِمُ فِي ١/٦٠٧ .

(٧) يَنْظُرُ مَخْتَصِرَ شَوَازِ الْقُرْآنِ ص ٢٩ ، وَبِالْبَحْرِ الْمَحِيطِ ٣/٦٦ .

رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ : ولقد كنتم يا معشر أصحابِ محمدٍ ﴿تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ ، يعنى أسباب الموتِ ، وذلك القتالُ ، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ . يقولُ : فقد رأيتم ما كنتم تمنونه .

والهاءُ فى قوله : ﴿رَأَيْتُمُوهُ﴾ ، عائدةٌ / على الموتِ ، والمعنى ^(١) ما ^(٢) وصفتم ^(٣) ، ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ يعنى : قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظرٍ ، أى بقرب منكم . وكان بعضُ أهلِ العربيةِ يزعمُ أنه قيل : ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ . على وجهِ التوكيدِ للكلامِ ، كما يقالُ : رأيته عياناً ورأيته بعينى وسمعته بأذنى . وإنما قيل : ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ . لأن قوماً من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ من ^(٤) لم يشهدوا بدرًا ، كانوا يَتَمَنَّوْنَ قبلَ أُحدٍ يومًا مثلَ يومِ بدرٍ ، ^(٥) فَيَبْلُغُوا اللهَ من أنفسهم خيرًا ، وَيَنَالُوا مِنَ الأجرِ مثلَ ما نال أهلُ بدرٍ ، فلما كان يومُ أُحدٍ فرَّ بعضهم ، وصبر بعضهم حتى أوفى بما كان عاهد الله قبلَ ^(٥) ذلك ، فعاتب اللهُ من فرَّ منهم ، فقال : ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ الآية . وأثنى على الصابرين منهم والموفين بعهدهم ^(٦) .

ذَكَرَ الأَخْبَارِ بِمَا ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى

(١) فى م : «ومعنى» .

(٢ - ٢) بياض فى ص . وسقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣ - ٣) فى ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : «شهد» . وينظر الأثر التالى ، وسيرة ابن هشام ١١١ / ٢ .

(٤ - ٤) فى ت ، ١ ، ت ، ٢ : «فَيَبْلُغُوا اللهَ» ، وفى س : «فَيَبْلُغُوا» .

(٥) فى ت ، ٢ : «فى» .

(٦) سقط من : ت ، ١ ، س .

نَجِيح ، عن مُجاهِدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴾ (١٤٣) . قال : غاب رجالٌ عن بدرٍ ، فكانوا يَتَمَنَّوْنَ مثلَ يومِ بدرٍ أن يلقوه ، فيصيبوا من الخيرِ والأجرِ مثلَ ما أصاب أهلُ بدرٍ ، فلما كان يومُ أُحُدٍ وُلِّيَ مَنْ وُلِّيَ منهم ^(١) ، فعاتبهم اللهُ - أو فعابهم ، أو : فعيبهم ^(٢) - على ذلك . شك أبو عاصم ^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلٌ ، [٣٤ / ١١] عن ابنِ أبي نَجِيح ، عن مجاهدٍ بنحوه ، إلا أنه قال : فعاتبهم اللهُ على ذلك ، ولم يشك .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴾ : أناسٌ من المؤمنين لم يشهدوا يومَ بدرٍ والذي أعطى اللهُ أهلَ بدرٍ من الفضلِ والشرفِ ^(٤) والأجرِ ^(٥) ، فكانوا يَتَمَنَّوْنَ أن يُوزقوا قتالاً فيقاتلوا ، ^(٦) فسبق إليهم القتالُ حتى كان في ناحيةِ المدينةِ يومَ أُحُدٍ ، فقال اللهُ عز وجل كما تسمعون : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ ﴾ ، حتى بلغ ﴿ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(٧) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن

(١) سقط من : م .

(٢) في ص : « فعيبهم » ، وفي م : « فعاتبهم » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٦٠ وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٦/٣ عقب الأثر (٤٢٥٤) معلقا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٠/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤ - ٤) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، س .

(٥ - ٥) في ت ٢ : « فسبق إليهم » ، وفي س : « فشق عليهم » .

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٦/٣ عقب الأثر (٤٢٥٤) معلقا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٠/٢ إلى عبد بن حميد والمصنف .

قتادة قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ . قال : كانوا يَتَمَنُّونَ أَنْ يَلْقَوْا المشركين فيقتاتلوهم ، فلما لقوهم يوم أُحُدٍ ولَّوْا^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : إن أناساً^(٢) من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدرٍ والذي أعطاهم الله من الفضل ، فكانوا يَتَمَنُّونَ أَنْ يَزُوا قتالاً فيقاتلوا ، فسيق^(٣) إليهم القتالُ حتى كان بناحية المدينة يوم أُحُدٍ ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ الآية^(٤) .

حدَّثني محمدُ بنُ بشرٍ ، قال : ثنا هُوذة ، قال : ثنا عوفٌ ، عن الحسنِ ، قال : بلغني أن رجالاً من أصحابِ النبي ﷺ كانوا يقولون : لئن لقينا مع النبي ﷺ لنَفْعَلَنَّ^(٥) ولنَفْعَلَنَّ^(٥) ، / فاثبتلوا بذلك ، فلا والله ما كلهم صدق الله^(٦) ، فأنزل الله عز ١١٠/٤ وجل : ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ الآية^(٧) .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قال : كان ناسٌ من أصحابِ النبي ﷺ لم يشهدوا بدرًا ، فلما رأوا فضيلةَ أهلِ بدرٍ قالوا : اللهم إنا نسألك أن تُرَبِّنا يوماً كيومِ بدرٍ ، نُبَلِّغُك فيه خيرًا . فرأوا أُحُدًا ، فقال

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٣٤ .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « ناسا » .

(٣) في ت ٢ : « فسيق » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٦/٣ عقب الأثر (٤٢٥٤) من طريق ابن أبي جعفر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٠/٢ إلى عبد بن حميد .

(٥) في ت ١ ، ت ٢ : « ليفعلن » .

(٦) سقط من : ص ، م .

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٦/٣ عقب الأثر (٤٢٥٤) معلقا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٠/٢ إلى المصنف .

لهم : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴾ ^(١) .
 حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ
 الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴾ : أى : لقد كنتم تمنون الشهادة
 على الذى أتم عليه من الحق ، قبل أن تلقوا عدوكم ، يعنى الذين استباحوا ^(٢) رسول
 الله ﷺ إلى ^(٣) خروجه بهم إلى عدوهم لما فاتهم من الحضور فى اليوم الذى كان قبله
 بيدى ؛ رغبة فى الشهادة التى فاتتهم به ، يقول : ﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴾ . أى :
 الموت بالسيوف فى أيدي الرجال قد حُلِّي ^(٤) بينكم وبينهم ، وأنتم تنظرون إليهم ،
 فصددتم عنهم ^(٥) .

[٣٥/١١] القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
 الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَنَّ يَصُرْ
 اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(١٤٤) .

يعنى تعالى ذكروه بذلك : وما محمد إلا رسول كبعض رسل الله الذين أرسلهم
 إلى خلقه داعيًا إلى الله وإلى طاعته ، الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله
 إليه . يقول جل ثناؤه : فمحمد ﷺ إنما هو فيما الله به صانع من قبضه إليه عند

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٧٦/٣ ، عقب الأثر (٤٢٥٤) من طريق عمرو ، عن أسباط به ، وعزاه
 السيوطى فى الدر المنثور ٨٠/٢ إلى المصنف .

(٢) فى ص : « استباحوا » مصحفة ، وفى م : « حملوا » ، وفى تفسير ابن أبى حاتم : « استباحوا » ، وفى
 سيرة ابن هشام : « استهضوا » . واليؤص : أن تستعجل إنساناً فى تحميله امرأة لا تدعه يتمهل فيه . التاج
 (ب و ص) .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « على » .

(٤) فى م : « حل » ، وهى محتملة فى ص ، وفى ت ٢ : « فدخل » .

(٥) سيرة ابن هشام ١١١/٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٧٦/٣ (٤٢٥٥) من طريق سلمة به .

انقضاءِ مُدَّةِ أَجَلِهِ ، كسائرِ^(١) رسلِهِ إلى خَلْقِهِ الذين مَضُوا قَبْلَهُ ، وماتوا عند انقضاءِ مُدَّةِ أَجَالِهِمْ . ثم قال لأصحابِ مُحَمَّدٍ مُعَاتِبَهُمْ على ما كان منهم مِنَ الهَلَعِ والجَزَعِ ، حينَ قيل لهم بأحدٍ : إن مُحَمَّدًا قد قُتِلَ . ومُقَبَّبًا إليهم انصرافَ مَنْ انصَرَفَ منهم عن عَدُوِّهِمْ وانهُزَمَهُ عَنْهُمْ : أفإن مات مُحَمَّدٌ أَيُّهَا القَوْمُ ؛ لانقضاءِ مُدَّةِ أَجَلِهِ ، أو قتلَهُ عَدُوُّهُ^(٢) ، ﴿ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ . يعنى اِزْتَدَدْتُمْ عن دينِكُمْ الذى بعث اللهُ مُحَمَّدًا بالدعاءِ إليه ، ورجعتم عنه كفارًا باللهِ بعدَ الإيمانِ به ، وبعدَ ما قد وَصَّحتْ لَكُمْ صِحَّةُ ما دعاكم مُحَمَّدٌ إليه ، وحقيقَةُ ما جاءكم به من عندِ رَبِّهِ ، ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ﴾ . يعنى بذلك : وَمَنْ يَزْتَدِدْ منكم عن دينِهِ وَيَزْجِعْ كافرًا بعدَ إيمانِهِ ﴿ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾ . يقولُ : فلن يُوهِنَ ذلكَ عِزَّةَ^(٣) اللهُ ولا سُلطانَهُ ، ولا يَدْخُلُ بذاك نقضُ فى مُلْكِهِ ، بل نَفْسَهُ يَضُرُّ بِرَدِّهِ ، وَحَظَّ نَفْسِهِ يَنْقُضُ بِكُفْرِهِ ، ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ . يقولُ : وَسَيُثِيبُ اللهُ مَنْ شَكَرَهُ على تَوْفِيقِهِ وَهُدَايَتِهِ إياه لَدِينِهِ بِبُيُوتِهِ^(٤) على ما جاء به مُحَمَّدٌ ﷺ إن هو مات أو قُتِلَ ، واستقامتِهِ على مِنْهاجِهِ ، وَتَمَسَّكِهِ بِدِينِهِ وَمِلَّتِهِ بَعْدَهُ .

كما حَدَّثَنَا المُثَنَّى ، قال : ثنا إِسْحاقُ ، قال : ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ هاشِمٍ ، قال : أَخْبَرَنَا سيفُ بنِ عَمَرَ^(٥) ، عن / أبى رُوَيْحٍ ، عن أبى أَيُوبَ ، عن عَلِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فى ١١١/٤ قوله : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : الثابتين على دينهم ؛ أبا بكرٍ وأصحابِهِ .

(١) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « مدة » .

(٢) فى م : « عدوكم » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، س : « عدوهم » .

(٣) فى ت ٢ : « غيره » .

(٤) فى م : « بيوتته » .

(٥) فى م : « عمرو » . وينظر تهذيب الكمال ١٢ / ٣٢٤ .

فكان عليّ رضي الله عنه يقول : كان أبو بكرٍ أميراً^(١) الشاكرين ، وأميراً^(١) أحبّاءِ الله ، وكان أشكرهم^(٢) ، وأحبّهم إلى الله^(٣) .

حدّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريزٌ ، عن مُغيرةَ ، عن العلاءِ بنِ بدرٍ ، قال : إن^(٤) أبا بكرٍ أميراً^(١) الشاكرين . وتلا هذه الآية : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

حدّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : أى : من أطاعه وعمل بأمره^(٥) .

وذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ في من انهمز عنه بأحد من أصحابه .

ذِكْرُ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ بِذَلِكَ [ظ ٣٥/١١]

حدّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قولهُ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ ، إلى قولهِ : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : ذاكم يومٌ أُحُدٍ حينَ أصابهم القَرْحُ والقَتْلُ ، ثم تناعوا^(٦) رسولَ اللهِ ﷺ على تَفَقُّةٍ^(٧) ذلك ، فقال أناسٌ : لو كان نبياً ما قُتِلَ . وقال أناسٌ من عِليّةِ أصحابِ نبيِّ اللهِ ﷺ : قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم ، حتى يفتحَ اللهُ لَجل وعز لكم أو تلتحقوا به . فقال اللهُ

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « أمين » .

(٢) فى ت ، ١ ، ٢ ، س : « أشكر » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨١/٢ ، إلى المصنف .

(٤) فى الأصل : « وجدنا » ، وفى ص ، ت ، ٢ ، س : « وحدنا » .

(٥) سيرة ابن هشام ١١١/٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٧٩/٣ (٤٢٦٧) من طريق سلمة به .

(٦) فى م : « تنازعوا » ، وفى تفسير ابن أبى حاتم والدر المنثور : « تداعوا » .

(٧) فى م ، ت ، ١ ، ٢ : « بقية » ، وغير منقوطة فى ص . وتفقة الشيء : حينه وزمانه . وفى الأثر : ثم دخل

أبو بكر على تفقة ذلك . أى : على إثره . ينظر النهاية ١/١٩٢ ، واللسان (ت ف أ) .

عز وجل : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ ، يقول : إن مات نبيكم أو قُتِلَ ارتددتم كفارًا بعد إيمانكم ^(١) ؟

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، بنحوه ، وزاد فيه : قال الربيع : وذُكِرَ لنا - والله أعلم - أن رجلًا من المهاجرين مرَّ على رجلٍ من الأنصار ، وهو يتششط ^(٢) في دمه ، فقال : يا فلان أشعرت أن محمدًا قد قُتِلَ ؟ فقال الأنصاري ^(٣) : إن كان محمدٌ قد قُتِلَ فقد بُلِّغ ، فقاتلوا عن دينكم .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ ، يقول : ارتددتم كفارًا بعد إيمانكم ^(٤) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما بَرَزَ رسولُ اللهِ ﷺ يوم أُحُدٍ إليهم - يعني إلى المشركين - أمر الرِّمَاءَ فقاموا بأصلِ الجبلِ في وجوهِ خيلِ المشركين ، وقال : « لا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ إِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ هَرَمْنَا ، فَإِنَّا لَنْ نَزَالَ غَالِبِينَ مَا ثَبْتُمْ مَكَانَكُمْ » ، وأمر عليهم عبدُ اللهِ بنُ جُبَيْرٍ ، أَخَا خَوَاتِ بْنِ جُبَيْرٍ ، ثُمَّ سَدَّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَالْمَقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ عَلَى الْمَشْرُوكِينَ فَهَزَمَاهُمْ ، وَحَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فَهَزَمُوا أَبَا سَفِيَانَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَهُوَ عَلَى خَيْلِ الْمَشْرُوكِينَ ، حَمَلَ ^(٥) ، فَرَمَتْهُ الرِّمَاءُ فَانْقَمَعَتْ ، فَلَمَّا نَظَرَ الرِّمَاءُ إِلَى

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٨/٣ عقب الأثر (٤٢٦٢) معلقًا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٠/٢ ، إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تشطحت القتل في دمه : تخبط فيه واضطرب وتمرغ . التاج (ش ح ط) .

(٣) قال الحافظ ابن كثير : لعل هذا الأنصاري هو أنس بن النضر ؛ عم أنس بن مالك . البداية والنهاية ٥٠١/٥ بتحقيقنا .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٨/٣ (٤٢٦٢) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به .

(٥) في ص : « قد » ، وفي م : « قدم » والمثبت من التاريخ .

رسول الله ﷺ وأصحابه في جوفِ عسكرِ المشركين يَنْتَهِبُونَهُ (١) ، بادِرُوا إِلَى (٢)
 الْعَيْمَةِ ، فقال بعضهم : لا تَتْرُكْ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فإِنْ طَلَقَ عَامَّتُهُمْ فَلَحِقُوا
 بِالْعَسْكَرِ ، فلما رأى خالدُ قِلَّةَ الرُّمَاهِ (٣) صاح في خيله ، ثم حَمَلَ فقتل الرُّمَاهُ ، وحَمَلَ
 على أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فلما / رأى المشركون أن خيلَهُمْ تُقَاتِلُ تَنَادَوْا (٤) ، فشدُّوا
 على المسلمين ، فهزموهم وقتلوهم ، فأَتَى ابنُ قَمِيَّةَ (٥) الحارثيُّ - أحدُ بنِي الحارثِ [٣٦/١١]
 ابنَ عبدِ مناةَ (٦) بنِ كنانةَ - فرمى رسولَ اللَّهِ ﷺ بحجرٍ ، فكسرَ أنفَهُ وَرَبَاعِيَتَهُ (٧) ، وشجَّه
 في وجهه فَأَثَقَلَهُ (٨) ، وتفرَّقَ عنه أصحابُه ، ودخلَ بعضهم المدينةَ ، وأنطلقَ بعضهم فوقَ
 الجبلِ إلى الصخرةِ ، فقاموا عليها ، وجعلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ : «إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ،
 إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ» . فاجتمعَ إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يَقفْ أحدٌ إلا
 طلحةُ وسهلُ بنُ حنيفةٍ ، فحمَاهُ طلحةُ فرمى بسهمٍ في يده فبيست (٩) يده ، وأقبلَ أُبَيُّ بنُ
 خلفِ الجُمَحِيِّ وقد حلفَ لَيَقْتُلَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، فقال النَّبِيُّ ﷺ : «بل أنا أَقْتُلُهُ (١٠)» ، فقال :
 «يا كذابُ ، أين تَفِرُّ مني (١١) ؟» فحملَ عليه ، فطعنه النَّبِيُّ ﷺ طعنةً (١٢) في جيبِ

١١٢/٤

(١) في ت ١ : «ينتهبونه» ، وفي ت ٢ : «ينتهبوا به» ، وفي س : «يتبعوا به» .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) في م : «الرماح» .

(٤) في م : «تبادروا» .

(٥) في م : «قميعة» . وهو عبد الله بن قميعة اللبني الحارثي . ينظر سيرة ابن هشام ٧٣/٢ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٩٤ ،

١٢٢ ، وتاريخ الطبري ٢/٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٩ ، ٥٢٧ ، والروض الأنف ٥/٤٦٩ ، والبداية والنهاية ٥/٣٩٨ بتحقيقنا .

(٦) في النسخ : «مناف» . والمثبت من تاريخ الطبري ٥١٩/٢ وينظر جمهرة أنساب العرب ص ١٨٨ .

(٧) الرباعية : السنُّ التي بين النبتة والناب . ينظر التاج (ر ب ع) .

(٨) في ت ٢ : «فأقبله» ، وفي س : «فأفعله» .

(٩) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : «وبيست» . وينظر التاريخ ٥٢٠/٢ .

(١٠) في م : «أقتلك» .

(١١) جيب الشيء مدخله ، ومنه : جيب الدرع : ما يدخل منه الرأس عند لبسه . ينظر التاج (ج ي ب) .

الدرع ، فـجـرح جـرحًا خـفـيفًا ، فـوقـع يـخـورٌ حـوَارٌ^(١) الثَّورِ . فـاخـتـمـلـوه وـقـالـوا : لـيـس بـك جـراحةٌ^(٢) فـمـا يُـجـزِعُكَ^(٢) . قـال : أليـس قـال : « لَأَقْتُلَنَّكَ » ؟^(٢) والـلـهِ^(٢) لو كـانـت لـجـمـيـعِ رـيـبـةً وـمُضِرَ لَقَتَلْتَهُمْ^(٣) . فـلـم يَلْبَثْ إـلـا يـومًا أو بـعـضَ يـومٍ حـتـى مـات مـن ذلـك الجـُرحِ .

وفـشًا فـي النـاسِ أن رـسـولَ اللـهِ ﷺ قـد قُتِلَ ، فـقـال بـعـضُ أَصْحَابِ الصَّخْرَةِ : لـيـت لـنا رـسـولًا إـلـى عـبـدِ اللـهِ بـنِ أُبَيِّ ، فَيَأْخُذَ^(٤) لـنا أَمَنَةً مـنْ أـبـى سـفـيـانَ ، يـا قـومِ إـن مـحـمـدًا قـد قُتِلَ ، فـازـجـعـوا إـلـى قـومِـكـم قـبـلَ أن يَأْتُواكـم فـيقتـلوكـم . فـقـال أنـسُ بـنُ النُّضْرِ : يـا قـومِ ، إـن كـان مـحـمـدٌ قـد قُتِلَ فـان رَّبَّ مـحـمـدٍ لـم يُقْتَلْ ، فـقَاتِلُوا عـلـى ما قَاتَلَ عـلـيـه مـحـمـدٌ ﷺ ، اللـهـم إـنـي أَعْتَدِرُ إـلـيـك مـما يـقـولُ هـؤَلاءِ ، وَأَبْرَأُ إـلـيـك مـما جـاء بـه هـؤَلاءِ . ثـم شَدَّ^(٥) بـسـيـفـه فـقَاتَلَ حـتـى قُتِلَ رَجِمَهُ اللـهُ ورضى عنه .

وأنـطَلَقَ رـسـولُ اللـهِ ﷺ يَدْعُو النـاسَ حـتـى انْتَهَى إـلـى أَصْحَابِ الصَّخْرَةِ ، فـلـمـا رَأَوْه وَضَعَ رِجْلُ سَهْمًا فـي قـوسـه ، فأراد أن يَرْمِيَه ، فـقـال : « أنا رـسـولُ اللـهِ » . فـفـرِحـوا^(٦) حـيـنَ وِجَدُوا رـسـولَ اللـهِ ﷺ حَيًّا ، وِفرِحَ رـسـولُ اللـهِ ﷺ حـيـنَ رَأَى أن فـي أَصْحَابِهِ مَن يَمْتَنِعُ بـه^(٧) ، فـلَمَّا اجْتَمَعُوا وِفيهِم رـسـولُ اللـهِ ﷺ ذَهَبَ عَنـهـم الحُزْنُ ، فـأَقْبَلُوا يَدْكُرُونَ الفَتْحَ وِما فَاتَهُم مـنـه ، وِيَدْكُرُونَ أَصْحَابَهُم^(٨) الذـيـن قُتِلُوا .

فـقـال اللـهُ عز وجل للذـيـن قـالـوا : إـن مـحـمـدًا قـد قُتِلَ ، فـازـجـعـوا إـلـى قـومِـكـم :

(١) في النسخ : «خوران» . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٢) - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « لقتلهم » . وينظر تاريخ الطبرى ٥٢٠ / ٢ .

(٤) في م : « فناخذ » .

(٥) في س : « سرى » .

(٦) بعده في الأصل : « بذلك » ، وفي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « به » .

(٧) - ٧) في النسخ : « يمتنع » ، وأثبتنا لفظه « به » من التاريخ .

(٨) في النسخ : « أصحابه » والمثبت من التاريخ .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾^(١) .

حدثني محمد بن عمرو، [٣٦/١١] قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ﴾ ، قال : يَرْتَدُّ^(٢) .

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم،^(٣) عن عيسى، عن ابن أبي نجيح^(٣)، عن أبيه، وحدثني المثنى، قال : ثنا أبو حذيفة، قال : ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه - أن رجلاً من المهاجرين، مرَّ على رجلٍ من الأنصار، وهو يَتَشَحَّطُ^(٤) في دمه، فقال : يا فلان، أشعرت أن محمداً قد قُتِلَ^(٥)؟ فقال الأنصاري : إن كان محمداً قد قُتِلَ فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم^(٦) .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة، قال : ثنا ابن إسحاق، قال : ثنا القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار، قال : انتهى أنس بن النضر رحمه الله - عم أنس بن مالك - إلى عمر وطلحة بن عبيد الله في رجالٍ / من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم، فقال : ما يُجِلُّسُكُمْ؟ قالوا^(٧) : قُتِلَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . قال : فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ! ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتِلَ . وبه سُمِّيَ أنس بن مالك^(٨) .

١١٣/٤

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٥١٩/٢ - ٥٢١ وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٧/٣ (٤٢٥٩) من طريق أحمد بن الفضل به، مقتصرًا على آخره .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٨/٣ (٤٢٦٤) من طريق ابن أبي نجيح به . وعزاه السيوطي أيضا في الدر المنثور ٨١/٢ إلى عبد بن حميد، وهو في تفسير مجاهد ص ٢٦١ عن ابن أبي نجيح، عن أبيه، وينظر الأثر التالي .

(٣ - ٣) في س : « عن يحيى » .

(٤) في س : « متشحط » .

(٥) ليست في : الأصل .

(٦) تفسير مجاهد ص ٢٦٠، ٢٦١ عن ابن أبي نجيح، عن أبيه .

(٧) بعده في م ، ت ٣ : « قد » .

(٨) أخرجه المصنف في تاريخه ٥١٧/٢ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا أَبُو زُهَيْرٍ ، عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، قَالَ : نَادَى مُنَادٍ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ هُزِمَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ : أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَارْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ الْأَوَّلِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ الْآيَةَ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ^(٢) ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مُجَاهِدٍ ، قَالَ : أُلْقِيَ فِي أَقْوَامِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ قُتِلَ ، فَانزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ الْآيَةَ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنى أَبِي ، قَالَ : ثنى عَمِي ، قَالَ : ثنى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اغْتَزَلَ هُوَ ^(٤) وَعَصَابَةٌ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ عَلَى أَكْمَةٍ ، وَالنَّاسُ يَقْرَءُونَ ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى الطَّرِيقِ يَسْأَلُهُمْ : مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ وَجَعَلَ كُلُّمَا مَرُّوا عَلَيْهِ سَأَلُهُمْ ^(٥) ، فَيَقُولُونَ : وَاللَّهِ مَا نَدْرِي مَا فَعَلَ . فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَئِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قُتِلَ لَنُعْطِيَنَّهُمْ بِأَيْدِينَا ، إِنَّهُمْ لَعَشَائِرُنَا وَإِخْوَانُنَا . وَقَالُوا : ^(٦) لَوْ أَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ حَيًّا لَمْ يُهْزَمْ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ قُتِلَ . فَتَرَحَّصُوا فِي الْفِرَارِ يَوْمَئِذٍ ^(٧) . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ الْآيَةَ كُلَّهَا ^(٨) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٠/٢ إلى المصنف .

(٢) في ص ، س : « الحسن » .

(٣) ذكره الطوسي في التبيان ٦/٣ عن مجاهد بنحوه .

(٤) بعده في س : « وأصحابه » .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يسألهم » .

(٦ - ٦) في م : « إن محمدًا إن كان حيا » ، وفي س : « إن كان محمد حيا » .

(٧) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « حينئذ » .

(٨) سقط من : م .

والأثر عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٠/٢ إلى المصنف .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ الآية : ناسٌ مِنْ أَهْلِ الْأَزْتِيَابِ وَالْمَرَضِ وَالنَّفَاقِ قَالُوا (١) يَوْمَ أَحَدٍ (١١/٣٧) يَوْمَ فَرَّ النَّاسُ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ، وَشَجَّ فَوْقَ حَاجِبِهِ ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ : قُتِلَ مُحَمَّدٌ فَالْحَقُّوا بِدِينِكُمُ الْأَوَّلِ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ (٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ . قَالَ : مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَنْ تَدْعُوا الْإِسْلَامَ وَتَتَقَلَّبُوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ مُحَمَّدٌ أَوْ يُقْتَلَ ، فَسَوْفَ يَكُونُ أَحَدُ هَذَيْنِ ؛ فَسَوْفَ يَمُوتُ أَوْ يُقْتَلُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ . أَيْ لِقَوْلِ (٣) النَّاسِ : قُتِلَ مُحَمَّدٌ . وَإِنْ هُزِمُوا عِنْدَ ذَلِكَ ، وَانصَرَفُوا عَنْ عَدُوِّهِمْ ، أَيْ : أَفَإِنْ مَاتَ نَبِيُّكُمْ (٤) أَوْ قُتِلَ ، رَجَعْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ كَفَارًا كَمَا كُنْتُمْ ، وَتَرَكْتُمْ جِهَادَ عَدُوِّكُمْ وَكُتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَا قَدْ خَلَّفَ نَبِيُّهُ مِنْ دِينِهِ مَعَكُمْ وَعِنْدَكُمْ ، وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ فِيمَا جَاءَكُمْ عَنْهُ أَنَّهُ مَيِّتٌ وَمُفَارِقُكُمْ . ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ . أَيْ : يَرْجِعْ عَنِ دِينِهِ ، ﴿ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾ . أَيْ : لَنْ يَنْقُصَ ذَلِكَ مِنْ عِزِّ اللَّهِ ، وَلَا مُلْكِهِ ، وَلَا سُلْطَانِهِ (٥) .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) ذكره الطوسي في التبيان ٦/٣ عن الضحاك بنحوه .

(٣) في س : « يقول » .

(٤) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٨/٣ (٤٢٦٣) من طريق سلمة به . ينظر سيرة ابن هشام ١١١/٢ .

/حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، قَالَ : قال ابنُ جُرَيْجٍ : ١١٤/٤
قال أهلُ المرضِ والازتيابِ والنفاقِ - حينَ فرَّ الناسُ عن النبيِّ ﷺ - : قد قُتِلَ
محمدٌ ، فالحقوا بدينكم الأولِ . فنزلت هذه الآية^(١) .

ومعنى الكلامِ : وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ ،^(٢) أفنتقلبون
على أعقابكم^(٣) إن مات محمدٌ أو قُتِلَ ؟ ومن يَنْقَلِبْ على عقبه فلن يضرَّ اللهَ شيئاً .
فجعل الاستفهامَ فى حرفِ الجزاءِ ، ومعناه أن يكونَ فى جوابه خبرٌ^(٣) ، وكذلك كلُّ
استفهامٍ دخل على جزاءٍ ، فمعناه أن يكونَ فى جوابه خبرٌ^(٣) ؛ لأن الجوابَ خبرٌ يقومُ
بنفسه ، والجزاء شرطٌ لذلك الخبرِ ، ثم يُجْزَمُ جوابه وهو كذلك ، ومعناه الرفعُ لمجيئه
بعدَ الجزاءِ ، كما قال الشاعرُ^(٤) :

حَلَفْتُ لَهُ إِنْ تُدْلِجِ اللَّيْلَ لَا يَزِلُّ أَمَامَكَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِي سَائِرُ
فمعنى « لا يَزِلُّ » رفعٌ ، ولكنه جُزِمَ لمجيئه بعدَ الجزاءِ ، فصار كالجوابِ ، ومثله :
﴿ أَفَأَيْنِمْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] . و﴿ فَكَيْفَ تَنْقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ ﴾
[الزمل : ١٧] . ولو كان مكان ﴿ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ « يخلدون » . وقيل : أفائن مِتَّ
يُخَلِّدُوا^(٥) . جاز الرفعُ فيه والجزمُ . وكذلك لو كان مكان « انقلبتم » « تنقلبوا » ، جاز
الرفعُ والجزمُ ؛ لما وصفتُ قبلُ وتركتُ إعادةَ الاستفهامِ ثانيةً مع قوله : ﴿ انْقَلَبْتُمْ ﴾ .
اكتفاءً بالاستفهامِ فى أولِ الكلامِ ، وأن الاستفهامَ فى أوَّلِهِ دالٌّ على مَوْضِعِهِ ومكانِهِ .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٠/٢ إلى المصنف .

(٢ - ٣) فى ص : « فينقلبون على أعقابكم » ، وفى س : « أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فينقلبون
على أعقابهم » .

(٣) هذه زيادة لازمة أثبتها من معانى القرآن للفراء ١/٢٣٦ .

(٤) هو الراعى النميرى ، والبيت فى ديوانه ص ١٢٩ .

(٥ - ٥) سقط من : س .

وقد كان بعضُ القَرَاءَةِ يَخْتَارُ في قولهِ : ﴿أَهَذَا مِنَّنَا وَكُنَّا نُرَابًا^(١) وَعَظْمًا أَهْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾^(٢) [المؤمنون : ٨٢ ، الصافات : ١٦ ، الواقعة : ٤٧] . تَرَكَ إعادةَ الاستفهامِ مع ﴿أَهْنَا﴾ اكتفاءً بالاستفهامِ في قولهِ ﴿أَهَذَا مِنَّنَا وَكُنَّا نُرَابًا﴾^(٣) ، وَيَسْتَشْهَدُ على صحَّةِ وَجْهِ ذلكِ بإجماعِ القَرَاءَةِ على تركهِم إعادةَ الاستفهامِ مع قولهِ : ﴿أَنْقَلَبْتُمْ﴾ ، اكتفاءً بالاستفهامِ في قولهِ : ﴿أَفَأَيْنَ مِتَّ﴾ ، إذ كان دالًّا على معنى الكلامِ وموضعِ الاستفهامِ منه ، وكان يَفْعَلُ مثلَ ذلكِ في جميعِ القرآنِ . وَسَنَأْتِي على الصوابِ من القولِ في ذلكِ إن شاء اللهُ ، إذا انْتَهينا إليه .

[٣٧/١١] القولُ في تأويلِ قولهِ : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كُنْبًا مُؤَجَّلًا﴾ .

يعنى بذلكِ جُلُّ ثنائه : وما يموتُ محمدٌ ولا غيرهُ من خلقِ اللهِ إلا بعدَ بلوغِ أجلِهِ الذي جعله اللهُ غايةَ لحِيَّاتِهِ وبقائه ، فإذا بَلَغَ ذلكِ مِنَ الأجلِ الذي كَتَبَهُ اللهُ له ، وأُذِنَ له بالموتِ ، فحينئذٍ يموتُ ، فأما قَبْلَ ذلكِ فلن يموتَ بكيدِ كائِدٍ ، ولا بِحِيلَةٍ مُحْتالٍ .

/ كما حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كُنْبًا مُؤَجَّلًا﴾ . أى : إن لِحْمَدٍ أَجَلًا هو بالْعَهْ ، فإذا أُذِنَ اللهُ^(٤) في ذلكِ كان^(٥) .

١١٥/٤

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) في النسخ : «أهذا كنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون» .

(٣) في النسخ : «أهذا كنا ترابا» .

(٤) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «له» .

(٥) سيرة ابن هشام ١١١ / ٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧٩ / ٣ (٤٢٧١) من طريق سلمة به .

وقد قيل : إن معنى ذلك : وما كانت نفسٌ ليموتَ إلا بإذنِ الله .

واختلَف أهلُ العربيةِ في المعنى الناصِبِ قولُه : ﴿ كَتَبْنَا مُؤَجَّلًا ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويي البصرة : هو توكيدٌ ، ونصبه على : كَتَبَ اللهُ كِتَابًا مُؤَجَّلًا . قال : وكذلك كلُّ شيءٍ في القرآنِ مِنْ قولِه : ﴿ حَقًّا ﴾ ، إنما هو : أُحِقُّ ذلكَ حَقًّا . وكذلك ﴿ وَعَدَ اللهُ ﴾ [الروم : ٦] ، و ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ [الكهف : ٨٢] ، و ﴿ صُنِعَ اللهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ٨٨] ، و ﴿ كَتَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء : ٢٤] . إنما هو : صَنَعَ اللهُ ذلكَ صُنْعًا . فهكذا تفسيرُ كلِّ شيءٍ في القرآنِ مِنْ نحوِ هذا ، فإنه كثيرٌ ^(١) .

وقال بعضُ نحويي الكوفةِ في قولِه : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ : معناه : كَتَبَ اللهُ أَجَالَ النَفْسِ ، ثم قيل : ﴿ كَتَبْنَا مُؤَجَّلًا ﴾ . فأُخْرِجَ قولُه : ﴿ كَتَبْنَا مُؤَجَّلًا ﴾ . نصبًا مِنْ المعنى الذي في الكلامِ ، إذ كان قولُه : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ قد أَدَّى عن معنى ^(٢) كَتَبَ . قال : وكذلك سائرُ ما في القرآنِ مِنْ نظائرِ ذلك ، فهو على هذا النحوِ .

وقال آخرون منهم : قولُ القائلِ : زيدٌ قائمٌ حَقًّا . بمعنى : أقولُ زيدٌ قائمٌ حَقًّا ؛ لأنَّ كلَّ كلامٍ قولٌ ، فأدَّى المَقولُ عن القولِ ، ثم خرج ما بعده منه ، كما تقولُ : أقولُ قولًا حَقًّا ، وكذلك : « ظنًّا » و « يقينًا » ، وكذلك : ﴿ وَعَدَ اللهُ ﴾ [الروم : ٦] ، وما أشبهه .

(١) ينظر الكتاب لسبويه ٣٨١/١ - ٣٨٢ .

(٢) في م : « معناه » .

والصواب من القول في ذلك عندي أن كل ذلك منصوبٌ على المصدرِ، من معنى الكلام الذي قبله ؛ لأن في كل ما قبل المصادر - التي هي مخالفة ألفاظها ألفاظ ما قبلها من الكلام - معاني ألفاظ المصادرِ، وإن خالفها في اللفظ، فنصبها من معاني ما قبلها دون ألفاظه .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (١٤٥) .

[٣٨/١١] يعني بذلك تعالى ذكره : وَمَنْ يُرِدْ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ^(١) بِعَمَلِهِ جِزَاءً مِنْهُ ، بَعْضُ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا ، دُونَ مَا عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ مِنَ الْكِرَامَةِ لِمَنْ ابْتَغَى بِعَمَلِهِ مَا عِنْدَهُ ، ﴿ نُؤْتِيهِ ﴾ . يَقُولُ : نُعْطِيهِ ﴿ مِنْهَا ﴾ . يَعْنِي : مِنَ الدُّنْيَا ، يَعْنِي أَنَّهُ يُعْطِيهِ مِنْهَا مَا قُسِمَ لَهُ مِنْهَا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ^(٢) أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، ثُمَّ لَا نَصِيبَ لَهُ فِي كِرَامَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّتِي أَعَدَّهَا لِمَنْ أَطَاعَهُ ، وَطَلَبَ مَا عِنْدَهُ فِي الآخِرَةِ . ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ ﴾ . يَقُولُ : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ﴾ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ جِزَاءً مِنْهُ ﴿ ثَوَابَ الآخِرَةِ ﴾ . يَعْنِي : مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ كِرَامَتِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِلْعَامِلِينَ لَهُ فِي الآخِرَةِ ﴿ نُؤْتِيهِ مِنْهَا ﴾ . يَقُولُ : نُعْطِيهِ ﴿ مِنْهَا ﴾ يَعْنِي : مِنَ الآخِرَةِ ، وَالْمَعْنَى : مِنَ كِرَامَةِ اللَّهِ الَّتِي خَصَّ بِهَا أَهْلَ طَاعَتِهِ فِي الآخِرَةِ ، فَخَرَجَ الْكَلَامُ عَلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالْمَعْنَى : مَا فِيهِمَا ، كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا ﴾ ، أَي : فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ، لَيْسَتْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الآخِرَةِ ، / نُؤْتِيهِ مَا قُسِمَ لَهُ مِنْهَا مِنْ رِزْقٍ ، وَلَا حِظٌّ لَهُ فِي الآخِرَةِ ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا مَا وَعَدَهُ ، مَعَ مَا يُجْرَى عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهِ فِي دُنْيَاهُ ^(٣) .

١١٦/٤

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « المؤمنون » .

(٢) سقط لفظ الجلالة من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) سيرة ابن هشام ١١١ / ٢ ، وأخرجه ابن حاتم في تفسيره ٧٧٩ / ٣ (٤٢٧٢) من طريق سلمة به .

وأما قوله : ﴿ وَسَنْجَرِي الشَّاكِرِينَ ﴾ . يقول : وسأُثَبِّبُ مَنْ شَكَرَ لِي مَا أَوْلَيْتُهُ مِنْ إِحْسَانِي إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ إِيَّاي ، وانتهائه إلى أمرى ، وتجنُّبه محارمى ، فى الآخرة مثل الذى وَعَدْتُ أَوْلِيَّائِي مِنَ الْكِرَامَةِ عَلَى شُكْرِهِمْ إِيَّاي .

وقال ابنُ إسحاق فى ذلك بما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاق : ﴿ وَسَنْجَرِي الشَّاكِرِينَ ﴾ . أى : وذلك جزاءُ الشَّاكِرِينَ ، يعنى بذلك : إعطاءُ اللهِ إِيَّاهُ ما وَعَدَهُ فى الآخرة ، مع ما يُعْجِرِي عَلَيْهِ مِنَ الرِّزْقِ فى الدنيا^(١) .

القول فى تأويلِ قوله : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ ﴾ .

اختلفت القراءَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأه بعضهم : ﴿ وَكَأَيِّنْ ﴾ . بهمزِ الألفِ وتشديدِ الياءِ^(٢) . وقرأه آخرون بمدِّ الألفِ وتخفيفِ الياءِ^(٣) .

وهما قراءتان مشهورتان فى قرأة المسلمين ، ولغتان معروفتان لا اختلاف فى معناهما ، فبأى القراءتين قرأ ذلك قارئٌ فمصيبٌ ؛ لاتفاقِ معنئيهِ ذلك ، وشهرتهما فى كلامِ العربِ ، ومعناه : وكم من نبي .

القول فى تأويلِ قوله : ﴿ قَتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ ﴾ .

اختلفت القراءَةُ فى قراءةِ قوله : ﴿ قَتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ ﴾ ؛ فقرأ ذلك جماعةٌ من قرأةِ الحجازِ والبصرةِ : (قُتِلَ) بضمِّ القافِ^(٤) . وقرأه جماعةٌ

(١) سيرة ابن هشام ١١١ / ٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٧٩ / ٣ (٤٢٧٣) من طريق سلمة به .

(٢) وهى قراءة نافع وعاصم وأبى عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى . ينظر حجة القراءات ص ١٧٤ .

(٣) وهى قراءة ابن كثير . المصدر السابق .

(٤) فى الأصل : « قُتِلَ » .

(٥) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو . ينظر السبعة ص ٢١٧ .

أخرى بفتح القاف وبالألف ، وهي قراءة [٣٨/١١] جماعة من قرأة الحجاز والكوفة^(١) .

فأما من قرأ : ﴿ قَتَلَ ﴾ فإنه اختار ذلك ؛ لأنه قال : لو قُتِلوا لم يَكُنْ لقوله : ﴿ فَمَا وَهَنُوا ﴾ . ووجه معروف ؛ لأنه يَسْتَحِيلُ أن يُوصَفوا بأنهم لم يَهِنوا ولم يَضَعُفوا بعد ما قُتِلوا .

وأما الذين قرءوا ذلك : (قُتِل) . فإنهم قالوا : إنما عنى بالقتل النبيّ وبعض من معه من الرّبيّين دون جميعهم ، وإنما نفى الوهن والضعف عن بقى من الرّبيّين ممن لم يُقتل .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا قراءة من قرأه بضم القاف : (قُتِلَ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ) ؛ لأن الله جلّ ثناؤه إنما عاتب بهذه الآية والآيات التي قبلها من قوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾ - الذين انهزموا يوم أُحُد ، وتركوا القتال ، إذ سمعوا الصائح يصيح : إن محمداً قد قُتِل . فعذبهم^(٢) الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال ، فقال لهم جلّ ثناؤه : أفإن مات محمداً أو قُتِل أيها المؤمنون به ارتدّدتم عن دينكم ، وانقلبتم على أعقابكم !؟ ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم ، وقال لهم : هلا فعلتم كما كان أهل العلم والفضل من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قُتِل نبيهم ، من المضى على منهاج نبيهم ، والقتال على دينه أعداء دين الله ، على نحو ما كانوا يُقاتلون مع نبيهم ، / ولم تهنوا ولم تضعفوا ، كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم ١١٧/٤

(١) هي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص عنه . ينظر السبعة ص ٢١٧ .

(٢) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فعذبهم » .

والبصائر، من أتباع الأنبياء إذ قُتِلَ نبيُّهم، ولكنهم صبروا لأعدائهم حتى حَكَمَ اللهُ بينهم وبينهم. وبذلك من التأويلِ جاء تأويلُ المتأولين .

وأما «الرييون» فإنهم مرفوعون بقوله: ﴿مَعَهُ﴾ . لا بقوله: (قُتِلَ) .

وإنما تأويلُ الكلام: وكأين من نبيِّ قُتِلَ ومعه رييون كثيرٌ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيلِ اللهِ. وفي الكلام إضمارٌ واوٍ؛ لأنها واوٌ تدلُّ على معنى حالٍ^(١) قُتِلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غيرَ أنه اجْتزئ بدلالة ما ذُكِرَ من الكلامِ عليها من ذكرها، وذلك كقولِ القائلِ في الكلام: قُتِلَ الأميرُ معه جيشٌ عظيمٌ. بمعنى: قُتِلَ ومعه جيشٌ عظيمٌ.

وأما «الرييون»، فإن أهلَ العربيةِ اختلفوا في معناه؛ فقال بعضُ نحوييِ البصرة: هم الذين يَعْبُدونَ الرَّبَّ، واحدهم رِيٌّ.

وقال بعضُ نحوييِ الكوفة: لو كانوا مَنْسُوبينَ إلى عبادةِ الرَّبِّ، لكانوا رِيَّيُونَ، بفتحِ الرَّاءِ، ولكنهم^(٢) العلماءُ والألوفُ.

والرييون عندنا: الجماعاتُ^(٣) الكثيرةُ، واحدهم رِيٌّ، وهم جماعةٌ.

واختلف أهلُ التأويلِ في معناه؛ فقال بعضهم: مثل ما قلنا.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ، قال: ثنا عبدُ الرحمنِ، قال: ثنا سفيانُ، عن عاصمِ، عن

(١) سقط من: ص، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٢) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «لكنه».

(٣) في م: «الجماعة».

زِرٌّ، عن عبدِ اللهِ : الربيون الألوْفُ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو نُعيم ، قال : ثنا سفيانُ^(٢) الثوريُّ ، عن عاصم ، عن زِرٌّ ، عن عبدِ اللهِ مثله .

[٣٩/١١] حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا الثوريُّ وابنُ عُيينةَ ، عن عاصمِ بنِ أبي التَّجودِ ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن عبدِ اللهِ مثله^(٣) .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، قال : ثنا عمرو ، عن^(٤) عاصمٍ ، عن زِرٌّ ، عن عبدِ اللهِ مثله .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرنا عوفُ عمَّن حدَّثه ، عن ابنِ عباسٍ في قوله : ﴿ رِييُونَ كَثِيرٌ ﴾ . قال : جموعٌ كثيرةٌ^(٥) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ قَتَلَ مَعَهُ رِييُونَ كَثِيرٌ ﴾ . قال : جموعٌ^(٦) .

(١) تفسير سفيان ص ٨١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٠/٣ (٤٢٧٧) ، والطبراني (٩٠٩٦) من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٢/٢ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) بعده في م : « عن » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٤ .

(٤) في م : « بن » . وينظر تهذيب الكمال ٢٢/٢٠٥ .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور ١٠٩٦/٣ (٥٣١) عن هشيم به .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٠/٣ (٤٢٧٨) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٢/٢ إلى ابن المنذر .

حَدَّثَنَا حَمِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ ، قَالَ : ثنا بَشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، عَنْ عَاصِمِ ، عَنْ زُرِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ : (وَكَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ) . قَالَ : الْأَلُوفُ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّلْتِ ، قَالَ : ثنا أَبُو كُدَيْنَةَ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَكَأَيُّنَ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتِلٍ مَّعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ ﴾ . قَالَ : عِلْمَاءُ كَثِيرٌ .

/ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَوْفٌ ، عَنْ ١١٨/٤ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَكَأَيُّنَ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتِلٍ مَّعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ ﴾ . قَالَ : فَفَهَاءُ عِلْمَاءُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عَلِيَّةَ ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : (وَكَأَيُّنَ مَنْ نَبِيٌّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ) . قَالَ : الْجَمُوعُ الْكَثِيرَةُ . قَالَ يَعْقُوبُ : وَكَذَلِكَ قَرَأَهَا إِسْمَاعِيلُ : (قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ) ^(٤) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : (وَكَأَيُّنَ مِّنْ نَّبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ) . يَقُولُ : جَمُوعٌ كَثِيرَةٌ ^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٢/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « قتل » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٣١ - تفسير) عن هشيم به .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٠/٣ عقب الأثر (٤٢٧٩) معلقا .

(٥) ذكره البغوي في تفسيره ١١٧/٢ ، وابن كثير في تفسيره ١١١/٢ عن قتادة ، وقراءة قتادة (قُتِلَ) بالبناء

للمفعول وتشديد التاء ، نص على ذلك أبو حيان في البحر المحيط ٧٢/٣ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ
الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : (قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُونَ كَثِيرٌ) . قَالَ : «^(١) علماء كثيرٌ » . قَالَ قَتَادَةُ : جَمَوْعٌ
كثيرةٌ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ
عَمْرٍو ، عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَيْثُونَ كَثِيرٌ ﴾ . قَالَ : جَمَوْعٌ كثيرةٌ^(٣) .

حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْأَمَلِيُّ ، قَالَ : ثنا سفيانٌ ، عن عمرو ، عن
عكرمة ، مثله^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي
نجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عز وجل : (قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُونَ كَثِيرٌ) . قَالَ :
جَمَوْعٌ كثيرةٌ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أبو حذيفةً ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن
مجاهدٍ مثله^(٤) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : (قُتِلَ مَعَهُ
رَيْثُونَ كَثِيرٌ) . يَقُولُ : جَمَوْعٌ كثيرةٌ^(٥) .

(١ - ١) في م : « علماء كثيرة » . وفي س : « علم كثير » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٠/٣ (٤٢٨٠) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (٥٣٢ - تفسير) عن سفيان به .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٠/٣ عقب الأثر (٤٢٧٩) معلقا .

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره ٤/٢٣٠ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٣/٧٤ ، وابن كثير في تفسيره

حدَّثني المثنى [٣٩/١١] ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحاك في قوله : (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ) . يقول : جموعٌ كثيرٌ ^(١) ، قُتِلَ نبيُّهم ^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا سُؤَيْدُ بْنُ نَصْرٍ ، قال : أخبرنا ابنُ المبارك ، عن جعفرِ بنِ حَيَّانَ ^(٣) والمبارك ، عن الحسنِ في قوله : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلْنَا مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ ﴾ . قال جعفرُ : علماءٌ صُبرُوا . وقال المبارك ^(٤) : أتقياءُ صُبرُوا ^(٥) .

حدَّثتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمعتُ أبا معاذٍ يقولُ : أخبرني عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمعتُ الضحاكَ يقولُ في قوله : (قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ) . يعنى الجموعَ الكثيرةَ ، قُتِلَ نبيُّهم .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ قَتَلْنَا مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ ﴾ . يقولُ : جموعٌ كثيرةٌ ^(١) .

(١) في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « كثيرة » .

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣/٧٤ ، وابن كثير في تفسيره ٢/١١١ . وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٣٣ - تفسير) عن الضحاك بمعناه .

(٣) في م ، ت ١ : « حيان » . ينظر تهذيب الكمال ٥/٢٢ .

(٤) في الأصل ، ص ، م : « ابن المبارك » . وهو المبارك بن فضالة .

(٥) في م : « صبروا » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٨١ (٤٢٨١) من طريق أبي الأشهب جعفر بن حيان به ، وبرقم (٤٢٨٢) من طريق المبارك به .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٨٠ عقب الأثر (٤٢٧٩) من طريق أسباط به .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ في قولِهِ : (وَكَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ) . قَالَ : وَكَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ أَصَابَهُ الْقَتْلُ ، وَمَعَهُ جَمَاعَاتٌ ^(١) .

١١٩/٤ / حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : (وَكَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ) . الرِّيبِيُّونَ هُمُ الْجَمُوعُ الْكَثِيرَةُ ^(٢) .

وقال آخرون : الريبون هم الأتباع .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : (وَكَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ) . قَالَ : الرِّيبِيُّونَ الْأَتْبَاعُ ، وَالرِّبَابِيُّونَ الْوَلَاةُ ، وَالرِّيبِيُّونَ الرَّعِيَّةُ ، وَبِهَذَا ^(٣) عَاتَبَهُمُ اللَّهُ حِينَ انْهَزَمُوا عَنْهُ ، حِينَ صَاحَ الشَّيْطَانُ : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ . قَالَ : كَانَتِ الْهَزِيمَةُ عِنْدَ صِيَاغِهِ فِي سَبِيهِ ^(٤) ، صَاحَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قُتِلَ ، فَارْجِعُوا إِلَى عَشَائِرِكُمْ يُؤْمِنُوكُمْ ^(٥) .

(١) سيرة ابن هشام ١١٢/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٠/٣ (٤٢٧٦) من طريق سلمة به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٢/٢ إلى المصنف .

(٣) في الأصل ، ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « هذا » .

(٤) في ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « سسه » ، وفي م : « سنيته » .

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره ٢٣٠/٤ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٧٤/٣ ببعضه .

القول في تأويل قوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٦).

يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذى نالهم فى سبيل الله، ولا لقتل من قتل منهم عن حرب أعداء الله، ولا نكلوا عن جهادهم [٤٠/١١] ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾. يقول: وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم، ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾. يعنى: وما ذلوا فتنخسوا^(١) لعدوهم بالدخول فى دينهم، ومداهنتهم فيه، خيفة منهم، ولكن مضوا قداما على بصائرهم، ومنهاج نبيهم، صبرا على أمر الله وأمر نبيهم وطاعة الله، واتباعا لتنزيله ووحيه. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾. يقول: والله يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لأمره وطاعته، وطاعة رسوله، فى جهاد عدوه، لا من فشل ففر عن عدوه، ولا من انقلب على عقبيه، فذل لعدوه لأن قتل نبيه أو مات، ولا من دخله وهن عن عدوه وضعف؛ لفقد نبيه.

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾. يقول: ما عجزوا، وما تضعفوا.

(١) سقط من: ت ١، س، وفى م: «فيتخسوا».

لقتل نبيهم ، ﴿ وَمَا اسْتَكَاثُوا ﴾ ، يقول : ما ارتدوا عن بصيرتهم ^(١) ، ولا عن دينهم ، أن ^(٢) قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله ﷺ ، حتى لحقوا بالله ^(٣) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس في قوله : ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا ﴾ . يقول : وما عجزوا وما ضعفوا لقتل نبيهم : ﴿ وَمَا اسْتَكَاثُوا ﴾ ، يقول : وما ارتدوا عن بصيرتهم ^(١) ، قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله ﷺ ، حتى لحقوا بالله ^(٤) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ فَمَا وَهَنُوا ﴾ . قال : فما وهن الرزيون ﴿ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ من قتل النبي ﷺ ^(٥) . يقول : ما ضعفوا / في سبيل الله ، لقتل النبي ، ^{١٢٠/٤} ﴿ وَمَا ضَعُفُوا ^(٦) وَمَا اسْتَكَاثُوا ﴾ . يقول : ما ذلوا حين قال رسول الله ﷺ : « اللهم ليس لهم أن يغفلونا » . ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٧) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ فَمَا وَهَنُوا ﴾ لفقد نبيهم ، ﴿ وَمَا ضَعُفُوا ﴾ عن عدوهم ، ﴿ وَمَا اسْتَكَاثُوا ﴾ لما أصابهم في الجهاد عن

(١) في م : « نصرتهم » .

(٢) في م : « بل » .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨١/٣ عقب الأثر (٤٢٨٣) معلقا .

(٤) ذكره أبو حيان في البحر المحیط ٧٤/٣ ، وابن كثير في تفسيره ١١١/٢ عن الربيع .

(٥) بعده في م : « وما ضعفوا » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨١/٣ (٤٢٨٥) من طريق أحمد بن المفضل به .

اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وعن دينهم ، وذلك الصبرُ ، ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾^(١) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَمَا اسْتَكَاثُوا ﴾ . قال : تحشَّعوا^(٢) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَمَا اسْتَكَاثُوا ﴾ . قال : ما استكانوا لعدوِّهم ، ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾^(٣) .

[٤٠/١١ظ] القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾^(٤٧) .

يعنى بقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ ﴾ : وما كان قول الرُّبِّيِّين ، والهَاءُ والميمُ من ذكرِ أسماءِ الرُّبِّيِّين ، ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ ، يعنى : ما كان لهم قولٌ سوى هذا القولِ ، إذ قُتِلَ نبيُّهم .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ . يقولُ : لم يَعْتَصِمُوا إذ قُتِلَ نبيُّهم إلا بالصبرِ على ما أصابهم ، ومُجاهدةِ عدوِّهم ، وبمسألةِ ربِّهم المغفرةَ والنصرَ على عدوِّهم .

ومعنى الكلامِ : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ .

وأما الإسرافُ فإنه الإفراطُ فى الشيءِ ، يقالُ منه : أسرف فلانٌ فى هذا

(١) سيرة ابن هشام ١١٢/٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٨١/٣ ، ٧٨٢ ، ٤٢٨٦) ، ٤٢٩٠ ، ٤٢٩٤) من طريق سلمة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٨٢/٣ (٤٢٩٥) من طريق ابن جريج به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٢/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٨٢/٣ (٤٢٩٣) عن يونس به .

الأمر . إذا تجاوز مقدارَه فأفرط .

ومعناه هلهنا : اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا الصُّغَارَ مِنْهَا ، وما أَسْرَفْنَا فِيهِ مِنْهَا ، فَتَحْطِئْنَا إِلَى الْعِظَامِ ، وَكَأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ : اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ؛ الصُّغَائِرَ مِنْهَا وَالْكِبَائِرَ .

كما حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ . قَالَ : حَطَايَانَا ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ . قَالَ : حَطَايَانَا وَظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبيدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ : يَعْنِي : الْخَطَايَا الْكِبَارَ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا أَبُو تَمِيمَةَ ، عَنْ عبيدِ بْنِ سَلِيمَانَ ، عَنْ الضَّحَّاكَ بْنِ مُرَاجِمٍ ، قَالَ : الْكِبَائِرُ .

١٢١/٤ / حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿ وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ . قَالَ : حَطَايَانَا .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٣/٢ إلى المصنف وابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٣/٣ (٤٢٩٩) من طريق أبي حذيفة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٣/٣ (٤٣٠٠) من طريق علي بن الحكم عن الضحاك به .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ : ﴿ وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ . قَالَ : خَطَايَانَا ^(١) .
 وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَثَبَّتْ أقدامَنَا ﴾ . فَإِنَّهُ يَقُولُ : اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَثْبُتُ لِحَرْبِ عَدُوِّكَ وَقِتَالِهِمْ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ يَنْهَزِمُ فَيَفِرُّ مِنْهُمْ ، وَلَا يَثْبُتَ قَدَمُهُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لِحَرْبِهِمْ ، ﴿ وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ . يَقُولُ : وَأَنْصُرْنَا عَلَى الَّذِينَ جَحَدُوا وَخَدَانِيَتِكَ وَنُبُوَّةَ نَبِيِّكَ .

وإنما هذا تأنيب من الله جل ثناؤه عباده الذين فُتُوا عن العدو يوم أحد ، وتركوها قتالهم ، وتأديب لهم ، يقول الله جل ثناؤه لهم : هَلَّا فَعَلْتُمْ إِذْ قِيلَ لَكُمْ : قُتِلَ نَبِيُّكُمْ . كما فعل هؤلاء الرِّبِّيُّونَ ، الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ ، إِذْ قُتِلَتْ أَنْبِيَائُهُمْ ، فَصَبَرْتُمْ لِعَدُوِّكُمْ صَبْرَهُمْ ، وَلَمْ تَضَعُفُوا وَتَسْتَكِينُوا لِعَدُوِّكُمْ ، فَتَحَاوَلُوا الْإِزْتِدَادَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، كَمَا لَمْ يَضَعُفْ هَؤُلَاءِ الرِّبِّيُّونَ ، وَلَمْ يَسْتَكِينُوا لِعَدُوِّهِمْ ، وَسَأَلْتُمْ رَبَّكُمْ [٤١/١١] وَالنَّصْرَ وَالظَّفَرَ كَمَا سَأَلُوا ، فَيَنْصُرْكُمْ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ كَمَا نُصِرُوا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ يُحِبُّ مَنْ صَبَرَ لِأَمْرِهِ ، وَعَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِ ، فَيُعْطِيهِ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ عَلَى عَدُوِّهِ .

كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ . أَيْ : فَقُولُوا كَمَا قَالُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ بِذُنُوبِكُمْ ، وَاسْتَغْفِرُوا كَمَا اسْتَغْفَرُوا ، وَأَمْضُوا عَلَى دِينِكُمْ ، كَمَا مَضُوا عَلَى دِينِهِمْ ، وَلَا تَوَتَّدُوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ رَاجِعِينَ ، وَاسْأَلُوهُ كَمَا سَأَلُوهُ أَنْ يُثَبِّتَ أقدامَكُمْ ، وَاسْتَئْصِرُوهُ كَمَا اسْتَئْصِرُوهُ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، فَكُلُّ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ قَدْ كَانَ ، وَقَدْ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ ، فَلَمْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٣/٣ (٤٢٩٨) عن محمد بن سعد به .

يَفْعَلُوا كَمَا فَعَلْتُمْ^(١) .

والقراءة التي هي القراءة في قوله: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾. النصب^(٢)؛ لإجماع قرأة الأمصار على ذلك، نقلاً مستفيضاً، وراثاً عن الحجة.

وإنما اختير النصب في «القول»؛ لأن «أن»^(٣) لا تكون إلا معرفة، فكانت أولى بأن تكون هي الاسم دون الأسماء التي قد تكون معرفة أحياناً ونكرة أحياناً، ولذلك اختير النصب في كل اسم ولي «كان»، إذا كان بعده «أن» الخفيفة، كقوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ [العنكبوت: ٢٤]، وقوله: (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا)^(٤) [الأنعام: ٢٣].

فأما إذا كان الذي يلي «كان» اسماً معرفة، والذي بعده مثله، فسواء الرفع والنصب في الذي يلي «كان»، فإن جعلت الذي يلي «كان» هو الاسم رفعت، ونصبت الذي بعده، وإن جعلت الذي يلي «كان» هو الخبر نصبت، ورفعت الذي بعده، كقوله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّؤَالُ﴾ [الروم: ١٠]. إن جعلت «العاقبة» الاسم رفعتها، وجعلت ﴿السُّؤَالُ﴾ هي الخبر منصوبة، وإن جعلت «العاقبة» هي الخبر نصبت، فقلت: ثم^(٥) كان عاقبة الذين أساءوا السؤالي، وجعلت ﴿السُّؤَالُ﴾ هي الاسم، فكانت مرفوعة، وكما قال الشاعر^(٦):

(١) سيرة ابن هشام ١١٣/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٢/٣، ٧٨٣ (٤٢٩٧) من طريق سلمة به.

(٢) قراءة النصب هي قراءة الجمهور. وقرأ الحسن بالرفع. ينظر الإتحاف ١/ ١٣٠.

(٣) في م: «إلا أن».

(٤) يأتي الكلام على هذه القراءة عند تفسير الآية ٢٣ من سورة الأنعام.

(٥) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «و».

(٦) البيت في الكتاب لسبويه ١/ ٥٠، والمختضب لابن جني ٢/ ١١٦، وشرح المنفصل لابن جني ٧/ ٩٦.

لقد علم الأقباط ما كان داءها بثهلان إلا الخزي ممن يقودها

١٢٢/٤ / ورؤى أيضًا: ما كان داؤها بثهلان إلا الخزي. نصبًا ورفعا، على ما قد
بيئت، ولو فعل مثل ذلك مع «أن» كان جائزا، غير أن أفصح الكلام ما وصفت
عند العرب.

القول في تأويل قوله: ﴿فَتَأْتِيهِمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤٨).

[٤١/١١] يعني بذلك جل ثناؤه: فأعطى الله الرّيبين الذين وصفهم بما
وصفهم - من الصبر على طاعة الله عز وجل بعد مقتل أنبيائهم، وعلى جهاد
عدوهم، والاستعانة بالله في أمورهم، واقتنائهم مناهج إمامهم، على ما أبلّوا
في الله جل وعز - ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾، يعني: جزاء في الدنيا، وذلك النصر
على عدوهم وعدو الله، والظفر والفتح عليهم، والتمكين لهم في البلاد،
﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾، يعني: وخير جزاء الآخرة، على ما أسلفوا في الدنيا من
أعمالهم الصالحة، وذلك الجنة ونعيمها.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله:
﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾، فقرأ حتى بلغ ﴿وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: إى والله، لآتاهم الفتح والظهور والتمكين والنصر على عدوهم
في الدنيا، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾، يقول: وحسن الثواب في الآخرة وهى
الجنة^(١).

(١) أخرجه ابن أبى حاتم في تفسيره ٧٨٤/٣ (٤٣٠٥، ٤٣٠٧) من طريق يزيد به.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ ﴾ . ثم ذكر نحوه ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَكَانَتْ لَهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ . قَالَ : النَّصْرَ وَالْغَنِيمَةَ . ﴿ وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ . قَالَ : رِضْوَانَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابن إِسْحَاقَ : ﴿ فَكَانَتْ لَهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ : الظهور ^(٣) على عدوهم ، ﴿ وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ : الجنة وما أعدَّ فيها ^(٤) . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . يقولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : فعلُ اللَّهِ ذلكَ بهم ^(٥) بإحسانِهِمْ ، فإنه يُحِبُّ المحسنين ، وهم الذين يفعلون مثل الذي وصف عنهم تعالى ذكره ، وأنهم فعلوه حين قُتِلَ نبيهم .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ ^(١٤٩) .

يعنى بذلك جَلَّ ثَنَاؤُهُ : يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله ، فى وعدِ اللهِ ووَعِيدِهِ وأمرِهِ ونهْيِهِ ، ﴿ إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، يعنى : الذين جحدوا نبوة نبيكم محمد ﷺ من اليهود والنصارى ، فيما يأمرونكم به ، وفيما ينهونكم عنه ، فتقبلوا رأيهم فى ذلك ، وتنتصحوهم فيما يزعمون أنهم لكم فيه

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٨٤/٣ عقب الأثر (٤٣٠٥) من طريق ابن أبى جعفر به نحوه .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٣/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « وحسن الظهور » ، وفى م : « حسن الظهور » .

(٤) سيرة ابن هشام ١١٣/٢ بنحوه .

(٥) سقط من : م .

ناصحون ﴿ يَرُدُّوكُمْ ﴾ [٤٢/١١] عَلَيَّ أَعْقَبِكُمْ ﴿ . يقول : يَحْمِلُوكُمْ عَلَى الرُّدَّةِ ١٢٣/٤
 بعدَ الإيمانِ ، والكفرِ باللهِ وآياتهِ ورسوله بعدَ الإسلامِ ، ﴿ فَتَنَقَلِبُوا خَسِرِينَ ﴾ .
 يقول : فَتَرْجِعُوا عَنْ إِيمَانِكُمْ وَدِينِكُمْ الَّذِي هَدَاكُم اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ، ﴿ خَسِرِينَ ﴾ ،
 يعنى : هَالِكِينَ ، قد خَسِرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ، وَضَلَلْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ ، وَذَهَبَتْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَجْتُمْ .

يُنْهَى بِذَلِكَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَنْ يُطِيعُوا أَهْلَ الْكُفْرِ فِي آرَائِهِمْ ، وَيُنْتَصِحُوهُمْ فِي
 أَدْيَانِهِمْ ، كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ يَتَأَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَيَّ أَعْقَبِكُمْ فَتَنَقَلِبُوا
 خَسِرِينَ ﴾ . أى : عن دِينِكُمْ ، فَتَذْهَبَ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَجْتُمْ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قَالَ : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ قوله :
 ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ :
 يَقُولُ : لَا تُنْتَصِحُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى عَلَى دِينِكُمْ ، وَلَا تُصَدِّقُوهُمْ بِشَيْءٍ فِي
 دِينِكُمْ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أحمدُ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ يَتَأَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَيَّ أَعْقَبِكُمْ فَتَنَقَلِبُوا
 خَسِرِينَ ﴾ . يَقُولُ : إِنْ تُطِيعُوا أَبَا سَفِيَانَ يَرُدُّكُمْ ^(٣) كَفَارًا .

(١) سيرة ابن هشام ١١٣/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٤/٣ ، ٧٨٥ ، (٤٣١١ ، ٤٣١٣) من طريق سلمة به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٥/٣ (٤٣١٢) من طريق ابن ثور عن ابن جريج ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٣/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) في م : « يردوكم » . والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٤/٣ (٤٣٠٨) ، من طريق أحمد بن المفضل به نحوه .

القول في تأويل قوله: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ (١٥٠).

يعنى بذلك تعالى ذكره: أن الله عز وجل مُسَدِّدُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، فمُنْقِذُكُمْ من طاعة الذين كفروا .

وإنما قيل: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانُمْ﴾ ؛ لأن في قوله: ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَزِدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ نهيًا لهم عن طاعتهم ، فكأنه قال : يا أيها الذين آمنوا لا تطيعوا الذين كفروا ، فيردوكم على أعقابكم . ثم ابتدأ الخبر ، فقال : ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانُمْ﴾ ، فأطيعوه دون الذين كفروا ، فهو خيرٌ من نصر ، ولذلك رُفِعَ اسْمُ اللَّهِ ، ولو كان [٤٢/١١ ظ] منصوبًا على معنى : بل أطيعوا الله مولاكم دون الذين كفروا ، كان وجهًا صحيحًا .

ويعنى بقوله: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانُمْ﴾ : بل الله وليكم وناصركم على أعدائكم الذين كفروا ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ ، لا من فرزتم إليه من اليهود وأهل الكفر بالله . فبالله الذى هو ناصركم ومولاكم فاعتصموا ، وإياه فاستنصروا دون غيره ممن يبيغيكم العوائل ، ويبرضدكم بالمكاره .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانُمْ﴾ ، إن كان ما تقولون بألسنتكم صدقًا فى قلوبكم ، ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ ، أى : فاعتصموا به ، ولا تستنصروا غيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم مؤتدين عن دينكم^(١) .

القول في تأويل قوله: ﴿سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا

(١) سيرة ابن هشام ١١٣/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٨٥/٣ (٤٣١٥) من طريق سلمة به .

أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمْ النَّارُ وَيَبْتَئِسَ مَثْوَى
الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ .

١٢٤/٤ /يعنى بذلك جل ثناؤه : سيُلْقَى اللهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بِرَبِّهِمْ ، وَجَحَدُوا نَبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، مِمَّنْ حَارَبَكُمْ بِأَحَدٍ ، ﴿ الرُّعْبَ ﴾ ، وَهُوَ الْجَزَعُ وَالْهَلَعُ ، ﴿ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ﴾ ، يَعْنِي : بِشْرِكِهِمْ بِاللَّهِ وَعِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ ، وَطَاعَتِهِمُ الشَّيْطَانَ ، الَّتِي لَمْ أَجْعَلْ لَهُمْ بِهَا حُجَّةً . وَهِيَ السُّلْطَانُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ لَمْ يُنَزِّلْهُ بِكَفْرِهِمْ وَشْرِكِهِمْ .

وهذا وعدٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَصْحَابَ رَسُولِهِ ، بِالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ ، وَالْفَلَجِ ^(١) عَلَيْهِمْ مَا اسْتَقَامُوا عَلَى عَهْدِهِ ، وَتَمَسَّكُوا بِطَاعَتِهِ ، ثُمَّ أَخْبَرَهمُ تَعَالَى ذِكْرَهُ مَا هُوَ فَاعِلٌ بِأَعْدَائِهِ بَعْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَمَأْوَاهُمْ النَّارُ ﴾ يَعْنِي : وَمَرْجِعُهُمُ الَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ النَّارُ . ﴿ وَيَبْتَئِسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ . يَقُولُ : وَيَبْتَئِسُ مَقَامَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِاِكْتِسَابِهِمْ مَا أُوجِبَ لَهَا عِقَابَ اللَّهِ ، النَّارُ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ سُنِّقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ [١١/٤٣] بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمْ النَّارُ وَيَبْتَئِسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿١٥١﴾ . فَإِنِّي سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ الَّذِي بِهِ كُنْتُ أَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ ، بِمَا أَشْرَكُوا بِي ، مَا لَمْ أَجْعَلْ لَهُمْ بِهِ حُجَّةً ، أَيْ : فَلَا تَظُنُّوا أَنَّ لَهُمْ عَاقِبَةَ نَصْرِ ، وَلَا ظَهْوَرَ عَلَيْكُمْ ، مَا اعْتَصَمْتُمْ بِي ^(٢) وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي ، لِلْمُصِيبَةِ الَّتِي أَصَابَتْكُمْ مِنْهُمْ ، بِذُنُوبٍ قَدَّمْتُمُوهَا لِأَنْفُسِكُمْ ، خَالَفْتُمْ

(١) الفلج : الظفر والفوز .

(٢) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س .

بها أمرى ، وعصيتهم فيها نبئى عليه السلام^(١) .

حدّثنى محمدٌ ، قال : ثنا أحمدٌ ، قال : ثنا أسباطٌ ، عن السدىّ ، قال : لما ارتحل أبو سفيانَ والمشركون يوماً أحيدَ متوجّهين نحو مكة ، انطلق أبو سفيانَ حتى بلغ بعض الطريق ، ثم إنهم نديموا فقالوا : بئس ما صنعتم ، إنكم قتلتهموهم ، حتى إذا لم يبق إلا الشريدُ تركتموهم ، ارجعوا فاستأصلوهم . فقدف الله جلّ وعزّ في قلوبهم الرعب ، فانهزموا ، فلحقوا أعرابياً ، فجعلوا له جُعلاً ، فقالوا له : إن لقيتَ محمدًا فأخبرهم^(٢) بما قد جمّعنا لهم . فأخبر الله تعالى ذكره رسوله ﷺ ، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد ، فأنزل الله جلّ ثناؤه فى ذلك ، يذكرُ أبا سفيانَ حين أراد أن يرجع إلى النبي ﷺ ، وما قدف فى قلبه من الرعب ، فقال : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ﴾^{(٣)(٤)} .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ .

يعنى بقوله جلّ ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ : ولقد صدقكم الله أيها المؤمنون من أصحاب محمد ﷺ بأحد ، ﴿ وَعْدَهُ ﴾ الذى وعدكم^(٥) على لسان رسوله محمد ﷺ .

(١) سيرة ابن هشام ١١٣/٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم ٧٨٥/٣ (٤٣١٧) من طريق سلمة به مختصراً .

(٢) فى م : « فأخبره » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٣/٢ إلى المصنف .

(٤) بعده فى ص : « يتلوه القول فى تأويل قوله ولقد صدقكم الله وعده وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير » .

وبعده فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان قال أخبرنا أبو جعفر محمد

ابن جرير رحمه الله » .

(٥) فى م : « وعدهم » .

والوعدُ الذي كان وعدهم على لسانه بأحدٍ / قوله ﷺ للرماة: « اثبتوا ١٢٥/٤ مكانكم ولا تَبْرَحُوا وإن رأيتمونا قد هزمناهم ، فإننا لن نزال غاليين ما ثبتتم مكانكم » .
 وكان وعدهم رسولُ اللهِ ﷺ النصرَ يومئذٍ إن انتهوا إلى أمره .

كالذي حدثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قال : لما بَرَزَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى المشركين بأحدٍ ، أمر الرماةَ ، فقاموا بأصلِ الجبلِ في وجوه خيلِ المشركين ، وقال : « لا تَبْرَحُوا مكانكم إن رأيتمونا قد هزمناهم ، فإننا لن نزال غاليين [٤٣/١١ ظ] ما ثبتتم مكانكم » . وأمر عليهم عبدُ اللهِ بنُ جُبَيْرِ أَخَا حَوَاتٍ بنِ جُبَيْرِ .

ثم إن طلحةَ بنَ عثمانَ صاحبَ لواءِ المشركين قام فقال : يا معشرَ أصحابِ محمدٍ ، إنكم تَزْعُمون أن اللهَ يُعَجِّلُنَا بسيفِكم إلى النارِ ، ويُعَجِّلُكم بسيفِنا إلى الجنةِ ، فهل منكم أحدٌ يُعَجِّلُه اللهُ بسيفي إلى الجنةِ ، أو يُعَجِّلُنِي بسيفِه إلى النارِ ؟ فقام إليه عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضِيَ اللهُ عنه ، فقال : والذي نفسي بيده ، لا أفارقُك حتى يُعَجِّلَ اللهُ بسيفي إلى النارِ ، أو يُعَجِّلُنِي بسيفِكَ إلى الجنةِ . فضربه عليٌّ ، فقطعَ رجلَه فسقط ، فأنكشفت عورتهُ ، فقال : أنشدك اللهُ والرحمَ يا بنَ عمِّ . فتركه ، فكبرَ رسولُ اللهِ ﷺ ، وقال لعليِّ أصحابه : ما منعك أن تُجَهِّزَ عليه ؟ فقال : إن ابنَ عمي ناشدني اللهُ حينَ انكشفت عورتهُ ، فاستحييتُ منه .

ثم شدَّ الزبيرُ بنُ العوامِ والمقدادُ بنُ الأسودِ على المشركين ، فهزماهم ، وحملَ النبيُّ ﷺ وأصحابه ، فهزموا أبا سفيانَ ، فلما رأى ذلك خالدُ بنُ الوليدِ وهو على خيلِ المشركين حملَ ، فزمته الرماةُ فانقمعَ ، فلمَّا نظرت الرماةُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابه في جوفِ عسكرِ المشركين يَنْتَهَبونَه ، بادروا الغنيمةَ ، فقال بعضهم : لا نتركُ أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ . فأنطلقَ عامتهمُ ، فلحقوا بالعسكرِ ، فلما رأى خالدٌ قلةَ الرماةِ صاح في خيله ، ثم حملَ فقتل الرماةَ ، وحملَ على أصحابِ النبيِّ ﷺ ، فلمَّا

رَأَى الْمُشْرِكُونَ أَنَّ خَيْلَهُمْ تُقَاتِلُ تَنَادَوْا، فَشَدُّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ^(١).

حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: ثنا مُضْعَبُ بْنُ الْمِقْدَامِ، قَالَ: ثنا إِسْرَائِيلُ، قَالَ: ثنا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَلَقِينَا الْمُشْرِكِينَ، أَجْلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِجَالًا بِإِزَاءِ الرُّمَاءِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ أَخَا خَوَاتِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَقَالَ لَهُمْ: «لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ وَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا». فَلَمَّا لَقِيَ الْقَوْمَ هَزَمَ الْمُشْرِكِينَ، حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ رَفَعْنَ عَن سُوقِهِنَّ، وَبَدَتْ خَلَاجِلَهُنَّ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: الْغَنِيْمَةُ الْغَنِيْمَةُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَهَلًا، أَمَا عَلِمْتُمْ مَا عَاهَدَ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَبَوْا، فَأَنْطَلَقُوا، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صَرَفَ اللَّهُ وُجُوهُهُمْ، فَأَصِيبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبْعُونَ قَتِيلًا^(٢).

حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: ثنا أَبِي، عَنِ إِسْرَائِيلَ، عَنِ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ نَحْوَهُ.

[١١/٤٤٤] حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثنا أَبِي، قَالَ: ثنا عَمِي، قَالَ: ثنا أَبِي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾. فَإِنَّ أَبَا سَفِيَانَ أَقْبَلَ فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ خَلُونَ مِنْ شَوَالٍ، حَتَّى نَزَلَ بِأُحُدٍ، وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأُذِّنَ فِي النَّاسِ، فَاجْتَمَعُوا، وَأَمَرَ / الزَّيْبِرَ عَلَى ١٢٦/٤

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٥٠٩/٢، ٥١٠.

(٢) في م: «التقى».

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ٥٠٧/٢، ٥٠٨، وأخرجه البخارى (٤٠٤٣)، وابن حبان (٤٧٣٨) والبيهقى في الدلائل ٢٦٧/٣، ٢٦٨ من طريق إسرائيل به، وأخرجه الطيالسى (٧٦١)، وأحمد ٥٤٤/٣٠ - ٥٥٦، ٥٦٢ (١٨٥٩٣، ١٨٦٠٠)، والبخارى (٣٠٣٩، ٣٩٨٦، ٤٠٦١، ٤٠٦٧)، وأبو داود (٢٦٦٢)، والنسائى (٨٦٣٥، ١١٠٧٩ - كبرى)، والبيهقى في الدلائل ٢٦٩/٣ وغيرهم من طريق أبي إسحاق به، وعزاه السيوطى في الدر المنثور ٨٥/٢ إلى ابن المنذر.

الخيَلِ ، ومعه يومئذِ المِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ ، وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللوَاءَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ ، يُقَالُ لَهُ : مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ . وَخَرَجَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ بِالْحُسَيْرِ ^(١) ، وَبَعَثَ حَمْزَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ وَمَعَهُ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّبِيرَ ، وَقَالَ : « اسْتَقْبِلْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، فَكُنْ يَأْزِئَهُ حَتَّى أُؤِذِنَكَ » . وَأَمَرَ بِخَيْلٍ أُخْرَى ، فَكَانُوا مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، فَقَالَ : « لَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُؤِذِنَكُمْ » . وَأَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ يَحْمِلُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الزَّبِيرِ أَنْ يَحْمِلَ ، فَحَمَلَ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَهَزَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ مَعَهُ ، فَقَالَ جَلٌّ وَعَزٌّ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾ . وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْصِرَهُمْ ، وَأَنَّهُ مَعَهُمْ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى محمدُ بنُ مسلمِ بنِ عبيدِ اللهِ الزهري ، و ^(٣) محمدُ بنُ يحيى بنِ حَبَّانٍ ، وعاصمُ بنُ عمرِ بنِ قَتَادَةَ ، والحِصِينُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عمرو بنِ سعيدِ بنِ معاذٍ ، وغيرهم من عُلمائنا - في قصةِ ذَكرها عن أُحُدٍ - ذَكَرَ أَنَّ كُلَّهُمْ قَدْ حَدَّثَ بَعْضُهَا ، وَأَنَّ حَدِيثَهُمْ اجْتَمَعَ فِيمَا سَاقَ مِنَ الْحَدِيثِ ، فَكَانَ فِيمَا ذَكَرَ فِي ذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ الشُّعْبَ مِنْ أُحُدٍ فِي غُدْوَةِ الْوَادِي إِلَى الْجَبَلِ ، فَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إِلَى أُحُدٍ ، وَقَالَ : « لَا يَفْتَاتِرُنَّ أَحَدٌ حَتَّى نَأْمُرَهُ بِالْقِتَالِ » . وَقَدْ سَرَّحَتْ قُرَيْشُ الظُّهْرَ ^(٤) وَالْكَرَاعَ ^(٥) فِي زُرُوعٍ كَانَتْ

(١) الحُسَيْرُ : جمع حاسر ، وهو الذي لا درع عليه ولا مغفر . النهاية ٣٨٣/١ .

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ٥٠٨/٢ ، ٥٠٩ ، وأخرج آخره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٩/٢ ١٦٢٥ - تحقيق حكمت بشير ياسين .

(٣) في ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أن » .

(٤) الظهر : الإبل التي يحمل عليها ويركب . اللسان (ظ ه ر) .

(٥) الكراع : الخيل . اللسان (ك ر ع) .

بالصَّمْغَةِ^(١) مِنْ قَنَاةٍ^(٢) لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْقِتَالِ : أْتُوعَى زُرُوعُ بَنِي قَيْلَةَ^(٣) وَلِمَا نَضَارِبُ . وَتَعَبًا^(٤) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْقِتَالِ وَهُوَ فِي سَبْعِمَائَةِ رَجُلٍ ، وَتَعَبَاتٌ^(٥) قَرِيشٌ وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، وَمَعَهُمْ مَائَتَا فَرَسٍ قَدْ جَنَّبُوهَا^(٦) ، فَجَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَةِ الْخَيْلِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهَا عِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الرُّمَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ أَخَا بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُعَلَّمٌ بِثِيَابٍ بَيْضٍ ، وَالرُّمَاءُ خَمْسُونَ رَجُلًا ، وَقَالَ : « انْضَحْ^(٧) عَنَا الْخَيْلَ بِالنَّبْلِ ، لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا ، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا فَاتُّبِتْ مَكَانَكَ ، لَا تُؤْتِيَنَّ مِنْ قَبَيْكَ » . فَلَمَّا التَّقَى النَّاسُ ، وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَاقْتَتَلُوا [٤٤/١١ ظ] حَتَّى حَمَيْتِ الْحَرْبُ ، وَقَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ حَتَّى أَمْعَنَ فِي النَّاسِ ، وَحَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي رَجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ ، وَصَدَقَهُمْ وَعَدَهُ ، فَحَشَّوهُمْ بِالسِّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ ، وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ لَا شَكَّ فِيهَا^(٨) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن يحيى بنِ عبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : قال الزبيرُ : وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَنْظُرُ إِلَى خَدَمِ^(٩)

(١) الصمغة : أرض قرب أحد من المدينة . معجم البلدان ٤١٨/٣ .

(٢) القناة : واد يأتي من الطائف وينتهي إلى أصل قبور الشهداء بأحد . ينظر معجم البلدان ١٨٢/٤ .

(٣) بنو قيلة : هم الأوس والخزرج أمهما قيلة بنت الأرقم بن عمرو . جمهرة أنساب العرب ص ٣٣٢ .

(٤) في م : « صفنا » .

(٥) في م : « تصاف » .

(٦) جنبوها : قادوها إلى جنبهم . ينظر اللسان (ج ن ب) .

(٧) انضح : ادفع .

(٨) سيرة ابن إسحاق ص ٣٠١ عن الزهري به ، وهو في السيرة لابن هشام ٦٥/٢ ، ٦٦ كلاهما بأتم من ذلك .

(٩) الخدم : جمع خدَمَة ، وهي الخللخال ، وقد تسمى الساق خدمة حملا على الخللخال لكونها موضعه .

اللسان (خ د م) .

هند بنت عتبة وصواحبها مُشَمَّرَاتٍ هَوَارِبَ ، ما دون أَخِذِهِنَّ^(١) قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، إذ مالت الرُّمَاءُ إلى العسْكِرِ حِينَ كَشَفْنَا الْقَوْمَ عَنْهُ ، يُرِيدُونَ التَّهَبَ ، وَخَلُّوا ظَهْرَنَا لِلخَيْلِ ، فَأَتَيْنَا مِنْ أَدْبَارِنَا ، وَصَرَخَ صَارِخٌ : أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ . فَأَنْكَفَأْنَا وَأَنْكَفَأَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ ، بَعْدَ أَنْ أَصَبْنَا أَصْحَابَ اللُّوَاءِ ، حَتَّى مَا يَدْتُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ في قولِهِ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ . أَى : وَلَقَدْ وَفَيْتُ لَكُمْ بِمَا وَعَدْتُكُمْ مِنَ النِّصْرِ عَلَى عَدُوِّكُمْ^(٣) .

/حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ جَلَّ وَعَزَّ : ١٢٧/٤ ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ . وَذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ ، قَالَ لَهُمْ : « إِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ ، فَلَا أَعْرِفَنَّ^(٤) مَا أَصَبْتُمْ مِنْ غَنَائِمِهِمْ شَيْئًا ، حَتَّى تَفْرُغُوا » . فَتَرَكَوا أَمْرَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَعَصَوْا ، وَوَقَعُوا فِي الْغَنَائِمِ ، وَنَسُوا عَهْدَهُ الَّذِي عَاهَدَ إِلَيْهِمْ ، وَخَالَفُوا إِلَى غَيْرِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ^(٥) .

القولُ في تأويلِ قولِهِ : ﴿ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : ولقد وفى الله لكم أيها المؤمنون من أصحاب محمد ، بما وعدكم من النصر على عدوكم بأحدٍ ، حِينَ ﴿ تَحُسُونَهُمْ ﴾ ، يعنى : حِينَ تَقْتُلُونَهُمْ . يقالُ منه : حَسَّهُ يَحْسُهُ حَسًّا : إِذَا قَتَلَهُ .

(١) في م : « إحداهن » .

(٢) سيرة ابن هشام ٧٧/٢ ، ٧٨ ، كما أخرجه المصنف في تاريخه ٥١٣/٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ١١٣/٢ .

(٤) في م : « فلا تأخذوا » . والمعنى : أى لا يخفى على ذلك ولا مقابلته بما يوافق فيه زجر عن فعل هذا . ينظر التاج (ع ر ف) .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٥/٢ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

كما حدثنا محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي ، قال : أخبرنا يعقوب بن عيسى ، قال : ثنى عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف بن محمد بن عبد العزيز ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن الميسور بن مخرمة ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف في قوله : ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ ﴾ . قال : الحس القتل .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : سمعتُ عبيد الله بن عبد الله ^(١) يقول في قول الله : ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ ﴾ . قال : القتل ^(٢) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ ﴾ . قال : تقتلونهم ^(٣) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ ﴾ ، أى : قتلاً ﴿ بِأَذْنِهِ ﴾ ^(٤) .

[٤٥/١١] حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ ﴾ يقول : إذ تقتلونهم ^(٥) .

(١) بعده في مصادر التخریج : « عن ابن عباس » . وهو الصواب ، ولعله سقط من رواية الطبري .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق د . حكمت بشير)

٢/ ٥٩٩ (١٦٢٧) ، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ١٦٥ (١٠٧٣١) ، والحاكم في المستدرک ٢/ ٢٩٦ ،

٢٩٧ ، والبيهقي في الدلائل ٣/ ٢٦٩ - ٢٧١ ، كلهم عن ابن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله عن ابن عباس .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق د . حكمت بشير) ٢/ ٦٠٠ (١٦٢٩) معلقا .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق د . حكمت بشير) ٢/ ٦٠٠ (١٦٣٣) معلقا .

(٥) في الأصل : « تقتلونهم » .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ : ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۗ ﴾ : وَالْحَسُّ الْقَتْلُ ^(١) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۗ ﴾ . يَقُولُ : تَقْتُلُونَهُمْ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِالسَّيْفِ ، أَيْ : بِالْقَتْلِ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حجاجُ ، عَنْ مَبَارِكٍ ، عَنْ الْحَسَنِ : ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۗ ﴾ ، يَعْنِي الْقَتْلَ ^(٤) .

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۗ ﴾ . يَقُولُ : تَقْتُلُونَهُمْ ^(٥) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ بِإِذْنِهِ ۗ ﴾ ، فَإِنَّهُ يَعْنِي : بِحُكْمِي وَقَضَائِي لَكُمْ بِذَلِكَ ، وَتَسْلِيطِي إِيَّاكُمْ عَلَيْهِمْ .

/ كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۗ ﴾ يَقُولُ : تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِي وَتَسْلِيطِي أَيْدِيكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَفَى أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق د. حكمت) ٦٠١/٢ (١٦٣٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق د. حكمت بشير) ٦٠٠/٢ (١٦٣١) من طريق أسباط به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٦/٣ (٤٣١٩) من طريق سلمة به . وينظر سيرة ابن هشام ١١٣/٢ .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق د. حكمت بشير) ٦٠٠/٢ (١٦٣٠) معلقا .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٥/٢ إلى المصنف .

(٦) سيرة ابن هشام ١١٣/٢

القول في تأويل قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْبَكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ : حتى إذا جبثتم ووخمتم^(١) ، ﴿وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ . يقول : واختلقتهم في أمر الله . ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ . يقول وخالفتم نبيكم ﷺ ، فتركتم أمره ، وما عهد إليكم . وإنما يعنى بذلك الرماة الذين كان ﷺ أمرهم بلزوم مركزهم ومقعدهم من فم الشعب بأحد ، بإزاء خالد بن الوليد ومن كان معه من فرسان المشركين الذين ذكرنا قبل أمرهم .

وأما قوله : ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْبَكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ ، فإنه يعنى بذلك : من بعد الذى أراكم الله أيها المؤمنون بمحمد ﷺ من النصر والظفر بالمشركين ، وذلك هو الهزيمة التى كانوا هزموهم عن نسائهم وأموالهم ، قبل ترك الرماة مقاعدهم ، التى كان رسول الله ﷺ أقعدهم فيها ، وقبل خروج خيل المشركين على المؤمنين من ورائهم .

وبنحو الذى قلنا تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل ، وقد مضى ذكر بعض من قال ذلك ، وسند ذكر قول بعض من لم نذكر قوله فيما مضى .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ، أى : اختلقتهم فى الأمر ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ [٤٥/١١] مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْبَكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ ، وذاكم يوم أحد ، عهد إليهم نبي الله ﷺ ، وأمرهم بأمر ، فنشوا العهد ، وجاوزوا وخالفوا ما أمرهم نبي الله ﷺ ، فصرف^(٢) عليهم عدوهم ، بعد ما أراهم من عدوهم ما يحبون .

(١) سقط من : ت ٢ ، ت ٣ ، س ، وفى م : « ضعفتهم » .

(٢) فى م : « فانصرف » .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، بَعَثَ نَاسًا مِنَ النَّاسِ - يَعْنِي : يَوْمَ أُحُدٍ - فَكَانُوا مِنْ وِرَائِهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُونُوا هَلْهَنَا ، فُزِدُوا وَجَهَ مَنْ فَرَّ مِنْهُ ^(١) ، وَكُونُوا حَرَسًا لَنَا مِنْ قَبْلِ ظَهْرِنَا » . وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا هَزَمَ الْقَوْمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ^(٢) الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ كَانُوا يُجْعَلُونَ مِنْ وِرَائِهِمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، لِمَا رَأَوْا النَّسَاءَ مُضْعَدَاتٍ فِي الْجَبَلِ ، وَرَأَوْا الْعَنَائِمَ ، قَالُوا : انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَدْرِكُوا الْغَنِيمَةَ قَبْلَ أَنْ تُشْبِقُوا إِلَيْهَا . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى : بَلْ نُطِيعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَتُنَبِّئُ مَكَانَنَا . فَذَلِكَ قَوْلُهُ لَهُمْ : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ لِلَّذِينَ أَرَادُوا الْغَنِيمَةَ ، ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ لِلَّذِينَ قَالُوا : نُطِيعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَتُنَبِّئُ مَكَانَنَا . فَاتَّوَّأَ مُحَمَّدًا ﷺ ، فَفُتِلُوا ^(٣) فَكَانَ فَشَلًا حِينَ تَنَازَعُوا بَيْنَهُمْ ، يَقُولُ : ﴿ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾ ، كَانُوا قَدْ رَأَوْا الْفَتْحَ وَالْغَنِيمَةَ ^(٤) .

/حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ : ﴿ حَتَّى إِذَا ١٢٩/٤ فَسَلْتُمْ ﴾ . يَقُولُ : جِئْتُمْ عَنْ عَدُوِّكُمْ ، ﴿ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ . يَقُولُ : اخْتَلَفْتُمْ ، ﴿ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾ ، وَذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ ، قَالَ لَهُمْ : « إِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ فَلَا أَعْرِفَنَّ مَا أَصَبْتُمْ مِنْ غَنَائِمِهِمْ شَيْئًا ، حَتَّى تَفْرُغُوا » . فَتَرَكَوْا أَمْرَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَعَصَوْا ، وَوَقَعُوا فِي الْعَنَائِمِ ، وَنَسُوا عَهْدَهُ الَّذِي عَاهَدَهُ إِلَيْهِمْ ، وَخَالَفُوا إِلَى غَيْرِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، فَانْصَرَفَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاهُمْ فِيهِمْ

(١ - ١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قدما » .

(٢) بعده في م : « اختلف » .

(٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) أخرجه المصنف في تاريخه ٥٠٨/٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٦/٣ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، (٤٣٢٢) ،

(٤٣٢٧ ، ٤٣٣٣) عن محمد بن سعد به .

ما يُحِبُّونَ^(١) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ ﴾ . قال ابن جريج : قال ابن عباس : الفشلُ الجُبْنُ^(٢) .

حدَّثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ ﴾^(٣) ، من الفتح .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ ﴾ ، أى : تَخَذَلْتُمْ ﴿ وَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ أى : اِخْتَلَفْتُمْ فى أمرى ﴿ وَعَصَيْتُمْ ﴾ ، أى : تَرَكْتُمْ أمرَ نبيِّكم ﷺ ، وما عهد إليكم ، يعنى : الرِّمَاءُ ﴿ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، أى : الفتح لا شك فيه ، وهزيمة القوم عن نساءهم وأموالهم^(٤) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن المبارك ، [٤٦/١١ و] عن الحسن : ﴿ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، يعنى : من الفتح .

وقيل : معنى قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ ﴾ . حتى إذا تنازعتم فى الأمر ففشلتم وعصيتهم ﴿ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ ﴾^(٥) ، و^(٥) أنه من المقدّم الذى معناه التأخير . وأن الواو أَدْخِلْتَ فى ذلك ،

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٨٦/٣ (٤٣٢٠ ، ٤٣٢٣) من طريق ابن أبى جعفر به مقتصرًا على أوله .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٥/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٨٨/٣ (٤٣٢٩) من طريق أحمد به .

(٤) سيرة ابن هشام ١١٤/٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم إلى قوله : « تخذلتم » فى تفسيره ٧٨٦/٣ (٤٣٢١) من

طريق سلمة به .

(٥) سقط من : م .

ومعناها : السقوط كما قيل : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٥٢﴾ وَتَدَيْنَهُ ﴾ [الصفات : ١٠٣ ، ١٠٤] . معناه : ناديتاه . وهذا مقولٌ في « حتى إذا » وفي ^(١) « فلما أن » و « فلما » ^(١) ومنه قولُ الله عز وجل : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُجِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ [الأنبياء : ٩٦ ، ٩٧] . ومعناه : اقترب . وكما قال الشاعر ^(٢) :

حتى إذا قَمِلَتْ ^(٣) بطونكمم ورأيتم أبناءكم شَبُوا
وقلبتُم ظهرَ المِجَنِّ ^(٤) لنا إن اللثيم العاجزَ الخَبُّ

القول في تأويل قوله : ﴿ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ
الْآخِرَةَ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ . الذين تركوا مقعدهم الذى أقعدهم فيه رسولُ الله ﷺ بالشَّعبِ من أُحدٍ لخيَلِ المشركين ، ولحقوا بمعسكرِ المسلمين ؛ طلبَ النَّهْبِ ، إذ رأوا هزيمةَ المشركين . ﴿ وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ يعنى بذلك الذين ثبتوا من الرُّماةِ فى مقاعدِهم التى أقعدهم فيها رسولُ الله ﷺ ^(٥) ؛ محافظةً على عهدِ رسولِ الله ﷺ ^(٦) وأمره ^(٦) ، واتباعاً ما عندَ الله من الثوابِ بذلك من فعلهم ، والدارِ الآخرة .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ،

(١ - ١) فى م : « لما » .

(٢) البيتان فى المقتضب ٢ / ٨١ ، ومعانى القرآن للفراء ١ / ١٠٧ ، ٢٣٨ .

(٣) فى المقتضب : « امتلأت » ، وفى س : « ثملت » . وقملت بطونكمم ، أى : كثرت قبائلكم . ينظر اللسان (ق م ل) .

(٤) قلبتم ظهر المِجَنِّ لنا ، أى : عاديتمونا بعد مودة ورعاية .

(٥) بعده فى م : « واتبعوا أمره » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

عن السديّ: ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا / وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ : فالذين انطلقوا يريدون الغنيمة هم أصحاب الدنيا ، والذين بقوا وقالوا : لا نخالف قول رسول الله . أرادوا الآخرة .

١٣٠/٤

حدّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس مثله ^(١) .

حدّثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ : فإنّ نبيّ الله أمر يوم أحد طائفة من المسلمين ، فقال : « كونوا مسلّحة ^(٢) للناس » . بمنزلة أمرهم أن يثبتوا بها ، وأمرهم ألا يريئوا ^(٣) مكانهم حتى يأذن لهم ، فلما لقى نبيّ الله يوم أحد أبا سفيان ومن معه من المشركين ، هزمهم نبيّ الله ﷺ ، فلما رأى المسلّحة أن الله هزم المشركين ، انطلق بعضهم وهم يتنادون : الغنيمة الغنيمة لا تفتكم . وثبت بعضهم مكانهم ، وقالوا : لا نريم موضعنا حتى يأذن لنا نبيّ الله ﷺ . ففي ذلك نزل : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ . فكان ابن مسعود يقول : ما شعرت أن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد ^(٤) .

حدّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٨/٣ (٤٣٣١) عن محمد بن سعد به .

(٢) المسلّحة : القوم الذين يحفظون الثغور من العدو ، وسموا مسلّحة لأنهم يكونون ذوى سلاح . اللسان (س ل ح) .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يرحوا » . وهما بمعنى .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٦/٢ إلى المصنف .

ابن عباس : لما هزم الله المشركين يوم أُحُدٍ ، قال الرُّمَاءُ : أَدْرِكُوا النَّاسَ وَنَبِيَّ
اللَّهِ ﷺ ، لا يَسْبِقُوكُمْ إِلَى الْغَنَائِمِ ، فَتَكُونَ لَهُمْ دُونَكُمْ . وقال بعضهم : لا نَرِيْمُ
حَتَّى يَأْذَنَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ . فَنَزَلَتْ : ﴿ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن
يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ ^(١) .

قال ابن جريج : قال ابن مسعود : ما عَلِمْنَا أَنْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ كَانَ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَعَرَضَهَا حَتَّى كَانَ يَوْمَئِذٍ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن المبارك ، عن الحسن :
﴿ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ : هُوَ لَاءِ الَّذِينَ يَحْيِزُونَ ^(٢) الْغَنَائِمَ ، ﴿ وَمِنْكُمْ
مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُمْ يَقْتُلُونَهُمْ .

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَنْقَرِيُّ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ، قَالَ :
ثنا أسباط بن نصر ، عن السدي ، عن عبد خير ، قال : قال عبد الله : ما كنت أرى
أحدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ الدُّنْيَا ، حَتَّى نَزَلَ فِيْنَا يَوْمَ أُحُدٍ : ﴿ مِنْكُمْ
مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ، قَالَ : ثنا أسباط ، عن
السدي ، عن عبد خير ، قال : قال ابن مسعود : ما كنت أظن في أصحاب رسول
اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ أَحَدًا يُرِيدُ الدُّنْيَا ، حَتَّى قَالَ اللَّهُ مَا قَالَ ^(٤) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٦/٢ إلى المصنف .

(٢) في م : « يحوزون » .

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٣٩٩) عن الحسين بن عمرو به .

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (٢٠٣) وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٨/٣ (٤٣٣٠) ، والبيهقي في

الدلائل ٢٢٨/٣ من طريق أحمد بن الفضل به .

ابن مسعود لما رآهم وقَعوا في الغنائم : ما كنتُ أَحْسَبُ أن أحداً من أصحابِ رسولِ الله ﷺ يُريدُ الدنيا حتى كان اليومُ .

حدَّثني محمد بنُ سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان ابنُ مسعودٍ يقولُ : ما شعرتُ أن أحداً من أصحابِ النبي ﷺ كان يُريدُ الدنيا وعرضها حتى كان يومئذٍ .

/ حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق : ﴿ وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ . أى : الذين أرادوا النهب ، رغبةً في الدنيا ، وترك ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة . ﴿ وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ ، أى : الذين جاهدوا في الله و^(١) لم يُخالفوا إلى ما نهوا عنه ، لعرض من الدنيا ؛ رغبةً في رجاء ما عند الله من حسن ثوابه في الآخرة^(٢) .

١٣١/٤

القول في تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : ثم صرفكم أيها المؤمنون عن المشركين بعد ما أراكم ما تُحِبُّون فيهم وفي أنفسكم ، من هزيمتكم إيَّاهم ، وظهوركم عليهم ، فردَّ وجوهكم عنهم ؛ لمعصيتكم أمر رسولى ، ومخالفتكم [١١ / ٤٧ و] طاعته ، وإيثاركم الدنيا على الآخرة ؛ عقوبةً لكم على ما فعلتم ، ﴿ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ . يقولُ : ليختبركم ، فيتميز المنافق منكم من المخلص الصادق في إيمانه منكم .

كما حدَّثنا محمد بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمد بنُ المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، ثم ذكر حين مال عليهم خالد بن الوليد : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾

(١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ١١٤/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٩/٣ (٤٣٣٢) من طريق سلمة به .

لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴿١﴾ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن مباركٍ ، عن الحسنِ في قوله : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ . قال : صرفَ القومَ عنهم ، فقتلَ من المسلمين بعدةَ من أسروا يومَ بدرٍ ، وقتلَ عمُّ رسولِ اللهِ ﷺ ، وكسرتَ رباعيتهُ ، وشجَّ في وجهه ، فكان يمسحُ الدمَ عن وجهه ويقولُ : « كيف يُفلحُ قومٌ فعلوا هذا بنبِيِّهم ، وهو يدعُوهم إلى ربِّهم ؟ » فنزلتْ ^(١) هذه الآيةُ ^(٢) : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية [آل عمران : ١٢٨] . فقالوا : أليس كان رسولُ اللهِ ﷺ وعدنا النصرَ؟ فأنزَلَ اللهُ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ . أى : صرفكم عنهم ليختبركم ، وذلك ببعضِ ذنوبكم ^(٤) .
القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٦﴾ .

يعنى بقوله تعالى ذكره : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ : ولقد عفا الله أيها المخالفون أمرَ رسولى ، والتاركون طاعته ، فيما تقدّم إليكم من لزومِ الموضوع الذى أمركم بلزومه - عنكم ، فصفح لكم من عقوبةِ ذنبيكم الذى أتيتُموه ، عما هو أعظمُ مما عاقبكم به ، من هزيمةِ أعدائكم إياكم ، وصرْفِ وجوهكم عنهم ، إذ لم يستأصل جميعكم .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٨٩/٣ (٤٣٣٥) من طريق أحمد بن الفضل به .

(٢-٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٦/٢ إلى المصنف .

(٤) سيرة ابن هشام ١١٤/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٨٩/٣ (٤٣٣٦) من طريق سلمة به .

كما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الْحُسَيْنُ ، قال : ثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ . قال : قال الحسن - وصفق يديه - : وكيف عفا عنهم وقد قُتِلَ منهم سبعون ، وقُتِلَ عُمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وكُسِرَت رِجَاعِيَّتُهُ ، وشُجَّ في وجهه ؟ قال : ثم يقول : قال الله : قد عَفَوْتُ عَنْكُمْ إِذْ عَصَيْتُمُونِي ، أَلَا أَكُونُ اسْتَأْصَلْتُكُمْ . قال : ثم يقول الحسن : هؤلاء مع رسولِ اللَّهِ ، وفي سبيلِ اللَّهِ ، غِضَابُ اللَّهِ ، يُقَاتِلُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ ، نُهَوُّوا عَنْ شَيْءٍ فَضِيَعُوهُ ^(١) ، فواللَّهِ ما تُرِكُوا حَتَّى غُمُّوا بِهَذَا الْغَمِّ ، فَأَفْسَقُ الْفَاسِقِينَ الْيَوْمَ يَتَجَرَّوْهُمْ ^(٢) كُلَّ كَبِيرَةٍ ، وَيَزَكُّبُ كُلَّ دَاهِيَةٍ ، وَيَسْحَبُ عَلَيْهَا ثِيَابَهُ ، وَيَزْعُمُ أَلَا بِأَسْ عَلَيْهِ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الْحُسَيْنُ ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ . قال : لم يَسْتَأْصِلْكُمْ ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمة ، عن [٤٧/١١ ظ] ابنِ إِسْحَاقَ : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ : ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، لم يُهْلِكْكُمْ بما أَتَيْتُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ ، وَلَكِنْ عُدْتُ بِفَضْلِي عَلَيْكُمْ ^(٥) .

وأما قَوْلُهُ : ﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . فإنه يعني : وَاللَّهُ ذُو طَوْلٍ ^(٦) وَمَنْ ^(٦) عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ وَرَسُولِهِ ، بَعْفُوهُ لَهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مَا يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ ، فَإِنْ عَاقَبْتَهُمْ عَلَى بَعْضِ ذَلِكَ ، فَذُو إِحْسَانٍ إِلَيْهِمْ ، بِجَمِيلِ أَيْدِيهِ عِنْدَهُمْ .

(١) في م : « فصنعوه » .

(٢) في س : « يتجرأ على » ، وفي م : « يتجرأ على » ، وتجرثم الشيء : أخذ معظمه . اللسان (جرثم) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٦/٢ إلى المصنف بتمامه ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨٩/٣ (٤٣٣٧) من طريق الحجاج ، عن الحسن ، مختصراً جداً .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٦/٢ إلى المصنف ، وابن المنذر .

(٥) سيرة ابن هشام ١١٤/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩٠/٣ (٤٣٣٨) من طريق سلمة به .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . يقولُ : وكذلك منَ اللّهِ على المؤمنين ، أن عاقبتهم ببعضِ الذنوبِ في عاجلِ الدنيا ؛ أدبًا وموعظةً ، فإنه غيرُ مُستأصِلٍ لكلِّ ما فيهم من الحقِّ له عليهم ؛ لما أصابوا من معصيته ، رحمةً لهم ، وعائدةً عليهم ، لما فيهم ^(١) من الإيمان ^(٢) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُوكُمْ فِي أَحْرَابِكُمْ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : ولقد عفا عنكم أيها المؤمنون إذ لم يستأصِلْكم إهلاكًا منه جميعكم بذنوبكم وهربكم ^(٣) عن عدوكم ^(٤) إذ تُصْعِدُونَ ولا تلوون على أحدٍ .

واختلَفَتِ القراءَةُ في قراءةِ ذلك ؛ فقراءتهُ عامةُ قِراءةِ أهلِ الحجازِ والعراقِ والشامِ سوى الحسنِ البصرى : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ ﴾ بضمِّ التاءِ وكسرِ العينِ . وبه القِراءةُ عندنا ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِنَ القِراءةِ على القِراءةِ به ، واستنكارِهِم ما خالفه .

وزَوَى عن الحسنِ البصرى رِجْمَهُ اللّهُ أَنَّهُ كان يَقْرَأُ : (إِذْ تُصْعِدُونَ) بفتحِ التاءِ والعينِ ^(٤) .

حدَّثَنِي بذلك أحمدُ بنُ يوسفَ ، قال : ثنا القاسمُ بنُ سلامَ ، قال : ثنا حجاجُ ، عن هارونَ ، عن يونسَ بنِ عُبيدٍ ، عن الحسنِ ^(٥) .

(١) في الأصل : « فيه » .

(٢) سيرة ابن هشام ١١٤/٢ .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) ينظر إتحاف فضلاء البشر ص ١٠٨ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٦/٢ إلى المصنف .

فأما الذين قرءوا : ﴿ تَصْعِدُونَ ﴾ بضمّ التاء وكسر العين ، فإنهم وجَّهوا معنى ذلك إلى أن القوم حين أنهزموا عن عدوهم ، أخذوا في الوادي هارين ، وذكروا أن ذلك في قراءة أبي : (إذ تُصْعِدُونَ في الوادي) .

حدَّثنا بذلك ^(١) أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبو غبيد ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ^(٢) .

قالوا : فالهربُ / في مستوى الأرض وبطن الأودية والشعاب إصعادٌ لا صُعودٌ . قالوا : وإنما يكون الصعودُ على الجبالِ والسلايمِ والدَّرَجِ ؛ لأن معنى الصعودِ الارتقاء والارتفاعُ على الشيءِ غُلُوًا . ١٣٣/٤

قالوا : فأما الأخذُ في مستوى الأرض والهبوطُ ، فإنما [٤٨/١١ ر] هو إصعادٌ ، كما يقالُ : أضعَدنا من مكة . إذا ابتدأت في السفرِ منها والخروجُ ، وأضعَدنا من الكوفةِ إلى خُراسانَ ، بمعنى : خرَّجنا منها سفرًا إليها ، ^(٣) وابتدأنا منها الخروجُ ^(٤) إليها .

قالوا : وإنما جاء تأويلُ أكثرِ أهلِ التأويلِ بأن القومَ أخذوا عندَ انهزامهم عن عدوهم في بطنِ الوادي .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ إِذْ تَصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ ﴾ . ذاكم يوم أُحُد ، أضعَدوا في الوادي فرأوا ^(٥) نبيَّ اللهِ ﷺ يدعوهم : « أي عبادَ اللهِ » ^(٥) .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٦/٢ إلى المصنف .

(٣ - ٣) في الأصل : « وابتدأ منها فالخروج » ، وفي ص ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « وابتدأ منها الخروج » .

(٤) بياض في ص ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س ، وفي م : « فراؤا و » .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س .

والأثر عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(١) حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ ﴾ : وَذَلِكَ يَوْمَ أَحَدٍ ، صَعِدُوا الْوَادِيَّ فَرَأَىٰ نَبِيُّ اللَّهِ يَدْعُوهُمْ (١) فِي أُخْرَاهِمَ : « يَا عِبَادَ اللَّهِ (٢) يَا عِبَادَ اللَّهِ » .
 وَأَمَّا الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ فَإِنِّي أَرَاهُ ذَهَبَ فِي قِرَاءَتِهِ : (إِذْ تُصْعِدُونَ) . بِفَتْحِ التَّاءِ وَالْعَيْنِ ، إِلَىٰ أَنْ الْقَوْمَ حِينَ أَنْهَزَمُوا عَنِ الْمُشْرِكِينَ صَعِدُوا الْجَبَلَ . وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ عَدَدٌ مِنَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ ، قَالَ : لما شَدَّ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِأَحَدٍ فَهَزَمُوهُمْ ، دَخَلَ بَعْضُهُم الْمَدِينَةَ ، وَأَنْطَلَقَ بَعْضُهُمْ فَوْقَ الْجَبَلِ إِلَى الصَّخْرَةِ ، فَقَامُوا عَلَيْهَا ، وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ يَدْعُو النَّاسَ : « إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ، إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ » . فَذَكَرَ اللَّهُ صَعُودَهُمْ عَلَى الْجَبَلِ ، ثُمَّ ذَكَرَ دَعَاءَ النَّبِيِّ ﷺ إِيَاهُمْ ، فَقَالَ : (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ) (٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : انْحَاذُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَجَعَلُوا يَصْعَدُونَ فِي الْجَبَلِ ، وَالرَّسُولُ يَدْعُوهُمْ فِي أُخْرَاهِمَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا سَيْبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢ - ٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « إِلَى عِبَادَ » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١١٨/٢ عن السدي .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس قوله : (إِذْ تَضَعُدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ) . قال : صَعِدُوا ^(١) [٤٨/١١] في الجبل ^(٢) فِرَارًا ^(٣) .

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا أن أولى القراءتين بالصواب قراءة مَنْ قرأ : ﴿ إِذْ تَضَعُدُونَ ﴾ بضمّ التاء وكسر العين ، بمعنى السَّير ^(٤) والهرب في مستوى الأرض أو في المَهَابِط ^(٥) ؛ لإجماع الحُجَّةِ على أن ذلك هو القراءة الصحيحة ، ففي إجماعها على ذلك الدليل الواضح على أن أولى التأويلين بالآية تأويل مَنْ قال : أَصْعَدُوا في الوادى ومضوا فيه . دون قول مَنْ قال : صعدوا على الجبل .

وأما قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ ﴾ . فإنه يعنى : ولا تعطفون على أحد منكم ، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض ؛ هرباً من عدوكم مُصْعِدِينَ في الوادى . ويعنى بقوله : ﴿ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ ﴾ : ورسول الله يدعوكم أيها المؤمنون به من أصحابه ﴿ فِي أَخْرَابِكُمْ ﴾ . يعنى أنه يُناديكم من خلفكم : « إلى عباد الله ، إلى عباد الله » .

١٣٤/٤ / كما حدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس قوله : ﴿ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ ﴾ : « أى ^(٦) عباد الله اذجعوا ، أى ^(٦) عباد الله ، اذجعوا » ^(٣) .

حدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عن قتادة : ﴿ وَالرَّسُولُ

(١) فى الأصل : « أصعدوا » .

(٢) فى ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أحد » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٨٦ ، ٨٧ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « السبق » .

(٥) فى الأصل : « الهبوط » .

(٦) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « إلى » .

يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ ﴿١﴾ : رَأَوْا نَبِيَّ اللَّهِ يَدْعُوهُمْ : « أَى عِبَادَ اللَّهِ » (٢) .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ مثله .

(٣) حدَّثني المنثيُّ ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثله (٣) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ قال : أتبهم الله بالفرارِ عن

نبيِّهم وهو يدْعُوهم ، لا يعْطِفون عليه لدعائه إياهم ، فقال : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا

تَكُونُ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ ﴾ (٤) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِ الله :

﴿ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ ﴾ : هذا يومُ أُحُدٍ حينَ انْكَشَفَ النَّاسُ عَنْهُ (٥) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ فَأَثْبِكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ لِكَيْلًا تَحَرَّوْا عَلَى مَا

فَأَتَّكُمْ وَلَا مَا أَصْبَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٦) .

يعنى بقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَثْبِكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ ﴾ يعنى : فجازاكم بفراركم عن نبيكم ،

وفشلكم عن عدوكم ، ومعصيتكم ربكم ، ﴿ غَمًّا يَغْمِرُ ﴾ . يقولُ : غمًّا على غمِّ .

وسمى العقوبة التى عاقبهم بها من تسليطِ عدوهم عليهم ، حتى نال منهم ما

نال ، ثوابًا ، إذ كان جزاءً (٧) من عملهم الذى سخطه ولم يَرْضَه منهم ، فدلَّ بذلك

تعالى ذكره أن كلَّ عَوْضٍ كان لمُعَوِّضٍ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْعَمَلِ ، خيرًا كان أو شرًّا ،

[٩/١١ و٩] أو العوض الذى بذله رجلٌ لرجلٍ ، أو يد سلفت له إليه ، فإنه مستحقُّ اسمِ

ثوابٍ ، كان ذلك العَوْضُ تَكْرِمَةً أو عقوبةً ، ونظيرُ ذلك قولُ الشاعرِ (٧) :

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « إلى » .

(٢) تقدم تخريجه فى ص ١٤٦ .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) سيرة ابن هشام ١١٤ / ٢ .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١١٨ / ٢ .

(٦) بياض فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، وفى م : « ذلك » .

(٧) هو الفرزدق ، والبيت فى ديوانه ص ٢٢٧ .

«أخاف زياداً^(١) أن يكون عطاؤه أداهم^(٢) سوداً أو مُحَدَّرَجَةً^(٣) سُمرًا
فجعل العطاء القيود^(٤) ، وذلك كقول القائل لآخر سلف إليه منه مكروهة :
لأجازيتك على أفعالك ، ولأثيبتك ثوابك .

وأما قوله : ﴿ غَمًّا يَغْمِرُ ﴾ . فإنه قيل : ﴿ غَمًّا يَغْمِرُ ﴾ . ومعناه : غمًّا
على غم . كما قال : ﴿ وَالْأَصْلَابُ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه : ٧١] . بمعنى :
ولأصلبتكم على جدوع النخل . وإنما جاز ذلك لأن معنى قول القائل : أثابك الله
غمًّا على غم : جزاك الله غمًّا بعد غم تقدمه . فكان كذلك معنى : ﴿ فَأَثَابَكُمْ
غَمًّا يَغْمِرُ ﴾ . لأن معناه : فجزاكم غمًّا بعقب غم تقدمه . وهو نظير قول القائل :
نزلت ببني فلان ، ونزلت على بني فلان ، وضربته بالسيف ، وعلى السيف .

واختلف أهل التأويل في الغم الذي أئيب القوم على الغم ، وما كان غمهم
الأول والثاني ؟ فقال بعضهم : / أما الغم الأول ، فكان ما تحدث به القوم أن
نبيهم ﷺ قد قُتِل . وأما الغم الآخر ، فإنه كان ما كان نالهم من القتل والجراح .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ فَأَثَابَكُمْ
غَمًّا يَغْمِرُ ﴾ : كانوا تحدثوا يومئذ أن نبي الله ﷺ أُصِيب ، وكان الغم الآخر قتل
أصحابهم ، والجراحات التي أصابهم . قال : وذكر لنا أنه قُتِل يومئذ سبعون رجلاً

(١ - ١) في الديوان : « فلما خشيت » .

(٢) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « دراهم » . والأداهم : جمع أدهم ، وهو القيد . اللسان (د ه م) .

(٣) في الأصل : « مدحرجة » .

والمحدرجة : السياط التي أُحْكِمَ قتلها .

(٤) في م : « العقوبة » ، وفي س : « النقود » .

من أصحاب رسول الله ﷺ ؛ ستة وستون من الأنصار ، وأربعة من المهاجرين .
وقوله : ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ . يقول : على ما فاتكم من
غنيمة القوم ، ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ في أنفسكم من القتل والجراحات ^(١) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ،
عن مجاهد في قوله : ﴿ فَأَنْتَبِكُمْ عَمَّا بَغِمَ ﴾ . قال : فرة بعد فرة الأولى حين
سمعوا الصوت أن محمداً قد قُتِل ، فرجع ^(٢) الكفار فضربوهم مُدْبِرِينَ ، حتى قتلوا
منهم سبعين رجلاً ، ثم انحازوا إلى النبي ﷺ ، فجعلوا يصعدون في الجبل والرسول
يَدْعُوهم في أخرهم ^(٣) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن
مجاهد نحوه .

وقال آخرون : بل غمهم الأول كان قتل من قُتِل منهم ، وجرح من جرح منهم ،
والغم الثاني كان من سماعهم صوت القائل : قُتِل محمد .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن
قتادة في قوله : ﴿ عَمَّا بَغِمَ ﴾ . قال : الغم الأول الجراح والقتل ، والغم الثاني
حين سمعوا أن النبي ﷺ قد قُتِل ، فأنساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٧/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) في م : « الثانية حيث رجع » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩١/٣ (٤٣٤٧) من طريق ابن أبي نجيح ، وعزاه السيوطي في الدر
المنثور ٨٧/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

والقتل ، وما كانوا يَزْجُونَ [٤٩/١١] مِنَ الْغَنِيمَةِ ، وذلك حِينَ يَقُولُ : ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾^(١) .

حدّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ فَأَنْبَأَكُمْ عَمَّا بَغِمَ ﴾ . قال : الغنمُ الأولُ الجراح والقتل ، والغنمُ الآخرُ حِينَ سَمِعُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قُتِلَ ، فَأَنْسَاهُمْ الْغَنَمُ الْآخِرُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْقَتْلِ ، وَمَا كَانُوا يَزْجُونَ مِنَ الْغَنِيمَةِ ، وذلك حِينَ يَقُولُ اللَّهُ : ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾^(٢) .

وقال آخرون : بل الغنمُ الأولُ كان ما فاتهم من الفتح والغنيمَةِ ، والثاني إشرافُ أبي سفيانَ عليهم في الشَّعْبِ ، وذلك أن أبا سفيانَ - فيما زعم بعضُ أهلِ السَّيْرِ - لما أَصَابَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا أَصَابَ ، وَهَرَبَ الْمُسْلِمُونَ ، جَاءَ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَعْبِ أُحُدٍ الَّذِي كَانُوا وَأَلَوْا^(٣) إِلَيْهِ عِنْدَ الْهَزِيمَةِ ، فَخَافُوا أَنْ يَضْطَلِمَهُمْ^(٤) أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ .

ذِكْرُ 'مَنْ قَالَ ذَلِكَ'

١٣٦/٤ / حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضَلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ ، قَالَ : انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ يَدْعُو النَّاسَ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَصْحَابِ الصَّخْرَةِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ وَضَعَ رَجُلٌ سَهْمًا فِي قَوْسِهِ ، فَأَرَادَ أَنْ يَرْمِيَهُ ، فَقَالَ : « أَنَا رَسُولُ اللَّهِ » . ففَرِحُوا بِذَلِكَ حِينَ وَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَيًّا ، وَفَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَى

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٩١ (٤٣٤٨) عن الحسن بن يحيى

به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٨٧ إلى ابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٨٧ إلى المصنف .

(٣) في م : « ولو » . ووَأَلَوْا : لَجَفُوا . اللسان (و أ ل) .

(٤) الاصطلام : افتعال من الصلم : القطع . النهاية ٣/٤٩ .

(٥ - ٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « الخبير بذلك » .

أن^(١) في أصحابه من يمتنع . فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ ذهب عنهم الحزن^(٢) ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قُتلوا . فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظرُوا إليه ، نسوا ذلك الذي كانوا عليه ، وهم أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ : « ليس لهم أن يغلونا ، اللهم إن تُقتل هذه العصابة لا تُعبد » . ثم ندب أصحابه ، فرمؤهم بالحجارة حتى أنزلوهم ، فقال أبو سفيان يومئذ : اغل هُبُل ، حنظلة بحنظلة ، ويومٌ بيومٍ بدرٍ . وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب ، وكان جُنُبًا فغسلته الملائكة ، وكان حنظلة بن أبي سفيان قُتل يوم بدرٍ . وقال أبو سفيان : لنا العزى ، ولا عزى لكم . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « قل : الله مولانا ولا مولى لكم » . فقال أبو سفيان : أفيكم محمدٌ ؟ قالوا : نعم . قال : أما إنها قد كانت فيكم مثلة ، ما أمرتُ بها ولا نهيتُ عنها ، ولا سررتُني ولا ساءتني . فذكر الله إشراف أبي سفيان عليهم ، فقال : ﴿ فَأَثْبِكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ ﴾ . الغمُّ الأولُ ما فاتهم من الغنيمَةِ والفتح ، والغمُّ الثانى إشراف العدو عليهم [٥٠/١١] ﴿ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ من الغنيمَةِ ﴿ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ ﴾ من القتلِ حينَ تذكرون . فشغلهم أبو سفيان^(٣) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، قال : ثنى ابنُ شهابِ الزهرى ، ومحمدُ بنُ يحيى بنِ حبان ، وعاصمُ بنُ عمر بنِ قتادة ، والحصينُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ عمرو بنِ سعد بنِ معاذ ، وغيرهم من علمائنا فيما ذكروا من حديثِ أُحد ، قالوا : كان المسلمون فى ذلك اليوم - لما أصابهم فيه من شدةِ البلاءِ - أثلاثًا ؛ ثلثُ قَتيلٍ ،

(١) سقط من : الأصل .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « حين » .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ٥٢٠/٢ ، ٥٢١ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٧/٢ إلى المصنف وابن

أبى حاتم ، وهو عند ابنِ أبى حاتم فى تفسيره ٧٩١/٣ (٤٣٤٩) من طريق أحمد به مختصرا جدا .

وثلث جريخ ، وثلث مُنْهَزِمٌ وقد تَلَعَّبْتَهُ ^(١) الحرب حتى ما يَدْرِى ما يَصْنَعُ ، وحتى خَلَصَ العدوُّ إلى رسولِ اللهِ فَدُتَّ ^(٢) بالحجارة ، حتى وَقَعَ لِشَقِّهِ ، وَأُصِيبَتْ رِبَاعِيَّتُهُ ، وَشُجَّ فِي وَجْتِيَّتِهِ ^(٣) ، وَكُلِّمَتْ شَفْتُهُ ^(٤) ، وكان الذى أصابه عُثْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ . وَقَاتَلَ مُضْعَبُ ابْنِ عُمَيْرٍ دُونَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ومعه لِيَاؤُهُ حتى قُتِلَ ، وكان الذى أصابه ابْنُ قَمِيئَةَ اللَيْثِيُّ وهو يَظُنُّ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَرَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ فَقَالَ : قَدْ قَتَلْتُ مُحَمَّدًا ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، قَالَ : فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ وَقَوْلِ النَّاسِ : قُتِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ . كَمَا ^(٦) حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ الزَّهْرِيُّ - كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَخُو بَنِي سَلِمَةَ ، قَالَ : عَرَفْتُ عَيْنِيهِ تَزْهَرَانِ ^(٧) تَحْتَ الْمَغْفَرِ ، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَبْشِرُوا ، هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ . فَأَشَارَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ : أَنْ أَنْصِبْتُ . فَلَمَّا عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَضُوا بِهِ ، وَنَهَضَ نَحْوَ الشُّعْبِ مَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ / وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَطَلْحَةُ ابْنُ عُبَيْدِ اللهِ وَالزَّيْبُرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَالْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةِ ^(٨) ، فِي رَهْطٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الشُّعْبِ ، وَمَعَهُ أَوْلِيَاكَ النَّفَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، إِذْ عَلَتْ عَالِيَةً مِنْ قَرِيشِ الْجَبَلِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْتَعِي لِهِمْ أَنْ يَغْلُونَا » . فَقَاتَلَ عُمَرُ ابْنَ الْخَطَّابِ وَرَهْطُ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى أَهْبَطُوهُمْ عَنْ

١٣٧/٤

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بلغته » .

(٢) الدت : الرجم . القاموس المحيط (د ث ث) .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « وجهه » .

(٤) فى الأصل : « شفتيه » .

(٥) سيرة ابن هشام ٧٣/٢ ، ٧٩ ، وأخرجه المصنف فى تاريخه ٥١٤/٢ - ٥١٦ .

(٦) بعده فى النسخ : « حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال » . والمثبت من تاريخ المصنف .

(٧) تزهرا : تشرقان .

(٨) فى م : « الصامت » .

الجبل ، ونهض رسولُ الله ﷺ إلى صخرةٍ من الجبل ليعلوها ، وكان رسولُ الله ﷺ قد بَدَنٌ^(١) ، وظاهر بين دُرْعَيْنِ^(٢) ، فلما ذهب لينهض ، فلم يشتطع ، جلس تحته طلحةُ ابنُ عُبيدِ اللهِ ، فنهض حتى استوى عليها .

ثم إنَّ أبا سفيانَ حينَ أراد الانصرافَ أشرفَ على الجبلِ ، ثم صرخ بأعلى صوتِهِ : أَنْعَمْتُ فَعَالٍ^(٣) ، إنَّ الحربَ سجالٌ ، يومَ بيومِ بدرٍ ، اعلُ هُبُلُ . أئى : ظهر ديثك . فقال رسولُ الله ﷺ لعمرَ : « قُمْ فَأَجِبْهُ ، فَقُلْ : اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ ، لا سِوَاءَ ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ ، وَقَتَلَاكُمْ فِي النَّارِ » . فلما أجاب عمرُ رضِيَ اللهُ عنه أبا سفيانَ ، قال له أبو سفيانَ : هَلُمَّ إِلَيَّ يَا عَمْرُ ، فقال له رسولُ الله ﷺ : « ائْتِهِ فَاَنْظُرْ مَا شَأْنُهُ ؟ فَجَاءَهُ فَقَالَ لَهُ أَبُو سَفِيَانَ : [٥٠/١١٧] أَنْشُدْكَ اللهُ يَا عَمْرُ ، أَقْتَلْنَا مُحَمَّدًا ؟ فَقَالَ عَمْرُ : اللهُمَّ لا ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ كَلَامَكَ الْآنَ . فقال : أنتَ أصدقُ عندى من ابنِ قَمِيئَةَ وَأَبْرُ^(٤) . لِقَوْلِ ابْنِ قَمِيئَةَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ مُحَمَّدًا . ثم نادى أبو سفيانَ ، فقال : إنه قد كان فى قَتَلَاكُمْ مُثَلٌّ^(٥) ، والله ما رَضِيْتُ ولا سَخِطْتُ ، وما نَهَيْتُ ولا أَمَرْتُ^(٦) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ فَأَثْبِكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ لَيْكِيلاً تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ ، أئى : كَرَبًا بَعْدَ كَرَبٍ ، قَتْلُ مَنْ قُتِلَ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ، وَعَلَوْ عِدْوُكُمْ عَلَيْكُمْ ، وَمَا وَقَعَ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ

(١) بدن : كبر وأسن . النهاية ١٠٧/١ .

(٢) أى جمع وليس إحداهما فوق الأخرى . النهاية ١٦٦/٣ .

(٣) فى م : « فقال » . وقد كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عمد إلى سهمين فكتب على أحدهما : « نعم » ، وعلى الآخر : « لا » . ثم يتقدم إلى الصنم ويجبل سهمه ، فإن خرج سهم « نعم » أقدم ، وإن خرج سهم « لا » امتنع . وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد استفتى هبل ، فخرج له سهم الإنعام فذلك قوله : « أنعمت ، فعالٍ عنها » : أى تجاف عنها ولا تذكرها بسوء ، يعنى آلهتهم . النهاية ٢٩٤/٣ .

(٤) فى م : « وأشار » .

(٥) فى م : « مثله » .

(٦) سيرة ابن هشام ٨٣/٢ ، ٨٦ ، وأخرجه المصنف فى تاريخه ٥١٨/٢ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٧ .

قَوْلِ مَنْ قَالَ : قُتِلَ نَبِيُّكُمْ . فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَتَابَعُ عَلَيْكُمْ ﴿ غَمًّا يَغْمِرُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ مِنْ ظُهُورِكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُمُوهُ بِأَعْيُنِكُمْ ، ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ مِنْ قَتْلِ إِخْوَانِكُمْ حِينَ ^(١) فَوَجَّتُ بِذَلِكَ الْكَرْبَ عَنْكُمْ ، ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . وَكَانَ الَّذِي فَرَّجَ بِهِ عَنْهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْكَرْبِ وَالغَمِّ الَّذِي أَصَابَهُمْ أَنْ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ رَدًّا عَنْهُمْ كِذْبَةَ الشَّيْطَانِ بِقَتْلِ نَبِيِّهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، هَانَ عَلَيْهِمْ مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْقَوْمِ بَعْدَ ^(٢) الظُّهُورِ عَلَيْهِمْ ، وَالْمَصِيبَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ فِي إِخْوَانِهِمْ ، حِينَ صَرَفَ اللَّهُ الْقَتْلَ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ فَأَتْبَعْتُكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ ﴾ . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قَالَ مَجَاهِدٌ : أَصَابَ النَّاسَ حُزْنٌ وَعَمَّ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ فِي أَصْحَابِهِمُ الَّذِينَ قُتِلُوا ، فَلَمَّا تَوَلَّجُوا فِي الشَّعْبِ ^(٤) وَهَمُّ فُلِّ مُصَابُونَ ^(٥) ، وَقَفَ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ بِيَابِ الشَّعْبِ ، فَظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّهُمْ سَوْفَ يَمِيلُونَ عَلَيْهِمْ فَيَقْتُلُونَهُمْ أَيْضًا ، فَأَصَابَهُمْ حُزْنٌ فِي ذَلِكَ ^(٥) أَنْسَاهُمْ حُزْنَهِمْ فِي أَصْحَابِهِمْ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ فَأَتْبَعْتُكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قَوْلُهُ : ﴿ عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ . يَقُولُ : عَلَى مَا فَاتَكُمْ مِنْ غَنَائِمِ الْقَوْمِ ، ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ فِي أَنْفُسِكُمْ ^(٦) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ :

(١) فِي م : « حَتَّى » .
 (٢) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فَهَذَا » ، وَفِي م : « فَهَانَ » .
 (٣) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ / ١١٤ ، وَأَخْرَجَ بَعْضُهُ ابْنَ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣ / ٧٩١ ، ٧٩٢ (٤٣٥٠ ، ٤٣٥٧) مِنْ طَرِيقِ سَلْمَةَ بِهِ .
 (٤ - ٤) فِي ص : « وَهَمُّ مُصَابُونَ » ، وَفِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بِتَصَافُونَ » .
 (٥) بَعْدَهُ فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أَيْضًا » .
 (٦) عَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٢ / ٨٧ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

أخبرني عبدُ الله بنُ/ كثيرٍ ، عن عُبيدِ بنِ عميرٍ قال : جاء أبو سفيانَ بنُ حربٍ ومَن ١٣٨/٤ معه حتى وقَّف بالشَّعبِ ، ثم نادى : أفي القومِ ابنُ أبي كَبْشَةَ ؟ فسكَّتوا ، فقال أبو سفيانَ : قُتِلَ وربُّ الكعبةِ . ثم قال : أفي القومِ ابنُ أبي فُحَافَةَ ؟ فسكَّتوا ، فقال : قُتِلَ وربُّ الكعبةِ . ثم قال : أفي القومِ ابنُ الخطابِ ؟ فسكَّتوا ، فقال : قُتِلَ وربُّ الكعبةِ . ثم قال أبو سفيانَ اغْلُ هُبْلُ ، يومَ بيومِ بدرٍ ، « والحربُ سجالٌ » وَحَنْظَلَةٌ بِحَنْظَلَةٍ ، وأنتم واجدون في القومِ مُثَلًّا لم تكن عن رأيِ سراتنا وخيارنا ، ولم نكرهه حينَ رأيناه . فقال النبي ﷺ لعمَرَ بنِ الخطابِ : « قُمْ فنادِ ، فقل : اللهُ أَغْلَى وأَجَلُّ ، نعم ، هذا رسولُ اللهِ [٥١/١١] ، وهذا أبو بكرٍ ، وهأنذا ، لا يَسْتَوِي أصحابُ النارِ وأصحابُ الجنةِ ، أصحابُ الجنةِ هم الفائزون ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ ، وَقَتَلْنَاكُمْ فِي النَّارِ » .

وقال آخرون في ذلك بما حدَّثني به محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِذْ نُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُتْ عَلَى أَحَدٍ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَانِكُمْ ﴾ : فرجعوا فقالوا : واللهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ ، ثم لَنَقْتُلَنَّهَمْ ، قد جرحوا^(٢) منا . فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « مَهْلًا ، فإنما أصابكم الذي أصابكم من أجلِ أنكم عصيتموني » . فبينما هم كذلك ، إذ أتاهم القومُ قد اتَّشَبَوْا^(٣) ، وقد اختَرَطُوا سيوفهم^(٤) ، فكان غمُّ الهزيمةِ وغمُّهم حينَ أتوهم ، ﴿ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ من القتلِ ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ من الجراحةِ ، ﴿ فَأَتْبِكُمْ غَمًّا نِعَمًا لِكَيْلًا تَحْزَنُوا ﴾ الآية . وهو يومٌ أحدٍ^(٥) .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « خرجوا » .

(٣) في الأصل ، وتفسير ابن أبي حاتم ، والدر المنثور : « أيسوا » ، وفي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س :

« أنسوا » ، وغير منقوطة في ص ، ولعل المثبت هو الصواب ، يقال : اتَّشَبَ القومُ : اجتمعوا .

(٤) اختَرَطُوا سيوفهم : سلَّوها من أغمادها .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩٠/٣ ، ٧٩١ ، ٧٩١ (٤٣٤٣ ، ٤٣٤٥) عن محمد بن سعد به ، وعزاه

السيوطي في الدر المنثور ٨٧/٢ إلى المصنف وابن أبي حاتم .

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : معنى قوله : ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ ﴾^(١) فأثابكم بغمكم^(١) أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنيمته المشركين والظفر بهم والنصر عليهم ، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ - بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تُحِبُّون - بمعصيتكم ربكم ، وخلافكم أمر نبيكم ﷺ ؛ غم ظنكم أن نبيكم ﷺ قد قُتِل ، وميل العدو عليكم بعد قتلهم منهم .

والذي يُدُلُّ على أن ذلك أولى بتأويل الآية مما خالفه^(١) من الأقوال^(١) قوله : ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ . والفائت لا شك أنه هو ما كانوا رجوا الوصول إليه من غيرهم ، إمَّا من ظهور عليهم بغلبهم ، وإما من غنيمته يختارونها ، وأن قوله : ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ هو ما أصابهم إما في أبدانهم ، وإما في إخوانهم .

فإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الغم الثاني هو معنى غير هذين ؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر عباده المؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ ، أنه أثابهم غمًّا^(٢) بعد غمًّا^(٢) ؛ لئلا يُحْزِنَهُمْ ما نالهم من الغم الناشئ عما فاتهم من غيرهم ، ولا ما أصابهم قبل ذلك في أنفسهم ، وهو الغم الأول على ما قد بيَّناه قبل .

وأما قوله : ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ فإن تأويله على ما قد بيَّنت من أنه لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فلم تُدرِ كوه مما كنتم ترجون إدراكه من عدوكم من الظفر عليهم والظهور ، وجيافة غنائمهم ، ولا ما أصابكم في أنفسكم من جرح من جرح وقتل من قتل من إخوانكم .

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه قبل على السبيل التي اختلفوا فيه .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢ - ٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س : « بغم » .

او كما حدثني يونس، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ^(١) وَهَبٍ، قال : قال ابنُ زيدٍ ١٣٩/٤
 فى قوله : ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ .
 قال : على ما فاتكم من الغنمة التى كنتم تزجون ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا
 أَصَابَكُمْ مِنَ الْهَزِيمَةِ .

وأما قوله : ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . فإنه يعنى جلّ ذكره : واللّه
 بالذى تَعْمَلُونَ أيها المؤمنون - من إضعادكم فى الوادى هَرَبًا من عدوكم ،
 وانهزامكم ، وتزريككم نبيكم وهو يدعوكم فى أخراكم ، [١١/٥١هـ] وحزركم
 على ما فاتكم من عدوكم ، وما أصابكم فى أنفسكم منهم - ذو خبرة وعلم ،
 وهو مُحْصٍ ذلك كله عليكم حتى يُجازيكم به ؛ المحسِنَ منكم بإحسانه ،
 والمُسِيءَ بإساءته ، أو يَعْفُو عنه .

القول فى تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعِسًا يَعْشَى طَائِفَةً
 مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ثم أنزل الله أيها المؤمنون من بعد الغم الذى أتابكم
 ربكم بعد غمّ تقدّمه قبله ، ﴿ أَمْنَةً ﴾ وهى الأمان على أهل الإخلاص منكم
 واليقين ، دون أهل التّفاق والشك .

ثم بيّن تعالى ذكره عن « الأمنة » التى أنزلها عليهم ما هى ؟ فقال :

﴿ نَاعِسًا ﴾ . بنصب « النعاس » على الإبدالِ مِنْ « الأمنة » .

ثم اختلفت القراءة فى قراءة قوله : ﴿ يَعْشَى ﴾ ؛ فقرأ ذلك عامّة قرأة الحجاز
 والمدينة والبصرة وبعض الكوفيّين بالتذكير بالياء : ﴿ يَعْشَى ﴾^(٢) .

(١) سقط من : م .

(٢) وهى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وأبى عمرو وابن عامر . ينظر حجة القراءات ص ١٧٦ .

وقرأته جماعةً من قرأة الكوفيين بالتأنيث : (تَعْشَى) بالتاء^(١) .

وذهب الذين قرءوا ذلك بالتذكير إلى أن الثعاس هو الذى يَعْشَى الطائفة من المؤمنين دون الأمنة ، فذكره بتذكير الثعاس .

وذهب الذين قرءوا ذلك بالتأنيث إلى أن الأمنة هى التى تَعْشَاهم ، فأنثوه لتأنيث الأمنة .

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان مُستَفِيضتان فى قرأة الأَمْصارِ ، غيرِ مختلفَتَيْنِ فى معنَى ولا غيرِه ؛ لأن الأمنة فى هذا الموضع هى الثعاسُ ، والنعاسُ هو الأمنة ، وسواء ذلك ، وبأبيتهما قرأ القارئُ فهو مُصِيبُ الحَقِّ فى قراءته ، وكذلك جميع ما فى القرآن من نظائره ، من نحو قوله : (إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَيْمِمْ * كَالْمُهْلِ تَعْلَى فى البطون) [الدخان : ٤٣-٤٥] . و : (ألم يك نُظْفَةً من منى تُمْنَى) [القيامة : ٣٧] . و : ﴿ وَهَزَى إِلَيْكَ بِجَنَاحِ النَّحْلَةِ سُقُوطًا ﴾^(٢) [مريم : ٢٥] .

فإن قال قائل : وما كان السبب الذى من أجله افتترقت الطائفتان اللتان ذكرهما الله تبارك وتعالى ، فيما افتترقتا فيه من صفتيهما ، فأمنت إحداهما بنفسها حتى نَعَسَتْ ، وأهَمَّت الأخرى أنفسها حتى ظنَّت بالله غيرِ الحَقِّ / ظنَّ الجاهلية ؟

١٤٠/٤

قيل : كان سبب ذلك فيما ذكر لنا كما حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدى : إن المشركين أنصَرَفوا يومَ أحدٍ بعد الذى كان من أمرهم وأمر المسلمين ، فواعدوا النبيَّ ﷺ بدرًا من قابلٍ ، فقال لهم : « نعم » . فتحوَّف المسلمون أن ينزلوا المدينة ، فبعث رسولُ الله ﷺ رجلاً ، فقال : « انظُرْ » ، فإن رأيتهم قعدوا [٥٢/١١] على أبقالهم ، وجنبوا^(٣) خيولهم ، فإن

(١) وهى قراءة حمزة والكسائى . حجة القراءات ص ١٧٦ .

(٢) سيأتى بيان هذه القراءات فى مواضعها من التفسير .

(٣) جنبَ الفرس : قاده إلى جنبه . التاج (ج ن ب) .

القوم ذاهبون ، وإن رأيْتهم قد قعدوا على خيولهم ، وجنبوا^(١) أثقالهم ، فإن القوم ينزلون المدينة ، فاتقوا الله واضربوا . ووطئهم على القتال ، فلما أبصرهم الرسول قد قعدوا على الأثقال سراعًا عجالاً ، نادى بأعلى صوته بذهابهم ، فلما رأى المؤمنون ذلك ، صدقوا نبي الله ، فناموا ، وبقي أناسٌ من المنافقين يظنون أن القوم يأتونهم ، فقال الله جل ثناؤه ، يذكركم حين أخبرهم النبي ﷺ ؛ إن كانوا ركبوا الأثقال ، فإنهم منطلقون ، فناموا : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ^(٢) مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ^(٣) ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : أمّتهم يومئذٍ بنعاسٍ غشاهم^(٤) بعد خوف^(٥) ، وإنما يُنعسُ من يأمنُ ، ﴿ يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ^(٦) ﴾ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، عن أبي طلحة ، قال : كنتُ في مَنْ أُنزل عليه النعاسُ يومَ أحدٍ أمانةً ، حتى سقط من يدي مرارًا^(٥) . يعنى^(٦) سيفه .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، عن أبي طلحة ، قال : رفعتُ رأسي يومَ أحدٍ ، فجعلتُ

(١) بعده في ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ ، والدر المنثور : « على » .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الله عليهم » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٧/٢ إلى المصنف .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (١١١٩٩) من طريق ابن أبي عدي به ، وأخرجه في الكبرى (١١٠٨٠) ،

وأبو يعلى (١٤٢٨) ، من طريق حميد به .

(٦) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قال أبو جعفر : يعنى سوطه أو » .

ما أَرَى أَحَدًا مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا تَحَتَّ حَجَفَتِهِ ^(١)، يَمِيدُ مِنَ الثُّعَاسِ ^(٢).

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ وَابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَا: ثنا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: ثنا عِمْرَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: كُنْتُ فِي مَنْ صُبَّ عَلَيْهِ الثُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ ^(٣).

حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: ثنا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ مِنْ غَشِيَةِ الثُّعَاسِ، قَالَ: كَانَ السَّيْفُ يَسْقُطُ مِنْ يَدِي ^(٤) ثُمَّ أَخَذَهُ ثُمَّ يَسْقُطُ مِنْ يَدِي ^(٥) ثُمَّ أَخَذَهُ، مِنَ الثُّعَاسِ ^(٦).

حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارٍ، قَالَ: ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ، ذَكَرْنَا - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - عَنْ أَنَسِ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ حَدَّثَهُمْ، أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ ^(٧) فِي مَنْ غَشِيَهُ الثُّعَاسُ، قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَأَخَذَهُ، وَيَسْقُطُ وَأَخَذَهُ، وَيَسْقُطُ، وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى الْمَنَافِقُونَ، لَيْسَ لَهُمْ هِمَّةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ، ﴿يَطْمُتُونَ بِاللَّهِ عِوَاذَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ الآية كلها.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ التِّرْمِذِيُّ، قَالَ: ثنا ضِرَارُ بْنُ صُرَدَةَ، قَالَ: ثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ ابْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ [٥٢/١١] بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ الْمِسْوَرِ ابْنِ مَخْرَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ / بْنَ عَوْفٍ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾. قَالَ: أُلْقِيَ عَلَيْنَا النُّومُ ^(٨)

١٤١/٤

(١) الْحَجَفُ: التُّرْسُ مِنَ الْجُلُودِ بِلَا خَشَبٍ وَلَا عَقَبٍ، وَاحِدَتُهَا حَجَفَةٌ. الْقَامُوسُ الْحَمِيطُ (ح ج ف).
(٢) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الْكَبِيرِ (١١١٩٨) عَنْ عَمْرٍو بْنِ عَلِيٍّ بِهِ، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٠٠٧)، وَأَبُو يَعْلَى (١٤٢٢)، وَالْحَاكِمُ ٢/٢٩٧، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ (٤٢١)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ ٣/٢٧٢ مِنْ طَرِيقِ حَمَادِ بِهِ.
(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ (٤٦٩٩) مِنْ طَرِيقِ عِمْرَانَ الْقَطَّانِ بِهِ.

(٤) فِي ت ٢: «فِي مَنْ»، وَفِي س: «مِنْ».

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ: ص، م، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٦٨)، وَالطَّبْرَانِيُّ (٤٧٠٠) مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بِهِ.

(٧ - ٧) فِي ص، م، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «مِنْ».

(٨) سَقَطَ مِنْ: ص، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

يَوْمَ أَحَدٍ^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا ﴾ الآية : وذاكم يومٌ أحدٌ ، كانوا يومئذٍ فريقين ، فأما المؤمنون فغشاهم اللهُ^(٢) النُّعَاسَ ؛ أَمْنَةً مِنْهُ وَرَحْمَةً^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ ابْنِ أَنَسٍ نَحْوَهُ .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، عَنِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿ أَمْنَةً نُعَاسًا ﴾ . قَالَ : أَلْقَى اللهُ عِزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمُ النُّعَاسَ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَمْنَةً لَهُمْ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ : النُّعَاسُ فِي الْقِتَالِ أَمْنَةٌ ، وَالنُّعَاسُ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا ﴾ . قَالَ : أَنْزَلَ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ عَلَى أَهْلِ الْيَقِينِ بِهِ ، فَهَمَّ نِيَامٌ لَا يَخَافُونَ^(٦) .

(١) أخرجه الطبراني (٢٨٥) من طريق ضرار به ، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢٧٤/٣ من طريق عبد العزيز به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩٣/٣ (٤٣٥٨) من طريق المسور بن مخرمة به .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩٤/٣ (٤٣٧٠) من طريق يزيد به .

(٤) ذكره الطوسي في التبيان ٢٣/٣ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩٣/٣ (٤٣٦٠) من طريق سفيان به .

(٦) سيرة ابن هشام ١١٥/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩٤/٣ (٤٣٦٤) من طريق سلمة به .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ . قَالَ : أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعَاسَ ، فَكَانَ أَمَنَةً لَهُمْ . قَالَ : ذَكَرَ أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَالَ : أَلْقَى عَلَيَّ النَّعَاسُ يَوْمَئِذٍ ، فَكَنْتُ أَنْعَسُ حَتَّى يَسْقُطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ سَنَانٍ ^(٢) ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ بْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ ، وَهَشَامِ بْنِ عَرُوةَ ، ^(٣) عَنْ عَرُوةَ ^(٤) ، عَنِ الزُّبَيْرِ ، أَنَّهُمَا قَالَا : لَقَدْ رَفَعْنَا رِعْوَسَنَا يَوْمَ أَحَدٍ ، فَجَعَلْنَا نَنْظُرُ ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَمِيلُ تَحْتَ ^(٥) حَجَفَتِهِ . قَالَ : وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ ^(٦) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وطائفة منكم أيها المؤمنون ، ﴿ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ ، يقول : هم المنافقون ، لا هم لهم غيرهم ^(٧) أنفسهم ، فهم من حذر القتل

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٧ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٩٣ (٤٣٦١) عن الحسن به .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بشار » ، وينظر ترجمة إسحاق بن إدريس في الجرح والتعديل ٢/٢١٣ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، س .

(٤) في النسخ : « بن » . والمثبت موافق لما في مصادر التخریج .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بجنب » .

(٦) أخرجه ابن سعد ٣/٥٠٥ ، وعبد بن حميد وعنه الترمذی (٣٠٠٧) ، والبيهقي في الدلائل ٣/٢٧٣ من

طريق حماد عن هشام به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٨٨ إلى ابن أبي شيبة وابن مردويه والطبراني .

وتقدم في ص ١٦١ ، ١٦٢ من طريق حماد عن ثابت .

(٧) سقط من : م .

على أنفسهم وخوفِ المنية^(١) عليها في شغلٍ ، قد طار عن أعينهم الكرى ، ﴿ يَطُوتُونَ بِاللَّهِ ﴾ الظنونَ الكاذبةَ ، ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ من أهلِ الشركِ باللهِ ، [٥٣/١١] شكَّا في أمرِ اللهِ ، وتكذبتا لنبِيِّهِ ﷺ ، ومحسبةً منهم أن اللهَ خاذلٌ نبيِّه ، ومُعلٍ عليه أهلَ الكفرِ به ، ﴿ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ .

كالذي حَدَّثَنَا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، قال : والطائفةُ الأخرى المنافقون ، ليس لهم همٌّ^(٢) إلا أنفسهم ، أُجِبْنُ قَوْمٍ وأرعبه ، وأخذله للحقُّ ، ﴿ يَطُوتُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ ظنونًا كاذبةً ، إنما هم أهلُ شكٍّ وريبةٍ في أمرِ اللهِ ، ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾^(٣) .

/ حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، ١٤٢/٤ عن الربيعِ ، قال : والطائفةُ الأخرى المنافقون ، ليس لهم همَّةٌ إلا أنفسهم ، ﴿ يَطُوتُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ ، ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا ﴾ . قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ الآية^(٤) .

حَدَّثَنَا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةٌ ، عن ابنِ إسحاقٍ : ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ . قال : أهلُ النفاقِ ، قد أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ تَخَوَّفَ القتلِ ، وذلك أنهم لا يَزُجُونَ عاقبةً^(٥) .

(١) في س : « الفتنه » .

(٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩٤/٣ ، ٧٩٥ ، (٤٣٦٧ ، ٤٣٧٠) من طريق يزيد به .

(٤) ذكره الطوسى فى البيان ٢٣/٣ .

(٥) سيرة ابن هشام ١١٥/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٩٤/٣ (٤٣٦٨) من طريق سلمة به .

حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ إلى آخر الآية . قال : هؤلاء المنافقون ^(١) .
وأما قوله : ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ ﴾ . فإنه يعني : أهل الشرك .

كالذي حدَّثني الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قتادة في قوله : ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ ﴾ . قال : ظَنَّ أَهْلَ الشَّرِكِ ^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ ﴾ . قال : ظَنَّ أَهْلَ الشَّرِكِ ^(٣) .

وفي رفعِ قوله : ﴿ وَطَائِفَةٌ ﴾ . وجهان ؛ أحدهما ، أن تكونَ مرفوعةً بالعائدِ من ذكرها في قوله : ﴿ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ ﴾ . والآخرُ بقوله : ﴿ يَطُؤُونَ بِاللَّهِ عِزَّ الْحَقِّ ﴾ . ولو كانت منصوبةً كان جائزًا ، وكانت الواؤ في قوله : ﴿ وَطَائِفَةٌ ﴾ . ظرفًا للفعل ، بمعنى : وأهمت طائفةً أنفسهم . كما قال : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَيْنَهَا يَأْتِيهِ ﴾ [الذاريات : ٤٧] .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ أَلَمَرَ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِيهِ أَنفُسَهُمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنَا ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بذلك : الطائفةُ المنافةُ التي قد أهمتهم أنفسهم ، أنهم يقولون : ليس لنا من الأمرِ ^(٤) شيءٌ ، ولو كان لنا من الأمرِ شيءٌ ما خرَجنا لقتالِ من

(١) ذكره الطوسى فى التبيان ٢٣/٣ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٧ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٩٤ (٤٣٦٩) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٨٨ إلى المصنف .

(٤) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « من » .

قاتلناه فيقتلونا .

[٥٣/١١] كما حَدَّثَنَا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قيل لعبدِ اللهِ بنِ أبييٍّ : قُتِلَ بنو الخِزرجِ اليومَ . قال : وهل لنا من الأمرِ من شيءٍ؟^(١)

﴿ قُلْ ^(٢) إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ . وهذا أمرٌ مُبْتَدَأُ مِنَ اللهِ عز وجل ، يقولُ تعالى ذكره لنبِيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لهؤلاءِ المنافقين : ﴿ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ . يُصِرُّهُ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيُدَبِّرُهُ كَيْفَ أَحَبَّ ^(٣) .

ثم عاد إلى الخبر عن ذكرِ نفاقِ المنافقين فقال : ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ . يقولُ : يُخْفِي يا محمدُ هؤلاءِ المنافقون الذين وَصَفْتُ لكَ صفتهم ، في أنفُسِهِم مِنَ الكُفْرِ والشكِّ في اللهِ ، ما لا يُبْدُونَ لَكَ . ثم أظهرَ نبيُّه ﷺ على ما كانوا يُخْفُونَهُ بَيْنَهُم مِنَ نفاقِهِم ، والحسرة التي أصابتهم على حضورِهِم مع المسلمين مشهدهم بأحدٍ ، فقال مخبرًا عن قِيلِهِم الكُفْرَ ، وإعلانِهِم النفاقَ بَيْنَهُم : ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانِ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا ههنا ﴾ . يعني بذلك أن هؤلاءِ المنافقين يقولون : لو كان الخِروجُ إلى حربٍ مَن خَرَجْنَا لِحَرْبِهِ مِنَ المَشْرِكِينَ إِلَيْنَا ، ما خَرَجْنَا إِلَيْهِمْ ، ولا قُتِلَ مَنَّا أَحَدٌ فِي المَوْضِعِ الَّذِي قُتِلُوا فِيهِ بِأَحَدٍ .

وذكر أن من ^(٤) قال هذا القولَ مُعْتَبِرٌ بِنُ قُشَيْرٍ ، أخو ^(٥) بنِي عمرو بنِ عوفٍ .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٨/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « قيل » .

(٣) في م : « يحسب » .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ممن » .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أحد » .

/ ذكُرُ الْخَبْرِ بِذَلِكَ

١٤٣/٤

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، قال : قال ابنُ إسحاقَ : ثنى يحيى بنُ عبادِ ابنِ^(١) عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ ، عن الزبيرِ ، قال : واللهِ إني لأسمعُ قولَ مُعْتَبِ بنِ قُشَيْرٍ أخى بنى عمرو بنِ عوفٍ ، والتَّعَاسُ يَعُشَانِي ، ما أسمعُه إلا كالحلِّمِ ، حينَ قال : لو كان لنا مِنَ الأمرِ شيءٌ ما قُتِلنا ههنا^(٢) .

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بنُ يحيى الأُمَوِيُّ ، قال : ثنى أبى ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : ثنى يحيى بنُ عبادِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ ، عن أبيه بمثله .
وَاخْتَلَفَتِ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَتْهُ عَامَةً قِرَاءَةَ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ : ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ ﴾ . بِنَصْبِ « الْكَلِّ » ، عَلَى وَجْهِ النَّعْتِ لِلْأَمْرِ وَالصَّفَةِ لَهُ .

وقرأه بعضُ قراءَةِ أهلِ البصرة : (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ)^(٣) . برفعِ « الْكَلِّ » عَلَى تَوْجِيهِ الْكَلِّ إِلَى أَنَّهُ اسْمٌ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ لِلَّهِ ﴾ خَبْرُهُ ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ : إِنَّ الْأَمْرَ بَعْضُهُ لِعَبْدِ اللَّهِ .

وقد يجوزُ أن يكونَ « الْكَلِّ » فِي قِرَاءَةٍ مَن قَرَأَهُ بِالنَّصْبِ مَنْصُوبًا عَلَى الْبَدَلِ .
وَالْقِرَاءَةُ الَّتِي هِيَ الْقِرَاءَةُ عِنْدَنَا ، [١١ / ٥٤] النَّصْبُ فِي « الْكَلِّ » ؛ لِإِجْمَاعِ أَكْثَرِ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ ، مِن غَيْرِ أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ الْأُخْرَى خَطَأً فِي مَعْنَى أَوْ عَرَبِيَّةً ، وَلَوْ كَانَتِ الْقِرَاءَةُ بِالرَّفْعِ فِي ذَلِكَ مُسْتَفِيضَةً فِي الْقِرَاءَةِ ، لَكَانَتْ سِوَاءً عِنْدِي الْقِرَاءَةُ بِأَيِّ ذَلِكَ قُرِئَ ؛ لِاتِّفَاقِ مَعَانِي ذَلِكَ بِأَيِّ وَجْهَيْهِ قُرِئَ .

(١) فِي ص : « عَن » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٩٥/٣ (٤٣٧٣) ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ (٤٢٣) ، وَابِيهَيْقَى فِي الدَّلَائِلِ ٢٧٣/٣ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ بِهِ .

(٣) بِالرَّفْعِ قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَحْدَهُ ، وَقَرَأَ بَاقِيَ السَّبْعَةِ بِالنَّصْبِ . السَّبْعَةُ لِابْنِ مَجَاهِدٍ ص ٢١٧ .

القول في تأويل قوله: ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١٥٤) .

يعنى بذلك تعالى ذكره : قل يا محمد للذين وصفتُ لك ^(١) صفتهم من المنافقين : لو كنتم في بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم ، ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين ، فيظهر للمؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم ، وتكتمونه من شككم ^(٢) في دينكم ، ﴿ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ . يقول : لظهر للموضع الذى كُتِبَ عليه مضرعه فيه من قد كُتِبَ عليه القتل منهم ، ولخرج ^(٣) من بيته إليه ، حتى يُصرع في الموضع الذى كُتِبَ عليه أن يُصرع فيه .

وأما قوله : ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ . ^(٤) فإنه يعنى به : وليبتلى الله ما في صدوركم أيها المنافقون ، كنتم تبرزون من بيوتكم إلى مضاجعكم .

ويعنى بقوله : ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ : وليختبر الله الذى فى صدوركم من الشك ، فيميزكم - بما يُظهره للمؤمنين من نفاقكم - من المؤمنين .

وقد دللنا فيما مضى على أن معانى نظائر قوله : ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ﴾ و ﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] وما أشبه ذلك ، وإن كان فى ظاهر الكلام مضافاً إلى الله الوصف به ، فمراد ^(٥) به أوليائوه وأهل طاعته ، وأن معنى ذلك : وليختبر أولياء الله

(١ - ١) فى س ، ت ٢ : « من صفتهم » .

(٢) فى م ، س : « شرككم » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يخرج » .

(٤ - ٤) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٥) فى س : « فمراده » .

وأهل طاعته الذى فى صدوركم من الشكّ والمرضى ، فيعرفوكم^(١) من أهل الإخلاص واليقين^(٢) .

﴿ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ . يقول : وليبينوا ما فى قلوبكم من الاعتقاد لله تعالى ذكره ولرسوله ﷺ وللمؤمنين ، من العداوة أو الولاية .

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ . يقول : [١١/٤٥٥هـ] واللّه ذو علم بالذى/ فى صدور خلقه ، من خير وشرّ ، وإيمان وكفرٍ ، لا يخفى عليه شىء من أمورهم ؛ سرائرها وعلاقتها ، وهو لجمع ذلك حافظٌ ، حتى يُجازى جميعهم جزاءهم ، على قدر استحقاقهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن إسحاق يقول .

حدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر الله عز وجل تلاؤمهم - يعنى تلاؤم المنافقين - وحسرتهم على ما أصابهم ، ثم قال لنبىه ﷺ : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ لم تحضروا هذا الموضع الذى أظهر الله عز وجل فيه منكم ما أظهر من سرائركم^(٣) ، لأخرج الذين كُتِب عليهم القتل إلى موطن^(٤) غيره ، يُصرعون فيه ، حتى يتلى به ما فى صدوركم ، ﴿ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ . أى : لا يخفى عليه ما^(٥) فى صدورهم ، مما استخفوا به منكم^(٦) .

(١) فى س : « فيعرفكم » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٦٤١/٢ - ٦٤٥ .

(٣) بعده فى سيرة ابن هشام : « لبرز » .

(٤) فى الأصل ، ص ، ت ١ : « موطن » .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « شىء ما » .

(٦) سيرة ابن هشام ١١٥/٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٩٦/٣ (٤٣٧٦ - ٤٣٧٨) من طريق

حدَّثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا الحارث بن مسلم ، عن بخر السقاء ، عن عمرو بن عبدي ، عن الحسن ، قال : سُئِلَ عن قوله : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ . قال : كَتَبَ اللَّهُ عز وجل على المؤمنين أن يُقاتِلوا في سبيله ، وليس كلُّ مَنْ يُقاتِلُ يُقتلُ ، ولكن يُقتلُ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ عليه القتل ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَتْهُمُ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ ولقد عفا الله عنهم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : إن الذين ولّوا عن المشركين يوم أُحُدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ فأنهزموا عنهم .

وقوله : ﴿ تَوَلَّوْا ﴾ . تفعلوا ، من قولهم : ولّى فلان ظهره .

وقوله : ﴿ يَوْمَ آتَتْهُمُ الْجَمْعَانِ ﴾ . يعنى : يوم آتت جمع المشركين وجمع المسلمين بأحُدٍ .

﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ . أى إنما دعاهم إلى الزّلة الشيطان .

وقوله : « اسْتَزَلَّ » . استفعل من الزّلة ، والزّلة هى الخطيئة .

﴿ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ . يعنى : ببعض ما عملوا من الذنوب .

﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ . يقول : ولقد تجاوز الله لهم عن عقوبة ذنبهم ^(٢) ،

فصّح لهم عنه .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٨/٢ إلى المصنف .

(٢) فى م : « ذنوبهم » .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ﴾ . يعنى به : مُعْطٍ عَلَى ذُنُوبٍ مَن آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَ رَسُولَهُ ، بِعَفْوِهِ
عَنْ عَقُوبَتِهِ إِيَّاهُمْ عَلَيْهَا ، ﴿ حَلِيمٌ ﴾ . يعنى أَنَّهُ ذُو أَنَاةٍ ، لَا يَعْجَلُ عَلَى مَن عَصَاهُ
وَخَالَفَ أَمْرَهُ بِالنِّقْمَةِ .

[٥٥/١١] ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين عُثُوا بهذه الآية ؛ فقال
بعضُهم : عُثِيَ بِهَا كُلُّ مَن وَلَّى الدُّبُرَ عَنِ الْمَشْرِكِينَ بِأَحَدٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ الرَّفَاعِيُّ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ ، قَالَ : ثنا عَاصِمُ بْنُ
كَالِبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : خَطَبَ عَمْرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَقَرَأَ « آلَ عِمْرَانَ » ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ
إِذَا خَطَبَ أَنْ يَقْرَأَهَا ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَى
الْجَمْعَانَ ﴾ . قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ هَزَمْنَاهُمْ ، فَفَرَزْتُ حَتَّى صَعِدْتُ / الْجَبَلَ ، فَلَقَد
رَأَيْتُنِي أَنْزُو كَأَنِّي أَرَوِي ^(١) ، وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : قُتِلَ مُحَمَّدٌ . فَقُلْتُ : لَا أَجِدُ أَحَدًا
يَقُولُ : قُتِلَ مُحَمَّدٌ . إِلَّا قَتَلْتُهُ ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا عَلَى الْجَبَلِ ، فَنَزَلْتُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا
مِنْكُمْ يَوْمَ آتَى الْجَمْعَانَ ﴾ الآية كُلِّهَا ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا
مِنْكُمْ يَوْمَ آتَى الْجَمْعَانَ ﴾ الآية : وَذَلِكَ يَوْمَ أَحَدٍ ، نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
تَوَلَّوْا عَنِ الْقِتَالِ ، وَعَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ الشَّيْطَانِ وَتَخْوِيفِهِ ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا تَسْمَعُونَ ، أَنَّهُ قَدْ تَجَاوَزَ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، وَعَفَا عَنْهُمْ ^(٣) .

(١) الأروى : أنثى الوعل . اللسان (روى) .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٨/٢ إلى المصنف .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٩/٢ إلى المصنف .

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ ﴾ الآية . فذكرَ نحو قول قتادة^(١) .

وقال آخرون : بل عُنى بذلك خاصٌّ مَن ولى الدَيْرَ يومئذٍ . قالوا : وإنما عُنى به الذين لحقوا بالمدينة منهم دونَ غيرهم .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدى ، قال : لما انْهَزَموا يومئذٍ ، تَفَرَّقَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أصحابه ، فدخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم^(٢) فوقَ الجبلِ إلى الصخرة ، فقاموا عليها ، فذكرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الذين انْهَزَموا فدخلوا المدينة ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آلتَقَى الْجَمْعَانَ ﴾ الآية^(٣) .

وقال آخرون : بل نَزَلَ ذلك فى رجالٍ بأعيانهم معروفين .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال عكرمةُ فى قوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آلتَقَى الْجَمْعَانَ ﴾ . قال : نَزَلَتْ فى رافعِ ابنِ المعلَى وغيره من الأنصارِ ، وأبى^(٤) حذيفةَ بنِ عُتبة ، ورجلٍ آخرَ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره (بتحقيق د. حكمت) ٦٢٣/٢ (١٧٠٩) من طريق ابن أبي جعفر به .
(٢ - ٢) فى س : « إلى الجبلِ فوق » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٩٦/٣ عقب الأثر (٤٣٨٠) من طريق أسباط به .

(٤ - ٤) فى ص : « الأنصار أبى » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أنصار أبى » .

قال ابن جريج : وقوله : ﴿ إِنَّمَا أَسْتَرْزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿١﴾ : إذ لم يُعاقِبهم .

[١١/٥٥ظ] حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، قال : فرَّ عثمانُ بنُ عفانَ ، وعقبَةُ بنُ عثمانَ وسعدُ بنُ عثمانَ - رجُلانِ مِنَ الأنصارِ - حتى بلغوا الجَلْعَبَ - جبلٌ بناحيةِ المدينةِ مما يلي الأَعْوَصَ ^(٢) - فأقاموا به ثلاثاً ، ثم رجعوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال لهم : « لقد ذهبتم فيها عريضةً ^(٤) » .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاقِ قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا أَسْتَرْزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ الآية : والذين استرزلهم الشيطانُ عثمانُ بنُ عفانَ ، وسعدُ بنُ عثمانَ وعقبَةُ بنُ عثمانَ ، الأنصاريانِ ثم الرُّزَقِيَّانِ ^(٥) .

/وأما قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ . فإن معناه : ولقد تجاوز الله عن الذين تولَّوا منكم يومَ التَّقَى الجمعان أن يُعاقِبهم بتوليهم عن عدوهم .

كما حَدَّثَنَا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، قال : قال ابنُ جريجٍ قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ يقولُ : ولقد عفا الله عنهم إذ لم يُعاقِبهم ^(٦) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٨/٢ إلى المصنف دون قول ابن جريج .

(٢) في س : « بين » .

(٣) الأَعْوَصُ : موضع قرب المدينة . معجم البلدان ٣١٧/١ .

(٤) عريضة : واسعة . النهاية ٢١٠/٣ .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٣١١ عن يحيى بن عباد ، عن أبيه ، عن جده بأطول مما هنا . ومن طريق ابن إسحاق أخرجه المصنف في تاريخه ٥٢٢/٢ . وعزاه ابن كثير في البداية والنهاية ٣٩١/٥ إلى الأموي في مغازيه .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٩/٢ إلى ابن المنذر .

(٦) ذكره الطوسي في التبيان ٢٥/٣ عن ابن جريج .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ - فِي تَوَلَّيْتُهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ - : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ : فَلَأَذْرِي ذَلِكَ ^(١) الْعَفْوُ عَنْ تِلْكَ الْعِصَابَةِ ، أَمْ عَفْوٌ عَنِ الْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ ؟ ^(٢) .

وقد بينا تأويل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ حَلِيمٌ ﴾ . فيما مضى ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَتَّخِئُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين ^(٤) صدَّقوا الله ورسوله ، وأقروا بما جاء به محمدٌ من عند الله ، لا تكونوا كمن كفر بالله ورسوله ، فجحد نبوة محمدٍ ﷺ ، وقال لإخوانه من أهل الكفر ﴿ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ فخرجوا من بلادهم سفراً في تجارة ، ﴿ أَوْ كَانُوا غُرَى ﴾ . يقول : أو كان خروجهم من بلادهم غزاةً ، فهلكوا فماتوا في سفرهم ، أو قتلوا في غزوهم : ﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴾ . يُخْبِرُ بِذَلِكَ عَنْ قَوْلِ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ ؛ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِمَنْ غَزَا مِنْهُمْ فُقُتِلَ ، أَوْ مَاتَ فِي سَفَرٍ خَرَجَ فِيهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ ، أَوْ تِجَارَةٍ : لَوْ لَمْ يَكُونُوا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِنَا ، وَكَانُوا أَقَامُوا فِي بِلَادِهِمْ ، مَا مَاتُوا ، وَمَا قُتِلُوا . ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ . يعنى أنهم يقولون ذلك كى يجعل الله قولهم ذلك حزناً في قلوبهم وغمّاً ، ويجهلون أن ذلك إلى الله جل ثناؤه ويديه .

وقد قيل : إن الذين نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتشبهوا بهم فيما نهاهم عنه

(١) في م : «أذلك» .

(٢) ذكره الطوسى فى التبيان ٢٥/٣ عن ابن زيد .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٤٢/٤ .

(٤) بعده فى س : «آمنوا» .

من سوء اليقين بالله ، هم عبدُ اللهِ بنُ أبي ابنِ سلولٍ وأصحابه .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ [١١٦/٥٦]

حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاهُ ، عن السديّ : ﴿ يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى ﴾ الآية . قال : هؤلاء المنافقون أصحابُ عبدِ اللهِ بنِ أبي^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى ﴾ : قولُ المنافقِ عبدِ اللهِ بنِ أبي ابنِ سلولٍ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبُلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

وقال آخرون في ذلك : هم جميعُ المنافقين .

/ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

١٤٧/٤

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية : أي : لا تكونوا كالمنافقين الذين يَنْهَوْنَ^(٣) إِخْوَانَهُمْ عن الجهادِ فِي سبيلِ اللهِ والضربِ فِي الأرضِ فِي طاعةِ اللهِ وطاعةِ رسوله ، ويقولون إذا ماتوا أو قُتِلوا : لو أطاعونا ما ماتوا وما قُتِلوا^(٤)

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩٨/٣ (٤٣٩٤) من طريق أحمد به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩٩/٣ (٤٣٩٧) من طريق ابن أبي نجيح به . وعزاه السيوطي في الدر

المشور ٨٩/٢ إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) في س : « يمنعوا » .

(٤) سيرة ابن هشام ١١٦/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩٨/٣ ، ٧٩٩ ، (٤٣٩٣) ، (٤٣٩٥) ،

وأما قوله: ﴿ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ . فإنه اختُلف في تأويله ؛ فقال بعضهم : هو السفرُ في التجارة ، والسيرُ في الأرضِ طلبَ المعيشةِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ : وهي التجارةُ^(١) .
وقال آخرون : بل هو السيرُ في طاعةِ اللهِ وطاعةِ رسوله ﷺ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ : ﴿ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ : الضربُ في الأرضِ في طاعةِ اللهِ وطاعةِ رسوله^(٢) .
وأصلُ الضَّربِ في الأرضِ الإبعادُ فيها سيرًا .
وأما قوله : ﴿ أَوْ كَانُوا عَزَى ﴾ . فإنه يعني : أو كانوا عُزاةً في سبيلِ اللهِ .
والعُزَى جمعُ غازٍ ، جُمِعَ على فُعَلٍ ، كما يُجمَعُ شاهدٌ شُهَدٌ ، وقائلٌ قُوَلٌ ، وقد يُنشَدُ بيتٌ رُوْبَةٌ^(٣) :

فاليومِ قد نَهَنَهِي تَنَهُّمِي^(٤)

= (٤٣٩٩) من طريق سلمة به .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩٩/٣ (٤٣٩٦) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) هو من الأثر المتقدم في الصفحة السابقة .

(٣) ديوانه (مجموع أشعار العرب) ص ١٦٦ .

(٤) النهية : الكف . تقول : نهنت فلانا ، إذا زجرته فكف . اللسان (نهنة) .

وأول^(١) جِلْمٍ ليس بالمُسْقَفِ
وقَوْلٍ إِلَّا دَهٍ فَلَآ دَهٍ^(٢)

ويُنشَدُ أَيضًا :

وقولهم إِلَّا دَهٍ فَلَآ دَهٍ

وإنما قيل : ﴿ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى ﴾ . ﴿ فَأَصْحَبَ مَاضِي^(٣) الْفِعْلِ الْحَرْفَ الَّذِي لَا يَصْحَبُ مَعَ الْمَاضِي مِنْهُ إِلَّا الْمُسْتَقْبَلُ ، فَقِيلَ : ﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ . ثم قيل : ﴿ إِذَا ضَرَبُوا ﴾ . وإنما يُقَالُ فِي الْكَلَامِ : أَكْرَمْتُكَ إِذْ زُرْتَنِي . وَلَا يُقَالُ : أَكْرَمْتُكَ إِذَا زُرْتَنِي . لِأَنَّ الْقَوْلَ الَّذِي فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ . وَإِنْ كَانَ فِي لَفْظِ الْمَاضِي ، فَإِنَّهُ بِمَعْنَى الْمُسْتَقْبَلِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تَذْهَبُ بِـ «الَّذِينَ» مَذْهَبِ الْجَزَاءِ ، وَتُعَامِلُهَا فِي ذَلِكَ [١١/٥٦]ظ مُعَامِلَةً «مَنْ» وَ «مَا» ؛ لِتَقَارِبِ مَعَانِي ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، وَأَنَّ جَمِيعَهُنَّ^(٤) أَشْيَاءٌ مَجْهُولَاتٌ غَيْرُ مُوقَّتَاتٍ^(٥) تَوْقِيتَ عَمِيرو وَزَيْدِ . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَكَانَ صَحِيحًا / فِي الْكَلَامِ فَصِيحًا أَنْ يُقَالَ لِلرَّجُلِ : أَكْرَمْتُكَ مِنْ أَكْرَمْتُكَ ، وَأَكْرَمْتُ كُلَّ رَجُلٍ أَكْرَمْتُكَ . فَيَكُونُ الْكَلَامُ خَارِجًا بِلَفْظِ الْمَاضِي مَعَ «مَنْ» ، وَ «كُلُّ» مَجْهُولٌ ،

١٤٨/٤

(١) الأول : الرجوع . اللسان (أول) .

(٢) إِلَّا دَهٍ فَلَآ دَهٍ . معناه : إن لم يكن هذا الأمر الآن فلا يكون بعد الآن . واختلف في أصل هذه الكلمة اختلافاً كثيراً ، ينظر في اللسان (دهده) .

(٣ - ٣) في م : «بإصحاب ماضى» ، وفي س : «فأصبحت ما ماضى» .

(٤) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «جمعهن» .

(٥) غير الموقت هنا هو الاسم الموصول ، فهو معرفة غير موقته ؛ لأنه لا يحدد المراد منه تعييناً . ينظر المصطلح

النحو ص ١٦٨ ، ومصطلحات النحو الكوفى ص ١٤٩ .

ومعناه الاستقبال ، إذ كان الموصوفُ بالفعلِ غيرَ مُوقَّتٍ ، وكان « الذين » فى قوله : ﴿ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ غيرَ مُوقَّتَيْنِ - أُجْرِيَتْ مُجْرَى « مَنْ » ، و « ما » فى ^(١) توجيهاها إلى مذهب ^(٢) الجزاء وإخراج صلاتها ^(٣) بألفاظ الماضى من الأفعال ، وهى بمعنى الاستقبال ، كما قال الشاعر ^(٤) :

وإنى لآتيكم تشكراً ما مضى من الأمر واستيجاب ما كان فى غدي
فقال : ما كان فى غد . وهو يريد ما يكون فى غد ، ولو كان أراد الماضى لقال :
ما كان فى أمس . ولم يَجْزُله أن يقول : ما كان فى غدي .

ولو كان « الذى » مُوقَّتًا ، لم يَجْزُ أن يُقالَ ذلك . خطأً أن يُقالَ : لأُكْرِمَنَّ ^(٥)
هذا الذى أكرمك إذا زرتَه . لأن « الذى » هلهنا مُوقَّتٌ ، فقد خرج من معنى الجزاء ،
ولو لم يَكُنْ فى الكلام « هذا » ، لكان فصيحاً جائزاً ؛ لأن « الذى » يصيرُ حينئذٍ
مجهولاً غيرَ مُوقَّتٍ ، ومن ذلك قولُ الله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الحج : ٢٥] . فردَّ ﴿ يَصُدُّونَ ﴾ على ﴿ كَفَرُوا ﴾ ؛ لأن
﴿ الَّذِينَ ﴾ غيرَ مُوقَّتية ، فقوله : ﴿ كَفَرُوا ﴾ . وإن كان فى لفظٍ ماضٍ ، فمعناه
الاستقبال . وكذلك قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [مريم : ٦٠] .
وقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة : ٣٤] . معناه : إلا
الذين يَتُوبُونَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ ، وإلا مَنْ يَتُوبُ وَيُؤْمِنُ . ونظائرُ ذلك فى

(١ - ١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « ترجمتها التى تذهب » .

(٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) فى س : « صفاتها » .

(٤) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فى ما » . والبيت تقدم فى ٢/٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٥) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لكن من » ، وفى م : « لك من » ، وفى س : « لكن فى » .

القرآن والكلام كثير، والعلّة في^(١) ذلك واحدة.

وأما قوله: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾. فإنه يعني بذلك: حُزُنًا في قلوبهم.

كما حدّثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾. قال: يَحْزُنُهُمْ قَوْلُهُمْ^(٢)، لا يَنْفَعُهُمْ شَيْئًا^(٣).

حدّثني المثني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: لقلّة اليقين برّبهم تبارك وتعالى^(٤).

القول في تأويل قوله: ﴿وَاللَّهُ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٥).

يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿وَاللَّهُ يَحْيِي وَيُمِيتُ﴾: واللّه المعجل الموت لمن يشاء^(٥) حيث يشاء، والمميت من يشاء كلّما شاء، دون غيره من سائر خلقه.

وهذا من الله عزّ وجلّ ترغيب لعباده المؤمنين على جهاد عدوّه، والصبر على

(١) بعده في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «كل».

(٢) في الأصل، ص، ت، ١، س: «قوله».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩٩/٣ (٤٤٠١) من طريق ابن أبي نجيح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٩/٢ إلى عبد بن حميد.

(٤) سيرة ابن هشام ١١٦/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٠٠/٣ (٤٤٠٢) من طريق سلمة به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٩/٢ إلى ابن المنذر.

(٥) بعده في ص، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «من».

قتالهم ، وإخراج هَيْبَتِهِمْ مِنْ صُدُورِهِمْ ، وإن قَلَّ عَدَدُهُمْ ، وكَثُرَ عَدَدُ أَعْدَائِهِمْ وأَعْدَاءِ اللَّهِ ، [٥٧/١١] وإِعْلَامٌ مِنْهُمْ أَنِ الْإِمَاتَةَ وَالْإِحْيَاءَ بِيَدِهِ ، وأنه لن يموتَ أَحَدٌ ولا يُقْتَلُ إِلَّا بَعْدَ فَنَاءِ أَجَلِهِ الَّذِي كُتِبَ لَهُ ، وَنَهَى مِنْهُمْ - إذ كان ذلك كذلك - أن يَجْزَعُوا لِمَوْتِ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ ، أو قَتَلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ / في حربِ الْمُشْرِكِينَ .

ثم قال جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ ^(١) بَصِيرٌ ﴾ . يقول : إِنَّ اللَّهَ يَرَى مَا تَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، ^(٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، فإنه مُحْصِي ذَلِكَ كُلَّهُ ، حتى يُجَازِيَ كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ عَلَى قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابنُ إسحاق .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ أَى : يُعْجِلُ مَا يَشَاءُ ، وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ مِنْ آجَالِهِمْ بِقُدْرَتِهِ ^(٣) .

القولُ في تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ^(٤) ﴾ .

يخاطبُ ^(٥) بذلك تعالَى ذِكْرُهُ عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ ، يقولُ لَهُمْ : لا تَكُونُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي شَكٍّ مِنْ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ ، وَأَنَّ إِلَيْهِ الْإِحْيَاءَ وَالْإِمَاتَةَ ، كما شكَّ

(١) في ت ١ ، س : « يعملون » . وهي قراءة ابن كثير وحزمة والكسائي ، وقرأ باقي السبعة بالناء . حجة القراءات ص ١٧٧ .

(٢ - ٢) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فاتقوه » ، وفي س : « فاتقوا » .

(٣) سيرة ابن هشام ١١٦/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٠٠/٣ (٤٤٠٣) من طريق سلمة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٩/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) في ت ١ ، س : « تجمعون » . والمثبت قراءة عاصم في رواية حفص عنه ، ولم يروها غيره ، وقرأ الباقون بالناء . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٨ .

(٥) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فخطب » .

المنافقون في ذلك ، ولكن جاهدوا في سبيلِ الله ، وقاتلوا أعداء الله ، على يقينٍ منكم بأنه ^(١) لا يُقتلُ في حربٍ ^(٢) ، ولا يموتُ في سفرٍ ، إلا من قد بلغَ أجله وحانت وفاته . ثم وعدهم على جهادهم في سبيلِ الله المغفرة والرحمة ، وأخبرهم أن موتاً في سبيلِ الله ، أو ^(٣) قتلاً في دينه ^(٤) ، خيرٌ لهم مما يجمعون في الدنيا من حطامها ، ورغيد عيشها ، الذي من أجله يتناقلون عن الجهاد في سبيلِ الله ، ويتأخرون عن لقاء العدو .

كما حدثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق : ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتْتُمْ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ^(٥) أي : إن الموت كائنٌ لا بد منه ، فموتٌ في سبيلِ الله ، أو قتلٌ ، خيرٌ - لو علموا ^(٦) وأيقنوا - مما يجمعون من ^(٧) الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد ؛ تخوفاً من الموت والقتل ، لما جمعوا من زهيد ^(٨) الدنيا ، وزهادة في الآخرة ^(٩) .

وإنما قال جل ثناؤه : ﴿ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ^(١٠) .
وابتداء الكلام : ﴿ وَلَئِن مُتْتُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾ بحذف جزاء « لئن » ؛ لأن في قوله :

(١) في ص ، ت ، ١ ، س : « فإنه » .

(٢) بعده في ت ٢ ، س : « منكم » .

(٣) في م : « و » .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « الله » .

(٥) في الأصل ، ص ، ت ، ١ : « تجمعون » .

(٦) في س : « تعلمون » .

(٧) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « في » .

(٨) في سيرة ابن هشام : « زهرة » ، وفي تفسير ابن أبي حاتم : « زهيدة » .

(٩) سيرة ابن هشام ١١٦/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٠٠/٣ (٤٤٠٤) من طريق سلمة به ،

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٩/٢ إلى ابن المنذر .

(١٠) في س : « تجمعون » .

﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾^(١) . معنى جواب^(٢) للجزاء ،
وذلك أنه وعدٌ خرج مخرج الخبر .

فتأويل الكلام : ولئن قُتِلْتُمْ في سبيلِ اللَّهِ أو مُتُّم ، لَيَغْفِرَنَّ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَيَرْحَمَنَّكُمْ . فدلَّ على ذلك بقوله : ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴾^(٣) . وجمع مع الدلالة به عليه الخبر عن فضل ذلك على ما يُؤثرونه^(٤)
من الدنيا وما يَجْمَعُونَ^(٥) فيها .

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أنه إن قيل : كيف يكون :
﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ ﴾ جوابًا لقوله : ﴿ وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ
مُتُّم ﴾ ؟ فإن القول فيه أن يُقال : كأنه [١١١/٥٧ظ] قال : ولئن مُتُّم أو قُتِلْتُمْ^(٦) فذلك
لكم^(٧) رحمة^(٨) ومغفرة ، إذ كان ذلك في السبيل ، فقال : ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ
وَرَحْمَةٌ ﴾ . يقول : لذلك خيرٌ مما يجمعون . يعني : لتلك المغفرة والرحمة خيرٌ مما
يجمعون . ودخلت اللام في قوله : ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ لدخولها في قوله :
﴿ وَلَيْنَ ﴾ . كما قيل : ﴿ وَلَيْنَ نَصْرُوهُمْ لِيُوَلِّتِ الْأَدْبَرَ ﴾ [الحشر : ١٢] .

/القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَيْنَ مُتُّم أَوْ قُتِلْتُمْ لِيَأْتِيَنَّ اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٩) . ١٥٠/٤

يعنى بذلك جل ثناؤه : ولئن مُتُّم أو قُتِلْتُمْ أيها المؤمنون ، فإلى^(٨) الله مرجعكم
ومحشركم ، فيجازيكم بأعمالكم ، فآثروا ما يُقرُّبكم من الله ويوجب لكم رضاه ،

(١) في ص ، س : « يجمعون » .

(٢) في ص : « حوار » ، وفي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « جواز » .

(٣) في الأصل ، ت ، ١ ، س : « يجمعون » .

(٤) في س : « تؤثرونه » .

(٥) في س : « يجمعون » .

(٦ - ٦) في النسخ : « فذكر لهم » . وينظر تعليق الشيخ شاکر على هذا الموضع .

(٧) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « من الله » .

(٨) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فإن إلى » .

وَيُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ؛ مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، عَلَى^(١) الرُّكُونِ إِلَى الدُّنْيَا، وَمَا تَجْمَعُونَ فِيهَا مِنْ حُطَايِمِهَا الَّذِي هُوَ غَيْرُ بَاقٍ لَكُمْ، بَلْ هُوَ زَائِلٌ عَنْكُمْ^(٢)، وَعَلَى تَرْكِ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْجِهَادِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُبْعِدُكُمْ مِنْ^(٣) رَبِّكُمْ، وَيُوجِبُ لَكُمْ سَخَطَهُ، وَيُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ.

وَبَنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا سلمة، عن ابنِ إِسْحَاقَ: ﴿وَلَيْنَ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾: أَيْ ذَلِكَ كَانَ، ﴿لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾: أَيْ: إِنَّ إِلَى اللَّهِ الْمَرْجِعَ، فَلَا تَغْتَرَّكُمْ^(٤) الدُّنْيَا، وَلَا تَغْتَرَّوْا بِهَا، وَلْيَكُنِ الْجِهَادُ وَمَا رَغِبْتُمْ إِلَيْهِ فِيهِ مِنْهُ أَثَرٌ عِنْدَكُمْ مِنْهَا^(٥).

وَأُدْخِلَتْ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾. لِدُخُولِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَيْنَ﴾. وَلَوْ كَانَتْ اللَّامُ مُؤَخَّرَةً إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تُحْشَرُونَ﴾. لِأَخْدِثِ النَّوْنَ الثَّقِيلَةَ فِيهِ، كَمَا تَقُولُ فِي الْكَلَامِ: لَعَنَ أَحْسَنَتَ إِلَيَّ لِأَحْسَنَنَّا إِلَيْكَ. بَنَوْنَ مُثْقَلَةً، فَكَانَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ^(٦): وَلَعَنَ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِتُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ. وَلَكِنْ لَمَّا جِئِلَ^(٧) بَيْنَ اللَّامِ وَبَيْنَ ﴿تُحْشَرُونَ﴾ بِالصِّفَةِ^(٨)، أُدْخِلَتْ فِي الصِّفَةِ، وَسَلِمَتْ: ﴿تُحْشَرُونَ﴾ فَلَمْ تَدْخُلْهَا النَّوْنُ الثَّقِيلَةُ، كَمَا تَقُولُ فِي الْكَلَامِ: لَعَنَ أَحْسَنَتَ إِلَيَّ لِإِلَيْكَ أَحْسِنُ.

(١) فِي ت ١، ٢، ت ٣، س: «عَنْ».

(٢) فِي س: «مَنْكُمْ».

(٣) فِي م، ت ٢: «عَنْ».

(٤) بَعْدَهُ فِي م: «الْحَيَاة».

(٥) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢/١١٦، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣/٨٠٠ (٤٤٠٥) مِنْ طَرِيقِ سَلْمَةَ بِهِ.

(٦) فِي ص: «وَقَوْلِهِ».

(٧) فِي ص، ت ٢، ت ٣: «حِينَ»، وَفِي م: «حِيز»، وَفِي ت ١: «جِين». وَالثَّبِيتُ هُوَ الصَّوَابُ.

(٨) الصِّفَةُ: حَرْفُ الْجَرِّ. وَهُوَ اصْطِلَاحٌ نَحْوِي الْكُوفَةِ.

بغير نونٍ مُثَقَّلَةٍ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ
الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .

يعنى بقوله تعالى ذكره : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ : فبرحمة من الله . و « ما »
صلةٌ . وقد يبيّنُ وجهَ دُخولِها في الكلامِ في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ
مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ^(١) [البقرة : ٢٦] . والعربُ تجعَلُ « ما » صلةً في المعرفةِ
والنكرةِ ، كما قال : ﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٥ ، المائدة : ١٣] .
والمعنى : فبنقضِهِمْ ميثاقَهُمْ . وهذا في المعرفةِ ، [٥٨/١١] وقال في النكرةِ : ﴿ عَمَّا
قَلِيلٍ لِيُصِيحَنَّا نَادِيَيْنَ ﴾ [المؤمنون : ٤٠] . والمعنى : عن قليلٍ . وربما جعلت اسماً ،
وهي في مذهبِ صلةٍ ، فيرفعُ ما بعدها أحياناً على وجهِ الصلّةِ ، ويُخفّضُ على إتياعِ
الصلةِ ما قبلها ، كما قال الشاعرُ ^(٢) :

فكفى بنا فضلاً على من غيّرنا حُبُّ النبيِّ محمدٍ إيانا
إذا جعلت « غيرُ » صلةً رُفعتْ بإضمارِ « هو » ، وإن خُفِضتْ أتبعته « من »
فأعربته بإعرابه ^(٣) . فذلك حكمه على ما وصفنا مع / التكرارِ .

١٥١/٤

فأما إذا كانت الصلّةُ معرفةً ، كان الفصيحُ من الكلامِ الإتياعُ ، كما قيل :
﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ ﴾ . والرفعُ جائزٌ في العربيةِ .

وبنحو ما قلنا في قوله : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ ﴾ . قال جماعةٌ من

(١) ينظر ما تقدم في ٤٢٨/١ - ٤٣٠ .

(٢) تقدم في ٤٢٩/١ .

(٣) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س .

أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ في قوله : ﴿ فِيمَا رَحِمَةً مِنْ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ ﴾ . يقول : فبرحمة من الله لئن لهم ^(١) .

وأما قوله : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ . فإنه يعنى بالفظ الجافى ، وبالغليظ القلب القاسى القلب غير ذى رحمة ولا رافة ، وكذلك كانت صفته ﷺ ، كما وصفه الله به : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

فتأويل الكلام ^(٢) : فبرحمة الله ^(٣) يا محمد ، وبرأفته بك ، وبمن آمن بك من أصحابك ، لئن لتباعد وأصحابك ، فسهلت لهم خلائقك ^(٤) ، وحسنت لهم أخلاقك ، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه ، وعفوت عن ذى الجرم منهم جرمه ، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به ، وأغلظت عليه ، لتركك ففارقك ولم يتبعك ، ولا ما بعثت به من الرحمة ^(٥) ، ولكن الله جل وعز رحمهم ورحمك معهم ، فبرحمة من الله لئن لهم .

كما حدَّثنا بَشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٨٠٠ (٤٤٠٨) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٩/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) فى س : « الآية » .

(٣) فى س : « من الله » .

(٤) فى س : « أحلامك » .

(٥) أى : ولم يتبع ما بعثت به من الرحمة .

غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴿١﴾ : إى واللّه ، 'لَطَهَّرَهُ اللَّهُ' ^(١) مِنَ الْفَقَاطِظَةِ وَالْغِلْظَةِ ، وجعلهُ قريئاً رَحِيماً بالمؤمنين . ^(٢) وقد ^(٣) ذُكِرْنَا أَنَّ نَعْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي التَّوْرَةِ : لَيْسَ بَقِظٌ وَلَا غَلِيظٌ ، وَلَا صَخُوبٌ ^(٤) فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيُصْفَحُ ^(٥) .
 حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بِنَحْوِهِ ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ في قوله : ﴿ فِيمَا رَحَمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّيْتَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ . [٥٨/١١] ظ قال : ذَكَرَ لِيْنَهُ لَهُمْ ، وَصَبْرَهُ عَلَيْهِمْ ؛ لضعفهم وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه ، في كلِّ ما خالفوا فيه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم ^(٦) .

وأما قوله : ﴿ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ . فإنه يعنى : لتفرقوا ^(٧) مِنْ حَوْلِكَ وانصرفوا ^(٧) عنك .

كما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قَالَ : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ : ﴿ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ . قَالَ : انصرفتوا عنك ^(٨) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ : ﴿ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ : أَيْ : لَتَرَكُواكَ ^(٩) .

(١ - ١) في س : « مطهره » .

(٢ - ٢) في ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س : « رءوفا و » .

(٣) في س : « صحاب » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٨٩ ، ٩٠ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم ، وهو فى تفسير ابن أبى حاتم ٣/٨٠١ عقب الأثر (٤٤٠٩) معلقا .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٨٠١ (٤٤٠٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/١١٦ .

(٧ - ٧) سقط من : م ، وفى ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س : « من حولك ما تفرقوا » .

(٨) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٩٠ إلى المصنف وابن المنذر .

(٩) سيرة ابن هشام ٢/١١٦ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٨٠١ (٤٤١٠) من طريق سلمة به .

القول في تأويل قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩).

يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: فتجاوز يا محمد عن تباعك وأصحابك من المؤمنين بك، / وبما جئت به من عندى، ما نالك من أذاهم، ومكروه فى نفسك، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: واذع ربك لهم بالمغفرة لما أتوا من جرم، واستحققوا عليه عقوبة منه.

١٥٢/٤

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: أى: فتجاوز عنهم، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: ذنوب من قارف من أهل الإيمان منهم^(١).

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى من أجله أمر تعالى ذكره نبيه ﷺ أن يشاورهم، وما المعنى الذى أمره أن يشاورهم فيه؟ فقال بعضهم: أمر الله جل ثناؤه نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَاشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾. بمشاورة أصحابه فى مكاييد الحرب، وعند لقاء العدو؛ تطييباً منه بذلك أنفسهم، وتألُّفاً لهم على دينهم، وليبرؤا أنه يسمع منهم، ويستعين بهم، وإن كان الله جل ثناؤه قد أغناه^(٢) - بتدبيره له أموره، وسياسته إياه، وتقويمه أسبابه - عنهم.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَاشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾: أمر الله جل ثناؤه نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه فى الأمور، وهو يأتيه وحى السماء؛ لأنه أطيب لأنفس القوم،

(١) سيرة ابن هشام ١١٦/٢، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسير ٨٠١/٣ (٤٤١١، ٤٤١٢) من طريق سلمة به.

(٢) فى ت ٢، س: «أغناه».

وَأَنَّ الْقَوْمَ إِذَا شَاوَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأَرَادُوا بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَزْمَ لَهُمْ عَلَى أَرْشِدِهِ ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ . قال : أمر [٥٩/١١] اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُشَاوِرَ أَصْحَابَهُ فِي الْأُمُورِ ، وَهُوَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ ؛ لِأَنَّهُ أَطْيَبُ لَأَنْفُسِهِمْ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ : أى : لِيُتَرِيَهُمْ أَنْكَ تَسْمَعُ مِنْهُمْ ، وَتَسْتَعِينُ بِهِمْ ، وَإِنْ كُنْتَ عَنْهُمْ غَيْبًا ، تَأَلَّفَهُمْ ^(٣) بِذَلِكَ عَلَى دِينِهِمْ ^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ أَمَرَهُ بِمَشُورَتِهِمْ ^(٥) فِي ذَلِكَ ؛ لِتَبَيَّنَ ^(٦) لَهُ الرَّأْيُ ، وَأَصُوبَ الْأُمُورِ فِي التَّدْبِيرِ ؛ لَمَّا عَلِمَ فِي الْمَشُورَةِ تَعَالَى ذِكْرَهُ مِنَ الْفَضْلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أبى ، عن سلمة بنِ نُبَيْطٍ ، عن الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ . قال : ما أمر الله جل ثناؤه نبيه ﷺ بالمشورة إلا لما علم فيها من الفضل ^(٧) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٠٢/٣ (٤٤١٨) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٠/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٠٢/٣ (٤٤١٧) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) فى م ، وتفسير ابن أبى حاتم : « تألفهم » ، وفى سيرة ابن هشام : « تألفنا لهم » .

(٤) سيرة ابن هشام ١١٦/٢ ، ١١٧ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٠٢/٣ (٤٤٢٠) من طريق سلمة به .

(٥) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بذلك » .

(٦) فى م : « وإن كان » .

(٧) أخرجه ابن أبى شيبة ٩/٩ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٠١/٣ (٤٤١٥) من طريق وكيع عن سفيان ،

عن رجل ، عن الضحاك .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عن إِيَّاسِ بْنِ دَعْفَلٍ ، عن الحسنِ : ما شاورَ قومٌ قطُّ إلا هُتِدوا لأرشدِ أمورِهِمْ^(١) .

وقال آخرون : إنما أمره الله جل ثناؤه بمشاورة أصحابه فيما أمره بمشاورتهم فيه ، مع إعفائه^(٢) - بتقويمه إياه^(٣) ، وتدبيره أسبابه - عن آرائهم ؛ لِيَتَّبِعَهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ بَعْدِهِ فيما حَزَبَهُمْ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ ، فيسْتَشْتُوا بِسُنَّتِهِ في ذلك ، وَيَحْتَدُوا المِثَالَ الذي رَأَوْهُ يَفْعَلُهُ في حَيَاتِهِ ، مِنْ مُشَاوَرَتِهِ في أُمُورِهِ - مع المَنْزِلَةِ التي هُوَ بِهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - أَصْحَابَهُ وَتَبَاعَهُ في الأَمْرِ يُنْزِلُ بِهِمْ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ أَوْ دُنْيَاهُمْ ، فيتَشَاوَرُوا بَيْنَهُمْ ، ثم يَصْدُرُوا عما اجْتَمَعَ [١١/٥٩٩] عليه ملئهم ؛ لأن المؤمنين إذا / تشاوروا في أمور دينهم متبعين الحق في ذلك ، لم يُخْلِهِمُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ لُطْفِهِ ، وتوفيقه للصوابِ مِنَ الرَّأْيِ والقولِ فيه . قالوا : وذلك نظيرُ قولِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الذي مَدَحَ به أَهْلَ الإِيْمَانِ : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] .

١٥٣/٤

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا سَوَّازُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ العَنْبَرِيُّ ، قال : قال سفيانُ بْنُ عُيَيْنَةَ في قولِهِ : ﴿ وَسَاوَرَهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ . قال : هِيَ للمؤمنين أن يَتَشَاوَرُوا فيما لم يَأْتِهِمْ عن النبي ﷺ فيه أثرٌ .

قال أبو جعفرٍ : وأولى الأقوالِ بالصوابِ في ذلك أن يُقالَ : إنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أمرَ نبيِّهِ ﷺ بمُشاوَرَةِ أَصْحَابِهِ فيما حَزَبَهُ مِنْ أَمْرِ عَدُوِّهِ ، ومكايِدِ حَرْبِهِ ؛ تَأَلُّفاً مِنْهُ بِذلك

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٠/٩ من طريق إياس بن دعفل به ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٥٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٨٠١/٣ (٤٤١٤) بإسنادين إلى الحسن .

(٢) في ت ٢ ، س : « إعفائه » .

(٣) بعده في الأصل ، ت ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « عنهم » .

مَنْ لَمْ تَكُنْ بِصِيرْتُهُ بِالْإِسْلَامِ الْبَصِيرَةَ الَّتِي يُؤْمَنُ عَلَيْهِ مَعَهَا فَتْنَةُ الشَّيْطَانِ ، وَتَعْرِيفًا مِنْهُ أُمَّتَهُ مَا تَمَى ^(١) الْأُمُورِ الَّتِي تَحْزُبُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَمَطْلَبُهَا ؛ لِيَقْتَدُوا بِهِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ التَّوَالُزِ الَّتِي تَنْزِلُ بِهِمْ ، فَيَتَشَاوَرُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ ، كَمَا كَانُوا يَرَوْنَهُ فِي حَيَاتِهِ ﷺ يَفْعَلُهُ ، فَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ كَانَ يُعَرِّفُهُ مَطَالِبَ وَجْهِهِ مَا حَزَبَهُ مِنَ الْأُمُورِ ، بِوَحْيِهِ أَوْ إلهَامِهِ إِيَّاهُ صَوَابَ ذَلِكَ ، فَأَمَّا أُمَّتُهُ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا تَشَاوَرُوا مُسْتَسْتَنِينَ بِفِعْلِهِ فِي ذَلِكَ عَلَى تَصَادُقٍ وَتَأَخُّقٍ ^(٢) لِلْحَقِّ ، وَإِرَادَةِ جَمِيعِهِمْ لِلصَّوَابِ ، مِنْ غَيْرِ مِثْلِ إِلَى هَوَى ، وَلَا حَيْدٍ عَنِ هُدَى ، فَاللَّهُ [٦٠/١١] مُسَدِّدُهُمْ وَمُؤَفِّقُهُمْ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : فَإِذَا صَحَّ عَزْمُكَ بِتَشْبِيهِتِنَا إِيَّاكَ ، وَتَسَدِيدِنَا لَكَ ، فِيمَا نَابَكَ وَحَزَبَكَ مِنْ أَمْرِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ ، فَامُضٍ لِمَا أَمَرْنَاكَ بِهِ عَلَى مَا أَمَرْنَاكَ بِهِ ، وَافَقَ ذَلِكَ آرَاءَ أَصْحَابِكَ وَمَا أَشَارُوا بِهِ عَلَيْكَ ، أَوْ خَالَفَهَا ، وَتَوَكَّلْ ^(٣) - فِيمَا تَأْتِي مِنْ أُمُورِكَ وَتَدَعُ ، وَتُحَاوِلُ أَوْ تُزَاوِلُ - عَلَى رَبِّكَ ، فَتُنَقِّ بِهَ فِي كُلِّ ذَلِكَ ، وَارْضَ بِقَضَائِهِ فِي جَمِيعِهِ ، دُونَ آرَاءِ سَائِرِ خَلْقِهِ وَمَعُونَتِهِمْ ، ف ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ، وَهُمْ الرَّاظُونَ بِقَضَائِهِ ، الْمُسْتَسْلِمُونَ لِحُكْمِهِ فِيهِمْ ، وَافَقَ ذَلِكَ مِنْهُمْ هَوَى أَوْ خَالَفَهُ .

كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ : أَي عَلَى أَمْرِ جَاءَكَ مِنْهُ ، أَوْ أَمْرٍ مِنْ دِينِكَ فِي جِهَادِ عَدُوِّكَ ، لَا يُضْلِحُّكَ وَلَا يُضْلِحُّهُمْ إِلَّا ذَلِكَ ، فَامُضٍ عَلَى مَا أَمَرْتَهُ بِهِ ، عَلَى خِلَافٍ مِنْ خَالَفَكَ ، وَمُوَافَقَةٍ مِنْ وَافَقَكَ ، وَ ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ ،

(١) فِي م : « مَا فِي » .

(٢) التَّأَخُّقِي : التَّحَرُّقِي . يَنْظُرُ اللِّسَانُ (أَخ ١) .

(٣) بَعْدَهُ فِي س : « عَلَى اللَّهِ » .

أى : ارضَ به مِنَ العبادِ ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ : أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهِ ﷺ إِذَا عَزَمَ عَلَى أَمْرٍ أَنْ يَمْضِيَ فِيهِ ، وَيَسْتَقِيمَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ ، وَيَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ الْآيَةَ : أَمَرَهُ اللَّهُ إِذَا عَزَمَ عَلَى أَمْرٍ أَنْ يَمْضِيَ فِيهِ وَيَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ^(٣) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٤) .

يعنى بذلك جَلِ ثَنَاؤُهُ : إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، عَلَى مَنْ نَاوَأَكُمْ وَعَادَاكُمْ مِنْ أَعْدَائِهِ وَالْكَافِرِينَ بِهِ ، ﴿ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ مِنَ النَّاسِ . يَقُولُ : فَلَئِنْ يَغْلِبْكُمْ - مَعَ نَصْرِهِ إِيَّاكُمْ - أَحَدٌ ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْكُمْ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا مِنْ خَلْقِهِ ، فَلَا تَهَابُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ لِقَلَّةِ عَدَدِكُمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ ، مَا كُنْتُمْ عَلَى أَمْرِهِ ، وَاسْتَقْفَتْكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، فَإِنَّ الْعَلْبَةَ لَكُمْ ، وَالظَّفَرَ عَلَيْهِمْ دُونَكُمْ ، ﴿ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . يعنى : وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ رَبُّكُمْ - بِخِلَافِكُمْ أَمْرَهُ ، وَتَرْكِكُمْ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ - فَيَكِلْكُمْ إِلَى أَنْفُسِكُمْ ﴿ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ يَقُولُ : [٦٠/١١] ﴿ فَأَيُّسُوا مِنْ نُصْرَةِ النَّاسِ ﴾^(٥) ، فَإِنَّكُمْ لَا تَجِدُونَ نَاصِرًا^(٥) مِنْ بَعْدِ خِذْلَانِ اللَّهِ إِيَّاكُمْ إِنْ خَذَلْكُمْ . يَقُولُ : فَلَا تَتَّزُّكُوا أَمْرِي وَطَاعَتِي وَطَاعَةَ

١٥٤/٤

(١) سيرة ابن هشام ١١٧/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٠٢/٣ (٤٤٢٣ ، ٤٤٢٤) من طريق سلمة به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٠/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٠٢/٣ عقب الأثر (٤٤٢٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤ - ٤) في س : « فاسألوا من نصر الله » .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أمرا » .

رسولى ، فَتَهْلِكُوا^(١) بِخِذْلَانِي إِيَّاكُمْ ، ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ . يعنى :
ولكن على ربكم أيها المؤمنون فتوكلوا دون سائر خلقه ، وبه فارضوا من جميع من
دونه ، ولقضائه فاستسلموا ، واجهدوا فيه أعداءه ، يكفكم بعونه ، ويمدكم
بنصره .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخِذْلِكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴾ : أى : إن ينصرك الله فلا غالب لك من الناس ، لن ينصرك خذلان من
خذلك ، وإن يخذلك فلن ينصرك الناس ، ﴿ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾
أى : لئلا^(٢) تنزك أمرى للناس ، وازفص^(٣) الناس لأمرى ، ﴿ وَعَلَى اللَّهِ^(٤) فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٥) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ .

اختلفت القراءة فى قراءة ذلك ؛ فقرأته جماعة من قراءة الحجاز والعراق : ﴿ وَمَا
كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ^(٦) ﴾ . يعنى : أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال
أعدائهم^(٧) .

(١ - ١) فى س : « لخذلانى » .

(٢) فى م : « لا » .

(٣) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « إن قصر » .

(٤) بعده فى مصادر التخرىج : « لا على الناس » .

(٥) سيرة ابن هشام ١١٧/٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٠٣/٢ (٤٤٢٥-٤٤٢٧) من طريق سلمة
به ، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٩١/٢ إلى ابن المنذر .

(٦) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وعاصم . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٨ .

(٧) فى س : « عدوهم » .

واحتجَّ بعضُ قارئى هذه القراءة ، أنَّ هذه الآيةَ نزلت على رسولِ اللهِ ﷺ فى قَطِيفَةٍ فُقِدَتْ مِنْ مَغَانِمِ الْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ ، فقال بعضُ مَنْ كان مع النبىِّ ﷺ : لعل رسولَ اللهِ ﷺ أخذها . ^(١) « وَرَوَوْا فى ذلكِ رواياتٍ » .

فمنها ما حدَّثنا به محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ أبى الشَّوارِبِ ، قال : ثنا عبدُ الواحدِ ابنُ زيادٍ ، قال : ثنا خُصَيْفٌ ، قال : ثنا مِقْسَمٌ ، قال : ثنا ابنُ عباسٍ أنَّ هذه الآيةَ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُعَلَّ ﴾ نزلت فى قَطِيفَةٍ حَمْرَاءَ فُقِدَتْ يَوْمَ بَدْرٍ ، قال : فقال بعضُ الناسِ : أخذها . قال : فأكثرُوا فى ذلكِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُعَلَّ وَمَنْ يُعَلَّلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ أبى الشَّوارِبِ ، قال : ثنا عبدُ الواحدِ ، قال : ثنا خُصَيْفٌ ، قال : سألتُ سَعِيدَ بنَ جُبَيْرٍ / كيف تقرأ هذه الآيةَ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُعَلَّ ﴾ أو (يُعَلَّ) فقال : لا ، بل ﴿ يُعَلَّ ﴾ ، فقد كان واللهِ النبىُّ يُعَلُّ ويُقَتَّلُ .

١٥٥/٤

حدَّثنى إِسْحاقُ بنُ إِبراهيمَ بنِ حَبِيبِ بنِ الشَّهِيدِ ، قال : ثنا عَتَّابُ بنُ بَشِيرٍ ، عن خُصَيْفٍ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُعَلَّ ﴾ . قال : كان ذلك فى قَطِيفَةٍ حَمْرَاءَ فُقِدَتْ فى غزوةِ بَدْرٍ ، فقال ناسٌ مِنْ أصحابِ النبىِّ ﷺ : فلعلَّ النبىَّ أخذها . فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ ثَناءُؤه : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُعَلَّ ﴾ . قال سَعِيدٌ : بلى واللهِ ، إن النبىَّ لِيُعَلُّ وَيُقَتَّلُ .

(١ - ١) فى س : « وورد فى ذلكِ روايتان » .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٧١) ، والترمذى (٣٠٠٩) ، من طريق عبد الواحد بن زياد به ، وأخرجه الطحاوى

فى المشكل (٥٦٠٢) من طريق خصيف به .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، [٦١/١١] قَالَ : ثنا خَلَّادٌ ، عن زُهَيْرٍ ، عن حُصَيْفٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت قَطِيفَةٌ فُقِدَتْ يَوْمَ بَدْرٍ ، فقالوا : أَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا مالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، قال : ثنا زُهَيْرٌ ، قال : ثنا حُصَيْفٌ ، عن سعيدِ بْنِ جَبْرِ وَعَكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ ﴾ . قالوا : يُغْلٌ . قال : قال عكرمة أو غيره ، عن ابن عباس ، قال : كانت قَطِيفَةٌ فُقِدَتْ يَوْمَ بَدْرٍ ، فقالوا : أَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ ﴾ .

حَدَّثَنَا مجاهدُ بْنُ موسى ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا قَزْعَةُ بْنُ سُؤَيْدٍ الباهليُّ ، عن حميدِ الأعرجِ ، عن سعيدِ بْنِ جَبْرِ ، قال : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ ﴾ . فِي قَطِيفَةٍ حَمْرَاءَ فُقِدَتْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْغَنِيمَةِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا نصرُ بْنُ عليٍّ ، قال : ثنا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عن أبيه ، عن سليمانِ الأعمشِ ، قال : كان ابنُ مسعودٍ يقرأُ : (ما كان لنبي أن يغل) . فقال ابنُ عباسٍ : بلى ، ويُقتلُ . قال : فذكر ابنُ عباسٍ أنه إنما كانت في قَطِيفَةٍ قالوا : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ غَلَّها يَوْمَ بَدْرٍ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ ﴾ ^(٣) .

وقال آخرون ممن قرأ ذلك كذلك ؛ بفتح الياءِ وضم الغينِ ؛ إنما نزلت هذه الآية

(١) أخرجه أبو يعلى (٢٤٣٨) ، والطحاوي في المشكل (٥٦٠١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٨٠٣/٣ (٤٤٢٩) ، والطبراني في الكبير (١٢٠٢٨ ، ١٢٠٢٩) ، والواحدى في أسباب النزول ص ٩٣ من طريق حصيف به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩١/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩١/٢ إلى المصنف .

فِي طَلَائِعِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَّهَهُمْ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَقْسِمِ
لِلطَّلَائِعِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ ، يُعَلِّمُهُ فِيهَا أَنَّ فِعْلَهُ الَّذِي فَعَلَهُ
خَطَأً ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ فِي الْحُكْمِ أَنْ يَقْسِمَ لِلطَّلَائِعِ مِثْلَ مَا قَسَمَ لِغَيْرِهِمْ ،
وَيُعَرِّفُهُ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ مِنَ الْحُكْمِ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَنَائِمِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ
أَنْ يَخْصَّ بِشَيْءٍ مِنْهَا أَحَدًا مِمَّنْ شَهِدَ الْوُقُوعَةَ ، أَوْ مِمَّنْ كَانَ رِدْءًا لَهُمْ فِي
غَزْوِهِمْ ، دُونَ أَحَدٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ ثَنَى أَبِي ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَّ وَمَنْ يُغْلَلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ﴾ . يَقُولُ : مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقْسِمَ لَطَائِفِةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيَتْرَكَ طَائِفَةً وَيَجُورَ
فِي الْقَسَمِ ، وَلَكِنْ يَقْسِمُ بِالْعَدْلِ ، وَيَأْخُذُ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَيَحْكُمُ فِيهِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ .
يَقُولُ : مَا كَانَ لِلَّهِ لِيُجْعَلَ نَبِيًّا يُغْلَلُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ اسْتَنُوا
بِهِ ^(١) .

١٥٦/٤

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ أَنَّهُ كَانَ
يَقْرَأُ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَّ ﴾ . قَالَ : أَنْ يُعْطَى بَعْضًا وَيَتْرَكَ بَعْضًا ، إِذَا أَصَابَ
مَعْنَمًا ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ سَلْمَةَ بْنِ نُبَيْطٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، قَالَ : بَعَثَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَلَائِعَ ، فَغَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَلَمْ يَقْسِمِ لِلطَّلَائِعِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٠٣/٣ (٤٤٣١) عن محمد بن سعد به .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٠٣/٣ عقب الأثر (٤٤٣١) معلقا .

كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، عَنِ الضَّحَّاكِ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ ﴾ . يَقُولُ : مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقْسِمَ لَطَائِفَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَيَتْرَكَ طَائِفَةً ، وَلَكِنْ يَعْدِلُ ، وَيَأْخُذُ فِي ذَلِكَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَيَحْكُمُ فِيهِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرِيُّ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ ﴾ . قَالَ : مَا كَانَ لَهُ إِذَا أَصَابَ مَعْنَمًا أَنْ يَقْسِمَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَيَدَعُ بَعْضًا ، وَلَكِنْ يَقْسِمُ بَيْنَهُمُ بِالسُّوِيَّةِ .

وَقَالَ آخَرُونَ [٦١/١١] مَن قَرَأَ ذَلِكَ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الْعَيْنِ : إِنَّمَا أَنْزَلَ ذَلِكَ تَعْرِيفًا لِلنَّاسِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَكْتُمُ مِنْ وَحْيِ اللَّهِ شَيْئًا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ وَمَنْ يَعْلَمُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ . أَيْ : مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكْتُمَ النَّاسَ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِمْ ، عَنْ رَهْبَةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَلَا رَغْبَةٍ ، وَمَنْ يَعْلَمُ^(٢) ذَلِكَ يَأْتِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٣) .

فتأويل قراءة من قرأ ذلك كذلك : ما ينبغي لنبي أن يكون غالاً . بمعنى : أنه

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٤١٣/١٢ ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٩٣ من طريق وكيع به مطولاً .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يعمل » .

(٣) سيرة ابن هشام ١١٧/٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٠٤/٣ (٤٤٣٤ ، ٤٤٣٧) من طريق سلمة به .

ليس من أفعال الأنبياء خيانة أميهم . يقال منه : غلَّ الرجل ، فهو يُغَلُّ ، إذا خان ، غُلُوًّا . ويُقال أيضًا منه : أغلَّ الرجل ، فهو يُغَلُّ إغلالاً ، كما قال شُرَيْح : ليس على المُستَعِير غير المُغَلِّ ضَمَانٌ^(١) . يعنى غير الخائن . ويقال منه : أغلَّ الجازرُ . إذا سرق من اللحم شيئاً مع الجلد^(٢) .

وبما قلنا فى ذلك جاء تأويل أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المُفضَّل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ . يقول : ما كان يُنْبِغى له أن يَخونَ ، فكما لا يُنْبِغى له أن يَخونَ فلا تَخونوا .

حدَّثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجیح ، عن مُجاهد فى قوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ . قال : أن يَخونَ^(٣) .

107/4 /وقرأ ذلك آخرون : (وما كان لنبي أن يغل) . بضم الياء وفتح الغين ، وهى قراءة عظيم قرأه أهل المدينة والكوفة^(٤) .

واختلَف قارئو ذلك كذلك فى تأويله ؛ فقال بعضهم : معناه : ما كان لنبي أن يغل أصحابه . ثم أشقَط الأصحاب ، فبقي الفعل غير مُسمَّى فاعله . وتأويله : وما

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٤٧٨٢ ، ١٤٧٨٣) ووكيع فى أخبار القضاة ٣٣١/٢ ، والدارقطنى ٤١/٣ ، والبيهقى ٩١/٦ .

(٢) وذلك إذا سلخ فترك من اللحم ملتقاً بالإهاب . اللسان (غ ل ل) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٠٣/٣ (٤٤٣٠) من طريق ابن أبى نجیح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) قرأ بها نافع وابن عامر وحمزة والكسائى . وينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢١٨ .

كان لنبي أن يُخَانَ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَوْفٌ ، عَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ : (وما كان لنبي أن يُغَلَّ) . قال عَوْفٌ : قال الحسنُ : أن يُخَانَ ^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قَالَ : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ قوله : (وما كان لنبي أن يُغَلَّ) . يقولُ : وما كان لنبي أن يُغَلَّهُ أصحابُه الذين معه مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقَدْ غَلَّ طَوَائِفُ مِنْ أَصْحَابِهِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : (وما كان لنبي أن يُغَلَّ) . قال : أن يُغَلَّهُ أصحابُه ^(٣) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : (وما كان لنبي أن يُغَلَّ) . قال الربيعُ بنُ أنسٍ : يقولُ : ما كان لنبي أن يُغَلَّهُ أصحابُه الذين معه . قال : ذُكِرَ لَنَا - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَنْزَلَتْ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقَدْ غَلَّ طَوَائِفُ مِنْ أَصْحَابِهِ ^(٤) .

[١١/٦٣] وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ : معنى ذلك : وما كان لنبي أن يُتَّهَمَ بِالْغُلُولِ فِيخَوَّنَ وَيُسَرَّقَ . وَكَأَنَّ مُتَأَوَّلِي ذَلِكَ كَذَلِكَ وَجَّهُوا قَوْلَهُ : (وما كان لنبي أن يُغَلَّ) .

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٣٧ - تفسير) عن هشيم به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩١/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩١/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد . وذكره الواحدى في أسباب النزول ص ٩٤ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٠٤/٣ (٤٤٣٢) عن الحسن بن يحيى به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩١/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

إلى أنه مراد به «يُعَلَّلُ» : «يُفَعَّلُ»^(١) ، ثم خُفِّفَت العَيْنُ من «يُفَعَّلُ» ، فصارت «يُفَعَّلُ» ، كما قرأ من قرأ قوله : (فإنهم لا يُكذِّبونك)^(٢) [الأعام : ٣٣] . بتأويل : ﴿يُكذِّبُونَكَ﴾ .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندى قراءة من قرأ : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُعَلَّلَ﴾ . بمعنى : ما الغلُولُ من صفاتِ الأنبياءِ ، ولا يكونُ نبياً من غلٍّ .

وإنما اخترنا ذلك لأن الله عزَّ وجلَّ أوعد عقيبَ قوله : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُعَلَّلَ﴾ . أهل الغلُولِ فقال : ﴿وَمَنْ يُعَلَّلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ الآية والتي بعدها . فكان في وعيده عقيب ذلك أهل الغلُولِ الدليل الواضح على أنه إنما نهى بذلك عن الغلُولِ ، وأخبر عباده أن الغلُولَ ليس من صفاتِ أنبيائه بقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُعَلَّلَ﴾ . لأنه لو كان إنما نهى بذلك أصحاب رسول الله ﷺ أن يتهموا رسول الله ﷺ بالغلُولِ ، لعقَّب ذلك بالوعيد على التَّهْمَةِ وسوء الظنِّ برسول الله ﷺ ، لا بالوعيد على الغلُولِ ، وفي تعقيبه ذلك بالوعيد على الغلُولِ بيانٌ بين أنه إنما عرَّفَ المؤمنين وغيرهم من عباده ، أن الغلُولَ مُنتَفٍ من صفةِ الأنبياءِ وأخلاقهم ؛ لأن ذلك جُزؤٌ عظيمٌ ، والأنبياءُ لا تأتي مثله .

فإن قال قائلٌ ممن قرأ ذلك كذلك : فأولى منه : وما كان لنبيٍّ أن يخونه أصحابه . إن كان^(٣) ذلك كما ذكرت ، ولم / يُعَقِّبِ اللهُ قوله : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُعَلَّلَ﴾ . إلا بالوعيد على الغلُولِ ، ولكنه إنما وجب الحكم بالصحة لقراءة من قرأ : «يُعَلَّلُ» . بضمِّ الياءِ وفتح الغين ؛ لأن معنى ذلك : وما كان للنبيِّ أن يُعَلِّه أصحابه

١٥٨/٤

(١) سقط من م .

(٢) سيأتي تخريج هذه القراءة في موضعها .

(٣) زيادة يقتضيها السياق وليست في النسخ .

فِيخُونُوهُ فِي الْغَنَائِمِ .

قيل له : أفكان لهم أن يُغْلُوا غيرَ النبي ﷺ فيخُونوه ، حتى خُصُّوا بالنهي عن خيانة النبي ﷺ ؟ .

فإن قالوا : نعم . خرجوا من قول أهل الإسلام ؛ لأن الله لم يُبَيِّح خيانة أحدٍ في قول أحدٍ من أهل الإسلام قطُّ .

فإن قال قائلٌ : لم يكن ذلك لهم^(١) في نبي ولا غيره .

قيل : فما وجهُ تخصيصهم إذن بالنهي عن خيانة النبي ﷺ ، وغلوله وغلول بعض اليهود بمنزلة ، فيما حرَّم الله على الغالِّ من أموالهما ، و^(٢) ما يلزم المؤمن من أداء الأمانة إليهما ؟

وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلومٌ أن معنى ذلك هو ما قلنا من أن الله عزَّ وجلَّ نفى بذلك أن يكون الغلول والخيانة من صفات أنبيائه ، ناهياً بذلك [٦٢/١١] عباده عن الغلول ، وأمراً لهم بالاستئنان بمنهاج نبيهم ، كما قال ابن عباس في الرواية التي ذكرناها من رواية عطية^(٣) ، ثم عقب تعالى ذكره نهيمهم عن الغلول بالوعيد عليه ، فقال : ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . الآيتين معاً .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : ومن يخُن من غنائم المسلمين شيئاً ، وفيهم ، وغير ذلك ، يأت به يوم القيامة في المحشر .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ فضَّيلٍ ، عن يحيى بن سعيدٍ

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « منهم » .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أو » .

(٣) تقدم تخريجه في ص ١٩٦ .

أَبِي حَيَّانَ^(١) ، عن أَبِي زُرْعَةَ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَامَ خَطِيبًا ، فَوَعِظَ وَذَكَرَ ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَا عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا تُغَاءٌ ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي . فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أُبَلِّغُكَ . أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهَا حُمَحْمَةٌ ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَغْنِنِي . فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أُبَلِّغُكَ . أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ^(٢) ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَغْنِنِي . فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أُبَلِّغُكَ . أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَقْرَةٌ لَهَا خُوَاژٌ ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَغْنِنِي . فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أُبَلِّغُكَ . أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ^(٣) ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَغْنِنِي . فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أُبَلِّغُكَ^(٤) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحِيمِ^(٥) ، عن أَبِي حَيَّانَ ، عن أَبِي زُرْعَةَ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ هَذَا ، زاد فيه : « عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ ، لَا أُلْفِينَ أَحَدَكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ^(٦) لَهَا صِيَاخٌ^(٧) .

(١ - ١) سقط من : س ، وفي ص : « عن أبي حيان » . وينظر تهذيب الكمال ٢٦ / ٢٩٣ . ولا يعكر عليه أن يحيى بن سعيد - وهو القطان - يروي هذا الحديث عن أبي حيان ، كما عند البخاري (٣٠٧٣) لأن رواية البخاري عن مسدد ، عن يحيى بن سعيد القطان عن أبي حيان ، وفي السند الذي معنا فإن ابن فضيل يروي عن أبي حيان ، كما في ترجمته .

(٢) الصامت : الذهب والفضة ، خلاف الناطق ، وهو الحيوان . النهاية ٣ / ٥٢ .

(٣) أراد بالرقاع ما عليه من الحقوق المكتوبة في الرقاع ، وخفوقها : حركتها . النهاية ٢ / ٢٥١ ، واستبعده ابن الجوزي وفسر الرقاع بالثياب ؛ لأن الحديث سيق في الغلول الحسى ، فحمله على الثياب أنسب . ينظر الفتح ٨ / ١٨٦ .

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٧٣) ، ومسلم (١٨٣١) ، وابن حبان (٤٨٤٨) ، والبيهقي ١٠١ / ٩ ، من طريق أبي حيان به .

(٥) في النسخ ، وشعب الإيمان : « الرحمن » . وسيأتي على الصواب في آخر الحديث التالي ، وينظر تهذيب الكمال ١٨ / ٣٦ .

(٦) قال الحافظ في الفتح ٦ / ١٨٦ : كأنه أراد بالنفس ما يغله من الرقيق من امرأة أو صبي .

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة ١٢ / ٤٩٢ ، ٤٩٣ - ومن طريقه مسلم (١٨٣١) ، والبيهقي في الشعب (٤٣٣٠) - عن عبد الرحيم به .

١٥٩/٤ / حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْبَةَ ، قَالَ : ثنا أَبُو حَيَّانَ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ (١) عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ ، فَقَالَ : « لَا أَلْفَيْنَ (٢) يَجِيءُ أَحَدُكُمْ (٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَغْنَيْتَنِي (٤) » . ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي كُرَيْبٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا حفصُ بْنُ بِشْرِ ، عَنْ يَعْقُوبَ الْقَسْبِيِّ ، قَالَ : ثنا حفصُ بْنُ حُمَيْدٍ ، [١١/٦٣] عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ شَاةً لَهَا تُغَاءٌ ، يُنَادِي : يَا مُحَمَّدُ ، يَا مُحَمَّدُ . فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، قَدْ بَلَّغْتُكَ . (٥) وَلَا أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِي (٦) يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ (٧) جَمَلًا لَهُ رُغَاءٌ ، يَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، يَا مُحَمَّدُ . فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، قَدْ بَلَّغْتُكَ . وَلَا أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَحْمِلُ فَرْسًا لَهُ حَمْحَمَةٌ ، يُنَادِي : يَا مُحَمَّدُ ، يَا مُحَمَّدُ . فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، قَدْ بَلَّغْتُكَ وَلَا أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ قَشْعًا (٨) مِنْ

(١) في ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عن » ، وفي س : « عن أبي » . والمثبت كما في مصادر التخريج ، وينظر تهذيب الكمال ٣٣/٣٢٣ .

(٢ - ٢) في م : « أحدكم يجيء » . وهو لفظ رواية مسلم ، والمثبت من باقى النسخ كلفظ رواية أحمد .

(٣) أخرجه أحمد ١٥/٣٠٧ ، ٣٠٨ ، (٩٥٠٣) ، ومسلم (١٨٣١/٢٤) من طريق إسماعيل ابن عليه به .

وأخرجه مسلم (١٨٣١)/٢٥ ، وأبو يعلى (٦٠٨٣) ، وابن حبان (٤٨٤٧) من طريق أبي زرعة به .

(٤) في م ، س : « الرحمن » .

(٥ - ٥) في الأصل : « ولأعرفن » . وكذا هو فى الأصل فى مواضعه التى ستأتى . قال النووى : قوله ﷺ :

« فلأعرفن » . هكذا هو ببعض النسخ وفى بعضها : « لا أعرفن » . بالألف على النفى ، قال القاضى : هذا

أشهر . قال : والأول هو رواية أكثر رواة صحيح مسلم . مسلم بشرح النووى ١٢/٢٢٠ .

(٦) سقط من : ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٧) بعده فى س : « على رقبته » .

(٨) فى الأصل ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « قسما » ، وغير مقروءة فى ص . وساقه ابن الأثير فى النهاية

٦٥/٤ على الصواب ، ونقله عنه صاحب اللسان (قرش ع) =

أدم يُنادى : يا محمدُ ، يا محمدُ . فأقولُ : لا أملكُ لك من الله شيئاً ، قد بلَّغْتُك^(١) .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا أسباطُ بنُ محمدٍ ، قال : ثنا أبو إسحاقَ الشَّيْبَانِيُّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ ذَكْوَانَ ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ ، عن أبي حميدٍ ، قال : بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ مُصَدِّقًا^(٢) ، فجاء بسوادٍ كثيرٍ^(٣) ، قال : بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ من يقبضُه منه ، فلما أتوه جعل يقولُ : هذا لى ، وهذا لكم . قال : فقالوا : من أين لك هذا ؟ قال : أهدي إليّ ، فاتوا رسولَ اللهِ ﷺ فأخبروه بذلك ، فخرج فخطب ، فقال : « أيُّها الناسُ ، ما بالي أبعثُ قومًا إلى الصدقةِ ، فيجىءُ أحدهم بالسوادِ الكثيرِ ، فإذا بعثتُ من يقبضُه قال : هذا لى ، وهذا لكم . فإن كان صادقًا أفلا أهدي له وهو فى بيتِ أبيه أو^(٤) فى بيتِ أمِّه ؟ » ثم قال : « أيُّها الناسُ ، من بعثناه على عملٍ فعلَ شيئاً ، جاء^(٥) يومَ القيامةِ على عنقه يَحْمِلُهُ ، فاتَّقوا اللهَ أن يأتى أحدُكم يومَ القيامةِ على عنقه بغيرِ له رُغَاءٍ ، أو بقرةٍ تخورُ ، أو شاةٍ تنغو^(٦) . »

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا أبو معاويةَ وابنُ نميرٍ وعبدُةُ بنُ سليمانَ ، عن هشامِ ابنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن أبي حميدِ الساعديِّ ، قال : استعملَ رسولُ اللهِ ﷺ رجلاً

= قال ابن الأثير : القشع : الجلد اليابس ، وقيل : النطع . وقيل : أراد القربة البالية .

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣٢/٢ عن المصنف ، وقال : لم يروه أحد من أهل الكتب الستة .

(٢) المصدق : العامل على الزكاة الذى يأخذ الحقوق من الإبل والغنم . وينظر اللسان (ص د ق) .

(٣) أى بأشياء كثيرة . وأشخاص بارزة من حيوان وغيره ، والسواد يقع على كل شخص . صحيح مسلم بشرح النووى ٢٢١/١٤ .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « و » . وينظر صحيح ابن خزيمة . وينظر أيضًا الأثر القادم .

(٥) بعده فى م : « به » .

(٦) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « تنغو » .

والحديث أخرجه مسلم (١٨٣٢/٢٩) ، وابن خزيمة (٢٣٨٢) من طريق أبى إسحاق به .

مِنَ الْأَزْدِ ، يُقَالُ لَهُ : ابْنُ اللَّثِيئَةِ ^(١) عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَفَلَا يَجْلِسُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ ، فَتَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ ؟ » . ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ رَجَالًا مِنْكُمْ عَلَى أُمُورٍ مَّا وَلَّانِي اللَّهُ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ : هَذَا الَّذِي لَكُمْ ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ إِلَيَّ . أَفَلَا يَجْلِسُ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ فِي ^(٢) بَيْتِ أُمِّهِ ، فَتَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى / عُنُقِهِ ، فَلَا أَعْرِفَنَّ مَا جَاءَ رَجُلٌ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءً ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا حُجَاوَزٌ ، أَوْ شَاةٌ تَيَعَّرُ ^(٣) » . ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ^(٤) ، فَقَالَ : « أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ » ^(٥) .

١٦٠/٤

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا عبدُ الرحيمِ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيهِ ، عن أبي حميدٍ ، [٦٣/١١] حَدَّثَهُ بِمَثَلِ هَذَا الْحَدِيثِ ، قَالَ : « أَفَلَا جَلَسَتْ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمَّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ ؟ » . ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ^(٦) حَتَّى إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ إِبْطَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ » . قَالَ أَبُو حُمَيْدٍ : بَصُرَ عَيْنِي وَسَمِعَ أذُنِي ^(٧) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهَبٍ ، قَالَ : ثنا عمي عبدُ اللَّهِ بنُ وَهَبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ ، أَنَّ مُوسَى بْنَ جُبَيْرٍ ^(٨) حَدَّثَهُ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحُبَابِ الْأَنْصَارِيَّ ، حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَنَيْسٍ ^(٩) حَدَّثَهُ ، أَنَّهُ تَذَاكَرَ هُوَ

(١) في ص : « الأثيئة » . وورد عند مسلم على الوجهين ، وينظر التاج (ل ت ب) .

(٢) سقط من : م ، ت ٢ .

(٣) في م : « تنغو » .

(٤) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يده » .

(٥) أخرجه مسلم (١٨٣٢/٢٨) عن أبي كريب به . وأخرجه البخاري (٧١٩٧) من طريق عبدة - وحده - به .

(٦) في النسخ : « يده » . وصوبناه من ابن أبي شيبة وصحيح مسلم .

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة ٤٩٣/١٢ - وعنه مسلم (١٨٣٢/٢٨) - عن عبد الرحيم به . وأخرجه الشافعي

١/ (٦٦٩) ، والطيالسي (١٣٠٩) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٩٥٠ ، ٦٩٥١) ، والبخاري (٦٩٧٩) ،

ومسلم (١٨٣٢/٢٨) ، والبخاري (٣٧٠٨) ، وابن خزيمة (٢٣٤٠) ، وابن حبان (٤٥١٥) من طريق هشام به .

(٨) في الأصل ، ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « حنين » . وينظر تهذيب الكمال ٤٢/٢٩ .

(٩) في م ، ت ٢ ، س : « أنس » . وينظر تهذيب الكمال ٣١٣/١٤ .

وعمرُ يوماً الصدقة ، فقال : ألم تسمع رسولَ الله ﷺ حينَ ذَكَرَ غُلُولَ الصدقةِ : « مَنْ غَلَّ مِنْهَا بَعِيرًا أَوْ شَاةً ، فَإِنَّهُ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ » قال عبدُ اللهِ بنُ أُتَيْسٍ : بلى ^(١) .

حدَّثنا سعيدُ بنُ يحيى الأمويُّ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدِ الأنصاريُّ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ الله ﷺ بعث سعدَ بنَ عبادةَ مُصَدِّقًا ، فقال : « إياك يا سعدُ أن تَجِيءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ لَهُ رُغَاءٌ » . قال : لا أَخْذُهُ وَلَا أَجِيءُ بِهِ . فَأَعْفَاهُ ^(٢) .

حدَّثني أحمدُ بنُ المغيرةِ الحمصيُّ أبو حميدٍ ، قال : ثنا الربيعُ بنُ رُوْحٍ ، قال : ثنا ابنُ عِيَّاشٍ ، قال : ثنا عُبيدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ حفصٍ ، عن نافعٍ مولى ابنِ عمرَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ، أن رسولَ الله ﷺ اشْتَعَمَلَ سعدَ بنَ عبادةَ ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « إياك يا سعدُ أن تَجِيءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْمِلُ عَلَى عُنُقِكَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ » . فقال سعدٌ : فَإِنْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنْ ذَلِكَ لِكَائِثٌ ؟ قال : « نعم » . قال سعدٌ : قَدْ عَلِمْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنِّي أُسْأَلُ فَأُعْطَى ، فَأَعْفِنِي . فَأَعْفَاهُ ^(٣) .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا زيدُ بنُ حبابٍ ^(٤) قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ الحارثِ ، قال : ثنا جدي عُبيدُ بنُ أبي عبيدٍ - وكان أولَ مولودٍ بالمدينة - قال : اشْتَعَمَلْتُ عَلَى صَدَقَةِ دَوْسٍ ، فَجَاءَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي خَرَجْتُ فِيهِ ، فَسَلَّمَ ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ وَالْبَعِيرُ ؟ كَيْفَ أَنْتَ وَالْبَقَرُ ؟ كَيْفَ أَنْتَ وَالْغَنَمُ ؟ ثُمَّ

(١) أخرجه أحمد ٤٦٣/٢٥ (١٦٠٦٣) ، وابن ماجه (١٨١٠) ، وعبد الله بن أحمد في الزوائد على المسند ٤٦٣/٢٥ (١٦٠٦٣) من طريق ابن وهب به .

(٢) أخرجه البزار (٨٩٨ - كشف) ، وابن حبان (٣٢٧٠) ، والحاكم ٣٩٩/١ ، وابن عساكر في تاريخه ٢٥٩/٢٠ من طريق سعيد بن يحيى به .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٢٥٩/٢٠ من طريق ابن عيَّاش ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن نافع به .

(٤) في م ، س : « حبان » ، وفي ت ١ : « حباب » . وينظر تهذيب الكمال ٤٠ / ١٠ .

قال : سَمِعْتُ جَبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أبا القاسمِ قال : « مَنْ أَخَذَ بَعِيرًا بِغَيْرِ حَقِّهِ ، جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ رُغَاءٌ ، وَمَنْ أَخَذَ بَقْرَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا ، جَاءَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا خُورًا ، وَمَنْ أَخَذَ شَاةً بِغَيْرِ حَقِّهَا ، جَاءَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى عُنُقِهِ لَهَا يُعَارٌ ^(١) » . فَيَاكَ وَالْبَقْرَ ، فَإِنِهَا أَخَذُ قَرُونًا وَأَشَدُّ أَظْلَاقًا .

^(٢) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ ، قال : ثنى ^(٣) مُحَمَّدٌ ، عن ^(٤) عبد الرحمن بن الحارث ، عن جده عبيد بن أبي عبيد ، قال : اسْتَعْمَلْتُ عَلَى صَدَقَةِ دَوْسٍ ، فَلَمَّا قَضَيْتُ الْعَمَلَ قَدِمْتُ ، فَجَاءَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : أَخْبِرْنِي كَيْفَ أَنْتَ وَالْإِبِلَ . ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِ عَنْ زَيْدٍ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : « جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى عُنُقِهِ لَهُ رُغَاءٌ » ^(٥) ^(٦)

/ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن ١٦١/٤ قتادة في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ وَمَنْ يَعْلَمَ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . قال قتادة : كان النبي ﷺ إِذَا غَنِمَ مَغْنَمًا بَعَثَ مَنَادِيًا : « أَلَا لَا يَعْلَمَنَّ رَجُلٌ مِخْيَطًا ^(٥) فَمَا دُونَهُ ، أَلَا لَا يَعْلَمَنَّ رَجُلٌ [٦٤/١١] بَعِيرًا ، فَيَأْتِي بِهِ عَلَى ظَهْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ رُغَاءٌ ، أَلَا لَا يَعْلَمَنَّ رَجُلٌ فَرَسًا ، فَيَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ظَهْرِهِ لَهُ حَمْحَمَةٌ » ^(٦) .

القول في تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿١٦١﴾ .

(١) في م : « نغاء » .

(٢ - ٣) سقط من : ت ٢ ، س .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وفي ص ، ت ١ : « محمد بن » .

(٤) عزاه في كثر العمال ٣٨٦/٤ (١١٠٤٣) إلى المصنف .

(٥) المِخْيَطُ : الإبرة . النهاية ٩٢/٢ .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٧ . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٢/٢ إلى ابن المنذر ، وفيه : « فما فوقه »

بدلاً من : « فما دونه » .

يعنى بقوله تعالى ذكره : ﴿ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ﴾ : ثم تُعْطَى كُلُّ نَفْسٍ جِزَاءً مَا كَسَبَتْ بِكَسْبِهَا ، وافيًا غيرَ مَنقُوصٍ ، مما اسْتَحَقَّهُ واسْتَوْجَبَهُ مِنْ ذَلِكَ ، ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ . يقول : «^(١) وهم لا يُفْعَلُ بِهِمْ إِلَّا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُفْعَلَ بِهِمْ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْتَدَى عَلَيْهِمْ ، فَيُنْقَضُوا عَمَّا اسْتَحَقُّوه .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ : ثم يُجْزَى بِكَسْبِهِ غَيْرَ مَظْلُومٍ ، وَلَا مُتَعَدَّى ^(٢) عَلَيْهِ ^(٣) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَاؤَلَّهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ في ترك الغلُولِ ، ﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ بغلُوله ما غلَّ ؟

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ مُطَرِّفٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ . قَالَ : مَنْ لَمْ يَعْلَمْ ، ﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ : كَمَنْ عَلَّ ^(٤) .

(١ - ١) سقط من : م . وفي س : « ومن » .

(٢) في م : « معتدى » .

(٣) سيرة ابن هشام ١١٧/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٠٥/٣ (٤٤٤٤) من طريق سلمة به .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٨ ، وذكر أوله ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٠٦/٣ عقب الأثر (٤٤٤٧) معلقا ،

وأخرج آخره (٤٤٥٢) من طريق سفيان به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٣/٢ إلى ابن المنذر .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قَالَ : ثنا سفيانُ بنُ عُيينَةَ ، عن مُطَرِّفِ بنِ طَرِيفٍ ، عن الضحَّاكِ قوله : ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ . قَالَ : أَمَّنْ ^(١) أَدَّى الخُمْسَ ، ﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ ﴾ : ^(٢) « غَلَّ فبَاءَ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ » ، فَاسْتَوْجِبَ سَخَطًا مِنَ اللَّهِ ؟

وَقَالَ آخَرُونَ فِي ذَلِكَ بِمَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ : ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ : على ما أَحَبَّ النَّاسُ وَسَخَطُوا ، ﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ ﴾ لِرِضَا النَّاسِ وَسَخَطِهِمْ ؟ يَقُولُ : أَفَمَنْ كَانَ على طَاعَتِي ، وَثَوَابِهِ الْجَنَّةُ وَرِضْوَانُ مِنْ رَبِّي ، ﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ ﴾ فَاسْتَوْجِبَ غَضَبَهُ ، وَكَانَ مَاوَاهُ جَهَنَّمَ ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ؟ أَسْوَاءُ الْمَثَلَانِ ؟ أَيْ : فَاعْرِفُوا ^(٣) .

[١١/٦٤ظ] وَأَوْلَى التَّأْوِيلِينَ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ عِنْدِي قَوْلُ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ عَقِيبَ وَعِيدِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى الْغُلُولِ وَنَهْيِهِ عِبَادَةَ عَنهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ بَعْدَ نَهْيِهِ عَنِ ذَلِكَ وَوَعِيدِهِ : أَسْوَاءُ الْمَطِيعِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَنَهَاها ، وَالْعَاصِي لَهُ فِي ذَلِكَ ؟ أَيْ أَنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ ، وَلَا تَسْتَوِي حَالَتَاهُمَا عِنْدَهُ ؛ لِأَنَّ لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاها الْجَنَّةَ ، وَلِمَنْ عَصَاهُ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاها النَّارَ .

فَمَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ ﴾ . إِذَنْ : أَفَمَنْ تَرَكَ الْغُلُولَ وَمَا نَهَاها اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ ، وَعَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي تَرْكِهِ ذَلِكَ ، وَفِي غَيْرِهِ مِمَّا أَمَرَهُ بِهِ ^(٤) / مِنْ فَرَائِضِهِ ، مُتَّبِعًا فِي كُلِّ ذَلِكَ رِضَا اللَّهِ ، وَمُجْتَنِبًا ^(٥) سَخَطَهُ ، ﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ ﴾ . يَعْنِي : كَمَنْ انْصَرَفَ مُتَّحَمِّلًا سَخَطَ اللَّهِ

(١) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « مَنْ » .

(٢) (٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ١١٧/٢ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٨٠٦/٣ ، ٨٠٧ ، (٤٤٤٩) ، (٤٤٥٤) مِنْ طَرِيقِ سَلْمَةَ بِهِ حَتَّى قَوْلِهِ : غَضَبَهُ .

(٤) بَعْدَهُ فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « وَنَهَاها » .

(٥) فِي الْأَصْلِ ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « تَجَنَّبًا » .

وغضبه ، فاستحقَّ بذلك سُكْنَى جهنم ؟ يقول : ليسا سواء .
وأما قوله : ﴿ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ . ^(١) فإنه يعنى : وبئس الشيء ^(٢) الذى يصيرُ ،
ويثوبُ إليه مَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ - جهنم .

القول فى تأويلِ قوله : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ .
يعنى بذلك تعالى ذكره أن مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ، وَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ ،
مختلِفوا المنازلَ عِنْدَ اللَّهِ ، فِلْمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ الكرامةُ والثوابُ الجزيلُ ، وَلَمَنْ بَاءَ
بسخطِ مِنَ اللَّهِ المهانةُ والعذابُ الأليمُ .

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ
عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ . أى : لكلِّ دَرَجَاتٍ مما عملوا فى الجنةِ والنارِ ،
إنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عليه أهلُ طاعتهِ مِنْ أَهْلِ معصيتهِ ^(٣) .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن
أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ . يقولُ : بأعمالِهِمْ ^(٤) .
وقال آخرون : معنى ذلك : لهم درجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ . يعنى : لمن اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ
منازلَ عِنْدَ اللَّهِ كريمةٌ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى
نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قوله : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ . قال : هى كقوله : لهم

(١ - ١) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) فى ص ، م ، س : « المصير » .

(٣) سيرة ابن هشام ١١٧/٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٠٧/٣ (٤٤٥٨) عن محمد بن سعد به .

عِنْدَ اللَّهِ ^(١) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ هُمْ دَرَجَتْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ . يَقُولُ : لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ^(٢) .

وقيل : قوله : ﴿ هُمْ دَرَجَتْ ﴾ . كقولِ القائلِ : هُم طَبَقَاتٌ . كما قال ابنُ هُرْمَةَ ^(٣) :

أَرْجَمًا لِلْمَنُونِ ^(٤) يَكُونُ قَوْمِي ^(٥) لَرَيْبِ الدَّهْرِ أَمْ دَرَجِ الشَّيُولِ ^(٦)

وأما قوله : [١١ / ٦٥] ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ . فإنه يعنى : واللَّهُ ذو

علمٍ بما يَعْمَلُ أَهْلُ طَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ شَيْءٌ ، يُخْصِي عَلَى الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا أَعْمَالَهُمْ ، حَتَّى تُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ مِنْهُمْ جَزَاءً مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ . يَقُولُ : إِنْ اللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَهْلُ طَاعَتِهِ مِنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ ^(٧) .

١٦٣/٤ / الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٨) .

(١) يعنى قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . الآية ٤ من سورة الأنفال .

والأثر فى تفسير مجاهد ص ٢٦١ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٣/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٠٧/٣ (٤٤٥٧) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) هو إبراهيم بن هرمة ، والبيت فى مجاز القرآن لأبى عبيد ١٠٧/١ ، واللسان (درج) ، والخرزانه ١/٤٢٤ ،

وأنشد سيبويه آخره فى الكتاب ٤١٥/١ . ورواية اللسان والخرزانه :

أَنْصَبَ لِلْمَنِيَةِ تَعْتَرِيهِمْ رَجَالِي أَمْ هُم دَرَجِ السِّيُولِ

(٤ - ٤) فى م : « إِنْ حَمِ الْمَنُونِ » .

(٥) فى النسخ : « قَوْمِ » . والمثبت من مجاز القرآن ، واستظهارًا من شرح البيت ومن رواية البيت الأخرى ،

حيث قال : « رَجَالِي » .

(٦) درج السيل ومدرجه : منحدره وطريقه فى معاطف الأودية . اللسان (درج) .

(٧) سيرة ابن هشام ١١٧/٢ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : لقد تطوّل اللّهُ تبارك اسمه على ^(١) أهل التصديق به ورسوله ^(٢) ، ﴿ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾ : حين أرسل فيهم رسولاً ، ﴿ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ : نبياً من أهل لسانهم ، ولم يجعله من غير أهل لسانهم ، فلا يفقهوا عنه ما يقول ، ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾ . يقول : يقرأ عليهم آى كتابه وتنزيله ، ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ . يعنى : يطهرهم من ذنوبهم باتباعهم إياه وطاعتهم له ، ^(٣) فيما أمرهم ونهاهم ، ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ . يعنى : ويعلمهم كتاب اللّهِ عز وجل الذى أنزله عليه ، ويبيّن لهم تأويله ومعانيه ، ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ . ويعنى بالحكمة السنّة التى سنّها اللّهُ عز وجل للمؤمنين على لسان رسوله ، وبيانه لهم ، ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ . يعنى : وإن كانوا من قبل أن يميّن اللّهُ عليهم بإرساله رسوله الذى هذه صفته ، ﴿ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ . يقول : فى جهالة جهلاء ، وفى خيرة عن الهدى عمياء ، لا يعرفون حقاً ، ولا يُطلبون باطلاً .

وقد بيّننا أصل الضلال ^(٣) فيما مضى ، وأنه الأخذ على غير هدى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ^(٤) .

والمبين : الذى يبيّن لمن تأمله بعقله ، وتدبره بفهمه ، أنه على غير استقامة ولا هدى .

وينحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

(١ - ١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « المؤمنين » .

(٢ - ٢) فى س : « فى أمره ونهيه » .

(٣) فى م ، س : « الضلالة » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٢ / ٤١٥ ، ٤١٦ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: ثنا يزيدٌ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادة قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: ^(١) مَنْ مِنَ اللَّهِ عَظِيمٌ ^(٢)، مِنْ غَيْرِ دَعْوَةٍ وَلَا رَغْبَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَمَةِ، جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةً لَهُمْ؛ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. قوله: ﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: الْحِكْمَةُ السَّنَةُ، ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: لَيْسَ وَاللَّهِ كَمَا تَقُولُ أَهْلُ [٦٥/١١] حَرُورَاءَ ^(٣): مُحَنَّةٌ غَالِبَةٌ، مَنْ أَخْطَأَهَا أُهْرِيقَ دَمُهُ. وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَ نَبِيَّهُ ﷺ إِلَى قَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ فَعَلَّمَهُمْ، وَإِلَى قَوْمٍ لَا أَدَبَ لَهُمْ فَأَدَّبَهُمْ ^(٤).

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا سلمةٌ، عن ابنِ إسحاقٍ، قال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: أَى: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ، إِذْ بَعَثَ فِيكُمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِكُمْ، يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيكُمْ فِيمَا أَحَدَثْتُمْ ^(٥)، وَفِيمَا عَمِلْتُمْ، وَيُعَلِّمُكُمُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، لِتَعْرِفُوا الْخَيْرَ فَتَعْمَلُوا بِهِ، وَالشَّرَّ فَتَتَّقُوهُ، وَيُخَيِّرُكُمْ بَرِضَاهُ عَنْكُمْ إِذَا أَطَعْتُمُوهُ؛ لِتَسْتَكْثِرُوا مِنْ طَاعَتِهِ، وَتَتَجَنَّبُوا مَا سَخِطَ مِنْكُمْ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، فَتَتَخَلَّصُوا بِذَلِكَ مِنْ نِقْمَتِهِ، وَتُذْرِكُوا بِذَلِكَ ثَوَابَهُ مِنْ جَنَّتِهِ، وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أَى فِي عَمَيَاءٍ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا تَعْرِفُونَ

(١ - ١) فى م، وتفسير ابن أبى حاتم: «مَنْ مِنَ اللَّهِ». وينظر الدر المنثور.

(٢) فى ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «عليهم».

(٣) حروراء كجولاء بالمد، وقد تقصر: قرية بالكوفة على ميلين منها، نزل بها جماعة خالفوا علياً رضى الله عنه من الخوارج. التاج (ح ر ر).

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٠٨/٣، ٨٠٩، ٨١٠، ٤٤٦٣، ٤٤٧٣) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٣/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) فى م، س: «أخذتم».

حسنةً، ولا تَسْتَعْتِبُونَ^(١) مِنْ سَيِّئَةٍ، صُمِّمَ^(٢) عَنِ الْحَقِّ، عُثِمَى عَنِ الْهُدَى^(٣).

/القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٦٥).

١٦٤/٤

يعنى بذلك تعالى ذكره: أو حين أصابكم أيها المؤمنون ﴿مُصِيبَةٌ﴾، وهى القَتْلَى^(٤) الذين قُتِلُوا منهم يوم أُحُدٍ، والجَوْحَى الذين جُرِحُوا منهم بأحدٍ، وكان المشركون قتلوا منهم يومئذ سبعين نفرًا، ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾. يقول: قد أصبتم أنتم أيها المؤمنون من المشركين مثلى هذه المصيبة، التى أصابوا هم منكم، وهى المصيبة التى أصابها المسلمون من المشركين ببدر، وذلك أنهم قتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾؟ يعنى: لما أصابكم مصيبتكم بأحدٍ: ﴿أَنَّى هَذَا﴾؟ من أى وجه هذا؟ ومن أين أصابنا هذا الذى أصابنا، ونحن مسلمون وهم مشركون، وفينا نبي الله ﷺ، يأتيه الوحى من السماء، وعدونا أهل كفر بالله وشرك؟ ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمؤمنين بك من أصحابك: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾. يقول: قل لهم: أصابكم هذا الذى أصابكم من عند أنفسكم، بخلافكم أمرى، وترككم طاعتى، لا من عند غيركم، ولا من قبل أحدٍ سواكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، يقول: إن الله على جميع ما أراد بخلقه من عفوٍ وعقوبةٍ وتفضيلٍ وانتقامٍ ﴿قَدِيرٌ﴾. يعنى: ذو قدرة.

(١) فى م: «تستغيثون». وفى مصدرى التخريج: «تستغفرون».

(٢) بعده فى سيرة ابن هشام: «عن الخير، بكم».

(٣) سيرة ابن هشام ١١٧/٢، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٠٨/٣ - ٨١٠ (٤٤٦٢، ٤٤٦٥)،

(٤) ٤٤٦٨، ٤٤٧٤ من طريق سلمة به إلى قوله: ولا تستغفرون من سيئة.

(٤) فى ص، ت، ١، ت٢: «القتل».

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ . بعد إجماع [١١ / ٦٦ و] جميعهم على أن تأويل سائر الآية ، على ما قلنا في ذلك من التأويل ؛ فقال بعضهم : تأويل ذلك : قل : هو من عند أنفسكم ، بخلافكم على نبيّ الله ، إذ أشار عليكم بترك الخروج إلى عدوّكم والإصحار^(١) لهم ، حتى يدخلوا عليكم مدينتكم ، ويصيروا بين أطامكم^(٢) ، فأيثم ذلك عليه ، وقلثم له : اخرج بنا إليهم ، حتى نُصحر لهم ، فنقاتلهم خارج المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أِنَّا هَذَا ﴾ : أُصِيبُوا يَوْمَ أَحَدٍ ، قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ^(٣) يَوْمَئِذٍ ، وَأَصَابُوا مِثْلَهَا^(٤) يَوْمَ بَدْرٍ ، قَتَلُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَبْعِينَ ، وَأَسْرَوْا سَبْعِينَ ، ﴿ قُلْتُمْ أِنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ أَحَدٍ ، حِينَ قَدِمَ أَبُو سَفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : « إِنَّا فِي جُنَّةٍ^(٥) حَصِينَةٍ » - يَعْنِي بِذَلِكَ الْمَدِينَةَ - « فَادْعُوا الْقَوْمَ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْنَا نَقَاتِلَهُمْ » . فَقَالَ لَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ : إِنَّا نَكَرُهُ أَنْ نُقَاتِلَ فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ كُنَّا نَمْتَنِعُ^(٦) مِنَ الْغَزْوِ^(٦) فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَبِالْإِسْلَامِ أَحَقُّ أَنْ نَمْتَنِعَ فِيهِ ، فَايْرُزُ بِنَا إِلَى الْقَوْمِ . فَاَنْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ، فَلَيْسَ لِأُمَّتِهِ^(٧) ، فَتَلَاوَمَ الْقَوْمُ ، فَقَالُوا

(١) الإصحار : مصدر أصرح القوم ، إذا برزوا في الصحراء . تاج العروس (ص ح ر) .

(٢) جمع أطم ، كل حصن مبني بحجارة وكل بيت مربع مسطح . القاموس المحيط (أ ط م) .

(٣) في ص ، ١ ، ت ٢ ، ٣ ، س : « سبعين » .

(٤) في ص ، ١ ، ت ٢ ، ٣ ، س : « مثلها » .

(٥) الجُنَّةُ - بالضم - : ما وارك من السلاح واستترت به منه . والجنّة أيضًا السترة والوقاية . لسان العرب (ج ن ن) .

(٦) - ٦) في الأصل : « من العرب » . وفي م : « في الغزو » . ينظر مصدر التخريج .

(٧) اللأمة : الدرع . وقيل : السلاح . ولأمة الحرب : أدواته . النهاية ٢٢٠ / ٤ .

عَرَضَ نَبِيُّ اللَّهِ بِأَمْرٍ ، وَعَرَضْتُمْ بغيرِهِ ، اذْهَبْ يَا حَمْزَةُ فَقُلْ لِنَبِيِّ اللَّهِ : أَمَرْنَا لِأَمْرِكَ تَبِعْ ، فَاتَى / حَمْزَةُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنْ الْقَوْمَ قَدْ تَلَاوَمُوا ، وَقَالُوا : أَمَرْنَا لِأَمْرِكَ تَبِعْ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُنَاجِرَ ، وَإِنَّهُ سَتَكُونُ فِيكُمْ مَصِيبَةٌ » . قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، خَاصَّةٌ أَوْ عَامَّةٌ ؟ قَالَ : « سَتَرُونَهَا » ^(١) .

١٦٥/٤

وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ رَأَى فِي النَّوْمِ ^(٢) أَنْ بَقِرًا تُنَحَّرُ ، فَتَأْوِلُهَا قَتْلًا فِي أَصْحَابِهِ ، وَرَأَى أَنْ سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ ^(٣) انْقَصَمَ ^(٤) ، فَكَانَ قَتْلُ عَمِّهِ حَمْزَةَ ، فُقِلَ يَوْمَئِذٍ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : أَسَدُ اللَّهِ . وَرَأَى أَنْ كَبِشًا أُغْبِرَ قَتِيلٌ ^(٥) ، فَتَأْوَلَهُ كَبِشَ الْكُتَيْبَةِ عَثْمَانَ بَنَ أَبِي طَلْحَةَ ، أُصِيبَ يَوْمَئِذٍ ، وَكَانَ مَعَهُ لَوَاءُ الْمُشْرِكِينَ .

حَدَّثَتْ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بَنِيهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلِيهَا ﴾ . يَقُولُ : مِثْلِي مَا أُصِيبُ مِنْكُمْ ، ﴿ قُلْتُمْ أَنَّ هَذَا قُلُّهُ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ . يَقُولُ : بِمَا عَصَيْتُمْ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ أَحَدٍ مَصِيبَةً ، وَكَانُوا قَدْ أَصَابُوا مِثْلِيهَا يَوْمَ بَدْرٍ مِمَّنْ قُتِلُوا وَأُسِرُوا ، [٦٦/١١ ظ] فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مِثْلِيهَا ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ عُمَرَ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٤/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) في م : « المنام » .

(٣) في الأصل ، ص ، ت ١ : « الفقارين » .

(٤) في م : « انقصم » .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١٣٨/١ ، وعنده : « مثلها » بدلاً من « مثليها » .

ابن عطية ، عن عكرمة ، قال : قتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين ، وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين ، فذلك قوله : ﴿ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾ ، ﴿ قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ﴾ ونحن مسلمون نقاتل غضباً لله ، وهؤلاء مشركون ؟! ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ عقوبة لكم بمعصيتكم النبي ﷺ حين قال ما قال ^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ . قالوا : فإنما أصابنا هذا ؛ لأننا قبلنا الفداء يوم بدر من الأسارى ، وعصينا النبي ﷺ يوم أحد ، فمن قُتل منا كان شهيداً ، ومن بقى منا كان مطهراً ، رضيانا ربنا ^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن وابن جريج ، قالوا : معصيتهم أنه قال لهم : « لا تتبعوهم » يوم أحد ، فاتبعوهم ^(٣) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، ثم ذكر ما أُصيب من المؤمنين ، يعنى بأحد ، وقُتل منهم سبعون إنساناً ، ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾ : كانوا يوم بدر أسروا سبعين رجلاً ، وقتلوا سبعين ، ﴿ قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ﴾ : أى من أين هذا ؟ ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ، إنكم عصيتم ^(٤) .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٣/٢ إلى المصنف .

(٢) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « بالله ربا » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٣/٢ إلى المصنف وابن أبى حاتم . وهو عند ابن أبى حاتم فى تفسيره

٧٩٨ ، ٧٩٧/٣ (٤٣٩٧) من طريق سعيد بن سليمان عن مبارك عن الحسن مطولاً بمعناه .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨١٠/٣ عقب الأثر (٤٤٧٥) من طريق أسباط به .

١٦٦/٤ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ / قَوْلُهُ : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا ﴾ يَقُولُ : إِنَّكُمْ أَصَبْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلَى مَا أَصَابُوا مِنْكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَصِيبَةَ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ ، فَقَالَ : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ . أَيْ إِنْ تَكُّ قَدْ أَصَابَتْكُمْ مَصِيبَةٌ فِي إِخْوَانِكُمْ فَبِذُنُوبِكُمْ ، قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا ^(٢) ؛ قِتْلًا مِنْ عَدُوِّكُمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ بَيْدِرٍ ، قَتَلَى وَأَسْرَى ، وَنَسِيتُمْ مَعْصِيَتَكُمْ وَخِلَافَكُمْ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ ، إِنَّكُمْ أَخْلَلْتُمْ ذَلِكَ بِأَنْفُسِكُمْ ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . أَيْ : إِنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ مَا أَرَادَ بِعِبَادِهِ مِنْ ^(٣) نَقْمِهِ أَوْ عَفْوِهِ ^(٤) قَدِيرٌ .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، يَقُولُ : أَخْبَرَنَا عُبيدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا ﴾ الْآيَةَ . يَعْنِي بِذَلِكَ : أَنَّكُمْ أَصَبْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلَى مَا أَصَابُوا مِنْكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ .

[١١/٦٧] وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ تَأْوِيلُ ذَلِكَ : قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ بِإِسَارِكُمْ الْمُشْرِكِينَ بَيْدِرٍ ، وَأَخَذِكُمْ مِنْهُمْ الْفِدَاءَ ، وَتَرْكِكُمْ قَتْلَهُمْ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨١٠/٣ (٤٤٧٥) عن محمد بن سعد به .

(٢) في ص : « مثلها » .

(٣ - ٣) في م : « نقمة أو عفو » .

(٤) سيرة ابن هشام ١١٧/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨١٠/٣ (٤٤٧٧) من طريق سلمة به ، وعنده : « إن لم تكن » . بدلًا من : « إن تك » .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ فَضِيلٍ ، عَنْ أَشْعَثَ بْنِ سَوَّارٍ ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، عَنْ عَبِيدَةَ ، قَالَ : أَسْرَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَبْعِينَ ، وَقَتَلُوا سَبْعِينَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اخْتَارُوا ؛ أَنْ تَأْخُذُوا مِنْهُمْ الْفِدَاءَ ، فَتَقْوُوا ^(١) بِهِ عَلَى عَدْوِكُمْ ، وَإِنْ قَبِلْتُمُوهُ قُتِلَ مِنْكُمْ سَبْعُونَ ، أَوْ تَقْتُلُوهُمْ » . فَقَالُوا : بَلِ نَأْخُذُ الْفَدْيَةَ مِنْهُمْ ، وَيُقْتَلُ مِنَّا سَبْعُونَ . قَالَ : فَأَخْذُوا الْفَدْيَةَ مِنْهُمْ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ . قَالَ عَبِيدَةُ : وَطَلَبُوا الْخَيْرَتَيْنِ كَلَيْتَيْهِمَا ^(٢) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْبَةَ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عَوْنٍ ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، عَنْ عَبِيدَةَ ، أَنَّهُ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمُوهُمْ ، وَاسْتَشْهِدْ مِنْكُمْ بَعْدَتِهِمْ » . قَالُوا : بَلِ نَأْخُذُ الْفِدَاءَ ، فَنَسْتَمْتِعُ بِهِ ، وَيُسْتَشْهِدُ مِنَّا بَعْدَتِهِمْ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى إِسْمَاعِيلُ ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ ^(٤) عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ ، وَحَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ جَرِيرٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ ^(٥) عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ ، عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ : جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَرِهَ مَا صَنَعَ قَوْمُكَ فِي أَخْذِهِمُ الْأُسَارَى ، وَقَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَخَيِّرَهُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ : أَنْ يُقَدِّمُوا فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ، وَبَيْنَ أَنْ يَأْخُذُوا الْفِدَاءَ ، عَلَى أَنْ يُقْتَلَ مِنْهُمْ عِدَّتُهُمْ .

(١) فِي م : « فَتَقْوُوا » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٣٦٨/١٤ مِنْ طَرِيقِ أَشْعَثَ بِهِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبِزَارُ عَقِبَ الْحَدِيثِ (٥٥١) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَوْنٍ بِهِ مَرْسَلًا ، كَذَا رَوَاهُ ابْنُ عَلِيَّةٍ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ مَرْسَلًا ، وَفِي الْإِسْنَادِ التَّالِي رَوَاهُ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ مَسْنَدًا . وَقَدْ رَجَعَ الدَّارِقُطْنِيُّ الْإِسْرَالَ . يَنْظُرُ عَلَّلِ الدَّارِقُطْنِيُّ ٣٠/٤ (٤١٨) .

(٤) فِي ص ، م ، ت ١ : « بِن » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بِن » .

قال : فدعا رسول الله ﷺ الناس ، فذكر ذلك لهم ، فقالوا : يا رسول الله ، عشائرونا وإخواننا ، لا ، بل نأخذ فداءهم ، فنتقوى به على قتال عدونا ، ويُسْتَشْهَدُ منا عِدَّتْهُمْ ، فليس في ذلك ما نكره . قال : فقتل منهم يومَ أحدٍ سبعون رجلاً ، عِدَّةُ أسارى أهلِ بدرٍ ^(١) .

/ القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذِنِ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴿ .

١٦٧/٤

يعنى تعالى ذكره بذلك : والذى أصابكم يومَ التقى الجمعان ، وهو يومُ أحدٍ حينَ التقى جمعُ المسلمين والمشرَكين ، ويعنى بالذى أصابهم : ما نال من القتلى من قتل منهم ، ومن الجراحِ من جرح منهم ، ﴿ فَيَاذِنِ اللَّهُ ﴾ ، يقول : فهو بإذنِ الله كان . يعنى : بقضائه وقدره فيكم ، وأجاب ﴿ مَا ﴾ بالفاء ؛ [١١/٦٧] لأن ﴿ وَمَا ﴾ حرفُ جزاءٍ ، وقد بينتُ نظيرَ ذلك فيما مضى قبل ^(٢) . ﴿ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴿ . بمعنى : وليعلمَ الله المؤمنين ، وليعلمَ الذين نافقوا ، أصابكم ما أصابكم يومَ التقى الجمعانِ بأحدٍ ؛ ليميّزَ لأهلِ ^(٣) الإيمانِ باللهِ ورسوله المؤمنين منكم ، من المنافقين ، فيعرفوهم ولا يخفى عليهم أمرُ الفريقين . وقد بينا تأويلَ قوله : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . فيما مضى ، وما وجهُ ذلك ، بما أغنى عن إعادته

(١) أخرجه الحاكم ١٤٠/٢ ، والبيهقى ٣٢١/٦ ، وفى الدلائل ١٣٩/٣ - ١٤٠ من طريق عبد الله بن عون عن ابن سيرين ، به . وأخرجه ابن أبى شيبة ٣٦٨/١٤ - ٣٦٩ والترمذى (١٥٦٧) والبخارى (٥٥١) ، والدارقطنى فى العلال ٣١/٤ ، ٣٢ من طريق ابن سيرين به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٣/٢ إلى ابن مردويه .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١٧/٥ ، ١٨ .

(٣) فى م : « أهل » .

في هذا الموضع ^(١) .

وينحو ما قلنا في ذلك قال ابن إسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانَ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِعَلَّمِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : أي ^(٢) منكم ؛ ما أصابكم حين التقيتم أئتم وعدوكم فبإذني كان ذلك ، حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نضري ، وصدقتكم ^(٣) وعدى . ليميز بين المنافقين والمؤمنين ، ﴿ وَلِعَلَّمِ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ منكم ، أي : ليظهروا ما فيهم ^(٤) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعَلَّمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (١٦٧) .

يعنى تعالى ذكره بذلك عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق ، وأصحابه الذين رجعوا عن النبي ﷺ وعن أصحابه ، حين سار نبي الله ﷺ إلى المشركين بأحد لقتالهم ، فقال لهم المسلمون : تعالوا قاتلوا المشركين معنا ، أو اذفَعُوا بتكثيركم سوادنا . فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لسيرونا معكم إليهم ، ولكننا معكم عليهم ، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال . فأبدوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتُمونه ، وأبدوا بألسنتهم بقولهم : ﴿ لَوْ نَعَلَّمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ . غير ما كانوا يكتُمونه ويخفونه ؛ من عداوة رسول الله ﷺ ، وأهل الإيمان به .

(١) ينظر ما تقدم في ٦٤١/٢ - ٦٤٥ .

(٢) في ص : «أو» ، وفي ت ١ : «إذ» .

(٣) في م ، ت ٢ ، س : «صدقتكم» .

(٤) سيرة ابن هشام ١١٨/٢ .

[١١/٦٨] كما حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال : ثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمرو بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا، كلهم قد حدث، قال : خرج رسول الله ﷺ - يعني حين خرج إلى أحد - في ألف رجل من أصحابه، حتى إذا كانوا بالشوط^(١) بين أحد والمدينة، انخزل^(٢) عنهم عبد الله بن أبي ابن سلول بثلاث الناس، فقال : أطاعهم فخرج وعصاني، ووالله ما ندرى علام نقتل أنفسنا هل هنا أيها الناس؟ فرجع بمن أتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب، وأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، أخو بني سلمة، يقول : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أن يكون قتال، فلما استعصوا عليه، وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال : أبعدكم الله يا أعداء^(٣) الله، فسيغني الله عنكم. ومضى رسول الله ﷺ^(٤).

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق : ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْفَعُوا ﴾ . يعني : عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه، الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ، حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد. وقوله : ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ . يقول : لو نعلم أنكم تقاتلون لسيرونا معكم، ولدفعنا

(١) الشوط : بستان من بساتين المدينة عند جبل أحد . ينظر معجم البلدان ٣/٣٣٥ ، وتاج العروس (ش و ط) .

(٢) انخزل : انفرد . النهاية ٢/٢٩ .

(٣) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « أعفا » .

(٤) ينظر سيرة ابن هشام ٦٤/٢ .

عنكم ، ولكن لا نظنُّ أن يكونَ قتالٌ ، فظهرَ منهم ما كانوا يُخفون في أنفسهم .
يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾^(١) يَقُولُونَ
بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿ . أى : يُظهرون لكم الإيمان^(١) ، وليس في قلوبهم ،
﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ : أى : بما يُخفون^(٢) .

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدٌ ، قال : ثنا أسباطٌ ، عن الشدِّي ، خرج رسولُ
اللهِ ﷺ - يعنى يومَ أحدٍ - فى ألفِ رجلٍ ، وقد وعدهم الفتح إن صبروا ؛ فلما
خرجوا رجع عبدُ اللهِ بنُ أبيِّ ابنِ سلولٍ فى ثلاثمائة ، فتبعهم أبو جابر السلميُّ
يدعوهم ، فلما غلبوه وقالوا له : ما نعلمُ قتالاً ، ولئن أطعنا لترجعن معنا . قال : فذكر
اللهُ جل وعز أصحابَ عبدِ اللهِ بنِ أبيِّ ابنِ سلولٍ ، وقول^(٣) عبدِ اللهِ أبى جابر بنِ عبدِ
الله^(٣) الأنصارى [٦٨/١١] حين دعاهم ، فقالوا : ما نعلمُ قتالاً ، ولئن أطعتمونا
لترجعن معنا . فقال : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ
أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ ﴾^(٤) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال
عكرمةٌ : ﴿ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ . قال : نزلت فى عبدِ اللهِ بنِ أبيِّ
ابنِ سلولٍ^(٤) . قال ابنُ جريجٍ : وأخبرنى عبدُ اللهِ بنُ كثيرٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ لَوْ نَعْلَمُ
قِتَالًا ﴾ . قال : لو نعلمُ أنا واجدون معكم قتالاً ، لو نعلمُ مكانَ قتالٍ لاتبعناكم^(٥) .

واختلفوا فى تأويلِ قوله : ﴿ أَوْ ادْفَعُوا ﴾ ؛ فقال بعضهم : إن معناه : أو

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) سيرة ابن هشام ١١٨/٢ .

(٣ - ٣) فى م : « عبد الله بن جابر بن أبى عبد الله » . وهو خلط وتحريف .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٤/٢ إلى المصنف .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٤/٢ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم .

كثروا ، فإنكم إذا كثرتم دفعتم القوم .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدٌ ، قال : ثنا أسباطٌ ، عن الشُدِّي : ﴿ أَوْ أَدْفَعُوا ﴾ . يقول : أو كثروا ^(١) .

حدَّثنا القاسمٌ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ : ﴿ أَوْ أَدْفَعُوا ﴾ . قال : بكثرتكم العدو ، وإن لم يكن قتالٌ ^(٢) .

/ وقال آخرون : معنى ذلك : أو رابطوا إن لم تقاتلوا .

١٦٩/٤

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا إسماعيلُ بنُ حفصِ الأُبُلِّي ^(٣) وعليُّ بنُ سهلِ الرَّمْلِيُّ ، قالا : ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، قال : ثنا عتبةُ بنُ ضَمْرَةَ ، قال : سمعتُ أبا عوينَ الأنصاريَّ في قوله : ﴿ فَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْفَعُوا ﴾ . قال : رابطوا ^(٤) .

وأما قوله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ ﴿ ١٦٧ ﴾ . فإنه يعني به : والله أعلم من هؤلاء المنافقين الذين يقولون للمؤمنين : لو نعلم قتالاً لاتبغناكم . بما يُضمرون في أنفسهم للمؤمنين ويكتمونه ، فيسترونه ، من العداوة والشَّتانِ ، وأنهم لو علموا قتالاً ما تبعوهم ، ولا دفعوا عنهم ، وهو تعالى ذكره محيطٌ بما هم

(١) ذكره البغوي في تفسيره ١٣٠ / ٢ .

(٢) ذكره الطوسي في التبيان ٤٣ / ٣ .

(٣) في ص : « الأمل » غير نقط ، وفي م ، ت ، ١ ، س : « الأمل » . وهو تحريف . وينظر ترجمته في تحرير التقريب ١٣١ / ١ (٤٣٤) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٤ / ٢ إلى المصنف وابن أبي حاتم .

مُخْفَوْهُ مِنْ ذَلِكَ ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ ، وَمُخْصِيهِ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى يَهْتِكَ بِهِ ^(١) أَسْتَارَهُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا ، فَيُفْضِحَهُمْ بِهِ ، وَيُضْلِيهِمْ بِهِ فِي ^(٢) الدَّرَكِ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٦٨) .

يعنى تعالى ذكره بذلك : [١١ / ٦٩ و] وليعلم الله الذين نافقوا ، الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا . فموضع ﴿ الَّذِينَ ﴾ نصب على الإبدال من ﴿ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ ، وقد يجوز أن يكون رفعا على الترجمة عما في قوله : ﴿ يَكْتُمُونَ ﴾ . من ذكر ﴿ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ . فمعنى الآية : وليعلم الله الذين قالوا لإخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين في حربهم المشركين بأحد يومٍ أحدٍ ، فقتلوا هنالك ، من عشائريهم وقومهم ، ﴿ وَقَعَدُوا ﴾ . يعنى : وقعد هؤلاء المنافقون القائلون ما قالوا ، مما أختبر الله عزَّ وجلَّ عنهم ، من قيلهم عن الجهاد مع إخوانهم وعشائريهم فى سبيلِ الله : ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا ﴾ . يعنى : لو أطاعنا من قتل بأحدٍ من إخواننا وعشائرينا ﴿ مَا قُتِلُوا ﴾ . يعنى : ما قُتِلوا هنالك . قال الله تعالى ذكره لنبىِّه محمدٍ ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء القائلين هذه المقالة من المنافقين : ﴿ فَادْرَأُوا ﴾ . يعنى : فادفعوا ، من قول القائل : دَرَأْتُ عَنْ فُلَانٍ الْقَتْلَ - بمعنى : دَفَعْتُ عَنْهُ - أَدْرُوهُ دَرِيًّا . ومنه قول الشاعر ^(٣) :
أقولُ ^(٣) وقد دَرَأْتُ لها وَضِيئِي أَهَذَا دِيئُهُ أَبَدًا وَدِيئِي
يقولُ تعالى ذكره : قل لهم : فادفعوا - إن كنتم أيها المنافقون صادقين فى

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) هو المثقب العبدى ، وقد تقدم فى ٤٧٠ / ٢ ، ٤٧١ .

(٣) فى م : « تقول » . ومثله ما تقدم ، والمثبت رواية أخرى ينظر ديوان المثقب ص ١٩٧ .

قيلكم : لو أطاعنا إخواننا في ترك الجهاد في سبيل الله مع محمد ﷺ ،
وقتلهم أبا سفيانَ ومن معه من قريش ، ما قُتِلوا هنالك بالسيف ، ولكانوا أحياء
بقعودهم معكم وتخلُّفهم عن محمد ﷺ ، وشهود جهاد أعداء الله معه -
الموت ، فإنكم قد قعدتم عن حربهم . و^(١) تخلُّفتم عن جهادهم ، وأنتم لا محالة
ميِّتون .

١٧٠/٤ / كما حدثنا ابنُ جُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا
لِإِخْوَانِهِمْ ﴿ الَّذِينَ أُصِيبُوا مَعَكُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَقَوْمِهِمْ : ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾
الآية . أى : إنه لا بدَّ من الموتِ ، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا . وذلك
أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهادَ في سبيلِ الله ؛ حرصاً على البقاءِ في الدنيا ، وفراراً من
الموتِ ^(٢) .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ : الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ هَذَا الْقَوْلَ ، هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ :
﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا
لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا ﴾ الآية . ذَكَرَ لَنَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَدُوِّ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
أُبَيٍّ ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن الشُّدِّيِّ ، قال : هم
عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ وأصحابه ^(٤) .

(١) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « قد » .

(٢) سيرة ابن هشام ١١٩/٢ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٤/٢ إلى المصنف وابن أبي حاتم .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٤/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٤/٢ إلى المصنف .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : هو عبدُ اللَّهِ بنُ أَبِي الذي قَعَدَ ، و ﴿ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ^(١) ﴾ الذين خَرَجُوا مع النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ : ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ . الآية ^(٢) .

قال ابنُ جُرَيْجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : قال جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ : هو عبدُ اللَّهِ بنُ أَبِي ابنِ سَلُولٍ ^(٣) .

حُدِّثَتْ عن عمارٍ ، عن ابنِ أَبِي جعفرٍ ، [٦٩/١١ ظ] عن أبيه ، عن الرِّبِّيعِ قَوْلَهُ : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا ﴾ الآية . قال : نَزَلَتْ في عَدُوِّ اللَّهِ عبدِ اللَّهِ بنِ أَبِي ^(٣) .

القولُ في تأويلِ قولِهِ عز وجل : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .
يعنى بقوله تعالى ذكره : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ : ولا تظنَّ .

كما حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إِسْحاقَ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ :
ولا تظنَّ ^(٤) .

وقولُهُ : ﴿ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . يعنى : الذين قُتِلُوا بأحدٍ من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ﴿ أَمْواتًا ﴾ . يقولُ : ولا تحسبَنَّهُم يا محمدُ أَمْواتًا ، لا يُحْسُون شيئًا ، ولا يَلْتَدُونَ ، ولا يَتَنَعَّمُونَ ، فإنَّهُم أَحْيَاءُ عِنْدِي ، متنعَّمون في رزقي ،

(١ - ١) في م : « وقال لإخوانه » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨١١/٣ (٤٤٨٣) من طريق ابن ثور عن ابن جريج .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٤/٢ إلى المصنف وابن أبي حاتم .

(٤) سيرة ابن هشام ١١٩/٢ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨١٢/٣ (٤٤٨٨) من طريق سلمة مطولاً به .

فِرْحونَ مسرورونَ بما آتَيْتَهُم من كرامتِي وفضلِي ، وحبوتُهُم به من جزيلِ ثوابِي وعطائِي .

كما حَدَّثَنَا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، وحَدَّثَنِي يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أَخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ عيَّاشٍ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن إسماعيلَ بنِ أميةَ ، عن أبي الزُّبيرِ المكيِّ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لما أُصِيبَ إخوانُكم بأحدٍ ، جعلَ اللَّهُ أرواحَهُم في أجوافِ طيرِ خُضْرٍ ، تردُّ أنهارَ الجَنَّةِ ، وتأكلُ من ثمارِها ، وتأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ في ظلِّ العرشِ ، فلما وجدوا طيبَ مشربِهِم ومأكلِهِم / وحسنَ مقيلِهِم ^(١) ، قالوا : يا ليتَ إخواننا يعلمون ما صنعَ اللَّهُ بنا ؛ لئلا يزهّدوا في الجهادِ ، ولا ينكّلوا ^(٢) عن الحربِ ، فقالَ اللَّهُ تبارك وتعالى : أنا أبلغُهُم عنكم ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ على رسولِهِ هؤلاء الآياتِ ^(٣) . »

١٧١/٤

حَدَّثَنَا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جريرُ بنُ عبدِ الحميدِ ، وحَدَّثَنَا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، ^(٤) عن ابنِ إسحاقَ ، جميعًا عن الأعمشِ ، عن أبي الضحى ، عن مسروقِ بنِ الأجدعِ ، قال : سألنا عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ ، عن هذه الآية : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية . فقال : أما إنا قد سألنا عنها ، ففيل لنا : إنه لما أُصِيبَ إخوانُكم

(١) المقييل : الاستراحة نصف النهار ، وإن لم يكن معها نوم . النهاية ٤ / ١٣٣ .

(٢) ينكّلوا : يجبنوا . القاموس المحيط (ن ك ل) .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ / ١١٩ . وأخرجه ابن أبي عاصم في الجهاد (١٩٥) ، من طريق إسماعيل بن عيَّاش به ، وأخرجه ابن المبارك في الجهاد (٦٢) ، ابن أبي شيبة ٥ / ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، وهناد (١٥٥) ، وأحمد ٤ / ٢١٨ (٢٣٨٨) والبيهقي في الشعب (٤٢٤٠) ، وابن أبي عاصم في الجهاد (١٩٤) ، من طريق ابن إسحاق به ، وانظر الدر المنثور ٢ / ٩٥ .

(٤) (٤ - ٤) في م : « قال جميعًا محمد بن إسحاق » .

بأُحْدٍ ، جعلَ اللهُ أرواحَهُم في أجوافِ طيرٍ خُضِرٍ ، تَرِدُ أنهارَ الجنةِ ، وتَأْكُلُ من ثمارِها ، وتَأْوِي إلى قناديلَ من ذهبٍ في ظلِّ العرشِ ، فيطَّلِعُ اللهُ إليهم اطلّاعةً فيقولُ : يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربَّنَا لا فوقَ ما أعطيتنا ، الجنة نأكلُ منها حيث شئنا . ثلاثَ مرَّاتٍ ، ثم يَطَّلِعُ فيقولُ : يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربَّنَا لا فوقَ ما أعطيتنا ، الجنة نأكلُ منها حيثُ شئنا ، إلا أنا نختارُ أن تَرُدَّ أرواحنا في أجسادنا ، ثم تردُّنا إلى الدنيا ، فنقاتلُ فيك حتى نُقتلَ [٧٠/١١] فيك مرَّةً أخرى ^(١) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى العبديُّ ^(٢) ، قال : ثنا وهبُ بنُ جريرٍ ، قال : ثنا شعبةٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبي الضحى ، عن مسروقٍ ، قال : سألتنا عبدَ اللهِ عن هذه الآية ، ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه : فقال : إنني قد قضيتُ ألا ترجعوا .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا ابنُ أبي عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن عبدِ اللهِ ابنِ مرَّة ، عن مسروقٍ ، قال : سألتنا عبدَ اللهِ عن أرواحِ الشهداءِ ، ولولا عبدُ اللهِ ما أخبرنا به أحدٌ ، قال : أرواحِ الشهداءِ عندَ اللهِ في أجوافِ طيرٍ خضِرٍ ، في قناديلَ تحتَ العرشِ ، تسرحُ في الجنةِ حيثُ شاءت ، ثم ترجعُ إلى قناديلِها ، فيطَّلِعُ إليها ربُّها ، فيقولُ : ماذا تريدون ؟ فيقولون : نريدُ أن نرجعَ إلى الدنيا ، فنقتلَ مرَّةً

(١) ذكره الدارقطني في العلل ٢٥٦/٥ ، وابن عبد البر في التمهيد ٦٢/١١ ، عن ابن إسحاق به . ورواه غير واحد عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق بدلاً من أبي الضحى ، وسيأتي . قال الدارقطني : الصواب عبد الله بن مرة .

وقال ابن عبد البر : وذكر أبي الضحى في هذا الإسناد عندي خطأ ، وأظن الوهم فيه من ابن إسحاق . والله أعلم .

(٢ - ٢) في ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « الحسن بن أبي يحيى المقدسي » . وهو تحريف . وينظر تهذيب الكمال ٣٣٤/٦ ، ٣٣٥ .

أخرى^(١) .

حدَّثنا أبو كُريب ، قال : ثنا عبدُ الرحيمِ بنُ سليمانَ وعَبْدَةُ بنُ سليمانَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الحارثِ بنِ فضيلٍ ، عن محمودِ بنِ لبيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الشهداءُ على باريقٍ : على^(٢) نهرِ بياضِ الجنةِ ، في قُبَّةِ خضراءَ - وقال عَبْدَةُ^(٣) : « في روضةِ خضراءَ » - يخرجُ عليهم رزقُهُم من الجنةِ بكرةً وعشيًّا^(٤) .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا يونسُ بنُ بكيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : ثنى الحارثُ بنُ فضيلٍ ، عن محمودِ بنِ لبيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبيِّ ﷺ بنحوه^(٥) ، إلا أنه قال : « في قُبَّةِ خضراءَ » . وقال : « يخرجُ عليهم فيها » .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ إدريسَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : ثنى الحارثُ بنُ فضيلٍ ، عن محمودِ بنِ لبيدٍ^(٦) ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبيِّ ﷺ بمثله . حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، قال : قال محمدُ بنُ إسحاقَ : وحدثني الحارثُ بنُ الفضيلِ الأنصاريُّ / عن محمودِ بنِ لبيدِ الأنصاريِّ ، عن ابنِ عباسٍ ،

١٧٢/٤

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٦٢/١١ من طريق محمد بن أبي عدي به . والطيالسي (٢٨٩) ، والدارمي ٢٠٦/٢ من طريق شعبة به .

(٢) سقط من : م .

(٣) في ص : « عنده » .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٩٠/٥ ، وهناد (١٦٦) ، وعبد بن حميد (٧٢١) ، وأحمد ٢٢٠/٤ (٢٣٩٠) ،

وابن أبي عاصم في الجهاد (١٩٩) ، والطبراني (١٠٨٢٥) ، والحاكم ٧٤/٢ ، والبيهقي في الشعب (٤٢٤١)

من طريق ابن إسحاق به ، وقد تقدم في ٧٠٤/٢ .

(٥) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س . وفي م : « بمثله » .

(٦) في ص : ت ١ : « أسيد » .

قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « الشهداءُ على بارقي ؛ نهرٍ ببابِ الجنةِ ، فى قُبَّةِ خضراءَ ، يخرجُ عليهم رزقُهم من الجنةِ بُكرةً وعشيًّا »^(١) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : ثنى أيضًا - يعنى إسماعيلَ بنَ عيَّاشٍ - عن ابنِ إسحاقَ ، عن الحارثِ بنِ الفضيلِ ، عن محمودِ بنِ لبيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبیِّ ﷺ بنحوه .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : قال محمدُ بنُ إسحاقَ : وحدَّثنى بعضُ أصحابي ، عن عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عقيلِ بنِ أبى طالبٍ ، قال : سمعتُ جابرَ ابنَ عبدِ اللهِ يقولُ : قال لى رسولُ اللهِ ﷺ : [٧٠/١١] « ألا أبشركَ يا جابرُ ؟ » . قال : قلتُ : بلى يا رسولَ اللهِ . قال : « إن أباك حيثُ أصيبَ بأحدٍ أختياه اللهُ ، ثم قال له : ما تُحِبُّ يا عبدَ اللهِ بنَ عمرو أن أفعلَ بك ؟ قال : ياربُّ أحبُّ أن تردَّنى إلى الدنيا ، فأقاتلَ فيك ، فأقتلَ مرَّةً أخرى »^(٢) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ذُكرَ لنا أن رجلاً من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ، قالوا : يا ليتنا نعلمُ ما فعلَ إخواننا الذين قُتلوا يومَ أُحدٍ ! فأنزلَ اللهُ تبارك وتعالى فى ذلك القرآنَ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ . كنا نحدِّثُ أن أرواحَ الشهداءِ تعارفُ فى طيرٍ بيضٍ تأكلُ من ثمارِ الجنةِ ، وأن مساكنهم السُدرةُ^(٣) .

حدَّثتُ عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرِّبيعِ بنحوه ، إلا

(١) أخرجه البيهقى فى الشعب (٤٢٤١) من طريق ابن إسحاق به .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ١٢٠ ، وأخرجه الحميدى (١٢٦٥) ، وأحمد ١٦٣ / ٢٣ (١٤٨٨١) ، وعبد بن

حميد (١٠٣٨) ، وأبو يعلى (٢٠٠٢) ، والحاكم ١١٩ / ٢ ، ١٢٠ من طريق ابن عقيل به .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٥ / ٢ إلى المصنف .

أنه قال : تعارف في طير خُضِرٍ وبيضٍ . وزاد فيه أيضاً : وذِكْر لنا عن بعضهم في قوله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ ﴾ . قال : هم قتلى بدرٍ وأُحُدٍ ^(١) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن محمدِ بنِ قيسِ بنِ مخرمةَ ، قال : قالوا : ياربُّ ، أَلَا رسولٌ لنا يُخبرُ النبيَّ ﷺ عنَّا بما أعطيتنا ؟ فقال اللهُ جل وعز : أنا رسولُكم . فأمر جبريلَ عليه السلامُ أن يأتي النبيَّ ﷺ بهذه الآية : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآيتين ^(٢) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا الثوريُّ ، عن الأعمشِ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مَرَّةَ ، عن مسروقٍ ، قال : سألتنا عبدَ اللهِ ^(٣) عن هذه الآياتِ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ . قال : أرواحُ الشهداءِ عندَ اللهِ كطيرِ خُضِرٍ ، لها قناديلُ معلقةٌ بالعرشِ ، تسرَّحُ في الجنةِ حيثُ شاءت ، قال : فاطَّلِعَ إليهم ربُّك اطلاعَةً فقال : هل تشتهون من شيءٍ فأزيدَ كموه ؟ قالوا : ربَّنَا ألسنا نسرَّحُ في الجنةِ في أيُّها شئنا ! ثم اطلَّع ^(٤) إليهم الثانيةَ فقال : هل تشتهون من شيءٍ فأزيدَ كموه ؟ قالوا : ربنا ، ألسنا نسرَّحُ في أنهارِ الجنةِ في أيُّها شئنا ! ثم اطلَّعَ إليهم ^(٥) الثالثةَ فقال : هل تشتهون من شيءٍ فأزيدَ كموه ؟ قالوا : تُعيدُ أرواحنا في أجسادنا ، فتقاتلُ في سبيلِك مرةً أخرى . فسكَّت عنهم ^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٩٥ إلى المصنف .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٩٥ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) في تفسير عبد الرزاق : « عبد الله بن عمر » . وهو خطأ بين .

(٤ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٩ ، وأخرجه في مصنفه (٩٥٥٤) ومن طريقه الطبراني (٩٠٢٣) . وأخرجه مسلم

(١٨٨٧) ، والترمذي (٣٠١١) ، وابن ماجه (٢٨٠١) ، وابن منده في الإيمان (٢٤٤) ، والبيهقي ٩/١٦٣ ،

وفي الدلائل ٣/٣٠٣ ، والبعث في شرح السنة ١٠/٣٦٤ من طرق عن الأعمش به .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا ابنُ عُيينةَ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن (أبي عبيدة^(١)) ، عن عبدِ اللهِ ، أنهم قالوا فى الثالثة حينَ قال لهم : هل تشتهون من شىءٍ فأزيدَ كموه ؟ قالوا : تُقرئُ نبيناَ عنا السلامَ ، وتُخبرُهُ أنا قد رضينا ورُضى عنا^(٢) .

/حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : قال اللهُ تبارك ١٧٣/٤ وتعالى لنبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، [٧١/١١] يرعُبُ المؤمنِينَ فى ثوابِ الجهادِ^(٣) ، ويهونُ عليهم القتلَ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ أى : قد أحييتُهم ، فهم عندى يُرزقون فى رُوحِ الجنةِ وفضلِها ، مسرورين بما آتاهم اللهُ من فضلِ ثوابِهِ على جهادِهِم عنه^(٤) .

حدَّثت عن الحسينِ ، قال : سمعتُ أبا معاذٍ ، قال : ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمعتُ الضحاکَ ، قال : كان المسلمون يسألون ربَّهم أن يُريهم يوماً كيومِ بدرٍ ، يُبلون فيه خيراً ويُرزقون فيه الشهادةَ ؛ يُرزقون فيه الجنةَ ، والحياةَ فى الرزقِ ، فلقوا المشركين يوماً أحدٍ ، فاتَّخذ اللهُ منهم شهداءَ ، وهم الذين ذكَّروهم اللهُ عز وجل فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ﴾ الآية .

حدَّثنا محمد بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن الشَّدِيِّ . قال : ذَكَرَ الشهداءَ فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . إلى قولِهِ : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . وزعم أن أرواحَ الشهداءِ

(١ - ١) فى ص ، س : «أبى عيينة» ، وفى ت ١ : «ابن عيينة» . وأبو عبيدة هو ابن عبد الله بن مسعود .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٣٩ ، وأخرجه فى مصنفه (٩٥٥٥) عن ابن عيينة به .

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «الجنة» . وينظر مصدر التخريج .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/١١٩ .

فى أجواف طيرٍ خُضِرِ ، فى قناديلٍ من ذهبٍ ، معلّقةٍ بالعرشِ ، فهى تزعى بكرةً وعشيّةً فى الجنةِ ، ^(١) فإذا كان الليلُ يَبْتِنُ^(١) فى القناديلِ ، فإذا سرحن نادى منادٍ : ماذا تريدون ؟ وماذا تشتهون ؟ فيقولون : ربّنا نحن فيما اشتهت أنفسنا . فيسألهم ربّهم أيضًا : ماذا تشتهون ، وماذا تريدون ؟ فيقولون : نحن فيما اشتهت أنفسنا . فيسألون الثالثةً ، فيقولون ما قالوا ، ولكنّا نُحِبُّ أن تُرَدُّ أرواحنا فى أجسادنا . لما رَأَوْا^(٢) من فضلِ الثوابِ^(٣) .

حدّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا عبّادٌ ، قال : ثنا إبراهيمُ بنُ معمرٍ ، عن الحسنِ ، قال : ما زال ابنُ آدمَ يَتَحَمَّدُ حتى صار حيًّا ما يموتُ ، ثم تلا هذه الآيةَ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ مُرْزُقُونَ ﴾^(٣) .

حدّثنا محمدُ بنُ مرزوقٍ ، قال : ثنا عمرُ بنُ يونسَ ، ^(٤) عن عكرمة^(٤) قال : ثنا إسحاقُ بنُ أبي طلحةَ ، قال : ثنى أنسُ بنُ مالكٍ فى أصحابِ النبيِّ ﷺ ، الذين أرسلهم النبيُّ ﷺ إلى أهلِ بئرِ معونةَ ، قال : لا أدرى أربعين ، أو سبعين ، وعلى ذلك الماءِ عامرُ بنُ الطفيلِ الجعفرى ، فخرج أولئك نفرٌ من أصحابِ النبيِّ ﷺ ، حتى أتوا غارًا مشرفًا على الماءِ فقعدوا فيه ، ثم قال بعضهم لبعضٍ : أيكم يُبلِّغُ رسالةَ رسولِ اللهِ ﷺ أهلَ هذا الماءِ ؟ فقال - أراه^(٥) ابنُ ملحان^(٥) الأنصارى - : أنا أُبلِّغُ رسالةَ رسولِ اللهِ ﷺ

(١ - ١) فى ص : « بتن » . وفى ت ١ : « بيتن » . وفى م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بيت » .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يرون » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٦/٢ إلى المصنف .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س . وينظر تاريخ المصنف .

(٥ - ٥) فى النسخ : « أبو ملحان » . والمثبت من مصادر التخرىج . وهو حرام بن ملحان الأنصارى ، خال

أنس بن مالك . ينظر أسد الغابة ٤٧٣/١ ، والإصابة ٤٧/٢ .

ﷺ ، فخرج حتى ^(١) أتى جِوَاءَ^(١) منهم ، فاحتبى أمام البيوت ، ثم قال : يا أهل بئر معونة ، إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم ، إني أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فأمنوا بالله ورسوله ^(٢) ، فخرج إليه رجلٌ [٧١/١١] من يكسر البيت ^(٣) برمح ، فضرب به فى جنبه ، حتى خرج من الشقِّ الآخر ، فقال : اللهُ أكبرُ ، فزتُ وربُّ الكعبةِ . فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه فى الغارِ ، فقتلهم ^(٤) أجمعين عامرُ بنُ الطفيلِ . قال : قال إسحاقُ : حدَّثنى أنسُ بنُ مالكٍ أن الله عز وجل أنزلَ فيهم قرآناً : «^(٥) بلُّغوا قومنا عتاً أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه » . ثم نسخت فرفعت ^(٥) بعد ما قرأناه / ١٧٤/٤ زماناً ، وأنزل اللهُ عز وجل : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ^(٦) .

حدَّثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخبرنا يزيدُ ، قال : أخبرنا جويبرُ ، عن الضحَّاكِ ، قال : لما أصيب الذين أصيبوا يومَ أحدٍ من أصحابِ النبي ﷺ ، لقوا ربهم فأكرمهم ، فأصابوا الحياةَ والشهادةَ والرزقَ الطيبَ ، قالوا : ياليت بيننا وبين إخواننا من يُبلِّغهم أننا لقينا ربنا ، فرضى عنا وأرضانا ، فقال اللهُ تبارك وتعالى لهم : أنا رسولكم إلى نبيكم وإخوانكم ، فأنزل اللهُ جل ذكره على نبيه ﷺ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَلَا هُمْ

(١ - ١) فى م : « أتى حياً » . والجوَاءُ : بيوت مجتمعة من الناس على ماء . اللسان (ح و ا) .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « رسله » .

(٣) البيت : الخيمة . والكسْرُ : أسفل شقَّة البيت التى تلى الأرض من حيث يكسر جانباه ، من عن يمينك ويسارك . الصحاح (ك س ر) .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س . « فقتلهم » .

(٥ - ٥) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « رفع » . وينظر تاريخ المصنف .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ٥٤٩/٢ ، ٥٥٠ ، وأحمد ٤٢٠/٢٠ ، (١٣١٩٥) ، والبخارى (٢٨٠١) ،

(٤٠٩١) من طريق همام عن إسحاق به .

يَحْزَنُونَ ﴿١٦٩﴾ . فهذا النبأ^(١) الذي بلغ الله^(٢) رسوله والمؤمنين^(٣) ما قال الشهداء^(٤) .

وفي نصب قوله : ﴿ فَرِحِينَ ﴾ . وجهان ؛ أحدهما ، أن يكون منصوبًا على الخروج^(٤) من قوله : ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . والآخر من قوله : ﴿ يُرْزَقُونَ ﴾ . ولو كان رفعًا بالرد على قوله : « بل أحياء فرحون » ، كان جائزًا .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَنَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١٧٠) .

يعنى بذلك تعالى ذكره : ويفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم ، من جهاد أعداء الله مع رسوله ، لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم ، صاروا من كرامة الله ، إلى مثل الذي صاروا هم إليه ، فهم لذلك مستبشرون بهم ، فرحون أنهم إذا صاروا كذلك ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يعنى بذلك : لا خوف عليهم ؛ لأنهم قد أمِنوا عقاب الله ، وأيقنوا برضاه عنهم ، فقد أمِنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا ، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من أسباب الدنيا ، ونكد عيشها ، للخفص الذي صاروا إليه ، والدعة والزلفة^(٥) .

ونصب ﴿ أَلَّا ﴾ بمعنى : يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

(١) في ص ، ت ١ : « الثناء » .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ورسوله المؤمنين » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٥/٢ إلى المصنف .

(٤) يعنى بالنصب على الخروج أنه منصوب على الحالية . وانظر ما تقدم في ٣٩٩/٤ ، ٤٠٠ ، ٥٧١/٥ ، ٥٧٢ ، ٥٩٧ .

(٥) في الأصل : « الراحة » . والخفص : لين العيش وسعته . والزلفة : القربة والدرجة والمنزلة . (خ ف ض) ، اللسان (ز ل ف) .

وَبَنَحُوا مَا قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

[٧٢/١١] حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ :

﴿ وَاسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ الآية . يقول : لإخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وأمرهم ؛ لما قدموا عليه من الكرامة والفضل والنعيم الذي أعطاهم ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قَالَ : ثنى حجاجُ ، عن ابن جريج :

﴿ وَاسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ الآية . قال : يقولون ^(٢) : إخواننا يُقتلون كما قُتِلنا ، يلحقون فيصيبون من كرامة الله تعالى ما أصبنا ^(٣) .

حَدَّثَنَا عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ذُكِرَ لَنَا عَنْ

بَعْضِهِمْ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ

مُرَرِّفُونَ ﴾ . قال : هم / قتلى بدرٍ وأحُدٍ ، زعموا أن الله تبارك وتعالى لما قبض ١٧٥/٤

أرواحهم ، وأدخلهم الجنة ، جعلت أرواحهم في طيرٍ خضري تزعى في الجنة ، وتأوى

إلى قناديلٍ من ذهبٍ تحت العرشِ ، فلما رأوا ما أعطاهم الله من الكرامة ، قالوا : ليت

إخواننا الذين بعدنا يعلمون ما نحن فيه ، فإذا شهدوا قتالاً تعجلوا إلى ما نحن فيه .

فقال الله تبارك وتعالى : إني منزلٌ على نبيكم ، ومخبرٌ إخوانكم بالذي أنتم فيه .

ففرحوا به واستبشروا ، وقالوا : يُخبرُ الله نبيكم وإخوانكم بالذي أنتم فيه ، فإذا

شهدوا قتالاً أتوكم . قال فذلك قوله : ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ إلى

قوله : ﴿ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(١) ذكره الطوسي في البيان ٤٨/٣ .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يقول » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٥/٢ إلى المصنف .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَكَسَّبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ . أَى : وَيُسْرُونَ بِلُحُوقِ مَنْ لَحِقَ بِهِمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ ، عَلَى مَا مَضَوْا عَلَيْهِ مِنْ جِهَادِهِمْ ، لِيَشَرَ كُوْهُمَ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاهُمْ ، وَقَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْخَوْفَ وَالْحَزْنَ ^(١) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَكَسَّبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ . قَالَ : هُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الشَّهَادَةِ مَنْ يُسْتَشْهَدُ مِنْ بَعْدِهِمْ : ﴿ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ، حَتَّى بَلَغَ : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أحمدُ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن الشَّدِيِّ : أَمَا ﴿ وَكَسَّبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ ، فَإِنَّ الشَّهيدَ يُؤْتَى بِكِتَابٍ فِيهِ مَنْ يَقْدَمُ عَلَيْهِ مِنْ إِخْوَانِهِ وَأَهْلِهِ ، فَيُقَالُ : يَقْدَمُ عَلَيْكَ فَلَانٌ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، وَيَقْدَمُ عَلَيْكَ فَلَانٌ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا . فَيَسْتَبْشِرُ حِينَ يَقْدَمُ عَلَيْهِ ، كَمَا يَسْتَبْشِرُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِقُدُومِهِ فِي الدُّنْيَا ^(٢) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧١) .

يقولُ جلَّ ثناؤه : ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ : يفرحون ، ﴿ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ يعني : بما حباهم به تعالى ذكره [١١/٧٢٧ظ] من عظيمِ كرامته عندَ ورودِهِم عليه ، ﴿ وَفَضْلٍ ﴾ يقولُ : وبما أسبغَ عليهم من الفضلِ ، وجزيلِ الثوابِ ، على ما سلفَ منهم من طاعةِ اللَّهِ وطاعةِ ^(٣) رسوله ﷺ ، وجهادِ أعدائه ، ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(١) سيرة ابن هشام ١١٩/٢ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨١٤/٣ (٤٤٩٧) من طريق سلمة به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨١٤/٢ (٤٤٩٩) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ
مَنْ اللَّهُ وَفَضْلٍ ﴾ الآية ؛ لما عاينوا من وفاء الموعود ، وعظيم الثواب ^(١) .

واختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ فقرأ
ذلك بعضهم بفتح الألف من « أَنْ » ^(٢) ، بمعنى : يستبشرون بنعمة من الله وفضل ،
وبأن الله لا يضيع أجر المؤمنين . ^(٣) فموضع « أَنْ » إذا فُتِحَتْ خُفِضَ بالعطف على
« الفضل » . وقرأ ذلك آخرون : (وإن الله) ^(٤) بكسر الألف على الاستئناف ^(٥) .
واحتج من قرأ ذلك كذلك بأنها في قراءة عبد الله : (وَفَضْلٍ وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُؤْمِنِينَ) . قالوا : فذلك دليل على أن قوله : (وإن الله) . مستأنف غير متصل بالأول .

/ومعنى قوله : ﴿ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . لا يُنْطَلِّجُ جزاء أعمال من صدق
رسوله وأتبعه ، وعمل بما جاءه به من عند الله .

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ ﴾ . بفتح الألف ؛
لإجماع الحجة من القراءة على ذلك .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا
أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(١٧٢) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، المستجيبين لله
والرسول ، من بعد ما أصابهم الجراح والكُلوم ^(٥) ، وإنما عنى الله تعالى ذكره بذلك

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١١٩ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٨١٥ (٤٥٠٤) من طريق سلمة به .

(٢) وهى قراءة السبعة ما عدا الكسائي . ينظر كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٢١٩ .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) وهى قراءة الكسائي . ينظر المصدر السابق .

(٥) الكلوم : جمع كَلَمٌ ، وهو الجرح . اللسان (ك ل م) .

الذين اتَّبَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إلى حمراءِ الأسدِ في طلبِ العدوِّ؛ أبا سفيانَ ، ومن كان معه من مشرِكى قريشٍ ، مُنصِرَفِهِمْ عن أُحُدٍ ، وذلك أن أبا سفيانَ لما انصَرَفَ عن أُحُدٍ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَثَرِهِ ، حَتَّى بَلَغَ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ ، وَهِيَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، لِيُرِيَ النَّاسَ أَنَّ بِهِ وَأَصْحَابِهِ قُوَّةَ عَلَى عَدُوِّهِمْ .

كالذي حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثنى حَسِينُ ^(١) بِنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عن عِكْرَمَةَ ، قَالَ : كان يومُ أُحُدٍ يومَ السَّبْتِ لِلنَّصِيفِ من شَوَّالٍ ، فلما كان الغدُ من يومِ أُحُدٍ ، يومَ الأَحَدِ لَسْتُ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَّتْ من شَوَّالٍ ، أَذَّنَ مُؤَدِّنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ بِطَلَبِ الْعَدُوِّ ، وَأَذَّنَ مُؤَدِّنُهُ : أن لا يَخْرُجَنَّ مَعَنَا أَحَدٌ إِلا من حَضَرَ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ . فَكَلَّمَهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حِرَامٍ فَقَالَ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، إن أباي كان خَلْفَنِي على أَخَوَاتِي لِي سَبِيعَ ، وَقَالَ لِي : يا بُنَيَّ ، إِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِي وَلا لَكَ أن تَتْرَكَ هؤُلاءِ النِّسوةَ لا رَجُلَ فِيهِنَّ ، وَلَسْتُ بِالذِي أُوتِرُكَ بِالْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [٧٣/١١] على نَفْسِي ، فَتَخَلَّفَ على أَخَوَاتِكَ . فَتَخَلَّفْتُ عَلَيْهِنَّ . فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَخَرَجَ مَعَهُ ، وَإِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُرْهَبًا لِلْعَدُوِّ ؛ لِيَبْلُغَهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلِبِهِمْ ، لِيُظَنُّوا بِهِ قُوَّةً وَأَنَّ الذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يُوهِنَهُمْ عن عَدُوِّهِمْ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عن أَبِي السَّائِبِ مَوْلَى عَائِشَةَ بِنْتِ عَثْمَانَ ، أَنَّ رَجُلًا من أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ من بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، كان شَهِدَ أَحَدًا قَالَ :

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « حسان » . ينظر تهذيب الكمال ٦/٣٨٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ١٠١/٢ ، وأخرجه المصنف في تاريخه ٥٣٤/٢ بهذا الإسناد ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٢/٢ إلى المصنف .

شهدت مع رسول الله ﷺ أحداً وأنا وأخ لي ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو ، قلت لأخي ، أو قال لي : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وكنت أيسر مجروحاً منه ، فكننت إذا غلب حملته عُقبَةً^(١) ، ومشى عُقبَةً ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسول الله ﷺ ، حتى انتهى إلى / حمراء الأسد ، وهي من المدينة ١٧٧/٤ على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً ؛ الاثني عشر والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ . أى الجراح ، وهم الذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد ، على ما بهم من ألم الجراح ، ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾^(٣) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ الآية . وذلك يوم أحد بعد القتل والجراح ، وبعد ما انصرف المشركون ؛ أبو سفيان وأصحابه ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « ألا عصابة تنتدب^(٤) لأمر الله تطلّب عدوها ، فإنه أنكى للعدو ، وأبعد للسمع » . فانطلق عصابة منهم على ما يعلم الله تعالى من الجهد^(٥) .

(١) العقبة : الشوط . النهاية لابن الأثير ٣/ ٢٦٩ .

(٢) سيرة ابن هشام ١٠١/٢ . وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٣١٤ ، ٣١٥ من طريق ابن إسحاق به .

(٣) سيرة ابن هشام في السيرة ١٢١/٢ .

(٤) فى الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ن : « تشدد » ، وفى م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « تشد » ، والمثبت من أسباب النزول

للواحدى ، وما سياتى من حديث ابن عباس .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٨١٧ (٤٥١٣) من طريق يزيد بنحوه ، والواحدى فى أسباب النزول

ص ٩٧ من طريق سعيد به .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : انطَلَقَ أَبُو سَفِيَانَ مَنصَرِفًا مِنْ أَحَدٍ ، حَتَّى بَلَغَ بَعْضَ الطَّرِيقِ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ نَدِمُوا وَقَالُوا : بِئْسَمَا صَنَعْتُمْ ^(١) ، إِنَّكُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ تَرَكَتُمُوهُمْ ! ارْجِعُوا وَاسْتَأْصِلُوهُمْ . فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِم الرُّعْبَ ، فَهَزِمُوا ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ، فَطَلَبَهُمْ حَتَّى بَلَغَ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ ، ثُمَّ رَجَعُوا مِنْ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِمْ : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : إِنْ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ قَذَفَ فِي قَلْبِ أَبِي سَفِيَانَ الرُّعْبَ - يَعْنِي يَوْمَ أَحَدٍ - بَعْدَ مَا كَانَ مِنْهُ مَا كَانَ ، فَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنْ أَبَا سَفِيَانَ قَدْ أَصَابَ مِنْكُمْ طَرْفًا ، وَقَدْ رَجَعَ ، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ الرُّعْبَ » . وَكَانَتْ وَقَعَةُ أَحَدٍ فِي شَوَّالٍ ، وَكَانَ التُّجَارُ يَقْدَمُونَ الْمَدِينَةَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، [٧٣/١١] فَيَنْزِلُونَ بِيَدِ الصُّغْرَى فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، وَإِنَّهُمْ قَدِمُوا بَعْدَ وَقَعَةِ أَحَدٍ ، وَكَانَ أَصَابَ الْمُؤْمِنِينَ الْقَرْحُ ، وَاشْتَكَوْا ذَلِكَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَصَابَهُمْ ، وَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ نَدَبَ النَّاسَ لِيَنْطَلِقُوا مَعَهُ ، وَيَتَّبِعُوا مَا كَانُوا مُتَّبِعِينَ ، وَقَالَ ^(٣) : « إِنَّمَا يَرْتَحِلُونَ الْآنَ ، فَيَأْتُونَ الْحَجَّ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْلِهَا حَتَّى عَامٍ مُقْبِلٍ » . فَجَاءَ الشَّيْطَانُ فَخَوَّفَ أَوْلِيَاءَهُ ، فَقَالَ : إِنْ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ . فَأَبَى عَلَيْهِ النَّاسُ أَنْ يَتَّبِعُوهُ ، فَقَالَ : « إِنِّي ذَاهِبٌ ، وَإِنْ لَمْ يَتَّبِعْنِي أَحَدٌ لِأَحْضَضِ النَّاسِ » . فَانْتَدَبَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَعَمْرُ ، وَعِثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَسَعْدٌ ، وَطَلْحَةُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ،

(١) فِي ص : « صَنَعْنَا » .

(٢) عَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّر الْمَشْهُورِ ١٠٢/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ بِنَحْوِهِ .

(٣) فِي ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ذَلِكَ » .

وحذيفة بن اليمان ، وأبو عبيدة بن الجراح فى سبعين رجلاً ، فساروا فى طلب أبى سفيان ، فطلبوه حتى بلغوا الصفراء^(١) ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾^(٢) .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، قال : ثنا أبو سعيد ، عن هشام بن عروة ، / عن أبيه ، عن عائشة ، أنها قالت لعبد الله بن الزبير : يا بن أختى ، ١٧٨/٤ أما والله إن أباك وجدك - تعنى أبا بكرٍ والزبير - لمن الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾^(٣) .

حدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبِرْتُ أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ لَمَّا رَاحَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، قَالَ الْمُسْلِمُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّهُمْ عَامِدُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ . فَقَالَ : « إِنْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَتَرَكَوا الْأَثْقَالَ ، فَإِنَّهُمْ عَامِدُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَإِنْ جَلَسُوا عَلَى الْأَثْقَالِ وَتَرَكَوا^(٤) الْخَيْلَ ، فَقَدْ رَعَبَهُمُ^(٥) اللَّهُ وَلَيْسُوا بِعَامِدِيهَا » . فَرَكِبُوا الْأَثْقَالَ ، فَرَعَبَهُمُ اللَّهُ ، ثُمَّ نَدَبَ نَاسًا يَبْتَعُونَهُمْ ؛ لِيُرُوا أَنَّ بِهِمْ قُوَّةً ، فَأَتَبَعُوهُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَنَزَلَتْ : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾^(٦) .

(١) فى ص ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الصفا » ، والصفراء : واد من ناحية المدينة ، وهو واد كثير النخل والزروع والخير فى طريق الحاج . معجم البلدان ٣/٣٩٩ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠١/٢ إلى المصنف ، وينظر تفسير ابن كثير ١٤٥/٢ .

(٣) أخرجه الحاكم ٢/٢٩٨ من طريق هاشم بن القاسم به ، وفيه هشام بن القاسم ، وهو خطأ ، وينظر تهذيب الكمال ٣٠/١٣٠ .

(٤) فى ص ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ركبوا » .

(٥) فى م : « أربعهم » .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٢/٢ إلى المصنف .

حدَّثني سعيدُ بنُ الرَّبيع ، قال : ثنا سفيانُ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، قال :
 قالت لى عائشةُ : إن كان أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسولِ من بعد ما أصابهم
 القرْح . تعنى أبا بكرٍ والزبير^(١) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريزٌ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ ، قال : كان عبدُ اللهِ
 من الذين استجابوا لله والرسولِ^(٢) .

قال أبو جعفرٍ : فوعَد اللهُ مُحسِنَ مَنْ ذَكَرْنَا أمرَه - من أصحابِ رسولِ
 اللهِ ﷺ ؛ الذين استجابوا لله والرسولِ من بعد ما أصابهم القرْح ، إذا اتقى اللهُ عز وجل
 فخافه ، فأدَّى فرائضَه ، وأطاعه فى أمرِه ونهيه فيما يستقبلُ من عُمرِه - أجراً عظيماً ،
 وذلك الثوابُ الجزيلُ ، والجزاءُ العظيمُ ، على ما قدَّم من صالحِ أعمالِه فى الدنيا .

[٧٤/١١] القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا
 لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) .

يعنى بذلك تعالى ذِكْرُه : وأن اللهُ لا يُضِيعُ أجْرَ المؤمنين ، الذين قال لهم
 الناسُ : إن الناسَ قد جمعوا لكم . و ﴿ الَّذِينَ ﴾ فى موضعِ خفضٍ ، مردودٌ على
 ﴿ المؤمنين ﴾ . وهذه الصفةُ من صفةِ الذين استجابوا لله والرسولِ . و ﴿ النَّاسُ ﴾
 الأوَّلُ : هم قومٌ - فيما ذُكر لنا - كان أبو سفيانٌ قد سألهُم أن يُبْطِوا رسولَ اللهِ ﷺ
 وأصحابه الذين خرَّجوا فى طلبِه بعد مُنصرفِه عن أحدٍ إلى حمراءِ الأسدِ .
 و ﴿ النَّاسُ ﴾ الثانى : هم أبو سفيانٌ وأصحابُه من قريشِ الذين كانوا معه بأحدٍ .

(١) أخرجه الحميدى (٢٦٣) ، وسعيد بن منصور فى سننه (٥٤٥ - تفسير) ، وابن ماجه (١٢٤) ، وابن أبى
 داود فى مسند عائشة (١٦) ، وابن عساکر فى تاريخ دمشق ٣٥٨/١٨ ، ٣٥٩ ، من طريق سفيان به بنحوه .
 وأخرجه ابن سعد ١٠٤/٣ ، والبخارى (٤٠٧٧) ، ومسلم (٢٤١٨) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٨١٥/٣
 (٤٥٠٧) ، والحاكم ٢٩٨/٢ ، والبيهقى فى دلائل النبوة ٣١٢/٣ من طريق هشام بن عروة به بنحوه .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٢/٢ إلى المصنف .

يعنى بقوله : ﴿ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ . قد جمعوا الرجال للقائكم والكرّة إليكم لحربكم . ﴿ فَأَخَشَوْهُمْ ﴾ ، يقول : فاحذروهم ، واتّقوا لقاءهم ؛ فإنه لا طاقة لكم بهم . ﴿ فزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾ ، يقول : فزادهم ذلك من تخويف من خوّفهم أمر أبى سفيان وأصحابه من المشركين ، يقيّننا إلى يقينهم ، وتصديقاً لله ولوعده ووعده رسوله إلى تصديقهم ، ولم يُثنيهم ذلك عن وجههم ، الذى أمرهم رسول الله ﷺ بالسير فيه . ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه . ﴿ وَقَالُوا ﴾ - ثقة بالله ، وتوكلاً عليه ، إذ خوّفهم من خوّفهم أبى سفيان وأصحابه من المشركين - : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ . يعنى بقوله : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ . كفانا^(١) الله ، يعنى^(٢) : يكفيننا الله . ﴿ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ، يقول : ونعم المولى لمن وليه وكفله .

وإنما وصف تعالى نفسه بذلك ؛ / لأن « الوكيل » فى كلام العرب : هو المُسَنَدُ ١٧٩/٤ إليه القيامُ بأمرٍ من أسند إليه القيامُ بأمره ، فلما كان القومُ الذين وصفهم الله بما وصفهم به فى هذه الآيات ، قد كانوا فوضوا أمرهم إلى الله ، ووثقوا به ، وأسندوا ذلك إليه ، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك ، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة ، فقال : ونعم الوكيلُ اللهُ تعالى لهم .

واختلف أهل التأويل فى الوقت الذى قال من قال لأصحاب رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ ؛ فقال بعضهم : قيل ذلك لهم فى وجههم الذى خرجوا فيه مع رسول الله ﷺ من أحد إلى حمراء الأسد ، فى طلب أبى سفيان ومن معه من المشركين .

(١) فى ص ، ت ، ١ ، س : « كفيننا » .

(٢) فى ص ، ت ، ١ ، س : « بمعنى » .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ ، وَذِكْرُ السَّبَبِ

الذی من أجله قيل ذلك ، ومن قائله

[٧٤/١١ ط] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزِيمٍ ، قَالَ : مرَّ به - یعنی برسولِ اللَّهِ ﷺ - مَعْبُدُ الْخَزَاعِئِي بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ ، وَكَانَتْ خِزَاعَةٌ ، مُسَلَّمُهُمْ وَمَشْرُكُهُمْ ، عَيْبَةٌ^(١) نُصِحَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِتِهَامَةٍ ، صَفَّقْتُهُمْ مَعَهُ ، لَا يُخْفُونَ عَلَيْهِ شَيْئًا كَانَ بِهَا ، وَمَعْبُدٌ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ فِي أَصْحَابِكَ ، وَلَوِ دِدْنَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ أَعْفَاكَ فِيهِمْ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَمْرَاءِ^(٢) الْأَسَدِ ، حَتَّى لَقِيَ أَبَا سَفِيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمِنْ مَعَهُ بِالرُّوحَاءِ ، قَدْ أَجْمَعُوا الرُّجْعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، وَقَالُوا : أَصَبْنَا حَدًّا^(٣) أَصْحَابِهِ وَقَادَتْهُمْ وَأَشْرَفَهُمْ ، ثُمَّ نَرِجِعُ قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ ؟! لَنُكْرَهُنَّ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ ، فَلَنَفْرُغَنَّ مِنْهُمْ . فَلَمَّا رَأَى أَبُو سَفِيَانَ مَعْبُدًا ، قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبُدُ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرْ مِثْلَهُ قَطُّ ، يَتَحَرِّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا ، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا ، فِيهِمْ^(٤) مِنَ الْحَقِّ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ^(٥) لَمْ أَرْ مِثْلَهُ قَطُّ . قَالَ : وَيَلَيْكَ مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ تَرْتَحِلُ حَتَّى تَرَى نَوَاصِيَ الْخَيْلِ . قَالَ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَجْمَعْنَا الْكِرَّةَ عَلَيْهِمْ لِنَسْتَأْصِلَ بِبَقِيَّتِهِمْ ، قَالَ : فَإِنِّي أَنهَاكَ عَنْ ذَلِكَ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ حَمَلْتَنِي مَا رَأَيْتُ عَلَى أَنْ قَلْتُ فِيهِ آيَاتًا مِنْ شَعِيرٍ ! قَالَ : وَمَا قَلْتُ ؟ قَالَ : قَلْتُ^(٦) :

(١) عيبة الرجل : موضع سره . النهاية ٣/٣٢٧ ، واللسان (ع ي ب) .

(٢) في م : « من حمراء » .

(٣) في ص ، س : « محمد او » ، وفي م ، ت ، ٢ ، ٣ : « في أحد » . وينظر سيرة ابن هشام ٢/١٠٢ ، ١٠٣ .

(٤) في م : « فهم » .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « بشيء » .

(٦) الآيات في سيرة ابن هشام ٢/١٠٣ .

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي
 تَرْدِي ^(٣) بِأَسَدٍ كَرَامٍ لَا تَنَابِلَةَ ^(٤)
 إِذْ سَالَتِ الْأَرْضَ بِالْجُرُودِ ^(١) الْأَبَايِلِ ^(٢)
 عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلٍ ^(٥) مَعَازِيلِ ^(٦)
 لَمَّا سَمَوْا بِرِئِيسٍ غَيْرِ مَحْذُولٍ
 فَظَلَّتْ عَدْوًا ^(٧) أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً
 إِذَا تَغَطَّمَتِ ^(٨) الْبَطْحَاءُ بِالْجَلِيلِ ^(٩)
 لِكُلِّ ذِي إِزْبَةِ مِنْهُمْ وَمَعْقُولٍ
 إِنَّنِي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَنِيْلِ ^(١٠) ضَاحِيَةً
 مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لَا وَخْشٍ ^(١١) تَنَابِلَةَ

(١) الجرد: جمع أجرد، وهو القصير الشعر من الخيل، وقيل: الخيل العتاق. شرح غريب السيرة ١١٧/٢، ١١٨، واللسان (ج ر د).

(٢) الأبايل: الجماعات المتفرقة. اللسان (أ ب ل).

(٣) ردت الخيل تردى: رجعت الأرض بحوافرها في سيرها أو عدوها. ينظر غريب السيرة ١١٨/٢، واللسان (ر د ي).

(٤) التنايلة: جمع تنبال، والتنبال: القصير. اللسان (ت ن ب ل).

(٥) في الأصل، ص، ت، ٢، ت، ٣، س: «حرق». والميل: جميع أميل، وهو الذي يميل على السرج في جانب لا يستوى عليه، وقيل: هو الذي لا سيف معه ولا رمح أو لا ترس معه. ينظر غريب السيرة ١١٨/٢، واللسان (م ي ل).

(٦) المعازيل: الذين لا سلاح معهم. غريب السيرة ١١٨/٢، اللسان (ع ز ل).

(٧) العدو: مشى سريع. غريب السيرة ١١٨/٢.

(٨) تغطمت: اهترت. وارتجت، والبطحاء: السهل من الأرض. غريب السير ١١٨/٢.

(٩) في ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «بالخيل»، وغير منقوطة في ص. والجيل: الصنف من الناس. ينظر غريب السيرة ١١٨/٢، والخيل بالفتح: اسم للأفراس والفرسان جميعاً. تاج العروس (خ ي ل). قال السهيلي في الروض الأنف ٤٨/٦، ٤٩: قوله: بالخيل: جعل الردف - وهو الحرف الذي يكون قبل حرف الروى - حرف لين، والأبيات كلها مُردّفة الروى بحرف مد ولين. وهذا هو السناد.

(١٠) البسل: الحرام. وأراد بأهل البسل قريشاً؛ لأنهم أهل مكة، ومكة حرام. غريب السيرة ١١٨/٢، واللسان (ب س ل).

(١١) الوخش: رذالة الناس وأخساؤهم. اللسان (و خ ش).

قال : فثنى ذلك أبا سفيانَ ومن معه ، ومرَّ به رَكْبٌ من عبدِ القَيْسِ ، فقال :
 أين تريدون ؟ قالوا : نريدُ المدينةَ . قال : ولمَّ ؟ قالوا : نريدُ الميرةَ . قال : فهل أنتم
 مُبلِّغون عنى محمدًا رسالةً أرسلُكم بها إليه ^(١) ، وأحمَلُ لكم إيلكم هذه غداً زبيئاً
 بعكاظٍ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمَعنا السيرَ
 إليه وإلى أصحابِه ؛ لنستأصلَ بقيتَهم ، فمرَّ الرُّكْبُ برسولِ اللهِ ﷺ وهو بحمراءِ
 الأسدِ ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيانَ ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ ^(٢) : « حَسْبُنَا اللهُ ونعم
 الوكيلُ » ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ ، قال : فقال اللهُ : ﴿ الَّذِينَ
 قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ
 وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ . [٧٥/١١] والناسُ الذين قال لهم ما قالوا ، نفرٌ من عبدِ القيسِ ،
 الذين قال لهم ^(٤) أبو سفيانَ ما قال ؛ إن أبا سفيانَ ومن معه راجعون إليكم . يقولُ اللهُ
 تبارك وتعالى : ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ شُؤٌّ ﴾ الآية ^(٥) .

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدٌ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : لما
 ندموا - يعنى : أبا سفيانَ وأصحابَه - على الرجوعِ عن رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه
 وقالوا : ارجعوا فاستأصلوهم فقذف اللهُ في قلوبهم الرُّعبَ فهزِموا ، فلَقُوا أعرابِيًّا ،
 فجعلوا له جُعلًا ، فقالوا له : إن لقيتَ محمدًا وأصحابَه فأخبرهم أنا قد جمَعنا لهم ،

(١) سقط من : ص ، م ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س .

(٢) بعده فى الأصل : « وأصحابه » .

(٣) سيرة ابن هشام ١٠٢/٢ ، ١٠٣ ، وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٣١٥ ، ٣١٦ من طريق ابن إسحاق به .

(٤) بعده فى ص ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « الناس » .

(٥) سيرة ابن هشام ١٢١/٢ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٨١٨ (٤٥١٧) من طريق سلمة به .

فَأخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ رَسُولَهُ ﷺ ، فَطَلَبَهُمْ حَتَّى بَلَغَ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ ، فَلَقُوا الْأَعْرَابِيَّ فِي الطَّرِيقِ ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَيْرَ ، فَقَالُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . ثُمَّ رَجَعُوا مِنْ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ ، وَفِي الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي لَقِيَهُمْ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : اسْتَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ فِي مُنْصَرَفِهِ مِنْ أُحُدٍ عَيْرًا وَارِدَةً الْمَدِينَةَ بِيضَاعِيَةً لَهُمْ ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ جِبَالٌ ، فَقَالَ : إِنْ لَكُمْ عَلَيَّ رِضَاكُمْ إِنْ أَنْتُمْ رَدَدْتُمْ عَنِّي مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ ، إِنْ أَنْتُمْ وَجَدْتُمُوهُ فِي طَلْبِي ، وَأَخْبَرْتُمُوهُ أَنِّي قَدْ جَمَعْتُ لَهُ جُمُوعًا كَثِيرَةً ، فَاسْتَقْبَلَتِ الْعَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنْ نَخْبِرُكَ أَنْ أَبَا سَفْيَانَ قَدْ جَمَعَ لَكَ جُمُوعًا كَثِيرَةً ، وَأَنَّهُ مَقْبَلٌ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرْجِعَ فَافْعَلْ ، وَلَمْ يَزِدْهُ ذَلِكَ وَمِنْ مَعَهُ إِلَّا يَقِينًا ، وَقَالُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بَعْدَ مَا انْصَرَفَ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ أُحُدٍ خَلْفَهُمْ ، حَتَّى كَانُوا بِذِي الْحُلَيْفَةِ ، فَجَعَلَ الْأَعْرَابُ وَالنَّاسُ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ : هَذَا أَبُو سَفْيَانَ مَائِلٌ عَلَيْكُمْ بِالنَّاسِ ، فَقَالُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٢/٢ إلى المصنف .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٣/٢ إلى المصنف .

وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١﴾ .

١٨١/٤ /وقال آخرون : بل قال ذلك لرسول الله ﷺ وأصحابه من قال ذلك له في غزوة بدرِ الصغرى ، وذلك في مسيرِ النبي ﷺ من عامِ قَابلٍ من وقعةِ أُحُدٍ ، للقاءِ عدوِّه أبي سفيانَ وأصحابه ، للموعِدِ الذى كان واعدَه الالتقاءَ بها .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِهِ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ . قال : هذا أبو سفيانَ ، قال لمحمدٍ ﷺ : موعِدُكم بدرٌ حيثُ قتلتمُ أصحابنا . فقال محمدٌ ﷺ : « عسى » . فانطلق رسولُ اللهِ ﷺ [٧٥/١١] لموعِدِهِ حتى نزلَ بدرًا ، فوافقوا السوقَ فيها ، وابتاعوا ، فذلك قولُهُ تبارك وتعالى : ﴿ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ ﴾ . وهى غزوةُ بدرِ الصغرى ^(١) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ بنحوِهِ ، وزاد فيه : وهى بدرُ الصغرى . قال ابنُ جريجٍ : لما عمَدَ النبيُّ ﷺ لموعِدِ أبى سفيانَ ، فجعلوا يلقَوْنَ المشركينَ ، ويسألونهم عن قريشٍ ، فيقولون : قد جمعوا لكم . يكيدهونهم بذلك ، يريدون أن يزعبوهم ، فيقولُ المؤمنون : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ . حتى قَدِموا بدرًا ، فوجدوا أسواقها عافيةً لم ينازعهم فيها أحدٌ ، وقَدِمَ رجلٌ من المشركينَ ، فأخبرَ أهلَ مكةَ بخيَلِ محمدٍ عليه السلامُ ، وقال

(١) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ٩٧ من طريق سعيد به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨١٩/٢ (٤٥٢٣) من طريق ابن أبى نجيح به .

في ذلك ^(١) :

نَفَرْتُ قَلُوصِي عَنْ خِيُولِ مُحَمَّدٍ
وَعَجْوَةٍ مَنشُورَةٍ كَالْعُنْجُدِ ^(٢)
وَاتَّخَذْتُ مَاءَ قُدَيْدٍ ^(٣) مَوْعِدِي

قال أبو جعفرٍ : هكذا أنشدنا القاسمُ ، وهو خطأ ، وإنما هو :

قَد نَفَرْتُ مِنْ رُفْقَتِي مُحَمَّدٍ
وَعَجْوَةٍ مِنْ يَثْرِبِ كَالْعُنْجُدِ
تَهْوِي عَلَى دِينِ أَبِيهَا الْأَثْلُدِ
قَد جَعَلْتُ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي
وَمَاءَ ضَجْنَانَ لَهَا ضُحَى الْغَدِ ^(٤)

حدَّثني الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا ابنُ عُيينَةَ ، عن عمرو ، عن عكرمة ، قال : كانت بدرٌ متجرًا في الجاهلية ، فخرج ناسٌ من المسلمين يريدونه ، فلقبهم ناسٌ من المشركين ، فقالوا لهم : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ . فأما الجبانُ فرجع ، وأما الشجاعُ فأخذ الأهبة للقتالِ ، وأهبة التجارة ، وقالوا : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ . فأتوهم فلم يلقوا أحدًا ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ فيهم : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ ^(٥) .

(١) هو معبد بن أبي معبد الخزاعي .

(٢) العنجد : حب العنب ، ويقال : هو الزبيب الأسود . اللسان (عنجد) .

(٣) قديد : اسم موضع قرب مكة . معجم البلدان ٤/٤٢ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٢١٠ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ١٤٩/٢ عن المصنف .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٤٠ ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٤٣ - تفسير) ، وابن أبي حاتم في

تفسيره ٣/٨١٨ (٤٥٢٢) من طريق سفيان بن عيينة به .

/ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي زَكْرِيَا ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : هِيَ كَلِمَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، فَقَالَ : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ^(١) .

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : إن الذي قيل لرسول الله ﷺ وأصحابه ، من أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم . كان في حال خروج رسول الله ﷺ ، وخروج من خرج معه في أثر أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش ، منصرفهم عن أحد إلى حمراء الأسد ؛ لأن الله تعالى ذكره إنما مدح الذين وصفهم بقيلهم : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ . لما قيل لهم : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ . بعد الذي قد كان نالهم من القروح والكُلوم ، بقوله : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ . ولم تكن هذه الصفة إلا صفة من تبع رسول الله ﷺ ، من جرّحى أصحابه بأحد إلى حمراء الأسد .

فأما ^(٢) الذين خرجوا معه إلى غزوة بدر الصغرى ، فإنه لم يكن فيهم جريح ، إلا جريح قد تقدم اندمال جرحه ، وبرأ كلمته . وذلك أن رسول الله ﷺ ، [٧٦/١١] إنما خرج إلى بدر الخرجة الثانية إليها لموعدي أبي سفيان الذي كان واعدده اللقاء بها بعد سنة من غزوة أحد ^(٣) في قول بعض ، وفي قول آخرين : خرج إليها بعدما مضى عشرة أشهر من أحد ^(٤) ، في شعبان سنة أربع من الهجرة . وذلك أن وقعة أحد كانت في النصف من شوال من سنة ثلاث ، وخروج النبي ﷺ لغزوة بدر الصغرى إليها في شعبان من سنة أربع ، ولم يكن للنبي ﷺ بين ذلك وقعة مع المشركين كانت بينهم فيها حرب جرح فيها

(١) تفسير عبد الرزاق ١/٤٠١ ، وأخرجه ابن أبي شيبة ٣٥٣/١٠ من طريق الشعبي بنحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/١٠٣ إلى ابن المنذر .

(٢) بعده في م : « قول » .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

أصحابه ، ولكن قد كان قُتِلَ في وقعة الرِّجِيعِ من أصحابه جماعةٌ لم يشهد أحدٌ منهم غزوة بدرِ الصُّغرى ، وكانت وقعة الرِّجِيعِ فيما بينَ وقعة أُحُدٍ ، وغزوة النبي ﷺ بدرًا الصُّغرى .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ وَفَضْلِ لَمْ يَمَسَّ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٧٤) .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ ﴾ . فانصرف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرخ ، من وجههم الذى توجَّهوا فيه ، وهو سيِّئهم فى أثرِ عدوِّهم إلى حمراءِ الأسد . ﴿ بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ ﴾ ، يعنى : بعافية من ربِّهم ، لم يلقوا بها عدوًّا ، ﴿ وَفَضْلٍ ﴾ ، يعنى ما^(١) أصابوا فيها من الأرباح بتجاريتهم التى تجرَّوا بها ، والأجر الذى اكتسبوه ، ﴿ لَمْ يَمَسَّ سُوءٌ ﴾ . يعنى : لم ينلهم بها مكروة من عدوِّهم ولا أذى ، ﴿ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ . يعنى بذلك : أنهم أرضوا الله بفعلهم ذلك ، واتباعهم رسوله إلى ما دعاهم إليه ، من اتباع أثر^(٢) العدو وطاعتهم ، ﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ . يعنى : واللَّهُ ذو إحسانٍ وطولٍ عليهم ، بصرفِ عدوِّهم الذى كانوا قد همُّوا بالكثرةِ إليهم ، وغير ذلك من أياديه عندهم ، وعلى غيرهم بنعمه ، ﴿ عَظِيمٍ ﴾ عند من أنعم به عليه من خلقه .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ من أهلِ التأويلِ .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيح ، عن مجاهد : ﴿ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ وَفَضْلٍ ﴾ . قال : والفضل ما أصابوا من

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أمر » .

التجارة والأجر^(١) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : وافقوا السوق فابتاعوا ، وذلك قوله : ﴿ فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ . قال : الفضل ما أصابوا من التجارة والأجر . قال ابن جريج : ما أصابوا من البيع نعمة من الله وفضل ، أصابوا عفوه وعزته ، لا ينازِعُهُم فِيهِ أَحَدٌ . قال : وقوله : ﴿ لَمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ ﴾ . قال : قَتْلٌ . ﴿ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ . قال : طاعة النبي ﷺ .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ . لما صرف عنهم من لقاء عدوهم^(٢) .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أطاعوا الله ، وابتغوا حاجتهم ، ولم يؤذهم أحدٌ : ﴿ فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾^(٣) .

حدَّثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدي ، قال : أعطى رسول الله ﷺ أصحابه^(٤) - يعني : حين خرج إلى غزوة بدر الصغرى - بدير دراهم ابتاعوا بها من موسم بدر ، فأصابوا تجارة ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ . أما « النعمة » فهي العافية ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨١٩/٣ (٤٥٢٦) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٤/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) سيرة ابن هشام ١٢١/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٢٠/٣ (٤٥٣٢) من طريق آخر عن ابن إسحاق به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨١٩/٣ ، ٨٢٠ ، (٤٥٢٩) ، (٤٥٣١) عن محمد بن سعد به .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

وأما « الفضل » فالتجارة ، و « السوء » القتل^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : إنما الذى قال لكم ، أيها المؤمنون : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ فخوفوكم بجموع عدوكم ، ومسيرهم إليكم ، من فعل الشيطان ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم ، يخوفكم بأوليائه من المشركين ؛ أبى سفيان وأصحابه من قريش ، لتزهبوهم ، وتجنّبوا عنهم .

كما حدّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ : يخوف والله المؤمن بالكافر ، ويُرهب المؤمن بالكافر^(٢) .

حدّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد قوله : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ . قال : يخوف المؤمنين بالكفار^(٣) .

حدّثنى محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ . يقول : الشيطان يخوف المؤمنين بأوليائه^(٤) .

حدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ

يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ : / أى : أولئك الرهط - يعنى نفر من عبد القيس - الذين قالوا ١٨٤/٤

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٨١٩ ، ٨٢٠ ، (٤٥٢٥ ، ٤٥٣٠) من طريق أحمد بن مفضل به ، و٣/٨١٩ عقب الأثر (٤٥٢٦) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٨٢١ (٤٥٣٧) من طريق يزيد به .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/١٠٤ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/١٠٤ إلى المصنف ، وذكره بنحوه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٨٢٠ عقب الأثر (٤٥٣٣) معلقاً عن العوفى عن ابن عباس .

لرسول الله ﷺ ما قالوا، وما ألقى الشيطانُ على أفواههم، ﴿يُخَوِّفُ﴾ [١١/٢٧٧] **أَوْلِيَاءَهُمْ** . أى : يُزهِبُكُمْ بِأَوْلِيَاءِهِ ^(١) .

حدّثنى يونس ، قال : أخبرنا على بن معبد ، عن عتاب بن بشير ، مولى قريش ، عن سالم الأفطس فى قوله : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ . قال : يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَاءِهِ .

وقال آخرون : معنى ذلك : إنّما ذلكم الشيطان يعظّم أمرَ المشركين ، أيها المنافقون ، فى أنفسكم لتخافونه ^(٢) .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي ، قال : ذكر أمرَ المشركين وعظّمهم فى أعين المنافقين ، فقال : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ . يقول : يعظّم أولياءه فى صدوركم فتخافونهم ^(٣) .

فإن قال قائل : وكيف قيل : ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ . وهل يخوفُ الشيطانُ أولياءه ؟ ^(٤) وكيف قيل : إن كان معناه : يخوفُكم بأوليائه : ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ ؟

قيل : ذلك نظيرُ قوله : ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف : ٢] . بمعنى : لينذرَكم بأسه الشديد ، وذلك أن البأس لا يُنذَرُ ، وإنما يُنذَرُ به ^(٥) .

وقد كان بعضُ أهل العربية من أهل البصرة يقول : معنى ذلك : يخوفُ الناسُ

(١) سيرة ابن هشام ١٢١/٢ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٢١/٢ (٤٥٤٠) من طريق سلمة به .

(٢) فى ص ، ت ، ١ ، س : « فتخافوه » . وفى م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فتخافونه » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٢٠/٣ (٤٥٣٥) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٥) ينظر معانى القرآن للفراء ١/٢٤٨ .

أولياءه ، كقولِ القائلِ : هو يُعْطِي الدراهمَ ، ويكسو الثيابَ . بمعنى : هو يُعْطِي الناسَ الدراهمَ ، ويكسُوهم الثيابَ ، فحذف ذلك للاستغناء عنه . وليس الذي شبهه من ^(١) ذلك بمشبهه ^(٢) ؛ لأن الدراهمَ في قولِ القائلِ : هو يُعْطِي الدراهمَ . معلومٌ أن المعطى هي الدراهمُ ، وليس كذلك الأولياءُ في قوله : ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ . مخوفين ، بل التخويفُ من الأولياءِ لغيرهم ، فلذلك افترقا .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾ .

يعنى تعالى ذكره : فلا تخافوا أيها المؤمنون المشركين ، ولا يعظمن عليكم أمرهم ، ولا تزهبوا جمعهم مع طاعتكم إياي ؛ ما أطعتموني ، واتبعتم أمرى ، وإني متكفل ^(٣) لكم بالنصرِ والظفرِ ، ولكن خافون ، واتقوا أن تعصوني ، وتخالفوا أمرى ، فتهلكوا ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ . يقول : ولكن خافونى دونَ المشركين ، ودونَ جميعِ خلقى أن تخالفوا أمرى ، إن كنتم مصدقى رسولى ، وما جاءكم به من عندى .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ .

[٧٧/١١] يقول تعالى ذكره : ولا يحزنك يا محمدُ كفرُ الذين يسارعون فى الكفرِ ، مرتدّين على أعقابهم من أهلِ النفاقِ ، فإنهم لن يضرُّوا اللهَ شيئاً بمسارعتهم فى الكفرِ ، كما أن مسارعتهم لو سارعوا إلى الإيمانِ لم تكنْ بنافعته ، فكذلك مسارعتهم إلى الكفرِ غيرُ ضارّة .

(١) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س .

(٢) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ : « بمشبهه » .

(٣) فى ص ، ت ، ١ ، س : « متكلف » .

/ كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ . يعني : إنهم ^(١) المنافقون ^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ . أي : المنافقون ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٤) .

يعنى بذلك جل ثناؤه : يريد الله ألا يجعل لهؤلاء الذين يسارعون في الكفر نصيباً في ثواب الآخرة ، فلذلك خذلهم فسارعوا فيه ، ثم أخبر أنهم مع جرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة ، لهم عذاب عظيم في الآخرة ، وذلك عذاب النار .

وقال ابن إسحاق في ذلك بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ ﴾ : أن يُحِطَ أعمالهم ^(٤) .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٥) .

يعنى بذلك تعالى ذكره المنافقين الذين تقدم إلى نبيه ﷺ فيهم ، ألا يحزنه مسارعتهم إلى الكفر ، فقال لنبيه ﷺ : إن هؤلاء الذين ابتاعوا الكفر بإيمانهم ، فارتدوا عن إيمانهم بعد دخولهم فيه ، ورضوا بالكفر بالله وبرسوله ، عوضاً من

(١) في م : « هم » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٦٢ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٢٢/٣ (٤٥٤٥) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ١٠٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) سيرة ابن هشام ١٢١/٢ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٢٢/٣ (٤٥٤٦) ، من طريق سلمة به .

الإيمان ، لن يضروا الله بكفرهم ، وارتدادهم عن إيمانهم شيئاً ، بل إنما يضرون بذلك أنفسهم بإيجابهم بذلك لها من عقاب الله ما لا قبل لها به .

وإنما حثَّ اللهُ عزَّ ذكره بهذه الآيات من قوله : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللهُ ﴾ . إلى هذه الآية - عبادة المؤمنين على إخلاص اليقين ، والانقطاع إليه في أمورهم ، والرضا به ناصراً وحده دون غيره من سائر خلقه ، ورغب بذلك في جهاد أعدائه وأعداء دينه ، وشجع بها قلوبهم ، وأعلمهم أن من وليه بنصره ، فلن يُخذَل ، ولو اجتمع عليه جميع من خالفه وحادّه ، وأن من خذله ، فلن ينصره ناصراً ينفعه نصره [٧٨/١١] ولو كثرت أعوانه ^(١) ونصراؤه .

كما حدثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ ﴾ : أى المنافقين ، ﴿ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : أى مُوجِع .

حدثني محمد بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هم المنافقون ^(٢) .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ .

/ يعنى بذلك تعالى ذكره : ولا يظنُّ الذين كفروا بالله ورسوله ، وما جاء به ١٨٦/٤ من عند الله ، أن إملاءنا لهم ^(٣) خيرٌ لأنفسهم .

ويعنى بالإملاء : الإطالة فى العمر ، والإنساء فى الأجل ، ومنه قوله جل ثناؤه :

(١ - ١) فى م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أو نصراؤه » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٨٢٣/٣ (٤٥٥٠) من طريق ابن أبي نجيح به .

(٣) فى الأصل : « إياهم » .

﴿وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ [مريم : ٤٦] . أى حينًا طويلًا . ومنه قيل : عِشْتِ طويلاً ،
وتملّيت حبيبا^(١) . والملا نفسه : الدهرُ ، والمَلَوَانُ : الليل والنهار . ومنه قولُ تميم بنِ
مُقَيْلٍ^(٢) :

ألا يا ديارَ الحَيِّ بالسَّبُعَانِ^(٣) أملٌ عليها باليلَى المَلَوَانِ
يعنى بالمَلَوَيْنِ^(٤) : الليل والنهار .

وقد اختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ
لَّأَنفُسِهِمْ﴾ ؛ فقرأ ذلك جماعة منهم : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء ، وفتح الألف من
قوله : ﴿أَنَّمَا﴾ ، على المعنى الذى وصفتُ من تأويله^(٥) . وقرأه آخرون : (وَلَا
تَحْسَبَنَّ) بالتاء ، و ﴿أَنَّمَا﴾ ، أيضا بفتح الألف من «أَمَّا» ، بمعنى : وَلَا تَحْسَبَنَّ يَا
مُحَمَّدُ أَنْتَ^(٦) الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ^(٧) .

فإن قال قائلٌ : فما الذى من أجله فُتِحَتِ الألفُ من قوله : ﴿أَنَّمَا﴾ . فى قراءة
من قرأ : (تَحْسَبَنَّ) . بالتاء ، وقد علمت أن ذلك إذا قرئ بالتاء ، فقد أعملت
﴿تَحْسَبَنَّ﴾ فى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، وإذا أعملتها فى ذلك لم يَجُزْ لها أن تقع على
«أَمَّا» ؛ لأن «أَمَّا» إنما يعمل فيها عاملٌ يعمل فى شيئين نصبا ؟

قيل : أما الصوابُ فى العربية ، ووجهُ الكلامِ المعروفِ من كلامِ العربِ كَسُرِّ

(١) فى الأصل ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « حينًا » . وفى ص : « حينيا » . والمثبت هو الصواب ، وتملّيت
حبيبا : عشت معه ملاوة من دهرك وتمتعت به . اللسان (م ل ي) .

(٢) ديوانه ص ٣٣٥ .

(٣) السبعان : موضع معروف فى ديار قيس ، وقيل : هو جبل قبل فلج . ينظر معجم البلدان ٣/٣٣ .

(٤) فى ص ، م : « بالملوان » .

(٥) هذه قراءة العشرة إلا حمزة . ينظر السبعة ص ٢١٩ ، والنشر ٢/١٨٤ .

(٦) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٧) هذه قراءة حمزة ، ووافقها المطوعى . ينظر المصدران السابقان ، وينظر إنحاف فضلاء البشر ص ١١٠ .

« إِنَّ » إذا قُرِئَتْ (تَحْسَبَنَّ) بالتاء ؛ لأن (تَحْسَبَنَّ) إذا قُرِئَتْ بالتاء ، فإنها قد نَصِبَتْ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، فلا يجوزُ أن تَعْمَلَ ، وقد نَصَبْتُ اسْمًا ، في « أن » ، ولكني أَظُنُّ أن من قرأ ذلك بالتاء في (تَحْسَبَنَّ) ، وفتح الألفِ من ﴿أَنَّمَا﴾ ، إنما أراد تَكْرِيرَ (تَحْسَبَنَّ) على ﴿أَنَّمَا﴾ ، كأنه قصد إلى أن معنى الكلام : ولا تحسبنَّ يا محمد أنت الذين كفروا ، لا تحسبنَّ أنما نملئ لهم خيرًا لأنفسهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴾ [محمد : ١٨] بتأويل : هل ينظرون إلا الساعة ، هل ينظرون إلا أن تأتيهم بغتة ؟ وذلك وإن كان وجهًا جائزًا في العربية ، فوجهُ كلام العرب ما [٧٨/١١] وظ [٧٨/١١] وصفنا قبل .

والصوابُ من القراءة في ذلك عندنا قراءةٌ من قرأ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . بالياء من ﴿ يَحْسَبَنَّ ﴾ ، وفتح الألفِ من ﴿ أَنَّمَا ﴾ ، على معنى أن^(١) الحِشْبَانَ للذين كفروا دون غيرهم ، ثم يعملُ في ﴿ أَنَّمَا ﴾ نصبًا ؛ لأن ﴿ يَحْسَبَنَّ ﴾ حينئذٍ لم تشغلْ بشيءٍ عملت فيه ، وهي تطلبُ منصوبين . وإنما اخترنا ذلك لإجماعِ القراءة على فتح الألفِ من ﴿ أَنَّمَا ﴾ الأولى ، فدلَّ ذلك على أن القراءة الصحيحة في ﴿ يَحْسَبَنَّ ﴾ بالياء^(٢) لما وصفنا . وأما أَلْفُ ﴿ أَنَّمَا ﴾ الثانية فبالكسر^(٣) على الابتداء بإجماعٍ من القراءة عليه .

/ وتأويلُ قوله : ﴿ إِنَّنَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ : إنما نؤخرُ آجالهم / فَنُطِيلُهَا^(٤) .

﴿ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ ، يقول : يكتسبوا المعاصي ، فتزداد آثامهم وتكثر .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) في ص : « بالفاء » .

(٣) في م : « فالكسر » .

(٤) في ص : « فيطيلها » .

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ، يقول : ولهؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله في الآخرة عقوبة لهم مهينة مذلّة .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك جاء الأثر .

حدّثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن الأسود ، قال : قال عبد الله : ما من نفس برّة ولا فاجرة إلا والموت خير لها . وقرأ : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ . وقرأ : ﴿نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ ^(١) [آل عمران : ١٩٨] .

القول فى تأويل قوله : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ : ما كان الله ليدع المؤمنين ، على ما أنتم عليه من التباس المؤمنين منكم بالمنافق ، فلا يُعرف هذا من هذا ، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ . يعنى بذلك : حتى يميز الخبيث ، وهو المنافق المستسّر للكفر ، من الطيّب ، وهو المؤمن المخلص الصادق الإيمان - بالحن والاختبار ، كما ميّز بينهم يوم أُحُد ، عند لقاء العدو ، و ^(٢) عند خروجهم إليهم ^(٣) .

واختلف أهل التأويل فى « الخبيث » الذى عنى الله فى هذه الآية ؛ فقال بعضهم

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/٤٢٢ عن الثورى به ، وأخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ١٣/٣٠٣ (١٦٤٢٠) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٨٢٣ (٤٥٥٥) ، والطبرانى (٨٧٥٩) ، والحاكم فى المستدرک ٢/٢٩٨ ، من طريق الأعمش بنحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/١٠٤ إلى عبد بن حميد وأبى بكر المروزى فى كتاب الجنائز وابن المنذر .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « إليه » .

فيه مثل قولنا .

ذكر من قال ذلك

حدَّثني محمد بن عمرو^(١) ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله جل وعز : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ . قال : ميِّز بينهم يوم أحد ؛ المنافق من المؤمن^(٢) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ . قال ابن جريج : يقول : لبيِّن الصادق بإيمانه من الكاذب . قال ابن جريج : قال مجاهد : يوم أحد ميِّز بعضهم عن بعض ؛ المنافق عن المؤمن .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ [٧٩/١١] عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ . أى المنافقين^(٣) .
وقال آخرون : معنى ذلك : حتى يميِّز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ . يعنى : الكفار . يقول : لم يكن الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من الضلالة ﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ : يُميِّز

(١) فى ص ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « سعد » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٢٤/٣ (٤٥٦٤) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) فى م : « المنافق » ، والأثر فى سيرة ابن هشام ١٢١/٢ .

بَيْنَهُمْ فِي الْجِهَادِ وَالْهَجْرَةِ^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ . قَالَ : حَتَّى يَمِيزَ الْفَاجِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ . قَالُوا : إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا ، فَلْيُخْبِرْنَا بِمَنْ يُؤْمِنُ^(٣) بِهِ مَتَى^(٣) وَمَنْ يَكْفُرُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ : حَتَّى يُخْرِجَ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ^(٤) .

والتأويل الأول أولى بتأويل الآية ؛ لأن الآيات قبلها في ذكر المنافقين ، وهذه في سياقها ، فكونها بأن تكون فيهم أشبه منها بأن تكون في غيرهم .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم بما حدثنا به محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن الشُّدِّيِّ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ : وما كان الله ليطلع محمداً على الغيب ، ولكن الله اجتباها ، فجعله رسولا^(٥) .

وقال آخرون بما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَمَا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٢٤/٣ ، ٨٢٥ ، ٨٢٥ (٤٥٥٨ ، ٤٥٦٦) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٤٠ .

(٣ - ٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بالله » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٢٤/٣ (٤٥٥٩ ، ٤٥٦٣) من طريق أحمد بن الفضل به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٢٥/٣ (٤٥٦٨) من طريق أحمد بن الفضل بنحوه .

كَانَ اللَّهُ لِيُطَلِّعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴿١﴾ . أى فيما يريد أن يتلّيكُم به ؛ لتَحذروا ما يدخُلُ عليكم فيه ، ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ : يَعْلَمُهُ ^(١) .

وأولى الأقوال فى ذلك بتأويله : وما كان الله ليطلعكم على ضمائر قلوب عباده ، فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق والكافر ، ولكنه يميّز بينهم بالحن والابتلاء ، كما ميّز بينهم بالبأساء يوم أُحُد ، وجهادِ عدوّه ، وما أشبه ذلك من صنوف الحن ، حتى تعرفوا مؤمنهم من كافرهم [٧٩/١١ ظ] ومنافقهم ، غير أنه جل وعز يجتبي من رسوله من يشاء ، فيصطفيه ، فيطلعّه على بعض ما فى ضمائر بعضهم ، بوحيه ذلك إليه ورسالته .

كما حدّثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(٢) . يجتبي : يمتحن ؛ يُخْلِصُهُمْ لِنَفْسِهِ ^(٣) .

حدّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(٤) . قال : يُخْلِصُهُمْ لِنَفْسِهِ .

وإنما قلنا : هذا التأويل أولى بتأويل الآية ؛ ^(٥) «لأن ابتداءها» خبرٌ من الله تعالى ذكره أنه غير تارك عباده - يعنى بغير محن - حتى يفرّق بالابتلاء بين مؤمنهم وكافرهم وأهل نفاقهم ، ثم عقب ذلك بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطَلِّعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ .

(١) فى مصدرى التخرّيج : « يعلمه » . والأثر فى سيرة ابن هشام ١٢١/٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٢٥/٣ ، ٨٢٦ ، (٤٥٦٩ ، ٤٥٧٣) من طريق سلمة به .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٦٢ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٢٥/٣ ، ٨٢٦ ، (٤٥٧٠ ، ٤٥٧٢) .

(٤ - ٤) فى ص : « ابتداءها » . وفى م : « وابتداؤها » . وفى ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « وابتداها » .

فكان فيما افْتُتِحَ به من صفةٍ إظهارِ اللَّهِ نفاقِ المنافقِ ، وكفرِ الكافرِ ، / دَلالةٌ واضحةٌ ١٨٩/٤
على أن الذى ولى ذلك هو الخَيْرُ عن^(١) أنه لم يكن ليطلقهم على ما يخفى عنهم من
باطنِ سرائرِهِمْ ، إلا بالذى ذَكَرَ أنه مُمَيِّزٌ به بينَهُمْ^(٢) ، إلا من استثناه من رسلِهِ ، الذى
خصَّهُ بعلمِهِ جل وعز .

القولُ فى تأويلِ قولِهِ : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴾ (١٧٩) .

يعنى جلُّ ثناؤِهِ بقولِهِ : ﴿ وَإِنْ تُؤْمِنُوا ﴾ : وإن تصدَّقوا من اجْتَبَيْتُهُ من رسلِي
بعلمي^(٣) ، وأطلَعْتُهُ على المنافقين منكم ، ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ رَبِّكُمْ بطاعَتِهِ فيما أمركم به
نبيُّكم مُحَمَّدٌ ﷺ ، وفيما نهاكم عنه ، ﴿ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ . يقولُ : فلکم
بذلك من إيمانِكُمْ واتقائِكُمْ رَبِّكُمْ ، ثوابٌ عظيمٌ .

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ فَآمِنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا ﴾ . أى ترجِعوا وتوبوا ، ﴿ فَلَكُمْ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴾^(٤) .

القولُ فى تأويلِ قولِهِ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغُلُونَ [٨٠/١١] بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ هُوَ حَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَّهُمْ ﴾ .

اختلفت القراءةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأته جماعةٌ من أهلِ الحجازِ والعراقِ : ﴿ وَلَا

(١) فى ص ، ت ١ : « غير » .

(٢) فى ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ : « نعتهم » . وفى ت ١ : « نفيهم » وفى س : « منهم » .

(٣) فى ص ، س : « لعلمي » .

(٤) سيرة ابن هشام ١٢١/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٨٢٦/٣ (٤٥٧٤) من طريق سلمة به .

يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴿١﴾ . بالياءِ ، من ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ ^(١) . وقرأته جماعةٌ آخرُ : (ولا تحسبن) . بالتاء ^(٢) .

ثم اختلف أهل العربية في تأويل ذلك ، فقال بعض نحويي الكوفة : معنى ذلك : لا يحسبنَّ الباخلون البخل هو خيرٌ لهم . فاكتفى بذكر ﴿يَبْخُلُونَ﴾ من « البخل » ، كما تقول : قديم فلان فسُررتُ به . وأنت تريدُ : فسُررتُ بقدمه . وهو عمادٌ .

وقال بعض نحويي أهل البصرة : إنما أراد بقوله : (ولا تحسبنَّ ^(٣) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بما آتاهم الله من فضله هو خيرٌ اللهم بل هو شرٌّ لهم) . لا تحسبنَّ البخل هو خيرٌ لهم . وألقى الاسم الذي أوقع عليه الحِسابان ، وهو البخل ؛ لأنه قد ذكر الحِسابان ، وذكر ﴿ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ، فأضمرهما إذ ذكرهما . قال : وقد جاء من الحذف ما هو أشدُّ من هذا ، قال : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ ﴾ ^(٤) . ولم ^(٥) يُقَلْ : ومن أنفق ^(٥) من بعد الفتح . لأنه لما قال : ﴿ أَوْلَيْكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ ﴾ [الحديد : ١٠] . كان فيه دليلٌ على أنه قد عناهم .

وقال بعض من أنكّر قول من ذكرنا قوله من أهل البصرة : إن « من » في قوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ﴾ . في معنى جمع . ومعنى الكلام : لا يستوى منكم من أنفق ^(٦) من قبل الفتح في منازلهم وحالاتهم ، فكيف من أنفق ^(٦) من بعد الفتح ؟ فالأول مكتفٍ . وقال : في قوله : ﴿ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ

(١) قرأ نافع والكسائي وعاصم ، ومعهم ابن عامر : ﴿ ولا يحسبن ﴾ بالياء وفتح السين . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو : (ولا يحسبن) بالياء ، وكسر السين . ينظر السبعة ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٢) هذه قراءة حمزة ، بالتاء وفتح السين . ينظر السبعة ص ٢٢٠ .

(٣) في ت ١ ، ت ٢ : « يحسبن » .

(٤) في ص ، ت ١ ، س : « من » .

(٥) في ت ١ ، ت ٢ : « نيفن » .

(٦ - ٦) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، س .

يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ ﴿١﴾ . محذوف ، غير أنه لم يُحذف إلا وفي الكلام ما قام مقام المحذوف ؛ لأن ﴿هُوَ﴾ عائدُ البخلِ ، و ﴿خَيْرٌ لَّهُمْ﴾ عائدُ الأسماءِ ، فقد دلَّ هذان العائدان على أن قبلهما اسمين ، واكتفى بقوله : ﴿يَبْخَلُونَ﴾ . من البخلِ . قال : وهذا إذا قرئَ بالتاءِ ، فالبخلُ قبل ﴿الَّذِينَ﴾ ، وإذا قرئَ بالياءِ ، فالبخلُ بعد ﴿الَّذِينَ﴾ ، وقد اكتفى بـ ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ من البخلِ ، كما قال الشاعر^(١) :

١٩٠/٤ إذا نُهي السَّفِيهُ جَرَى إليه^(٢) وخَالَفَ والسَفِيهُ إلى خِلَافِ
كأنه قال : جَرَى إلى السَّفِيهِ . فاكتفى^(٣) بالسَّفِيهِ من السَّفِيهِ^(٤) ، كذلك اكتفى بـ ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ من البخلِ .

وأولى القراءتين بالصوابِ في ذلك عندي قراءةٌ من قرأ : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ) . بالتاءِ ، بتأويلِ : وَلَا تَحْسَبَنَّ [١١/٨٠] أنت يا محمدُ بخلَ الذين يَبْخَلُونَ بما آتاهم اللهُ من فضله هو خيراً لهم .^(٥) ثم^(٦) ترك ذكرَ البخلِ^(٧) ؛ إذ كان في قوله : ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾^(٨) . دلالةٌ على أنه مرادٌ في الكلامِ ، إذ كان قد تقدمَ قوله : ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ .

وإنما قلنا : قراءةٌ ذلك بالتاءِ أولى بالصوابِ من قراءته بالياءِ ؛ لأن المَحْسَبَةَ من

(١) البيت في معاني القرآن للفراء ١/١٠٤ ، ٢٤٩ ، ومجالس ثعلب ١/٧٥ ، والخزانة ٤/٣٦٤ ، غير منسوب .

(٢) في س : «إليها» .

(٣ - ٣) في ص ، ت ، ١ ، س : «بالسفيه بالسفه» ، وفي م : «عن السفه بالسفيه» .

(٤ - ٤) سقط من : ت ، ١ ، ٢ ، س .

(٥) في ص : «من» .

(٦) سقط من : ص ، ت ، ١ .

شأنها طلب اسمٍ وخبرٍ ، فإذا قُرئ قوله : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ ﴾ . بالياء ، لم يكن للمحسبية اسمٌ يكون قوله : ﴿ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ . خبراً عنه . وإذا قُرئ ذلك بالتاء كان قوله : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ . اسماً له ، قد أدى عن معنى البخل الذي هو اسمُ المحسبية المتروك ، وكان قوله : ﴿ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ . خبراً لها ، فكان جارياً مَجْرَى المعروف من كلامِ العربِ الفصيحِ ؛ فلذلك اخترنا القراءةَ بالتاءِ في ذلك على ما قد بينا ، وإن كانت القراءةُ بالياءِ غيرَ خطأً ، ولكنه ليس بالأفصحِ ولا الأشهرِ من كلامِ العربِ ^(١) .

وأما تأويلُ الآيةِ الذي ^(٢) هو تأويلُها على ما اخترنا من القراءةِ في ذلك : ولا تَحْسَبَنَّ يا محمدُ بخلَ الذين يبخلون بما أعطاهم اللهُ من فضلهِ في الدنيا من الأموالِ ، فلا يُخْرِجونَ منه حقَّ اللهِ الذي فرضه عليهم فيه من الزكواتِ ، هو خيراً لهم عندَ اللهِ يومَ القيامةِ ، بل هو شرٌّ لهم عنده في الآخرةِ .

كما حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ^(٣) ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن الشُدِّي : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ) : ^(٤) أما الذين يبخلون بما آتاهم اللهُ من فضلهِ ، فبخلوا أن يُنفقوها في سبيلِ اللهِ ، ولم يُؤدِّوا زكاتها ^(٥) .

(١) الوجه في القراءة أنها سنة متبعة ، فلا وجه لتفضيل قراءة على أخرى ، ولم يكن القراء يراعون لا فُشُو استعمال ولا اطراد قياس . وينظر تعليقتنا المتقدم ٢/٢١٣ ، ٢١٤ .

(٢) في ص ، ت ١ : « التي » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ : « الحسن » .

(٤ - ٤) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « هم الذين » . والمثبت موافق لما في مصدر التخريج .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٨٢٦ (٤٥٧٧) من طريق أحمد بن المفضل به .

وقال آخرون : بل عنى بذلك اليهود الذين بخلوا أن يُيِّنوا للناس ما أنزل الله إليهم فى الثوراة من أمر محمد ﷺ ونعته .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنى محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) ، إلى : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . ^(١) يعنى بذلك ^(٢) أهل الكتاب أنهم بخلوا بالكتاب أن يُيِّنوه ^(٣) للناس .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) . قال : هم يهود ، إلى قوله : ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ ^(٤) .

وأولى التأويلين بتأويل هذه الآية التأويل الأول ، وهو أنه معنى بالبخل فى هذا الموضع منع ^(٥) الزكاة [١١ / ٨١ و] ؛ لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه تأول قوله : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . قال : البخل الذى منع حق الله منه ، أنه يصير ثعباناً فى عنقه . ولقول ^(٦) الله عز وجل عَقِبَ هذه الآية : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ . فوصف جل ثناؤه قول المشركين

(١) - ١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « يعنى وذلك » .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « يعينوه » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم ٨٢٦/٣ (٤٥٧٥) بهذا الإسناد .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « المبين » . وهى بعض الآية ١٨٤ . والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/١٠٥ إلى المصنف .

(٥) فى ت ١ : « معنى » .

(٦) فى ت ٢ : « كقول » ، وفى س : « بقول » .

من اليهود الذين زعموا عند أمر الله إياهم بالزكاة ، أن الله جل ثناؤه فقيرٌ .

القول في تأويل قوله : ﴿ سَيَطُوفُونَ مَا بِخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ سَيَطُوفُونَ ﴾ . سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاة طَوْقًا فى أعناقهم ، كهيئة الأطواق المعروفة .

كالذى حدثنى الحسن بن قزعة^(١) ، قال : ثنا مسلمة بن علقمة ، قال : ثنا داود ، عن أبى قزعة^(١) ، عن أبى مالك العبدى ، قال : ما من عبد يأتىه ذو رجم له يسأله من فضلي عنده ، فيبخل عليه ، إلا أخرج له الذى يبخل به عليه شجاعًا أقرع^(٢) . قال : وقرأ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّفُونَ مَا بِخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . إلى آخر الآية^(٣) .

حدثنا ابن المننى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن أبى قزعة^(٤) ، عن رجل^(٥) ، عن النبى ﷺ قال : « ما من ذى رجم يأتى ذارجمه ، فيسأله من فضلي جعله الله عنده ، فيبخل به عليه ، إلا أخرج له من جهنم شجاع يتلمظ^(٥) ، حتى يطوقه^(٦) » .

حدثنا ابن المننى ، قال : ثنا أبو معاوية محمد بن خازم الضرير ، قال : ثنا داود ، عن^(٧) أبى قزعة ، عن حجاج بن بيان^(٧) ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من ذى رجم

(١) فى ت ١ ، ت ٢ : « قرعة » .

(٢) بعده فى الأصل : « من النار » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٥٢ / ٢ .

(٤ - ٤) سقظ من : س . وبعده فى ت ١ : « عن رجل عنه » .

(٥) لظ الرجل يلظ وتلمظ : إذا تتبع بلسانه بقية الطعام بعد الأكل ، أو مسح به شفته . ومن المجاز تلمظت

الحية : أخرجت لسانها . الأساس (ل م ظ) .

(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٥٢ / ٢ .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « أبى قزعة حجر بن بيان » . وفى س : « ابن أبى قزعة حجر =

يَأْتِي ذَا رَجِيمِهِ ، فَيَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ ، فَيَسْخُلُ بِهِ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَخْرَجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعٌ مِنَ النَّارِ يَتَلَمَّظُ ، حَتَّى يُطَوَّقَهُ . ثم قرأ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ حتى انتهى إلى قوله : ﴿ سَيَطُوفُونَ مَا بِخَلُوعِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾^(١) .

حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْمُرِّي^(٢) ، قَالَ : ثنا مروانُ بْنُ معاويةَ ، وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ^(٣) بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلَابِيِّ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَكْرِ السَّهْمِيُّ ، وحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ واصلِ أَبُو عبيدةَ الْحَدَّادُ - واللفظُ ليعقوبَ - جميعًا ، عن بَهْزِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ معاويةَ بْنِ حَيْدَةَ ، عن أبيه ، عن جَدِّهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَا يَأْتِي رَجُلٌ مَوْلَاهُ ، فَيَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِ مَا لِي عِنْدَهُ فَيَمْنَعُهُ إِيَّاهُ ، إِلَّا دَعَا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا يَتَلَمَّظُ فَضْلَهُ الَّذِي مَنَعَ »^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سفيانُ ، عن أبي إسحاقٍ ، [١١١/٨١ظ] عن أبي وائلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بْنِ مسعودٍ : ﴿ سَيَطُوفُونَ مَا بِخَلُوعِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . قَالَ : ثَعْبَانٌ يَنْقُرُ رَأْسَ أَحَدِهِمْ ، يَقُولُ : أَنَا مَالِكُ الَّذِي بَخَلْتُ بِهِ^(٥) .

= بن بيان . وأبو قرعة هو سويد بن حجر بن بيان ، يروى عن أبيه حجر . ينظر تهذيب الكمال ١٢/٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (٥٩٣) ، وهناد في الزهد (١٠١٧) عن أبي معاوية به .

(٢) في الأصل : « المزني » .

(٣-٣) في م : « محمد بن عبد الله الكلابي » . ولم نجد له ترجمة .

(٤) في الأصل : « عبيد » .

(٥) في ت ١ : « بكير » ، وفي س : « أبي بكر » .

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب (٣٣٩٠) من طريق عبد الله بن بكر السهمي به ، وأخرجه أحمد ٢/٥ ، ٣ ، ٥ (ميمنية) ، وأبو داود (٥١٣٩) ، والنسائي (٢٥٦٥) من طريق بهز بن حكيم به ، وأخرجه أحمد ٣/٥ (ميمنية) ، والبيهقي في الشعب (٣٣٩١) من طريق حكيم بن معاوية به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ١٠٥/٢ إلى عبد بن حميد والترمذي .

(٧) تفسير سفيان ص ٨٢ ، ومن طريقه الحاكم ٢/٢٩٩ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٨٢٧ (٤٥٧٩) من طريق ابن مهدي به ، وأخرجه الطبراني (٩١٢٤) من طريق الفريابي عن سفيان به .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، قَالَ : سَمِعْتُ / أَبَا وَائِلٍ يَحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ سَيَطُوفُونَ مَا بِحُلُومِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ . قَالَ : شَجَاعٌ يَلْتَوِي بِرَأْسِ أَحَدِهِمْ ^(١) .

حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ شُعْبَةَ ، ^(٢) وَحَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ أَسْلَمَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بِمِثْلِهِ ^(٣) ، إِلَّا أَنَّهُمَا قَالَا : قَالَ : شَجَاعٌ أَسْوَدُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : يَجِيءُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَعْبَانًا ، فَيَنْقُرُ رَأْسَهُ فَيَقُولُ : أَنَا مَالُكَ الَّذِي بَخَلْتَ بِهِ . فَيَنْطَوِي عَلَى عُنُقِهِ ^(٤) .

حَدَّثْتُ عَنْ سَفِيَانَ بْنِ عَيْنَةَ ، قَالَ : ثنا ^(٥) جَامِعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَعْيَنَ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ أَحَدٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ ، إِلَّا مُثِّلَ لَهُ شَجَاعٌ أَقْرَعٌ يُطَوِّقُهُ » . ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ الْآيَةَ ^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٢٧/٣ (٤٥٨٠) من طريق شعبة به .

(٢ - ٣) في م : « قال : ثنا » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٤١ ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٤٩ - تفسير) ، وابن زنجويه في الأموال (١٣٥٧) ، وابن أبي حاتم ٨٢٧/٣ (٤٥٨١) ، والطبراني (٩١٢٢ ، ٩١٢٣) ، والحاكم ٢/٢٩٨ ، ٢٩٩ ، وابن عبد البر في التمهيد ١٧/١٥٠ ، ١٥١ من طريق أبي إسحاق به ، وأخرجه الطبراني (٩١٢٥) من طريق أبي وائل به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/١٠٥ إلى عبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر .

(٤ - ٥) في النسخ : « جامع بن شداد » . والمثبت من مصادر التخريج ، وينظر تهذيب الكمال ٤/٤٨٥ .

(٥) أخرجه الشافعي ١/ (٦١٠) ، والحميدي (٩٣) ، وأحمد ٦/٤٨ ، ٤٩ (٣٥٧٧) ، وابن زنجويه في الأموال (١٣٥٨) ، وابن ماجه (١٧٨٤) ، والترمذي (٣٠١٢) ، والنسائي (٢٤٤٠) ، وابن خزيمة (٢٢٥٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٨٢٧/٣ (٤٥٧٨) ، والبيهقي ٤/٨١ ، وابن عبد البر في التمهيد ١٧/

١٥٠ من طريق ابن عيينة به .

١) حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَعْبَةُ ، عَنِ الْمَغِيرَةِ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ فِي قَوْلِهِ : ﴿ سَيَطُوفُونَ مَا بِحِلْوَاءِ بَيْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . قَالَ : شَجَاعٌ يَلْتَوِي ^(١) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنَى أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنِ الشَّدِيِّ : أَمَّا ﴿ سَيَطُوفُونَ مَا بِحِلْوَاءِ بَيْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . فَإِنَّهُ يُجْعَلُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أقرَعٌ يُطَوَّقُهُ ، فَيَأْخُذُ بَعْنَقَهُ ، فَيَتَّبِعُهُ حَتَّى يَقْدِفَهُ فِي النَّارِ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ ، عَنِ أَبِي هَاشِمٍ ، عَنِ أَبِي وائِلٍ ، قَالَ : هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يَرْزُقُهُ اللَّهُ مَالًا ، فَيَمْتَنِعُ قَرَابَتَهُ الْحَقُّ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ فِي مَالِهِ ، فَيُجْعَلُ حَيَّةً ، فَيَطَوَّقُهَا ، فَيَقُولُ : مَالِي وَلِكِ ؟ ! فَيَقُولُ : أَنَا مَالِكٌ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو غَسَّانَ ، قَالَ : ثَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنِ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ ، عَنِ مَسْرُوقٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ عَنِ قَوْلِهِ : ﴿ سَيَطُوفُونَ مَا بِحِلْوَاءِ بَيْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . قَالَ : يَطَوَّقُونَ شَجَاعًا أقرَعٌ يَنْهَشُ رَأْسَهُ ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ^(٤) ذَلِكَ : ﴿ سَيَطُوفُونَ مَا بِحِلْوَاءِ بَيْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ : فَيُجْعَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ طَوْقًا مِنْ نَارٍ .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٥٠ - تفسير) ، وابن أبي شيبة في المصنف ٢١٣/٣ من طريق خلف عن أبي هاشم عن أبي وائل عن مسروق ، وعزه السيوطي إلى المصنف وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة عن مسروق .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٢٧/٣ (٤٥٨٢) ، والطبراني (٩١٢٦) من طريق إسرائيل بنحوه .

(٤) في ص ، ت ، ١ : « بمعنى » .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ سَيَطُوفُونَ مَا بِخَلُوعِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . قال : طَوْقًا مِنْ نَارٍ ^(١) .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبَةُ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ أنه قال في هذه الآية : ﴿ سَيَطُوفُونَ مَا بِخَلُوعِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [١١/٨٢٠] . قال : طَوْقًا مِنْ نَارٍ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا الثوريُّ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ في قوله : ﴿ سَيَطُوفُونَ ﴾ . قال : طَوْقًا مِنْ نَارٍ ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ سَيَطُوفُونَ مَا بِخَلُوعِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . قال : طَوْقًا مِنْ نَارٍ ^(٣) .

وقال آخرون : معنى ذلك : سيحمل الذين كتموا نبوة محمدٍ ﷺ من أجداد اليهود ، ما كتموا من ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ في قوله : ﴿ سَيَطُوفُونَ مَا بِخَلُوعِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ : ^(٤) يقول : سيحملون يوم القيامة ما بخلوا به ^(٤) ألم تسمع أنه قال : ﴿ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ

(١) تفسير سفيان ص ٨٢ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٢٨/٣ (٤٥٨٤) .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٤١ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٥١- تفسير) ، وابن أبي شيبة ٢١٣/٣ عن جرير به .

(٤) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

بِالْبُخْلِ ﴿ [النساء : ٣٧] . يعنى : أهل الكتاب ، يقول : يكتمون ويأمرون الناس بالكتمان^(١) .

وقال آخرون : معنى ذلك : سيكلفون أن يأتوا يوم القيامة بما بخلوا به فى الدنيا من أموالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ سَيَطُوفُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . قال : سيكلفون أن يأتوا بما بخلوا به ، إلى قوله : ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾^(٢) .

حدثنا ابن المننى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : ﴿ سَيَطُوفُونَ ﴾ : سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به من أموالهم يوم القيامة .

وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية التأويل الذى قلناه فى ذلك فى مبدأ قوله : ﴿ سَيَطُوفُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ ﴾ ؛ للأخبار^(٣) التى ذكرنا فى ذلك عن رسول الله ﷺ ، ولا أحد أعلم بما عنى الله تبارك وتعالى بتنزيله منه عليه السلام .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَرَلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

(١) وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٢٦/٣ (٤٥٧٥) عن محمد بن سعد به بنحوه .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٦٢ . وذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٢٧/٣ عقب الأثر (٤٥٨٣) معلقا .

(٣) فى ص ، ت ، ١ ، س : « الأخبار » .

يعنى تعالى ذكره بذلك : أنه الحي الذي لا يموت ، والباقي بعد فناء جميع خلقه .
 فإن قال قائل : فما معنى قوله : ﴿ **وَلِلَّهِ^(١) مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ .
 والميراث المعروف : هو ما انتقل من ملك مالك إلى وارثه بموته ، ولله الدنيا قبل فناء
 خلقه وبعده ؟

قيل : إن معنى ذلك ما وصفنا من وصفه نفسه بالبقاء ، وإعلام خلقه أنه كتب
 عليهم الفناء . وذلك أن ملك المالك إنما يصير ميراثاً بعد وفاته ، وإنما قال جل ثناؤه :
 ﴿ **وَلِلَّهِ مِيرَاثُ** [٨٢/١١] **السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ . إعلاماً منه بذلك عباده ، أن أملاك
 جميع خلقه منتقلة عنهم بموتهم ، وأنه لا أحد إلا وهو فإن سواه ، فإنه الذي إذا هلك
 جميع خلقه ، فرالت أملاكهم عنهم ، لم يبق أحدٌ يكون له ما كانوا يملكونه غيره .

وإنما معنى الآية : ولا تحسبن الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ،
 بل هو شرٌّ لهم ، سيطوون ما يخلوا به يوم القيامة ، بعد ما يهلكون ، وتزول عنهم
 أملاكهم ، فى الحين الذى لا يملكون شيئاً ، وصار لله ميراثه ، وميراث غيره من خلقه .
 ثم أخبر تعالى ذكره أنه بما يعمل هؤلاء الذين ييخلون بما آتاهم / الله من فضله^(٢) ، ١٩٤/٤
 وغيرهم من سائر خلقه ، ذو خبرة وعلم ، محيطٌ بذلك كله ، حتى يجازى كلًّا منهم
 على قدر استحقاقه ؛ المحسن بالإحسان ، والمساء على ما يرى تعالى ذكره .

القول فى تأويل قوله : ﴿ **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ
 أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُمِبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ** ﴾ .

ذكر أن هذه الآية وآيات بعدها نزلت فى بعض اليهود الذين كانوا على عهد

النبى ﷺ .

(١ - ١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ « له » .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فضل » .

ذكر الأخبار^(١) بذلك

حدَّثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أنه حدَّثه عن ابن عباس، قال: دخل أبو بكر الصديق رحمه الله بيت المدراس^(٢)، فوجد ناساً من يهود كثيرًا قد اجتمعوا إلى رجلٍ منهم يقال له: فنحاص. وكان من علمائهم وأخبارهم، ومعه خزير يقال له: أشيع. فقال أبو بكر لفنحاص: ويحك يا فنحاص، أتقي الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدًا رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل. قال فنحاص: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقير، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرعُ إليه كما يتضرعُ إلينا، وأنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيًا^(٣) ما^(٤) استقرضنا أموالنا^(٥) كما يزعمُ صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويُعطيناه، ولو كان غنيًا عنا^(٦) ما أعطانا الربا. فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضربةً شديدةً، وقال: والذي نفسى بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربتُ عُنقك يا عدو الله، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين. [١١/٨٣] فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، انظر ما صنع بي صاحبك. فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيمًا؛ زعم أن الله فقير، وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبتُ لله مما قال، فضربتُ وجهه. فجحَد ذلك فنحاص، وقال: ما قلتُ ذلك؟ فأَنْزَلَ اللهُ جَل ثناؤه فيما قال فنحاص، ردًا عليه، وتصديقًا لأبي بكر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ

(١) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «الآثار».

(٢) في ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س، وتفسير ابن أبي حاتم: «المدراس». ومدارس اليهود: البيت الذي يدرسون فيه. ينظر اللسان (د ر س).

(٣-٣) سقط من: ص، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٤-٤) في م: «استقرض منا».

اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴿١﴾ . إلى قوله : ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ
الْحَرِيقِ ﴾ . و^(١) قول أبي بكرٍ وما بلغه في ذلك من الغضب : ﴿ وَلَسْتُمْ مِنْ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ
تَصَدَّقُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد
مولى آل زيد بن ثابت ، عن /عكرمة مولى ابن عباس ، قال : دخل أبو بكرٍ . فذكر ١٩٥/٤
نحوه ، غير أنه قال : وإنا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغني ، ولو كان غنيًا . ثم ذكر سائر
الحديث نحوه^(٣) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن الشددي :
﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ : قالها فنحاص
اليهودي من بني مرثد ، لقيه أبو بكرٍ فكلمه ، فقال له : يا فنحاص ، أتق الله وأمن
وصدق ، وأقرض الله قرصًا حسنًا . فقال فنحاص : يا أبا بكرٍ ، ترعّم أن ربنا فقيرٌ ،
يستقرضنا أموالنا ؟ وما يستقرض إلا الفقير من الغني ، إن كان ما تقول حقًا ، فإن الله
إذن لفقيرٌ . فأنزل الله تبارك وتعالى هذا ، فقال أبو بكرٍ : فلولا هذنة كانت بين
النبي ﷺ وبين بني مرثد لقتلته^(٤) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ،
عن مجاهد ، قال : صدك أبو بكرٍ رجلًا منهم ، الذين قالوا : إن الله فقيرٌ ونحن

(١) في م : « وفي » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٢٨/٣ ، ٨٢٩ ، (٤٥٨٩) ، والطحاوي في مشكل الآثار (١٨٣٠) من طريق يونس بن بكير به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٥/٢ ، ١٠٦ ، إلى ابن المنذر . وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٩٨ عن عكرمة ، وعزاه السيوطي فى الدر المنثور ١٠٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٥٨/١ ، ٥٥٩ .

(٤) ذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٩٨ ، وعزاه السيوطي فى الدر المنثور ١٠٦/٢ إلى المصنف .

أغنياء، لِمَ يستقرضُنا وهو غنيٌّ؟ وهم يهودٌ^(١).

حدَّثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، قال: الذين قالوا: إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء، لِمَ يستقرضُنا وهو غنيٌّ؟ قال شبل: بلغني أنه فنحاصُ اليهودي، وهو الذي قال: إن الله ثالثُ ثلاثة، ويدُ الله مغلولة^(٢).

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: ثنا يحيى بنُ واضح، قال: ^(٣) حدَّثنا أبو حمزة، عن عطاء، عن الحسن، قال: لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]. قالت اليهود: إن ربكم يستقرضُ منكم. فأنزل الله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ الآية.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن الحسن البصري، قال: لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾. قال: عجبت اليهود فقالت: إن الله فقيرٌ يستقرضُ. فنزلت: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

حدَّثنا بشر، [١١/٨٣ط] قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾: ذُكِرَ لَنَا أَنهَا نَزَلَتْ فِي حَيِّ بْنِ أُحْطَبٍ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَلِّعُهُمْ لَهُمْ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾. قال: يستقرضُنا ربُّنا؟ إنما يستقرضُ الفقيرُ الغنيَّ^(٤).

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى، قال: أخبرنا عبدُ الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن

(١) تفسير مجاهد ص ٢٦٣. وعزه السيوطي في الدر المنثور ١٠٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٩٨، ٩٩ من طريق شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٣) (٣ - ٣) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «حدثت»، وينظر تهذيب الكمال ٥٤٤/٢٦.

(٤) عزه السيوطي في الدر المنثور ١٠٦/٢ إلى المصنف، وينظر البحر المحيط ١٣٠/٣.

قتادة ، قال : لما أنزل الله : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ . قالت اليهود : إنما يستقرضُ الفقيرُ من الغنى . فأنزل الله : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ ^(١) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول في قوله : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ . قال : هؤلاء يهود . فتأويل الآية إذن : لقد سمع الله قول الذين قالوا من اليهود : إن الله فقيرٌ إلينا ونحن أغنياءُ عنه . سنكتب ما قالوا من الإلفك والفريضة على ربهم ، وقتلهم أنبياءهم بغير حق .

/واختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛ فقرأ ذلك قراءة الحجاز وعامة قراءة العراق : ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾ بالنون ﴿ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ ﴾ . بنصب القتل ^(٢) .

وقرأ ذلك بعض قراءة الكوفيين : (سَيَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ) . بالياء من (سَيَكْتُبُ) ، وبضمها ، ورفع « القتل » ^(٣) ، على مذهب ما لم يُسم فاعله ، اعتباراً بقراءة يُذكر أنها من قراءة عبد الله في قوله : ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا ﴾ . يُذكر أنها في قراءة عبد الله : (ويُقال) ^(٤) .

فأغفل قارئ ذلك وجه الصواب فيما قصد إليه من تأويل القراءة التي تُنسب إلى عبد الله ، وخالف الحجة من قراءة الإسلام ، وذلك أن الذي ينبغي لمن قرأ :

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٤١ .

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وأبي عمرو والكسائي . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٢١ .

(٣) وهي قراءة حمزة وحده . المصدر السابق .

(٤) ينظر المصاحف لابن أبي داود ص ٦٠ .

(سَيَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ) . على وجه ما لم يُسَمَّ فاعله ، أن يقرأ : (ويقال) ؛ لأن قوله : ﴿ وَنَقُولُ ^(١) ﴾ . عطفٌ على قوله : ﴿ سَنَكْتُبُ ^(٢) ﴾ . فالصوابُ من القراءة أن يُوفَّقَ بينهما في المعنى ، بأن ^(٣) يُقرأ جميعهما ^(٣) على مذهب ما ^(٤) قد سُمِّيَ فاعله ، أو على مذهب ما ^(٥) لم يسمَّ فاعله ، فأما أن يُقرأ أحدهما على مذهب ما لم يُسَمَّ فاعله ، والآخِرُ على وجه ما قد سُمِّيَ فاعله من غير معنى الجأه إلى ^(٦) ذلك ، فاختيارٌ خارجٌ عن الفصيح من كلام العرب .

والصوابُ من القراءة في ذلك عندنا : ﴿ سَنَكْتُبُ ﴾ . بالنون : ﴿ وَقَتْلُهُمْ ﴾ . بالنصب ؛ لقوله : ﴿ وَنَقُولُ ﴾ . ولو كانت القراءة في : ﴿ سَنَكْتُبُ ﴾ . بالياء وضمتها ، لقليل (ويقال) على ما قد بينا .

فإن قال قائل : وكيف قيل : ﴿ وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَتَّى ﴾ . وقد ذكرت في الآثار التي رويت أن الذين عُثُوا بقوله : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴾ . بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد ﷺ ، [١١/٨٤ و] ولم يكن من أولئك أحدٌ قتل نبياً من الأنبياء ؛ لأنهم لم يُدرِكوا نبياً من أنبياء الله فيقتلوه ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه ، وإنما قيل ذلك كذلك ؛ لأن الذين عنى الله جل وعز بهذه الآية كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الأنبياء ، وكانوا منهم ، وعلى مناهجهم ، من استحلال ذلك واستجارتته ،

(١) في الأصل « يقول » .

(٢) في الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « سيكتب » .

(٣ - ٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يقرأ جميعا » .

(٤ - ٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « لم يسم » .

(٥ - ٥) في م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يسمى » .

(٦) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « على » .

فأضاف جلاً وعزَّ فِعْلَ ما فعله مَنْ كانوا على منهاجِه وطريقته إلى جميعهم ، إذ كانوا أهلَ ملةٍ واحدةٍ ، ونخلةٍ واحدةٍ ، وبالرُّضا من جميعهم فَعَلَ ما فَعَلَ فاعِلُ ذلك منهم ، على ما قد بيَّنا من نظائره فيما مضى قبل^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (١٨٢) .

يعنى بذلك جَلُّ ثنأؤه : ونقولُ للقائلين : إنَّ اللهَ فقيرٌ ونحن أغنياءُ . القائلين أنبياءَ اللهِ بغيرِ حقٍّ - يومَ القيامةِ : ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ . يعنى بذلك : عذابَ نارٍ محرقةٍ ملتهبةٍ . والنارُ اسمٌ جامعٌ للملتهبةِ منها وغيرِ الملتهبةِ ، وإنما الحريقُ صفةٌ لها ، يراذُ بها أنها مُحْرِقَةٌ ، كما قيل : ﴿ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾ . بمعنى : مؤلِّمٌ . و: وجيعٌ . بمعنى : مُوجِعٌ .

وأما قوله : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ ﴾ . يعنى أن قولنا لهم يومَ القيامةِ : ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ . بما أسلفتم أيديكم ، واكتسبتها في أيامِ حياتكم في الدنيا^(٢) ، وبأنَّ اللهَ جلُّ ثنأؤه عَدْلٌ لا يجورُ فيُعاقِبُ عبداً له بغيرِ استحقاقٍ منه العقوبةِ ، ولكنه يجازى كلَّ نفسٍ بما كَسَبَتْ ، ويُوفَّى كلَّ عاملٍ جزاءً ما عمل ، فجازى الذين قال لهم/ يومَ القيامةِ ، من اليهودِ الذين وصفَ صفتهم ، فأخبر عنهم ١٩٧/٤ أنهم قالوا : إنَّ اللهَ فقيرٌ ونحن أغنياءُ . وقتلوا بغيرِ حقِّ الأنبياءِ صلواتُ اللهِ عليهم - بما جازاهم به من عذابِ الحريقِ ، بما اكتسبوا من الآثامِ ، واجترحوا من السيئاتِ ، وكذبوا على اللهِ ، بعدَ الإعذارِ إليهم والإنذارِ . فلم يكنْ عزَّ ذِكرُه بما عاقبهم به من إذاقتهِم عذابِ الحريقِ ، ظالماً ، ولا واضعاً عقوبتهِ في غيرِ أهلِها ، وكذلك هو جَلُّ ثنأؤه غيرُ ظلامٍ أحداً من خلقه ، ولكنه العادلُ بينهم ، والمتفضِّلُ على جميعهم ، بما

(١) ينظر ما تقدم في ١/٦٤٢، ٦٤٣، ٥٦٢/٢، ٥٧.

(٢) بعده في ص ، ت ١: « والآخرة » .

أحب من فواضله ونعمه .

القول في تأويل قوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ [١١/٨٤ ظ] قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ يَٰلْبَيْتِنَا وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٢﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : لقد سمع الله قول الذين قالوا : إن الله ^(١) فقير . الذين قالوا : إن الله ^(١) عهد إلينا ألا نؤمن لرسول .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ﴾ . فى موضع خفيض رداً على قوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فقير ﴾ .

ويعنى بقوله : ﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ ﴾ : أوصانا وتقدم إلينا فى كتبه ، وعلى ألسن أنبيائه ﴿ آلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ ﴾ . يقول : ألا نصدق رسولا فيما يقول أنه جاء به من عند الله ، من أمر ونهي وغير ذلك ، ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ . يقول : حتى يجيئنا بقربان . وهو ما تقرب به العبد إلى ربه من صدقة ، وهو مصدر مثل العُدوان والحُسران ، من قولك : قَرَّبْتُ قُرْبَانًا . وإنما قال : ﴿ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ ؛ لأن أكل النار ما قرّبه أحدهم لله فى ذلك الزمان كان دليلاً على قبول الله منه ما قرّب له ، ودلالة على صدق المقرّب فيما ادّعى أنه مُحِقٌّ فيما نازع أو قال .

كما حدّثنى محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ : كان الرجل يتصدق ، فإذا تُقْبِلَ منه أنزلت عليه نارٌ من السماء فأكلته ^(٢) .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٣١/٣ (٤٥٩٨) عن محمد بن سعد به .

حُدِّثَتْ عَنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ : كَانَ الرَّجُلُ إِذَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَتُقْبِلَتْ مِنْهُ ، بَعَثَ اللَّهُ نَارًا ، فَنَزَلَتْ عَلَى الْقُرْبَانِ فَأَكَلَتْهُ ^(١) .

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ^(٢) قُلْ لِلْقَائِلِينَ هَذَا الْقَوْلَ ، يَا مُحَمَّدُ : قَدْ جَاءَكُمْ يَا مَعْشَرَ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْهِ ^(٣) أَلَا يُؤْمَنُ لِرَسُولِي حَتَّى يَأْتِيَهُ بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ - رَسُلٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِي ، ﴿ يَا لَبِئْسَتِ ﴾ . يَعْنِي : بِالْحَجَجِ الدَّالَّةِ عَلَى صَدَقِ نَبِيِّتِهِمْ ، وَحَقِيقَةِ قَوْلِهِمْ ، ﴿ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾ . يَعْنِي : وَبِالَّذِي ادَّعَيْتُمْ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ بِهِ لَزِمَكُمْ تَصَدِيقُهُ وَالْإِقْرَارُ بِنَبِيِّتِهِ ، مِنْ أَكْلِ النَّارِ قُرْبَانَهُ إِذْ قَرَّبَ لِلَّهِ دَلَالَةً عَلَى صَدَقِهِ ، ﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . يَقُولُ لَهُ : قُلْ لَهُمْ : قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُلُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِي بِالَّذِي زَعَمْتُمْ أَنَّهُ حُجَّةٌ لَهُمْ عَلَيْكُمْ ، فَقَتَلْتُمُوهُمْ ، فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ وَأَنْتُمْ مَقْرُونُونَ بِأَنَّ الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ كَانَ حُجَّةً لَهُمْ عَلَيْكُمْ ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فِي أَنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْكُمْ أَنْ تُوْمِنُوا بِمَنْ أَتَاكُمْ مِنْ رُسُلِهِ بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ حُجَّةً لَهُ عَلَى نَبِيِّتِهِ ؟

/وإنما أعلم الله عباده [١١/٨٥و] بهذه الآية أن الذين وصف صفتهم ، من ١٩٨/٤

اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، لَنْ يَغْدُوا ^(٣) أَنْ يَكُونُوا - فِي كَذِبِهِمْ عَلَى اللَّهِ ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَتَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَهُ صَادِقًا مُحَقَّقًا ، وَجُحُودِهِمْ نَبِيِّتَهُ ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي عَهْدِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِمْ ، أَنَّهُ

(١) التبيان ٦٨/٣ .

(٢) (٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، وكتب مقابلها في حاشية ص : « ط ط ، كذا » ، دلالة على وجود خطأ .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يقرأ » ، وفي م ، س : « يفروا » .

رسوله إلى خلقه ، مفروضة طاعته - إلا كمن مضى من أسلافهم الذين كانوا يقتلون أنبياء الله ، بعد قطع الله عذرهم بالحجج التي أيدهم بها ، والأدلة التي أبان صدقهم بها ، افتراء على الله ، واستخفافاً بحقوقه .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (١٨٤) .

وهذا تعزية من الله جل ثناؤه نبيه محمداً ﷺ على الأذى الذى كان يناله من اليهود وأهل الشرك بالله ، من سائر أهل الملل ، يقول الله تعالى له : لا يحزنك يا محمد كذب هؤلاء الذين قالوا : إن الله فقير . وقالوا : إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار . وافتراؤهم على ربهم ؛ اغتراراً بامهال الله إليهم ، ولا يعظمن عليك تكذيبهم إياك ، وادعائهم الأباطيل ، من عهود الله إليهم ، فإنهم إن فعلوا ذلك بك فكذبوك ، وكذبوا على الله ، فقد كذب أسلافهم من رسل الله قبلك من جاءهم بالحجج القاطعة العذر ، والأدلة الباهرة العقل ، والآيات المعجزة الخلق ، وذلك هو البيّنات .

وأما « الزُّبُرُ » فإنه جمع زبور ، وهو الكتاب ، وكلُّ كتاب فهو زبور ، ومنه قول امرئ القيس^(١) :

لِمَنْ طَلَّلَ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبٍ^(٢) يَمَانِ

ويعنى بالكتاب التوراة والإنجيل ، وذلك أن اليهود كذبت عيسى وما جاء به ، وحرّفت ما جاء به موسى ، من صفة محمد ﷺ ، وبدلت عهده إليهم فيه ،

(١) ديوانه ص ٨٥ .

(٢) العسيب : جريدة النخل ، إذا نحى عنه حوصه ، كانوا يكتبون فيه قبل الإسلام .

١) وأن النصارى جحدت ما فى الإنجيل من نعتِه (٢) ، وغَيَّرت (٣) ما أمرهم به فى أمرِه .

وأما قوله : ﴿ الْمُنِيرِ ﴾ . فإنه يعنى : الذى يُنيرُ ، فَيُبَيِّنُ الحَقَّ لمن التبس عليه ويوضِّحُه له . وإنما هو من النور والإضاءة ، يقال : قد أنار لك هذا الأمر . بمعنى : قد أضاء لك وتبين ، فهو يُنيرُ إنارةً ، والشئُ مُنيرٌ (٤) .

وقد حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحَّاك : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ . قال : يُعزِّى نبيّه ﷺ .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله :

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ . قال : يعزِّى نبيّه ﷺ . ١٩٩/٤

وهذا الحرف فى مصاحف أهل الحجاز والعراق : ﴿ وَالزُّبْرِ ﴾ . بغير باءٍ ، وهو فى مصاحف أهل الشام : (وبالزُّبْرِ) . بالباء ، مثل الذى فى سورة « فاطر » (٥) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْجِحَ عَنِ النَّارِ [١١ / ٨٥ ط] وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴾ (١٨٥) .

(١ - ١) فى ص ، س : « فإن » .

(٢) فى ص ، س : « بعته » .

(٣) فى س : « حرفوا » .

(٤) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « المنير » .

(٥) ينظر المصاحف ص ٤٤ ، ٤٥ . وإثبات الباء قرأ ابن عامر وحده ، وقرأ باقى السبعة بغير باء . ينظر السبعة

لابن مجاهد ص ٢٢١ .

يعنى بذلك تعالى ذكره أن مصير هؤلاء المفتريين على الله ، من اليهود المكذبين برسوله ، الذين وصف صفتهم ، وأخبر عن جرائمهم على ربهم ، ومصير غيرهم من جميع خلقه تعالى ذكره ، ومرجع جميعهم إليه ؛ لأنه قد حتم الموت على جميعهم ، فقال لنبيه ﷺ : لا يحزُنكَ تكذيب من كذَّبكَ يا محمدُ ، من هؤلاء اليهود وغيرهم ، وافتراء من افترى على الله ، فقد كُذِّبَ قبلك رسلٌ جاءوا « من الآيات » والحجج من أرسلوا إليه ، بمثل الذى جئت إلى من أرسلت إليه ، فلك بهم أسوة تتعزى بهم ، ومصير من كذَّبكَ وافترى على ، وغيرهم ، ومرجعهم إلى ، فأوفى كل نفس منهم جزاء عمله يوم القيامة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . يعنى أجور أعمالكم ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ ﴾ . يقول : فمن نُحِّي عن النار ، وأبعد منها ، ﴿ فَقَدْ قَازَ ﴾ . يقول : فقد نجا وظفر بحاجته . يقال منه : فاز فلانٌ بطلبته ، يفوز فوزًا ومفازًا ومفازة . إذا ظفر بها .

وإنما معنى ذلك : فمن نُحِّي عن النار فأبعد منها ، وأُدخِل الجنة ، فقد نجا وظفر بعظيم الكرامة ، ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ . يقول : وما لذات الدنيا وشهواتها ، وما فيها من زينتها وزخارفها ، ﴿ إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ . يقول : إلا متعة يمتنعكموها الغرور والخداع المضمحل الذى لا حقيقة له عند الامتحان ، ولا صحة له عند الاختبار ، فأنتم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم ، ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره . يقول جل وعز : ولا تركنوا إلى الدنيا ، فتسكنوا إليها ، فإنما أنتم منها فى غرورٍ تمتعون ، ثم أنتم عنها بعد قليلٍ راحلون .

وقد روى فى تأويل ذلك ما حدثنى به المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا

جريت، عن الأعمش، عن بُكير بن الأحنس، عن عبد الرحمن بن سابط في قوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾. قال: كزاد الراعي، يزود^(١) الكف من التمر، أو الشيء من الدقيق، أو الشيء يشرب عليه اللبن^(٢).

فكان ابن سابط ذهب في تأويله هذا إلى أن معنى الآية: وما الحياة الدنيا إلا متاع قليل، لا يُبلغ من تمتعه، ولا يكفيه لسفره.

وهذا التأويل وإن كان وجهًا من وجوه التأويل، فإن الصحيح من القول فيه هو ما قلنا؛ لأن الغرور إنما هو الخداع في كلام العرب. وإذا كان كذلك، فلا وجه لصرفه إلى معنى القلة؛ لأن الشيء قد يكون قليلاً وصاحبه منه في غير خداع ولا غرور، فأما الذي هو في غرور، فلا القليل يصح له ولا الكثير، مما هو/ منه في غرور. ٢٠٠/٤ والغرور مصدر من قول القائل: غرني فلان، فهو يُغرني غرورًا. بضم الغين، وأما إذا فتحت الغين من الغرور، فهو صفة للشيطان الغرور الذي يغر ابن آدم، حتى يُدخله من معصية الله [٨٦/١١] فيما يستوجب به عقوبته.

وقد حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبدة وعبد الرحيم، قالوا: ثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، واقرعوا إن شئتم: ﴿فَمَنْ رُحِخَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾»^(٣).

(١) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «يزوده».

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٧/٢ إلى المصنف.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٩٢) عن أبي كريب به، وأخرجه هناد في الزهد (١١٣)، وابن حبان (٤٧١٧) من طريق عبدة بن سليمان به، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٠١/١٣، ١٠٢، وأحمد ٤٠٨/١٥ (٩٦٥١)، وعبد بن حميد وعند الترمذي (٣٠١٣)، والنسائي (١١٠٨٥ - كبرى)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٨٣٣/٣ (٤٦١٠)، والحاكم ٢٩٩/٢ وغيرهم من طريق محمد بن عمرو به.

القول في تأويل قوله : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصَابَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

يعنى بقوله : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ ﴾ : لتخبيرن بالمصائب في أموالكم ، ﴿ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ . يعنى : وبهلاك الأقباء والعشائر ، من أهل نصرتكم وملتكم ، ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ . يعنى : من اليهود ، وقولهم : إن الله فقير ونحن أغنياء . وقولهم : يد الله مغلولة . وما أشبه ذلك من افتراءهم على الله ، ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ . يعنى : النصارى ، ﴿ أَذًى كَثِيراً ﴾ . والأذى من اليهود ما ذكرنا ، ومن النصارى قولهم : المسيح ابن الله . وما أشبه ذلك من كفرهم بالله ، ﴿ وَإِنْ تَصَابَرُوا ﴾ ^(١) . لأمر الله الذى أمركم به فيهم وفي غيرهم ، من طاعته ، ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ . يقول : وتتقوا الله فيما أمركم ونهاكم ، فتعملوا فى كل ^(٢) ذلك بطاعته ، ﴿ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ . يقول : فإن ذلك الصبر والتقوى مما عزم الله عليه ، وأمركم به .

وقيل : إن ذلك كله نزل فى فحاص اليهودى سيد بنى قينقاع .

كالذى حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عكرمة فى قوله : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً ﴾ . قال : نزلت هذه الآية فى النبى ﷺ وفى أبى بكر ، رضوان الله عليه ، وفى فحاص اليهودى سيد بنى قينقاع . قال : بعث النبى ﷺ أبا بكر الصديق

(١) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « وتتقوا . يقول : وإن تصبروا » .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

رحمه الله إلى فنحاص اليهودي يستمده ، وكتب إليه بكتاب ، وقال لأبي بكر : « لا تفتاتن على بشيء حتى ترجع » . فجاء أبو بكر وهو متوشح السيف ، فأعطاه الكتاب ، فلما قرأه قال : قد احتاج ربكم أن نمدّه . فهمم أبو بكر أن يضربه بالسيف ، ثم ذكر قول رسول الله ﷺ : « لا تفتاتن على شيء حتى ترجع » . فكف ، ونزلت : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ﴾ . وما بين الآيتين إلى قوله : ﴿ لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ . نزلت هذه الآيات في بني قينقاع إلى قوله : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ . قال ابن جريج : يعزى نبيّه ﷺ ؛ قال : ﴿ لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ ﴾ / ٢٠١/٤ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ . قال : أعلم الله المؤمنين أنه سيبتلهم فينظر كيف صبرهم على دينهم ، ثم قال : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ [٨٦/١١ ظ] مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ . يعنى : اليهود والنصارى ، ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا ﴾ ، فكان المسلمون يسمعون من اليهود قولهم : عزير ابن الله . ومن النصارى : المسيح ابن الله . فكان المسلمون ينصبون لهم الحرب ، ويسمعون إشرآكهم ، فقال الله : ﴿ وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ . يقول : من القوة مما عزم الله عليه وأمركم به ^(١) .

وقال آخرون : بل نزلت في كعب بن الأشرف ، وذلك أنه كان يهجو رسول الله ﷺ ، ويشتبب بنساء المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٦/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

الزهرى في قوله : ﴿ وَاسْتَمِعُوا مِنَ الَّذِينَ آوُوا إِلَيْكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا ﴾ . قال : هو كعب بن الأشرف ، وكان يحرضُ المشركين على النبي ﷺ وأصحابه في شعره ، ويهجو النبي ﷺ وأصحابه^(١) ، فانطلق إليه خمسة نفر من الأنصار فيهم محمد بن مسلمة ، ورجل يقال له : أبو عبيس . فأتوه وهو في مجلس قومه بالعوالي^(٢) ، فلما رآهم ذعر منهم ، وأنكر شأنهم ، وقالوا : جئناك لحاجة . قال : فليدُنْ إليَّ بعضكم فليحدثني بحاجته . فجاءه رجل منهم فقال : جئناك لنبيعك أدرأعاً عندنا ، لنستفيق بها . فقال : والله لئن فعلتم لقد جهدتم منذ نزل بكم هذا الرجل . فواعدوه أن يأتوه عشاء حين يهدأ^(٣) عنهم الناس ، فأتوه فنادوه ، فقالت امرأته : ما طرقت هؤلاء ساعتهم هذه لشيء مما تحب . قال : إنهم حدثوني بحديثهم وشأنهم . قال معمر : فأخبرني أيوب ، عن عكرمة ، أنه أشرف عليهم فكلّمهم ، فقال^(٤) : أتزهنونى أبناءكم - وأرادوا أن يبيعهم تمرًا - قال : فقالوا : إنا نستحي أن نُغيّر أبناءنا ، فيقال : هذا رهينة وسقي ، وهذا رهينة وسقين . فقال : أتزهنونى نساءكم ؟ فقالوا : أنت أجمل الناس ، ولا نأمنك ، وأتى امرأة تمنع منك لجمالِك ؟ ولكننا نزهنك سلاحنا ، فقد علمت حاجتنا إلى السلاح اليوم . فقال : اتنوني بسلاحكم واحتملوا ماشئتم . قالوا : فانزل إلينا نأخذُ عليك وتأخذُ علينا . فذهب ينزل ، فتعلقت به امرأته وقالت : أُرسلُ إلى أمثالهم من قومك يكونون معك . قال : لو

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س .

(٢) العوالي : ضيعة بينها وبين المدينة أربعة أميال ، وقيل : ثلاثة . وذلك أدناها ، وأبعدها ثمانية . معجم البلدان ٧٤٣/٣ .

(٣) فى ص ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « هدى » ، وفى م : « هدا » . والمثبت من تفسير عبد الرزاق .

(٤) بعده فى تفسير عبد الرزاق : « ما ترهنونى » .

وجدونى هؤلاء نائماً ما أيقظونى . قالت : فكلمهم من فوق البيت . فأبى عليها ، فنزل إليهم يفرح ريحُه ، قالوا : ما هذه الريح يا أبا^(١) فلان ؟ قال : هذا عطر أم فلان . امرأته ، فدنا إليه بعضهم يشتم^(٢) رأسه^(٣) ، ثم اعتنقه ، ثم قال : اقتلوا عدو الله . قطعنه أبو عبيس فى خاصرته ، وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف ، فقتلوه ، ثم رجعوا ، فأصبحت اليهود مذعورين ، فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا : قُتِل سيدنا غيلة . فذكرهم النبي ﷺ صنيعة ، وما كان يحض عليهم ، ويحرض فى قتالهم ، ويؤذيهم ، ثم دعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم صلحاً . فقال : فكان ذلك الكتاب مع علي رضوان الله عليه^(٤) .

[٨٧/١١] القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ / الَّذِينَ أُوتُوا ٢٠٢/٤

الْكِتَابَ لَيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ^(٥) فَبَدَّوْهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلاً فَيَسَّ مَا يَشْرُونَ ﴿٧٧﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكره : واذكر أيضاً من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يا محمد ، إذ أخذ الله ميثاقهم لبيئتن للناس الذى أخذ ميثاقهم على بيانه للناس ، فى كتابهم الذى فى أيديهم ، وهو التوراة والإنجيل ، وأنتك لله رسول مرسل بالحق ، (ولا يكتمونه فبدوه وراء ظهورهم) . يقول : فتركوا أمر الله

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) فى الأصل ، م : « يشتم » ، وفى تفسير عبد الرزاق : « ليشتم » .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « رائحته » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/١٤٢ ، ١٤٣ . والحديث له أصل فى البخارى (٤٠٣٧) موصولاً من حديث جابر ابن عبد الله .

(٥ - ٥) هنا وفيما يأتى فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « لبيئته للناس ولا يكتمونه » . وسنبتها فيما يأتى بالياء . وهى القراءة التى رجحها المصنف . وسيدكر المصنف هاتين القراءتين بعد .

وضيعوه ، ونقضوا ميثاقه الذى أخذ^(١) عليهم بذلك ، فكتموا أمرك ، وكذبوا بك ، ﴿وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ . يقول : وابتاعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق ألا يكتموه من أمر نبوتك ، عوضاً منه ، خسيئاً قليلاً من عرض الدنيا . ثم ذمّ جل ثناؤه شراهم ما اشتروا به من ذلك ، فقال : ﴿فَيْتَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ .

واختلف أهل التأويل فى من عُنِيَ بهذه الآية ؛ فقال بعضهم : عُنِيَ بها اليهود خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدّثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أنه حدّثه عن ابن عباس : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ) . إلى قوله : ﴿عَدَابٌ أَلِيمٌ﴾ . يعنى : فإحص وأشيّع ، وأشباههما من الأخبار^(٢) .

حدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس مثله^(٣) .

حدّثنى محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) . كان أمرهم أن يتبعوا النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته ، وقال : ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

(١) فى س : «أخذه» .

(٢) جزء من الأثر المتقدم تخريجه فى ص ١٩٤ .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٥٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٣٨/٣ (٤٦٤٠) من طريق سلمة به .

فلما بعث الله محمداً ﷺ قال : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون ﴾ [البقرة : ٤٠] . عاهدكم على ذلك ، فقال حين بعث محمداً : صدقوه ، وتلقون الذي أحببتم عندي ^(١) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ) الآية . قال : إن الله أخذ ميثاق اليهود لَيُبَيِّنَنَّ للناس ؛ محمداً ﷺ ، (ولا يكتمونه فَنَبِّدُوهُ) اليهود ^(٢) ﴿ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مَثْمًا قَلِيلًا ﴾ ^(٣) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي الجحاف ، عن مسلم البطين ، قال : سألت الحجاج بن يوسف جلساءه عن هذه الآية [١١ / ٨٧ ط] : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ . قال : فقام رجل ٢٠٣ / ٤ إلى سعيد بن جبير فسأله ، فقال : وإذ أخذ الله ميثاق أهل الكتاب : يهود ، (لَيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ) محمداً ﷺ (وَلَا يَكْتُمُونَهُ فَنَبِّدُوهُ) ^(٤) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ . قال : وكان فيه : إن الإسلام دين الله الذي افترضه على عباده ، وإن محمداً يجذونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٣٥ / ٣ (٤٦٢٣) عن محمد بن سعد به .

(٢) سقط من : م ، وفي تفسير ابن أبي حاتم : « فنبذوا العهد » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٣٦ / ٣ عقب الأثر (٤٦٣١) ، وفي ٨٣٧ / ٣ (٤٦٣٥) من طريق أحمد ابن الفضل به .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١ / ٤١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٣٦ / ٣ (٤٦٢٨) عن الحسن بن يحيى به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٣٥ / ٣ ، ٨٣٦ ، ٨٣٨ ، ٨٤٠ ، (٤٦٢٥) ، ٤٦٣١ ، ٤٦٤٢ ، ٤٦٤٣ ، (٤٦٤٩) من طريق سفيان به .

وقال آخرون : عُيِيَ بذلك كلُّ من أُوتِيَ علماً بأمر الدين .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) الآية : هذا ميثاقُ أخذهِ اللهُ على أهلِ العلمِ ، فمن علِمَ شيئاً فليعلِّمه ، وإياكم وكنمانَ العلمِ ، فإن كنمانَ العلمِ هلكةٌ ، ولا يتكلَّفَنَّ رجلٌ ما لا علِمَ له به ، فيخرج من دينِ اللهِ ، فيكون من المتكلِّفينَ ، كان يقالُ : مثلُ علمٍ لا يقالُ به ، كمثلِ كَنْزٍ لا يُنْفَقُ منه ، ومثلُ حكمةٍ لا تُخرُجُ ، كمثلِ صنمٍ قائمٍ لا يأكلُ ولا يشربُ . وكان يقالُ : طُوِيَ لعالمٍ ناطقٍ ، وطُوِيَ لمستمعٍ واعٍ ، هذا رجلٌ علِمَ علماً فعلمه ، وبذله ودعا إليه ، ورجلٌ سمِعَ خيراً فحفظه ووعاه ، وانتفع به ^(١) .

حدَّثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي عُبيدة ، قال : جاء رجلٌ إلى قومٍ في المسجدِ وفيه عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ، فقال : إن أحاكم كعباً يُقرئكم السلام ، ويشركم أن هذه الآية ليست فيكم : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ) . فقال له عبدُ اللهِ : وأنت فأقرئه السلام ، وأخبره أنها نزلت وهو يهودي .

حدَّثني ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي عُبيدة بنحوه ، عن عبدِ اللهِ وكعبٍ ^(٢) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٣٦/٣ ، ٨٣٧ ، ٤٦٢٧ ، ٤٦٢٩ ، ٤٦٣٢ من طريق يزيد به ببعضه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٨/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر بتمامه .

(٢) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق ١٧٢/٥٠ من طريق جرير به بنحوه ، وهو في تفسير الثوري ص ٨٣ عن الأعمش به .

وقال آخرون : معنى ذلك : وإذ أخذ الله ميثاقَ النبيين على قومهم .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، قال : ثنى حبيب^(١) بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : إن أصحاب عبد الله يقرءون : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِيثَاقَهُمْ ﴾ . قال : من النبيين على قومهم .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا قبيصة ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد قال : قلت لابن عباس : إن أصحاب عبد الله يقرءون : [١١ / ٨٨٨ ظ] ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ . ونقرأ^(٢) : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] . قال : فقال : أخذ الله ميثاقَ النبيين على قومهم^(٣) .

وأما قوله : ﴿ لِيُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ ﴾ . فإنه كما حدَّثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ابن عبد الوارث ، قال : / ثنى أبي ، قال : ثنا محمد بن ذكوان ، قال : ثنا أبو نعام^(٤) ٢٠٤ / ٤ السعدى ، قال : كان الحسن يفسرُ قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِيُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا يُكْتُمُونَهُ ﴾ : لِيَتَكَلَّمَنَّ بِالْحَقِّ ، وَلِيُصَدِّقْتَهُ بِالْعَمَلِ^(٥) .

واختلفت القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأه بعضهم : ﴿ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ . بالتاء جميعاً^(٦) ، وهى قراءة عظيم قرأة أهل المدينة والكوفة^(٧) ، على وجه المخاطبة^(٧) ، بمعنى : قال الله لهم : لتبيننه للناس ولا تكتُمونه .

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « يحيى » . ينظر ترجمة حبيب بن أبى ثابت فى تهذيب الكمال ٣٥٨ / ٥ .

(٢) سقط من : م ، ت ، ٢ ، ٣ . وفى ص ، ت ، ١ ، س : « ويقرأ » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٣٥ / ٣ (٤٦٢٤) من طريق به .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٨ / ٢ إلى المصنف .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س .

(٦) وهى قراءة نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ، وعاصم فى رواية حفص . السبعة لابن مجاهد ص ٢٢١ .

(٧) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « المخاطب » .

وقرأ ذلك آخرون : (لَيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ) . بالياءِ جميعاً^(١) ، على وجه الخبرِ عن الغائبِ ؛ لأنهم في وقتِ إخبارِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ نبيِّهِ ﷺ بذلك عنهم كانوا غيرِ موجودين ، فصار الخبرُ عنهم كالخبرِ عن الغائبِ .

والقولُ في ذلك عندنا أنهما قراءتان صحيحةٌ وجوههما ، مستفيضتان في قرأةِ الإسلامِ ، غيرِ مختلفتي المعاني ، فبأيتيهما قرأ القارئُ فقد أصاب الحقَّ والصوابَ في ذلك ، غيرَ أن الأمرَ في ذلك وإن كان كذلك ، فإن أحبَّ القراءتين إليَّ أن أقرأ بها^(٢) : (لَيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ) . بالياءِ جميعاً ، استدلالاً بقوله : ﴿ فَنَبِّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ . - أنه إذ كان قد خرجَ مَخْرَجَ الخبرِ عن الغائبِ على سبيلِ قوله : ﴿ فَنَبِّدُوهُ ﴾ . - حتى يكونَ الكلامُ متَّسقاً كلُّه على معنى واحدٍ ومثالي واحدٍ ، ولو كان الأولُ بمعنى الخطابِ ، لكان أن يقالَ : فنَبِّدْتُموه وراءَ ظهورِكم . أولى من أن يقالَ : ﴿ فَنَبِّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ .

وأما قوله : ﴿ فَنَبِّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ . فإنه مثلٌ لتضييعهم القيامَ بالميثاقِ ، وتركهم العملَ به .

وقد بيَّنا المعنى الذي من أجله قيل ذلك كذلك فيما مضى من كتابنا هذا^(٣) ، فكرهنا إعادته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ .

(١) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر . المصدر السابق .

(٢) فى ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بهما » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٣١١/٢ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ إدريسَ ، قَالَ : أخبرنا يحيى بنُ أيوبَ البَجَلِيُّ ، عن الشعبيِّ في قوله : ﴿ فَبَدَّوْهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ . قَالَ : إنهم قد كانوا يقرءونه ، إنما نَبَدُوا العملَ به ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ فَبَدَّوْهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ . قَالَ : نَبَدُوا الميثاقَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ : ثنا عثمانُ بنُ عمرَ ، [١١ / ٨٨ ظ] قَالَ : ثنا مالكُ ابنُ مِغُولٍ ، قَالَ : نُبِئْتُ عن الشعبيِّ في هذه الآية : ﴿ فَبَدَّوْهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ . قَالَ : قَدَّفُوهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وَتَرَكَوا العملَ به ^(٣) .

وَأما قوله : ﴿ وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . فَإِنَّ مَعْنَاهُ مَا قَلْنَا ، مِنْ أَخَذِهِمْ مَا أَخَذُوا عَلَى كَتْمَانِهِمْ الْحَقَّ ، وَتَحْرِيفِهِمْ الْكِتَابَ .

كَمَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ ، ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن الشدِّيِّ : ﴿ وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ : أَخَذُوا طَمَعًا ، وَكَتَمُوا اسْمَ مُحَمَّدٍ ﷺ ^(٤) .

وقوله : ﴿ فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ . يقولُ : فبئسَ الشراءُ يشترون في تضييعِهِم الميثاقَ ، وَتَبْدِيلِهِم الْكِتَابَ .

/ كما حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي ٢٠٥/٤

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٣٧/٣ (٤٦٣٤) من طريق ابن إدريس به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٨/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ١٧٤/٤ ، ١٧٥ من طريق مالك بن مغول به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٣٦/٣ عقب الأثر (٤٦٣١) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

نجيح ، عن مجاهد : ﴿ فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ . قال : تبديل اليهود التوراة^(١) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : غنى بذلك قوم من أهل النفاق كانوا يقعدون خلاف رسول الله ﷺ إذا غزا العدو ، فإذا انصرف رسول الله ﷺ اعتذروا إليه ، وأحبوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر وابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، قال : ثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، أن رجلاً من المنافقين كانوا على عهد رسول الله ﷺ إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزو ، تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ ، فإذا قدم النبي ﷺ من السفر اعتذروا إليه ، وأحبوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ الآية^(٢) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ . قال : هؤلاء المنافقون يقولون للنبي ﷺ : لو قد خرجت لخرجنا معك . فإذا خرج النبي ﷺ

(١) تفسير مجاهد ص ٢٦٣ ، ومن طريقه ابن حاتم فى تفسيره ٨٣٧/٣ (٤٦٣٨) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٨/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٧٧) عن محمد بن سهل به ، وأخرجه البخارى (٤٥٦٧) ، ومسلم (٢٧٧٧) ، وابن أبي حاتم فى تفسيره ٨٣٩/٣ (٤٦٤٦) ، والبيهقى فى الشعب (٤٧٨٢) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ١٠١ من طريق ابن أبي مريم به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٨/٢ إلى ابن المنذر .

تخلفوا وكذبوا ، ويفرحون بذلك ، ويرؤون أنها حيلة احتالوا بها^(١) .

وقال آخرون : بل عنى بذلك قوم من أحبار اليهود كانوا يفرحون بإضلالهم

الناس ، ونسبة الناس إليهم إلى العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، [٨٩/١١] عن ابن إسحاق ، عن محمد بن

أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو سعيد بن جبير : ﴿ وَإِذْ

أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : يعنى

فئحاص وأشيع وأشباههما من الأحبار الذين يفرحون بما يُصيبون من الدنيا على ما

زَيَّنُوا للناس من الضلالة ، ﴿ وَيَحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ : أن يقول لهم

الناس : علماء . وليسوا بأهل علم ، لم يحملوها^(٢) على هدى ولا خير ، ويحبون أن

يقول لهم الناس : قد فعلوا^(٣) .

/حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، ٢٠٦/٤

قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أنه حدثه عن ابن

عباس بنحو ذلك ، إلا أنه قال : وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هدى^(٤) .

وقال آخرون : بل عنى بذلك قوم من اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على

تكذيب محمد ﷺ ، ويحبون أن يُحْمَدُوا بأن يقال لهم^(٥) : هم أهل صلاة وصيام .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٩/٢ إلى المصنف .

(٢) فى م : « يحملوهم » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٥٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٣٨/٣ ، ٨٤٠ ، (٤٦٤٠ ، ٤٦٥٠) من

طريق سلمة به بدون ذكر سعيد بن جبير .

(٤) جزء من الأثر المتقدم فى ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٥) فى الأصل : « لكم » .

ذكر من قال ذلك

حدَّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذٍ يقول : أخبرنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمعت الضحَّاكَ بنَ مُزاحمٍ يقولُ في قوله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا ﴾ : فإنهم فرحوا باجتماعهم على كفرهم بمحمدٍ ﷺ ، وقالوا : قد جمع الله كلمتنا ، ولم يخالف أحدٌ منا أحدًا ^(١) أن محمدًا ليس نبيي ^(٢) . وقالوا : نحنُ أبناءُ الله وأحباؤه ، ونحن أهلُ الصلاةِ والصيامِ . وكذبوا ، بل هم أهلُ كفرٍ وشركٍ وافتراءٍ على الله ، قال الله : ﴿ وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ ^(٣) .

حدَّثني يحيى بنُ أبي طالبٍ ، قال : أخبرنا يزيدُ ، قال : أخبرنا جُوَيْرٌ ، عن الضحَّاكِ في قوله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ . قال : كانت ^(٣) اليهودُ أمرَ بعضهم ^(٤) بعضًا ، فكتب بعضهم إلى بعضٍ : إن محمدًا ليس نبيي ، فأجمعوا كلمتكم ، وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذي معكم . ففعلوا ، وفرحوا ^(٥) بذلك ، وفرحوا باجتماعهم على الكفرِ بمحمدٍ ﷺ ^(٦) .

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدٌ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن الشُدِّيِّ : قال : كتّموا اسمَ محمدٍ ﷺ ، وفرحوا بذلك ^(٧) حينَ اجتمعوا عليه ، وكانوا يزكّون أنفسهم فيقولون : نحنُ أهلُ الصيامِ ، وأهلُ الصلاةِ ، وأهلُ الزكاةِ ، ونحن على دينِ

(١ - ١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٣ : « أن نبيي » ، وفي م ، س : « أنه نبي » ، وفي ت ٢ : « إلهي » . والمثبت كما في الأثر التالي .

(٢) ينظر التبيين ٧٦/٣ ، والبحر المحيط ١٣٧/٣ .

(٣) في النسخ : « قالت » . والصواب ما أثبتناه .

(٤) في م : « بعضكم » .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فرحوا » .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٧) بعده في ص ، م ، ١ ، ت ، ٣ ، س : « وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد ﷺ » . حدَّثنا محمد قال : ثنا أحمد قال :

ثنا أسباط عن السدي قال : كتّموا اسم محمد ﷺ وفرحوا بذلك . وهو تكرار خلط بين الأثر السابق وهذا الأثر .

إبراهيمَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِمْ : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا ﴾ من كتمانِ محمدٍ ﷺ ، ﴿ وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ ، أحبوا أن تحمدهم العربُ بما يزرُّون به أنفسهم ، وليسوا كذلك ^(١) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا الثوريُّ ، عن أبي الجحَّافِ ، عن مسلمِ البطينِ ، قال : سألَ الججاجُ جلساءَهُ عن هذه الآيةِ : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا ﴾ . قال ^(٢) سعيدُ بنُ جبيرةٍ : بكتماينهم محمداً ، ﴿ وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ . [٨٩/١١] ظ قال : هو قولهم : نحن على دينِ إبراهيمَ عليه السلامُ ^(٣) .

حدَّثني محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ : هم أهلُ الكتابِ ، أنزلَ عليهم الكتابَ ، فحكّموا بغيرِ الحقِّ ، وحرّفوا الكَلِمَ عن مواضعه ، وفرّحوا بذلك ، وأحبّوا أن يُحمّدوا بما لم يفعلوا ، فرّحوا بأنهم ٢٠٧/٤ كفّروا بمحمدٍ ﷺ وما أنزلَ إليه ^(٤) ، وهم يزعمون أنهم يعبدون اللهَ ، ويصومون ، ويصلّون ، ويطيعون اللهَ ، فقال اللهُ جلَّ ثَنَاؤُهُ لمحمدٍ ﷺ : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا ﴾ ، كفّراً ^(٥) باللهِ ، وكفّراً ^(٥) بمحمدٍ ﷺ ، ﴿ وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ ، من الصلاةِ والصومِ ، فقال اللهُ جلَّ وعزَّ لمحمدٍ ﷺ : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٦) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٩/٢ إلى المصنف .

(٢) (٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) تقدم في ص ٢٩٥ .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « الله » .

(٥) في م وتفسير ابن أبي حاتم : « كفّروا » .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٣٨/٣ ، ٨٤٠ ، (٤٦٣٩ ، ٤٦٤٨) عن محمد بن سعد به .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا من تبديلهم كتاب الله ، ويحبون أن يحمدهم الناس على ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ﴾ . قال : يهود ، فرحوا بعجاب الناس بتبديلهم الكتاب ، وحمدهم إياهم عليه ، ولا تملك يهود ذلك ^(١) .

وقال آخرون : معنى ذلك أنهم فرحوا بما أعطى الله تعالى آل إبراهيم عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي المعلی ، عن سعيد بن جبیر أنه قال في هذه الآية : ﴿ وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ . قال : اليهود ، يفرحون بما أتى الله إبراهيم عليه السلام ^(٢) .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي المعلی العطار ، عن سعيد بن جبیر ، قال : هم اليهود ، فرحوا بما أعطى الله إبراهيم الكتاب ^(٣) .

وقال آخرون : بل عنى بذلك قوم من اليهود سألهم رسول الله ﷺ عن شيء

(١) تفسير مجاهد ص ٢٦٣ . وعزه السيوطي في الدر المنثور ١٠٩/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . وينظر تفسير ابن أبي حاتم ٨٣٧/٣ (٤٦٣٨) .
 (٢) عزه السيوطي في الدر المنثور ١٠٩/٢ إلى المصنف .
 (٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

فكتموه ، وفرحوا بكتمانهم ذلك إياه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرني ابن أبي مليكة ، أن علقمة^(١) بن وقاص^(٢) أخبره ، أن مزوان قال لرافع : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له : لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى^(٣) ، وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذباً ، ليعذبنا الله أجمعين . فقال ابن عباس : وما لكم ولهذه ؟ إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استجابوا لله بما أخبروه عنه مما سألهم ، وفرحوا بما أتوا^(٤) من كتمانهم إياه ، ثم قرأ^(٥) :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ الآية^(٥) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني عبد الله بن أبي مليكة ، أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره ، أن مزوان ابن الحكم [١١ / ٩٠] قال لبوابه : يا رافع ، اذهب إلى ابن عباس فقل له : لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى ، وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذباً ، لنعذبن جميعاً . فقال ابن عباس : ما لكم ولهذه الآية ؟ إنما أنزلت في أهل الكتاب . ثم تلا ابن عباس : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ . قال ابن عباس : سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه ، وأخبروه

(١ - ١) في م : « بن أبي وقاص » . وينظر تهذيب الكمال ٢٠ / ٣١٣ .

(٢) في تفسير عبد الرزاق وصحيح البخارى : « أوتى » .

(٣) في س : « أوتوا » .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « قال » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١ / ١٤١ ، ١٤٢ ، ومن طريقه أخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ١٠١ ، ١٠٢ .

وقد أخرجه البخارى (٤٥٦٨) ، والبعوى فى تفسيره ٢ / ١٥٠ من طريق ابن جريج به .

(تفسير الطبرى ٦ / ٢٠)

بغيره ، فخرجوا وقد آروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، فاستخمدوا بذلك إليه ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إيّاه ما سألهم عنه ^(١) .

وقال آخرون : بل غنى بذلك قومٌ من يهودَ أظهرُوا النفاقَ للنبيِّ ﷺ ؛ محبةً منهم للحمدِ ، واللّه عالمٌ منهم خلافَ ذلك .

ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حدّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، قال : ذُكِرَ لنا أن أعداءَ اللّهِ اليهودَ ؛ يهودَ خيبرَ ، أتوا نبيَّ اللّهِ ﷺ ، فزعموا أنهم راضون ^(٢) بالذي جاءهم به ، وأنهم متابعوه ، وهم متمسكون بضلاتهم ، وأرادوا أن يحمدَهم نبيُّ اللّهِ ﷺ بما لم يفعلوا ، فأنزل اللّهُ تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ الآية ^(٣) .

حدّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة قال : إن أهلَ خيبرِ أتوا النبيَّ ﷺ وأصحابه فقالوا : إنّا على رأيكم وهيئتكم ، وإنّا لكم ردءٌ ^(٤) . فأكذبهم اللّهُ فقال : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ﴾ الآيتين ^(٥) .

حدّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانٌ ، عن الأعمشِ ، عن عمرو بنِ مُرّة ، عن أبي عُبيدة ، قال : جاء رجلٌ إلى عبدِ اللّهِ فقال : إن كعبًا يقرأ

(١) أخرجه أحمد ٤/٤٤٤ ، ٤٤٥ (٢٧١٢) ، والبخارى (٤٥٦٨) ، ومسلم (٢٧٧٨) ، والترمذى (٣٠١٤) ، والنسائي (١١٠٨٦ - كبرى) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٨٣٩ (٤٦٤٧) ، والطبرانى (١٠٧٣٠) ، والبيهقى في الشعب (٧٠١٩) من طريق حجاج به ، وأخرجه الحاكم ٢/٢٩٩ من طريق ابن جرير به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٨ إلى ابن المنذر به .

(٢) فى س : « رضوا » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/١٠٩ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) فى ت ٢ : « ردف » ، وفى تفسير عبد الرزاق : « ود » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/١٤٤ .

عليك السلام ويقول: إن هذه الآية لم تنزل فيكم: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾. قال: أخبروه أنها نزلت وهو يهودي^(١).

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا﴾ الآية. قول من قال: غنى بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله جل وعز أنه أخذ ميثاقهم، ليبيئن للناس أمر محمد ﷺ، ولا يكتُمونه؛ لأن قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا﴾ الآية. في سياق الخبر عنهم، وهو شبيهة بقصيتهم، مع اتفاق أهل التأويل على أنهم المعنيون بذلك.

فإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: لا تحسبن يا محمد الذين يفرحون بما آتوا من كتمانهم الناس أمرك، وأنت لى رسول مرسل بالحق، وهم يجدونك مكتوباً عندهم فى كتبهم، وقد أخذت عليهم الميثاق بالإقرار بنبوتك [٩٠/١١] وبيان أمرك للناس، وألا يكتُموهم ذلك، وهم مع نقضهم ميثاقى الذى أخذت عليهم بذلك، يفرحون بمعصيتهم إياى فى ذلك، ومخالفتهم أمرى، ويحبون أن يحمدهم الناس بأنهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم، وأتباع لوجهه وتنزيله الذى أنزله على أنبيائه، وهم من ذلك أبرياء أخلياء؛ لتكذيبهم رسوله، ونقضهم ميثاقه الذى أخذ عليهم، لم يفعلوا شيئاً مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه، ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب/ أليم﴾.

٢٠٩/٤

^(٢) ويعنى بقوله: ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾: فلا تظننهم بمفازة من عذاب الله الذى أعدّه لأعدائه فى الدنيا، من الخسف والمسخ والرجف

(١) تفسير سفيان ص ٨٣ بنحوه. وينظر ما تقدم فى ص ٢٩٦.

(٢-٢) فى ص ٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٩، ١٩٨، ١٩٧، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤، ١٩٣، ١٩٢، ١٩١، ١٩٠، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٦، ١٨٥، ١٨٤، ١٨٣، ١٨٢، ١٨١، ١٨٠، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣، ١٧٢، ١٧١، ١٧٠، ١٦٩، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤، ١٦٣، ١٦٢، ١٦١، ١٦٠، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٦، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٣، ١٥٢، ١٥١، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٨، ١٤٧، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٣، ١٤٢، ١٤١، ١٤٠، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٦، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ١٣١، ١٣٠، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢١، ١٢٠، ١١٩، ١١٨، ١١٧، ١١٦، ١١٥، ١١٤، ١١٣، ١١٢، ١١١، ١١٠، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢، ١٠١، ١٠٠، ٩٩، ٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٩٤، ٩٣، ٩٢، ٩١، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٨٧، ٨٦، ٨٥، ٨٤، ٨٣، ٨٢، ٨١، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٧٦، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦٦، ٦٥، ٦٤، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦، ٥٥، ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٥١، ٥٠، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٣، ٤٢، ٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٣٢، ٣١، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧، ١٦، ١٥، ١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١، ٠.

والقتل ، وما أشبه ذلك من عقابِ الله ، ولا هم يبيعد منه .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ . قال : بمنجاة من العذاب ، ^(١) ولا هم يبيعد منه .

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . يقول : ولهم عذابٌ في الآخرة أيضًا مؤلّم ، مع الذى لهم فى الدنيا مُعجّل .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴾ (١٨٩) .

وهذا تكذيب من الله للذين قالوا : إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء . يقول تعالى ذكره مكذبًا لهم : لله ملكٌ جميع ما حوته السماوات والأرض ، فكيف يكون - أيها المفترون على الله - من كان ملكٌ ذلك له فقيرًا ؟ ثم أخبر جل ثناؤه أنه القادر على تعجيل العقوبة لقائلى ذلك ، ولكل مكذب به ، ومفتري عليه ، وعلى غير ذلك مما أراد وأحب ، ولكنه تفضل بحلمه على خلقه ، فقال : ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . يعنى : من إهلاك قائل ذلك ، وتعجيل عقوبته لهم ، وغير ذلك من الأمور .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ (١٩٠) .

وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك ، وعلى سائر خلقه ، بأنه المدبّر المصرفُ الأشياء ، والمسخرُ ما أحب ، وأن الإغناء والإفقار إليه وبيده ، فقال جل ثناؤه : تدبروا [٩١/١١] أيها الناس واعتبروا ، ففيما أنشأته فخلقته من

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٠/٢ إلى المصنف .

السموات والأرض لمعاشِكُمْ وأقواتِكُمْ وأرزاقِكُمْ ، وفيما عَقَّبْتُ بينَهُ من الليل والنهار ، فجعلتُهُما يَخْتَلِفانِ وَيَعْتَقِبانِ عَلَيْكُمْ ، تتصَرَّفونَ في هذا لمعاشِكُمْ ، وتسكُنونَ في هذا راحةً لأبدِنِكُمْ^(١) - معتَبِرٌ ومدَّكَّرٌ ، وآياتٌ وعظائمٌ ، لمن كان منكم ذالِبٌ وعَقْلٌ يَعْلَمُ به أن من نَسَبَنِي إلى أنى فقيرٍ وهو غنيٌّ ، كاذبٌ مفترٍ ، فإن ذلك كلُّهُ بيدي ، أَقْلَبُهُ وَأَصْرَفُهُ ، ولو أَبْطَلْتُ ذلكَ لهلكتُمْ ، فكيف يُنْسَبُ إلى فقيرٍ مَنْ كان كلُّ ما به عيشٌ ما في السمواتِ والأرضِ بيده وإليه ؟ أم كيف يكون غنيًّا من كان رزقُهُ بيدٍ غيرِهِ ؟ إذا شاء رزقَهُ ، وإذا شاء حرَمَهُ ، فاعتبروا يا أولى الألبابِ .

القولُ في تأويلِ قولِهِ : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

وقولُهُ : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا ﴾ . من نعتِ « أولى الألبابِ » ، و﴿ الَّذِينَ ﴾ في موضعِ خفضٍ ردًّا على قولِهِ : ﴿ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ .

/ومعنى الآية : إن في خلقِ السمواتِ والأرضِ ، واختلافِ الليلِ والنهارِ ٢١٠/٤ آياتٍ لأولى الألبابِ ، الذاكرينَ اللهَ قيامًا وقعودًا ، وعلى جنوبِهِمْ . يعنى بذلك : قيامًا في صلاتِهِمْ ، وقعودًا في تشهيدِهِمْ ، وفي غيرِ صلاتِهِمْ ، وعلى جنوبِهِمْ نيامًا . كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ قولُهُ : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا ﴾ الآية . قال : هو ذكرُ اللهِ في الصلاةِ وفي غيرِ الصلاةِ ، وقراءةُ القرآنِ^(٢) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولُهُ : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ : وهذه حالُك كُلُّها يابنِ آدمَ ،

(١) في ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « لأجسادكم » .
(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٠/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

^(١) فاذكِرِ اللّٰهَ وَأَنْتَ قَائِمٌ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَادْكُرْهُ وَأَنْتَ قَاعِدٌ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ ^(٢) فَادْكُرْهُ وَأَنْتَ عَلَىٰ جَنِبِكَ ، يُشِيرًا مِنَ اللّٰهِ وَتَخْفِيفًا ^(٣) .

فإن قال قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ . فعطف بـ ﴿ عَلَيَّ ﴾ وهي صفةٌ ، على « القيام والعود » ، وهما اسمان ؟

قيل : لأن قوله : ﴿ وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ . في معنى الاسم ، ومعناه : ونيامًا ، أو : ^(٢) مضطجعين على جنوبهم . فحسن عطف ذلك على القيام والعود لذلك ^(٣) المعنى ، كما قيل : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ [يونس : ١٢] . فعطف بقوله : ﴿ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ . على قوله : ﴿ لِجَنبَيْهِ ﴾ . لأن معنى قوله : ﴿ لِجَنبَيْهِ ﴾ : مضطجعًا . فعطف بـ « القاعد والقائم » على معناه [٩١/١١ظ] ، فكذلك ذلك في قوله : ﴿ وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ .

وأما قوله : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . فإنه يعنى بذلك أنهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك ، فيعلمون أنه لا يصنع ذلك إلا من ليس كمثلته شيء ، ومن هو مالك كل شيء ورازقه ، وخالق كل شيء ومدبره ، ومن هو على كل شيء قدير ، ويديه الإغناء والإفقاء ، والإعزاز والإذلال ، والإحياء والإماتة ، والشقاء والسعادة .

القول في تأويل قوله : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١٩١) .

يعنى بذلك تعالى ذكره : وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قائلين : رَبَّنَا

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٤٢/٣ (٤٦٥٨) من طريق يزيد به .

(٣) بعده في ص ، ت ، ١ ، س : « و » .

(٤) بعده في الأصل ، ص ، ت ، ١ ، س : « من » .

مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا . فترك ذكر « قائلين » ؛ إذ كان فيما ظهر من الكلام دلالة عليه .
وقوله : ﴿ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾ . يقول : لم تخلق هذا الخلق عبثًا ولا ليعبًا ،
ولم تخلقه إلا لأمرٍ عظيم ، من ثوابٍ وعقابٍ ، ومحاسبةٍ ومجازاةٍ .

وإنما قال : ﴿ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾ . ولم يقل : ما خلقت هذه . ولا :
هؤلاء . لأنه أراد بـ ﴿ هَذَا ﴾ الخلق الذى فى السماوات والأرض ، يدلُّ على ذلك
قوله : ﴿ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ . ورجبتهم إلى ربهم فى أن يقيهم عذاب
البحيم . ولو كان المعنى بقوله : ﴿ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾ . السماوات والأرض ،
لما كان لقوله عقيب ذلك : ﴿ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ . معنى مفهوم ؛ لأن السماوات
والأرض أدلة على بارئها ، لا على الثواب والعقاب ، وإنما الدليل على الثواب
والعقاب الأمر والنهى .

وإنما وصف جل ثناؤه أولى الأبواب الذين ذكروهم فى هذه الآية أنهم إذا رأوا
المأمورين المنهيين ، قالوا : يا ربنا ، لم تخلق هؤلاء باطلاً عبثًا .

﴿ سبحانك ﴾ . يعنى : تنزيهاً لك ^(١) وتعظيمًا لك ^(٢) من أن تفعل شيئاً عبثاً ،
ولكنك خلقتهم ^(٣) لعظيم من الأمر ، لجنة أو نار . ثم فرغوا إلى ربهم بالمسألة أن يجيرهم
من عذاب النار ، وألاً يجعلهم ممن عصاه وخالف أمره ، فيكونوا من أهل جهنم .

القول فى تأويل قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (١٩٢) .

[٩٢/١١] اختلف أهل التأويل فى ذلك ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : ربنا إنك
من تدخِل النار من عبادك فتخلدُه فيها فقد أخْرَيْتَه . قالوا ^(٣) : ولا يُخزى مؤمنٌ

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ ، س .

(٢) فى س : « جعلتهم » .

(٣) فى م ، س : « قال » .

مصيره إلى الجنة، وإن عذب بالنار بعض العذاب .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي أَبُو حَفْصِ الْجُبَيْرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَا : أَخْبَرَنَا الْمُؤَمَّلُ ، أَخْبَرَنَا ^(١) أَبُو هَلَالٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ ﴾ . قَالَ : مَن تُخَلِّدُ فِيهَا ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ ﴾ . قَالَ : هِيَ خَاصَّةٌ لِمَن لَا يَخْرُجُ مِنْهَا ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو النعمانِ عارمٌ ، قَالَ : ثنا حمادُ بْنُ زَيْدٍ ، قَالَ : ثنا قَبِيصَةُ بْنُ مَرْوَانَ ، عَنْ الْأَشْعَثِ الْحُمَلِيِّ ، قَالَ : قُلْتُ لِلْحَسَنِ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، أَرَأَيْتَ مَا تَذَكَّرُ مِنَ الشَّفَاعَةِ حَقٌّ هُوَ ؟ قَالَ : نَعَمْ حَقٌّ . قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ جَل وَعَز : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ ﴾ ، ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ مِنْهَا ﴾ [المائدة : ٣٧] . قَالَ : فَقَالَ لِي : إِنَّكَ وَاللَّهِ لَا تَسْطُو ^(٤) عَلَيَّ بِشَيْءٍ ^(٥) ، إِنْ لِلنَّارِ أَهْلًا لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ . قَالَ : قُلْتُ :

(١) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وَأَخْبَرَنَا » .

(٢) سَقَطَ مِنْ : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س . وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٨٤٢/٣ (٤٦٦٠) مِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ بِهِ .

(٣) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ١٤٢/١ .

(٤) فِي م : « تَسْتَطِيعُ » . وَأَصْلُ السَّطْوِ الْقَهْرُ ، يُرِيدُ أَنْكَ لَا تَقْهَرُنِي وَتَغْلِبُنِي بِحُجَّةٍ .

(٥) فِي م : « شَيْءٍ » .

يا أبا سعيد: ^(١) «فِيمَ دَخَلُوهَا وَبِمَ خَرَجُوا؟» قال: كانوا ^(٢) «أَصَابُوا دُنُوبًا فِي الدُّنْيَا، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِهَا، فَأَدْخَلَهُمْ بِهَا، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ بِمَا يَعْلَمُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ بِهِ» ^(٣).

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثنى حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾. قَالَ: هُوَ مَنْ يُخَلَّدُ فِيهَا ^(٤).

وقال آخرون: معنى ذلك: ربنا إنك من تُدْخِلِ النَّارَ مِنْ مَخَلَّدٍ فِيهَا وَغَيْرِ مَخَلَّدٍ فِيهَا، فَقَدْ أُخْرِجَ بِالْعَذَابِ.

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا إِسْحَاقُ، قَالَ: ثنا الْحَارِثُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ بَحْرِ ^(٥)، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي عُمْرَةٍ، فَاَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ أَنَا وَعَطَاءٌ، فَقُلْتُ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾. قَالَ: وَمَا أَخْرَاهُ ^(٦) حِينَ أَخْرَقَهُ ^(٧) بِالنَّارِ! إِنَّ دُونَ ذَلِكَ لَخَزِيئًا.

وأولى القولين بالصواب عندي قولُ جابرٍ أن من أُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أُخْرِجَ بِدُخُولِهِ إِيَّاهَا وَإِنْ أُخْرِجَ مِنْهَا. وذلك أن الخزْيَ إنما هو هتكُ سِتْرِ الْمُخْرِجِ وَفُضِيحَتُهُ، وَمِنْ

(١ - ١) في ص، ت ١، ٢، ٣، س: «فِي مَنْ دَخَلُوهَا وَلَمْ»، وَفِي م: «فِي مَنْ دَخَلُوهَا ثُمَّ».

(٢) في ص، م، ت ١، ٢، ٣، س: «كَانَ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ (٣٢٢) مِنْ طَرِيقِ الْأَشْعَثِ بْنِ جَابِرِ الْحُمْلِيِّ بِمَعْنَاهُ مُخْتَصِرًا. وَعَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٢٨٠/٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ بِبَعْضِهِ.

(٤) يَنْظُرُ التَّبْيَانُ ٨٢/٣.

(٥) فِي النِّسْخِ: «يَحْيَى»، وَالمُثَبَّتُ مِنْ مِصْدَرِ التَّخْرِيجِ. وَهُوَ بَحْرُ بْنُ كَنْبَرِ الْبَاهِلِيِّ السَّقَاءِ. يَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ١٢/٤.

(٦) فِي ص، م، ت ١، ٢، ٣، س: «إِخْرَاؤُهُ».

(٧) فِي ص: «أَحْرَاهُ»، وَفِي ت ١، ٣، س: «أَخْرَاهُ»، وَفِي ت ٢: «أَخْرَاهُ».

(٨) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ ٣٠٠/٢ مِنْ طَرِيقِ الْحَارِثِ بْنِ مُسْلِمٍ بِهِ نَحْوَهُ.

عاقبه [٩٢/١١] رُبُّهُ فِي الآخِرَةِ عَلَى ذُنُوبِهِ ، فقد فَضَّحَهُ بِعِقَابِهِ إِيَّاهُ ، وذلك هو الخزْئِيُّ .

وأما قوله : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ . يقول : وما لمن خالف أمر الله فعصاه ، من ذى نصرة له ينصره من الله ، فيدفع عنه عقابه ، أو يُتَقَدَّه من عذابه .

/القول فى تأويل قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٣) .

٢١٢/٤

اختلف أهل التأويل فى تأويل المنادى الذى ذكره الله تعالى فى هذه الآية ؛ فقال بعضهم : المنادى فى هذا الموضع القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عُقبَةَ ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ . قال : هو الكتاب ، ليس كلهم لقي النبى ﷺ .^(١)

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا منصور بن حَكِيم ، عن خارجة ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى فى قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ . قال : ليس كل الناس سمع النبى ﷺ ، ولكن المنادى القرآن^(٢) .

وقال آخرون : بل هو محمد ﷺ .

(١) تفسير سفيان ص ٨٣ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٤٢/٣ (٤٦٦٢) من طريق سفيان به .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي فى المتفق والمفترق ٥٧٩/١ (٣٢١) من طريق موسى بن عبيدة به مختصراً ،

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١١/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

ذِكْرٌ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ ﴾ . قال : هو محمدٌ ﷺ ^(١) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ ﴾ . قال : ذلك رسولُ اللهِ ﷺ ^(٢) .

وأولى القولين في ذلك بالصواب قولُ محمدِ بنِ كعبٍ ، وهو أن يكونَ المنادى القرآنَ ؛ لأن كثيراً من وصفهم اللهُ جل ثناؤه بهذه الصفة في هذه الآيات ، ليسوا من رأى النبي ﷺ ولا عايناه ، فيسمعوا ^(٣) دعاءه إلى الله تبارك وتعالى ونداءه ، ولكنه القرآنُ ، وهو نظيرُ قوله جل ثناؤه مخبراً عن الجنِّ إذ سمعوا كلامَ اللهِ يُتلى عليهم ، أنهم قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ [الجن : ١ ، ٢] .
وبنحو ذلك ^(٤) كان قتادة يقولُ .

حَدَّثَنَا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَتَوَقْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ : سمعوا دعوةً من اللهِ فأجابوها ، وأحسنوا ^(٥) فيها ، وصبروا عليها . ينبئكم اللهُ عن مؤمنِ الإنسِ كيف قال ، وعن مؤمنِ الجنِّ كيف قال ؛ فأما ^(٦) مؤمنُ الجنِّ فقال : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ [٩٣/١١] فَتَأْمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ . وأما ^(٧) مؤمنُ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٤٣/٣ (٦٤٦٤) من طريق ابن ثور عن ابن جريج بنحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١١/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١١/٢ إلى المصنف .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « فسمعوا » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س .

(٥ - ٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س : « فأحسنوا الإجابة » .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، س .

الإنسِ فقال : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامِنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ الآية (١).

٢١٣/٤ /وقيل : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ ﴾ . يعنى : ينادى إلى الإيمان . كما قال تعالى ذكره : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ [الأعراف : ٤٣] . بمعنى : هदानا إلى هذا . وكما قال الراجز (٢) :

أَوْحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ

وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثَّبَاتِ

بمعنى : أَوْحَى إِلَيْهَا . ومنه قوله : ﴿ بَانَ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ [الزلزلة : ٥] .

وقيل : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا لِلإِيمَانِ ينادى : أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ .

فتأويل الآية إذن : رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا دَاعِيًا يَدْعُو إِلَى الإِيمَانِ . يقول : إلى التصديق

بك ، والإقرار بوحدانيتك ، واتباع رسولك وطاعته ، فيما أمرنا به ، ونهانا عنه ، مما جاء به من عندك ، ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ﴾ . يقول : فصدقنا بذلك يا ربنا ، ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ . يقول : فاستر علينا خطايانا ، ولا تفضحنا بها فى القيامة على رءوس الأشهاد ، بعقوبتك إيانا عليها ، ولكن كفرها عنا ، وسيئات أعمالنا ، فامحها بفضلك ورحمتك إيانا ، ﴿ وَتَوَقَّنا مَعَ الأَبْرارِ ﴾ . يعنى بذلك : واقبضنا إليك - إذا قبضتنا إليك - فى عداد الأبرار ، واحشُرنا محشَرهم ومعهم .

والأبرارُ جمع برّ ، وهم الذين برّوا الله تبارك وتعالى بطاعتهم إياه ، وخدمتهم

له ، حتى أرضوه فرضى عنهم .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٤٣/٣ (٤٦٦٣) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور

١١١/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) تقدم فى ٤٠١/٥ ، ٤٠٢ .

القول في تأويل قوله : ﴿ رَبَّنَا وَعَانَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (١٩٤) .

إن قال لنا قائل : وما وجهُ مسألة هؤلاء القومِ ربِّهم أن يؤتيتهم ما وعدهم ، وقد علموا^(١) أن الله منجزٌ وعده ، وغيرُ جائز أن يكونَ منه إخلافٌ موعدي ؟

قيل : قد^(٢) اختلف في ذلك أهلُ البحثِ ؛ فقال بعضهم : ذلك قولٌ خرج مَخْرَجَ المسألة ، ومعناه الخبرُ . قالوا : وإنما تأويلُ الكلامِ : رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَبْرَارِ ، لِنُؤْتِيَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ، وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قالوا : وليس ذلك على أنهم قالوا : إن توفيتنا مع الأبرارِ فَأُنْجِزْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا ؛ لأنهم قد علموا أن الله لا يُخْلِفُ الميعادَ ، وأن ما وعد على السنةِ رسوله ، ليس يعطيه^(٣) بالدعاء ، ولكنه تفضَّلَ بابتدائه^(٤) ، ثم ينجزه .

وقال آخرون : بل ذلك قولٌ من قائله^(٥) على معنى المسألة والدعاء لله بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على الشنِ رسله ، لا أنهم كانوا قد استحقُّوا منزلة الكرامة عند الله في أنفسهم ، ثم سألوه أن يؤتيتهم ما وعدهم ، بعد علمهم [٩٣/١١١ ظ] باستحقاقهم عند أنفسهم ، فيكون ذلك منهم مسألةً لربِّهم ألا يُخْلِفَ وعده . قالوا : ولو كان القومُ إنما سألوهم أن يؤتيتهم ما وعد الأبرارَ ، لكانوا قد زكَّوا أنفسهم ، وشهدوا لها أنها ممن قد استوجب كرامة الله وثوابه . قالوا : وليس ذلك صفة أهلِ الفضلِ من المؤمنين .

(١) في الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « علمت » .

(٢) زيادة من : الأصل .

(٣) في ص : « بعتية » ، وفي س : « معطيه » .

(٤) في م : « بابتدائه » .

(٥) في م : « قائله » .

وقال آخرون : بل قالوا هذا القول على وجه المسألة والرغبة منهم إلى الله أن يؤتيهم ما وعدهم ؛ من النصر على أعدائهم من أهل الكفر ، والظفر بهم ^(١) ، وإعلاء كلمة الحق على الباطل ، فيعجل ذلك لهم ^(٢) . / قالوا : ومحال أن يكون القوم مع وصف الله إياهم بما وصفهم به ، كانوا على غير يقين من أن الله لا يخلف الميعاد ، فیرغبوا إلى الله جل ثناؤه في ذلك ، ولكنهم كانوا وعدوا النصر ، ولم يؤقت لهم في ذلك وقت فرغبوا إلى الله في ^(٣) تعجيل ذلك لهم ، لما في تعجيله ^(٤) من سرور الظفر وراحة الجسد .

والذي هو أولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي ، أن هذه الصفة صفة من هاجر من أصحاب رسول الله ﷺ من وطنه وداره ، مفارقاً لأهل الشرك بالله ، إلى الله ورسوله ، وغيرهم من تبايع رسول الله ﷺ ، الذين رغبوا إلى الله في تعجيل نصرتهم على أعداء الله وأعدائهم ، فقالوا : ربنا آتنا ما وعدتنا من نصرتك عليهم عاجلاً ، فإنك لا تخلف الميعاد ، ولكن لا صبر لنا على أناتك وحلمك عنهم ، فعجل خزيهم ^(٥) ، ولنا الظفر عليهم . يدل على صحة ذلك آخر الآية الأخرى ، وهو قوله : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ الآيات بعدها .

وليس ذلك مما ذهب إليه الذين حكيث قولهم في شيء . وذلك أنه غير موجود في كلام العرب أن يقال : افعل بنا يارب كذا وكذا . بمعنى : ^(٦) لتفعل بنا كذا وكذا

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « به » .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) في م : « تعجله » .

(٥) في م : « حربهم » .

(٦ - ٦) في الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « افعل بنا كذا الذي » ، وفي م : « افعل بنا لكذا الذي » .

والصواب ما أثبت ، ويؤيده قوله بعد : أقبل إلى لتكلمني .

ولو جاز ذلك ، لجاز أن يقول القائل لآخر^(١) : أقبِلْ إليَّ وكلمني . بمعنى : أقبِلْ إليَّ لتُكلمني . وذلك غير موجود في الكلام ، ولا معروف جوازه . وكذلك أيضًا غير معروف في الكلام : آتينا ما وعدتنا . بمعنى : اجعلنا من آتيته ذلك . وإن كان كلُّ من أُعطي شيئًا سنِّيًّا ، فقد صُيِّرَ نظيرًا لمن كان مثله في المعنى الذي أُعطيته ، ولكن ليس الظاهر من معنى الكلام ذلك ، وإن كان قد يُقوَّلُ معناه إليه .

فتأويل الكلام إذن : رَبَّنَا أَعْطِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى أَلْسِنِ رُسُلِكَ ، إِنَّكَ تُعَلِّمُنَا كَلِمَتَكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ ، فَأَيَّدُنَا^(٢) عَلَى مَنْ كَفَّرَ بِكَ ، وَحَادَّكَ ، وَعَبَدَ غَيْرَكَ ، وَعَجَّلْ لَنَا ذَلِكَ ، فَإِنَا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ لَا تَخْلِفُ مِيعَادَكَ ، وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَتَفْضَحْنَا بِذُنُوبِنَا الَّتِي سَلَفَتْ مِنَّا ، وَلَكِنْ كَفَّرْهَا عَنَّا ، وَاعْفِرْهَا لَنَا .

وقد حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ رَبَّنَا وَعَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾ . قال : يَسْتَنْجِزُ مَوْعِدَ اللَّهِ عَلَى رُسُلِهِ^(٣) .

[٩٤/١١] القول في تأويل قوله : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : فأجاب هؤلاء الداعين - بما وصف الله عنهم أنهم ٢١٥/٤ دَعَوْهُ^(٤) به - ربهم ، بأنى لا أضيعُ عملَ عاملٍ منكم عملَ خيرٍ ؛ ذكرًا كان العاملُ أو أنثى .

وذكر أنه قيل لرسول الله ﷺ : ما بال الرجال يُذكرون ولا تُذكر النساءُ في الهجرة . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةَ .

(١) في النسخ : « الآخر » . والمثبت هو الصواب .

(٢) في ص : « يأيدنا » ، وفي م ، ت ، ٢ ، ٣ : « بتأييدنا » ، وفي ت ٢ : « بايداننا » . غير منقولة .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٤٣/٣ (٤٦٦٥) من طريق ابن ثور عن ابن جريج .

(٤) في م ، ت ، ٢ ، ٣ ، س : « دعوا » .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثنا مؤمِّلٌ، قَالَ: ثنا سفيانٌ، عن ابن أبي نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يُذَكِّرُ الرِّجَالَ فِي الْهَجْرَةِ وَلَا تُذَكِّرُ. فَنَزَلَتْ: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ الآية^(١).

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عن عمرو بن دينارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ: قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَسْمَعُ اللَّهَ يَذَكِّرُ النِّسَاءَ فِي الْهَجْرَةِ بِشَيْءٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾^(٢) أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ^(٣).

حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: ثنا أسدُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: ثنا سفيانٌ، عن عمرو بن دينارٍ، عن رجلٍ من ولَدِ أُمِّ سَلَمَةَ، عن أُمِّ سَلَمَةَ، أَنهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَسْمَعُ اللَّهَ ذَكَرَ النِّسَاءَ فِي الْهَجْرَةِ بِشَيْءٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾^(٤).

وقيل: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ﴾. بمعنى: فأجابهم، كما قال الشاعر^(٥):

وداعٍ دعا يا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فِلم يَسْتَجِبه عندَ ذاك مُجِيبٌ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٤٤/٣ (٤٦٦٩)، والحاكم ٤١٦/٢، من طريق سفيان الثوري به. وجاء في تفسير ابن أبي حاتم قال: قالت أم سلمة، فذكر نحوه، وكان فيه سقطاً؛ لأنه لم يسبق الأثر قبل.
(٢) في الأصل، ص، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س: «الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة».
(٣) تفسير عبد الرزاق ١٤٤/١.

(٤) أخرجه الحميدي (٣٠١)، وسعيد بن منصور في سننه (٥٥٢ - تفسير)، والترمذي (٣٠٢٣)، وأبو يعلى (٦٩٥٨)، والطبراني ٢٣/٢٩٤ (٦٥١)، والحاكم ٣٠٠/٢، والواحدى في أسباب النزول ص ١٠٣ من طريق ابن عيينة به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١١/٢ إلى ابن المنذر.

(٥) تقدم تخريج البيت في ٣٣٥/١.

بمعنى : فلم يُجِبْهُ ^(١) عندَ ذلكَ مجيبٌ .

وَأُدْخِلَتْ ﴿ مِنْ ﴾ فِي ^(٢) قَوْلِهِ : ﴿ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ﴾ . على الترجمة والتفسير عن قوله : ﴿ مِّنْكُمْ ﴾ . بمعنى : لا أضيغُ عملَ عاملٍ منكم من الذكورِ والإناثِ . وليست « مِنْ » هذه بالتي يجوزُ إسقاطُها وحذفُها من الكلامِ في الجحدِ ؛ لأنها دخلتَ بمعنى لا يصلُحُ الكلامُ إلَّا به .

وزعم بعضُ نحويي البصرة أنها دخلت في هذا الموضع كما تدخلُ في قولهم : قد كان من حديثٍ . قال : و﴿ مِّنْ ﴾ هل هنا أحسنُ ؛ لأن حرفَ ^(٣) النهي قد دخل في قوله : ﴿ لَا أَضِيعُ ﴾ .

وأنكر ذلك بعضُ نحويي الكوفة ، وقال : لا تدخلُ « مِنْ » ولا ^(٣) تخرجُ إلَّا في موضعِ الجحدِ . وقال : قوله : ﴿ لَا أَضِيعُ عَمَلٍ عَمِلِ مِّنْكُمْ ﴾ . لم يُدْرِكْهُ الجحدُ ؛ لأنك لا تقولُ : لا أضربُ غلامَ رجلٍ في الدارِ ولا في البيتِ . فتدخلُ « ولا » ؛ لأنه لم يتلَّهُ الجحدُ ، ولكن « مِنْ » مفسرةٌ .

وأما قوله : ﴿ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ . فإنه يعنى : ﴿ بَعْضُكُمْ ﴾ أيها المؤمنون الذين ^(٤) يذكرون اللهَ قيامًا/ وقعودًا وعلى جنوبهم ، ﴿ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ ؛ في النُّصرة ٢١٦/٤ والملة ^(٥) والدين ، وحكمُ جميعكم فيما أنا بكم فاعلٌ ^(٦) حكمُ أحدكم ، في أنى لا أضيغُ عملٌ ^(٧) ذكركم منكم ولا أنثى .

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يُجِبْ » .

(٢) سقط من : ص ، ت ، ٢ ، س .

(٣) زيادة من : الأصل .

(٤ - ٤) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يذكرونى » .

(٥) في م : « المسألة » .

(٦) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « على » .

(٧) بعده في الأصل : « عامل » .

القول في تأويل قوله: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ بَاطِنًا مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ .

[١١/٩٤ظ] يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾^(١): يعني هاجروا^(٢) قومهم من أهل الكفر وعشيرتهم، في الله، إلى إخوانهم من أهل الإيمان بالله والتصديق برسوله، ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾. وهم المهاجرون الذين أخرجهم مشركو قريش من ديارهم بمكة، ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾. يعني: وأوذوا في طاعتهم ربهم، وعبادتهم إياه، مخلصين له الدين. وذلك هو سبيل الله التي آذى فيها المشركون من أهل مكة المؤمنين برسول الله ﷺ من أهلها،^(٣) (وقُتِلُوا). يعني: وقُتِلُوا في سبيل الله، (وقَاتَلُوا) فيها^(٤)، ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾. يعني: لأَمْحُوْنَهَا عَنْهُمْ، ولَأَنْفُضَنَّ عَلَيْهِمْ بَعْفُوِي وَرَحْمَتِي، ولَأَغْفِرَنَّهَا لَهُمْ، ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ بَاطِنًا مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، ﴿ثَوَابًا﴾. يعني: جزاء لهم على ما عملوا وأبَلُوا في الله وفي سبيله، ﴿مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾. يعني: من قِبَلِ اللَّهِ لهم، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾. يعني: أن الله عنده من جزاء أعمالهم لهم جميع صنوفه، وذلك ما لا يتلَعَّه وَصْفٌ وَاصِفٌ؛ لأنه مما لا عين رأت،^(٥) ولا أُذُنٌ سمعت^(٦)، ولا خطر على قلب بشر.

كما حدثنا أحمد بن^(٥) عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا عمي عبد الله بن

(١ - ١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

(٢ - ٢) هكذا بالإبدال. وينظر القراءات التي سيذكرها المصنف بعد.

(٣) زيادة من: الأصل.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥ - ٥) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س.

وهب ، قال : ثنى عمرو بنُ الحارث ، أن أبا عُشَّانَةَ المَعافِرِيَّ حَدَّثَهُ ، أنه سَمِعَ عبدَ
اللَّهِ بنَ عمرو بنِ العاصِ يقولُ : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن أولَ ثَلَّةٍ ^(١)
تَدْخُلُ ^(٢) الجَنَّةَ لَفُقراءُ المهاجرين ، الذين تَتَّقَى بهم المكارهَ ، إذا أُمرُوا سَمِعُوا وأطاعُوا ،
وإن كانت لرجلٍ منهم حاجةٌ إلى السلطانِ لم تُقَضَّ ^(٣) حتى يَمُوتَ وهى فى صدرِهِ ،
وإن اللهَ يَدْعُو يومَ القيامةِ الجَنَّةَ ، فتأتى بزخرفِها وزينتها ، فيقولُ : أين عبادى الذين
قاتلوا فى سبيلى وقُتلوا ، وأوذوا فى سبيلى ، وجاهدوا فى سبيلى ؟ ادخلوا الجَنَّةَ .
فيَدْخُلونها بغيرِ عذابٍ ولا حسابٍ ، وتأتى الملائكةُ فيسجُدون ويَقُولون : ربَّنَا نحن
نُسَبِّحُ لك الليلَ والنهارَ ، ونُقَدِّسُ لك ، مَنْ هؤلاء الذين آثرَناهم علينا ؟ فيقولُ الربُّ
جلَّ ثناؤه : هؤلاء عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى ، وأوذوا فى سبيلى . فتَدْخُلُ الملائكةُ
عليهم مِنْ كُلِّ بابٍ : ﴿ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ ^(٤) [الرعد : ٢٤] .
واختلفت القراءةُ فى قراءةِ قوله : ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ فقرأ بعضهم : (وَقَاتَلُوا
وَقُتِلُوا) . بالتخفيف ^(٥) ، بمعنى : أنهم قَاتَلُوا مَنْ قَاتَلُوا مِنَ المَشْرِكِينَ ، ^(٦) ثم قَتَلَهُم المَشْرِكُونَ ^(٧) .
وقرأ ذلك آخرون : (وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا) . بتشديد : (قُتِلُوا) ^(٧) ، بمعنى : أنهم
قاتلوا المَشْرِكِينَ ، وقَتَلَهُم المَشْرِكُونَ بعضًا بعدَ بعضٍ ، وقتلًا بعدَ قتلٍ .

(١) فى الأصل : « ثلاثة » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « يدخلوا » .

(٣) بعده فى الأصل : « لهم » .

(٤) أخرجه الحاكم فى ٧١/٢ ، ٧٢ ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٢٥٩) من طريق عبد الله بن وهب به ،
وأخرجه أحمد فى المسند ١٣١/١١ - ١٣٣ (٦٥٧٠ ، ٦٥٧١) ، وعبد بن حميد (٣٥٢) ، والبزار
(٢٤٥٧) ، وابن حبان (٧٤٢١) ، والطبرانى ٦١/١٣ (١٥١) ، وأبو نعيم فى الحلية ١/٣٤٧ من طريق أبى
عشانة به بنحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢/٢ إلى أبى الشيخ .

(٥) وهى قراءة شاذة ، حكاه أبو حيان عن عمر بن عبد العزيز . البحر المحیط ٣/١٤٥ .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٧) وهى قراءة ابن كثير وابن عامر . السبعة لابن مجاهد ص ٢٢١ .

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة وبعض الكوفيين : ﴿ وَقَاتِلُوا وَقْتُلُوا ﴾ .
 بالتخفيف^(١) ، بمعنى : أنهم قاتلوا المشركين وقتلوا .

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : (وَقْتُلُوا) . بالتخفيف ، (وَقَاتِلُوا)^(٢) . بمعنى :
 أن بعضهم قُتِل ، وقتل من بقي منهم .

والقرأة التي لا أَسْتَجِيزُ أن أَعْدُوها إحدى هاتين القراءتين ، وهى : ﴿ وَقَاتِلُوا ﴾ ٢١٧/٤
 بالتخفيف ، / أو : (وَقْتُلُوا) . بالتخفيف ، (وَقَاتِلُوا) . لأنها القراءة
 المنقولة نقل ورائة [١١/٩٥] ، وما عداها فشاذ^(٣) . وبأى هاتين القراءتين اللتين
 ذكرتُ أنى لا أَسْتَجِيزُ أن أَعْدُوها ، قرأ قارئ فمصيب في ذلك الصواب من
 القراءة ؛ لاستيفاضة القراءة بكل واحدة منهما فى قرأة الإسلام ، مع اتفاق معنييهما .

القول فى تأويل قوله : ﴿ لَا يَغُرَّنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ متع
 قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّسَ الْمَهَادُ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ لَا يَغُرَّنْكَ ﴾ يا محمد ، ﴿ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
 الْبِلَادِ ﴾ يعنى : تَصَرُّفُهُمْ فى الأرضِ وَضَرْبُهُمْ فيها .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن
 السدى : ﴿ لَا يَغُرَّنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ . يقول : ضربهم فى البلاد^(٤) .

فنهى الله تعالى ذكره نبيه ﷺ عن الاغترار بضريرهم فى البلاد وإمهال الله
 إياهم ، مع شركهم وجحودهم نَعَمَه ، وعبادتهم غيره . وخرج الخطاب بذلك

(١) وبها قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو . السبعة الموضع السابق .

(٢) وقرأ بها حمزة والكسائى . السبعة الموضع نفسه .

(٣) وتقدم أن ابن كثير وابن عامر - وهما من السبعة - قرأ : (وَقَاتِلُوا وَقْتُلُوا) . فليست قراءتهما شاذة .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٤٥/٣ (٤٦٧٣) من طريق أحمد بن المفضل به .

للنبي ﷺ ، والمعنى به غيره من أتباعه وأصحابه ، كما قد بيئنا فيما مضى قبل^(١) من أشكاليه^(٢) ، وما اعترَّ ﷺ بهم ولا خدعوه عن شيء^(٣) من أمر الله ، ولكن كان بأمر الله صادقاً ، وإلى الحق داعياً .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال قتادة .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي آلِئَلِدِ ﴾ : والله ما غرَّوا نبيَّ الله ، ولا وكل إليهم شيئاً من أمر الله ، حتى قبضه الله على ذلك^(٤) .

وأما قوله : ﴿ مَتَعُ قَلِيلٌ ﴾ . فإنه يعنى أن تقابهم في البلاد وتصرفهم فيها منعة يمتعون^(٥) بها قليلاً ، حتى يتلغوا آجالهم فتخترمهم منيَّاتهم ، ﴿ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ ﴾ بعد مماتهم . والمأوى : الموضع^(٦) الذي يأوون إليه يوم القيامة ، فيصيرون فيه .

ويعنى بقوله : ﴿ وَيَبْسُ أَلْمَهَادُ ﴾ : وبس الفراش والمضجع جهنم .

القول فى تأويل قوله : ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ .

يعنى بقوله^(٧) : ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ﴾ : لكن الذين اتقوا الله بطاعته واتباع مرضاته ، فى العمل بما أمرهم به ، واجتناب ما نهاهم عنه ، ﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ ﴾ . يعنى : بساتين ، ﴿ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ . يقول : باقين فيها

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٤٠٤/٢ - ٤٠٦ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٤٥/٣ (٤٦٧٤) من طريق يزيد .

(٤) فى الأصل ، ص ، ت ، ١ : « يمتعون » .

(٥) فى ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « المصير » .

(٦) فى ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بذلك جل ثناؤه » .

أبدًا ، ﴿ نُزِّلَا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . يعنى : إنزالاً من الله إياهم فيها أنزلهموها .
 وَنَصَبَ ﴿ نُزِّلَا ﴾ على التفسير من قوله : ﴿ لَّهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ ﴾ . كما يُقال : لك عند الله جنات تجرى من تحتها الأنهارُ ثوابًا . وكما
 يُقال : هو لك صدقةٌ . و : هو لك هبةٌ .

وقوله : ﴿ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . يعنى : من قبل الله ، ومن كرامة الله إياهم ،
 وعطاياهم لهم .

وقوله : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ . يقول : وما عند الله من الحياة
 والكرامة وحسن المآب ، خيرٌ للأبرارِ مما يتقلَّب فيه الذين كفروا ، فإن الذى يتقلَّبون
 فيه زائلٌ فإن ، وهو قليلٌ من المتاعِ حسيش [١١ / ٩٥٥ ظ] وما عند الله ^(١) من كرامته
 للأبرارِ - وهم أهل طاعته - باقى غيرُ فإن ولا زائل .

٢١٨/٤

حدَّثنى يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : سمعت ابنَ زيدٍ يقولُ فى قوله :
 ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ . قال : لمن يُطِيعُ اللَّهَ ^(٢) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا الشَّوْرَى ، عن
 الأعمشِ ، عن خيثمة ، عن الأسودِ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : ما من نفسٍ برّةٍ ولا فاجرةٍ
 إلا والموتُ خيرٌ لها . ثم قرأ عبدُ اللَّهِ : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ . وقرأ هذه
 الآية : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾ الآية ^(٣) .

(١) بعده فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « خير » ، ومضروب عليها فى ص .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٣/٢ إلى المصنف .

(٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س . والأثر فى تفسير عبد الرزاق ١/١٤٢ ، وينظر ما تقدم فى

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ فَرَجِ بْنِ فَضَالَةَ ، عَنْ لَقْمَانَ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ ، وَمَا مِنْ كَافِرٍ إِلَّا وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْنِي فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ وَيَقُولُ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا ﴾ ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .
اختلف أهل التأويل في من عني بهذه الآية ؛ فقال بعضهم : عني بها أصحابنا النجاشي ، وفيه أنزلت .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا عَصَامُ ^(٢) بْنُ رَوَّادٍ بْنِ الْجَرَّاحِ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ الْهَدَلِيُّ ، عَنْ عَنَادَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أَخْرَجُوا فَصَلُّوا عَلَيَّ أَخِي لَكُمْ » . فخرج ^(٣) فصلَّى بنا فكبر أربع تكبيرات ، فقال : « هذا النجاشي أصحابنا » . فقال المنافقون : انظروا إلى هذا يصلِّي على عليٍّ ^(٤) نصراني لم يره قط . فأنزل الله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ الآية ^(٥) .

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٤٧ - تفسير) عن فرج بن فضالة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور

١٠٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) بعده في م : « بن زياد » . وينظر الجرح والتعديل ٢٦/٧ .

(٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) العليج : الرجل من كفار العجم . اللسان (ع ل ج) .

(٥) أخرجه ابن عدى في الكامل ١١٧١/٣ من طريق رواد بن الجراح به .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ^(١) ، قال : ثنا معاذُ بْنُ هِشَامٍ ، قال : ثنا أَبِي ، عن قتادةَ ، أن النَّبِيَّ ﷺ قال : « إن أخاكم النجاشيَّ قد مات فصلُّوا عليه » . قالوا : تُصَلِّيَ على رجلٍ ليس بمسلمٍ ؟ قال : فنزلت : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ . قال قتادةُ : فقالوا : فإنه كان لا يُصَلِّي^(٢) القبلةَ . فأنزل اللهُ : ﴿ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾^(٣) [البقرة : ١١٥] .

حَدَّثَنَا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ : ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في النجاشيَّ وفي ناسٍ من أصحابه ، آمنوا بنبيِّ اللهِ ﷺ وصدَّقوا به . قال : وذكر لنا أن نبيَّ اللهِ ﷺ [١١/٩٦و] استغفَرَ للنجاشيَّ وصَلَّى عليه حين بلغه موته ، قال^(٤) لأصحابه : « صلُّوا على أخٍ لكم قد مات بغيرِ بلادكم » . فقال أناسٌ من أهلِ النفاقِ : يُصَلِّيَ على رجلٍ مات ليس من أهلِ دينه ؟ فأنزل اللهُ هذه الآيةَ : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ . قال قتادةُ : « إنَّ يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^(٥) .

حَدَّثَنَا الحسنُ بْنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ .

(١ - ١) في س : « بشر » .

(٢) بعده في م : « إلى » .

(٣) أسباب النزول للواحدى ص ١٠٣ . وتقدم في ٤٥٥/٢ .

(٤) في س : « وقال » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٣/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

إِلَيْهِمْ ﴿١﴾ . قال : نزلت في النجاشي وأصحابه ممن آمن بالنبي ﷺ ، واسم النجاشي أصحمة . (١) قال الثوري : واسم النجاشي أصحمة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : قال عبد الرزاق : وقال ابن عيينة : اسم النجاشي بالعربية عطية (٢) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما صلى النبي ﷺ على النجاشي ، طعن في ذلك المنافقون ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ إلى آخرها (٣) .

وقال آخرون : بل غني بذلك عبد الله بن سلام ومن معه .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : (٤) قال آخرون : نزلت - يعني هذه الآية ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ الآية في عبد الله بن سلام ومن معه (٥) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن زيد في قوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ الآية كلها . قال : هؤلاء يهود (٦) .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

والأثر في تفسير عبد الرزاق ١/١٤٤ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٤٤ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٣/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٣/٢ إلى المصنف وابن المنذر ، وينظر البحر المحيط ٣/١٤٨ .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٣/٢ إلى المصنف .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بذلك مُسْلِمَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ كُلِّهِمْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ : من اليهود والنصارى ، وهم مُسْلِمَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ ^(١) .

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قال مجاهد ، وذلك أن الله جل ثناؤه عمم بقوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ . أهل الكتاب جميعاً ، فلم يخص منهم النصارى دون اليهود ، ولا اليهود دون النصارى ، وإنما أخبر أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله ، وكلا الفريقين - أعنى اليهود والنصارى - من أهل الكتاب .

فإن قال قائل : فما أنت قائل في الخبر الذي رويت عن جابر وغيره أنها نزلت في النجاشي وأصحابه ؟

قيل : ذلك خبر في إسناده نظير ، ولو كان صحيحاً لا شك فيه لم يكن لما قلنا في معنى الآية بخلاف ^(٢) ، وذلك / أن جابراً ومن قال بقوله إنما قالوا : نزلت في النجاشي . وقد تنزل الآية في الشيء ثم يُعمم بها كل من كان في معناه . فالآية وإن كانت نزلت في النجاشي ، فإن الله تبارك وتعالى [٩٦/١١ ظ] قد جعل الحكم الذي حكم به للنجاشي حكماً لجميع عباده الذين هم بصفة النجاشي ، في اتباعهم رسول الله ﷺ والتصديق بما جاءهم به من عند الله ، بعد الذي كانوا عليه قبل ذلك ، من اتباع أمر الله ، فيما أمر به عباده في الكتابين ؛ التوراة والإنجيل .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٤٦/٣ (٤٦٨٤) من طريق أبي حذيفة به .

(٢) في م : « خلاف » .

فإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ : التوراة والإنجيل ، ﴿ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ ، فيقرُّ بوحدانيته ، ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ﴾ أيها المؤمنون . يقول : وما أنزل إليكم من كتابه ووحيه على لسان رسوله محمد ﷺ ، ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ ﴾ . يعنى : وما أنزل إلى أهل الكتاب من الكتاب ، وذلك التوراة والإنجيل والزبور ، ﴿ خَشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ . يعنى : خاضعين لله بالطاعة له ، مُسْتَكِينِينَ له بها متدللين .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن زيد فى قوله : ﴿ خَشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ . قال : الخاشع المتدلل لله الخائف .

ونصب قوله : ﴿ خَشِعِينَ ﴾ . على الحال من قوله ﴿ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ خَشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ . وهو حال مما فى ﴿ يُؤْمِنُ ﴾ من ذكر ﴿ مِنْ ﴾ .

﴿ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . يقول : لا يُحَرِّفُونَ ما أنزل الله إليهم فى كتبه من نعت محمد ﷺ ، فيبدلونه ، ولا غير ذلك من أحكامه وحججه فيه ، لعرض من الدنيا خسيس ، يُعْطَوْنَهُ على ذلك التبديل ، وابتغاء الرياسة على الجهال ، ولكنهم يتقادون للحق ، فيعملون بما أمرهم الله به فيما أنزل إليهم فى كتبه ، ويتنهون عما نهاهم عنه فيها ، ويؤثرون أمر الله على هوى أنفسهم .

القول فى تأويل قوله : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ : هؤلاء الذين يؤمنون بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ، ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . يعنى : لهم عوض أعمالهم التى عملوها ، وثواب طاعتهم ربهم فيما أطاعوه فيه ، ﴿ عِنْدَ

رَبِّهِمْ ﴿١٩٩﴾ . يَعْنِي : مَذْخُورٌ ذَلِكَ لَهُمْ لَدَيْهِ ، حَتَّى يَصِيرُوا إِلَيْهِ فِي الْقِيَامَةِ فَيُؤْفِقَهُمْ ذَلِكَ ، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢٠٠﴾ . وَسُرْعَةُ [١١/٩٧و] حِسَابِهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلُوهَا وَبَعْدَ مَا عَمِلُوهَا ، فَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى إِحْصَاءِ عَدَدِ ذَلِكَ ، فَيَقَعُ فِي الْإِحْصَاءِ إِبْطَاءً ، فَلِذَلِكَ قَالَ : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ .

القول في تأويل قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : اصبروا على دينكم ، وصابروا الكفار ورابطوهم .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن أنه سمعه يقول في قول الله : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ . قال : أمرهم أن يصبروا على دينهم ، فلا يدعوه لشدة ولا رخاء ، ولا سراء ولا ضراء ، وأمرهم أن يُصابروا الكفار ، وأن يُرابطوا المشركين ^(١) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ . أى : اصبروا على طاعة الله ، وصابروا أهل الضلالة ، ورابطوا في سبيل الله ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ^(٢) .

(١) الجهاد لابن المبارك (١٧٠) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٤٧/٣ (٤٦٩٠) من طريق المبارك بن فضالة .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٤/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ . يَقُولُ : صَابِرُوا الْمَشْرُوكِينَ ، وَرَابِطُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ أَصْبِرُوا ﴾ على الطاعة ، ﴿ وَصَابِرُوا ﴾ أعداء الله ، ﴿ وَرَابِطُوا ﴾ في سبيلِ اللَّهِ .

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرِئٌ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ . قَالَ : اصْبِرُوا عَلَى مَا أُمِرْتُمْ بِهِ ، وَصَابِرُوا الْعَدُوَّ وَرَابِطُوهُمْ .

وَقَالَ آخَرُونَ : ^(٢) « معنی ذلك » : اصْبِرُوا عَلَى دِينِكُمْ ، وَصَابِرُوا وَعْدَى إِيَّاكُمْ عَلَى طَاعَتِكُمْ لِي ، وَرَابِطُوا أَعْدَاءَكُمْ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ [٩٧/١١١ ظ]

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ يَقُولُ : اصْبِرُوا عَلَى دِينِكُمْ ، وَصَابِرُوا الْوَعْدَ الَّذِي وَعَدْتُمْكُمْ ، وَرَابِطُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ حَتَّى يَثْرَكَ دِينُهُ لَدِينِكُمْ ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : معنی ذلك : اصْبِرُوا عَلَى الْجِهَادِ ، وَصَابِرُوا عَدُوَّكُمْ وَرَابِطُوهُمْ .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٤٤ ، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٢٠/٢٢٤ من طريق معمر به .

(٢) في س : « معنی بذلك » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٥٠ ، ٨٦٨٩ ، ٤٦٩٧ ، ٤٧٠٤ عن يونس به ،

وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٢٠/٢٢٤ من طريق ابن وهب به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/١١٤

إلى ابن المنذر .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا هشام بن سعيد ، عن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ . قال : اصبروا على الجهاد ، وصابروا عدوكم ، وربطوا على عدوكم ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدَنِيُّ ^(٢) ، قال : ثنا مالك - يعني ابن أنس - عن زيد بن أسلم ، قال : كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب ، يذكُر له جموعًا من الروم ، وما يَتَخَوَّفُ منهم ، فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإنه مهما نزل بعيد مؤمن من منزلة شدة ، يجعل الله له بعدها فرجًا ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ، وإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ^(٣) .

وقال آخرون : معنى قوله : ﴿ وَرَابِطُوا ﴾ . أى : رابطوا على الصلوات . أى : انتظروها واحدة بعد واحدة .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

٢٢٢/٤

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير ، قال : ثنا داود بن صالح ، قال : قال لى أبو سلمة بن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٤٨/٣ ، ٨٥٠ (٤٦٩٤ ، ٤٧٠٦) ، والبيهقي في الشعب (٤٢٠٥) من طريق جعفر بن عون به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٤/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) فى ص : « المرني » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المرى » . وينظر تهذيب الكمال ٧٠/٢٨ .

(٣) الموطأ ٤٤٦/٢ ، وأخرج نحوه ابن المبارك فى الجهاد (٢١٧) ، وابن أبى شيبه ٣٣٥/٥ ، ٣٧/١٣ ، ٣٨ ، وابن أبى الدنيا - كما فى الدر المنثور ١١٤/٢ - ومن طريقه البيهقي فى الشعب (١٠٠١٠) ، والحاكم ٢/٣٠١ ، وابن عساکر فى تاريخ دمشق ٤٧٧/٢٥ من طريق زيد بن أسلم عن أبيه بنحوه .

عبد الرحمن : يا بن أخى ، هل تدرى فى أى شىء نزلت هذه الآية : ﴿ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ ؟ قال : قلت : لا . قال : ^(١) إنه يا بن أخى لم يكن فى زمان النبى ﷺ عَزَّوَجَلَّ يُرَابِطُ فيه ، ولكنه انتظر الصلاة خلف الصلاة ^(٢) .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبد الله بن سعيد المقبرى ، عن جدّه ، عن شُرْحَبِيلِ ، عن عليّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلّكم على ما يُكفّر ^(٣) الله به ^(٣) الذنوب والخطايا ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلك الرّباط ^(٤) » .

حدثنا موسى بن سهيل الرملى ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا محمد بن مهاجر ، قال : ثنا يحيى بن يزيد ، عن زيد بن أبى أنيسة ، [١١ / ٩٨ و] عن شُرْحَبِيلِ ، عن جابر ابن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلّكم على ما يَمْحُو الله به الخطايا ، ويكفّر به الذنوب ؟ قال : قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « إسباغ الوضوء فى أماكنها ، وكثرة الخطأ إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلك الرّباط ^(٥) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا

(١ - ١) فى المستدرک : « يا ابن أخى إني سمعت أبا هريرة يقول » .

(٢) الزهد لابن المبارك (٤٠٨) ، ومن طريقه الحاكم ٣٠١/٢ ، والبيهقى فى الشعب (٢٨٩٧) ، والواحدى فى أسباب النزول ص (١٠٤) ، وابن عبد البر فى التمهيد ٢٠/٢٢٤ . وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٢/١١٣ إلى ابن المنذر .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) أخرجه عبد بن حميد (٩١) ، والبخاري (٥٢٨) ، وأبو يعلى (٤٨٨) ، والحاكم ١/١٣٢ ، وابن عبد البر فى التمهيد ٢٠/٢٢٤ من طريق سعيد بن المسيب ، عن عليّ .

(٥) أخرجه ابن حبان (١٠٣٩) ، والبخاري (٤٤٩ - كشف) من طريق زيد بن أبى أنيسة به ، وأخرجه البخاري (٤٥٠ - كشف) من طريق الشعبي ، عن جابر بنحوه .

أدلكم على ما يخطئ الله به^(١) الخطايا، ويؤفّع به الدرجات^(٢)؟ قالوا: بلى يا رسول الله . قال: «إسباغ الوضوء عند المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»^(٣).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه^(٤).

قال أبو جعفر: وأولى التأويلات بتأويل الآية قول من قال في ذلك: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، ﴿أَصْبِرُوا﴾ على دينكم وطاعة ربكم. وذلك أن الله جل ثناؤه لم يخص من معاني الصبر على الدين والطاعة شيئاً فيجوز إخراجها من ظاهر التنزيل؛ فلذلك قلنا: إنه عني بقوله: ﴿أَصْبِرُوا﴾. الأمر بالصبر على جميع معاني طاعة الله فيما أمر به ونهى؛ صعبها وشديدها، وسهّلها^(٥) وخفيفها. ﴿وَصَابِرُوا﴾. يعني: وصابروا أعداءكم من المشركين.

وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب؛ لأن المعروف من كلام العرب في المفاعلة أن تكون من فريقين، أو اثنين فصاعداً، ولا تكون من واحد إلا قليلاً في أحرف

(١) في ص: «فيه» .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٢٠/٢٢٣ من طريق أبي كريب به .

(٣) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٢٠/٢٢٣، ٢٢٤ من طريق الحسين بن داود سنيد به، وأخرجه مسلم (٢٥١)، والترمذي (٥١)، وأبو يعلى (٦٥٠١)، وابن خزيمة (٥) من طريق إسماعيل بن جعفر به، وأخرجه مالك ١/١٦١، وعبد الرزاق - كما في الدر المشور ٢/١١٣ - وعنه أحمد ١٢/١٤٣، ١٣/١٦٢، (٧٢٠٩، ٧٧٢٩)، ومسلم (٢٥١)، والنسائي ١/٨٩ (١٤٣)، وابن خزيمة (٥)، وأبو عوانة ١/٢٣١،

وابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٨٤٩ (٤٧٠٣) من طريق العلاء بن عبد الرحمن به .

(٤) في الأصل: «ثقلها» .

معدودة . وإذ كان ذلك كذلك ، فإنما أمر المؤمنون أن يُصابروا غيرهم من أعدائهم حتى يُظفِرَهم الله [١١/٩٨ظ] بهم ، ويُغلي كلمته ، ويُخزِي أعداءهم ، وألا يكون^(١) عدوهم أصبر منهم .

وكذلك قوله : ﴿ وَرَابِطُوا ﴾ . معناه : وربطوا أعداءكم وأعداء دينكم من أهل الشرك في سبيل الله .

وأرى أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو ، كما ارتبط عدوهم لهم خيلهم^(٢) ، ثم / استُعْمِلَ ذلك في كلِّ مقيم في ثغر يدفَعُ عن وراءه من أرادهم من أعدائهم بسوء ، ٢٢٣/٤ ويخمي عنهم من بينه وبينهم من بغاهم بشرًّا ، كان ذا خيلٍ قد ارتبطها ، أو ذا رُجْلة^(٣) لا مَرَكَبَ له .

وإنما قلنا : معنى : ﴿ وَرَابِطُوا ﴾ : وربطوا أعداءكم وأعداء دينكم ؛ لأن ذلك هو المعنى المعروف من معاني الرباط ، وإنما يُوجَّهُ الكلامُ إلى الأغلبِ المعروفِ في استعمالِ الناسِ من معانيه دونَ الحَقْفِيِّ ، حتى تأتي بخلاف ذلك - مما^(٤) يُوجِبُ صرفه إلى الحَقْفِيِّ من معانيه - حجةٌ يَجِبُ التسليمُ لها ، من كتابِ الله عز وجل ، أو خبرٍ عن الرسول ﷺ ، أو إجماعٍ من أهلِ التأويلِ .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿ ٢٠٠ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يعنى تعالى ذكره : واتقوا الله أيها المؤمنون ، فاحذروه أن

(١) في م : « يكن » .

(٢) في ص ، ت ، ١ : « حناهم » ، وفي ت ٢ : « حياهم » ، وفي ت ٣ : « خيالهم » .

(٣) الرجلة : المشى راجلاً . اللسان (رج ل) .

(٤) في النسخ : « ما » . والمثبت ما يقتضيه السياق .

تخالفوا أمره أو^(١) تتقدموا على نهيه ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ . يقول : لتفليحوا
فتبتقوا في نعيم الأبد ، وتنجحوا في طلباتكم عنده .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن
[١١ / ٩٩] محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في قوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴾ : واتقوني^(٢) فيما بيني وبينكم ، لعلكم تفليحون غدا إذا لقيتموني^(٣) .

تم التفسيرُ تفسيرُ سورة « آل عمران »
والحمد لله رب العالمين

(١) في م : « و » .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « اتقوا الله » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٥١ / ٣ (٤٧٠٩ ، ٤٧١١) عن يونس به ، وأخرجه ابن عبد البر في

التمهيد ٢٠ / ٢٢٤ من طريق ابن وهب به . وهو من تمام الأثر المتقدم في ص ٣٣٣ .